This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at http://books.google.com/

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

A. or. 6302

كتاب

سيرة عنترة بن شداد بن معوية بن قراد العبسي

BIBLIOTHECA REGIA MONACENSIS

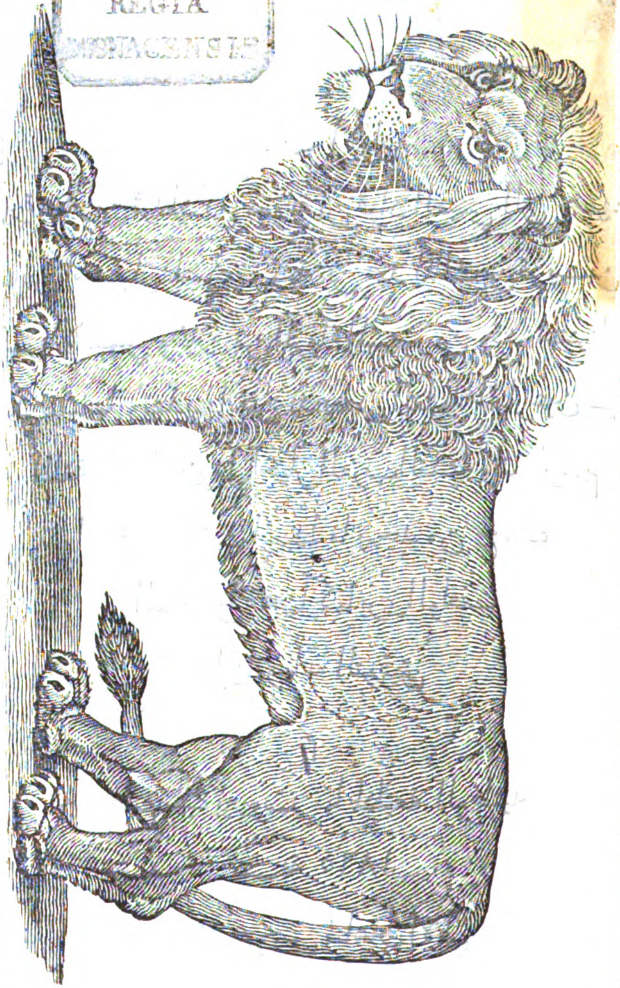

Digitized by Google

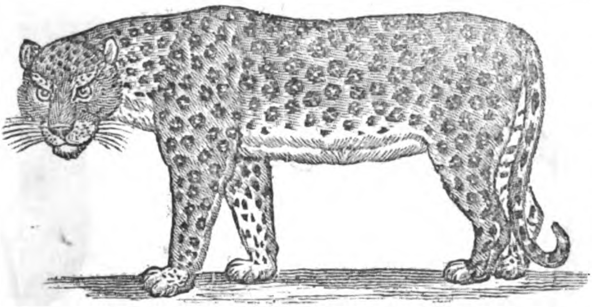

الكتاب الاول

من سيرة عنتر بن شداد بن معوية بن قراد العبسي التي جمعها الشيخ
يوسف بن اسمعيل المصري روايةً عن عبد الملك بن قريب بن اصمع
المعروف بالاصمعي وغيرهِ من الرواة المشهورين وقد اعتنينا بطبعها
بعد تثقيفها وتهذيبها عن يد بعض العلماء البارعين في
اللغة والمطلعين على اخبار العرب القديمة واشعارهم
الصحيحة فكانت اضبط ما يوجد من نسخ هذه
السيرة وافصحها كما يرى الواقف
عليها وبالله التوفيق

م

طبع في بيروت بالمطبعة الوطنية
سنة ١٨٦٥
بنفقة جرجس شاهين الابلي

Digitized by Google

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل حديث الاولين * عبرة للاخرين * والصلوة والسلام على سيد المرسلين * والهِ واصحابهم اجمعين

اما بعدُ فهذه سيرة فارس الطراد * الضارب بالسيوف الحداد * والطاعن بالرماح المداد * قادح النار من غير زناد * حية بطن الواد الرفيع العماد * ابي الفوارس الامير عنتر بن شداد * وما وقع لهُ من الحروب العظام * مع فرسان الجاهلية قبل ظهور الاسلام

فنقول انهُ لما كثرت العرب في قديم الزمان وضاقت الارض على اولاد نزار بن معد بن عدنان قال لهم احدهم مضر انا ارشدكم واكبركم ووالدي اوصى لي بالملك من بعدهِ فاسمعوا ما اقولهُ لكم في هذه الساعة فاجابوهُ بالسمع والطاعة فقال لاخيهِ ربيعة ارحل يا اخي الى ارض اليمن واتخذها لك وطناً فانها نعم الوطن وانت يا نزار ادخل الى ارض بلاد الشام وسرح فيها ما عندك من الاموال والانعام ووجه باقي اخوتهِ كذلك فسار كل واحد منهم الى مكانهِ واقام هنالك قال الاصمعي ولما انتشرت قبايل العرب في الافاق واستوطنوا في اليمن والحجاز والشام والعراق سميت عرب اليمن بني قحطان وعرب الحجاز بني عدنان وعرب الشام بني غسان وعرب العراق بني شيبان ولما توطنت العرب في بلادها وقعت بينهم الوقايع وحدث الاختلاف على المراعي والمراتع وقد تواترت عنهم الاحاديث مما رواهُ البلخي وسيار وحماد الراوية وابن قتيبة الفزاري والاشعث الثقفي وابن

خداش المثنى ونجد بن هشام وجهينة اليماني وغيرهم وقد اخذنا عنهم هذه الروايات والاخبار لتكون تذكرة لمن ياتي بعدنا في غابر الاعصار

قال الاصمعي وكانت العرب في تلك الايام تعبد الاصنام من دون الله* وكان لكل قوم منهم صنم يعبدونهُ فكان لهم اصنام كثيرة كاللات والعزى والهبل ومناة واساف ونايلة وود وسواع وغير ذلك وكانوا يفتخرون بالانساب والاحساب والشجاعة والبراعة ويقضون ايامهم بالحروب والغزوات والوقايع والغارات فلا يعرفون الحرام من الحلال ولا يبالون بسفك الدماء ونهب الاموال فسلط الله عليهم هذا الجبار الغشمشم القهار الذي اخضع الرقاب ورغم الانوف وقتل منهم الوف الوف* قال الاصمعي وكان من العرب ثلاث قبايل يقال لها جمرات العرب وهي بنو ضبة وبنو اد وبنو عبس الذين منهم عنتر بن شداد فتغلب على الجميع واطفا كل جمرة من جميع عربان تلك البلاد فاعتزت بهِ بنو عبس في تلك الايام وسمتهم العرب فرسان المنايا والموت الزوءام فشاع ذكرهم في ذلك الزمان وصاروا يحمون الطريد ويوءمنون الخايف الفزعان ولو كان عليهِ من الادمية ما يكل عن وصفهِ اللسان ويجيرونهُ من كل انسان ولو كان طالبهُ ملك او سلطان ومن طلبهم بادروهُ بالحرب والكفاح ونهبوه بحدود السيوف واسنة الرماح والفارس منهم لا يولي ولو اثخن بالجراح ويرى الموت احلى من شرب كاس الراح وقد ذكرت الرواة ان نساءهم كانت

اشد من الرجال وكانت تقاتل مع رجالها اذا ضاق عليهم المجال * وكانت صبيانهم تقابل الفتيان لانهم يتربون على سروج الخيل ويباشرون الضرب والطعان ويسطون مع ابايهم على قبايل العربان وكان لهم ملك من اجلّ ملوك الزمان يقال لهُ زهير بن جذيمة بن رواحة بن بغيض بن غطفان بن قيس بن عدنان * وكان كاملاً في كرمهِ وشجاعتهِ وفضلهِ * ولهُ ابطال وفرسان تركب لركوبهِ وتنزل لنزولهِ كما سياتي حديثهم * واما السبب في تاليف هذه السيرة العجيبة والقصة الفريدة الغريبة فهو اني رايت الناس قد اكثروا في تلفيق الروايات السقيمة واشتغلوا بالغيبة والثلب والنميمة * فاحببت ان اجمع هذه الاحاديث الصحيحة واشغل بها الناس عن سوء العشرة القبيحة

قال الراوي والعجب ما في هذه السيرة العجيبة من الامور الغريبة ان قوماً من بني عبس افتقروا وقل ما لهم من كثرة الطارق والوافد والقاصد والوارد فعزموا على الغزوات والسلب من اموال العربان كما جرت عادتهم في ذلك الزمان وكان من جملتهم شداد بن قراد فارس جروة وهي فرسهُ وكانت من افضل خيول العربان وقد حسدتهُ عليها جميع الفرسان وهو لا يجد عنها سلوة ولا يقبل بها ثمناً ولا رشوة * وطلبها منهُ بعض الرجال فانشد وقال

الا لا تطلبوا فرسي لبيعٍ   فجروة لا تباعُ ولا تعارُ
لنا في ظهرها حصنٌ منيعٌ   وفي وثباتها نورٌ ونارُ

Digitized by Google

فنفديها اذا جاءت اليتا   مع الرعيان تتبعها المهارُ
ونذخرها لايام الرزايا   فتنجينا اذا طلع الغبارُ
فجروة مهرةٌ في الخيل تسمو   كما يسمو على الليل النهارُ
تطير مع الرياح بغير ريشٍ   ولم يلحق لها ابداً غبارُ

قال وكان من جملة الفرسان الذين اغاروا علي اموال العربان فوارس شجعان منهم شداد بن قراد واليعسوب بن ماجد والحارث بن الشمراخ وعامر بن ناقد * وتمام العشرة من فرسان بني عبس الاماجد هذا وقد ساروا من ارض بني عبس التي تسمى الشربة وعليها جبل يسمى العلم السعدي قد ارتفع فوقها كالقبة * فانطلقوا وهم غايصون في الحديد مسربلون بالزرد النضيد حتي قطعوا ارض بني عدنان ودخلوا في ارض بني قحطان * فجعلوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار * حتى اشرفوا على الجبلين اللذين يسميان اجاء وسلمى في تلك الديار فراوا هناك قبيلة جليلة عندها اموال جزيلة وهي قومٌ يقال لهم بنو جديلة فوجدوا لهم مضارب وخياماً ورايات واعلاماً وراوا اكثر المضارب من الديباج والحلة كانها بحر عجاج من كثرة الغلمان والجواري الحسان والعبيد والولدان والخيول المختلفة الالوان والقوم في امان واطمنان من غِيَرِ الزمان فلما نظروا الي اوليك القوم واحوالهم وراوا كثرة خيولهم ورجالهم لم يهجموا عليهم وخافوا على انفسهم من المسير اليهم فتركوهم وارتدوا الى مراعيهم فوجدوا الفُ ناقة ترعى وهي في تلك البطاح تسعى * وكان مع تلك الجمال

امة سوداء ترعاها في ذلك البر الفسيح ومعها غلامان صغيران يدوران
حول الجمال اذا قعدت تستريح * وكانت تلك الجارية عريضة
الاكتاف ثقيلة الارداف مليحة الاعتدال كانها غصن اذا تحرك ومال
قال الراوي فلما نظرت بنو عبس الي تلك النياق جدوا اليها كخيل
السباق وساقوها بالعجل سوق الارانب * ولدغوها باسنة الرماح من
كل جانب * فمدت النياق خطاها وقد اوسعت في سعاها والامة
والعبدان من وراها وبنو عبس في اثرها متاهبين للقا من يلحقها
الا انهم ما ابعدوا عن الديار حتي طلع من خلفهم الغبار ومن تحته
صياح الابطال وهمهمة الرجال ولم تكن الا ساعة حتي ادركوهم
وصاحوا عليهم ويلكم اتظنون انهُ ينجيكم الهرب ونحن لكم فى الطلب
فلقد سعيتم بارجلكم الى اجالكم وقدمتم على هلاككم ووبالكم فلما
نظرت بنو عبس الى الاعداء وقد لحقتها الوت اعنتها وقومت اسنتها
واستقبلوا القادمين وانقضوا عليهم مثل الشواهين وعلا بينهم الصياح
واشتد القتال والكفاح حتي جرى بينهم الدم وساح هذا وبنو جديلة
قد قل عزمهم وتغلب عليهم خصمهم فولوا بين ايديهم وعادوا على
اعقابهم منهزمين ولديارهم طالبين بعد ما قتلت ابطالهم واخذت
اموالهم فعند ذلك ساقت بنو عبس النياق والجمال ثم طلبوا الديار
والاطلال وجدوا في قطع الفيافي والقفار والوديان الى ان امسى المسا
فنزلوا علي بعض المياه والغدران فنظر شداد الى تلك الامة التي
ساقوها مع النياق فحلت في عينهِ لامرٍ يريد ان يظهرهُ الملك الخلاق

Digitized by Google

ذات رونق وجمال تستميل اليها قلوب الرجال ولقد احسن من قال

وفي السود معنى لو عرفت بيانهُ لما نظرت عيناك بيضاً ولا حمرا
لبانة اعطافٍ وغنج لواحظٍ تعلم هاروت الكهانة والسحرا
ولولا سواد الخال في خد ابيضٍ لما عرف العشاق يوماً لهُ قدرا
ولولا سواد المسك ما كان غالياً ولولا سواد الليل لم تنظر الفجرا

قال فعند ذلك اختلى بها شداد في تلك البطاح *وراودها عن نفسها فابت وقالت حاشا مثلك ان ياخذ بالسفاح فضحك من كلامها ووضع يده بيدها على عقد النكاح ولما راهُ رفاقهُ ارادوا ان يفعلوا كفعلهِ وقد حلت في عيونهم كمثلهِ فاعطاهم الغنيمة كلها حتى رجعوا عنها

قال الراوي وكان اسم تلك الامة زبيبة وجرير اسم ولدها الكبير وشيبوب اسم اخيهِ الصغير فتركهما شداد مع امهما وهو يتفقدها في الصباح والمساء ويد القدرة تقلبها كيف ربها يشاء وما زالت على ذلك العمل حتى بان عليها الحبل وتداولت عليها الايام والشهور كما يشاء الملك الغفور فلما كانت احدي الليالي اتاها الطلق كما شا خالق الخلق فباتت تصرخ الى وقت السحر وبعد ذلك جاءت بولدٍ ذكر وهو اسود ادغم افطس المناخر واسع المحاجر مهدل الاشداق مكدر الاماق مفلفل الشعر صلب العظام كانهُ قطعة من غمام وكان اذا نظر يتطاير من احداقهِ الشرر ففرح بهِ شداد لما راهُ واوصى امهُ عليهِ وصار في اكثر الاوقات يتردد اليهِ وكانت زبيبة اذا منعتهُ من الرضاع همهم ودمدم وجذبها اليهِ كالاسد الغشمشم * ولم يزل

ينمو حتى خرج عن حد الرضاع *وانتشر ذكره بين القبيلة وشاع وسمع بهِ الذين كانوا مع شداد في السرية حين اتي با لسبية *وكانوا عشرة رجال من اشراف بني عبس الاجواد * فطمعوا في اخذ الغلام من شداد * ثم انهم اجتمعوا اليهِ واتوا ووقفوا حواليهِ * واخذ كلٌّ منهم ينحلهُ الى نفسهِ حتى هاج بينهم الخصام وكاد ان يقع بينهم ضرب الحسام *ونما الى الملك زهير ما كان من امرهم *فارسل يستحضرهم ليقف على حقيقة خبرهم *وكان عندهُ يومئذٍ ضيوف من السادات الاقران من ال عبس وعدنان * ولم يكن الا القليل حتى اقبل شداد وصحبتهُ العشرة الفرسان * فدنوا من الملك زهير وسلموا عليهِ وقبلوا الارض بين يديهِ *فسألهم عن ذلك الخصام فاخبروهُ بما في انفسهم من نحو الغلام

قال الراوي فلما سمع الملك زهير ذلك المقال تعجب من تلك الاحوال * وقال لشداد اريد ان تاتيني بهذا العبد الذي تخاصمتم عليهِ حتى انظر انا وهولاء السادة اليهِ * فمضى شداد وما غاب غير القليل حتى اتى بولد صورتهُ كانها صورة الفيل فنظر الملك زهير الى ذلك الولد واذا هو كالاسد *قال وكان ذلك الغلام لهُ من العمر اربعة اعوام فتفرس فيهِ الملك واشار بصولجانهِ فحملق بهِ عينيهِ حتى خاف ان يسطو عليهِ * فرمى لهُ الملك قطعة لحم من الطعام الذي بين يديهِ فسبقهُ كلبٌ وخطف اللحمة وهرب فلحقهُ الغلام وقد اشتد بها الغضب *فادركهُ وامسكهُ عن عرقوبهِ بيديهِ وجذبهُ اليهِ واراد ان

Digitized by Google

بخلاص اللحمة من فمهِ فتعاصى عليه *فامسكهُ بشدقيهِ فشقهُ الى نصف
لوجهِ واخذ اللحمة منهُ ووضعها في فمهِ اسرع من الطير ورجع يطلب
غيرها من عند الملك زهير فلما نظر الملك الى ذلك الفعل تعجب
وبهت كل من كان حاضراً من سادات العرب *ثم قال والله
ما هذا الفعل الا فعل عنترةٍ يذكر فينبغي ان يسمى هذا الغلام بعنتر
قال الراوي ثم ان الملك التفت الى تلك الجماعة وقال لهم
يابني عمي لا يليق ان يقع بينكم الشر والخصام * لاجل هذا الغلام
وتصيروا عاراً بين الانام* فسيروا وتحاكموا الى قاضي العرب بشار
ابن قطبة الفزاري وهو يحكم بينكم بما يلهمهُ الباري* فلما سمعوا
من الملك زهير ذلك المقال كفوا عن الخصام والجدال* وساروا الى
قاضي العرب ليفصل بينهم هذا السبب * فلما وصلوا اليهِ شرحوا
قصتهم عليهِ * فتفرس القاضي بالولد فراهُ يشبه شداد * فحكم لهُ
بهِ وقال ياقوم كفوا عن الشر والعناد * وانزعوا من بينكم الفساد
ولا ترموا بينكم الفتنة على غير طائل *فتشمت بكم العشائر والقبائل
فانقلبوا راجعين لاوطانهم طالبين وقد ارتضوا بحكمهِ المبين *
وقيل ان العشرة كانوا قد اشتركوا في وطء الأَمة *ولذلك
وقعت على الولد هذه المحاكمة* فحكم القاضي ان يكشف سترها بين
العشرة الاخصام فمن التجأَت اليهِ فهو ابو الغلام * ففعلوا كذلك
فاستترت بذيل شداد فحكم لهُ بالولد ونال ما اراد *ولما وصلوا الى
الديار والاوطان فرحت بصلحهم جميع الاهل والاخوان *هذا

وعنتر ينشو ويكبر*ويترعرع ويتجبر*حتى اشتدت اوصالهُ وحسنت احوالهُ * وكان مع صغر سنهِ شديد البطش لا يبالى بالاهوال حتى كانت تهابهُ الابطال * وكانت لا تسلم من شرهِ كل العبيد فاذا اراد امرًا وارادوا غيرهُ لا يفعل الاما يريد*واذا تجاسر عليهِ احد منهم اوقع بهِ واذاقهُ الالم الشديد*فكانت تتوارد الوشايات عليهِ الى شداد والشكايات من جورهِ الاليم الذي اوقع جميع غلمان الحى في بلاء عظيم* فلما راي شداد التظلم من عنتر من كل جانب وعلم امرهُ*خاف عليهِ منهم فاراد ان يبعدهُ عنهم ليكفيهِ شرهم ويكفيهم شرهُ*فاعطاهُ قطيعًا من الانعام وامرهُ ان يرعاها بين البراري والاكام فاخذها وابعد الى الصحاري وجعل يطارد الخيل في تلك البراري ويركب الجياد فيتعلم على ظهورها الكر ويقضي بذلك نهارهُ فى ذلك البر *وكان متعظمًا في نفسهِ لا يعد نفسهُ من العبيد والغلمان ولا تطلب نفسهُ الا ان تكون في اعلى مكان *وما زالت تتشدد قوتهُ وتتجدد همتهُ*حتى بلغ من العمر تسع سنين وكان كانهُ من الابطال المعدودين * فلما كان بعض الايام اوسع في المرعى بالغنم وتوغل بها بين الروابي والاكم * فلما حميت الشمس قصد شجرة يستظل بظلها ثم جلس واسند ظهرهُ الى جذلها*وبينما هو جالسٌ وعيناهُ تضرب الى ما حولهُ من الابل والشاء خرج عليهِ ذئبٌ من كبد الصحراء واوغل بين الغنم فشردها في البيداء*فلما راهُ قدح الشرر من عينيهِ واقتحمهُ بعصاهُ حتى اقبل عليهِ فالتفت الذئب واذ

العصا قد شجت راسهُ فانطرح يخبط بدمهِ وقد تخضب من راسهِ
الى قدمهِ فعمد عنتر اليهِ وقطع راسهُ ويديهِ ورجليهِ * وجعل يزمجر
كانهُ الاسد الضيغم ويكلم الذئب ويتبسم * ويقول ويلك يا ايها
الذئب الاغبر اما سطوت الا على غنم عنتر ثم وضع راسهُ ويديهِ ورجليهِ
في المخلاة وسار وهو يترنم بهذه الابيات

يا ايها الذئب الهجوم على الردى ... غرتك نفسك بي فبتَّ سليبا
اتريد اموالي تكون مباحةً ... ها قد تركتك بالدما مخضوبا
شردت اموالي ولم تكُ عالمًا ... اني هِزَبرٌ لا ازال مهيبا
لو كنت تعلم ما تلاقي بعدها ... مني فتصبح للحمام شروبا
لم تاتِ نحوي طامعًا في صيدةٍ ... صادتك فانقلبت عليك خطوبا
هذه فعالي فيك يا كلب الفلا ... هلاَّ شهدت وقائِعًا وحروبا

قال الراوي ثم ان عنتر اقام هناك الى المساء وطلب ابيات بني
عبس بالابل والشاء * ولما بلغ الحيَّ رمى باطراف الذيب امام امهِ
زبيبة وحدثها بما جرى لهُ مع الذيب وفتكتهِ العجيبة * فلما سمعت
منهُ ذلك الامر استهولتهُ واخذت راس الذيب الى بين ايادي
مولاها شداد وطرحتهُ واخبرتهُ ان ولدها عنتر قد قتلهُ وقرَّب اجلهُ
فلما سمع منها ذلك الامر المريب ونظر الى كبر راس ذلك
الذيب فاستعظم ذلك الامر غاية الاستعظام وراهُ من العجايب
مع صغر سن الغلام فالتفت الى امهِ زبيبة وقال لها ويلك لا تفارقي
عنتر بعد اليوم وانظري دايمًا اليهِ فاني اخاف ان يسطو بعض الوحوش

عليهِ * فلا تتخلي عنهُ في ليلٍ ولا نهار وارعي معهُ الغنم والنياق والمهار * ولكن لا توسعوا في البيداء لئلا يلتقي بكم احدٌ من الاعداء * فقالت زبيبة سمعاً وطاعه فانا لا افارقهُ ممتثلةً من هذه الساعة * ولما كان عند الصباح سرحت زبيبة واخذت معها اولادها وقد ساقوا الخيل والاغنام والنوق والجمال وطلبوا قدامها المرعى وهي خلفهم تسعى * هذا وعنتر يقصد المراعي البعيدة في الفلاه * وامهُ عن ذلك تنهاهُ * وتعلمهُ بما اوصاها مولاهُ فكان لا يسمع مقالها ولا يفعل الا ما يريد ويوسع في اقطار الصحاري وتلك البيد ويركب الخيل والمهاره * ويتعلم على ظهورها الفروسية والشطاره * وهو يسوق عليها في جنبات الاقطار * ويطعن بالقصب في اصول الاشجار * قال ولما قوي في الضرب والطعان صار يقول لاخيهِ شيبوب هات اعطني عباتك ياشاطر السودان فيخلعها ويعطيهِ اياها فيعلقها على بعض اغصان الشجر * ثم يركب وياخذ القصب ويطعن تلك العباة حتى يمزقها شذرَ مذرَ * وعند المساء يرجعون الى الحي فيصبر شيبوب الى ان يظلم الليل ويطلع نجم سهيل فيطرح عباتهُ الممزقة بين العبيد وياخذ غيرها من النسج الجديد ويغدو مع اخوبهِ قبل الصباح والعبيد نيام ولا يرجعون الا بعد انسدال الظلام وكان كل يومٍ واحدٌ من العبيد يفقد عباهُ فيتهم بها رفقاهُ * وحينئذٍ يقع بينهم الخصام ويكثر بينهم الظن والحديث * ولا يعلمون من هو ذلك السارق الخبيث وبقوا على تلك الحال من سرقة العبي

من السودان * مدةً من الزمان * حتى ضجت اهل الحلة من كثرة الفتن
التي تقع بين الرعيان * وفي بعض الايام خرج شداد يفتقد الجمال *
فلما راهُ شيبوب مقبلاً خاف ان يرى عبيهم ممزقة على تلك الحال
فركض اليهِ كانهُ رئم الغزال وقال لهُ يامولاي أَما علمت ما جرى
علينا في هذا النهار * انهُ اقبل علينا جرادٌ جرّار * فنزل
على روءُوس الجمال والفصلان حتى خفنا ان يطفى منها الابصار
فخلعنا عبينا وطرحناها على رووس الجمال * فتخرقت من انياب
الجراد كانها مرشوقة بالنبال * فقال شداد ويلك يا ابن السوداء
متى سمعت او رايت ان الجراد يفعل هكذا بالثياب * فقال نعم
يامولاي مانطقت الا بالصواب * لانهُ جراد كبيرٌ الواحدة منهُ مثل
العصفور والبعض اكبر من الزرزور وكان شداد من سدج الرجال
فانطلى عليهِ ذلك المحال * ورجع وهو خايف على الخيل والجمال
قال الاصمعي وما زال عنتر يحرض النفار ويطارد على الخيل طول
النهار حتى اشتدت اطرافهُ وعرضت اكتافهُ فصار اذا شرد البعير
منهُ يصيح عليهِ فيرجفهُ وان لحقهُ وصرخ بهِ يوقفهُ وكان عنتر
يعافر الجمال ويجبها من راسها بيديهِ ويقهرها اذا تجافت عليهِ
واشتهر بهذه القوة والشجاعة حتى هابتهُ العبيد وخاف منهُ القريب
والبعيد

قال الراوي ومما وقع من احاديث العربان انهُ كان للملك
زهير ملك بني عبس وعدنان * مائتا عبدٍ ترعى خيلهُ وموالهُ

Digitized by Google

واغنامهُ وجمالهُ وكان لكل ولد من اولاده رعاة وعبيد ترعى جمالهُ في تلك البيد * وكان اكبر اولاد الملك زهير يقال لهُ شاس وكان صاحب شجاعة وباس وتجبر وقوة ومراس * وكان هذا الولد هو وليّ العهد بعد ابيهِ ومن تجبرهُ لا يقدر احد ان يقاربهُ ولا يدانيه * وكان لشاس عبد اسمهُ داجي وكان طويل القامة عظيم الهامة حالك السواد كانهُ الظلام الساجي وكان لكثرة تجبرهِ كل من عارضهُ في امر يكون غير ناجي

قال وكان شاس يحبهُ لاجل شدتهِ وفعالهِ وحفظهِ لنوقهِ وجمالهِ وكان لهذا العبد هيبة من هيبة مولاه وكل العبيد كانت تخافهُ وتخشاه وهو قد طمع في ساير العبيد وصار يستخدم منهم القريب والبعيد ويهابهُ الضعيف والشديد * الا عنتر فانهُ كان لا يهابهُ ولا يخشاه ولا يرعى حرمتهُ ولا حرمة مولاه * قال وكان داجي يكره عنتر ويتمنى لهُ الموت الاحمر وكان لبني عبس غدير يقال لهُ ذات الاصاد وهو احسن غديرٍ في تلك البلاد . وكانت تشرب منهُ جميع بني عبس وعدنان وتسقي منهُ جميع الرعيان وكان اول من يتقدم قدام ويسقي النوق والجمال والخيل والاغنام داجي عبد الامير شاس وتسقي بعدهُ بقية الناس * ولما كان بعض الايام وقد تجمعت الصعاليك والارامل والايتام * وكلهم قد اقبلوا ليسقوا جمالهم والاغنام وقد وقفوا كلهم حول الماء وهم قيام * وعبد الامير شاس واقف يمنع الناس * وقد حمي الغدير من جميع نواحيه

حتى يورد اموالهُ واموال مواليهِ *والصعا ليك والايتام منتظرون حواليهِ * ولا احد منهم يطيق الوصول اليهِ ولا القدوم عليهِ * قال فلما غلبهم الحال لعب بقلوبهم الملال * فعند ذلك تقدمت عجوز كبيرة من عجايز بني عبس وكانت من ارباب النعم واعطافها عليها شواهد للصيانة والكرم * واقبلت على داجى وتقربت اليهِ *وقد اذلت نفسها بين يديهِ وقالت لهُ وقد رفعت راسها اليهِ ياداجى انا امراة ضعيفة كما تراني والزمان قد اباد اهلى واخواني وبقى لي هذه الغنيمات التي اعيش من درّها وما ابقى لي الزمان من يقوم بامرها فارحم ضعفى وتذللى ودعني اسقيها واعود الى منزلي واجب سوالي واسقيها لي * ثم سكتت عن الخطاب وهي تنتظر الجواب * فما كان من العبد الا انهُ لطمها فالقاها على ظهرها وهتك بين الرجال سترها وانكشفت عورتها وبان ما كتم من سوءتها فتضاحكت العبيد عليها وجعلوا ينظرون اليها * وكان عنتر من جملة من حضر لانهُ كان من بعض الرعاة في ذلك البر الاقفر فلعبت باعطافهِ النخوة العربية والحمية العبسية وزعق بالعبد زعقة الجبار وقال لهُ ويلك انهتك ستر النساء الاحرار * فلما سمع داجي من عنتر ذلك الكلام صار الضيا في عينهِ كالظلام واشتعلت في قلبهِ نيران الغضب لان هذا الكلام لا يقدر ان يقولهُ لهُ احدٌ من فرسان العرب ومن فورهِ هجم على عنتر كالاسد الغضنفر ولطمهُ لطمة عظيمة على جبينهِ لو كانت لغيرهِ لكان مات من حينهِ * فطاش عنتر من

تلك اللطمة القاسية وقال الحاضرون انها لا بد ان تكون عليه قاضية* ولما افاق ورجعت روحهُ اليهِ تقدم الى ذلك العبد وامسكهُ من احدى رجليهِ* ثم اجتذبهُ والقاهُ على الارض كالتنين وانقض عليهِ كالشاهين* ورفعهُ بيديهِ الى فوق راسهِ وضرب بهِ الارض فادخل طولهُ في العرض* فلما رأتهُ العبيد قد مات اجتمعوا على عنتر من جميع الجهات* وقالوا لهُ يا ابن الملعونة قتلت عبد الملك شاس من عاد يا عبد السوء يقدر ان يجيرك من الناس* ثم هجموا عليهِ بالعصي والحجارة فالتقاهم باعظم جسارة* ثم تناول العصا وهجم عليهم كالاسد الرئبال* ومال فيهم ذات اليمين وذات الشمال وصار يحمل عليهم ويحملون عليهِ ولا يقدرون ان يصلوا اليهِ* وعنتر يضرب فيهم بالعصا ويبل ويعمل فيهم ما لا يقدر عليهِ غيره بالحسام الصقيل* قال وكان من اولاد الملك زهير واحد اسمهُ مالك كانهُ البدر اذا طلع في الليل الحالك* وهو بارع الجمال جيد الخصال* قوي الجنان فصيح اللسان* لهُ وجه مثل الصبح وقامة اعدل من الرمح* وكان ابوه الملك زهير يحبهُ للطفهِ وحسن خلقته وكان يقدّمهُ على سائر اخوته* فاتفق انهُ خرج في ذلك اليوم لكي يصطاد وسار حتى اشرف على غدير ذات الاصاد* فسمع الصياح قد علا ورأى الغبار قد طبق الفلا* فحرك الجواد وابتدر حتى يكشف الخبر* فرأى اولئك العبيد في عدد زائد وكلهم قد احاطوا بعبد واحد* فنظر الامير مالك الى العبد وحقق النظر* واذا هو عنتر وهو

Digitized by Google

مثل الاسد الرئبال تارةً يجمعهم وتارة يفرقهم في تلك الرمال * ودمهُ يسيل من ضرب العصي والحجارة وهو مع ذلك يظهر الشجاعة والجسارة وقد رضي لنفسهِ بالهلاك والعطب ولم يطلب من قدامهم الهرب * قال فلما نظر الامير مالك الى فعالهِ قال لهُ لله درك من عبدٍ ما اطول باعك وما احسن بين هولاء العبيد قراعك ثم انهُ صاح على العبيد وفرقهم عنهُ الى اليمين والشمال * وقال لهم ويلكم يا انذال اما تخافون من العار في اجتماعكم على واحدٍ من الرجال * وهو مع ذلك اصغركم عمرًا لانهُ لم يبلغ سن الكمال ارجعوا يا اولاد اللئام الى وراكم والا اهلكت بهذا السيف اقصاكم وادناكم * ثم انهُ بعد ذلك مال الى ناحية عنتر ليكشف عن حالهِ فسمعهُ يزمجر مثل الاسد * وهو قد ارتجز وانشد

يانفسِ لا تبادري الى الهربْ   فليس ينجيكِ اذا الموت اقتربْ
ولا تخافي من موارد العطب   فالخوف ذلٌ عند سادات العرب
واصطبري حتى تفوزي بالارب   وتُنصري على عدوٍ قد طلب

قال فتعجب مالك من مقالهِ وتقدم اليهِ وسالهُ عن حالهِ * ثم ادناهُ اليهِ وسالهُ عن سبب قتالهِ * فشرح لهُ خبر العبد داجي والعجوز وقصتها وكيف دفعها بصدرها وكشف عورتها * وقال انني لما رايتهُ فعل ما فعل نهيتهُ عن ذلك فلطمني حتى كاد ان ينزل بي الاجل فرفعتهُ بيدي وضربتهُ الى الارض حتى ادخلت بعضهُ في بعض * فلما راى العبيد مني تلك الحال حملوا عليَّ وبادروني بالقتال فدافعت

عن نفسي الى ان ادركتني وبهيبتك خلصتني ولولا قدومك ايها الملك الهمام لاذاقوني البلاء الشديد والموت الزؤام فلما سمع منهُ مالك ذلك الكلام * وكشف عن صحة خبرهِ العجيبة غيرتهُ ومحاماتهُ عن اعراض الاحرار وعلم انهُ صنديد جبار * فقال لهُ سِر في ركابي وكن من عبيدي واصحابي وانا اجيرك من كل انسان ولو كان من مردة الجان ولك مني الزمام وحق البيت الحرام فتقدم عنتر قدامهُ وقد قبل في الركاب اقدامهُ سار من جملة عبيدهِ حتى قربوا من الحيّ واذا بالملك شاس قد طلع وفي يدهِ سيفٌ يلمع فوق حجرهِ اسرع من البرق اذا سطع وقد اوغر صدرهُ غضبًا على عنتر وقد اقبل ليذيقهُ الموت الاحمر * فاعترضهُ مالك وقال لهُ يا اخي مالي اراك غضبان * فقال ان عبدي داجي قد قتلهُ هذا القرنان * وانا اريد ان اقتلهُ ولو كان من دونهِ الانس والجان * فقال لهُ مالك والله يا اخي ليس لك اليهِ سبيلٌ وقد اعطيتهُ ذمامي ولست بتاركهِ ولو طار راسي قدامي * فلم يعتبر شاسٌ كلامهُ واراد ان يقتل عنتر امامهُ * فلما راى مالك من اخيهِ هذا الفعال * غضب واستلّ سيفهُ للقتال * واذا بابيهما زهير اقبل عليهما وقد اتصل بهِ خبرهما فلما راى الامر كذلك ردّ شاسًا عن اخيهِ مالك * وقال يا بنيَّ هب لي ولأخيك هذا العبد وانا اعطيك عوضهُ ما تشاء من العبيد والنقد فاستحى شاس من ابيهِ ورجع عما كان عزم عليهِ وتقدم الملك زهير وادنى عنتر اليهِ * وقال لهُ ويلك يا عنتر * لماذا قتلت

Digitized by Google

عبد ولدي شاس وانزلت بهِ العبر * فاخبرهُ عنتر بالخبر وحدثهُ بما
فعل داجي مع العجوز وكيفية امرها وكيف لطمها وفضحها بكشف
سترها * وقال لهُ ايها الملك انني لما رايت منهُ ذلك اخذتني الغيرة
على العرض فنهيتهُ عن ذلك فلطمني فرفعتهُ بيدي وضربتهُ الى
الارض * واسكنتهُ كهفاً لايخرج منهُ الى يوم العرض وها انا واقفٌ
بين يدي سيدي فليفعل بي ما يشاءُ فان عفا فمنةٌ وان اهلك فجزاء
فتبسم الملك زهير لما سمع منهُ هذا المقال * وقال وحق ذمة العرب
ما قصر هذا العبد في هذا الفعال ثم التفت الى من حولهُ من
الفرسان * وقال لهم كأني بهذا العبد من الصناديد الشجعان *
ويكون لهُ شانٌ واي شان * ثم التفت الى شداد وكان قد ركب
في جملة الفرسان خوفاً على عبدهِ من العدوان وقال لهُ يا امير
شداد هذه نخوتك قد اعطتهُ شدةً هذا الباس فوالله ان عاش وهو
على هذه الحالة ليكوننَّ احدوثةً بين الناس فخذهُ اليك فاني قد
اودعتهُ عندك واستأمنتك عليهِ حتى اطلبهُ في وقت الحاجة اليهِ *
قال ووقع لعنتر في قلب الملك زهير وولده ما لك من ذلك اليوم
محبةٌ عظيمة لما راوا منهُ من تلك الاخلاق الكريمة ثم انهم عادوا
الى الابيات واجتمعت حول عنتر النسا والبنات والجميع يسألونهُ
عن حالهِ وهو يحدثهم عن افعال العبيد وافعالهِ لان خبره قد شاع في
الحلة واتت اليهِ نساء عمومتهِ ومن الجملة بنت عمهِ مالك التي اسمها عبلة
قال الراوي وكانت عبلة احسن من القمر وهي في العمر اصغر

من عنتر وكانت تمازحهُ وتكثر معهُ الكلام لانهُ كان عبدهم وهي بزعمها تقول انهُ لها من جملة الخدام * فلما حضرت في ذلك اليوم مع جملة الناس سألتهُ عن قتلهِ لعبد الملك شاس * فقال لها ياسيدتي ما قتلتهُ الا بحسب استحقاقهِ لكثرة جورهِ وسوء اخلاقهِ * لانهُ عمد الى امرأة عربيةٍ ودفعها في صدرها فالقاها على ظهرها واضحك العبيد عليها عند انكشاف سترها * فقالت لهُ عبلة وقد تبسمت في وجههِ والله ما قصرت في فعلك واحسنت في شهامتك واننا جميعنا قد فرحنا بسلامتك * لانك اليوم عند امهاتنا مثل الولد في المحبة والكرامة وعندنا مثل الاخ لاجل ما لك عندنا من الخدامة * ثم ان النسا والبنات بعد ذلك انصرفنَ عنهُ وهنَّ متعجبات مما بان منهُ وهو في سن الاولاد ومحباتٌ لهُ ولا سيما سمية امراة مولاه شداد * وما كان في نسا بني قراد امراةٌ الا وعنتر يخدمها ويزيد في اكرامها وذلك بعدما يفرغ من خدمتهِ لزوجة مولاه شداد واحترامها * وهي سيدتهُ لانها كانت تامرهُ وتنهاهُ كما تريد * لانهُ معدودٌ عندها من الخدم والعبيد وكانت عادة العرب ان النساء يشربنَ لبن النياق في الصباح والمساء * وكان العبيد يحلبونهُ لهنَّ ويبردونهُ في هبوب الزياح ويأتون بهِ الى النسا عند المسا وعند الصباح * قال وكان عنتر يفعل ذلك بالجملة مع مولاتهِ سمية ونسا عمومتهِ وبنت عمهِ عبلة ويسقي بعدهم الفضلة لمن يريد من نسا الحلة * ولم يزل عنتر على ذلك المرام الى ان كان يومٌ من بعض الايام * فدخل عنتر الى

بيت عمهِ مالك فوجد ام عبلة تمشط لها شعرها وقد اسبلتهُ فجلل ظهرها * وهو كانه الليل اذا اغسق وجبينها من تحتهِ كانه النهار اذا اشرق فهاج في قلبهِ الغرام وانشد يقول

بيضاءُ تسحب شعرها من طولهِ · وتغيب فيهِ وهو ليلٌ اسحمُ
فكانها فيهِ نهارٌ طالعٌ · وكانهُ ليلٌ عليها مظلمُ
زادت محاسنها على من حولها · فسعى بخدمتها الجميع ويمموا
وكانها بدرٌ بدا في تمهِ · لما بدا خفيت لديهِ الانجمُ
لا تعذلوني في هواها انني · في حبها انا مغرمٌ ومتيمُ
اني ساكتم حبها في مهجتي · فلعل سعدي ياعبيلةُ يخدمُ

قال الراوي واقام عنتر بعد هذا المقال عدة ايام وليال وقد زاد بهِ البلبال * حتى كان يوم عيد من عياد العرب التي يزورون فيها البيت الحرام ويسجدون لما فيهِ من الالهة والاصنام * فذهب اكثر الرجال والسادات وبقيت النساء والبنات * واخرج الذين تخلفوا في الحي ما عندهم من الاوثان واستقبلوها بالسجود وداروا حولها يرقصون وينشدون الالحان * فلما راها عنتر بهت وتحير واطرق راسهُ وتفكر * وانشد يقول

رمت الفواد مليحةٌ عذراءُ · بسهام لحظٍ ما لهنَّ دواءُ
مرت تريد العيد بين نواهدٍ · مثل الشموس لحاظهنَّ ظباءُ
فاغتادني سقمي الذي في باطني · اخفيتهُ فاذاعهُ الاخفاءُ
خطرت فقلت قضيب بان حركت · اعطافهُ بعد الجنوب صباءُ

ودنت فقلت غزالةٌ مذعورةٌ قد راعها وسط الفلاة بلاءُ
وبدت فقلت البدر ليلة تمهِ قد قلدتهُ نجومها الجوزاءُ
بسمت فلاح ضياءُ لولوء ثغرها فيهِ لداء العاشقين شفاءُ
سجدت تعظم ربها فتمايلت لجلالها اربابنا العظماءُ
يا عبلَ مثل هواكِ او اضعافهُ عندي اذا دفع الاياس رجاءُ
ان كان يسعدني الزمان وان ابي فلهمتي في صرفهِ ادواءُ

قال فلما سمعت عبلة من عنتر وصف جمالها وهي بين اترابها صارت تشاغلهنَّ وتقبل عليهِ بلحظها وخطابها * هذا وعنتر باهت ومما جري عليهِ صوتهُ خافت. وما انقضت ايام العيد حتى دار بهِ العشق والهيام * وصارت نفسهُ تحدّثهُ بامورٍ كثيرة مما وقع عندهُ من الغرام * فلما كان اليوم الثاني اتى باللبن وهو مشغول الفواد فسقي عبلة قبل سمية زوجة ابيه شداد لان الانسان لا ينقل القدمين الا الى من يميل لهُ القلب والعين فاغتاظت سمية من سوء ادبهِ وتعديهِ * ونوت انها تشكوهُ الى ابيهِ

قال الراوي هذا وقد دام عنتر على تلك الحال * وزاد بهِ العشق والبلبال وجرت لهُ العادة ان يسقي اللبن اولاً لعبلة ويسقي سمية الفضلة * قال فلما كان بعد ذلك بايام اتى الى ابيهِ شداد عبدٌ يقال لهُ ضاجر وكان من عبيد الربيع ابن زياد * وقال لهُ يا مولاي ان عبدك عنتر * كل يوم يخاطر باموالك و يوسع بها في [illegible] وهو بين ذلك يتقلب على ظهور الخيل ويسوقها في [illegible]

بالقصب الفارسي ويشغلها عن المرعى والماء طول النهار * وهو ينتقل من حصان الى حصان * وقد اذاب لحومها بالجريان * وانا نهيتهُ عن ذلك فشتمني ولو انني الححت عليهِ لكان قتلني * فلما سمع شداد من العبد ذلك المقال صعب عليهِ وقال للعبد والله لقد صدقت لانني من يوم سلمتهُ الخيل يرعاها ما اكتسبت شحماً ولا رايت عليها لحماً وهذا دليل على انهُ يركبها ويضرب بها في الارض ويطير عنها لحومها بشدة الركض * فلما سمعت سمية ذلك الخبر وجدت سبيلاً الى عذاب عنتر ونكلت بما في قلبها من الغضب لما فعل معها من سوء الادب * فلما سمع بذلك شداد نما غيظهُ على عنتر وزاد وصبر عليهِ حتى اتى من المرعى فقبضهُ وشدهُ شداً وثيقاً وضربهُ حتى مزق جلدهُ تمزيقاً * هذا وامهُ زبيبة واقفة تراهُ * وهي لا تجاسران تكلم مولاهُ * ثم انها خرجت من الخبا وسألت بعد الأموات وهي من الجواري المقيمة للخدمة في الابيات فاخبرتها بشكوى العبد ضاجر عليهِ وما القى من الفتن وشكوى سمية لمولاهُ انهُ يسقي عبلة قبلها اللبن * فلما سمعت زبيبة ذلك المقال * قعدت وصبرت على تلك الحال وبانت حتى اصبح الصباح واضا بنوره ولاح * فعند ذلك دخلت الى ولدها عنتر بجميع ذلك الخبر وقالت لهُ ان ضاجر عبد الربيع ابن زياد هو الذي شكاك الى مولاك شداد وكذلك سمية تكلمت فيك انك سقيتها اللبن بعد عبلة * وابقيت لها الفضلة * فلا ترجع ياولدي من اليوم تخالفها فيما تريد والزم معها

Digitized by Google

سنة الموالي والعبيد ولا بقيت تمد عينيك الى مولاتك عبلة فيكون سبب هلاكك بالجملة * فلما سمع عنتر ذلك الكلام * عمل معهُ الغيظ فتمطى في كتافهِ فقطعهُ ووثب قايماً على الاقدام وانشا يقول

البوم قتلة ضاجرٍ   عبد الربيع الفاجرِ
فيبيت ملقىً في الفلا   رزقًا لوحشٍ كاسرِ
وتقرّ عيني بعدهُ   ويطيب مني خاطري
ان لم اكن في قتلهِ   في الحرب اول صادرِ
لا سرَّ قلبي ساعةً   وجفا المنام نواظري

قال وانطلق عنتر سايرًا في الفلاه وهو يدور على العبد بين الرعاة حتى التقاه * فقال لهُ ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا سعيت بي الى مولاي حتى ضربني واهانني وعذبني ثم تقدم اليهِ وقبض عليهِ وشالهُ من حقويهِ حتى بان بياض ابطيهِ وضرب بهِ الارض فادخل طولهُ في العرض وقال لهُ والله ياعبد السوان عدت من اليوم تشكوني الى مولاي ضربتك اخت هذه الضربة وجعلت مسكنك التربة * وكان عنتر يحسب انهُ باقٍ في الحياة فوجدهُ قد ادركتهُ الوفاة فتركهُ وجدّ في السير قاصدا بيت الامير مالك ابن زهير * واستاذن في الدخول عليهِ فاذن لهُ فدخل والشرار يطير من عينيهِ واخبرهُ بما جرى لهُ على التمام فنهض الامير مالك على الاقدام وترك عنتر عندهُ في الخيام وسار قاصدًا ابيات الربيع ابن زياد حتى وصل الى المضارب وسأل عنهُ فقيل لهُ انهُ غايب وانهُ

Digitized by Google

عند ابيهِ الملك زهير وكان ذلك لعنتر من جملة السعادة واسباب
الخير ثم انهُ سار الى بيت ابيهِ ودخل عليهِ فراى عندهُ وليمة عظيمة
لها قدرٌ وقيمة وعندهُ جميع الامراء فقاموا لهُ تعظيما لشانهِ واما
هو فبقي واقفا في مكانهِ فقال لهُ الربيع اجلس يا مالك بين بني
اعمامك فان الناس كلهم قايمون لقيامك * فقال مالك اتحبُّ ياعم
ان اجلس ويطيب مني الخاطر * فقال الربيع اي وحيوة كل من
في هذا المكان حاضر * فقال مالك لا اجلس حتى تهبني عبدك
ضاجر * فقال الربيع ما الذي رغبك فيهِ من دون العبيد فقال
لانهُ عبد نجيب مبادر الى كل ما مولاهُ يريد * فقال الربيع وهبتك
اياهُ وان شئت وهبتك عشرة عبيد سواه * فقال لهُ مالك اشهد
عليك هولاء السادات لاجل التاكيد والاثبات * فقال الربيع نعم
وأشهد رافع السموات * فقال لهُ مالك يا ابن العم قد قتلهُ عنتر
واستجار بي واعطيتهُ ذمامي واماني فاعرف انت قدري وشاني فلما
سمع الربيع كلام مالك ندم على ما بدا منهُ ووقعت بغضة عنتر
من ذلك اليوم في قلبهِ لاجل ذلك واما الملك زهير فانهُ التفت
الى ولدهِ مالك وقال لهُ ما الذي اجسر هذا العبد ولد الزنا على قتل
عبيدنا واراه في هذا العام لا يدع عبدا لنا يلوح بين الخيام فاخبره مالك
ان العبد سعى بهِ الى مولاه حتى ضربهُ وادماه فقتلهُ لاجل هذا السبب
وسقاه كاس الهلاك والعطب * قال فضحك الملك زهير من فعل عنتر
بن شداد وطيب خاطر الربيع ابن زياد ووهبهُ عبدين من عبيده

الجياد وازال ما كان في قلبهُ من الاحقاد ولما سمعت عبيد بني عبس بذلك خافوا منهُ وصار المكان الذي يرعى فيهِ لا ياتيهِ احدٌ من العبيد والرعيان ولا يقرب اليهِ ولا يدانيهِ * وكان اذا اتى عنتر الى ركايا الماء حتى يسقي خيلهُ وجمالهُ لا يتقدم اليهِ احدٌ من العبيد حتى يكتفي من الماء ويذهب الى مكانٍ بعيد وبعد ذلك يتقدمون لما في قلوبهم من الخوف الشديد * واما عنتر فان مالك عاد اليهِ واخبرهِ بما جرى وتدبر * فلما سمع كلامهُ طابت نفسهُ ووثب قايما على اقدامهِ وقبل يديهِ وقال يمدحهُ ويثني عليهِ

يا من بجانبهِ المنيع تعلقت   دون البرية كلها امالي
قد طال تثقيلي عليك لحاجتي   وعلى الكرام تحمل الاثقالِ
اوليتني نصرًا وكنت ذخيرتي   ووقيتني من مهلكٍ ووبالِ
فلأشكرنك طول عمري دايما   حتى تعفر في الثرى اوصالي

قال فسرَّ بهِ مالك لما سمع منهُ ذلك * واما شداد فانهُ لما سمع ذلك نما غيظهُ وزاد وشكا حالهُ الى اخويهِ مالك وزخمة الجواد وقال لهما والله يا اخويَّ لقد ضاقت بي الحيل وحرت في امر هذا العبد السوء لانني ما ادري كيف العمل واخاف ان يطمع في بعض الاوقات ويقتل من لهُ قدر ونسب من السادات ويلقي الفتنة في الاحياء ونطالب نحن بالدماء من اجل هذا العبد ابن السوداء * فقال زخمة الجواد والله يا شداد انك نظرت موضع النظر وان لم نهلك هذا العبد القانا في غاية الخطر لانهُ

ماردٌ شيطان قوي الجنان فصيح اللسان ولو انهُ عاقل لما كان لهُ مماثل وما في الامر الا ان نقتلهُ في بعض الاماكن حتى يصير قلبنا من جهتهِ آمن ونخفى امرهُ ونعود وقد بلغنا المقصود ولا يطلع احد على هذا الحال وتبلغ انت الامال فاستصوب شداد رايهُ وعزم عليهِ وانقلب وهو من غيظهِ لايدرى ما بين يديهِ ولما كان عند الصباح انفذ مالك ابن زهير الى شداد يسألهُ عن عنتر فقبل فيهِ السوال وتركهُ على ما كان عليهِ من رعي الجمال الى ان مضت مدةٌ من الايام فطلب من اخوتهِ ما دار بينهم من الكلام فركبوا معهُ وساروا خلف عنتر طالبين قتلهُ واخفاء الاثر قال وكان عنتر في ذلك اليوم قد ساق الاموال عند الصباح وطلب البر والبطاح واوسع في البر بالجمال والخيل والاموال وكان قصدهُ بالبعد عن الديار ان يخلو بنفسهِ ويلتذ بذكر عبلة وينشد فيها الاشعار فسار حتى غابت عنهُ المضارب وتذكر ما جرى عليهِ من المصايب ففاض دمعهُ على خديهِ فيض القطر الساكب وكان قد رأى عبلة تلك الليلة في المنام وهي تقبلهُ من فوق اللثام فاهتز لذلك طرباً وهام وانشد يقول

اتاني طيف عبلة في المنامِ وقبلني ثلاثاً في اللثامِ
وودَّعني فاودعني لهيباً استرهُ ويشعل في عظامي
ولولا انني اخلو بنفسي واطفي بالدموع جوى غرامي
لمتُ اسىً ولم اشكو لاني اغار عليكِ يابدر التمامِ

Digitized by Google

أيابنة مالكٍ كيف التسلي — وبدءُ هواكِ من عهد الفطامِ
وكيف اروم منكِ القرب يوما — وحول خباكِ اساد الاجامِ
وحق هواكِ لا داويت قلبي — بغير الصبر يابنت الكرام
الى ان ارتقى درج المعالي — بطعن الرمح او ضرب الحسام
نسيم الريح ان ادلجت يومًا — قبيل الصبح بلغها سلامي
وخبرها شديد الشوق مني — اليها في الصباح وفى الظلام
وصف حالي وما القاهُ منها — فجسمي ذاب من الم السقام
احامي عن عبيلة طول دهري — فهل بهواكِ لي رعيُ الذمام
وابذل مهجتي فى كل صعب — اذا ما النقع خيمّ بالقتام
فاما ان اشال على العوالي — واما ان اعدّ من الكرام
وتخشاني الملوك وتتقيني — وتحذر في لظى الهيجا مقامي
سانهب منهم الارواح نهبا — بسيفٍ باترٍ عضبٍ حسام
انا العبد الذي خبرتِ عنهُ — رعيت جمال قومي من فطامي
اروح من الصباح الى مغيبٍ — وارقد بين اطناب الخيام
اذل لعبلة من فرط وجدي — واجعلها من الدنيا اهتمامي
وامتثل الاوامر من ابيها — وقد قاد الهوى مني زمامي
رضيت بحبكم طوعا وكرها — فجودوا قبل ان القى حمامي
اذا ضيعتموني ما استفدتم — وذكري شاع ما بين الانام
فان عابوا سوادي عند ذكري — وجاروا من عنادٍ في ملامي
فلي قلبٌ اشد من الرواسي — ولوني مثل لون المسك نامِ

Digitized by Google

وما اسمو بلون الجلد يومًا   ولكن بالشجاعة والكلام
وفخري ضرب اعناق الاعادي   وشق الجيش في وقت الزحام
رضعت هواك مع لبني صغيرًا   ويوم منيتي انوي فطامي
اجمل انني اشقى وابلى   واضني في هواك بلا محام
ومن عجبي اصيد الاسد قهرًا   وافترس الشبولة في الاجام
وتقنصني ظبي السعدي وتسطو   عليَّ مهى الشربة بالسهام

قال الراوي ثم سار حتى وصل الى الوادي وسرح الجمل في المرعى ودبت هناك الابل تسعى وكان ذلك الوادي كثير العشب وما في العبيد من يجسر ان يرعى فيهِ ولا يقربهُ ولا يدانيهِ وقد صار العشب هناك مثل قامة الرجل طولاً في عرض وقد تراكم حتى وقع بعضهُ على بعض وكان عنتر يطلبهُ لاجل ذلك * ويقول لعلي اقع فيهِ على اسد اقتلهُ وافتخر بهِ على كل مملوك وما لك * فلما وصل اليهِ وسرح الاموال بين يديهِ قعد هو على بعض التلال وصار ينظر الى اليمين والشمال واذا باسد من بطن الوادي قد ظهر وهو يمشي ويتبختر وهو افطس المنخر يطير من عينيهِ الشرر ويقلب الوادي اذا زأر وهمر * وكان لصوتهِ هدير مثل رحى في بير وله انساب واظافر احد من الخناجر ومخالب امضى من القواضب يسمع الرعد اذا زمجر ويلمع البرق من عينيهِ اذا نظر قال ولما ظهر وشمت الخيل رايحتهُ شردت وتفرقت عنهُ الابل وتبددت * ونظر عنتر الى ذلك فنزل الى الوادي ينظر ما الخبر والسيف في يدهِ مشهر * واذا

بالاسد باسط يديه وهو يلعب بذنبهِ ويضرب بهِ جنبيه والشرار يطير من عينيه * فعندها زعق بهِ عنتر زعقة عظيمة كأنها الرعد القاصف او الريح العاصف * وقال لهُ مرحباً بك يا ابا الاشبال وصاحب الاهوال * واهلاً بكلب الفلا الذي يفتخر بشدة باسهِ وقوة مراسهِ * لا شكَّ انك ملك السباع واميرهم المطاع * فعد يا ابا الحارث بالخيبة ولا تظهر على نفسك الهيبة * فما انا كمن لاقيت من الرجال انا مهلك الابطال وميتم الاشبال * ويلك يا ابخر الفم ويا من قوتهُ الدم * تخوفني بزمجرتك وترعبني بدمدمتك * فانا لا ارضى اقاتلك بحسام ولا بسنان * ولا بدَّ ما اسقيك بيدي كاس الحمام ثم انشد يقول

انا الاسد الموصوف والبطل الذي تخاف الورى من شدتي وطعاني
اكرُّ واحمي مال شداد والدي وارغم اعدائي بحد يماني
وترهبني اسد الفلا وليوثها وما احدٌ الا يخاف مكاني
اذا اهتز كفي السيف في حومة الوغى قهرت بهِ في الحرب كل مدان
وها انني القاك في ساحة الفضا واسقيك كاساً من صروف زمان
ولست اخاف الموت ان جدَّ جدُّهُ وافهم ما القى بكل لسان
وها انا ارمي السيف ويحك من يدي وارديك يا كلب الفلا بسناني

قال وفي تلك الساعة اشرف عليهِ ابوه شداد واخواهُ مالك وزخمة الجواد * ولما اشرفوا على الوادي نظروهُ وهو يخاطب الاسد وقد انشد من الشعر ما انشد * اختفوا قريباً منه في ذلك المكان

حتى ينظروا ما يجري بينهما وماذا يفعلان * ثم ان عنتر هجم على الاسد
ووقع عليهِ وقوع البردِ ونخ مثل التعبان وازبد * ووثب اليهِ حتى
ادركهُ وقبض على شدقيه وبرم عنقهُ الى كتفيه * وصاح بهِ صوتاً
ازعج الوادي من جانبيه * فالقى الاسد كانهُ الجذع الممدّد * وذبحهُ
في الحال واجرى دماهُ على الرمال واخرج الزناد وقدح النار واضرمها
في الحطب والعفار وسلخهُ ووضعهُ عليها ولم يزل يقلبهُ وقد ارتفع
منهُ القتار * حتى نضج واستوى بهبوب الهوا * فعزل راسهُ الى ناحية
عنهُ ووضع بدنهُ بين يديه و برك على ركبتيه * واكل جميع لحمهِ ولم
يترك سوى عظمهِ * ثم تقدم الى عين ماء بالقرب من الوادي فشرب
منها حتى روى الاوام واتى الى شجرة ظليلة وترك راس الاسد لهُ
وسادة ونام * وهم ينظرون اليهِ شاخصين ومن افعالهِ متعجبين * وقد
عاينوا جميع ما فعل ومامنهم الا من خاف واندهل * فقال زخمة الجواد
يا أخوَيّ الحمد لله الذي ما راتنا هذا العبد الجسور لان الذي كنا نخاف
منهُ على الخيل والجمال قتلهُ وشواهُ واكلهُ كما ياكل العصفور وحق
ذمة العرب الكرام لا يتقدم اليهِ احد الا يقتلهُ ويشويهُ وياكلهُ مثل ما
اكل الاسد * والراى عندي اننا نعود ونترك هيبتنا عليهِ دايمة وكلمتنا
مسموعة قائمه * وما فينا من يقدر لهُ على مضرّة الا واهلكهُ بفرد
كرّة * فقال ما لك يا اخويّ الصواب انكم ترجعون وتحفظون ناموسكم
وهيبتكم ولا تخرقون معهُ حرمتكم * فانهُ ان راى منكم عين الغدر
لا يسلم نفسهُ اليكم وترون منهُ الاهوال * وبعد هذا لا يعود يطيعكم

بل يعصيكم وتخرقون حرمتكم بايديكم * قال فعندها عاد شداد واخوه مالك وزخمة الجواد * وما فيهم الا من تحير من تلك النوبة الجسيمة وقد وقعت في قلوبهم هيبة عظيمة * ولما كان المساء رجع عنتر بالخيل والاموال فلما راه ابوه شداد تبسم في وجهه واكرمه عند الاستقبال * واجلسه معه على الطعام فاكل عنتر والعبيد كلها قيام * وبينما هم على ذلك دخل رسول الملك زهير على شداد وقال له يا امير تأهب للمسير مع الملك انت واخوتك في بني قراد * لانه عند الصباح قد عول على الرحيل والغزو على اعدايه بني تميم ليمحو اثارهم ويخرب ديارهم ويعجل دمارهم * قال فلما سمع شداد ذلك الخطاب اجاب بالسمع والطاعة وانفذ اعلم اخوته في الوقت والساعة ومن يلوذ به من العشيرة من ارباب الشجاعة * وقال لعنتر غدا تسير فرسان الحي وتبقى البيوت خالية فاوصيك بالابيات والنسوان واذا خرجت فلا عدت تبعد مع الرعيان * فقال عنتر يامولاي ان فتد مما تسلمني عقال اتركني باقي عمري عندك في الاعتقال * فشكره شداد على هذا المقال ووعده انه متى عاد من سفرته يعطيه فرسا يركبها وعدة للحرب والقتال * قال ولما اصبح الصباح رحلت الابطال * كانها قطع الجبال وفي اوايلهم الملك زهير كالاسد الرئبال وهو مدل بماله وشجاعته غاية الادلال * ولما خلا الحي من الشجعان وتخلف فيه البنات والنسوان والعبيد والغلمان صنعت سمية وليمة حسنة على غدير ذات الاصاد وذبحت لهم الاغنام

Digitized by Google

وروجت لهم الطعام وروقت المدام * وحملت الاماء والعبيد الجفان
وكان عنتر في جملة الغلمان وهو بذلك فرحان لان عبلة كانت
من جملة النسوان * وقد خرجت مثل الغزال العطشان وعليها
القلائد والثياب المختلفة الالوان * وكان ذلك الزمان زمان الربيع
والارض منقوشة بالوان زهرها البديع * وقد تحلت لعشاقها في حال
اشراقها وساحت غدرانها وفاح خزامها وتبيترانها * وسوسنها
واقحوانها فتحت الارض شقايق نعمانها وافتخرت الروابي بحسن
الوانها وتجاوبت الاطيار في اعالي الاشجار بطيب الحانها * قال
واخذت النسا في اللهو والطرب وطرحت عنها الوقار والادب *
ورقصت البنات الابكار وثنت الجوار ودبت فيها كوس العقار
وتناثرت الورود على الخدود وظهر السرور من العدم الى الوجود
ورقصت عبلة مع اترابها فافتتن عنتر بميل اعطافها واستطار فواده
باهتزاز اردافها * فلمع البرق من بين ثناياها وامتزجت اقداح خمرها
بشهد لماها * فزاد بعنتر الخبال وغرق في بحر البلبال وهم ان
يهتك ستر العشق في الحال * واذا بغبار قد طلع الى العنان
وبان من تحته اكثر من مائة عنان * وعليها فرسان تحاكي
العقبان * بالدروع الداودية والرماح السمهرية والخيل
العربية والصوارم المشرفية * وهم ينادون يا لقحطان وقد اما لوا
روس الخيل نحو النسوان ودارت تصاريف الزمان * فبدلت
الافراح بالاتراح وعلا من النسوان الصياح ورمين من ايديهن

الاقداح * وفي دون ساعة اخذوا النسوان سبايا واردفوهنّ على الخيل وحل بهنّ الذل والويل * ونظر عنتر الى عبلة وقد اخذها فارسٌ جبار ودموعها مثل الامطار وخدودها بدلت بعد الحمرة بالاصفرار * وكسي وجهها بعد الجلنار بلون البهار * فاسودت في عين عنتر الاقطار واظلم عليهِ النهار وما كان معهُ سلاح يقاتل بهِ فاندهش وحار واخذهُ الانبهار * ومن عظم ما جرى عليه عدا على قدميه * فلحق الذي اخذ عبلة وهو في اخر الفرسان وقد انقطع عن اصحابهِ بني قحطان * لان عبلة عاقتهُ ساعةً فعاقتهُ عن اتباع رفقاه فما احس الا وعنتر قد فاجاه * ووثب اليهِ وثبة النمر الحردان وقبض على اذيالهِ وجذبهُ جذبة الاسد الغضبان * فالقاهُ على ام راسهِ ودق راسهُ بحجر فقتلهُ والحقهُ بمن عبر * واخذ سلاحهُ وجوادهُ وترك عبلة في ذلك المكان وقد تبدل خوفها بالامان * ولحق الخيل ونزل عليها نزول السيل ورماها بالحرب والويل * ونادى يا اوغاد غير امجاد خلوا عن السبايا والاولاد * واتركوا البنات والنسوان وعودوا الى بني قحطان بالحرمان * والا وحق من رفع الزرقاء وبسط الغبراء جعلتكم روساً بلا ابدان وجعلت لحومكم طعاماً للغربان * ثم طعن في المتاخرين واقتحم المتقدمين الى ان خلص بقية النسوان وعلمت بهِ بقية بني قحطان فعادت اليهِ الفرسان وكانوا خمسين فارساً مثل العقبان * ونظروا اليهِ وهو يركض في اثارهم وينشد ويقول

انا في الحرب العوانِ   غيرُ مجهولِ المكانِ

اينما نادى المنادى في دجى النقع يرانى
خاتق الرمح لكفي والحسام الهندواني
ومعي في المهد كانا فوق صدري يؤنساني
وهما عندي قديما وبلي الشاهدان
انني اطعن خصمي وهو يقظان الجنان
يستقي كاس المنايا وهي تجري من بناني
واذا ما الارض صارت وردة مثل الدهان
ورايت الدم يجري لونه احمر قان
ورايت الخيل تهوي في الفلا والموت دان
عاللاني عاللاني انما الدنيا لماني
واسقياني انما اللذة في ما تسقياني
عتقت حتى ظننا انها قبل الزمان
واتت تسعي الينا في قباء ارجواني
اسمعاني نغمة الاسياف حتى تطرباني
اطرب الاصوات عندي طيب صوت الهندواني
وصليل الرمح في يوم طعان او رهان
وانز الناس عندي ومرادي من زماني
ان اري عبلة ملكي في سرور وامان

قال الراوي ثم استقبل عنتر تلك الغابرة والفرسان المتبادرة
بقلب اصلب من الحجر وطعن يسبق لمح البصر فنثر الفرسان

الصناديد وبددها على ذلك الصعيد * وسطا عليهم سطوة شيطان مريد وما زال ينثر الفرسان ويبدد الاقران * ويجول فيهم عن اليمين والشمال * وينثرهم على الرمال وهو مثل الاسد الرئبال حتى التقى بمقدم القوم وحاربهُ وسد عليهِ مذاهبهُ وطعنهُ في جنبه اقلبه * وحمل على بقية اصحابهِ فتركهم على الصعيد كانهم من الجلاميد فوقع في قلبهم الخوف والوجل وحل بهم الويل ودنا منهم الاجل * وقال بعضهم لبعض ويلكم اذا كان هذا جرى علينا من عبد لا قدر لهُ ولا مقام وقد فعل بالمقدم علينا هذه الافعال العظام وهو الذي تقدم بنا على هذه الاحوال فكيف اذا تلاحقت بهِ السادات والابطال يا ويلكم اغدوا من هذه الديار والا ما يسلم منكم ديّار * فعندها عادوا على الاعقاب وانقلبوا اشر الانقلاب * فجمع عنتر اسلاب القتلى وعاد وهو قد صان الحريم وفعل فعل الرجل الكريم وانقلب لهُ قلب سمية من البغضة والعناد الى المحبة والوداد وصار في قلبها احلى من الرقاد على اجفان الساهر الدايم السهاد وعاد الجميع الى الاحبا وحلفت سمية امراة شداد ساير النسا والعبيد والاماء ان لا يظهروا هذا الحديث خوفاً من رجالهنَّ ان يقولوا لهنَّ لماذا خرجتنَّ الى الصحراء وكتم عنتر ما جرى حتى كانهُ ما سمع ولا درى قال وبعد ثلاثة ايام قدم الملك زهير من غزوة بني تميم ومعهُ مالٌ عظيم وقدمت ابطالهُ معهُ سالمين ورجالهُ غانمين وفرح المقيمون بالقادمين * ولما كان

الصباح ركب شداد الى الصحرا ينتقد اموالهُ ونوقهُ وجمالهُ فراى
بين خيلهِ خيلاً لا يعرفها وابصر عنترًا راكبًا على حجرة دهماء يعجز
عن وصفها من يصفها * فقال شداد لعنتر ويلك لمن هذه الخيول
السوابق ومن اين لك هذه الحجرة التي هي كالظلام الغاسق قال
وكانت هذه الحجرة التي تحت عنتر هي حجرة مقدم بني قحطان الذي
قتلهُ يوم وليمة النسوان وباقي الخيل من اصحابهِ الشجعان
واما الاسلاب فكان عنتر قد تركها في بيت امهِ زبيبة واوصى
اخوته ان يحفظوها من كل ريبة ولما سالهُ ابوهُ عن الخيل وعن
حجرته التي كانها الليل * قال والله يا مولاي عبرت عليَّ وانا في
المرعى خيلٌ سايرة من ارض اليمن ومعها جمال ونياق قد ملأَت
الافاق ولا تكاد من كثرتها تنساق وكانوا خايفين من التبع *
فسا قوا ما انساق من خيلهم وانقطع منها ما انقطع * فسرت على
اثارهم وتخطفت هذه الخويلات بعد ادبارهم * فقال لهُ شداد
كذبت يا ولد الزنا وتربية الخنا ما هذه الخيول مما تنقطع عن
اصحابها او تعجز تحت ركابها وما تخلو بنفسك الا وكل من عبر عليك
قتلتهُ وضممت اسلابهُ اليك وما تبالي ان كان من اعدائنا او من بني
عمنا وحلفائنا ولا تزال على هذه الافعال الشداد حتي ترمي في ارضنا
الشر والفساد ولاجل ذلك قبض عليهِ وشده بالحبال * وقال
لهُ اقعد ههنا على هذه الحال * فما نريد ان ترعى لنا الخيل ولا
الجمال واخذ السوط وضربهُ حتى راى دمهُ سال * وقال لهُ والله

لا يكون منك خيرٌ يا نذل العرب ولا بد ان تكون لخرابنا اعظم سبب
فلما نظرت سمية ما تم لعنتر فاض دمعها وتحدر وامسكت السوط
بيدها فدفعها شداد في صدرها واراد ان يضربها فالتت نفسها
على عنتر فجذبها فوقع الردا عن راسها وبقيت مكشوفة الراس
منزعجة الحواس * وقالت والله ما امكنك من ضربه حتى تضربني
قبلهُ وتصرعني في هذه الساعة مثلهُ * فرمى السوط من يدهِ * وقال
لها ويلكِ يا سمية تهتكين نفسكِ لاجل هذا العبد ولا تدعيني اصل
اليهِ وبالامس كنتِ انتِ تحرضيني عليهِ فما الذي اوجب هذه
المحبة والوداد بعد تلك البغضة والعناد فتجاسرت سمية من هذا المقال
وانشدت تقول في الحال

حاشا لربة بيتٍ منك صالحةٍ كفت يديك فعادت منك بالخجلِ
تنزَّه العبد عن امرٍ عنيت بهِ حاشا لعنتر من شينٍ ومن زللِ
هذا الشجاع الذي عاينت مشهدهُ يوم النزال كمثل الضيغم البطلِ
لولاه ما كان في الاحياء من رجلٍ يخلص المال من اعداك بالنبلِ
لما اتتنا خيول القوم ثايرةً من ال قحطان مثل العارض الهطلِ
اجارنا وحمانا من بعد ما ملكت منا البنات ونجانا من الوجلِ
فهو ليثٌ في عزيمتهِ يحمي الحريم ولا يخشى من الاجلِ
ليث الحروب ونار الحرب موقدةٌ يلقى الرجال بقلبٍ قدّ من جبلِ
هذا الهزبرُ الذي عاينت مشهدهُ عند اختلاف القنا والطعن بالاسلِ
لولاهُ كانت يد الاعداء مالكةً رقابنا وتشتتنا من الحللِ

قال الراوي ثم قالت لشداد اطلقهُ واجلس حتى احدثك بقصتهِ وما هو الذي اوقع من قلبي ما رايت من محبتهِ ثم اخبرتهُ بدعوة النسوان وكيف اغار عليهم بنو قحطان وكيف اباد عنتر الابطال والشجعان * وفرق الفرسان وقتل مقدمهم في مازق الطعان ولقي وحدهُ سبعين فارسًا وابلاهم بالذل والهوان وخلص البنات والصبيان * ثم انشدت تقول

شدَّاد لو ترني والوجه مكشوفُ وثقل ردفي وراء القوم مردوفُ
وعبلةٌ اردفوها من ورا بطلٍ ودمعها سايلٌ في الخد مذروفُ
نساءُ عبسٍ حيارى لا سبيل لها قناعهن عن الوجنات مكشوفُ
حتى العبيد الاولي من حولهم هربوا وكل عبدٍ تولى وهو ماهوفُ
فخاضها عنترٌ والشوس ثائرةٌ وافقها بغبار الحرب ملفوفُ
وصاننا وحمانا بعد غربتنا مع الرجال وعرض الكل مقذوفُ

قال فلما سمع شداد كلامها * وفهم شعرها ونظامها تعجب من تلك الاعمال واطربهُ ذلك المقال وقال والله ان كان هذا الحديث من العجب العجب وانقياده معي للكتاف اعجب واغرب هذا وعنتر بنفسهِ مشغول وقد استحسن من سمية ما تقول * وما كان لها عندهُ احسن من مدحها له في ذلك الكلام بانهُ معدودٌ من الابطال الكرام فعند ذلك انشد يقول

امن سمية دمع العين تحدرُ ام من لهيب جوًى في القلب مستعرُ
قامت تظللني والسوط ياخذني والدمع من جفنها الفتان منهمرُ

كانها عند ما ارخت ذوائبها ... بدرٌ بدا وظلام الليل معتكرُ
المال ما لكمُ والعبدُ عبدكمُ ... والروح نفديكمُ والسمع والبصرُ
سيعلمون اذا خيل العدا طلعت ... عبسَ الوجوه عليها النقع معتكرُ
الاّ اكفكفها والطعن مختلفٌ ... فلا تثبت ولا ارواني المطرُ
سمر الذوابل عندي ترتوي بدمٍ ... وعند غيري تحاكي طعنها الابرُ
والسيف في راحتي تدمي مضاربهُ ... وسيفُ غيريَ ما في ضربهِ اثرُ
والناس صنفان هذا قلبهُ خزفٌ ... عند اللقاء وهذا قلبهُ حجرُ

قال فلما فرغ عنتر من مقالهِ قام اليهِ ابوه شداد وخلهُ من عقالهِ وقد عجب من فعالهِ وعظم اهوالهِ وعلم ان هذا الكلام ما يخرج الا من صدر فارس همام * وبطل ضرغام واسد هجام فخلع عليهِ واعتذر اليهِ فبينما هو معهُ في تلك الكرامة دخل عبد من عبيد الملك زهير يدعوهُ الى وليمة العودة والسلامة * فاخذ عنترًا معهُ ومضى فوجد الاحياء منقلبة بالمزاهر ونحر النحاير وقد اجتمع هنالك سادات بني عبس وفرسانها وابطالها وشجعانها فجلس شداد بين اولئك الصناديد وبقي عنتر في الخدمة مع جملة العبيد ودارت اقداح الراح وامتلأت الارض بالافراح وعملت في الروٴوس العقار واخذوا في مناشدة الاشعار وذكر الوقايع والاخبار وسمع شداد كل ذكرٍ وخبرٍ فما سمع احسن مما جرى لعنتر وحدث الملك زهير بما فعل من العبر وما نظم وما نثر وسمع الحديث كل من حضر فطربوا من فصاحتهِ وعجبوا من شجاعتهِ * وقال الملك زهير احضروهُ الينا فوالله

Digitized by Google

من يوم قتاله لعبدنا داجي علمت انهُ ملجا لنا ولكل راجي ومن كان هذا الفعل فعلهُ يجب ان نرفع محلهُ ثم نادى بهِ فتقدم وقبل الارض وسلم فناولهُ الملك زهير القدح وقد غلب عليهِ السرور والفرح ولما شرب عنتر استنشدهُ الملك زهير الابيات التي رواها عنهُ شداد فانشدها احسن انشاد وصار الملك زهير يشرب ويستعيدهِ بالكاس ويستنشدهُ الابيات وهو يرددها عليهِ باطيب الانفاس * فقال لهُ صديقهُ مالك بن زهير يا عنتر قد اشتهيت ان تنشدنا شيئًا من شعارك الجداد كما انشدت اباك شداد حتى يزيد فرحي بك وطربي ويزداد سروري وسرور ابي فقال سمعاً وطاعة وانشد من تلك الساعة

العز في صهوات الخيل معقودُ والنصر في السيف يوم الروع موجودُ
ما ثار نقع عجاج يوم معركة الا اعانتني السمر الاماليدُ
كم قسطل خضتهُ لم اخش غائلةً ومن فعالي تخشى البيض والسود
هناك اقتحم الحرب العوان ولي قلبٌ من الجبل الصلديّ مقدود
يا ايها الملك الضرغام هل نظرت عيناك فعلي وهابتني الاماجيد
ملكتني يا مليك الارض قاطبةً وذكركم في اقاصي الارض ممدود
انتم ملوك زمان من يعاندكم يلقى الهوان ويغدو وهو مفقود
فدونكم اسداً ما سلَّ صارمهُ الا تخر لهُ الصيد الصناديد
ولا يهاب لقا الابطال ان كثروا وعندهُ الكر في يوم الوغى عيد
اخوض في النقع والابطال جائلةٌ وانثني وفؤاد القرم مفؤود

Digitized by Google

لا انثني عن مرادي حين اطلبهُ الا بهِ وهو مقضيٌّ ومقصود

قال فعند ذلك طرب الملك زهير ومن حضر * وسروا جميعاً بعنتر واثنوا على شجاعتهِ وعجبوا من فصاحتهِ وفرح مالك ابن زهير بقرب عنتر من ابيهِ لانهُ كان من جملة اصحابهِ ومحبيهِ وخلع عليهِ الملك زهير خلعة من فاخر الملابس * وقال لهُ اذهب فمثلك تكون الفوارس ولما كان المساء عاد عنتر مع شداد فرحاً بما نالهُ من علو القدر ورفعة الجاه وقد زاد في عبلة طمعهُ وتمكن حبها من جميع اعضاهُ الا انهُ يكتم غرامهُ وجواهُ ولا يبيح الى احد بشكواهُ لانهُ ينظر الى نفسهِ بعين العبودية والقوم لهُ موالي ولا يملا عينهُ من عبلة الا اذا كان المكان خالي * قال ولما كان الصباح ركب عنتر جوادهُ واخوتهُ بين يديهِ تسوق الاموال الى المرعى وهو من خلفهم يسعى وكان اخوهُ شيبوب من فرس العبيد واخفهم سعيا بين الروابي والبيد حتى كانهُ شيطان في صورة انسان اذا عدا لحق الغزال واذا طلبتهُ الخيل ضللها بين الروابي والتلال * وكان عنتر في اكثر الاوقات ينفذهُ في المهمات ويذخرهُ للملمات * وكان اولاد الملك زهير قد اصطبحوا في دعوة صنعها لهم أسيد اخو الملك زهير وكانوا قد اشتهوا عليهِ ان يبعدهم عن الحي ويسقيهم على زهوات الرعيان ففعل ذلك المرام وامر العبيد ان تسبقهُ الى هناك بالانغام والمدام وذبحوا الذبائح وروجوا الطعام وركب اولاد الملك زهير العشرة وهم شاس وقيس وورقة ومالك وخداش والحارث وكثير

وجدال وجذب ونهشل وساروا الى رابية خضرا مشرفة على الغدير مدبجة الجنبات مزهرة بالنبات فائحة العرصات وحولها عيون جارية وغدران هامية فكانت كما قيل

وروضٌ عنبريُّ الوشي غضٌّ
يشابه حين زخرف بالشقيقِ
سماء زبرجدٍ خضراء فيها
نجومٌ طالعاتٌ من عقيقِ

قال صاحب الحديث فجلس القوم وقدم لهم الطعام فاكلوا واحضروا المدام فعند ذلك انجلت بينهم الكوؤس ودارت الخمر في الروؤس فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا * وفي اثناء ذلك مدَّ مالك عينه فراى عنترًا تحتهم في سفح الجبل وهو على جواده كانه قلة من القلل او قطعةٌ فصلت من جبل * والخيل حوله ترعى واخواه شيبوب وجرير يردّانها الى المرعى * فقال مالك ابن زهير هذا عنتر بن شداد الذي افتخر وساد * والله ان مثله قليلٌ في الرجال لا سيما في فصاحة اللسان وحسن الفعال * ثم قال لبعض العبيد ويلك انزل اليه وادعُهُ لكي يتمّ به سرورنا وتنتظم بمحادثته امورنا فقال شاس ذلَّ ابن الامة اني اراك تحسبه شيئًا كبيرًا وتجعل اليه قدرًا خطيرًا * وكذلك ابي بالامس على قدره واستعاد منه تلك الابيات وجعل له قدرًا بين السادات * ولقد هممت عدة مرار ان اقوم واضرب عنقه بهذا الحسام واسقيه كاس الحمام * لولا

خوفي من ان انغص على ابي وليمته واكدر عليه عزيمته * واما الان وقد نفذت اليه فوالله لئن حضر معنا على هذا المدام لاصرمن حياته بهذا الحسام * قال فبينما شاس مع اخيه مالك في الكلام والحجاج والملام اذا بغبار قد علا وثار وحجب السماء عن الابصار * وبعد ساعة انجلى وبان من تحته ثلثماية فارس كالليوث العوابس * تحتهم خيول اعوجية وعلى اكتافهم رماح خطية وسيوف هندية تسابق المنية * ولما خرجوا من تحت الغبار وانكشفوا للابصار * وقربوا من المراعي ورماحهم تتلوى كالافاعي * اكبوا روسهم في قرابيس سروجهم ووقفوا واصطفوا وانعطفوا * وانفصل منهم عشرة فرسان ابطال شجعان كانهم العقبان * وكان اولئك القوم من بني قحطان ضاق بهم المعاش فخرجوا من ارضهم حتى اتوا ارض بني عدنان * وصدف مرورهم على مراعي بني عبس الذئاب الطلس * فراوا الجماعة يشربون المدام والكاس تدور بين القعود والقيام * فقال بعضهم لبعض احملوا بنا على هذه العصابة ناخذهم اسارى فان في فديتهم الغنى وبلوغ المنى * ثم انهم حملوا عليهم وبادروهم بضرب السيف وطعن السنان وصاحوا هيا يا ال قحطان * فلما راى ذلك بنو عبس تواثبوا الى الخيول واختطفوا الرماح والنصول * وجردوا سيوفهم وتحدروا من ذروة الجبل وما فيهم الا من صاح وحمل * وغاصوا تحت العجاج وانطبقت عليهم فرسان اليمن انطباق البحر العجاج * اذا هاج وماج وتلاطم بالامواج * فسمع عنتر بن شداد صياحهم

وقد مدوا الى بني عبس رماحهم * فخاف عليهم عنتر ان تنهبهم
الاعدا فاراد ان يظهر فيهم شجاعته وفخاره لا سيما لاجل مالك بن
زهير الذي احبه واجاره * فصاح في اخيه شيبوب واسرع مثل الريح
الهبوب * فادرك عنتر متدم القوم فاتك بن محبوب فانقض عليه
كالبلاء المصبوب وطعنه بين ثدييه ابرز السنان من بين منكبيه
فانطرح قتيلاً بدمائه جديلاً وحمل بعده على الرجال ففرقهم
ذات اليمين وذات الشمال * ونثرهم بالحسام تحت القتام * قال
فلما شاهدوا هذا الهول الذي لا يدفع والبلاء الذي لا يرد ولا يرجع
لم يبقَ منهم من يقدر ان يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع * ولم يكن
منهم الا من طلب الهرب وقد انقطع منهم الطمع * ولما نظر عنتر الى
ذلك طلب اولاد الملك زهير من خوفه على مالك وصاح في من بقي
حولهم من الفرسان فارتعدت منهم الابدان وتغيرت منهم الالوان وهو
قد اقبل جسمه من الدماء كالارجوان * يدوس بحوافر جواده
اجسام القتلى وقد خضب بالدما * وابدل وجود القوم عدماً وجعل
ما كانوا يطمعون فيه من السلب مصايب ونقماً * ولما راى اولاد
الملك زهير واطماً ن عليهم عاد فخاض العجاج وفجر الدما بحسامه من
نابيب الاوداج * وجرى من سنانه النجيع مثل المطر وفرق الفرسان
في تلك النفر * واوقع في قلوبهم الرعب وقد اهلكهم بين الطعن
والضرب * وكان العبيد الذين في المراعي القوا النفير في بني
عبس فخاف الملك زهير على اولاده فركب في فرسانه واجناده *

وتجارت خلفهُ الفرسان وسارت الشجعان * الا انهم ما وصلوا الى مكان القتال الا وعنتر * قد فرق القوم شذرَ مذرَ * وهزم الابطال ومدد الفرسان في الجبال * فعادوا الى الخيام وعنتر بين ايديهم كانهُ الاسد الضرغام * وهو ينشد ويقول

ما زلت مرتقياً الى العلياء   حتى بلغت الى ذرى الجوزاء
فهناك لا الوي على من لامني   خوف الممات وفرحة الاحياء
فلاغضبنَّ عواذلي وحواسدي   ولاصبرنَّ على قلىً وجفاء
ولاجهدن على اللقاء لكي ارى   ما ارتجيهِ او يحين قضائي
ولاحمين النفس عن شهواتها   حتى ارى ذا ذمةٍ ووفاء
من كان يجحدني فقد برح الخفا   ما كنت اكتمهُ عن الرقباء
ما ساءني لوني واسم زبيبةٍ   اذ قصرت عن همتي اعدائي
فلئن بقيت لاصنعنَّ عجائباً   ولاخرسنَّ مناطق الفصحاء

قال الراوي ففرح الملك زهير بسلامة اولادهِ وشكر عنتر على حسن جهادهِ * وسألهم عن الحادثة فحدثوه بجلية الخبر وما فيهم الا من اثنى على عنتر ومدحهُ وشكر * ولما وصل الملك زهير الى مضاربهِ جدد لاولاده الوليمة واجلس عنتر الى جانبهِ وسقاه من شرابهِ ورفعهُ على جميع اصحابهِ وخلع عليهِ من ملابسهِ خلعة معلمة بالذهب واركبهُ فرساً من اجود خيل العرب وقلده بسيفٍ محلى مشطب * وقال لابيهِ شداد لا عدت تخفض منزلة عنتر بان يرعى الجمال بعدما بدت منهُ فصاحة اللسان وقوة الفعال ودعهُ يغزو مع الابطال *

حتى يقال ان لبني عبس عبداً يذل الفرسان ويقهر الشجعان * وسماه زهير من ذلك اليوم حامية بني عبس وفارس كل من طلعت عليه الشمس * قال ومن ذلك اليوم ارتفع موضعهُ وزاد في عبلة طمعهُ وهي كانت سبب فصاحتهِ وشجاعتهِ لانهُ كان كلما ذكرها انطلق لسانهُ بالشعر والنظام واشتهى الى طعن الرمح وضرب الحسام حتى وقعت هيبتهُ في قلوب الانام ·

قال وفي اثناء ذلك صار يبعد عن الحي ويغير على القبائل واخوه شيبوب يدلهُ على الاحيا والمناهل فلم يكن يخطر الا ظافراً منصوراً * ولا يرجع الا محموداً مشكوراً * حتى شاع ذكره في تلك البلاد وصار لهُ احباب وحساد وكان من جملة حاسديهِ شاس بن زهير والربيع بن زياد وكلما رآياهُ يفعل ذلك الفعال تزداد بغضتهُ في قلبهما وتكثر بينهما الاقوال * قال الراوي وصار الرجال اذا حضروا على الشراب لا يتناشدون الا ما لعنتر من الاشعار * ويتذاكرون بشجاعتهِ وفصاحتهِ وحبهِ لعبلة وما بينهما من الاخبار حتى نما ذلك الى امها وابيها وسمعا قصايده وتغزلهُ فيها غير انهما لم يكترثا بهِ ولم يلتفتا الى غرامهِ وحبهِ * فلما كثر الحديث عند ام عبلة دعت بهِ اليها * واحضرتهُ بين يديها * وقالت لهُ يا عنتر سمعت عنك انك تحب ابنتي عبلة وتذكرها في شعرك ولا تكتم هواها في صدرك وكانت عبلة جانبها وقد ارخت ذوائبها وسمعت امها تقول لعنتر ذلك المقال فتبسمت عن ثغر انقى من

واللاآل فازداد بعنتر الهيام والبلبال وقال يامولاتي هل رايت من يبغض مولاته اي والله احبها وحبها ما انكره بل في كل وقت اذكره وصورتها لا تبرح مقابل ناظري وشخصها طي ضمائري وانا اصف ما قد كساها الله من الجمال الذي فاقت بهِ كل ذوات الجمال قال ولما سمعت عبلة كلامهُ زاد تعجبها وقرب عنتر من قلبها وقالت لهُ ياعنتران كنت صادقاً فاسمعني شيئاً من شعرك وصف بهِ محاسني التي ملكت قلبك * واوصافي التي سلبت لبك فاطرق الى الارض وتنهد * ثم رفع راسهُ وانشد

احبكِ حبّ كرام الرجالِ ... واقنع منكِ بطيف الخيالِ
وانتِ محكمةٌ في دمي ... ومالكتي وعليكِ اتكالي
أياعبلَ ما تحتويكِ الصفاتُ ... لأنكِ قد حزتِ حدَّ الجمالِ
فان قلت وجهك بدر الظلام ... فمن اين للبدر عين الغزالِ
وثغركِ فاق دراري السماءَ ... فكيف اشبههُ باللالي
ولي في جبينكِ كل الهدى ... وفي ليل شعرك كل الضلالِ
وتحت لثامكِ ورد الرياض ... وعيناكِ تحرسهُ بالنبالِ
وخصركِ يشكو الضنى مثل جسمي ... يحمل جور الهوى وهو بالِ
ومن دون لحظك اسد البطاح ... وبيض الصفاح وسمر العوالي
ووجهك كالبدر تحت السماء ... قريبُ الضياء بعيد المنالِ

قال الراوي وكان ينشد هذه الابيات وعبلة وامها باهتتان من كلامهِ متبسمتان الا انهُ شفى غليل صدرهِ اذ اباح حبهُ وراى

Digitized by Google

عبلة تنظر اليهِ بعين المحبة لان الاعين رسل القلوب ولا سيما نظر المحب الى المحبوب * فقالت لهُ امها والله ياعنتر ما كنت احسب انك تنطق بمثل هذا الكلام ولا كنت اظن بك هذه الفصاحة في النظام * فوحق ذمة العرب لقد لحقت باصحاب النسب والسادات ذوي الرتب وشاركت في الشعر فصحاء العرب وانا اطلب لك من بعلي مالك ان يزوجك بخميسة أمة ابنتي عبلة التي ليس لها في الحي شبيهةٌ قدًا وجهًا ومقلة فتضاحك عنتر وقال لها وحق رب القدرة لا ضاجعت امرأة لا أَمَةً ولا حرةً ولا استوى جانبي الا من احب وافديهِ بالروح والقلب * فقالت عبلة بلغك الله امانيك * ورزقك زوجة ترضيك وشاعت ابيات عنتر في الحي بين السادات وتناشدتها العبيد والاموات وذكرت بين يدي شاس والربيع بن زياد وكانا على الشراب وعندهما عمروٌ اخو عبلة وجماعةٌ من العبيد الجياد * فقال شاس والله لقد اعجب هذا العبد السوء بنفسهِ وترفع عن العبيد الذين هم من ابنا جنسهِ * فقال الربيع والله ياشاس ما ترك لهُ هذا الذكر بين السادات الا ابوك واخوك مالك صاحبا المهمات ولاجلها مضى عبدك داجي وعبدي ضاجر * وراح دمهما هدرًا بيد هذا الفاجر * وبالامس اجلسهُ ابوك مع السادات * واستعاد منهُ تلك الابيات وهذا الذي اطمعهُ في البنات العربيات

وما زالا على مثل ذلك الكلام حتى اخجلا عمرًا اخا عبلة بين

Digitized by Google

القدح والملام * فقال والله يا ربيع ان القتل اهون عليَّ من هذا الصنيع * وقد عرضت بهِ لابي عدَّة مرار وهو يقول لي انهُ عبدٌ ابن امة ليس لهُ شان ولا مقدار * وان نحن طردناهُ وابعدناهُ * اجاره الملك زهير وحماهُ ثم ان عمرًا قال والله اني سمعتهُ يذكر اختي ايضاً في شعرهِ لاسفكنَّ دمهُ ولو وضعهُ الملك زهير في حجرهِ * فقال الربيع دع هذا ولا تدنس سيفك بدمهِ وانا اشير عليك في عدمهِ نكمن لهُ غدًا عشرين عبدًا من عبيدي الاجواد ونجعل عليهِ العيون والارصاد * حتى يخرج منفردًا فيقتلونهُ ويخفون اثرهُ ولا يعلم احدٌ خبرهُ * على ان عبدي بسام اخا ضاجر قد هم بقتالهِ مرارًا وانا اردُّهُ عن هذا الارب خوفًا من ان الملك زهير يغضب * واما الان وقد صار الامير شاس من مساعدينا على قتل هذا القرنان فلا نخشى بذلك ضررًا ولو تعرضت دونهُ قبايل الانس وطوايف الجان فقال شاس وحق البيت والمقام الرفيع اني معين لك يا ربيع ولو شاققت ابي واخوتي الجميع * ولكم عشرون عبدًا من عبيدي الاجواد والفرسان الجياد الشداد * الذين لاقوا معنا كل شدَّة وهم لنا عدَّة وعمدة * قال وما انقضت الدعوة حتى تعاهد شاس والربيع بن زياد على قتل عنتر بن شداد فوضعوا عليهِ العيون والارصاد واكمنوا لهُ ثلثين عبدًا مثل الاساد * قال وكان لشداد بنت من غير سمية يقال لها مروة كانت متزوجةً في بني غطفان برجل يقال لهُ الحجاج بن مالك فاتفق ان زوجها زوج اختهُ عند ذلك * برجل

يقال لهُ ماجد ابن الليث الغطفاني فلما راجت الدعوة جاءت مروة في جماعة من النسوة * لكي تدعو شداداً اباها ومالكاً عمها واخاهُ زخمة الجواد ومن يقرب اليهن من بني قراد * ودعت سمية امراة شداد ونساء اعمامها ومن يلوذ بهنَّ من النساء الاحرار والبنات الابكار * واجتمع الرجال مع الرجال والنساءُ مع النساء في السير بعد ما استاذنوا الملك زهير هذا وقد سبقت الفرسان النساء بنصف يوم وخرجت النساء بعدهم بالهوادج والاهلة والسجوف والاكلة وعلى الهوادج الثياب المقصبة والعصايب المذهبة * وهنَّ قد ارخينَ الذوائب والشعور على الاكتاف والخصور * وابرزنَ وجوهاً مثل البدور سود المقل بارقات الثغور * والاماءُ قدام الهوادج بايديها الدفوف والعبيد متقلدون با لسيوف * وعنتر بينهم في الجملة يخدم نسا اعمامهِ وامراة ابيهِ وعبلة * وهو من دون العبيد راكبٌ على جواد ادهم كانهُ الغياهب متقلدٌ بحسام قاضب معتقل برمح كاعب * وهو قد ماشى عبلة يناظرها في المسير وقد خلبت لبهُ وملكت قلبهُ * ولازمها في الطريق يخدمها وهي تهزأً بهِ لانهُ عبدها وامها تضحك عليهِ كلما رائهُ يخدمها و يودها * وتقول لهُ ياعنتر أتعرف قدر ابنتي وشانها فيقول اي وحق من خلق السماء وشاد بنيانها * ولو قدرت لما رضيت لها بمكان دون سواد ناظري اوطي ضمايري * وما زالوا على تلك الحال يقطعون القفار وعنتر محاذي عبلة ينشد فيها الاشعار حتى انقضى النهار ومالت الشمس الى

Digitized by Google

الاصفرارا * فحلوا الرحال عند ذلك ونزلوا على غدير هنالك فتولى عنتر حرس القوم الى فجر ذلك اليوم حتى اذا ارادت العبيد ان ترفع الهوادج وتشد الرحال ليتمموا ذلك الترحال * اذا بالغبار قد ملأ القفار * حتى سد الفجاج وعاد النهار كانهُ ليلٌ داج * وبعد ذلك انجلى عن خيول تندفق مثل الرياح تلمع عليها اسنة الرماح وشفار الصفاح * وفي دون ساعة جالت الخبرة عن ماية فارس كانهم الاسود القناعس وفي اوايلهم فارسٌ صنديد كانهُ البرج المشيد لهُ صدرٌ واسع وبأسٌ شديد وهو قد لبس فوق درعهِ ثوبا اسود مثل الحديد * وهو ينادي من قلب قريح وفوادٍ جريح * الثارَ الثار البدارَ البدار * قال وقد ذكرنا ان شاس بن الملك زهير والربيع ابن زياد بغيا على عنتر بن شداد ووضعا عليهِ العيون والارصاد * حتى علما بمسير عنتر مع بني عبس وعدنان ونساء بني قراد الى بني غطفان وغابت عن الحي الرجال والفرسان * وان عنترًا قد تخلف للسير عند الصباح فدعوا بالعبيد المذكورين وقلداهما بالسيوف والرماح * واخرجاهما في ذلك الليل الاغبر لكي يفتكوا بعنتر * واوصاهم الربيع ان يكمنوا لهُ في وادي الغزال فاذا اشرف عليهم عند الصباح يتبادرون اليهِ بالاسنة والنصال على ان لا يوءذوا النساء ولا ياخذوا من اموالهم ولا عقال وقد ذكرنا ان عنترًا ظهر عليهِ من ذلك الغبار ماية فارس كرّار * وكان ظهورهم من ناحية وادي الغزال حيث اصبح عنتر والنساء

والجمال * وكان لهم حديث وسبب يا له من سبب وان الزمان ياتي بكل عجب ويتقلب باهله اي منقلب * وذلك ان العبيد ساروا عن حلل بني عبس وفي اولهم عبد الربيع وبسام حتى اشرفوا على وادي الغزال وحاولوا ان يكمنوا فيه تحت ذيل الظلام واذا بفرسان قد اغاروا عليهم وفي اياديهم السيوف القواطع والاسنة اللوامع ونادوا بهم اثبتوا يا فتيان قبل ان تطير روسكم عن الابدان وتخوض في قلوبكم اسنة الاشطان * فلما سمع بسام ذلك المقال * نبه اصحابه للقتال * ومدَّ رمحه بين اذان الجواد وقال لهم اما تعلمون اننا في ارض بني عبس الاساد * فمن انتم وممن وما شانكم في هذا الواد فقال المقدم لبسام ويلك يا ابن العبيد اللئام سواكم والله لسنا طالبين واليكم اتينا قاصدين ولسفك دماكم ونهب اموالكم قادمين * ولا بد ان نشتتكم بين الاغوار والانجاد لا سيما ان كان فيكم ذلك العبد السوء عنتر بن شداد * قال وكان هولاء الجماعة من قوم يقال لهم بنو المصطلق والمقدم عليهم غالب بن وثاب وكان عنتر قد قتل له اخاً يقال له ماجد وعفره بين الشعاب وتركه ماكلاً لضواري الغاب * وكان اخوه غالب غايبا في سفر فلما قدم اعلموه بالخبر فشق جيوبه وعظم مصابه وكثر حزنه وانتحابه وما اقام في اهله اكثر من ثلاثة ايام وسار في سبعين فارس كانهم اسد الاجام يطلب بني عبس لياخذ بالثار وهو يقول ان كان عبد بني عبس قتل اخي فانا اقتل ساداتهم الكبار * والقي الخوف في

ارضهم وابددهم في كل بر وفدفد ولا اعود الا براس ذلك العبد الاسود ولم يزل سايرًا حتى اشرف على وادي الغزال * واكمن بمن معهُ من الرجال ثم انفذ بعض العبيد يانيهِ بالخبر فمضى وعاد بعد ثلاثة ايام واخبرهُ بالخبر وان بني عبس في الاثر وبعد قليل تصل النساءُ وبينهنَّ عنتر

فلما سمع غالب هذا الكلام داخلهُ الطرب * وصاح من شدة فرحهِ يا للعرب لكم البشارة بالاموال والذهب واخذ الثار وبلوغ الارب واقام في من معهُ منتظرًا في ذلك الواد حتى اشرف عليهم بسام عبد الربيع ابن زياد ومن معهُ من العبيد الاجواد واعلمهم غالب بانهم ما اتوا الا لقتل عنتر طالبين * وعلى اهلاكهِ معولين * فلما سمع بسام كلام المقدم قال ياقوم نحن قد أُسعفنا من كل جانب لان كلاًّ منا ما اتي الا وهو لقتل عنتر طالب ونحن ايضًا موالينا بني عبس قد ارسلونا في طلبهِ حتى نسقيهُ كاس عطبهِ وهو اليوم واصل مع النساء المدعوات الى بني غطفان فان شئتم نقتلهُ ونعطيكم رأسهُ فانهُ قد اصاب بعضنا بالظلم والعدوان * فقال مقدم القوم ما نريد منكم مساعدة ولو لم تخبرونا بخبر قد ثبت عندنا لم نبقِ منكم نسمةً واحدة * ولكن عاهدونا على انكم لا تكونون علينا مخامرين والا بذلنا فيكم رماحنا وسيوفنا اجمعين واخذنا منكم بالثار وجرعناكم كاس البوار * فعاهدهم بسام واخذ منهم الذمام وقد راى ذلك صوابًا في قضاء حاجة

مولاهُ فطاوع غالبًا وجاراهُ * وقال لاصحابهِ نحن نكون من كل جانب منصورين * وعند بني عبس مشكورين لاننا ان راينا عنترًا قد اضعف هولاء القوم وبقوا في عددنا او اكثر منا بقليل ما نمكنهم من اخذ الحريم وان رايناهم قتلوهُ من اول حملة انفذنا بعضنا الى الحلة وقاتلناهم حتى تدركنا الرجال والفرسان بالجملة ونخلص نحن النساء ونبلغ من قتل عنتر ما نشا فقالت العبيد افعل ماتريد فكلنا لك عبيد ونحن على طوع رأيك السديد * فنزل بسام وكان قد انجلى الظلام واختلط هو واصحابهُ بالقوم واكلوا الطعام واحتكم بينهم الذمام وجعلوا يحدثونهم بفعال عنتر وهم لهُ منتظروا الاثر * هذا وان عنترًا كان كما تقدم قد عوّل على الرحيل واذ قرعهُ الصهيل واقتحمتهُ السوابق ولمعت فوقها البوارق *وكانوا قد ركبوا صباحا وقصدوا عنتر وخافوا ان يكون في الليل قد عبرفنظروا الى لمعان الهوادج والاساور والدمالج وهم بالثياب الفاخرة بالزينة الباهرة فصاحوا الثار الثار الغنيمة الغنيمة ولعبوا على صهوات خيولهم واشهروا مرهفات نصولهم * ومدوا الى عنتر برماحهم واقبلوا عليهِ بصياحهم * فعلا من النسوان البكا والعويل والاشتكا ونظر عنتر الى عبلة ودموعها تحدر على خدودها وقد جرت على نحرها وعقودها وسمية وام عبلة تصيحان بالويل والحرب وقد خشيتا على العرض والنشب *فتقدم الى ام عبلة وقال لها اتزوجيني عبلة حتى اردّ هذه الخيل من اول حملة* واعطيكِ

اسلابهم وخيولهم من بعض الصداق واتركهم مبددين في الآفاق فقالت له ويلك يا عنتر أوَفي مثل هذا الوقت يكون المزاح والاجساد قد كرهت الارواح * فقال عنتر لا وحق خالق الصباح ومنسم الرياح ان وعدتني بذلك رددت هذه الخيل كلها على اعقابها واعطينك كل عددها واسلابها * فقالت دونك الخيل ولك ما تريد * غير انها لم تضمر له الوفاء لانه من العبيد وذلك منكرٌ عند العرب ان تتزوج الحرة بعبدٍ لا نسب له ولا حسب * وان عنترًا لما سمع ذلك سرّ غاية السرور * وبدت عليهِ وسايم الحبور * وقال لأم عبلة عاهديني على هذا فعاهدته وبكل جميلٍ وعدته * فعندها ركب الجواد وتهيأ للجلاد وامر العبيد ان تبرك الجمال وتحل الرحال * وقال لاخيهِ شيبوب ويلك احم بنبلك ظهري وانا التقي الخيل بصدري * ثم انصب على القوم كانهُ عارض المطر وصاح وزمجر والتقاهم بالاسمر والابتر ففرقهم شذرَ مذرَ * طعن الاول فى صدرهِ اطلع السنان يلمع من ظهرهِ واتاه الثاني فالقاهُ والثالث اوردهُ فناهُ والرابع جعلهُ عبرةً لمن يراهُ والخامس الحقهُ برفقاهُ والسادس اعدمهُ الحياة والسابع قطع من الدنيا مناهُ والثامن جعلهُ يختبط بدماهُ والناسع ترك القبر مأواهُ والعاشر ناحت عليهِ اهلهُ واقرباهُ وشيبوب من وراهُ يطعن بالنبال * فيصيب بها مقاتل الرجال * وعنتر يجندل الابطال ويطوحهم على الرمال وهو يهدر ويزمجر كالاسد الرئبال * قال فلما نظرت

Digitized by Google

اليوم الى فعاله توقفوا عن حربه ونزاله * وتفرقوا عنه وتقروا من قتاله وهو قد غاص بينهم كالاسد الجسور * وسيفه قد طوق النحور ورمحه خاض في الاحشاء والصدور فبددهم ذات اليمين والشمال ومددهم على الرمال وشيبوب يحمي ظهره بالنبال اذا قصدته الخيل في المجال حتى اخلى السروج من ركابها * وخضبها بدماء اربابها * وقد اهلك منهم ثلاثين فارسا من كل اصيد وجبار وجعلهم قوتا لطيور السماء وضواري القفار وكان جواد عنتر قد كلّ وملّ وعلم انه قد انحلّ فنزل عنه وركب غيره من الخيل الغائرة وعاد الى المجال وطلب البراز والنزال وهاج كما تهيج فحول الجمال وانشد وقال

اذا اشتغلت اهل المدامة بالكاس
او اعتنقوها بين قسٍ وشماسِ
جعلت مقامي تحت ظل عجاجةٍ
وكاس مدامي قحف جمجمة الراسِ
وصوت حسامي مطربي وبريقه
اذا اشتد غيم الجو بالنقع مقباسي
ومن قال اني اسودٌ ليعيبني
اريه بفعلي انه اكذب الناسِ
فسيري بسير الامن يا ابنة مالكٍ
ولا تجنحي بعد الرجاء الى الياسِ

فلو لاح لي شخص الحمام لقيته

بقلب شديد البأس كالجبل الراسي

قال الراوي واما عبيد بني عبس فلما راوا ما فعل عنتر بالقوم انقطعت ظهورهم وارتبكت امورهم * وقال لهم بسام عبد الربيع ويلكم اشكروا الله أن وقع لنا هولاء القوم وقاتلوا عنا في هذا اليوم وقد فدونا بانفسهم من هذا البلا والا لكنا الان معفرين في الفلا * قال ونظر مقدم القوم غالب بن وثاب الى ما اصاب اصحابهُ من العذاب * فقال يا للمصيبة لو علمت ان الامر يفضي الى هذه الحال كنت خرجت من اول الامر الى القتال * وسبقت الى قتل هذا القرنان قبل ان يُحِلّ ما أحلّ برفقاءي الفرسان ولكن اهملت امرهُ حتى بلغ من امره هذه الشان * ثم انهُ وثب الى الميدان وعليهِ درع حسن النظام جيد اللحام * وهو متقلد بسيف ابتر ماضي الحدين مشهر ان ضرب بهِ شطر وان هزهُ طار منهُ الشرر * وفي يدهِ رمح اسمر يسابق القضاء والقدر * وتحتهُ جواد اجرد حالك اللون اسود بقوائم مثل العمد عيناهُ تتوقد وهو على صهوتهِ مثل البرج المشيد * ولما صار في الميدان وقف وانشد وقال

رمتنا صروف الدهر عن قوس صرفهِ

ففارق منا كل إلف لالفهِ

وساوت بنا اجال قوم تقاربت

على يد عبد لا يبالي بحتفهِ

فلا عجبٌ ان يرفع الدهر اجزًا
ويجعلهُ يلقى الاسود بضعفهِ
فدع عنك هذا الجهل يا ابن زبيبةٍ
فكم اسدٍ ارديتهُ وقت زحفهِ

قال فصدمهُ عنتر صدمةً تهد الجبال * واجابهُ على شعرهِ وقال

تعيرني يا ابن اللئام بانني
كلون الدجى ها قد بليتَ بعسفهِ
فان كنت عبدًا قد قتلت سراتكم
وابايتكم من ذا الزمان بصرفهِ
تميد الجبال الراسيات لهيبتي
ويوقن من يبغي عنادي بحتفهِ
فكم اسدٍ لما بدا لون غرّتي
لهُ في مقام الحرب الوى بعطفهِ
وكم من كميٍّ قد تركت مجدلاً
وكم من سريٍّ ذل لي رغم انفهِ
فان كنت تبغي الحرب دونك ماجدًا
يذيقك طعم الموت من ضرب كفهِ

قال الراوي ثم انهُ حمل عليهِ وما تركهُ ينظر ما بين يديهِ حتى طعنهُ بين ثدييهِ اخرج السنان من بين منكبيهِ * وانقض على باقي اصحابهِ فخرق الصدور واجرى الدماء من انابيب النحور * وانصر باقي

الرجال طعنا يسابق الاجال فشردوا في التلال والجبال * ونظر
عبيد الربيع وعبيد شاس الى فعاله ببني المصطلق وكيف مال عليهم
وانطبق وشيبوب خلفهُ كانهُ البرق اذا برق * فعادت على الاعقاب
وطلبت الروابي والشعاب وسام عبد الربيع في اولهم يصيح
دونكم الهرب ولا تقفوا قدام العطب فولوا الادبار وعادوا
في الفدافد والقفار وطلبوا الاهل والديار * وعاد عنتر وسنانهُ يقطر
من الدم فتلقتهُ عبلة وهي تتبسم * وحمدت الله على رجوعهِ *
وشكرتهُ على صنيعهِ * وقد شفت من قلبهِ الغليل * وكان كلامها
عندهُ مثل قدوم العافية على جسد العليل فشكرها على مقالها وردّ
هودجها الى فوق رحالها * وامر العبيد فجمعت اسلاب القتلى وهي
ملء الارض والفلا * وساقوا الخيول وساروا في امان * وطلبوا
بني غطفان * فوصلوا والناس في الولايم بين الطرب والسرور
والحي منقلب بشرب كاس الخمور ودارت بملتقاهم الافراح وعلا
الصياح واخبرت النسا رجالهنّ بالخبر وما جرى من عنتر فما منهم
الا من اثنى عليهِ وشكر وقدمت العبيد الخيول والاسلاب الى بين
يدي شداد واخبروهُ كيف صان الحريم ودفع عنهم ذلك الهول
العظيم فزادت رغبة شداد فيهِ وما درى باي وجهٍ يكافيهِ وقبلهُ
بين عينيهِ واخذ بيدهِ ليجلسهُ مع السادات والشرفاء فابى وعاد الى
ذيل المجلس ووقف مع العبيد والاماء * وقال لا والله يا مولاي ما
اغير في خدمتك العادة ولا اغترّ بايام السعادة فعجبت فرسان العرب

من ادبه وهابوه وعظم قدره عندهم وقربوه * وحلفوا عليهم واجلسوه بين الفرسان واهل المنام * وسقوه مما بين ايديهم من المدام * واعجبوا بفصاحته بين النثر والنظام * وداموا على ذلك سبعة ايام * وما يمضي يوم الا يرفع بنو غطفان قدر عنتر وشداد ومن معهم من الرجال الاجواد وبعد ذلك رجع بنو قراد طالبين الاوطان * ومعهم العبيد والنسوان * ولم يتفرقوا في المسير خوفا من مثل النوبة الاولى * ولم يعلموا ان لعنتر في الحرب اليد الطولى وما شرفوا على ارض الشربة حتى سمعوا الصياح منعقدا في ساير الجنبات والغبار قد خيم على الروابي والفلوات * واهل الحي قد طرقوا بحوادث الزمان وطوارق الحدثان * فقال شداد لمن حوله من السادات وذمة العرب لقد نزلت بنا الدواهي والملمات ثم حركوا على ظهور الخيل واقتحموا المضارب والابيات فراوا النساء متهتكات والبنات بارزات * وقد غرقن البراقع بالمدامع المنحدرة * وقد لمعت بينهن السيوف المشهرة * وتخنت الفوارس بالجراح ولعبت بهم الرماح * وبيض الصفاح وهم يمانعون عن النساء والبنات وقد ايقنوا بشرب كاس الممات * وقلت منهم الحركات وخفيت منهم الاصوات * قال وكان السبب في ذلك ان الملك زهير كان قد ركب في فرسان بني عبس وسار بهم الى بني قحطان يطلب عدوا له يقال له المتغطرس بن فراس من قوم من العرب يقال لهم بنو القيان وكان الملك زهير قد بلغه ان المتغطرس ساير اليه *

فشق ذلك عليه وقام بفرسان بني عبس ليلقاه في الطريق قبل
ان يغشى الديار وترك في الحي اخاه زنباع في نفر قليل وسار * ولكن
لاجل القدر المتاح سار هو في طريق والمغطرس في طريق اخر
في تلك البطاح * فاختلفا في الطريق في تلك الجاح لان البر
بحر عجاج * فوصل المغطرس الى ديار بني عدنان فوجد الحي
خاليا من السكان * فاقتحم الابيات والمضارب واستقبلها بالاسنة
والقواضب * فالتقاه من في الحي بالرماح المداد وجردوا البيض الحداد
واتصل الطعن بالسمر الصعاد وكثر العدد على بني عبس وزاد *
فعادوا الى الخيام لما راوا سقاة المنايا تدور عليهم بكوؤس
الحمام * فيا له حادثا لا يطاق * على حين سالت دماهم على اسنة
الرماح الدقاق ووردوا من الموت موردًا مر المذاق فصاحت النسا
وقد ايقنت بالسبي والتشتيت في الافاق وفاضت الدموع من الاماق
وبرزت تماضر زوجة الملك زهير من خدرها وايقنت بهتك سترها
وقرعت من خوف السبي على صدرها * وفي ذلك الوقت اشرف
عنتر وشيبوب وشداد بن قراد الفارس الجواد فقال شداد قد
انمحت والله اثارنا وخربت ديارنا * وما جرت هذه النوائب الا لان
الملك زهير هذه المرة غايب فدونكم والحملة لكشف عنهم هذه
المصايب * وكان عدد القوم اربعين فارسا من بني قراد فحملوا
وتركوا العبيد عند النسا الا عنتر فان شدادًا قال له هيا وارني اليوم
منك ما سمعت بالامس عنك * فقال نعم يا مولاي ليس الحر كالعيار

ثم وثب الى فرسهِ وانتظم بين الفرسان ونادى اقتحموا القوم ناخذهم اسارى ونقودهم اذلاَّء حيارى * ثم صاحوا وطلبوا الاعدا وقد هزوا في ايديهم السمر الطوال وضجت العبيد والاما لما عرفوا بقدوم الفرسان والابطال وانصبوا على الميسرة وعنتر على الميمنه وهو كانهُ القضا في حمانهِ وكل من راهُ يهرب من طلعتهِ * وهو ينشد ويقول

اليوم اسعرها حرباً تذل لها
كل الجبابرة الماضين في الحقبِ
واترك الدم يجري من غلاصمهم
اذا علوت رؤوس القوم بالقضبِ
كم سيدٍ مذ راني جئت اطلبهُ
القى السلاح وولى طالب الهربِ
انا الهزبرُ لنار الحرب اضرمها
تحت العجاج وارمي القوم بالعطبِ
كم قسطلٍ خضتهُ لم اخشَ غايلةً
وملتقى الموت يوم الروع من طلبي
لافعلنَّ فعالاً لا مثال لهُ
يظل يذكر في الاوراق والكتبِ
واجرينَّ من الابطال بحر دمٍ
تلاطمت فيهِ لمواجٌ من العطبِ

واجعل الجوّ مثل الليل بازغةً

فيهِ الاسنة تحت النقع كالشهبِ

وليس لي مونسٌ في كل معركةٍ

الا الجواد وسيفٌ صيغ من غضبِ

وهمّتي قد علت فوق السماك ولي

عزمٌ يفوق على الاعجام والعربِ

قال الراوي ثم ان عنترًا انقضّ على الميمنة وصاح بها فخبلها * وحمل عليها فاذهلها * وطعن في صدرها فبلبلها * وتنافرت بين يديهِ الاعداء * واندفعت الى البيداء * وصار القتل في البرّ واتسع للابطال مجال الكرّ والفرّ وتصادموا على ظهور الجياد الاعوجية واختلفت الطعنات بالرماح السمهرية ونهبت الارواح الابية * بمخالب اسنة الرماح الخطية وطارت الجماجم بمضارب السيوف المشرفية * وهتك عنتر ميمنة القوم بنوافذ الطعنات * ونثر روس الابطال بقواطع الضربات * وابصر المتغطرس بن فراس وهو قايم على رابيةٍ في تلك البطاح * وعلى راسهِ الرايات تخفق بالرياح وقد نفرت خيلهُ على اعقابها وخلت سروجها من اصحابها ولعنتر صرخاتٌ مثل الرياح العاصفة * او الرعود القاصفة * فتحدر من المتغطرس الرابية بمن معهُ وقد اكثروا الصياح ومدوا الرماح * ورجعت الخيل المنهزمة لما رجع اميرها * والتهبت نيران الحرب وازداد سعيرها * فالتقاها عنتر ومن معهُ من الفرسان بالصدور *

Digitized by Google

وصبروا على عظايم الامور واجروا الدما من انابيب النحور وثبتت الشجعان وولى الجبان * ولم يزل الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والابطال تجندل حتى ضاق بهم السهل والجبل * وحل بهم البلاءُ والخبل والفارس الشجاع قاتل واستقتل والجبان ولى خوفاً من نزول الاجل والبلاء المعجل * واشتد الكرب والوجل وحل عليهم البلاءُ ونزل * ومن العجائب الغريبة ان بساماً عبد الربيع بن زياد * الذي كان قد خرج ليقتل عنتر بن شداد * وانهزم هو وجماعته في وادي الغزال لما راوهُ قد هلك غالب بن وثاب * وقتل اكثر فرسانهِ السبعين بين الطعان والضراب وعاد بسام بن معه الى الاحياء وانهزم وهو لا يصدق بالنجاة من يد ذلك الاسد الغشمشم * فاقام في الحي حتى كان هذا اليوم العرمرم * وقاتل مع جملة الفرسان قتالاً يحير الاذهان * وانهزم مع جملة المنهزمين * حتى اقبل عنتر ومن معهُ من الابطال المشهورين فشاهد من عنتر افعالاً تحير بها عقلهُ فزاد حسدهُ واضمر انهُ يقتلهُ وصار يتوقع لهُ فرصةً في الحرب عند اختلاف الطعن والضرب * وحمل على المتغطرس مع بقية الفرسان والابطال * وباشر الحرب والقتال ليتمكن من عنتر في المجال * ولما اشتدت الاهوال ودارت البيض والسمر الطوال * وعلا الغبار وسد منافس الاقطار صوَّب بسام سنانهُ الى عنتر بن شداد * وعلم ان كرامتهُ بذلك تزداد عند مولاهُ الربيع بن زياد ومادانى عنتراً ليطعنهُ في ظهرهِ * حتى خرقت نبلةٌ في صدرهِ

فوقع قتيلاً بدمهِ جديلاً ووطئتهُ الحوافر والنعال وحلت بهِ نازلة
الاجال فقتلهُ حسدهُ واهلكهُ كمدهُ * وقد قيل لا تعادِ رجلاً مسعوداً ولا
تكن لاحدٍ حسوداً الان الحاسد ابداً عيشةُ منغص * وفي كل يوم
يتجرع الغصص * قال وكان الذي قتل بساماً عبد الربيع بن زياد
شيبوب اخا عنتر بن شداد * وكان لما حمل على الفرسان اوصاهُ
ان ينزل عبلة من الهودج ويلاحظ خدمتها وخدمة بقية النسوان
وما زال شيبوب عندهنَّ يسكن قلوبهنَّ حتى راى الاعداء قد
خرجوا من بين الاطناب * وبني عبس وراءهم مثل الضباب وراى
الرماح من حول عنتر مثل الافاعي في الظلام فخاف عليهِ من الحمام * وعدا
نحوهُ مثل ذكر النعام حتى اقتحم قسطل الغبار والقتام وراى بساماً
قد عمد الى اخيهِ عنتر بالسنان * فارسل اليهِ نبلةً القاهُ بها تحت
ارجل الحصان هذا وعنتر مشتغل بالقتال فيطعن صدور الرجال
ويكسر ابطال الجبال حتى وصل الى المتغطرس وهو يرد جماهير
رجالهِ ويشير بالرمح الى ابطالهِ وهم لا يلتفتون اليهِ وقد هربوا
من وجه عنتر مثل القطا اذا نفر فشق عليهِ ذلك وغدا النهار في
عينيهِ كالليل الحالك وثبت نفسهُ للطعان وانف من الهزيمة
مع الفرسان واستقبل عنتراً فصدمهُ بقلبٍ اصلب من الجلاميد *
وكان يُعَدُّ من الفرسان الصناديد * فتطاعنا بالرماح وتضاربا
بالصفاح وعلا فوقهما الغبار حتى اختفيا عن النظار وقد نالهم
ذلك الفارسين من شدة الجراح * واشتد بعنتر الغضب فزجرهُ

Digitized by Google

وصاح واقتحمهُ اقتحام الاسد وطعنهُ بالطويل الاملد فخاض الرمح في احشائهِ والقاهُ يختبط بدمائهِ ونفرت اصحابهُ من وجه ذلك البلاء النازل كما ينفر النعام الجافل وتبعتهم فرسان بني عبس وخيولهم وعملت فيهم استهم ونصولهم * فلعبت بهم ايدي سبا وتبددوا في تلك الربى هذا والعبيد قد جمعت الاسلاب والغنايم وعادت الى الاحياء * ورجع الفرسان بعد ما انهزمت الاعداء وهم مسرورون بالنصر بعد الغلبة والقهر * وكل واحد منهم يمدح شدادًا واخوتهُ ويحمد فعال عنتر ويصف شدتهُ * وحدث الفرسان شدادًا كيف قتل عنتر المتغطرس بطعنتهِ في المجال فسرَّ بهذا المقال وعلم ان افعال عبدهِ ترفع قدرهُ عند الرجال * هذا وعنتر قد اقبل عليهِ وقبل يديهِ فراهُ شداد مثل شقيقة الارجوان * مما سال عليهِ من ادمية الفرسان فزاد بهِ العجب وما وسعهُ درعهُ من شدة الطرب * وقال لاخيهِ زخمة الجواد وحق ذمة العرب * لقد كانت تربيتنا لهذا العبد خيرًا ولم يضع فيهِ التعب * ولو انهُ يكون ولد حلال ملكت بهِ رقاب العرب اصحاب الحسب والنسب * فقال زخمة الجواد يا اخي اما حكم لك بهِ حاكم العرب * فلا تجحد ما لهُ عليك قد وجب * فتبسم شدادٌ واتي الى الابيات والخيام * وعنتر قدامهم كانهُ ليث الاجام * وقد سمع جميع ما دار بينهما من الكلام وما جرى * غير انهُ كتمهُ في صدرهِ لا كانه لا سمع ولا درى ومشى قدام الجماعة وهو يقول

انا الفارس المقدام والبطل الذي تخر لهُ الفرسان خوف المهالك
اذا ثار نقعٌ كنت موقد نارهِ وافني الاعادي بالسيوف الفواتك
واصلي لظى الحرب العوان بهمةٍ يقصر عن ادراكها كل سالكِ
وكم فارسٍ القى السلاح لهيبتي واخر قد اردينهُ في المعاركِ
وخلصت قومي من اكف عداتهم ولست لفعل المكرمات بتاركِ
اذا ما طعنت القرم خرَّ لوقتهِ يكشر عن انيابهِ غيرَ ضاحكِ
ولي سطوةٌ في الحرب ليست لضيغمٍ وسل عن فعالي كل ليثٍ مشابكِ

قال الراوي وان عنترًا كان قد شق عليهِ كلام شداد وساءَهُ ما دار بينهُ وبين زخمة الجواد * فدخل على زبيبة امهِ وحدثها بما كان من ابيهِ وعمهِ * وقال لها اخبريني عن نسبي وعرفيني من هو ابي * فقالت والله يا ابني ليس اباك الا شدادٌ مولاك * ثم حدثتهُ بالخبر المقدم ذكرهُ في اول السيرة وخصام العشرة عليهِ من اهل العشيرة * وان قاضي العرب حكم بهِ لشداد دون سواهُ فكان هو ابنهُ وشدادٌ اباهُ * فقال لها اذا كان قاضي العرب حكم اني ولدهُ وكل اهل الحي يشهدون بما كان فلماذا لا يدعوني ابنهُ كما يفعل كل انسان * فقالت لهُ زبيبة والله يا ابنيّ يعزُّ عليَّ ذلك وكانهُ يخاف ان اعطاك النسب ان لا تطيعهُ على ذلك سادات العرب ويخشى ان يعيرهُ بذلك اصحاب المنازل والرتب * فقال عنتر انا احوجهُ الى ذلك ومن عيرهُ سقيتهُ كاس المهالك * وان هو عصاني وجحد مكاني ورايت كل العشيرة تطلب هواني * بذلت سيفي

الجميع سيفي وسناني ورحلت عنهم الى قوم يعرفون قدري ويعظمون شاني * واول من ان اقتل ابي ان هو لم يعترف بنسبي * واسقي عمي كاس منيته ان لم يزوجني بابنته * فقالت له امه لا تفعل يا ولدي شيئاً من هذه الفعال فقد احبتك النساء والرجال لاجل ما راوا لك من حسن الخصال * فلا تنقض ما قد بنيت فتكون قد ظلمت وتعديت * فقال لها يا أمّا ان امراة عمي بزواج ابنتها وعدتني وعلى كلامها قد عاهدتني * فقالت يا بنيّ لا تطمع في المستحيل ولا تشغل فكرك من هذا القبيل * وكيف يكون عبدٌ لا حسب له ولا نسب يطمع نفسه في بنات سادات العرب * لا سيما وانت بينهم قد ربيت وفي نعمتهم قد نشيت * فقال عنتر ستريْنَ كيف الحق نفسي بالنسب واذل بسيفي سادات ملوك العجم والعرب * ثم بات وهو قلق الفكر مشتغلاً في هذا الامر * يحاول في نفسه امرًا تعجز عنه صناديد الرجال ليشهر نفسه بين الفرسان والابطال * قال وعند الصباح اقبل الملك زهير وهو لا يصدق ان يرى اهل الحي في خير * لانه سمع ان عدوه خالفه في الطريق فخاف لن يعدم السعادة والتوفيق * حتى اشرف على الاوطان فراى الناس في امان * ولما رأوه قد اقبل في ذلك الجيش والجحفل * ركبت للقائه الرجال وتبادرت الابطال * وخرجت الاكابر والاصاغر وظهرت الاماءُ والحرائر وفي ايديهم الدفوف والمزاهر * واستقبلوه بالبشرى والبشر * واخبروهُ بذلك النصر وما فعل شداد واخوته

وعنتر بين الكرّ والفرّ * فقال الملك زهير لله درّ عنتر فلقد سدنا
بهِ على ساير القبائل ولئن طال عمرهُ ليسودنّ على كل محارب
ومقاتل * ثم انهُ نزل عن صهوتهِ ودخل على تماضر زوجتهِ * فوجدها
ايضًا تمدح عنترا وتقول والله قد حمى الحريم وقتل الغريم * وفعل
افعالا تعجز عنها سادات زمزم والحطيم فعظمت عندهُ
منزلتهُ وقال وحق ذمة العرب لو حكمناه في
الارواح والاموال لكان قليلا في مقابلة ما
ظهر منهُ من فعل الاحسان وحسن
الافعال ثم امر من وقتهِ بذبح
الاغنام وترويق المدام ثم
خرج الى وسط
الحي
م

الكتاب الثاني من سيرة عنتر بن شداد

قال الراوي ثم خرج الملك زهير الى وسط الحي وضرب لهُ سرادقًا من الديباج ونصب لهُ سريرا من الابنوس والعاج مصفحًا بالذهب الوهاج * واجتمعت حولهُ السادات والفرسان والامراءُ والشجعان وحضر الربيع بن زياد واتى ايضاً بنو قراد وزخمة الجواد ومالك وشداد وعنتر وفرسانهم الاجواد * وتقدم عنتر الى بين يدي الملك عدة مرار وعاد فوقف في الخدمة مع العبيد الحضار * فقال الملك زهير وذمة العرب * ما تجلس الا بين السادات اصحاب الحسب والنسب فوحق من ادار الافلاك وقضى على الانفس بالهلاك * لا شربت قدحي الا انا واياك ولا كان لي نديم سواك * ثم امرهُ بالقرب منهُ فتقدم وبش في وجههِ وتبسم وقدم لهُ الطعام فاكل معهُ هو والربيع بن زياد * وكذلك بقية الفرسان والاجناد * ثم دارت عليهم الكاسات وعزفت القينات وضربت بمزاهرها المولّدات وطابت لهم الاوقات وامنوا من طوارق الحادثات هذا والملك زهير قد جعل عنترًا خاصته ونديمه وسميرهُ وكليمهُ * وكلما اراد ان يقف في الخدمة منعهُ وسقاهُ وقربهُ وادناه الى ان لعبت الخمرة بعقل شاربها وتفرقت العرب الى مضاربها * وقدَّم الملك زهير شدادًا اليهِ وقربهُ وخلع عليهِ واركبهُ فرسا من جنايبهِ التي بين يديهِ * وخلع على عنتر خلعةً لا يلبسها الا الاكابر اهل الرتب او

ميرمن امراء العرب وعممهُ بعمامة معلمة بالذهب وقلدهُ بسيف محلى مشطب * وخرجوا من بين يدي الملك زهير وهم بانعم بال واحسن خير * ولما قرب شداد من ابياتهِ ترجل عنتر في خدمتهِ حتى وصل الى خيمتهِ والطيب يفوح من ثيابهِ وهو ثملٌ من شرابهِ ولما وصل ترجل شداد عن ظهر جوادهِ وقبل عنتر يدهُ وقال يامولاي لماذا لا تعرف حقي كما عرفهُ القريب والبعيد *وتبلغني منك ما اريد فقال وما الذي تشتهي قل لي ما حاجتك حتى اقضيها وابلغ نفسك امانيها * وكان شداد يظن انهُ يطلب نوقاً يقتنيها او ابياتاً يأويها فقال يامولاي اني احب ان تلحقني بالنسب *وتنزع عني عار العبودية من بين العرب * وانا اكافيك بشيء لا يقدر عليهِ انسان * واترك سادات العرب تخدمك في كل مكان * واسوق اليك اموال العربان * واساويك بملوك الزمان * قال فلما سمع شداد كلام عنتر قامت عيناه في ام راسهِ * وانزعجت جميع حواسهِ * وقال والله لقد حدثتك نفسك بامرٍ يعفر لاجلهِ رمسك * وقد لعبت خلعة الملك زهير بعطفيك * ودخل كلامهُ في اذنيك *وطلبت انك تفضحني وترتفع * وتتركني حديثاً لمن تحدث وسمع * والله ياابن المتنة الاطين والواسعة الشدقين * ما بقى لك جواب على هذا الكلام الا ضرب الحسام * ثم جرَّد حسامهُ وهجم عليهِ *وقد تهاربت العبيد من بين يديهِ * وسمعت زوجتهُ سمية فخرجت من الخبا مكشوفة الراس* منشورة الذوايب منزعجة الحواس *ووقعت في

Digitized by Google

صدر شداد وقبضت السيف بيدها وقالت والله لا امكنك من
قتله لانني ما انسى فعالهُ * ولا يضيع منك صنيعةٌ واعمالهُ * وان
كان قد طلب منك شيئاً لا يصلح لهُ * فان السكر قد غير عقلهُ * وما
زالت ببعلها حتى سكن غضبهُ الذي كان قد انتهى اليهِ * ثم ادخلتهُ
الخباء واضجعتهُ والسكر قد غلب عليهِ * واما عنتر فانهُ استعظم زلتهُ
واستكبر فعلتهُ واستحى ان يصبح في ابيات بني قراد * ويقع نظره ايضا
على نظر ابيهِ شداد * فما كان لهُ داب الا انهُ قصد ابيات مالك
ابن الملك زهير ومضى اليهِ وامر بعض العبيد ان يستاذن لهُ
بالدخول عليهِ * وكان مالك بن زهير قد عاد من وليمة ابيهِ *
وهو فرحان بما نال عنتر من المرتبة الرفيعة لانهُ من اصدقائهِ ومحبيهِ
فلما همّ ان ينام دخل عليهِ عبده واستأذن منهُ بدخول عنتر فاندهش
لذلك وتحير * وقال لعبدهِ مرهُ بالدخول فوالله هذه ابرك الليالي
بزيارة عنتر والمكان من الرقيب خالي فدخل وهو جاري الدموع
بفوادٍ موجوع * فقال لهُ مالك اهلا وسهلا ومرحبا * ثم قربهُ
واجلسهُ جانبهُ مترحبا وسالهُ عن حالهِ فحدثهُ بما فعل ابوهُ شداد
حين طلب ان يلحقهُ بالنسب * وكيف اراد قتلهُ من شدة الغضب *
وانهُ لولا سمية تخلصهُ لكان جرعهُ كاس العطب * فقال لهُ مالك
والله يا عنتر لقد جنيت على نفسك بما عملت * فما الذي حملك على
ما فعلت فاطلعني على امرك ولا تخفهِ في صدرك وانا ابلغ معك في
تدبيري غاية الجد * والا انفتح عليك من هذا بابٌ لا يسد *

فاضطرب عنتر عند ذلك * لما سمع كلام مالك * وقال والله يامولاي ما حملني على هذا الا الهوى * الذي هد كتمانهُ مني العزايم والقوى * ولولا تلهب قلبي بالنيران لم يجرِ عليَّ الليلة هذا الحدثان بل كنت كتمت هواي وداءي حتى يكون موتي وفناءي * وانت على كل حال مولاي * وقد كفيتني شر اعداي ومن لي بمثلك لشكواي * واعلم يامولاي اني احب عبلة بنت مالك بن قراد وهي التي طيرت من عينيَّ لذيذ الرقاد وابتلتني بطول العناء والسهاد * وما طلبت من ابي النسب الا لكي اتسبب الى وصالها بهذا السبب والقي نفسي في كل مهلك وعطب واملأ عين عمي مالك بالفضة والذهب * فاما ان ابلغ الارب او اهلك على يد بعض فرسان العرب * واستريح من عيشي الذي لا التذ فيهِ بنوال الطلب * والآن قد انقطع مني الرجا وضاق صدري ولا امل فرجا * ولم يبق لي مقام الا مع الوحوش في البراري والآجام لا التذ بمنام او القى كاس الحمام * ثم زاد بهِ الامر فتنهد وبكي وأن واشتكى وتحسر حسرات متتابعة تدل على نيران تتلظى في احشاه وان مالكا بكى على بكاه ورثي لبلواه وانشد عنتر يقول

أَأُخفي غرامي في فؤادي واكتمُ * واسهرُ ليلي والحواسد نوَّمُ
واطمع من دهري بما لا انالهُ * والزمُ منهُ ذيل من ليس يرحمُ
وارجوا التداني منك يا ابنة مالكٍ * ودون التداني نار حربٍ تضرَّمُ
فمني بطيفٍ من خيالك واسألي * اذا عاد عني كيف بات المتيمُ

ولا تحزني ان لج قومك في دمي * فما لي بعد الهجر لحم ولا دم
ولا تساءمي نوح الحمايم في الدجى * فمن بعض اشواقي ونوحي تعلم
ولم يبق لي يا عبل شخص معرف * سوى كبد حرا تذوب وتسقم
وتلك عظام باليات واضلع * على جلدها جيش الصدود مخيم
اذا عشت من بعد الفراق فما انا * كما ادعي يا عبل في الحب مغرم
وان نام جفني كان نومي علالة * اقول لعل الطيف يأتي يسلم
احن الى تلك المنازل كلما * غدا طائر في ايكه يترنم
بليت من الهجر المضر وانني * صبور على جور الهوى لو تحكم

قال الراوي فلما انتهى عنتر من ابياته وشكى بعض ما يجد من نيرانه وتصاعد زفراته تساقطت دموعه على وجناته * فقال له مالك والله يا عنتر لو اعلمتني بهذا الخبر قبل ان ذاع واشتهر لكنت توصلت فيه بروحي وما املكه من اللالى والبدر * وكنت دبرته بعقل سديد وراي اكيد * واما الان فقد فسد الامر واستبدل التمر بالحجر وانا اعلم ان عبلة تحتجب عنك من اليوم في خباها ولا تعود تراها * لان اباها اذا علم انك تطلب من ابيك انه يلحقك بالنسب يعلم انه من اجل ذلك السبب * فلا يعود يمكنك ان تلم بابياته وربما القاك في بعض المهالك ولا تامن على نفسك بعد ذلك والصواب انك تقيم عندي ههنا * حتى اتحدث مع ابي ننظر لك تدبيرا حسنا * فقال عنتر والله يا مولاي ما بقيت اقدر ان اقيم في الحي الى ان تنطفي هذه النار وينسى هذا الحديث الذي صار *

واكون اول النهار اخرج الى البر والصحراء ولا اعود الى المساء * لاني ما بقى لي عين ابصر بها احدا من الناس * ولا سيما عمي مالك وولده عمرو والربيع بن زياد واخوك شاس * وبعد ذلك قطع هو ومالك بن زهير الليل والظلام بشرب المدام * الى ان صار وقت الغلس وكاد ضوء النهار يتنفس * فركب عنتر الجواد واعتد من بيت مالك بعدة الجلاد * وسار حتى بعد عن الابيات وهو لا يدري الى اين ياخذ من الجهات * وقد ضاقت عليه المذاهب وغلقت في وجهه ابواب كل الجوانب * وصار يهيم ذات اليمين وذات الشمال بين الروابي والتلال * الى ان تضاحى النهار عليه واتسع البر في عينيه * ففاضت دموعه وتهاطلت على خديه * وتذكر فعل ابيه وقومه معه بعد ذلك الصنيع الذي صنعه * فانشد يقول

اعاتب دهرًا لا يلين لعاتبٍ ... واطلب امنًا من صروف النوائبِ

وتوعدني الايام وعدا تغرني ... واعلم حقًا انهُ وعد كاذبِ

خدمت اناسًا واتخذت اقاربًا ... لعوني ولكن اصبحوا كالعقاربِ

ينادونني في السلم يا ابن زبيبةٍ ... وعند صدام الخيل يا ابن الاطايبِ

ولولا الهوى ما ذل مثلي لمثلهم ... ولاخضعت اسد الشرى للثعالبِ

ستذكرني قومي اذا الخيل اصبحت ... تجول بها الفرسان بين المضاربِ

فان هم نسوني فالصوارم والقنا ... تذكرهم فعلي ووقع مضاربي

فيا ليت ان الدهر يدني احبتي ... اليَّ كما يدني اليَّ مصائبي

وليت خيالًا منك يا عبل طارقًا ... يرى فيض جفني بالدموع السواكبِ

ساصبر حتى تطرحني عواذلي   وحتى يضج الصبر بين جوانبي
مكانك في جو السماء محلهُ   وباعي قصيرٌ عن نوال الكواكب

قال الراوي ثم انهُ سار في غير مقصد وهو ينظر الى البر والفدفد واصبح الحي يموج بحديثهِ وحديث ابيهِ شداد * وشمتت بهِ الاعادى والحساد وقالوا يا فضيحتنا بين العرب اذا علموا ان اولاد الزنا شاركونا في الحسب والنسب وسمع ابو عبلة هذا الحديث فزاد بهِ الغضب * وقال ما بقى لنا غنى عن قتل هذا العبد ولد الزنا وان انتصر لهُ الملك زهير وولدهُ مالك وعجزت عن ذلك قتلت انا ابنتي عبلة ولا يمكن ان اقيم في الحلة واجلب على نفسي عارًا في الجملة فقال لهُ شداد اما قتلهُ جهرًا فليس بصواب لاجل الملك زهير ومن لهُ من الاحباب * ولكن نحن نهلكهُ بحيث لا يعلم بهِ احدٌ اما في صيد وقنص واما انفذهُ الى مهلكة لا يكون لهُ منها مخلص * هذا ماجرى من هولاء واما شاس بن الملك زهير فانهُ لما سمع ذلك وعلم انهُ في بيت اخيهِ مالك تقلد بسيفه وطلبهُ معولاً على قتالهِ وقال لا ابالي ان رضي او غضب لاجلهِ ثم ذهب الى بيت اخيهِ مالك فما وجدهُ فسال اخاهُ عنهُ فجحدهُ * وقال لهُ يا اخي ماذا تريد منهُ فقال اريد ان اقتلهُ واعجل عليهِ اجلهُ ومن تعصب لهُ فعلت بهِ مثلهُ فتبسم من كلامهِ مالك وقال لا تفعل يا اخي فانهُ لم يركب جنايةً يستوجب عليها القتل والعذاب وانما طلب لنفسهِ العلو كما يفعل كل احد وتحدث مع ابيهِ وهو سكران وما على السكران عتاب *

Digitized by Google

وقد اعترف لما صحا بذنوبهِ القباح * ومن اعترف بذنبهِ فما عليهِ جناح
ومن شدة حيائهِ طلب الفلاه وربما التجا الى بعض احياء العرب ولا تعود
تراه * فقال شاس الى حيث لا يرجع ولا يصبر ولا يسمع وحق الركن
والحجر والبيت العتيق المطهر ان وقعت عيني عليهِ لاقطعن راسهُ من
بين كتفيهِ * على انك انت وابي اطمعتماه فتجاوز حده وتعداه * لانهُ
ما طلب الحاقهُ بالنسب الا ليتزوج بعبلة بنت مالك وهذه غاية
الوقاحة وسوء الادب لانهُ بالامس كان من خدامها ويريد
اليوم ان يصير مالك زمامها * وكان مالك يظن ان عنترًا يعود
اليهِ عند المسا من الصحرا فما عاد في تلك الليلة ولا في الليلة
الثانية * فضاق صدر مالك لانه كان يحبهُ محبة صافية ومن
شدة ما جرى عليهِ اعلم اباه بذلك * فنال قلب زهير منالٌ عظيمٌ
وعتب على مالك * وقال لهُ ويحك ياولدي لماذا ما اعلمتني حتى
كنت اتوسط نوبتهُ مع ابيهِ واتخذه الى ابياتي وازوجهُ من اراد
ولو طلب احدى بناتي * فقال والله يا ابتاه كنت خائفاً من وقوع
الفتنة وجلب المحنة لاني رايت مبغضيهِ اكثر من محبيهِ فخفت ان يثور
الشر ويعظم الامر علي انهُ خرج من عندي الى البر وقت السحر
وقلت انهُ يعود في المسا على الاثر والى الان لم يحضرني منهُ
خبر * فقال الملك زهير لولده مالك لقد فرطت في امرهِ ولا
بدلي من ان انفذ احدًا في اثرهِ * لاني اريد ان اقف على اخباره
واعيده الى دياره * هذا ما كان من هولاء * واما ما كان من عنتر فانهُ

عند خروجه من الحي سار حتى ابعد عن الديار وصار يتلفت الى اليمين واليسار * فراى بين يديه خيلا سايرة وعليها نحو اربعين فارسًا غايرة * وهم بسيوف تلمع ورماح شرع وخيل تنهب الارض نهبا وتقطع الارض في سيرها وثبا فحرك عنتر جواده ومال اليهم حتى اقبل عليهم واذا هم من بني عبس والمتقدم عليهم امير يسمى غياض بن ناشب وهو فارس معدود على خوض الشدايد والنوائب ولقاء الاهوال والمصائب وكان سايرًا في تلك الجماعة يطلب الغارة والمكسب من بعض قبائل العرب * فباداهم عنتر بالكلام وسلم عليهم فردوا عليه السلام * وقال له غياض بن ناشب * الى اين انت ذاهب * فقال والله يابني العم كنت خرجت اطلب الصيد فرايتكم سايرين وعلمت انكم تقصدون بعض الاحياء غايرين فملت اليكم اطلب مرافقتكم لعلى اكسب مما تكسبون واصيب مما تصيبون * فقال غياض اهلا وسهلا سرْ على اسم الله فنحن نبلغك ما تريد ونفضلك على ساير العبيد * فقال عنتر وما معنى هذا الكلام ايها السيد الهمام فقال ان العبد اذا غزا مع الاحرار له ربع سهم ولكن انت ما نساويك بغيرك من اهل العبودية * بل نعطيك نصف سهم على وجه الهدية * لاجل ما فيك من الشجاعة والحمية * فقال بعض الفرسان والله ياغياض ان عنترًا يستاهل نصف سهم واكثر ولو كان له حسب ونسب لكان يستاهل مثل ثلاثة فرسان من العرب * لاجل ما فيه من الثبات عند الحرب

والخبرة بمواقع الطعن والضرب * فقال لهم عنتر باقوم اسمع مني وانصفوني ولا تبغوا عليَّ ولا تظلموني انا اكبس الاحياء وحدي * واذا نفرت الخيل لقيتها بقوة ساعدي وزندي وتعطوني قسماً كاملاً من غير ظلم ولا تعدي * فقالوا والله لقد انصفت في مقالك وانك تستحق اوفى من ذلك ولكن انما نخاف من معيرة العرب اذا قسمنا على ابن الأمة مثل ابن الحرة المكرمة * فقال لهم عنتر اعطوني النصف كما تريدون حتى لا تكونوا خرجتم عن سنة العرب ولا يقع عليكم لومٌ ولا عتب * فقالوا نعم رضينا بذلك فسِرْ معنا على اسم الله وهو ما لك المما لك * قال فساروا القوم يقطعون القفار في الليل والنهار حتى خرجوا من احياء بني عدنان ودخلوا في ارض اعدايهم بني قحطان واشرفوا على بعض حلل العربان فراوا نعماً لا تُحصى وخيرات لا تستقصى والحي يضج بساكنيه ويرتج بقناطنيه وفي ذلك الحي قبابٌ مضروبة وخيامٌ منصوبة وخيول مجنوبة ورماح شارعة وسيوفٌ لامعة والخيل تلعب على مقاودها كانها الغزلان * وهي مختلفة الالوان من اصفر كالذهب واسود كالغيهب واحمر واشهب وابيض وازرق واشقر وابلق والقوم امنون من الطوارق غافلون عن البوايق فانصب عليهم عنتر ومن معه انصباب الغيث الدافق وانقضوا عليهم كالبواشق فقال غياض يابني عمي هذه حلة كثيرة الاموال قليلة الرجال فدونكم اياهم قبل ان يحول النهار وترجع عبيدهم والاحرار * ثم انه زعق في اوايلهم وحمل وتبعته الفرسان الذي معهُ مثل الغيث

Digitized by Google

اذا هطل فساقوا الجمال من بين الاطناب واخذوا الكواعب والاتراب فركبت رجال الحي لترد الحريم فردها بنو عبس على الاعقاب وطرحوا اكثرهم على التراب وسطا عليهم عنتر بسطواته وابعدهم عن المال بحملاته وتواتر طعناته وكان في الحلة فارس يقال له الحارث بن عباد اليشكري كان قد غضب على قومه ونزل على هولاء القوم خرذان وكان له عندهم مدة من الزمان فلما رأى هذه المحنة طرقتهم * وفرسان بني عبس دهمتهم عمد الى مهر له ادهم كانه الظلام او سحابة من غمام * وكان يقال له الابجر وامه يقال لها النعامة وبها تضرب الامثال في ارض نجد وتهامة * وابوه جواد يقال له واعل تحسر عليه جميع القبايل * فلما صار الحارث على ظهره صاح بين اذنيه فطار من بين البيوت كانه بعض العفاريت الطيارة او زرق الشهب السيارة * ووثب وثبات مقدار كات حتى صار على اعلى الربوات وامن صاحبه من الحوادث والافات * فلما راه عنتر تعجب منه كل العجب وتحسر قلبه وتلهب وعلم انه ان طلبه لا يلحقه الجواد ولا يبلغ منه المراد وكان بنو عبس قد قلعوا الاحياء بما فيها وملكوا الاموال والخيول * وعنتر عن كل هذه الامور مشغول * وفكره في هذا الجواد يخبط ويجول * ثم اطلق عنانه نحو ذلك الفارس ووجهه كوجه الغول عابس * ولما راه الحارث اليشكري طالبه ما اكترث به حتى قاربه فدق جنبات المهر بكعبيه * وصاح بين اذنيه واطلق له العنان فمر به مر البرق وقت اللمعان وصار عنتر

يطلب ان يدرك نظره مواقع حوافره او يرى خياله بنواظره فاعجزه ذلك ولم يقدر عليه وفي دون لمح البصر غاب عن عينيه وخيل له انه سهم قد مرق او برق قد خفق * فوقف وقد زاد به القلق ونسي عشق عبلة بهذا المهر الذي يجب لمثله ان يعشق * وعاد وهو يتمنى ان يرجع يراه ولو قدر بروحه لكان اشتراه * وساق بنو عبس الغنايم الى ان صاروا في القفار وهي ما لا يحصى من الخيول والجمال والمهار وقالوا لعنتر يا ابن زبيبة تسلم هذه الاموال وسر حتى نتخلف نحن لمن يتبعنا من الرجال لان هذه الارض كثيرة الطارق وما تات من الحوادث والبوايق ففعل عنتر ما امروه وقد علم انهم احتقروه فاسرّها عنتر في نفسه وصاح بالعبيد فساقوا بين يديه الغنيمة وقد وقع له في قلوبهم هيبة عظيمة لاجل ما نظروا من حملاته وما شاهدوا من طعناته وما زالوا يسوقون الاموال والنسا يبكين على المنازل والاطلال ويندبن على من قتل لهم من السادات والابطال حتى غاب بنو عبس عن عيون عنتر وصار بينهم فرسخ من الطريق او اكثر وعنتر يتلهب بنيران الحريق كيف يخرج من تلك الارض والمنازل * وما حظى من هذا الجواد بطايل * الا انه ما غابت بنو عبس عن عيونه * حتى طلع الفارس المقدم ذكره عن يمينه والمهر تحته وهو بين الروابي يهيم وفي قلبه مما جرى على الحي نيران الجحيم فلما راه عنتر نادى وافرحاه بعد ترحاه بالله ايها الفارس قف قليلا واسمع خطابي ولك الذمام مني ومن اصحابي فوقف الحارث

وقال يا اكرم العبيد تكلم بما تريد فقال اريد ان تبيعني هذا
الجواد الذي انت راكبهُ * والا فاهدني اياه ان كنت انت صاحبهُ
فتبسم الحارث من كلام عنتر وقال يافتى والله العظيم لو انك سألتني
فيهِ قبل ان تفعل باهل الحي هذه الفعال كنت قدتهُ اليك ومعهُ
قطعةٌ من الجمال * ولكن يافتى هذا الجواد نجم راكبهِ مسعد *
وعدوهُ على كل حال مكمد * واذا وقع صاحبهُ في شدة مر بهِ مثل
مرور الرياح وطار بهِ من غير جناح * واذا كنت ما سمعت بهِ فهذا
الابجر ابن النعامة الذي تضرب بهِ الامثال في نجد وتهامة * وابوهُ واصل
الذي لا نظير لهُ في خيل جميع القبايل * ولم يكن مثلهُ عند كسرى
ولا قيصر ولا ملوك بني الاصفر * ولاكن يافتى ما ابيعك اياه الا برد
الغنيمة وعزيز عليَّ ان انزل عنهُ بهذه القيمة * فانكم قد متم علينا
بالشر وسفك الدماء وصرتم لنا من الجملة الاعداء ولكن اذ قد وقعت
عينك عليهِ ومال قلبك اليهِ * فانا لا امنعك منهُ ولكن استردُّ الغنيمة
عوضاً عنهُ * ولا تظن اني تركت قتالكم خوفا من المنية بل خوفاً
على هذا المهران يصيبهُ سوء القضية * فما انا بحول الله جبان *
ولا رعديد الجنان * ولكنني فارسٌ صنديد وذو بأس شديد *
وقد عارضتكم وسرت خلفكم وانا اظن ان ارى فرسان الحي
قادهم عليكم ويخلصوا الحريم والاموال منكم ويحلوا حتفكم *
لانكم دهمتم الحي وليس فيهِ رجال وما كان فيهِ الا الحريم والعيال
فان كنت توافقني في المروة وحسن الشيم فرد العبيد ودعها

ترد المال والسبايا الى الاوطان * وخذ هذا المهر الذي هو اعجوبة الزمان واعطنا من قومك الامان * ولا تظن انك في الشراء خاسر وانا الرابح فوحق ذمة العرب لو لم اكن نزيلاً عند القوم ما كنت عنهُ بسامح * فلما سمع عنتر هذا الكلام علم انهُ من اهل الكرم فاشتهى ان يساويه في حسن الشيم * فقال لهُ يافتى اشتريت منك هذا المهر بهذه الغنيمة ولك عليَّ بعد ذلك المنة العظيمة * وهذه يدي لك بالذمام وان عارضك احدٌ من قومي جالدتهُ بالحسام * ثم عاهدهُ واعطاهُ يدهُ على ذلك الكلام * فلما استوثق منهُ باليمين نزل عن المهر وسلمهُ اليهِ واعطاهُ عنتر جوادهُ ليعود الى منزلهِ عليهِ * وامر عبيد القوم ان يسوقوا السبايا والاموال وتعود الى المنازل والاطلال فرجعوا وقد علت منهم اصوات الافراح وعاد فسادهم الى صلاح واخذ بهم الحارث في عرض البر الاقفر وعنتر يرعاهم حتى غابوا عنهُ وقد نال الحصان الابجر وحصل على ما كان عليهِ يتحسر * ولكن ما غابوا عن عينيهِ حتى طلعت فرسان بني عبس عليهِ * فراوهُ وحدهُ والغنيمة ليست عندهُ * فقالوا لهُ ويلك يا ابن الامة الزنيمة اين تركت الغنيمة * فقال يا بني عمي بعتها بهذا الحصان وتركت لكم في هذه الارض شكراً طول الزمان * لاني رايت صاحبهُ حميد الشيم بادي الجود والكرم كثير الغيرة على الحرم * وسمعت منهُ كلام اهل المروة فاشتهيت ان اساويه في الفتوَّة * ولا اترك لنا في هذه الارض سمعةً قبيحة ولا عاراً ولا فضيحة * والبر قدامنا واسع والرب ناظر وسامع

وهو المعطي والمانع * وان شاء الله لا نعود الا بما نريد ونرجع بالاموال والعبيد * قال فلما سمع غياض بن ناشب هذا الكلام غضب وزمجر كما يزمجر الاسد الضرغام * وقال ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا * نحن ما رضينا ان نعطيك مثل واحد منا واخذت الكل وما سالت عنا * وبعت واشتريت وتصرفت في اموالنا كما اشتهيت فقال عنتر يا بني عمي الان قد كان ما كان وانا اخلفها عليكم غير هذا المكان * وان طلبتم قتلي مانعت عن نفسي بهذا الحسام ولا اعيش مفسوخ الذمام * قال فزاد بغياض الغضب من هذا الكلام وقال لاصحابه ويلكم اسقوه كاس الحمام وردوا الغنايم والاموال والانعام والا افتضحتم في القبايل وصرتم مثلاً لكل قائل * فعندها هاج بنو عبس وتاهبوا لقتله مجازاةً له على فعاله * فعند ذلك انفسخ عنهم عنتر بجواده ونزل عنه وشد حزامه وافتقد عذاره ولجامه * وعاد الى ظهره اسرع من البرق وقد اظلم في عينيه الغرب والشرق وصال وجال واوسع في المجال * وراى نفسه قليل الناصر في كل حال * فعاتب دهره وانشد وقال

اعاتب دهراً لا يلين لناصح * واخفي الجوى في القلب والدمع فاضحي
وقومي مع الايام عونٌ على دمي * وقد طلبوني بالقنا والصفايح
وقد ابعدوني عن حبيب احبه * واصبحت في قفر من الارض نازح
وقد هان عندي بذل نفس عزيزة * ولو فارقتني ما بكتها جوارحي
وايسر من كفي اذا ما مددتها * لنيل عطاء مد عنقي لذابح

فيارب لا تجعل حياتي ذميمة * ولا موتتي بين النسا النوائح
ولكن قتيلاً يدرج الطير حوله * وتشرب غربان الفلا من جوارحي
رعى الله انساناً اضاف بمعشر * واصبح أمارا لنا بالمصائح
ولما رأنا قد طرقنا ديارهم * على كل جوال من الخيل سابح
وعدنا باموال وبيض كواعب * خسان باكفان ثقال رواجح
فدا هن بالمهر الذي ليس مثله * وباع الفتى بيع الكريم المسامح
ومن رام منكم يابني عبس قتلتي * فاني له في الحرب أكبر فاضح

قال الراوي فلما سمع بنو عبس كلامه وقفوا عن قتاله وتاخروا عن نزاله وصار بعضهم يحرض الآخر ويتاخر * وكان غياض قد تقدم فرجع ورائه وتقهقر فقالوا له ياغياض تشير علينا بالقتال وتتأخر وقت النزال * فقال غياض يابني عمي والله ما تاخرت عنه الا انني ذكرت له واقعة جرت * فضعفت نفسي وانكسرت فقالوا وماذا الذي ذكرته منه نريد أن تحدثنا عنه * فقال رايته يوما وقد اعطاه الملك زهير فرسا فاخذه ليلجمه فتعاصى عليه فمد يده ومسك الفرس بقوايمه وشاله على يديه حتى بان سواد ابطيه وجلد به الارض فخلط بعضه بالبعض * والعاقل لا يتعرض له بقتال * فيتركه مطروحا على الرمال * فلما سمعوا ذلك المقال وقعت في قلوبهم الاهوال * فقالوا لغياض تقدم يا ابن العم اليه وامنن بالغنيمة عليه ولا تدعه يشعر اننا خفنا منه الا يزيد طمعه فينا ويقول لنا ما اخيلكم تروحون حتى اخذ خيلكم وسلاحكم

والا انهب ارواحكم فتقدم غياض اليه وقال ويحك يا ابن العم
اما تستحي ان تقاتل بني عمك وتشهر في وجوههم السلاح لما طلبوا
منك المزاح فما قدر هذه الغنيمة التي اخذت بها الجواد الذي
تقاتل عليه اعدانا وتكفينا شر العباد فكف عنا شرك فما نحن
جاهلين قدرك لانك سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل * قال ولم
يزل غياض ابن ناشب يلاطفه حتى لان وقال والله يا ابن العم ما انسى
جميلكم ابدًا ولا اريد ان يصيبكم الذل والهوان * ولكن اذا بلى
الانسان بمن يطلب قتله دافع عن نفسه حذرًا من حلول رمسه
وقد اعتذرت اليكم فما قبلتم عذرى بل احتقرتموني وجهلتم امري
والان ما انا الا عبدكم بسيفكم اضرب وبباسكم اغلب * وعاد غياض
وهو يقول لقومه يا بني العم قد طلب منكم هذه الغنيمة فتنزلوا عنها
وهو ان شاء الله يعوض عليكم مرةً اخرى باحسن منها * فقالوا له
كلهم قد وهبناه الغنيمة اجمعها وبيننا وبينه نسبةٌ لا نضيعها * ثم
انطفت النار بينهم من الظاهر وبقيت في القلوب والضماير * وعاد
عنتر بالابجر ونال ما كان عليه يتحسر * وكان هذا الجواد ادهم
كانه الغراب الاسحم تدوى له الاودية اذا حمحم * النجم معقود
بعذاره ولجامه والحرير ملمس جلده وعظامه * والنخله السحوق من حافره
الى حزامه ظهره حصن اذا سار واذا ركض تقول طار * كانه
القبة المبنية والعروس المجلية * قال الراوي ومن حذر عنتر على نفسه
تجنب عن بنى عبس وانفرد وساروا وقد اشتعلت في قلوبهم نار

الحسد وبعضهم تقول لبعض بئس ما فعلنا بسكوتنا عن هذا العبد
اللئيم الذي كانهُ الشيطان الرجيم * والله ان هذا اذا سمعت بهِ
العرب تقول ان بني عبس خانت اموالها وغنايها لهذا العبد خوفاً
من العطب * فماذا يكون هذا العبد السوء حتى نعود نحن بالخيبة
ويعود هو بالغنيمة والهيبة * هذا يجرى بينهم وعنتر ساير بجذائهم
لا يلتفت اليهم ولكن عينهُ لا تزال عليهم * وقد علم انهم يتشاورون
في امرهِ فاحترز منهم على نفسهِ ونوي ان كل من عارضهُ منهم
اسكنهُ في رمسهِ * قال ولم يزالوا الى ان صار وقت المساء فاذا
هم على ارض فيها وادٍ واسع الفضاء * فنزلوا في ذلك الوادى
وبات عنتر حارساً حولهم وكان اكثر حرسهِ لنفسهِ لا لهم * حتى
ظهر الصباح بالاشراق وعولوا على الانطلاق فلاح لهم هلال
على هودجٍ مجلل بالديباج المدنر موشح بوشايح الحرير الاصفر والاحمر
علي ناقة عالية السنام مليحة الخطام * وحولها جماعة من العبيد والاماء
بالدفوف والمزاهر ومعها ستون فارساً متقلدين بالسيوف البواتر
معتقلين بالرماح الخواطر * فلما نظر بنو عبس ذلك علموا ان في
الهودج عروساً قد اخذوها من اهلها وهم يسيرون بها الى بعلها
فقالوا هذه غنيمة قد ساقها الله الينا وخفف بها علينا * ثم انهم
اكبوا روسهم في قرابيس سروجهم * واغاروا عليها وساقوها
مع كل من حواليها فتزاعقت الفرسان التي معها وحملت على
بني عبس اجمعها فتلقتها بنو عبس بضربات قاطعات وطعنات

Digitized by Google

نافذات * فقتلوا منهم خمسين وعاد منهم عشرة منهزمين * والى اهلهم طالبين *ووقع الفرح في قلوب بني عبس لاجل تلك النصرة العظيمة والتعويض عليهم من تلك الغنيمة *ثم انهم ابركوا الناقة فاذا في ذلك الهودج جارية مثل القمر اومثل الصباح اذا سفر* وعليها كثير من حلل الوشي والديباج المرصع بالمعادن والجوهر الوهاج * وبين عينيها درة تلتهب كالنيران وهودجها كانه مقصورة من مقاصير الجنان فاندهلوا من ذلك الاتفاق البعيد وسألوا عنها بعض العبيد فقالوا لهم ياوجوه العرب وسادة الحي هذه اميمة بنت يزيد بن حنظلة الملقب بشارب الدما سيد بني طي * وبعلها ناقد بن الجلاح الملقب بفارس اليمن وحامية صنعاء وعدن وقد جسرتم على امر عظيم وركبتم طريقاً من الخطر غير مستقيم* قال فصاح بهم غياض وقال لهم ويلكم ياعبيد السوء هذا عظيم عندكم لا عند بني عبس الذين لا يبالون بكل من طلعت عليه الشمس * ثم ساروا يقطعون القفار والجارية في هودجها تضج بالبكاء وتذرف الدموع الغزار * وكان عنتر قد سمع من العبيد صفة ابيها وبعلها وعلم انهما لا بد ان يلحقاهم وعن المسير يعوقاهم وسمع ايضاً محاورتهم من اجله وكيف قد عولوا على قتله * ورأى قلة عنايتهم به * فحقد عليهم في قلبه * وقال في نفسه والله لاعرفنهم قدرهم في هذا المكان ولا ارجع اجاور عبساً طول الزمان * ثم تقدم اليهم وقال هناكم الله بالنصر والظفر ياوجوه

البدو والحضر * فقال لوالهُ وانت يا ابن زبيبة ياتيك ما يسرك ويدفع
عنك ما يضرك * فقال يا بني عمي انتم تعلمون ان هذه الغنيمة اوفى
من الاولى وقد اشتهيت ان تطرحوا عليها السهام وتقسموها الى
اقسام * ليفرح كل واحد منا بقسمهِ ويحميهِ بروحهِ وجسمهِ * فقال
واحد منهم ويلك يا عنتر تاخذ الغنيمة الاولى وحدك وتاخذ قسماً
من الاخرى الذي لم تمد اليها يدك * فقال يا موالي لان الغنيمة
الاولى انتم وهبتموني اياها وما جرت عادة السادات ان ترجع
بالهبات * فقال غياض ابن ناشب صدق الرجل اطرحوا السهام
على ساير الغنيمة وابصروا ماذا يخص الرجل منكم فاعطوهُ نصف
القيمة * فقال عنتر يا وجوه العرب عاملوني بالانصاف واتركوا
الجور والاسراف * فقال غياض وما معنى هذا الكلام يا ابن اللئام
فقال اما سبق الشرط بيني وبينكم ان كل غنيمة ناخذها يكون
نصفها لي وحدي وانتم تاخذون النصف من بعدي * فقال غياض
ويلك يا ابن السوداء لقد اسمعت اذنك المحال ورميت نفسك في
قيد الضلال * فما انت الا مجنون بعد هذا المقال * فلعن الله ساعة
صادفناك على الطريق وعدمنا من اجلها الرشد والتوفيق فقال
عنتر المجنون من يرافقكم وانا ما اخذ من الغنيمة غير نصفها والا
قاتلت عليها كلها حتى تشرب روحي كاس حتفها * فعندها التفت
غياض الى اصحابهِ وقال يا ويلكم دونكم هذا العبد الاسود وقطعوه
بالسيف المهند * نحن نطرح في المخاطر نفوسنا ونبذل للسيوف رقابنا

Digitized by Google

وروسنا ويأخذ هذا العبد غنايمنا واموالنا ويطلب حربنا وقتالنا* قال
فعندها انخنت الرجال وتصايحت الابطال وابعد عنتر عنهم وجال
وما بقي بينهم الا القتال * واذا قد بان لهم غبار كالغمام السيار *
فنظروا اليه حتى انجلى للابصار * واذا قد علا من تحته الصياح *
ولمعت اسنة الرماح * وفي اوايل القوم ابو الجارية اميمة القحطاني
وهو يدمدم كالاسد وفي يده صارم مهند* وعلى راسه بيضة تتوقد*
وهو ينادي اين تذهبون يابني الزواني والطالب لكم ابن يزيد حنظلة
القحطاني قال وكان السبب في وصول هولاء القادمين العشرة الذين
سلموا من الواقعة الاولى وفروا هاربين *لانهم انقسموا قسمين فمضى
منهم خمسة الى ابي الجارية وخمسة الى بعلها وكلهم يدعون بالويل
والثبور وعظايم الامور *وكانت حلل بني طي اقرب فلما اخبروا ابا
الجارية اشتعلت في قلبه نار الغضب * وركب بثلاثماية فارس
مثل اسد البطاح غايصين في السلاح * فلحقوا بني عبس قريباً
لانه كان قد عاقهم ما جرى بينهم وبين عنتر من الخصام *الذي
تقدم عليه الكلام ولما راى عنتر الخيل قد تبادرت والفرسان قد
تواترت علم انه يوم ثقيل وعلى اصحابه طويل * فقال يابني عمي
جاءتكم الابطال واليوم يحل بكم الوبال لانكم منعتموني من
الغنيمة حتى وطلبتم قتلي وقطع رزقي* ولكن انا اسامحكم لاني في
نعمتكم تربيت وعلى خدامتكم انتشيت*وهذه الغنيمة لكم وباسيافكم
نهبتموها وبقوتكم ملكتموها *وانا كنت مزاحمكم فيها فاحملوا

وخلصوها * وقد اعترفت بذنبي وعفيتكم من حربي * فقاتلوا من
اني ياخذها منكم وها انا معتزل عنكم * فقال واحد منهم صدق
الرجل لان ما له الاما يحصل بلا تعب * ولا يحسن ان يقاتل
غيرنا دون العرب * هذا وعنتر قد طلب رابيةً عالية ووقف في اعلاها
واخرج رجلهُ من الركاب وعلى عنق جواده ثناها وصار ينظر ما
يكون من اصحابهِ فقربتهم الخيل وانصبت عليهم مثل السيل *
فالتقوها باسنة الرماح * وعلموا ان ما ينجيهم الا ضرب الصفاح
ثم اشتعلت بينهم نيران الحرب واختلف الطعن والضرب * وسالت
الادمية مثل السيل وصار النهار مثل الليل * وعظم الحَرْب
والويل وكثر على بني عبس العدد وزاد المدد وسطا عليهم شارب
الدماء واخذ الانفس الكرب والظماء وتحسروا على جرعة من بارد
الماء وملك شارب الدما ابنتهُ ومن كان معها من الاماء وطلبت بنو
عبس الهزيمة وكانت سلامة نفوسها عندها اوفى الغنيمة ونظر الى
احوالهم عنتر فرد رجلهُ الى الركاب واقتلع رمحهُ من التراب * وتحدر
من الرابية مثل العقاب * وقال اريد ان اعرّف بني عمي قدر ما
سمعت منهم من غليظ الخطاب * واخليهم يعرفون كيف
فعل اصحاب الانساب * ثم اتبع اثار القوم وقد صرخ فجاوبتهُ
الادوية والشعاب ودفع الابجر فمر بهِ مثل مرور السحاب * وهو ينشد
ويقول *

البوم تخبرنا العوالي ومضارب البيض الصقال

وتبين في الحرب العوا ن لنا العبيد من الموالي
ما الفخر عندي الملمات باللسا ن ولا بانساب الرجال
الفخر صبر في الحرو ب على الممات الثقال
ولقاء كل غضنفر متغطرس وافي السبال
فاختر لنفسك منزلاً ترقى به فالعز غال
وانا ابن سودان الجبين زبيبة راعي الجمال
الدرع عمي والحسا م ابي وهذا الرمح خالي

قال الراوي وكان بعض الخيل قد تبعت بني عبس والباقون وقفوا مع الجارية فطلبهم عنتر وصاح فيهم صيحةً زلزلت البادية * وطعن في اوساطهم فتفرقوا * وباداهم بطعناته وضرباته فتمزقوا ومن شدة الصياح سمع باقي الفرسان الذي تبعوا اصحاب عنتر * والتفت المقدم عليهم فراى ما حلّ باصحابه من العبر * فقال ياويلكم دهمتنا الرجال ولا شك ان هذا كمينٌ فيه الف من الابطال * ثم عادوا وقد قلبوا الاعنة * وقوموا الاسنة فتلقاها عنتر بطعن يسبق لمح البصر * وضرب يوافق القضاء والقدر * وقلب اقوى من الحجر * وقد اعانهُ على ذلك سرعة جواده الابجر لانهُ كان اذا طلب لحق واذا طُلب سبق * وجعل يجول يميناً وشمالاً وهو يجندل الفرسان حتى طرح اكثرهم في تلك القيعان * ونظر بنو عبس وقد انقطع الطلب عنها فراوهُ قد اوقد نار الحرب واضرمها ونكس الفرسان واجرى دمها * ولم يثبت بين يديه

احدٌ الا شارب الدما مقدمها * فقالوا والله ان هذا الفعل لا يقدر عليهِ احدٌ من ابطال العجم والعرب ويحق لهُ ان ياخذ من الغنيمة كلّ ما طلب * ثم صفت لهُ منهم القلوب * وصارت محبتهُ في قلوبهم كمحبة يوسف في قلب يعقوب * وحملوا ليعينوهُ بنيات صحاح ومدٌ الى بني طى قطع الرماح وابصر شارب الدماء هذه النوائب وقد اتت اليهِ الفرسان من كل جانب فاطلق عنان جوادهِ وولى هاربا * وللنجاة طالبا * وتبعهُ من بقي من رفقاهُ وهم لا يصدقون بالنجاة وعنتر يدمدم كالغول * وينشد ويقول

ايا نفس صبرًا عند مشتجر القنا

فان عزيز القوم من عزّ جانبه

ولا تطلبي مني الفرارَ فانني

لي الموت حلوٌ ان تقع لي مضاربه

ساحمل في الحرب العوان بهمة

اذ النقع في العيوق مدت سحايبه

وتبقى دماءُ القوم تجرى كانها

زواخر بحر فيهِ تسرى مراكبه

ايا عبلَ قد جاء العدى يطلبونني

يريدون قتلي والقضا من يغالبه

ايا عبلَ لو شاهدتني قد احاط بي

من القوم قرنٌ ثم كلت مضاربه

ايا عبل مالي اليوم في البر مسعف
سوى السيف والمهر الذي انا راكبه
ايا عبل كم من سيد قد قتلتهُ
وقد ندبت حزنا عليه حبايبه
وكم جحفل فرقتهُ وفحت معرك
وكم ملك بالطعن فرقت كتايبه
وكم فارس القى السلاح لهيبتي
اذا جئتهُ يوم الهياج احاربه

قال الراوي فلما سمعوا هذه الابيات تلقوه غير ذلك الملتقى واكثروا لهُ من المدح والثنا والدعا بطول العمر والبقا وقالوا لهُ لله دركِ من اسد اسود وصارم مهند * والله لو اخذت الارواح وملكت الاشباح لكان ذلك اقل القليل في مقابلة فعلك الجميل ثم اعتذروا اليهِ فقبل عذرهم وقال انا ما انكر فضلكم وما انا الا عبدكم من جديد وقديم وبكم اعتز في كل هول عظيم * ثم جعلوا يجمعون الاسلاب والخيول والرماح والنصول * وساروا طالبين الديار وهم في غاية الفرح والاستبشار * قال ووصل الخبر من الخمس الفوارس الاخرين الى بعل الجارية ناقد بن الجلاح المعنى المعروف بفارس اوليس وهو اسم فرسهِ التي كان يفتخر بها على بني معن وبني قيس قال وكان ناقد بن الجلاح من ليوث البطاح اوسود الكفاح لا يخاف من طعنات الرماح * وكان دابه مصارعة

الابطال وحمل النوائب الثقال وكان اذا لطم الجمل اتلفهُ واذا مسك قوايم الفرس الجاري اوقفهُ واذا هزّ الرمح الاصمّ قصفهُ * وكان مع هذه القوة والشجاعة وحشيّ الخلقة قبيح المنظر افطس الانف غليظ المشفر * وكان جرى لهُ مع ابي الجارية وقايع حتى زوجه بها * وفي هذه الايام ارسل في طلبها * فزينها ابوها واخرجها مع السبعين فارسا الذين ذكرناهم والتقاهم عنتر والاربعون الذي كانوا معهُ كما وصفناهم ووصل الخبر الى ناقد بن الجلاح فاشتعلت في قلبهِ نارٌ لا تطفى ولهيب لا يخفى * وثار من مضربهِ ثوران الاسد وغاص في الحديد والزرد وركب جوادهُ وجمع قومهُ واجنادهُ وخرج من الخيام وقد تبعهُ خمسة الاف فارس همام * وسار بهم وهو مقدمتهم يقطع القفار وفي قلبهِ لهيب النار * وهو يود لو انهُ طار حتى يلحق اعداهُ وياخذ منهم بالثار * وسار ثلاثة ايام ليلًا ونهارًا حتى خرج من ديار بني قحطان وعول ان يقصد ديار بني عبس وغطفان ويلحق عنتر ومن معهُ من الفرسان ومن شدة حرصهِ فرق الخمسة الاف فارس على الطرقات وملا بها القفار والفلوات * وكان عنتر ومن معهُ من الفرسان قد ساروا مسير الامان لما خرجوا من لرض بني قحطان وطلبوا ديارهم والاوطان وقد صفت لعنتر نياتهم وبردت لهفاتهم وداموا على مسيرهم خمسة ايام وفي البوم السادس طلع من خلفهم الغبار والقتام وثار من ساير الجنبات كما يثور الغمام * وسمعوا فيهِ صياحا يقرع الاذان

ويذهل الخواطر والاذهان فوقفوا ينظرون اليهِ ساعة من النهار حتى انكشف الغبار وظهرت تحتهُ المواكب من كل جانب ولمعت الاسنة والقواضب وناقد في اوايلهم كانهُ الاسد الواثب * وقد كشف راسهُ وخفف لباسهُ وهو ينادي اين تاخذون يابني الزواني بالحريم ولكم مثلي غريم * قال ونظرت فرسان بني عبس الى هذا البلا فهالها وكاد يقطع اوصلها * وقال بعضهم لبعض هذه فرسان بني قحطان كلها قد تحصنت با لصفاح لنهب الارواح * واليوم تباع النفوس بيع السماح * وتتخضب الاجساد بادمية الجراح * وتتكحل المقل باسنة الرماح ثم التفتوا الى عنتر فرأوهُ يتزم ويتحزم وكلما راى الخيل قربت منهُ يتبسم * فتعجبوا من قلة اكترائهِ با لرجال ومن سعة صدرهِ الى لقاء الابطال * فقالوا لهُ يا ابا الفوارس اليوم والله توخذ غنايمنا وتطير جماجمنا * فقال يابني العم الاعمار لا تنقص ولا تزيد ومن كان في اجلهِ تاخير ما يعمل في جلده الحديد ويسلم من كيد الاحرار والعبيد وانا لمثل هذا اليوم كنت اطلب واريد لاني ما خرجت من العشيرة ولي نية في العودة اليها لاجل ماتم بيني وبين ابي من الامور التي اطلعتم عليها * وانما اتفق لي معكم هذا الاتفاق وكنت عايداً الى اهلي غير طيب الاخلاق * والان قد اشتعلت نار الحرب وما بقي يشفي قلبي غير الطعن والضرب * فمن شاء منكم فليحارب ومن شاء فلينصرف وهو هارب فانا لابد لي ان اكون لكاسها اول شارب * فان سلمت كان ذلك غاية المرام وان

Digitized by Google

قتلت فاقرأوا على الملك زهير وولده مالك مني السلام ثم حرك جواده يطلب الفرسان القادمين وهو يهمهم كانه اسد العرين وينشد ويقول

اليوم تنظر ال عبس مواقفي وفعايلي في الحرب حين اجول
وترى قتالي دونها بعزيمة فبها منايا الدارعين تصول
انا فارس الفرسان والاسد الذي باسمي يخاف وصارمي مصقول
والجن تخشى ان تلم بساحتي ويخافني وسط الدحال الغول

قال الراوي ولما فرغ عنتر من ابياته حمل على القوم وحده وشمر نحوهم ساعده وزنده * فاحتاجت بنو عبس ان تقاتل معه القوم خوفا من العار واللوم * وحينئذٍ اختلطت المواكب بالمواكب واختلفت رسل المنايا بين مغلوبٍ وغالب * وندمت فرسان بني عبس على الثبات وتحسرت على ما فات وقتل منهم عشرون من السادات والباقون ايقنوا بالحتوف وعاجل الممات * فانهزموا وتشتتوا في الفلوات وما فيهم من يصدق انه قد نجا من الافات واصطلى عنتر بنفسه نار الحرب وطلب صدور الفرسان بطعنات نافذات وضربات اخف من هبوب الرياح العاصفات وحمل حملات تهد الجبال الراسيات وابصر ناقد فعال عنتر واهواله فاستعظم امره وتقدم يريد قتاله * فقال عنتر في نفسه ان انا قتلته وقعت هيبتي في قلوب الرجال وعاد بالانجر الى ورائه حتى اتسع له المجال وتبعه ناقد بن الجلاح وقد طمع فيه واستطال * وصاح في رجاله

فوقفت عن القتال واراد ان يرى زوجتهُ فعالهُ بالابطال * فعاد اليهِ
عنتر عودة الاسد الرئبال * ثم اصطدما فكانا كانهما بعض الجبال
ولعبا بالرماح الطوال حتى تحيرت فيهما عقول الرجال وجدّا في
الطعان حتى اذهلا كل انسان وما زالا كذلك حتى خدر الساعدان
وتعب الزندان وبانت الزيادة والنقصان واختلف بينهما طعنتان
فاصلتان فكان عنتر اسبق واعرف بمواقع الطعان وارشق * فوقع
سنانهُ في صدر ناقد بن الجلاح فخرج من ظهرهِ يلمع مثل نجم
الصباح * ومال الى الارض يختبط في دمهِ ويبحث بكفهِ وقدمهِ
وابصرت فرسان بني قحطان ما نزل بصاحبها فزعقت على عنتر
من ساير الجوانب وقصدتهُ بالرماح والقواضب وهي تقول لعن الله
فطستك ياولد الزنا فقد قتلت فارس قحطان وجبار الزمان *
واطلقوا نحوهُ الاعنة وقوموا الاسنة وهو عن نفسهِ يدافع ويمانع ويتعلق
باذيال الامال والمطامع ويمدّ الرجال مثل الضحايا ويوردهم موارد
المنايا ولم يزل كذلك حتى كثرت فيهِ الجراح وسال دمهُ على اسنة
الرماح الا انهُ ثبت للرماح وهي تنهبهُ * وطاب لهُ الموت وعذب
مشربهُ * ونادى بنو معن بعضهم وقد ملأُوا بكثرتهم جنبات تلك
الارض يا ويلكم اقتلوا جواد هذا العبد الشديد السواد والا افناكم
ولم تبلغوا منهُ المراد فهنا لك تقدموا وعلى قتل جواد عنتر عزموا
واذا قد ظهر غبارٌ وارتفع وبعد تفريقهِ اجتمع حتى اسودت بهِ
البراري والقفار وحجب ضوء شمس النهار * ثم انكشف للعيون

وبان من تحتهِ جيش جرار وفي مقدمتهِ فارس يتمايل في سرجهِ
كانهُ نشوان من شراب كاس العقار * وذلك الفارس فاخر الثياب
مليح الشباب وعليهِ درعٌ معلم بالذهب بصفائح مثل النار ذات
اللهب * والكل ينادون يا لعبس يا لعدنان ويتسابقون للحرب
مثل العقبان * قال وكان المقدم على ذلك الجيش مالك بن زهير
المعهود سعيهُ بالخير * وقد ذكرنا ما كان جرى على قلبهِ من فقد
عنتر وانهُ اخبر اباهُ بعد ثلاثة ايامٍ فعتب عليهِ لانهُ ما اعلمهُ قبل ذلك
بالخبر * وحينئذٍ انفذ الملك زهير خلف شداد ولامهُ على تفريطهِ في
امر عنتر وما صنع في حقهِ من العمل المنكر فقال شداد يا مولاي
والله ما كان السبب في ذلك الا اخي مالك * لانهُ كان يبكي في
وجهي ويقول ان ابنك فضحني في ابنتي وان الحقتهُ بنسبك زاد طمعهُ
فيها وما يرجع بعد هذا يخليها * ويكون اخر امري اما ان اقطع راسه
بالحسام واما ان اخذ ابنتي وارحل عنكم بسلام * فقال لهُ الملك
زهير لقد فرطتم فيهِ ولو اني علمت بهِ اخذتهُ انا الى ابياتي وزوجتهُ
باحدى بناتي * وكنت افتخر بهِ على سائر القبايل واملك بسيفه جميع
المراعي والمناهل * واي فخرٍ يكون اعظم من هذا بين العربان اذا
كانت عبيدنا تذلّ الفرسان * فوحق ذمة العرب لا بد ان اقف
على اخبارهِ واعيدهُ الى ديارهِ * ثم ارسل بعض عبيدهِ يقتفون اثارهُ
فنبلغهم انهُ رافق فرسان بني عبس وغياض بن ناشب لانهُ صادفهم
في البرية وهو ذاهب * فعند ذلك امر الملك زهير ولده مالك

ان يركب في طلبهِ وان اجتمع عليهِ لا يعود الا بهِ * فعند ذلك انتخب مالك من الابطال خمسماية فارس وساروا يقطعون الآكام ثلاثة ايام * وفي اليوم الرابع التقوا بالعشرين المنهزمين من اصحاب غياض بن ناشب فسألهم مالك عن عنتر فاعلموه بالخبر وقالوا تركناهُ والخيل محيطة بهِ والرماح تنهب جسدهُ وهو يكابد الاهوال وحدهُ * فبكي مالك وقال والله لا اعود حتى اخذ بثارهِ او اعيدهُ الى ديارهِ وجدَّ في مسيرهِ فادركهُ على تلك الحال وهو يصادم الابطال * ويتلقى بصدرهِ الاسنة والنصال * فقال مالك هلك والله ابن زبيبة واشرف على العطب وهو لا يرى على نفسهِ الهرب * وصاح في قومهِ واقتحم الفرسان واختلط بنو عبس وعدنان ببني معن وقحطان * فاختلف الضرب والطعان واتسع على عنتر الميدان فتمكنت من الطعن الشجعان * ونهبت الارواح من الابدان * وجرت الدماءُ مثل الغدران * وفعلت بنو عبس ذلك اليوم ما ازعج قلوب القوم وكانت فرسانهم بعد قتلة ناقد قد ذلَّت وابصرت هذه المصائب التي وقعت عليها فولت وما صدق مالك ان يرى عنتر سالم فكان ذلك عندهُ افضل الغنايم * ولما خمدت نيران الحرب وبطل الطعن والضرب دنا مالك من عنتر واعتنقهُ وانعكف عليهِ فترجل لهُ عنتر وقبل يديهِ وجمعت بنو عبس الاسلاب والاموال وباتوا تلك الليلة في ذلك المكان وهم في احسن حال * ومالك يحدثهُ بما جرى لهُ مع ابيهِ وكيف عتب على شداد ومالك وعنفهما لاجلهِ *

وقال له ان اباه ارسله خلفه لكي يسترضيه ويرجعه الى اهله* فسرّ عنتر بذلك وانشرح وامتلأ قلبه من الفرح* وقال يا مولاي ما كنت على نية العودة الى اهلي لولا قدومك واشتغال قلب ابيك من اجلي ومن انا حتى تحملوا لاجلي هذه الاثقال وكم لكم عبدًا مثلي يرعى جمال * قال ولما اقبل النهار عاد القوم يطلبون الاهل والديار * والاموال تنساق بين ايديهم والعبيد والاماء ومن الجملة اميمة بنت شارب الدماء وعنتر الى جانب مالك مسرور بعظمة امره وانتشار ذكره * وكلما قرب من الاوطان لعبت به الاشجان * وكلما هبت عليه الرياح زادت به الافراح * فانشد وقال

ذكرت عبلة والارماح تشتجر * والبيض مشهورة والنقع معتكر
وقد احاطت بي الفرسان واعتركت * وسط المجال وجمر الحرب مستعر
بحيث لا التقى ملجأ الوذ به * وقد تدانى القضا المسطور والقدر
فلم يكن عن بعيد الحي يبعدني * بل كاد قلبي لفرط الذكر ينفطر
وحين ايقنت اني ليس لي فرج * اتى اليّ الذي منه ليَ الظفر
سيفان من نصله سيف ومن يده * سيف لقتل العدا صمصامة ذكر
اعني به مالك الليث الهمام ومن * للاسد في غابها من خوفه الحذر
فرد عني صدور الخيل فاندفعت * مهزومة ورجال الخيل قد كسروا
وعدت وابن زهير في كتيبته * والقوم سحم وهذا بينهم قمر

قال الراوي وساروا يقطعون القفار واستنشق عنتر رياح محبوبته فجاش بالشعر خاطره فباح بما انطوت عليه ضمايره * وقال

اذا الريح هبت من زبى العلم السعدي
طفا بردها حرّ الصبابة والوجدِ
وذكرني قوماً حفظت عهودهم
فما عرفوا قدري ولا حفظوا عهدي
ولولا فتاةٌ في الخيام مقيمةٌ
لما اخترت قرب الدار يوماً على البعدِ
مهفهفةٌ بيضاءُ من سحر لحظها
اذا كلمت ميتاً يقوم من اللحدِ
اشارت اليها الشمس عند غروبها
تقول اذا اسودّ الدجى فاطلعي بعدي
وقال لها البدر المنير الا آسفري
فانك مثلي في الكمال وفي السعدِ
فولت حياءً ثم ارخت لثامها
وقد نثرت من خدها رطب الوردِ
وسلت حساماً من لحاظ جفونها
كسيف ابيها المرهف القاطع الحدِّ
تقاتل عيناها بهِ وهو مغمدٌ
ومن عجب ان يقطع السيف في الغمدِ
مرنحة الاعطاف مهضومة الحشا
منعمة الاطراف مياسة القدِّ

يبيت فتات المسك تحت لثامها * فيزداد من انفاسها ارج الندّ
ويطلع ضوء الصبح تحت جبينها * فيغشاهُ ليلٌ من دُجى شعرها الجعد
وبين ثناياها اذا ما تبسمت * مدير مدام يمزج الراح بالشهد
شكا نحرها من عقدها متظلماً * فوا حربا من ذلك النحر والعقد
ترى تسمح الايام يابنت مالكٍ * بوصل يداوي القلب من الم الصدّ
ساحلم عن قومي وان سفكوا دمي
واجرع فيك الصبر دون الملا وحدي

قال الراوي وكان عنتر ينشد ومالك يتبسم فرحاً بشجاعتهِ وعجباً من فصاحته * الى ان فرغ من ابياتهِ وهدأَت نيران زفراتهِ فقال لهُ مالك اقرَّ الله عينك وشرح صدرك وبلغك مرادك ويسر امرك فوالله لقد نشرت لعبلة ذكرًا بين الاباعد والاقارب ولا بد ان تسير بهذه الابيات الرواة الى احياء الاعارب ويشيع ذكرها في كل الجوانب فتاتي اليها الطلّاب وتكثر عليها الخطاب فقال عنتر يامولاي وحق مالك عليَّ من الافضال والمنن ما احد يقدر ان يذكرها ما دام هذا الراس مركباً على هذا البدن واذا كنت انت لي فما ابالي بطوارق الزمن * وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى الديار وسمع الملك زهير بقدوم ولدهِ مالك وعنتر معهُ وقد عاد سالمًا من الدمار * فركب وتبعهُ جماعةٌ من السادات والاجناد سوى ابنهِ شاس والربيع بن زياد ومالك بن قراد * وكان شداد قد ذكر لاخيهِ مالك ما جرى لهُ مع الملك زهير وكيف عاتبه من اجل عنتر فقال

Digitized by Google

والله ياشداد ان رجع هذا العبد سالماً وتعصبت لهُ انت وزهير تركت الحيّ وسرت في البرّ الاقفر * فقال شداد يا اخي لا تفعل ومن هو عنتر حتى انك من اجلهِ ترحل * والصواب ان ندع هيبتنا عليهِ باقية ولا نرفع لهُ راساً بين البادية * وانا انفذهُ الى كل مصيبة والقي بهِ كل كتيبة ولا ازل بهِ حتى اهلكهُ في برهة قريبة * قال وكان شداد يبرد قلب اخيهِ مالك بهذا الكلام ويرغبهُ في المقام * الى ان سمع بقدوم مالك بن زهير ومعهُ عنتر في كل خير * ورأى الملك قد ركب لملتقاهما فركب شداد واخوهُ زخمة الجواد ولم يزالا بما لك وولده عمرو حتى ركبا وساروا في بني قراد * ولما رأى مالك اباهُ قد اقبل ترجل وسعى اليهِ وكذلك فعل عنتر وقبل كلٌّ منهما يديهِ * ففرح الملك زهير وقال لعنتر اتظن يا ابا الفوارس اننا غفلنا عنك لما خرجت غضبان او طابت لنا بعدك الاوطان * فقال عنتر ايدك الله ايها الملك انني ما خرجت في زيّ حردان ولا انا الا اقل العبيد والغلمان * ولكن لما خرجت من حضرتك عثر لساني مع مولاي شداد بذلك المقال وزين لي الطمع وجه المحال فطلبت ما لا يحق لي كما تطلب الجهال وما كان لي بعد غضبهِ الا الارتحال * والان قد حملتني منةً لا تطيق حملها الجبال فلا زلت محفوظاً من حوادث الايام والليال * قال ثم التفت عنتر واذا مولاهُ شداد قد اتى اليهِ فسعى الى لقايهِ وقبل يديهِ * وانشد يقول

مولاي شداد اني جئت معتذراً

فاقبل فديتك عذر المذنب الجاني

واسمح لك الخير عما كان من زللي

وامنن بعفو وافضال واحساني

طلبت ما لم يكن حقي وذلك من * جهلي ومن سوء افعالي وعصياني
وانت اسمح من كل الكرام كما * نراك افصح من قس وسحبان
وبالشجاعة قد اصبحت منفرداً * يخشاك كل شديد البطش طعان
وما لك بن زهير ذاك خلصني * من العدى والردى والحرب يغشاني
اتى ففرقهم عني بسطوته * وردهم بحسام منه دنان
لا زلتما في نعيم دايماً ابداً * ما غردت صادحات فوق اغصان

قال فلما سمع شداد هذا المقال ونظر الى تذلل عنتر بين يديه تحركت له جميع اعضائه دون ساير الرجال لانه والده على كل حال * وقال في نفسه لعن الله من يجحد وينكر مثل هذا الولد * ثم انحنى عليه وقبل ما بين عينيه * وكانت كل بني عبس تتعجب من مروة عنتر وشجاعته وتنازله ووداعته وهم يقولون والله ما رزق هذا من مواليه مثل ما رزقوا منه لانه يذل نفسه لهم غاية الاذلال وهم يفعلون في حقه هذه الافعال * قال وما كان ذلك من عنتر حاجة اليهم ولكن هواه لعبلة اقامه في ذلك المقام وما زال الهوى يذل اسود الاجام ويهين النفوس الكرام * قال وقدم مالك الغنيمة الى بين يدي ابيه ففرق الدروع والخيل على عنتر واصحابه واما الجارية اميمة فانه اخذها الى ابياته وتركها عند حريمه وبناته ثم عاد

عنتر وقد اصلح مالك بن زهير بينهُ وبين اعمامهِ واوصاهم بالمحبة والرضى وانهم لايعيدون ما مضى* وكان الملك زهير قد سمع ما جرى لعنتر لما رافق السريَّة ورأى الابجر فتعجب منهُ وقال لولده مالك والله يابنيّ ما خُلق هذا الحصان الا لعنتر ثم دخلوا الى الخيام والمضارب وما فيهم الامن يهذُ بشجاعة عنتر وافعا لهِ الغرايب سوى عمهِ مالك وولده عمرو فانهما كانا في غاية الهم والغم من ذلك الامر ومالك يقول لولده والله ياولدي ان الموت اهون من ان يكون عبدٌ ابن امةٍ في ابياتنا ويكون عاش في رعي جما لنا ويصير اعلى منزلة من ساداتنا والله ان هذا مما يطمعهُ في اختك فيفضحنا عند العربان طول الدهر والزمان فقال عمرو والله يا ابي لو كان هذا العبد يلزم ادبهُ لكان فخرهُ الينا عايد وكنا نلتقي بهِ كل عدو وحاسد والان ما بقى لنا الا ان نزوج اختي برجل يحميها او نرحل من هذه الديار ونخليها والاّ فالملك زهير ما لنا بهِ طاقة ولا على غضبهِ استطاقة * فقال مالك وحق الكعبة لاقلعنَّ اثرهُ واطفينَّ خبرهُ ولاعملنَّ في هلاكهِ التدبير ولااخاف من ملكٍ ولاامير * هذا وعنتر قد دخل على امهِ زبيبة فقامت اليهِ وتلقتهُ وهي لاتصدق ان تراهُ لانها كانت تحبهُ اكثر من اخويهِ لانهُ جعل بيتها مثل بيوت الاكابر وجعلها تفتخر على كل اصحاب المفاخر وكان قد اهدى لابيهِ واعمامهِ كل ما وقع بيده في هذا السفر وما تعوض من الجميع الا بالابجر* ولما استقروا في الخيام جمع الملك

Digitized by Google

زهير اولادهُ العشرة وهم شاس وقيس ومالك وورقاءُ ونوفل وكثير وجندل والحارث ونهشل وجندب * ودعا باخويهِ اسيد وزنباع وجماعة من السادات المعتبرين واضرموا النار وارتفع القتار ودارت الكاسات ولعبت الخمور بعقول السادات * وبينما هم كذلك واذا بالسماء قد تمخضت وغمامةٌ سوداءُ قد تعرضت كما يشاء علام الغيوب ولمعت البوارق وانزعجت المغارب والمشارق ثم قوي عزم السحاب حتى فاضت الغدران بالماء العباب وتلاطمت امواجها كملاطمة الجبال * وفي ذلك الوقت قال زهير لولدهِ مالك في مثل هذا الوقت نحب ان نسمع كلام عنتر من لسانهِ ونقضي باقي هذه الليلة بمنادمتهِ لانهُ فريد زمانهِ * فارسل مالك من ساعتهِ في طلب عنتر وما كان الا ساعة حتى حضر ودخل وسلم واطلق لسانهُ وتكلم ففرح بهِ اولاد الملك زهير وما منهم الا من ترحب بهِ وتبسم * وكذلك الملك زهير رد عليهِ السلام واكرمهُ غاية الاكرام * وقال لهُ يا ابا الفوارس ويا زين المجالس ما بقي يلذ لنا عيش ولا مسرة الا ان تكون معنا في كل حضرة والساعة التي نكون فيها حاضرًا ننال منها حظًا وافرًا فقبل عنتر يدهُ ودعا لهُ ثم قدموا بين يديهِ الطعام فاكل وسقوهُ المدام فنهل * ثم قال لهُ مالك يا ابا الفوارس حدثهم بما رايتهُ من اول سفرتك وما جرى لك مع رفقتك فانا قد حدثت ابي عن البعض من شجاعتك وانشدتهُ ما حفظت من قصيدتك ولكن

ليس الناقل مثل القايل فعندها ابتدا عنتر يحدثهم بما جرى له مع غياض بن ناشب واصحابهِ وانشد القصيدة التى منها يقول

فيارب لاتجعل حياتي ذميمةً ولا موتتي بين النساء النوايح
ولكن قتيلا يدرج الطير حولهُ وتشرب غربان الفلا من جوانحي

وحكى لهم كيف سبوا اميمة واخذوها وكيف اختلفوا على الغنيمة التى اغتنموها ثم انشد القصيدة التى من جملتها يقول

مهفهفةٌ بيضاءُ من سحر لحظها
اذا كلمت ميتاً يقوم من اللحدِ
اشارت اليها الشمس عند غروبها
تقول اذا اسود الدجى فاطلعي بعدي
فولت حياءً ثم ردت لثامها
وقد نشرت من خدها ورق الوردِ

قال الراوي هذا والملك زهير يشرب ويطرب وقد سرَّ بعنتر وبما جرى له تعجب * وقال وحق ذمة العرب لقد اكمل هذا الرجل الشجاعة والفصاحة والادب * واكتسب من زمانهِ احسن مكتسب * ثم التفت الى اخيهِ أُسيد وقال لهُ يااخي من اليوم فصاعدا تناظر عنتر وتكتب جميع ما يقول من الشعر المفتخر فان لنا في ذلك الشرف الزائد * وفخرهُ علينا وعلى قبائِلنا عايد ثم دارت بينهم على حديث عنتر الكاس * وكان حاضرا بينهم شاس فكان كلما راى اباه يزيد لعنتر في الاكرام يزيد في قلبهِ الغيظ

والضرام * وما زال على ذلك حتى قلم عنتر مع شيبوب وابعد عن ابياتهم لقضا بعض الاشغال والسكر قد غلب عليه ومال فقال شاس لابيهِ والله يا أبتا ان هذا العبد قد كسانا وبني قراد عاراً بين العشائر وقبائل العرب * بذكرهِ لعبلة وعشقهِ لها وهو كما علمت عديم الحسب والنسب * وسنكون بسببهِ هزءًا في جميع الاقطار اذا سمعت العرب ان عبدنا تعشق البنات الاحرار * غير اني لا الومه على ذلك لان كل احد يطلب لنفسهِ العلوّ والافتخار * ولكنني اعجب منك كيف تطمعهُ في ذكر البنات العربيات وتحسن لهُ ان يذكر المخدرات * وقد كان بالامس لعبلة عبداً ذليلاً فكيف يصير اليوم لها بعلاً وحليلاً . ولئن تمّ هذا الامر بزواج عبلة لهذا القرنان * ليركبننا العار الى آخر الازمان * قال فلما سمع زهير منهُ ذلك قال لهُ ويلك ياشاس ما هذا القول الباطل الذي لا يتكلم بهِ الا كل احمق جاهل * ومن ترى يقدر ان يرد احكام الخالق العظيم او يمنعهُ من ان يتمّ سعد عبد او يتيم * وربما يكون لهذا العبد سعادة * ويبلغهُ ربهُ الارادة * وها قد بدت لهُ السعود واجهل الناس من يكون لاهل السعادة حسود فانهُ قط في عمره لا يسود * قال فبينما هم على ذلك واذا بعنتر قد حضر وعيناهُ ترشق ابيات عبلة بالنظر وقد لبصر بها نارا توقد * فتنفس الصعداء وانشد

هذهِ نار عبلة يا نديمي قد جلت ظلمة الظلام البهيم

تتلظى ومثلها في فؤادي نار شوق تزيد في التضريم

Digitized by Google

اضرمتها بيضاءُ تهتز كالغصن اذا ما انثنى بمر النسيم
وكستها انفاسها ارج الند فبتنا من عرفها في نعيم
كاعبٌ ريقها الذُّ من الشهد اذا مازجته بنت الكروم
كلما ذقت باردا من لماها خلتهُ في الفواد نار الجحيم
سرق البدر حسنها واستعارت سحر اجفانها ظباءُ الصريم
وغرامي بها غرامٌ مقيمٌ وعذابي من الغرام المقيم
واتكالي على الذي كلما ابـ صر ذلي يزيد في تعظيمي
ومعيني على النوايب ليثٌ هو ذخري وفارجٌ لهمومي
ملكٌ تسجد الملوك لذكرا هُ وتومي اليهِ بالتفخيم
واذا سار سابقتهُ المنايا نحو اعداهُ قبل يوم القدوم

قال الراوي فسر الملك زهير لما سمع شعر عنتر واثنى عليهِ وشكر * وقال وحق ذمة العرب لقد وليتنا من الافضال * ما لا يكافى بنوال * ولقد غمرتنا باحسانك وتفضلت علينا بكرمك وامتنانك * ولقد فقت على اقرانك * وافتخرت على ابناء زمانك * ثم ان الملك زهير اهدى عنترا مولدتين بكرين ناهدين * مضمختين بالمسك والعنبر * وفي عنق كل جارية منهما عقدٌ من الجوهر * وقال لهُ يابا الفوارس قد ذكرتني في شعرك بكل جميل فحقٌّ لك عليَّ الجزا الجليل غير انني ما ارضى لك بهذا القليل * ولا اتخلى عنك حتى تنال اعلى المطالب وتطيعك الاهلون والقرائب واني وحق رب البيت لو انك تكون عندي لكنت الحقتك بنسبي *

وشاركتك في حسبي ولو عيرتني بذلك جميع قبائل العرب * واولي المناصب والرتب * قال واما شاس فانهُ غلب عليهِ الكمد والحرج * فقام من عند ابيهِ وخرج وفي قلبهِ من عنتر نيران تتأجج ومكث عنتر عند الملك زهير على الانشاد وشرب المدام * حتى انشق حجاب الظلام * وتبلج نور الفجر وقد لعب براس عنتر السكر * وبعد ذلك خرج عنتر هو ومالك * حتى ابعدا عن السرادق فتوادعا هنالك * وسار عنتر وشيبوب بين يديهِ والطيب يفوح من ردنيهِ حتى وصل الى ابيات بني قراد فرأى نيرانهم زائدة الاتقاد ونيران باقي الحلة خامدة واعينهم راقدة فانكر ذلك وسأل امهُ عن الخبر * فقالت لهُ ان مولاك شداداً واخوتهُ ركبوا واخذوا في عرض البر الاقفر وساروا في عشرة فرسان على غنيمة وبقيت النسا في الاحياء مقيمة وهنَّ ينتظرنك حتى ياتين اليك ويسلمن عليك ويسألنك عن سفرتك ويحظين بحديثك ورؤيتك واشوقهنَّ اليك محبوبتك عبلة ابنة عمك التي لا تزال تنتظر حلول قدمك * قال فلما سمع عنتر ذلك طار من راسهِ السكر * وحلت مكانهُ البلابل واشتغال الفكر * واشتاق الى مغازلة عبلة ومرآها والتمتع بجمالها وسناها * ثم دخل بين المضارب وقلبهُ من الاشواق لاهب حتى وصل الى النيران فعرفتهُ النسوان ونهضنَّ اليهِ وما فيهن الا من فرحت بهِ وسلمت عليهِ وقالت لهُ سمية امراة ابيهِ ويلك يا عنتر أما رويت من الخمرة ولا شبعت من

السكرة الى كم تسهر اعيننا بانتظارك وانت مشتغلٌ بخمارك * فقال لها عنتر وذمة العرب ما علمت ما جرى عندكم من الاحوال ولا دريت بغيبة الرجال ولو علمت ذلك لاتيت اسرع من هبوب ريح الشمال ثم تقدم الى عبلة وامها وسلم عليهما ووقف بين يديهما ولما راى عبلة بكي واشتدّ بهِ العشق والهيام وجعل يخاطبها بالطف خطابٍ وارق كلام فقالت لهُ عبلة ويلك ياعنتر كف دموعك وأَقلّ تجبيعك فانشد يقول

كتمتُ غرامي باجتهادي وطاقتي * واخفيتُ وجدي في الحشى يتضرمُ
ومازال بي الكتمان حتى كانهُ * يرد جوابي في الهوى وهو اعجمُ
لاسلم من قول الوشاة وتسلمي * وما احدٌ من السن الناس يسلمُ

قال الراوي وكانت دموعهُ لعبلة شفيعة ونظرها لقلبهِ نبلةً مريعة الا انها لما راتهُ تلك الليلة على تلك الحال * قالت لهُ بكلام الدلال ويلك يا ابن زبيبة اين قسمي من الغنيمة او ما كان لي عندك قدرٌ ولا قيمة فقال لها وحيوة عينكِ العزيزة عندي ما انتِ الا روحي وكبدي واعز من ساعدي وزندي ولكن وحق جبينك وضياء وجهك وبهائهِ ما بقي في يدي منها عقال ولا مال ولا نوال بل قد مت الكل الى ابيكِ واعمامك في الحال ثم اعطاها المولدنين والطيب والعقدين وقال لها هذا الطيب انت في غنى عنهُ وهذا الجوهر عنقك ابهى منهُ فضحكت من كلامهِ وشكرتهُ على انعامهِ وسالتهُ عن سفرتهِ فحدثها بالجميع وقد صار لهُ في قلبها

Digitized by Google

المكان الرفيع * ولما فرغ عنتر من حديثهِ سال عن ابيهِ شداد واعمامهِ فقالت لهُ النسا انهم ساروا يطلبون غنيمةً من حين اقبل الليل بظلامهِ * وقلوبنا خايفة عليهم لان العبيد اخبرونا ان الغنيمة مع قيس بن ظبيان الحارثي فارس ارض اليمن كلها ومبيد الابطال ومذلها وهم الذين اخبروا مولاك عنها اليوم * وقالوا لهُ ان الرجل قد نزل على غدير ارض الدوم * فقال شداد انا اسير اليهِ واقلع الغنيمة من يديهِ * ثم ركب ومعهُ اخواهُ مالك وزخمة الجواد وتمام العشرة من الاجناد وطلبوا غدير ارض الدوم وهذا اخر العهد من القوم * فقال عنتر وحق ذمة العرب لقد ركبوا طريق الخطر وساروا على غَرَر * لان هذا قيس بن ظبيان فارس بني قحطان وانا اعلم انهم معهُ يخسرون ولا ينالون ما يشتهون انا ما بقيت اقدر ان اصبر عنهم ولا اواخذهم بفعلهم لانهم ساروا وما اعلموني وقد احتقروني بجهلهم * ثم ودّع عبلة وقال يامولاتي هذه ليلة ما اظن ان ارى مثلها في المنام او تغلط بمثلها الايام * قال الراوي فملك عنتر قلب عبلة بهذا المقال * وقالت لهُ امها انت اليوم ياعنتر اعز مَن عندنا من الرجال * ونحن ما حجبنا عبلة عنك الا لما سمع ابوها من كلام الحساد والعذال * قال الراوي وبعد ذلك عاد عنتر واخذ رمحهُ وتقلد بحسامهِ وخرج باخيهِ شيبوب وسار في طلب ابيهِ واعمامهِ * فلما ابعد عن الابيات قال لهُ شيبوب اعلم يا اخي ان قلبي غير طيب بمسيرك اليهم لان كل ما

تفعل معهم ضايع وتعبك غير نافع فقال عنتر ولماذا ياشيبوب
فقال يااخي اعلم ان امراة ابيك شداد قالت لي من اول الليل
حذر اخاك من مالك وولده عمرو فقد عولا على قتله وهما يخفيان
الامر وسمعت من عبلة هذا الكلام وقد امرتني ان احذرك منهما
فعلى نفسك الملام * فقال عنتر ويلك ياشيبوب انا ما سمعت من
سمية شيئًا من هذا المقال فقال شيبوب يااخي ما امكنها ان تحدثك
وانت بين النسا والرجال وانت كنت اول الليل عند الملك
زهير واتفق سيرهم في طلب الغنيمة ولولا ذلك كان ابو عبلة
الهالك في مهلكة عظيمة والصواب اننا اذا لحقنا القوم وهم في
القتال ناخذ حذرنا منهم والا اغتالونا ولاجل هذا سار شداد
وما اعلمك بالحال * فقال عنتر ويلك ياشيبوب سوف اريك من
يلوم نفسهُ على القبايح ومن هو الذي تحل بهِ الفضايح ويبان منا
الخاسر من الرابح * قال ثم ان عنترًا اركض جوادهُ وشد اجتهادهُ
وهو قاصد الى ما هو قاصد اليهِ وشيبوب يجري بين يديهِ فلما توسط
في البر تذكر احوالهُ وما جرى لهُ فانشد وقال

اسير بعون الله نحو النوائبِ * واطعن في الاعداء من كل جانبِ
اما علمت فرسانُ قحطانَ انني * افلقُ هاماتِ العدى بمضاربي
اياعبلَ كم من سيدٍ قد تركتهُ * طريحًا يعفر الارض فوق السباسب
اياعبلَ لو عاينت في الحرب موقفي * ومالي معينٌ غير رمحي وقاضبي
انا عنتر المعروفَ في كل مشهدٍ * ونجمي تراقى فوق اعلى المراتب

Digitized by Google

سالقى الملوك الارض شرقًا ومغربًا * واجري دم الابطال مثل السحائب

قال الراوي ثم انهُ جدَّ في السير حتى هجم الحرّ واشتعل البر واذا هم بفارس في الحديد غاطس وهو راكب على جواد ينهب الطريق ودرعهُ في الدماء غريق * فقال عنتر واحرباه من هذه الحال والله ان هذا لبئس الفال * ثم تامل في ذلك الفارس واذا هو من بني قراد احد رفاق ابيهِ شداد وفيهِ جرح وثيق ولهُ زفيرٌ وشهيق * فقال لهُ عنتر ما هذا الحال يا ابن العم فقال والله يا ابا الفوارس ما طلع سهمي من هذه الغنيمة الا هذه الجراح العظيمة وان جاروا عليَّ واخذوا زيادة من حصتي فهم في حل من جهتي * فتبسم عنتر وقال لهُ ويلك ما معنى هذا الكلام فقال اننا سرنا مع ابيك واعمامك من اول الليل حتى نكبس بني قحطان وناخذ الغنيمة وترجع بالامان * فراينا قيس بن ظبيان بحرسهم فلما احس بنا حمل علينا وطلبنا واول ما طعنني انا وبعدي طعن عمك وولده واخذهما اسارى بالذل والعنا * ثم دار قومهُ بنا كسباع البرية وفي دون ساعة قتلوا اربعة منا واسروا البقية * وهربت انا في الفلا وقد اصابني هذا البلا * فان كنت تريد ان تلحقهم فها هم بين يديك وان اردت السلامة فارجع واقبل مني ما اشير بهِ عليك * فقال عنتر لا وذمة العرب وشهر رجب لا عدت حتى اوشح الكل بحسامي واخلص ابي واعمامي * فانطلق انت امامي * وان كنت قد عجزت عن المسير فانزل الى جانب هذا الغدير * حتى اعود اليك وترى ما

تنال بهِ قرّة عينيك *فقال وذمة العرب انهُ ما بقى لي كبد ولا فواد ولا
رمق امسك بهِ نفسي على ظهرِ الجواد * ثم قال لشيبوب اطرحني
على جانب الغدير لعلي ابقى الى حين ترجعون لانني مشرف على
شرب كاس المنون * فطرحهُ شيبوب على جنب الغدير وسار مع
اخيهِ حتى اشرف على القوم والخيل تنساق قدامهم كالحمير* وقيس
بن ظبيان على اثارهم وشداد ومن معهُ في الوثاق وقد كادت ارواحهم
تبلغ التراق فحانت من قيس التفاتة فراى عنترًا وهو يركض من
وراهُ فجمع اصحابهُ وتلقاهُ * ثم دنا من عنتر حتى قاربهُ * وقال لهُ
ويلك من تكون فاني اري جلدتك جلدة العبيد وهمتك همة
الصناديد * فقال لهُ عنتر الويل لك سوف تعلم من التقاك من
الفرسان اذا انطرحت قتيلاً تاكل لحمك العقبان وتشرب دمك
الغربان* قال الراوي ثم انهُ حمل على قيس بساعدٍ شديد وقلب
اقوي من الحديد * وجالا واوسعا في المجال وتطاعنا طعناً يقرب
الاجال وتشيب منهُ الاطفال *وابصر شيبوب ان اخاهُ على خصمهِ
قد استطال فصار يقول ياويلكم اطلبوا لانفسكم النجاة يابني قحطان
فقد ادركتكم بنو عبس وغطفان وقتل مقدمكم قيس بن ظبيان
فلما سمع القوم الصياح طلبوا شيبوب بالرماح * وقالوا لهُ كذب
فالك وساء مقالك وخابت امالك * ولما قربوا منهُ جعل يرميهم
بالنبال فيشك بها مقاتل الرجال * واذا ادركتهُ الخيل يسعى مثل
ريح الشمال * فكانوا يتعجبون من فعالهِ ويتعوذون من نبالهِ *

Digitized by Google

وظنوا انهُ شيطان في صورة انسان * ولم يزل يحمل عليهم ويمنعهم
عن المسير حتى ادركتهُ الخيل وصار النهار عندهم مثل الليل *
فعثر شيبوب بحجر فوقع على قفاهُ وحل بهِ الاسف واشرف منهُ على
التلف واذا بعنتر قد طلع كاسد البيداء وسنانه يقطر من دم الاعداء
وكان قد جاول قيس بن ظبيان حتى اضجرهُ واكربهُ * وطعنهُ بالرمح
في صدره فاقلبهُ وادرك اخاه وهو على تلك الحال فكشف عنهُ
الرجال ونهب مهج الابطال * وابصرت بنو قحطان اهوالهُ فولوا
الادبار واركنوا الى الفرار * وما نجا منهم الا من كان لهُ عمرٌ مديد
والباقون انطرحوا على وجه الصعيد لا يقومون الى اليوم الوعيد
واحتوى عنتر الغنيمة وخلص قومه من المهالك * وفرحوا كلهم سوى
عمهِ مالك فان الموت كان اهون عليهِ من ذلك * الا انهُ شكر عنتر
مع من شكر واظهر لهُ خلاف ما اضمر * وعاد القوم يسوقون الغنايم
بعد ما كانوا يساقون كالبهائم * هذا وعنتر يعاتبهم ويقول لهم انتم
سرتم وما اعلمتموني بالحال فكانكم خفتم ان اقاسمكم في الغنيمة
والاموال وانا وحق ذمة العرب وشهر رجب لو ملكت كل مال
الارض لم اطمع منهُ بعقال * وما قصدي الا رضاكم عني على كل
حال * فقال لهُ شداد نحن سرنا وانت عند الملك زهير في مسرتك
وكنت ايضاً تعبانا من سفرتك * فتركناك حتى تستريح وفي
الاخر احتجنا الى نصرتك * فشكرهم عنتر على ذلك المقال وساروا
طالبين الاوطان والاطلال حتى ادركهم المساءُ فنزلوا على الغدير

Digitized by Google

الذى ترك شيبوب عندهُ ذلك المجروح فوجدوهُ فارقت جسده الروح فحزنوا عليهِ وقالوا لقد فقد لنا ابطال كانوا احسن لنا من الغنيمة وافضل من المال * وكان ذلك الغدير في وادٍ واسع الجنبات كثير النبات فتعجبوا من حسن ذلك الوادي ثم استراحوا هناك الى ان طلعت الشمس وامتدّ نورها على البوادي * فساروا حتى اشرفوا على الاحيا واذا الملك زهير يتنزه على غدير ذات الاصاد ومن حولهِ اولادهُ والى جانبهِ الربيع بن زياد ولما اشرف شداد وابصر الملك راكباً عدل اليهِ وسلم عليهِ وقدم الغنيمة الى ما بين يديهِ * وحدثهُ بما جرى عليهم وكيف خلصوا ووصلت الغنيمة اليهم واخبره عن عنتر كيف اباد الفرسان وقتل قيس بن ظبيان * فتعجب الملك زهير من حديثهِ وقال يا شداد لا ترجع تسوم عنتر سيمة العبيد ولا تمنعهُ ما يريد واحفظ لهُ هذه المكرمة مع ما تقدم لهُ من الاحسان على طول الزمان * وانا ناصحٌ لك بهذا الكلام * ولا اريد لك الا الخير والسلام * قال فاغتاظ من هذا الكلام شداد وكذلك جماعة من الحساد مثل شاس ابن الملك زهير والربيع بن زياد ومالك بن قراد * وفرح مالك ابن الملك زهير بهِ لانهُ من المحبين لعنتر * وقسم الملك زهير الغنيمة بينهم بالسويّة وتركها لهم بالكلية * فلما عرف كل واحد سهمهُ وحقق منهُ قسمهُ * وهب عنتر جميع غنيمتهِ لابيهِ وعمومتهِ * وقال يا قوم العبد وما تملك يداه في حوزة مولاه فتعجب العرب من فعالهِ وفصاحة مقالهِ * ولما فرغت الابطال من قسمة

الاموال * دعا الملك بعنتر وقال له يا ابا الفوارس قد عوَّلنا اليوم ان نشرب على هذا الغدير فانشدنا شيئًا من شعرك المطرب لان الخيل تشرب بالصفير * فانشد من فوره يقول

لقد جاءك الامر الذي انت طالبه * فعش سالمًا قد امتلك عواقبه
وهذا غديرٌ انت اعذبت ماءه * ولولاك ما انهلت عليه سحائبه
وقفت بهِ فاخضرَّ جذع نباتهِ * وزاد ابتساماً شرقهُ ومغاربه
وفاح نسيم المسك من نور زهرهِ * وبانت لنا آياتهُ وعجائبه
فدعنا تقضّي حقهُ بمدامةٍ * الى ان ترى فاضت علينا جوانبه
ونشرب بالطاسات معك مسرةً * ونسحب ثوباً انت بالفخر ساحبه
فوجهك بسّامٌ وجدك صاعدٌ * وسيفك في اعداك تدمي مضاربه
اذا قيل ايُّ الناس اوفى عزيمةً * وايُّ فتىً لم تحصى يوماً مناقبه
لقالوا زهيرٌ قد حوى الفضل كلهُ * علا في محلٍ لا تنالُ مراتبه
اضاءت لنا افعالهُ غيهب الدجى * فنارت الى ان نظّم الجزع ثاقبه
مليكٌ لهُ كل البرية اعبدٌ * تخر لهُ طوعاً وتُخشى عواقبه
واولادهُ سادات عبسٍ ومنهمُ * اسودُ واحظى بالذي انا طالبه
وبان لكم فضلٌ يورخ في الوغى * ويروى ولم يتعب من النسخ كاتبه

قال فطرب الملك زهير وامر العبيد فاحضروا المدام ونحروا النوق والاغنام وروجوا الطعام وطابت لهم الاوقات ونقرت الدفوف من ساير الجنبات ولعبت الخمرة بروس السادات * فبينما هم كذلك واذا بغبارٍ قد طلع * وعجاجٍ قد ارتفع * وبان من تحتهِ ماية فارس

Digitized by Google

كالليوث العوابس * يتقدمهم غلامٌ معتدل القوام كانهُ بدر التمام * عليهِ ديباجة رومية وهو على ظهر حجرة عربية * قال وما زالت الخيل تدنو منهم حتى وصلت اليهم فترجل ذلك الغلام المقدم عليهم * وسعي الى ان وقف امام الملك زهير فسلم عليهِ وقبل الارض بين يديهِ ثم بكي بدمعٍ هطال وانشد وقال

يا امان الملهوف والمستجيرِ　　كن معيني على العدي ونصيري
انت ربيتني صغيرًا ومن نعـ　　ـمالك جبرٌ لعظم قلبي الكسيرِ
سيدي قد رمى الزمان فوادي　　بسهامٍ كشفن سرٌ ضميري
وابتلاني بظالمٍ طبعهُ الغد　　رُ وهتك الابكار ذات الستورِ
كلما سار طالب الحرب سارت　　خلفهُ الخيل داميات الصدورِ
ورماحٌ كانها قصب الغا　　بِ بايدي فوارسٍ كالنسورِ
فأَجِرْنا من شرهِ وأَغثنا　　قبل تسبي نساؤنا بالشعورِ

قال ثم ان الغلام بعد انشادهِ بكى بين ايدي الملك زهير واولادهِ * فوثب مالك بن زهير اليهِ وضمهُ الى صدرهِ وقبلهُ بين عينيهِ * ثم تواثب اخوة مالك الى ذلك الغلام وسلموا عليهِ وقالوا لهُ يا اخانا اخبرنا بقصتك حتى نحمل عنك الاثقال ونبلغك الامال ولم يزالوا يمسحون جفونهُ الى ان انقطع بكاه ونشفت مجاري دموعهِ وسكنت النار التي بين ضلوعهِ

قال وكان هذا الغلام اخا مالك بن زهير من الرضاعة لان اباه كان قد سبي ام هذا الغلام من بني مازن في بعض غزواتهِ واتى

بها الى ابياتهِ * وكان هذا الغلام صغيراً وكانت ثمَّا ضرِام ُ مالك ترضعهُ فسلمتهُ اليها واعتمدت في تربيتهِ عليها وكان ذلك الغلام اسمهُ حصن فنشا مع مالك * وكان ابوهُ يسمى الحارث وقد قتل في المعمعة وسبيت امهُ كما سبق الكلام على ذلك * وبهذه الوسيلة استغنت ام حصن من بيت الملك زهير * ونالها منهُ كل خير * ثم اشتاقت الى اهلها فاستأذنت الملك وذهبت الى اوطانها واعطاها ما تعيش بهِ مع ولدها كل زمانها * وربي عند بني مازن ذلك الغلام وفيهِ روايح بني عبس الكرام * فخرج ناراً محرقة وصاعقة مبرقة * ولما بلغ مبلغ الرجال صار يشن الغارات ويلقى السادات والابطال * ولهُ بنت خال بديعة الجمال * فهويها وزاد عشقهُ فيها واستحى ان يخطبها من ابيها * وصار يكتم حالهُ ويكابد غرامهُ وبلبالهُ * الى ان قدم على ابيها رجل من بني البراجم يقال لهُ عوف وكان رجلاً من الابطال كثير المال والرجال * فاضافهُ ابو الجارية ثلاثة ايام * وفي اليوم الرابع نهض عوف وقال ابيها السيد قد اتيتك خاطبا * وفي كريمتك راغبا * واريد ان لا تضيع حق قدومي عليك واطلب من المهر ما يقرُّ عينيك * قال فلما سمع ابو الجارية هذا الخطاب اراد ان يجيبهُ بالايجاب * فسبقهُ حصن وقال يا خالاه لا تنعم لهُ بما طلب فانا احق من كل من طلب وخطب * لاجل صلة النسب * وانا لا اترك بنت خالي تتغرب * فقال لهُ البرجمي وقد لعبت براسهِ كوس العقار وطار

من عينيهِ الشرار * ويلك ياغلام وانت مثلي حتى تعارضني في الكلام * فقال لهُ حصن المازني ولماذا لا اعارضك وانا افخر منك نسباً واشرف منك امًّا وابًا فوحق ذمة العرب لولا انك في بيت من لا اقدر ان اخفر ذمتهُ ولا يمكنني ان اضيع حرمتهُ لكان سيفي الى هامك اقرب من لسانك الى كلامك * وان كنت تفتخر عليَّ بمالك فانا اكثر منك مالاً ونوقاً وجمالاً لانك انت ماتملك الا الذي في يدك وانا اموال العرب كلها مباحة لي من القريب والبعيد اخذ منها ما اريد واترك لهم ما اريد * وان كنت تفتخر عليَّ بشجاعتك فدونك والبراز في الميدان * لتنظر الناس الشجاع من الجبان * فلما سمع البرجمى كلام حصن زاد بهِ الغضب وقال انصفت وذمة العرب * ثم انهُ ركب حصانهُ واخذ سيفهُ وسنانهُ وخرج مع خصمهِ وخرج معهما جماعة من الفتيان ينظرون ما يجري بينهما من الضرب والطعان * ولعبت بهما نخوة الجاهلية وهانت عليهما المنية وجالا وصالا واصطدما والتحما ولم يكن عوف من رجال حصن فضايقهُ حصن واكربهُ واتعبهُ والهبهُ ومدَّ يدهُ اليهِ وجذبهُ فاقتلعهُ من سرجهِ واخذهُ اسيرًا وساقهُ ذليلاً حقيرًا * وهمَّ ان يضربهُ بالسيف فشفع فيهِ خال حصن * وقال ياولدي الرجل قد اكل طعامنا واعطيناهُ ذمامنا * فما أدعك تقتلهُ قدامنا * فاطلقهُ حصن واخرجهُ عن الحي خائباً ولنفسهِ نادباً وشاهدت الناس هذا الفعال منهُ فهابتهُ وشاع ذكرهُ في قبائل العرب *

Digitized by Google

وانقطعت عن الجارية الطلاب والخطاب وفي بعض الايام قال
خالهُ لزوجتهِ وذمة العرب ما ابن اختي الا فارس حلو الشمائل
وحسن الخصال الا انهُ قليل المال وما يتركهُ كرمهُ يبقى على شي
لانهُ مهما اكتسبهُ يفرقهُ على فتيان الحي واخاف ان ازوجهُ ابنتي
فتكون معهُ تحت الضيق ويفرح بذلك العدو ويغتم الصديق
فلما سمع حصن بكلام خالهِ اراد ان يريهِ بعض فعالهِ * فركب
في جماعة من الابطال وسار يطلب الكسب والاموال * قال
وكان في بني قحطان ملك يقال لهُ العساف وكان كثير الجور
والاسراف قليل العدل والانصاف * عظيم الهامة طويل القامة
وتحت رايتهِ جيش غزير وجمع غفير فاقحطت ارضهُ في ذلك العام
وقل فيها الماء والعشب وضاق بهِ مرعى الانعام * فشكا اصحابهُ اليهِ
ذلك فرحل بهم ونزل على جبل الخشاخش والتناصب وضرب فيهِ
المضارب * وسمع بقدومهِ جميع من في ذلك المكان فنزحوا عن
المناهل والغدران فلما كان في بعض الايام ركب وابعد في السير عن تلك
الاماكن فاشرف على ارض بني مازن وابصر غدرانها ومراعيها واتساع
اراضيها وكانت الجارية التي سار حصن في طلب مهرها وهي نعيم
بنت خالهِ تتفرج على الغدران مع اترابها والاقران * فراهنَّ الملك
العساف وهن غافلات وقرب منهن وهن باللعب مشتغلات ونظر
الى نعيم وهي على الغدير كانها البدر المنير * التفتت التفات الغزال
وتبسمت عن ثغر انقى من اللآل * فلما راها العساف طاش عقلهُ

Digitized by Google

ووقع في الانذهال وابصرتهُ الجارية وصويحباتها وهو شاخص الى نعيم فصحن عليهِ اما تستحي ياوجه العرب ان تهتك ستر الحريم قال فلما سمع العساف هذا الكلام ابدى الابتسام ودعا بعجوز معهنَّ وسالها عن الجارية فقالت يامولاي هذه نعيم بنت نجم المازنية التي حيرت بحسنها البرية فقال اهي ذات خدر ام ذات بعل فقالت لا واللّه ما هي الا ذات خدر وبنت بكر * ولكنها قد خطبت لابن عمتها وقد مضى ياتي لها بالمهر * فعندها عاد العساف الى عشيرتهِ ومن الغد انفذ الى ابيها يقول لهُ اعلم اني قد نظرت الى ابنتك ووقع في قلبي هواها واريد ان ترسل لي اياها وبعد انفاذها اليَّ اطلب من المهر ما شيت وانا ابلغك ما هويت وان لم ترسلها اليَّ كما اريد سبيتها سبي بنات العبيد * قال فمضى الرسول الى نجم ابي الجارية بهذه الرسالة وبلغهُ هذه المقالة * فصعب عليهِ وقامت في ام راسهِ مقل عينيهِ * وقال للرسول ياوجه العرب ان ابنتي متزوجة بابن اختي ولا يمكنني ان اغدر بهِ فان كف صاحبكم عنا شرهُ وكفانا امره فهو العزيز المكرم والا سوف يندم حيث لا ينفعهُ الندم * والا ان قاتلني قاتلتهُ * فعاد الى العساف واعاد عليهِ ما جرى بلا خلاف فغضب من ذلك وزادت بهِ الاطماع وحل براسهِ الصداع * وحلف ان لا ياخذها الا مسبية تحت الرماح السمهرية * وقال وحق الشمس المضية لا بد ما اسقي اهلها كاس المنية * قال وفي تلك الايام قدم حصن ومعهُ شيءٌ كثير من الاموال والنوق والجمال فاعطى

خالهُ المهر وعزل خمسماية ناقة للنحر * واشترى كثيرًا من الخمر * وطالب خالهُ بالزفاف فحدثهُ بحديث العساف * وما جرى لهُ معهُ من التهديد والارهاب والوعيد * قال فغضب حصن من ذلك وقال والله ياخالي ان تعرض لي لاقلعنَّ اثارهُ واخربنَّ ديارهُ * فطاب قلب خالهِ وشرعوا في الافراح ونحروا النوق واعدوا الاقداح ودامت الوليمة سبعة ايام في اكل الطعام وشرب المدام * وفي اليوم الثامن زينوا الجارية وارادوا ان يخرجوها من بيت اهلها وان يزفوها على حصن بعلها فاتاهم خبران العساف قد كاتب حلفاءهُ وامرهم بالاجتماع فاجتمعوا من المناهل والبقاع * وكذلك انفذ الى مسعود بن مصاد الكلبي وبني اسد وبني دارع * وبني العنقاء وبني مجاشع وسار اليهِ عوف الترجمي الذي قهرهُ حصن طالبًا اخذ الثار وكشف العار * قال فلما سمع الامير نجم المازني هذا المقال خاف على مهجتهِ من الوبال * وقال لهُ سادات قبيلتهِ اعلم ايها الامير والسيد الخطير نحن ما لنا طاقة بقتال العساف ولا بجموعهِ والاحلاف ولا منا من يقدر ان يلقاهُ في حرب ولا قتال فاسمع منا الصدق ودع عنك المحال والراي عندنا ان تنفذ اليهِ ابنتك ولا تطلب منا نجدة فليس لنا طاقة للقاء هذه الشدة فلما سمع نجم كلامهم حار من مقالهم فوقف عن الزواج والزفاف فلما نظر حصن الى ذلك جرت دموعهُ على خديهِ وكاد

من شدة الحزن ان يغشى عليهِ

* الكتاب الثالث من سيرة عنتر بن شداد العبسي *

قال الراوي ثم ان حصن غاص في شكيمتهِ وغرق في لامتهِ وسار من وقتهِ وساعتهِ في ماية فارس من قومهِ وعشيرتهِ وقطع الارض خببًا ونيرانهُ تزداد لهبًا حتى وصل الى الملك زهير وهو على الغدير مع اولادهِ وندمائهِ وخواصهِ واقربائهِ وحوله سادات بني زياد وابطال بني قراد * فتقدم الى الملك زهير وقبل يديهِ وشكا حالهُ اليهِ * فقال لهُ الملك زهير يا حصن طب قلباً وقرَّ عيناً فنحن نعينك على حربهِ ونمحو اثارهُ ونخرب ديارهُ * وقال لهُ مالك يا اخي وانا اسير في صحبتك وابذل نفسي في سبيل محبتك * قال الراوي هذا وعنتر حاضرٌ يسمع ويرى ويتعجب مما جرى * فقال لمالك يامولاي تسير انت وتركب مركب الخطر ولايّ شيء خُلق عبدك عنتر * انا اسير عنك واقضي حاجة هذا الغلام وابلغهُ المرام * ولو ان دونهُ كسري وقيصر او ملوك بني الاصفر * قال فلما سمع زهير كلام عنتر قال لولده مالك اذهب انت لنصرة اخيك وخذ معك الف فارس ويكون معك عنتر ابو الفوارس * فقال مالك السمع والطاعة * وانا افعل من هذه الساعة * ثم انهم قدموا لحصن واصحابهِ الطعام ودارت عليهم اقداح المدام * فخف ما بهِ من الوجد والغرام وبات حصن واصحابهُ وهم لا يصدقون بالصباح من خوفهم على اهلهم ان يدهمهم العساف بالسلاح * ولما انقضى الليل ركبوا الخيل

Digitized by Google

وخرجوا من الخيام مثل اسود الاجام * وودع مالك اباهُ واخوتهُ وركب في مقدمة اصحابهِ * وركب عنتر الى جانبه وسار شيبوب في ركابهِ * وسار بنو عبس وهم غايصون في الحديد ومسربلون بالزرد النضيد * وعنتر قدامهم كأنهُ سبع الغابات وهو يترنم بهذه الابيات

ياحصن بشراك بليث باسلِ * معوَّدٍ خوض الوغى حلاحلِ
سيبصر العساف مني ضيغماً * شهماً يجيد الطعن بالذوابلِ
اغشى الوغى والليل اسودٌ وما * ارجعُ حتى تنطفي بلابلي
كم ضيغمٍ ارديتهُ في مازقٍ * وكم اجدت الضرب بالمناصلِ
ما لمعت زرق الرماح فى الوغى * الا ومالتْ طرباً كالثاملِ
الجن تخشى سطوتي وحملتي * والانس ايضاً عرفت شمائلي
انا القضا على العدي انا البلا * انا مقيمُ الندب في القبائلِ
نجمي علا فوق السهى وهمتي * تذكرها الملوك في المحافلِ

قال الراوي ولم يزالوا سايرين ثلاثة ايام وهم يقطعون الفيافي والاكام * وفي اليوم الرابع لما يريده الله من سعادة عنتر عدل عن الطريق ومرَّ في وادٍ عميق * فنظر فارسين يقتتلان في ذلك المكان فحرك اليهما حتى قرب منهما وصاح فيهما على رسلكما ياوجه العرب اخبراني عن قتالكما لاي سبب * قال فلما سمعا كلام عنتر افترقا عن القتال وسار احدهما اليهِ ودموعهُ جاريةٌ على خدبهِ * وقال لهُ يافارس العرب وياكريم النسب انا مستجير بك فاجرني واعطني الذمام بحق البيت الحرام * قال عنتر اجرتك وحق البيت

Digitized by Google

والمشاعر العظام * فاطلعني على حالك واصدقني في مقالك فقال
اسلم يامولاي ان هذا الفارس هو اخي الاكبر وانا اخوه الاصغر *
وابونا امير يقال له الحارث بن التبع وهو يتولى على عشايرنا اجمع *
وان التبع جدنا كان في بعض الايام جالسا تعرض عليه امواله
ونوقه وجماله * وكان له ناقة مليحة الصفات سريعة الحركات *
فلما عرضت عليه النوق والجمال ما وجدها بين المال * فسأل الرعاة
عنها فقال له بعض العبيد والله يامولاي انها شردت من المرعى
فسرت انا خلفها في الطلب واخذت هي في الهرب * الى ان ابعدنا
فاستراني التعب وقصرت الناقة في خطاها وضعفت عن مسراها *
فطاطات الى الارض واخذت حجرًا اسود صلبا كالصوان وهو
شديد البريق واللمعان * ورميت به الناقة فخرق بطنها وخرج من
الجانب الاخر فوقعت الى الارض وفي جوفها خرق هايل المنظر
وماتت من ضربة ذلك الحجر فلما سمع جدي ذلك الكلام قال له سر
قدامي وأرني اياها فاخذه وسار قدامه حتى راها * واذا هي ميتة والحجر
بالقرب منها فاخذه وتامله ببصيرته الحاذقة فعلم انه صاعقة * فاخذه
واحضره الى الصناع واهل المعرفة وامرهم ان يصنعوه له سيفا على احسن
صفة فاخذه بعضهم ولما فرغ منه اتى به الى جدي فاعجبه واعطاه ما
اعطاه فلم يعجبه ما اعطاه اياه وقال

ايا دهر افنيت الكرام جميعهم   وابقيت من لا ترتضيه المناصب
حسلم على كل الصوارم فائق   ولكن ترى من اين للسيف ضارب

فلما سمع كلام الحداد اخذ السيف بيده وهزهُ حتى دبَّ الموت في فرنده * وقال بلى والله انا ضاربٌ واي ضاربٍ ثم ضرب الحداد فاطار راسهُ واخمد انفاسهُ وسمى ذلك السيف الصامى وتركهُ في خزانتهِ وذخرهُ الى وقت حاجتهِ * واقام جدي بعد ذلك خمسة عشر عاماً ومات وورث ابي هذا السيف من جملة المتروكات * ولما اشعر بوفاته وانقضت ايام حياتهِ دعاني اليهِ سرًّا وقال لي يا ولدي اعلم ان اخاك ظالم يبغض العدل والانصاف ويحب الجور والاسراف وانا اعلم ان بعد انقضاء مدتي يستولي على جميع تركتي * فخذ هذا السيف اجعلهُ في كمين فانهُ ينفعك ويعينك على طول السنين * لانك اذا قدمتهُ الى كسرى انوشروان يجود عليك بما يغنيك طول الزمان وان سرت بهِ الى قيصر يعطيك ما ينفعك من البدر * فلما سمعت من ابي هذا الكلام اخذت الحسام وخرجت من عندهِ تحت غسق الظلام وسرت حتى وصلت الى هذا الوادي ودفنتهُ تحت الرمال بين هذه الروابي والتلال * ورجعت الى ابي وقد بلغت سؤلي واربي واقمت حتى قضى نحبهُ فاستولى اخي مكان ابيهِ وحكم في قومهِ وذويهِ واخذ جميع النعم والاموال ولم احصل من كل ذلك على عقال * ثم انهُ لما استقر في ملكهِ افتقد عدة الحرب والكفاح * فما نظر هذا السيف بين السلاح * فصعب ذلك عليهِ * وكبر لديهِ * وسألني عنهُ فانكرتهُ وجحدتهُ * فاستكذبني واراد ان يقتلني * ثم انهُ عذبني امرَّ العذاب وعاقبني اشد العقاب * فلما رايت

اني قد اشرفت على الهلاك اخبرته بالخبر لكي انجو من الخطر فقال لي ويلك احضر لي اياهُ * والا اعدمتك الحياة فقلت لهُ يا اخي اركب معي الى المكان الذي دفنتهُ فيهِ لكي يتم حرمان الولد من ميراث ابيهِ فركب معي واتيت الى هذا الوادي وفتشت في نواحيهِ فتاه عني المكان الذي دفنته فيهِ وحلفت لهُ باعظم الاقسام فلم يصدّق وسل عليَّ الحسام * فحاميت عن نفسي حتى اشرفت انت علينا ووصلت الينا وجعلت اعتمادي عليك وقد علمت كل ما جرى فدبر بما ترى * قال فلما سمع عنتر كلام الغلام قال لهُ انت مظلوم وحق البيت الحرام * ثم قال لاخيهِ ويلك لماذا تتعدى على اخيك ولا تقسم عليهِ من ميراث ابيك * فقال لهُ ويلك يا ابن اللئام وما هذا التعرض لما لا يعنيك لا بارك الرب القديم فيك * ثم حمل على عنتر بعد هذا الكلام وعول على ضربهِ بالحسام فاستقبلهُ عنتر بطعنة في صدرهِ اخرج الرمح من فقار ظهرهِ * فوقع الى الارض يختبط بعضهُ بالبعض * ثم اقبل على اخيهِ وقال لهُ عُد الى اهلك وقبيلتك * واقعد مكان ابيك في مملكتك * واي من اعتدى عليك اعلمني حتى اسارع الى نصرتك فشكره واثنى عليهِ وترجل وقبل يديهِ ورجليهِ * وقال يامولاي بعد اخي ما بقى لي معاند ولا عدو ولا حاسد * وهذا السيف لا يليق بي ولا باخي بل يليق بك يا وجه العرب * وانا افتش عليهِ على نيتك فعسى ان يوجد بين هذه التراب * ثم انطلق الرجل يبحث في الرمال وما ابطأ حتى

عاد والسيف في يده يلوح كالهلال * ولما وصل الى عنتر دفعهُ اليهِ وقال بارك الله لك فيهِ ولا اسف عليهِ فتناولهُ عنتر واذا هو سيف صقيل عريض طويل انوارهُ شارقة وصفحاتهُ بارقة وضربتهُ اشد من الصاعقة لا يردهُ درعٌ ولا طارقة * حتى بالغ فيهِ بعض من شاهدهُ بعد ذلك في الحرب * انهُ يقطع الجدلة اذا وضع عليها من غير ضرب * فسر بهِ عنتر غاية السرور وشكر الرجل على حسن صنيعهِ المشكور * ثم سار ولحق العسكر والسيف في يده مشهر * وحدثهم بما جرى معهُ فتعجبوا غاية العجب * واخذهم الفرح والطرب * وقالوا يا ابا الفوارس هذه تحفةٌ قد انعم الله بها عليك وما خُلق هذا السيف الا لك ولا صُنع الا لكفيك فاحمد الرب القديم على هذه الاحسان العظيم * هذا وبنو عبس يتعجبون من ذلك السيف وخضرتهِ وجوهرهِ ونضرتهِ * وعلموا ان عنتر رجل مسعود يذلّ العدوّ والحسود * ثم سار القوم قاصدين ديار بني مازن فما ساروا الا قليل حتى طلع عليهم غبرة عالية ومن تحتها الف فارس كالاسود الضاربة يقدمهم فارسٌ يقال لهُ الضياق البارقي كان عنتر قد قتل اباهُ وكان لهُ صداقةٌ مع العساف فارسل استنجد بهِ على قتال بني مازن فلما راى غبار الخيل ارسل من استخبر عنهم فلما عرفهم حمل عليهم لياخذ من عنتر بالثار ويكشف عن نفسهِ العار * فادركهُ عنتر بطعنةٍ في صدرهِ اطلع الرمح يلمع من فقار ظهرهِ * ولما راتهُ

اصحابهُ قتيلاً وولت الادبار واركنت الى الهرب والفرار * وغنمت فرسان بني عبس ما كان معهم من الاموال وساروا طالبين ديار بني مازن وعنتر في اوايلهم وهو قد انشد وقال

انا مورد الابطال كاس منونها ... بمهندٍ ماضي الحديد يبرقُ
ومذيقها والجو اغبر مقتمٌ ... حرباً يذل لها الجبان ويقلق
اني انا الموت الذى لا يُلتقَى ... يوم الهياج بلا لسانٍ ينطق
اوقعت بالغيداق لما ان طغى ... وسأترك العساف شلوًا يلحق
واجول ميمنةً وميسرةً على الـ ... فرسان في وسط المضيق واطبق
واجندل الابطال صرعى في الوغى ... والخيل تعثر بالروُوس وتزلق
ياعبلَ ان كان السواد يعيبني ... فبياض افعالي ينير ويشرق
ياعبلَ قد شهدت سراة عشيرتي ... فعلي وسيفي للمنية يسبق
وابيد ابطال الوغى بمهندي ... وترى الروُوس بصارمي تتفلق
هذي فعالي ويك يابنت مالك ... بمهندي افني الجموع واحمق
لي همةٌ فوق الثريا قد علت ... وسعيد نجمي في السماء معلق

قال الراوى هذا ولم يزالوا سايرين الى ان قربوا من ديار بني مازن وقد اشتدَّ بحصن القلق وفاض دمعهُ واندفق * وتقدم الى مالك بن زهير وقال لهُ يامولاي قد قربنا من الاوطان وقد هاجت بي البلابل والاحزان وما ادري ما جرى بعدي من حوادث الزمان واريد ان اتقدم اليهم لاكشف الخبر واطّلع على حقيقة الاثر * فان كان قومي في القتال ابشرهم بقدومكم عليهم واعينهم

الى ان تصل الرجال * فقال له مالك افعل ما بدا لك * فسار
حصن في اصحابه وقد تجنب عن الطريق وفي قلبه نيران الحريق
حتى اشرف على الديار واذا بالصياح مرتفع والغبار مندفع * فقال
حصن واحرباه هلكت العشيرة ونزلت بهم البلية الكبيرة * ثم
اطلق عنانهُ الى ان قارب الحى فراى رجال العساف قد داروا بهم
من كل جانب وضيقوا عليهم الطرق والمذاهب * والتجت
العشيرة الى جبلٍ هناك بقرب المكان وهو جبلٌ حصينٌ يقال لهُ
ابان * وقد حصنوا فيهِ الاموال والعيال وهم يدافعون عن الحريم
ويمانعون الغريم * واكثرهم قد اثخنوا بالجراح * وضجت النسا
بالعويل والنواح خوفاً من السبي والافتضاح * والعساف ينادي
في القبايل ويحرضهم على سبي الحلايل * ويقول لهم مهما اخذتم
من الاموال فانا اقسمهُ لكم بالسوية * وما اريد من الغنيمة
الا نعيم المازنية * فلما راى حصن ذلك لم يعد يبصر ما بين يديهِ
وقامت في ام راسهِ مقل عينيهِ * وحمل عليهم برجالهِ ورموا
انفسهم على تلك الالوف المتألفة وقلوبهم مرتجفة * فانحدر قومهم
من الجبل حتى يعينوهم على القتال وصاحوا على الاعداء صيحةً
واحدة واضرموا نار الحرب بعد ما كانت خامدة * وهناك انطبقت
القبايل * ودارت بهم الجحافل * وكثرت عليهم الالوف
وبرزت اليهم تلك الصفوف وكثر الزحام ونزل عليهم الموت
الزؤام وتزلزلت من تحتهم الوهاد وتكسرت الرماح المداد * وكان

حصن يقاتل ويطلب خصمهُ العساف وقد ايقن بالتلاف * وفي قلبه منهُ نارٌ لا تطفى ولهيبٌ لا يخفى وكان قد عرفهُ لما راٰهُ يحرض اصحابهُ على القتال ويحثهم على النزال * فقصد حصن اليهِ حتى صار بين يديهِ * وناداهُ والله ياعساف خابت اما لك واليوم تترمل عيالك * فايقن بخراب الديار وقلع الاثار فقد اتتك فرسان بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان * فلما سمع العساف كلام حصن اسودت الدنيا في عينيهِ وما بقي يبصر ما بين يديهِ * وصاح على حصن بصوت يصدع الحجر ويصم اذان الدب الذكر * وقال لهُ الويل لك ولابيك ولقومك وذويك * من انت من فرسان بني عبس وعدنان وما الذي اتي بك الى هذا المكان * فقال لهُ حصن ويلك يا اخس العرب انا بعل الجارية التي اتيت في طلبها وكانت هذه الحروب بسببها واتيت تاخذها سبية من تحت السيوف الهندية والرماح السمهرية فابشر الان بخراب الديار وقلع الاثار * فقد اتيتك الان برجال يسقونك كاس المنايا ويصبون عليك الرزايا * ثم انذرهُ بقدوم بني عبس الذين يجعلوا اعداءهم ضحايا * قال فلما سمع العساف كلام حصن زاد بهِ الغضب وقال لهُ ويلك انا اخاف من فرسان بنى عبس او من كل من طلعت عليهِ الشمس * وحمل على حصن بعد هذا الكلام وصدمهُ صدمة الاسد الضرغام واشتد بينهما الكفاح والخصام هذا وخيل اليمن قد ملات الفضاء وسدت منافس الهواء وحملوا على بني مازن فردوهم الى الجبل وقتلوا من اصحاب حصن

خمسين فارسا فعظم عليهم الخوف والوجل وخاب منهم الرجا وانقطع
واخذ العساف فيهم الطمع ونظر حصن ما حل باصحابه فتقهقر الى
وراه وزاد بكاه واحمرت عيناه * وخاف على نفسه من العساف واخذه
القلق والارتجاف * لانه لم يكن من رجاله ولا ممن يقدر ان يلتقيه
في مجاله * هذا وان العساف ضايق حصناً تحت الغبار فقل
منه الاصطبار غير انه رضي لنفسه بالهلاك والبوار واستخاره على الهرب
والفرار فصار يظهر الجلد ويخفي الكمد * ولم يزل كذلك
حتى ضاق الخناق وبلغت الارواح التراق واذا بفرسان بني عبس
قد اقبلوا كانهم العقبان على خيول اخف من الغزلان * ورماحهم
تهتز على اكتافهم كانها الاشطان * وفي اوايلهم مالك بن زهير
وعنتر بن شداد وقد اوقر بجثته ظهر الجواد * وكانت ام عنتر قد
لامته على ركوب الاخطار وقلة المقام وكثرة الاسفار فتذكر ذلك
وانشد يقول

تفندني زبيبة في الملام ... على الاقدام في يوم الزحام
تخاف عليَّ ان القى حمامي ... بطعن الرمح او ضرب الحسام
مقالاً ليس يسمعه كريم ... ولا يرضى به غير اللئام
يخوض الشيخ في بحر المنايا ... ويرجع سالماً والبحر طام
ويأتي الموت طفلاً في مهود ... ويلقى حتفه قبل الفطام
فلا نرضى بمنقصة وذل ... ونقنع بالقليل من الحطام
فعيشك تحت ظل العز يوماً ... ولا تحت المذلة الف عام

Digitized by Google

قال الراوي وابصر عنتر نار الحرب تضطرم وبني مازن من قدام العساف تنهزم والرماح فيهم خارقة ونساؤهم زاعقة * والاعدا اليهم باسنتهم متسابقة * وحصن مع العساف في اشتباك واعتراك وقد اشرف معهُ على الهلاك * ووقع في سوء الارتباك * ولم يبق لهُ مناصٌ ولا فكاك * فتبسم عنتر لما راى لمعان السيوف كما يتبسم الكريم بوجه الضيوف * وقال لمالك اليوم اروي هذا الظامي من دماء هولاء القوم الذين قدامي فاقسم انت فرسانك الى ساير الجهات حتى يكشفوا البلى عن الحريم والبنات * وانا ادارك رضيعك حصناً وا خلصهُ من هذا الجبار الذي اشرف منهُ على البوار ثم حمل واطلق العنان. وقوَّم السنان *وصاح بالابجر فخرج من تحتهِ كانهُ الريح اذا عصف والرعد اذا قصف *هذا ومالك بن زهير قد فرق الفرسان الذين معهُ في ساير الجهات وحمل خلف عنتر في اصحابهِ وبني عمهِ السادات * هذا وقد جدَّ البراز بين حصن والعساف وضجت القبائل من ساير الاطراف * وعادت ارواح بني مازن اليهم بقدوم رجال بني عبس عليهم * وعادوا الى الحرب والكفاح ومدوا الى العساف قطع الرماح واشهروا الصفاح واطلقت الارواح من اقفاص الاشباح * وطلع الغبار من تحت حوافر الخيل حتى صار النهار مثل الليل * ونفذت في مقاتل الرجال سهام المنية وتغيرت الوان الازهار الربيعية لمَّا جاد عليها غمام الغبار بسحبهِ الدموية *فلا ترى في تلك الساعة الا رمحاً خارقاً

Digitized by Google

وسيفاً بارقاً وفارساً شاهقاً ودماً دافقاً وشجاعاً بالدم غارقاً * ولم يزالوا كذلك حتى زادت بهم الحرق وتناثرت الروس مثل الورق هذا وعنتر قد فرق الكتائب المتطابقة وطعناته كالقضاء متسابقة * وسيفه يقطع كل درع وطارقة * واتسع عليه المجال وخطف مهج الابطال وابصرت عساكر العساف منه اشد الاهوال * قال الراوي وبينما هم كذلك وعنتر يهمهم ويصول ويدمدم ويجول واذا بمالك بن زهير ينادي يا ابا الفوارس ادركني قبل الهلاك وخلصني من الارتباك * وكان مالك قد حمل على القبايل التي لمسعود بن مصاد الكلبي وجرى بينهم قتال شديد ما عليه من مزيد * حتى كلت السواعد من القتال وتقهقرت رجال مالك وضاق عليها المجال * وهجم مسعود وكان هذا الفارس جبارًا من جبابرة العربان فقتل من بني عبس ثلاثة فرسان وضايق مالك بن زهير واكربه في الجولان وقد طلع عليهم الغبار الى العنان * ونظر مالك الى المنية بعينيه فنادى عنترًا حتى يخلصه من ضيق الخناق لانه بلي بفارس لا يطاق * فلما سمعه عنتر عدل اليه وفرق الفرسان من حواليه * وصار يطعن في الصدور وقد طلب مسعود بن مصاد وقفز اليه بالجواد * واراد ان يطعنه فراه محترزا على نفسه فطعن جواده اقلبه ووقع على ام رأسه ومن حلاوة الروح قام على قدميه ولم يحس بثقل الحديد الذي عليه وهرول بين يديه * ودخل بين الخيل وخلص مالك بن زهير من يديه بعد ما كاد ان يقضى عليه

هذا ورأى عنتر الفرسان متسابقة والسيوف بارقة والرماح خارقة والارواح في سوق المنايا نافقة * فعلم ان ثباتهم بالعساف وانهم من هيبته القوا انفسهم الى التلاف فحمل نحو اعلامه وفرق الفرسان من قدامه وما زال في حملته حتى اشرف عليه وصار بين يديه * فراه مثل شقائق النعمان مما سال عليه من ادمية الفرسان * وهو يدمدم في قاع الصحصحان ويدوس بجواده جماجم الفرسان * وكان قصده نعيم المازنية التي ملكت منه العنان فبينما هو كذلك واذا بعنتر قد ادركه وعن حملته اداره وفركه * ومال اليه مثل ثنية الجبل وصاح فيه فانخبل وحك ركابه بركابه وفرق عنه زمر اصحابه * وضربه على عاتقه فاطلع السيف يلمع من علائقه * فلما نظرت رجاله ما حل به من سيف عنتر حملوا مثل موج البحر اذا زخر ولم يزالوا في حملتهم حتى قاربوه فتلقاهم بقلب اصلب من الحجر وسنان يسابق القضاء والقدر وحسام لا يبقي ولا يذر * فعند ذلك حملت الخيل على الخيل والتقوا ببعضهم مثل ما تلتقي الارض العطشى وابل السيل وعقد عليهم الغبار مثل سواد الليل * وما زال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونيران الحرب تشعل وشيبوب مع عنتر بلاصقه ولا يفارقه وهو يرمي من حوله بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال * وقاتل مالك بن زهير احسن قتال ونازل اعظم نزال وخلص اصحابه في تلك المعمعة من الاهوال وفرق بنو عبس اعداهم في المجال وشردوهم الى اليمين والشمال * وكان صوت عنتر كالرعود

القاصفة وقلوب الذين يسمعونهُ راجفة * الى ان خاضت الخيل في الدماء وحجب الغبار بين الارض والسماء والتهبت الاجساد من شدة الظماء وتحسرت الانفس على شربة من الماء * وشاع في قبايل اليمن قتل العساف فما منهم احد الا ارتعد وخاف وتفرقوا في جميع النواحي والاطراف * وما اظلم الظلام حتى خلص بنو مازن من الاسر فعاشت منهم الارواح وعاد فسادهم الى الصلاح ورجع عنتر مثل ثوب الارجوان مما سال عليهِ من دماء الفرسان واقبل بنو مازن يشكرون فعلهُ ويحمدون فضلهُ وحصن يمدحهُ ويثني عليهِ ويقبل راسهُ ويديهِ * هذا وعنتر قد ذكر صباح مالك بن زهير اليهِ لما خلصهُ في القتال من مسعود ابن مصاد الكلبي وقت النزال وانقذهُ من تلك المصايب والاهوال فانشد عنتر وقال

اذا ظلت الاعناق بالبيض تشرطُ * وعادت سيوف القوم بالدم تنقطُ
فنادِ الا يا عنتر الخيل والوغى * يلبيك من سيفي بلاءٌ مسلطُ
وطعنٌ يشيب الطفل من هول وقعهِ * ويرتدّ عنهُ وهو بالشيب اشمطُ
انا خاطف الارواح بالبيض والقنا * وباسي شديدٌ للمواكب يفرطُ
وترتعد الابطال من هول سطوتي * وتخضع لي عند اللقا حين اسخطُ

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعرهِ دارت بهِ السادات والفرسان وهم يثنون عليهِ بكل شفة ولسان فلما كان الصباح نحروا الجزور وسكبوا الخمور واخذوا في الفرح والسرور وداموا على ذلك سبعة ايام وفي اليوم الثامن دخل حصن على عروسهِ وانقضت

ايام نحوسهِ وثاني الايام رحلت بنو عبس ومالك وعنتر في اوايلهم وانقلبوا راجعين الى منازلهم وركت بنو مازن بوبن ليشعودهم وفي اليوم الثالث حلفوا عليهم ولرجعوهم * فعادوا وهم يشكرون عنترًا على تلك الافعال ويتذكرون كم قتل وكم جندل من الابطال هذا وحصن قد شُغِف بعنتر وضمهُ الى صدرهِ * وهو يودُّ ان لا يفارقهُ طول دهرهِ *واشار حصن يمدحهُ بهذه الابيات

ولو أنَّ للشكر شخصًا يلوحُ   اذا ما تأمَّلهُ الناظرُ
لشخَّصتهُ لكَ حتى تراهُ   وتعلمَ أنّي أمرؤٌ شاكرُ
ولكنهُ ساكنٌ في الضمير   يترجمهُ النفسُ الساترُ
على أنَّ شكري لهُ أوَّلٌ   وليسَ لهُ ابدًا اخرُ

قال الراوي ثم عاد حصنٌ وبنو عمهِ الى الديار فرحين * وبما نالهم من عنتر مسرورين * وسار عنتر ومالك بن زهير وهو يقول لعنتر لله درك يا ابا الفوارس من اسدٍ جسور * وبطل في مقام الحرب صبور * وهمامٍ على الاعداء منصور ومقدامٍ في ساير الامور * هذه والله هي الشجاعة والفروسية * والنجدة والحمية والنفس الابية ونحن والله نعلل انفسنا بالاباطيل ونمنيها بزخرفة الاقاويل *وانت يا ابا الفوارس سيف بني عبس لو كانوا يعرفون وحاميتهم لو كانوا ينصفون * وتاجهم لو كانوا يفتخرون * قال فلما سمع عنتر من مالك رقة هذا الخطاب * ترجل وقبل قدميهِ في الركاب * وقال يامولاي همتك التي تركت لي هذا الذكر والمنزل بين الناس

ولو لا غيرتك عليّ ومحبتك لي لم يرفع لي ابداً راس * فلا زلت ملجأً حصيناً لكل ضعيف * وطوداً يظلل من أمّه بالظل الكثيف ثم ساروا طالبين ارض بني عبس وعنتر لا يصدق بالوصول الى الديار لما في قلبه من لهيب النار ومالك يسليه وبانواع الاماني يمنيه * حتى بقي بينهم وبين ارض الشربة ليلةٌ واحدة فباتوا على غدير يقال له المنهل وهو جارٍ بالماء البارد والارض حوله خضرة نضرة * بروائح الازهار عطرة * اشجارها متلاصقة * وثمارها فايقة * والغزلان بين تلك الاشجار متسابقة * هذا وقد هبت عليهم رياح الشربة فزاد بعنتر القلق * والشوق والارق * وعدم الرقاد واكتحل بالسهاد * واشتد به جواهُ * وغلبهُ هواهُ وقد تذكر حبيبتهُ عبلة فانشد يقول

ترى هذه ريح ارض الشربهْ ... ام المسك هبّ مع الريح هبّهْ
ومن دار عبلة نارٌ بدت ... ام البرق سُل من الغيم عضبهْ
أعبلةُ قد زاد شوقي وما ... ارى الدهر يدني اليّ ال
وكم قد بليتُ من النائبات ... لاجلكِ في
فلو أنّ عينيكِ يوم اللقاء ... ترى
أسقي سناني دماء النحور ... وق
وعزمي بالسيف تحت الغبار
وتشهد لي الخيل يوم الطعان
وان كان جلدي يرى اسوداً

ولو صلّت العرب يوم اللقا   لابطالها كنت للكل كعبه
ولو ان للموت شخصاً يرى   لروّعته ولا كثرتُ رعبه

قال الراوي فلما سمع مالك من عنتر هذه الابيات زاد طربهُ وكثر عجبهُ * وقال لعنتر يا ابا الفوارس * ويا زين المجالس * لقد وصفت نفسك بالحق * وتكلمت بالصدق * ولقد كملت خصالك وبانت لنا افضالك واما شكواك من حب عبلة وقلة ناصرك في هواك * فانا ابذل روحي واسعفك بمالي حتى تبلغ مناك * وغداة غدٍ لما نصل الى الحي اتحدث انا مع ابيك واسألهُ ان يلحقك بنسبهِ * ويدخلك في حسبهِ * وان لم يفعل هجرنا الاوطان والاقارب * ورحلنا انا وانت من تلك الجوانب * ونخلي لهم الديار وندبر على سبي عبلة ونبعد بها الى بعض الاقطار * عسى ان يقلّ عنك بعض لهيب النار * واذا بلغت ذلك فافعل ما تختار * قال فلما سمع عنتر هذا الكلام زاد بكاهُ * وهاجت نيران جواهُ * ... الله يامولاي لا فعلت ذلك ابداً * ولا سبيت عبلة واشمتّ ... سقيت كاس الردى * لانني قد فعلت مع هولاء ... لم يراعوني ولا ازالوا عني رق العبودية * وما ... دنية * فان فعلت ذلك المرام * يا كاني ... ما برح عنتر حتى فعلَ فِعلَ اللئام * ... طبعهِ الرجيس * ومالي احسن من ... * غير انني اطلب منك ان تسال

Digitized by Google

مولاي شداداً في الحاقي بالنسب وادخالي معهُ في الحسب * لانني والله ما بقي لي سبيلٌ ان اكلمهُ بهذا السبب * فان فعل والا حلفت يميناً ان لااعود اركب ظهر جواد * ولا احضر في حرب ولا جلاد * ولااقف في مجال * ولا موضع قتال * لانني اذا كنت على هذه الحال * ترثي لي النساءُ والرجال * ويكون اني لا افارق الحلة وبذلك استطيع ان اتمكن من النظر الى عبلة * قال وساروا على مثل هذا الحديث حتى انشق ذيل الدجى * وطلع الصباح متبلجًا * وسار القوم طالبين الاحياء هذا ما جرى لهؤلاء واما ما كان من بني عبس فانهم كانوا ينتظرون هذه السرية ولا سيما الملك زهير وكان يخاف على ولده مالك وهو لا يصدق ان يراهُ في خير * وكذلك كل نسيب كان ينتظر ان يرى نسيبهُ سالمًا من الخطر * سوى عنتر فان الاكثرين كانوا يتمنون لهُ الموت الاحمر * لانهم كانوا يحسدونهُ على ما نال من المنزلة العلية * بعد رعي الجمال ورق العبودية * ولا سيما مالك ابو عبلة فانهُ كان يشتهي لهُ كاس المنية * لانهُ هتكها بشعرهِ واشاع حديثها في ساير المواضع والجهات ونقضت بحديثها الولايم والدعوات * قال الراوي وكان للربيع بن زياد اخ يسمى عمارة الوهاب وكان مليح الصورة حسن الاهاب وكان يعجب بنفسهِ غاية الاعجاب ويلبس الرفيع من الثياب ويحب الطيب والنساء الملاح ومغازلتهنَّ في المساء والصباح * فلما سمع عن عبلة تلك الصفات وما قال فيها عنتر من الاشعار

Digitized by Google

والابيات * اشتعل قلبهُ بلهيب النار وتخبل في امرهِ وحار وخفق فوأدهُ وطار رقادهُ وطال سهادهُ * وانفذ عجوزًا الى بيت مالك بن قراد وقال لها اريد منكِ ان تنظري لي عبلة هل تستحق الوصف الذي وصفها بهِ عبد شداد فان كانت كما قال فيها خطبتها من ابيها * فذهبت العجوز في الحال ودخلت على ام عبلة في زي زائرة فاستقبلتها احسن استقبال * وتحدثت معها ساعة من النهار * وهي تتفرس في عبلة شاخصة الابصار * فاندهشت من جمالها وظرفها ودلالها وقدها واعتدالها * ثم ان العجوز مازحت عبلة ولاعبتها وحدثتها وضاحكتها * فرأت من حديثها ما يبلبل عقول الرجال ويفوق على السحر الحلال * فعادت الى عمارة الوهاب ووصفتها لهُ وبالغت في الاطناب * ثم قالت لهُ انني والله ياولدي كنت استجهل عنتر كلما سمعتهُ يذكرها في شعرهِ ويتصبب بها في نظمهِ ونثرهِ حتى ابصرتها فعلمت انهُ ما انصفها لانها اعظم مما وصفها * والراي عندي ايها الامير انك تبادر الى خطبتها وتسرع في طلبتها وتعطي اباها كل ما طلب ولو كان قنطارًا من الذهب * حتى تحظى بذلك الحسن الذي ما عليهِ من مزيد ويجلي عليك من وجهها كل يوم بدر جديد * قال فلما سمع عمارة ذلك الكلام لعب بهِ الغرام وقام من وقتهِ وساعتهِ ولبس افخر ثيابهِ واسبل شعرهُ على اكتافهِ * وتطيب حتى فاح الطيب من اعطافهِ وركب من ساعتهِ وحولهُ جماعة من العبيد في خدمتهِ * فالتقى بمالك وولدهِ عمرو وهما عايدان من الصيد

فسلم عليهما احسن سلام فاجاباهُ بالاعزاز والاكرام وهمّا ان يترجلا
فاقسم عليهما ان لا يفعلا وقال عمارة لمالك ياعماه لرجع معي الى
الغدير فانني اريد ان اخلو بك سرًا ولا اكتم عنك امرًا * اعلم انني
اتيتك بما فيهِ صيانة حريمك ودفع يد غريمك * لاني جئت اليك
خاطبا وفي كريمتك راغبا فلا تردني خائبا * لاكون قريبا
منك واتمتع بالنظر الى طلعتك واتشرف بمصاهرتك وخدمتك *
وما فعلت ذلك الا غيرةً مني عليها من عنتر بن شداد ولد الزنا *
وابن الخنا * الذي قد فضحها بين العرب وهتك سترها بين ذوي
الرتب * وجعلها حديثا في مجالس الشراب تتحدث بها الشيوخ
والشباب * وانا اعلم انك شديد الغيرة على عرضك الطاهر بين
العرب لا تسمح ان يتدنس بهذا العبد الخسيس الحسب والنسب *
وانا اريد ان ازيل عنك كل ما يشناك واكون انا واخوتي في
شدايدك ورخاك * قال الراوي وما زال عمارة على مثل ذلك
حتى التقى الخجل على مالك واوغر صدره حقدا وحنقا واورثهُ
اضطرابا وقلقا * ومن شدة فرحهِ ببعد عنتر بن شداد وقربهِ بعمارة
سيد بني زياد * قال يامولاي بنتي امتك وانا لك خادم وقد ازوجتك
بها وانا غير نادم * قال الناقل ثم تقدم الى عمارة واعطاه يدهُ وازوجهُ
وعاقدهُ * وعادوا الى الحي وعمارة يعد مالك بن قراد بهلاك عنتر
بن شداد ان عاد سالما من تلك البلاد * قال ثم ان عمارة اعلم
اخاه الربيع بذلك الصنيع * فقال لهُ والله ياعمارة انا لست

راضيا لك بمصاهرة مالك ولا قربك من بني قراد لانهم قومٌ فقراءُ ما يعتاشون الا من غزواتهم وغاراتهم على العباد * ولكن اذا كنت تريد ذلك فاجزل المهر واكثره واجتنب عنتر واحذره لانهُ شيطانٌ مارد يقهر العدو والمعاند * فلما سمع عمارة كلام الربيع قال لهُ ماهذا الكلام يا اخي ومن هو عنتر في الكلاب حتى تخاف منهُ سادات الاعراب ويعادي مثل عمارة الوهاب * وكيف يعارضني في ما اريد وكم في خدمتي مثلهُ من العبيد * قال الراوي وفي تلك الايام اقبل مالك ابن الملك زهير وعنتر وفرسان بنى عبس من ديار بني مازن ومعهم الغنايم التي تضيق عنها المخازن وخرجت الى لقائهم الاحزاب وفرحت بلتقاهم الاحباب * وكان يومهم اعظم يوم مشهود * نشرت فيهِ الرايات والبنود * وكان افرح الخلق الملك زهير لاجل قدوم ولدهِ مالك الذي كان بحبهٔ اكثر من جميع اولادهِ لانهُ كان احسنهم جمالاً وابهاهم كمالاً واصدقهم مقالاً * قد كمل المروة وحاز الفتوة * واحسن العقل والادب والفضل والحسب * فلما التقوا ترجل مالك وقبل يد ابيهِ الملك زهير وقبل عنتر ركابهُ واقبل مالك على ابيهِ يحدثهُ عن سفرتهِ وما جرى لهُ في غيبتهِ * واخبرهُ بما فعل عنتر من الافعال وما ابداهُ عند صدام الابطال وكم جندل من الاقيال واهلك في المجال * فسر الملك زهير وقال لمالك والله يا بنيَّ لقد بنى عنتر لهذه القبيلة عزًا مديدًا * وصير لهما ذكرًا حميدًا * قال ووصل عنتر الى ابيات بني

قراد فالتقوه بالفرح والسرور والغبطة والحبور * وهنأوه بالسلامة واكرموه بكل كرامة * سوى مالك ابي عبلة فانهُ كان يكلمهُ بلسانهِ والنيران تشتعل في جنانهِ * وقد ساءهُ رجوع عنتر سالما من تلك الحرب وكان يودُّ لو انهُ قتل بين الطعن والضرب * وكان عنتر يعرف ذلك منهُ ولكنهُ يتعلق بالمحال ويمني نفسهُ بالامال وفرق عنتر عليهم جميع ماصاحبهُ من الاموال * فشكرتهُ النساءُ والرجال * ثم دخل علي امهِ زبيبة وهي لا تصدق ان تراهُ وكان قدومهُ عليها احلى من قدوم العطشان على بارد المياه * وكانت قد علمت ان عمهُ قد زوج ابنتهُ عبلة بعمارة بن زياد فكتمت ذلك عن عنتر حتى استراح واقبل الليل بالسواد * فقعدت عند راسهِ مع اخوتهِ واخذ عنتر يسالهم عن عبلة واحوالها وهل ذكرتهُ في غيبتهِ * فقالت لهُ بالله ياولدي دع عنك عبلة ولا بقيت تذكرها فانك ما بقيت تنظرها فلما سمع عنتر كلام امهِ جمدت عيناهُ وتقلصت شفتاهُ واستوى جالسا وقال لها والله لا فعلت ذلك ابدًا ولا تركت هوى عبلة على طول المدى * فكيف ذلك وما معنى مقالك فقالت ياولدي ان اباها زوَّجها بعمارة بن زياد وما بقي غير قبض المهر والزفاف المعتاد * فلما سمع عنتر كلام امهِ كاد ان يغشى عليهِ وما عاد يبصر ما بين يديهِ * وقال والله يا اماه لا بد ان افني بني زياد ولو انهم في عدد قوم ثمود وعاد * فقالت لهُ بالله عليك ياولدي لا تعجل في امرك ولا تضيق دايرة صبرك * لان عبلة لا ترضى بذلك ولو

وقعت في اعظم المهالك* وهي تقول والله لو قطعوني اربا ماطاوعت ابي واخي على ما طلبا* وكذلك امها لا تطاوع اباها على ما اراد لانها تكره ذكر بني زياد* فقال عنتر وحق من سطح الغبراء ورفع الخضراء وشرّف الكعبة الغراء لامزقنّ شمل بني زياد واقتل عمارة ولو انهُ في حجر ملوك بني غسان او كسري صاحب التاج والايوان قال فلما سمع شيبوب كلامهُ قال لهُ ويلك يا ابا الفوارس لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك انا امضي اليهِ وادخل عليهِ واخذ روحهُ من بين جنبيهِ * ولا يعلم بهِ احد لا ابيض ولا اسود * فقال عنتر انا اعلم انك قادر على هذا العمل ولكن اصبر حتى اركب غداً الى خدمة الملك زهير وابنهِ مالك واستشيرهما في ذلك * ثم انهُ بات بليلةٍ طويلةٍ ما اخذه رقاد ولا ذاق شيئًا من الزاد * حتى اصبح فشدّ لهُ شيبوب على جوادهِ الابجر وركب الى ابيات الملك زهير فخرج اليهِ مالك وسالهُ عن الخبر * فقال يا مولاي تبيت اعداك مثل ما بت البارحة فانها كانت ليلةً شنيعةً كالحة * فقال مالك ما هذا الكلام يا حامية عبس وكيف ذلك * فاخبره بزواج عبلة لعمارة وما فعل عمهُ مالك * وقال انهم مع كل هذا تعاهدوا على قتلي وقد خطر بقلبي ان اقتل عمارة وسائر بني زياد واتركهم عبرةً بين العباد * فقال لهُ مالك وقد صعب عليهِ هذا الامر والله يا ابا الفوارس لقد خاب عمارة وقد خسر عمك في التجارة * وحيث ان الامر بلغ الى هذا الحد فانا اتولاه وارد عنك كيد بني زياد واخرج عبلة من يد

عمارة الفواد *فطب نفساً وقر عيناً واصبر عليّ حتى اسال مولاك
ان يلحقك بالنسب فمتى فعل ذلك خاطبت عمك اباعبلة في
هذا الامر وضمنت كل ما طلب *وحينئذٍ اقول لعمك مالك عنتر
احق بينت عمهِ من كل احد واجعل ابي يعينني على ذلك واطلب
منهُ الاسعاف والمدد * وان لم يقبل مولاك شداد سوالي في الحاقك
بالنسب خطبت انا عبلة من ابيها وجعلتها على اسمي حتى ينقطع
طمع عمارة وغيره فيها ثم اماطل اباها بالمهر واحرمهُ ان يزوجها طول
الدهر فلما سمع عنتر من مالك هذا المقال خمد عنهُ بعض الاشتعال
وقال لهُ لاعدمتك يامولاي من مشير وحامٍ ونصير * وانا اسأل
الرب المعبود ان يجعل ايامك تجري في المسرة ولياليك في السعود
ثم انهُ سار الى جانب مالك حتى وصلا الى ابيات الملك زهير فتقدما
اليهِ وسلما عليهِ فترحب بعنتر وحيّاه وقربهُ وادناهُ ورفع مكانهُ وعلاهُ
وجعل يحادثهُ ويخاطبهُ ويسألهُ ويجاوبهُ فحدثهُ عنتر بحديث سيفهِ
الضامي الابتر وما تم لهُ مع الاخوين وكيف قتل الواحد وكف شرهُ عن
اخيهِ واعاد الاخر الى مكان ابيهِ *ثم انهُ سل الضامي من غمدهِ وسلمهُ
الى الملك زهير فهزهُ فوجده صاعقةً مبرقة ونارًا محرقة *وقال لعنتر يااباً
الفوارس هذا السيف من تمام سعدك *لانهُ يعينك على قهر عدوك
وضدك * وانا اقسم يا لرب العظيم انهُ ما طبع الا لساعدك وزندك
فلما سمع عنتر من زهير هذا الخطاب قبل رجلهُ في الركاب وسالهُ
قبول هذا السيف القرضاب *فقال الملك زهير لا والله ياابا الفوارس

انت بجملهِ اليَق واحرى بهِ واخلق وهو لساعدك قد انطبع ولو ضرب
بهِ غيرك الماء ما قطع * ثم انهم ساروا حول البيوت يفتقدون المراعي
والمناهل وخرجت معهم سادات العشيرة من المنازل وكان
من جملتهم بنو زياد وبنو قراد * وكان عمارة قد صار يركب الى
جانب مالك ابي عبلة ويتطيّب ويلبس الخرحلّة * فلما راهُ عنتر
زادت لواعج بلبالهِ * واضطرمت نيران اشتعالهِ * وتغيرت جميع
احوالهِ * ولكنهُ صبر مومّلاً بالخير * لان قلبهُ تعلق بوعد مالك بن
زهير هذا والملك زهير ما زال يشرف على المنازل والغدران
والمناهل * حتى حمي الحرّ وهوجر البرّ وصاح الجندب وصرّ فعاد
يطلب الاطلال وتفرقت من حوالبهِ الابطال * وطلب كل
واحد منهم مضاربهُ * وفارق كل واحدٍ صاحبهُ * فعندها قال
مالك ابن الملك زهير لعنتر يا ابا الفوارس اسبقني انت الى الحي حتى
اتحدث مع مولاك شداد واسمع ما عندهُ من الايراد * ثم انفرد
مالك عن عنتر ولحق شداد بن قراد على الاثر * وقال لهُ ياشداد
الى متى تمنع ولدك عنتر حقهُ من نسبك ولماذا لا تدخلهُ في حسبك
فان ساير قبايل العرب تحسدك عليهِ والذي عندهُ من مكارم
الاخلاق لا يقدر احدٌ من السادات ان يصل اليهِ * اتحسب ياشداد
ان في العرب والعجم من يقدر ان يلقاه اذا سل حسامهُ او يضاهيهِ
في فصاحتهِ اذا ابدى كلامهُ * ومن الراي الصايب انك
تعتز بسيفهِ وتلحقهُ بالنسب فانك تفتخر بهِ على سادات العرب والا

Digitized by Google

وحق من خلق الانسان من تراب * ان لم تسمع مني هذا الخطاب ياتي عليك يوم تقبّل فيهِ رجل عنتر في الركاب * قال فلما سمع شداد من مالك هذا الطلب بان في وجههِ الغضب * وعبس وقطب * وقال يا مالك من فعل قبلي هذا من العرب حتى اتبعهُ انا في هذا المذهب * أتريد يا مولاى ان تبرّيني من الشرف وتلبسني ثياب المذلة ولا تترك لي حرمةً عند احدٍ بالجملة ويقال عني ان شداد بن قراد سبي امةً سوداء واتاهُ منها ولد سفاح على غير عقد نكاح ثم ادعى انهُ ولدهُ من نسلهِ والحقهُ بنسبهِ واصلهِ * حتى يعتز بسيفهِ * او ينجو من حيفهِ * فلما سمع مالك كلام شداد قال لهُ يا شداد ومن اتاهُ من امةٍ مثل هذا الولد وانكرهُ واستعبدهُ وما حرّرهُ والله يا شداد ان عنتر ما ولدت مثلهُ امة * ولا حرةٌ مكرّمة * وانا من الراي عندي انك تسنُّ هذه السنّة في العرب و يقتدى بك اهل العقل والادب وهل الامراة الّا وعاءٌ الرجل يسترد منها ما استودع * وهي بمنزلة الظرف يوخذ منهُ الذي فيهِ يوضع * فقال شداد والله يا مالك ان ضرب النصال اهون عليّ من هذه السوٴال * واريد من انعامك ان تمهل عليّ حتى اراجع فكرى * وانظر في امري * ثم ذهب شداد على غير طايل * وعاد مالك وقد ذهب كلامهُ بالباطل * وعلم انهُ قد ضيع الكلام مع اناس غير كرام * لا يعرفون الجميل ولا يرعون الذمام * ثم قصد ابياتهُ فوجد عنتر في انتظارهِ وقد زاد اشتعال نارهِ * فقص عليهِ ما جرى لهُ مع مولاه شداد فخفق من

Digitized by Google

عنتر الفؤاد وفاضت الدموع في عينيهِ* وكاد ان يغشي عليهِ* وقال وحق خالق الانس والجان لا رجعت ركبت ظهر حصان ولا حضرت في حرب ولا طعان ولا اقمت بعد هذا الحديث في الاوطان ولا بد لي ان اكافي كل احد على قدر ما فعل في حقي ان كان يساعدني الزمان* قال فلما سمع مالك من عنتر هذا الكلام قال لهُ يا ابا الفوارس ولماذا ترحل من الديار وتهيم في الاقطار ومثلي وراك يرد عنك شر عداك ولا بد لي ان ابلغك مناك ولو هلكت روحي من اجلك فهي قليلة في هواك* ثم انهُ قدم ما راج من الطعام واحضر شيئاً من المدام وقضى معهُ نهارهُ بشرب العقار ومناشدة الاشعار قال الراوي وكان عمارة في دعوة عند مالك بن قراد هو وجماعة من بني زياد * ومالك قد نحر الجزور وصفى الخمور وبات عمارة يتناول الكاسات ويغترف بالطاسات ومالك وولده عمروٌ يتقربان بالكرامة اليهِ ويتسابقان بالخدمة الى بين يديهِ لان ما في بني عبس بعد الملك زهير اعلى من بني زياد ولا اكثر مالاً ولا اعز رجالاً سيما الربيع لانهُ كان ينادم الملوك الكبار ويحادثهم بالاخبار ويناشدهم الاشعار وينفذون اليهِ الخلع من ساير الاقطار* وكان حافظاً اشعار العرب ومشهوراً بالفضل والادب* قال وما خرج عمارة من بيت مالك حتى اصبح الصباح فركب عمارة وسار طالباً ابياته وهو ثملٌ من الخمرة يتمايل من السكرة فبينما هو كذلك واذا بعنتر التقاهُ في طريقهِ وهو عايد من عند مالك صديقهِ* فقال لهُ عمارة ويلك يا ابن زبيبة ابن

كنت البارحة * ومواليك ينتظرونك لتحضر وليمتهم الطافحة * فلو كنت معنا لكنت اجلستك معي وخلعت عليك لانك تستحق الاكرام لاجل ما سمعنا عنك من الافعال العظام فلما سمع عنتر كلامهُ اخفى ما في قلبهِ من الكمد واظهر الصبر والجلد * وقال لهُ ياسيدي انا والله ما استاهل الاكرام منك الا اذا دخلت بمولاتي عبلة وخدمتك ليلة زفافها عليك وحضورها بين يديك * ثم هاجت بعنتر البلابل فزعق بعمارة صوتاً كالرعد الهايل * وقال لهُ ويلك يا عمارة هل ضاقت عليك الارض ذات الطول والعرض حتى تتزوج بعبلة بنت مالك وتلقي نفسك في المهالك اما علمت اني بها هايم او انت من بعض البهايم * أَوَما سمعت ما لي فيها من الاشعار التي سارت بها الركبان في الاقطار * اما تعلم ان دون عبلة خرط القتاد * ولو كان خاطبها عاد بن شدّاد * او فرعون ذا الاوتاد * قال الراوي فلما سمع عمارة كلام عنتر همهم وزمجر وشخر ونخر وقامت عيناه في ام راسهِ وقال لعنتر ويلك يا ابن الزنا وتربية الخنا ما هذه الوقاحة لعلك سكران او خالط عقلك جنان على اني سمعت عنك ما هو اعظم من هذا الهذيان لانك تارةً تريد ان تلحق بالنسب وتارةً تريد ان تخطب بنات سادات العرب * فوالله يا ابن الملعونة لئن رجعت ذكرت عبلة او طلبت الحاقك بالنسب لاقطعنَّ بهذا الحسام راسك * ولاهدمنَّ اساسك * واخمد انفاسك * قال فلما سمع عنتر كلام عمارة صار الضيا في عينيهِ كالظلام * وهان عليهِ شرب

بكاس الحمام * وقال والله ياعمارة انك اذل واحقر من ان تشهر في وجهي الحسام او ان تقاومني في مقام * وانا والله لولا حرمة الملك زهير لازلت هذا العجب الذي يلعب بعطفيك واطرت راسك من بين كتفيك * قال فلما سمع عمارة من عنتر هذا الكلام جرد الحسام واهوى بهِ الى عنتر وقال لهُ ويلك ياعبد السوء الفاقد الادب * من انت حتى تجترئ على سادات العرب * فعند ذلك اشهر عنتر الحسام وهجم على عمارة هجمة الاسد الضرغام وهنالك تقدمت العبيد اليهما ودخل شيبوب بين الاثنين وصرخ عليهما هذا وقد وقع الصياح في ابيات بني قراد فخرجوا من الخيام وسعوا على الاقدام وفي اوايلهم ابو عبلة واخواهُ شداد وزخمة الجواد * فلما وصلوا فرقوا بينهما وزعق مالك على عنتر وقال لهُ ويلك ياعبد السوء هل بلغ من قدرك ان تعارض السادات والملوك القادات ارجع الى رعيك الجمال وجمعك الجلّة من بين التلال ولا تذكر نفسك بين الرجال * أنسيت جمع الحطب وصرّ النوق والحلب * وصرت تريد ان تقاوم سادات العرب * هذا وعمارة ينظر الى عنتر شزرًا ويتأسف عليهِ كيف لم يقدر ان يصل اليهِ وقال لهُ والله يا ابن الملعونة ان وقعت بك في غير هذا المكان لابد ان اخضب يدي من دم نحرك واريح العرب من شرك هذا والعبيد نظروا مالك بن قراد قد استخف بعنتر وازدراهُ وهو قد ذل بين يديهِ ورجع الى وراهُ فطمعوا فيهِ وداروا حواليهِ بالعصي والحجارة وطلبوهُ

بكل وقاحة وجسارة * هذا وعنتر قد اشرف منهم على الهلاك ووقع
معهم في الارتباك * وصار شيبوب يدافع عنهُ ويمانع وهو واقف ذليل
خاضع وبينما هو كذلك واذا بمالك بن زهير قد اقبل وسيفهُ في يده
مشهر وهو كانهُ الاسد القسوَر وعبيدهُ من حولهِ يركضون وفي ايديهم
اللتوت واعمدة البيوت * ومالك يصيح فيهم دونكم وعبيد بني قراد
واكشفوهم عن عنتر بن شداد ومن ظفرتم بهِ منهم اقتلوهُ والحقوهُ بقوم
عاد قال فعندها علت الصيحات وتهاجمت العبيد وجرت الدماءُ على
الصعيد * وجرى بينهم قتالٌ شديد * وتقدم مالك الى عنتر وقال
لهُ ويلك ياطنجير هذا كلهُ يجري عليك وانت صابر * لماذا لاتبذل
سيفك في هولاء اللئام اولاد العواهر فقال عنتر يامولاي ان
العبد يكرَم لاكرام مولاهُ ولولا ذلك ما تركت احداً منهم في الحياة
ثم حدثهُ بما جرى لهُ مع عمارة حتى استوفى العبارة * وكان الصائح قد
وصل مع العبيد الى الحي فانقلب الحي برجالهِ وتبادرت جميع ابطالهِ
ووصل الخبر الى الربيع بن زياد وقيل لهُ الحق اخاك عمارة والا
اهلكهُ عنتر بن شداد * قال فلما سمع الربيع ذلك الكلام ركب
في ابطال بني زياد واخوتهِ واقاربهِ وعشيرتهِ * وهو يقول والله
يابني الاعمام ما كنت اريد ان اخي يتعرض لهذا الشيطان المريد واخس
العبيد * وقد نهيتهُ عنهُ فما انتهى وما فعل الاما اشتهى * ثم ان الربيع
حرك جوادهُ حتى وصل الى مكان المعمعة فنظر الى اخيهِ عمارة
وهو يصيح في عبيدهِ ويحرضهم على عبيد مالك بن زهير الذين قتلوا

من عبيده ثلاثة ومن عبيد مالك بن قراد اربعة * فلما نظر الربيع
الى ذلك صعب عليهِ وكبر لديهِ * وحمل على عنتر والسيف في
يده مشهر * وكان ايضاً عنتر قد استحضر جواده الابجر فركب
وتقلد بسيفه الضامي الابتر * واعتقل برمحه الاسمر * وهو واقف كانهُ
الاسد الغضنفر * وكذلك مالك بن زهير كان قد استحضر السلاح
والجواد فركب وتصدَّى للربيع بن زياد * وقال لهُ ارجع يا ربيع والا
تركت الخيل تخوض في النجيع * فلما نظر عنتر الى مالك بن زهير وقد
عول على قتال الربيع قوي قلبهُ وانفرج عنهُ همهُ وكربهُ * وتأهب
للقتال وحدثتهُ نفسه انهُ يلتقي جميع بني زياد ويفنيهم الى جيل
الاجيال * فبينما هم كذلك واذا بالملك زهير قد اقبل في اولاده
وهو يركض بجواده وحولهُ جماعةٌ من فرسانهِ واجناده وهم يصيحون
ويقولون يا ويلكم كفوا عن القتال والا حلَّ بكم الوبال وكان
الخبر قد وصل الى الملك زهير ان احد ملوك ارض اليمن راكب
عليهِ بعساكر لا يعرف لها اول من اخر * وبلغهُ ان ملجم بن حنظلة
واخاهُ يزيد الملقب بشارب الدماء الذي سبي عنتر ابنتهُ اميمة وقتل
بعلها ناقد بن الجلاح لما كان مع غياض ابن ناشب وكانت الجارية
اميمة في ابيات الملك زهير وهي عند بناتهِ في اعز المراتب * وكانت امها
لاجلها على مقالي النار والعرب تعير اباها كيف تركها في الاسار *
ويقولون لهُ يا ملك ماذا يقعدك عن خلاص ابنتك وما ذلك الا
لضعفك وقلة نخوتك * ولو كان فيك نخوة العرب وغيرة اصحاب

الرتب * ما كنت قعدت عن اخذ ثارك وكشف عارك * قال
الراوي وان شارب الدما لما عيروهُ بذلك انفذ الى قبايل اليمن
واستنجد بحلفائهِ واصدقائهِ ومن يعتمد عليهِ في تلك الدمن حتى
اجتمع عندهُ جمعٌ غفيرٌ من الرجال وصار عندهُ جيشٌ من الابطال
وكان اكثر هذا الجيش من بني كندة ومذحج والريان وبني خثعم
وحمدان * فلما صار في هذا الجيش الجرار عزم على اخذ الثار وخلاص
ابنتهِ اميمة من الاسر والعار * وبينما الملك زهير وصلتهُ هذه الاخبار
وهو من اجلها مشتغل الافكار وصلتهُ اخبار خصومة عمارة وعنتر *
وما جرى بينهما من الامر المنكر * فلبس لامة حربهِ وركب الجواد
وسعى ليكشف الخبر واذا ولدهُ مالك في قتال الربيع بن زياد *
هذا وان العبيد لما راوا الملك قد اقبل كفوا ايديهم عن القتال
وتقدم عمارة الى قدامهِ بحال الاذلال وقال ايها الملك ما بقى لنا
في ارضك مقام ان لم تاذن لنا بقتل عنتر في هذا المقام * فقال
الربيع والله لولا قدومك ايها الملك في هذه الساعة * لكانت هلكت
منا جماعة * والسيف وقع بيننا وتقاضينا من بعضنا ديننا وكنا صرنا
مثلاً بين العرب وسقطت منزلتنا عند اصحاب الرتب * لان هذا
العبد داخلهُ الطمع في القبيلة وانت كنت السبب * لانك تقربهُ
اليك وتدنيهِ وترفع شانهُ وتعليهِ * وكذلك ولدك مالك لا ياكل
ولا يشرب الا معهُ ويعلي مقامهُ وموضعهُ * ونحن ايها الملك ما نصبر
على هذا الهوان ولا نقعد تحت الاهانة في هذا المكان * ولا بد لنا

ان نرحل اكرامًا لعنتر من وطننا ان لم تمكنا من قتلهِ او نبعدهُ عنا * فقال لهم الملك يابني عمي حدثوني عن سبب هذه الفتنة التي جلبت علينا هذه المحنة * فاخبرهُ الربيع بان عمارة خطب عبلة من ابيها * وانهُ كان تلك الليلة عندهُ يشرب المدام مع اخيها * وحدثهُ كيف التقى بهِ عنتر في الطريق وجرد عليهِ الحسام وكلمهُ بذلك الكلام * فلما سمع الملك من الربيع ذلك الكلام المشوم علم ان عنتر مظلوم وانهم ما فعلوا ذلك الا لكي يكيدوهُ ويطردوهُ ويبعدوه * وكان الملك زهير قد نظر الى عنتر لما اشرف عليهم وهو بعيد عن المعمعة لا يدنو اليهم * فرقَّ لهُ قلبهُ وقال في نفسهِ والله ما هذا العبد بين اهلهِ الا مثل الدرة اليتيمة عند من لا يعرف لها قدرًا ولا قيمة * ولكن ما قدر ان يخاصمهم لاجل حاجتهِ اليهم واعتمادهِ في ذلك الوقت عليهم * لاجل الخبر الذي سمعهُ عن ملجم بن حنظلة واخيهِ يزيد وما جمع من الابطال والصناديد * قال الناقل هذا وشاس ابن الملك زهير من بغضتهِ لعنتر قال لابيهِ والله يا ابي ان هذا الامر لا يصبر عليهِ احدٌ من العجم ولا من العرب * ولقد افتضحنا من فعل هذا الكلب الاكلب * ومن هو هذا العبد حتى يهجم على سادات العرب والاكابر ذوي الرتب * ويفعل بمثل عمارة هذا الفعال واذا كان اليوم اخرق بهذا الامير فغدا يخرق بنا ولا يبالي بكبير ولا صغير وتقدم مالك ابو عبلة وبكى قدام الملك زهير وقال وافضيحتاه واقلة ناصراه ايها الملك ائذن لي في

الرحيل من هذه الديار والا انهتكت ابنتي في ساير الاقطار * او اعطنا هذا العبد السوء حتى نقتله ونكشف عنا العار * قال وان الملك زهير لما راى النوبة قد اشتكلت قال لهم يابني الاعمام والساعة ماذا تريدون منا *فقالوا ايها الملك اما ان تقتل هذا العبد او تبعده عنا * فقال الملك زهير اما قتله فلا اطاوعكم عليهِ لانهُ دخل الى ابياتنا واكل من طعامنا * واستظل بظل حمايتنا وذمامنا * واما ابعاده عن الديار فليس لي حق في هذا الابعاد وانما هو لابيهِ شداد * كل هذا يجري ومالك بن زهير واقف قدام ابيهِ وهو ينظر الى الحاضرين ليرى هل احد يتكلم بالحسنى في حق عنتر فلم يجد من يتكلم بالخير فيهِ وما راى الا اعداءه وحاسديهِ *فصبر على المضض وعلم انهُ اذا تكلم لا يقضى لهُ غرض هذا وعنتر لا يدرى ماذا يصنع لانهُ ان غضب ورحل لايطابقهُ قلبهُ على ذلك لاجل محبتهِ لعبلة بنت مالك * وان بذل فيهم سيفهُ ما يبقى لهُ وجه ان يرجع الى الحلة * ويحترم النظر الى محبوبتهِ عبلة * ولا يبقى لهُ اليها سبيل فيموت من اجلها كمدا ويتحسر عليها طول المدى *فما وجد لنفسهِ احسن من الصبر * ولو اقام تحت الذل والقهر * هذا والملك زهير قد استدعى بشداد اليهِ وقال لهُ ياشداد هولاء القوم قد تعاونوا على عبدك فافصل بينهم بما تريد * وانا على ما تحكم بهِ شهيد * فقال شداد ايها الملك قد حرت في هذا الامر فان اخي ما اقدر ان اغضبهُ وهذا العبد لا يستحق الضرب حتى اضربهُ * لانهُ اليوم صار يعد من

Digitized by Google

الفرسان * وقد صار لهُ شانٌ وايُّ شان * وما بقي في الامر الا طردهُ
او يعود الى ما كان عليهِ من رعي الجمال * ويخلي عنهُ الحرب والقتال *
فان بني عبس لايحتاجون اليهِ على كل حال وان نطق بشعر على
خلاف عادة رعاة الجمال او خلع عنهُ ثوب الصوف * سقيتهُ كاس
الحتوف * ولا بد لي ان اخرج هذه الحماقة من راسهِ * واهدم جهلهُ من
اساسهِ * وهذا العبد السوء ما تجرأ على القبيلة الا من يوم ركوب الخيل
وصار يجالس معكم وينادمكم في النهار والليل * فقال الملك زهير
ياشداد احضر عنتر واشرط عليهِ ما تريدهُ قدامي * وافصل الامر
امامي * فعندها دعا شداد بعنتر فترجل وسعي اليهِ وقبل يديهِ *
وفاضت الدموع من عينيهِ * فقال لهُ ويلك ياعبد السوء قد كفاك
ما جرى فارجع الى ما كنت عليهِ من رعي الجمال وجمع الجلة من
بين التلال * والا عجلت قتلك في الحال * وانا ما اقدر ان اغضب القبيلة
وانحرف معك ولا ان اترك اخي واتبعك فقال لهُ يامولاي افعل ما
تريد واحكم عليَّ حكم الموالي على العبيد * لان العبد ما لهُ الا
مولاهُ * ولا ينفعهُ سواهُ * ان ابعدهُ او ادناهُ * وانا من اليوم ما بقيت
اقصر عن رعي جمالك * وحفظ جميع اموالك * ولا اركب جواداً
ولا احمل السلاح ولا اقول شعراً في غدو ولا رواح * قال الراوي
فعندها شهد عليهِ الملك زهير وجميع من حضر * بحفظ كل ما
ذكر * ثم انطفأت نار الشر بعد الاتقاد وشمت بعنتر الاعادي
والحساد * وبعد ذلك قال لهم الملك زهير يابني الاعمام خذوا اهبتكم

Digitized by Google

للقتال حتى اسير بكم الى من اراد ان يسير اليكم طالباً قلع اثاركم * وسبي عيالكم واخذ اموالكم وخراب دياركم * قال فلما سمع القوم كلامهُ ثارت بهم الحمية ولعبت باعطافهم نخوة الجاهلية * وقالوا لهُ ايها الملك من هو الذي سائر الينا من الملوك ونحن معروفون بين العرب الكرام بفرسان المنايا والموت الزؤام * فاخبرهم الملك زهير بقصة بني طي وما قد جمع عليهم ملجم بن حنظلة واخوه شارب الدماء من الجيوش التي جمعاها من كل حي * ثم قال لهم يا بني الاعمام انتم تعلمون ان بني طي هم جمرة بني قحطان * وقد انضافت اليهم ملوك الزمان * والان قد ساروا الينا واجتمعوا علينا واذل الناس من يغزى في دياره * وتطأ اعداؤه جوانب اقطاره وقد عولت ان اسير بكم اليهم واهجم عليهم * فلا تباتوا الا وانتم تحت السلاح معولين على الحرب والكفاح * لاني اريد ان نسير غداً عند الصباح قال فاجابوه بالسمع والطاعة * وتفرقت على ذلك تلك الجماعة وفرح عنتر بكثرة الجموع التي اجتمعت على القوم وعلم انهم يحتاجون اليه في ذلك اليوم * وانهُ دخل على امهِ زبيبة فوجدها باكية عليهِ متألمة مما وصل اليهِ * فقال لها دعي عنكِ هذا البكا والحزن والاشتكا فوالله العظيم رب زمزم والحطيم والخليل ابراهيم لأبلغنّ ما اريد على رغم انف الجميع * واهشم راس عمارة واخيهِ الربيع * فقالت والله ياولدي ان عبلة تهواك كما تهواها * وتعد نفسها جاريتك وانت مولاها * واليوم كانت عندي وقد خلت البيوت من الرجال *

لما اشتغلتم بالقتال ورايتها على ما جري عليك باكية * ومما اصابك شاكية وقالت لي طيبي قلبهُ وازيلي كربهُ فوالله ما انسى جميلهُ ولا صحة وداده * ولا اطاوع ابي على مراده * قال فلما سمع عنتر هذا المقال انجلت عن قلبهِ الهموم والادغال * واتسع صدره وانشرح * وداخلهُ السرور والفرح * ولما اصبح الصباح امر عنتر اخوبهِ شيبوب وجرير ان يسوقا الجمال وكان الحي قد اصبح يموج كما يموج البحر اذا لعبت بهِ ريح الشمال * وما تنصف النهار حتى خرجت الابطال وتلاحقت الرجال وهم قد غاصوا في الحلق وتنكبوا بالدرق وركبوا الخيول السبَّق وركب الملك زهير وهو غايص في الحديد مسربل بالزرد النضيد ونشرت على راسهِ راية العقاب ودارت بهِ العشائر والاحزاب وبقي في الحي ولداهُ شاس وقيس الملقب بقبس الراي ومعهما خمسماية فارس لكي يكونوا للحي بمنزلة المحافظ والحارس لان اباهما استخلفهما احتسابا من ان يختلف مع بني طي في الطريق فيصلون الى الحي بعد مسيرهِ ويعدمونهُ التوفيق * وساروا تاركين الحي طالبين بني طي هذا ما كان من الملك زهير وبني عبس واما ما كان من بني طي فانهم رحلوا من ديارهم في اثني عشر الف فارس من كل مدرع ولابس والكل بالدروع والمغافر والسيوف البواتر وكان حساب الملك زهير حساب من اختبر الزمان لانهم اختلفوا في الطريق لسعة البر والقيعان وكان الاسبق بني طي فوصلوا الى حي بني عبس عند طلوع الشمس * وامتلأت بهم الروابي والبطاح وسدوا

منافس الهواء باسنـة الرماح ونظرهم الرعيان قبل ان يصلوا الى المراعي وقد ظهروا من روس الروابي والشعاب فعادوا الى الحي على الاعقاب ونادوا بالويل والثبور وعظايم الامور * ولما وصلوا الى الحي اخبروا بقدوم بني طى فنفرت الرجال وركبت الابطال وركب شاس واخوه قيس في مقدمة الفرسان وتبادرت اليهما الشجعان من كل جانب ومكان وركبت بنو قراد وفي اوايلهم مالك وزخمة الجواد والامير شداد وما ابعدوا عن المضارب حتى طلعت عليهم غباير بني طي من كل جانب وتكدرت المشارق والمغارب وظهرت الخيول والجنايب ورجفت الارض من ركض الخيل السلاهب وانسدلت على الاقطار اذيال الغياهب ولمعت الاسنة في القتام مثل الكواكب وحجبت الشمس بنورها الثاقب وراى قيس بن زهير هذه الاهوال فخاف على الاهل والعيال * وقال لبني عبس قد اخطاً ابي في مسيره ولكن قد كان ما كان والان ما بقي يخلصنا الا ثبات الجنان على الضرب والطعان ثم انهم تاهبوا للحرب والقتال وتقدمت الابطال الى المجال وابصر عنتر هذه الحال ففرح وقال والله اليوم ابلغ الامال ثم التفت الى اخيه شيبوب وقال له ويلك ما الذي تشير عليّ به من الفعال * فقال له شيبوب اقبل مني ما اقول فانك به تبلغ المامول * وتلحق بالنسب والحسب وتفتخر على سادات العرب * وان لم تنل اليوم ما تريد لا تزال محسوباً من جملة العبيد * فقال له عنتر ولاجل ذلك استشرتك فاخبرني ماذا افعل وما الذي يكون من

لعمل * فقال شيبوب الراي عندي انك تسوق قطعة من النوق
الجمال وتصعد الى بعض التلال * فاني اعلم ان اصحابنا ينكسرون
اليك يحتاجون وبك ينتصرون وبين يديك يبكون ويتضرعون *
لا تركب جواداً ولا تمارس حرباً ولا جلاداً حتى يلحقك بالنسب
ولاك شداد ويشهد عليهِ انك ولدٌ لهُ من جملة الاولاد * وان لم
فعل ذلك وطلب منك النصرة فلا يكن منك اليهِ التفات * وقل لهُ
يا مولاي انا عبدٌ وما جرت عادة العبيد ان تقاتل مع السادات وانت
بالامس منعتني عن ركوب الخيل وحمل السلاح واشهدت عليَّ
الملك وسادات القبيلة واستحلفتني ان لا امسَّ السيوف والرماح *
والان ما بقيت ادخل تحت هذه الحرمة ولا اخلع ثياب الخدمة قال
فلما سمع عنتر هذا الخطاب راهُ عين الصواب * ثم اخذ العصا بيده وساق
قدامهُ الجمال * وطلع الى ذيل الجبل الذي يسمونهُ العلم السعدي
ووقف هناك لينظر كيف يكون الحال * وشد لهُ شيبوب على الحصان
وعلق لهُ سيفهُ في السرج واخذ الرمح على كتفهِ وتبعهُ الى ذلك المكان
وبقي عنتر ينظر ما يجرى بين بني طي وبني عبس من القتال وشيبوب
يقول لهُ اليوم يومك يا ابن السوداء فابشر ببلوغ الامال * قال
واندفق بنو طي مثل السيل العظيم وانتشروا على بني عبس انتشار
الليل البهيم * فالتقوا هم وبنو عبس بوجوه وقاح واشرعوا الى صدورهم
اسنة الرماح ووقع الحرب والكفاح وجرى الدم وساح واشتد الصياح
وحام طير الحمام على اجساد القتلى وناح وحجب الغبار نور الصباح

Digitized by Google

وعلم بنو طي ان ملك بني عبس غايب فافترقوا عليهم من كل جانب واشهروا عليهم القواضب والتقت الكتايب وحملت المواكب واحاطت بنو طي ببني عبس من كل الجهات وضاقت على بني عبس الاراضي والفلوات ودارت عليهم رحى المهالك والافات وضرب فيهم بوق الشتات وقد اختاروا شرب كاس الممات وغمرت بني عبس كثرة العدد وابهرتهم زيادة المدد * وصبرت الكرام وفرت اللئام وانقطع من الطايفتين الكلام وتراجعت بنو عبس الى اذيال الخيام * وقد دارت عليهم كوؤس الحمام * وانجرح قيس ابن الملك زهير جرحا اشرف منهُ على التلاف فحملوهُ على المناكب والاكتاف * وتبعهم القوم وصار القتال بين الاطناب * وخاضت في بطون القتلى حوافر الدواب * وخرجت الكواعب وهنَّ منشورات الذوايب ممزقات الثياب * واختار بنو عبس ضرب الرقاب على العار * وشربوا كاس المنون مثل العقار * وزعق على ديارهم البوم والغراب وانذرهم بالخراب * وقال مالك ابو عبلة لاخيهِ شداد وقد انجرح في موضعين وعاين الموت الاحمر ويلك يا اخي اين عبدك عنتر ولماذا لم يحضر في هذا اليوم المنكر فلما سمع شداد ذلك الخطاب غاب عن الصواب * وقال لهُ اسكت يا مالك ودع عنك قول المحال فوالله ما تركت لنا مع عنتر راساً يشال ولو كان اليوم معنا لكنا في احسن من هذه الحال * وما كان السبب في طردهِ سواكَ وعسى ان تنتهي جراحك الى الهلاك * ثم التفت شداد

فراى عنترَ على راس الجبل والعصا بيده يسوق بها الناقة والجمل * فعندها همز شداد جواده وصعد حتى وصل اليهِ ولحقهُ مالك ابو عبلة والموت نصب عينيهِ* ولما صار شداد عندهُ صاح بهِ ويلك ياعبد السوء اهذا يوم اشتغال مثلك بالرعي عن بني عبس وقد سُبيت الاولاد والحرم وتطرحت الرجال بين الخيم وصرنا حديثا بين الامم* فقال عنتر يامولاي وما الذي اصنع والله يعز عليَّ هذا البلاء الشديد ولكن انا عبدٌ من اخسّ العبيد وانا اعلم انني أُساق مع القوم من جملة الغنيمة فمن ملكني خدمتهُ وخدمت عيالهُ ورعيت نوقهُ وجمالهُ ثم انهُ ساق الجمال والغنم وترك اباهُ وعمهُ يعضان اصابعهما من الندم فغضب شداد وزعق عليهِ وقال لهُ ويلك ياطخير ما هذا العناد هل دخل على عقلك الفساد* فقال عنتر يامولاي وما الذي تريد مني ارايت في عمرك من يطلب نصرة العبيد ويترك السادات اصحاب الانساب الذين عندهم العبيد مثل الكلاب * فقال لهُ والله لقد صبرت وقدرت وانا اعلم ان قلبك عليَّ ملآن وانت لاجل ما جرى عليك حردان فاركب جوادك حتى تبلغ اليوم مرادك* واحمل على الاعدا وكرّ وانت بعد اليوم حرّ فقال عنتر يامولاي دعني عبداً طول الدهر ولا اكون حرًّا اقاسي العذاب والقهر* فاني اريد ان لا ازال خلف الجمال واستريح من القيل والقال* ومن ملكني فانا لهُ مملوك واعيش عندهُ كما يعيش العبد والصعلوك* فقال لهُ شداد ويلك اترك عنك هذا العناد وانزل الى هولاء الاوغاد* وقاتل الان

وانا ادخلك في نسبي والحقك بحسبي * فتقدم اليهِ مالك ابو عبلة وقال لهُ ياولدي وابن اخي اما ترى ما نحن فيهِ من المصاب وما هي عادتك يا ابا الفوارس ان تتركنا في العذاب انهض وكر على هولاء الاحزاب * فقد الحقناك بالنسب وشاركناك في الحسب وصرت تعدُّ من سادات العرب * فقال عنتر يامولاي انا ما اقدر ان اكر ولا اعدُّ نفسي في مقام حر * ولا اريد ان يكون لي نسب ولا ذمام ولا ابٌ ولا اعمام فلا تطيلوا عليَّ الكلام * ثم اعتزل عنهما وساق الجمال والاغنام

تم

الى هنا انتهى الكتاب الثالث وسياتي تمام الحديث عن هذة الواقعة في الكتاب الذي يليهِ

Digitized by Google

Digitized by Google

هذا كله يجري بين عنتر وابيهِ شداد وعمهِ مالك بن قراد وخيل اليمن قد دخلت حيهم وصارت بين البيوت وقد اخرجوا النسوان والبنات المخدرات الحسان * وطردوا الفرسان وقاتلوا الشجعان * وهزموا الاقران وعلت الزعقات * ونزلت عليهم البليات وعملت المشرفيات * وخرقت الصدور الرماح السمهريات ووقع النهب في ابيات بني قراد واشتفت بهم الاعادي والحساد * وخرجت الفرسان بالسبايا ومعهم سمية والمعتدلة وشريحة والمدللة وما فيهن الامن تنادي بالويل ودموعها تجري على خدودها مثل السيل وكان اكثرهن خوفا وبكاء ورنة واشتكاء عبلة بنت مالك لانها كان سباها فارس جبار واسد مغوار وبطل كرار يقال لهُ غياض بن محارب ويلقب بسوار * وكان طول عمره يهتك المخدرات ويسبي البنات ويكبس القبايل ويغصب العرب على المياه والمناهل وكان قد خرج في هذه النوبة لكي يسبي عبلة لكثرة ما وصلتهُ اخبار محاسنها * وهو الذي كسر في هذه النوبة بني عبس وابعد الحريم عن مواطنها * ودخل الى ابيات بني قراد واخذ عبلة وسحبها سحب الاماء واردفها وراه وهي تلطم خدودها الى ان تخضبت بالدماء وفاضت دموعها مثل مطر السماء قال الناقل ونظر مالك ذلك الحال فاقبل على عنتر

Digitized by Google

بلسان الاذلال وقال ويلك يا ابا الفوارس اما ترى عبلة تساق سوق الاما وانت عودتها العز والحما فقال له عنتر ولماذا لا تطرح نفسك الى عمارة الوهاب وتساله ان يخلصها من السبي والذهاب فقال ويحك يا ابن اخي ان عمارة في هذه النوبة جرح من اول القتال وهو مع ذلك ليس من فرسان هذا المجال قال فعند ذلك قال له عنتر يا مولاي اذا انا حملت الساعة وبذلت روحي في هواها هل تزوجني اياها فقال مالك اي وحق من بسط الارض ودحاها ورفع السماء وعلاها احمل وخلصها من هذه المظلمة حتى اكون لك عبداً وهي لك امة * قال الراوي فلما فرغ مالك من ذلك الكلام تقدم شيبوب الى عنتر وقال له يا اخي ما بقي على ابيك ولا على عمك ملام فاركب الساعة وابذل المجهود وتوكل على الملك المعبود فعندها لبس عنتر عدة الحرب والجلاد وقد زالت من قلبهِ الاحقاد * وانحدر من الرابية وهو يهمز همزات الاسود الضارية حتى ادرك بني عبس وهم قد صاروا كاعجاز نخل خاوية فاكب راسهُ في قربوس سرجهِ وحمل على القوم وطلب غياض بن محارب وهو الذي سبى عبلة وكان قد خرج بها من المضارب وهي تنادي وليس لها من مجاوب فانقض عليهِ عنتر انقضاض الكواكب او السهم الصايب وخاف ان ضربهُ بالسيف تصل الضربة الى عبلة فتهلك معهُ بالجهالة فاعترضهُ عن يمينهِ وصاح فيهِ ويلك يا كلب العرب قد اتاك عنتر وطعنهُ في جنبهِ الايمن

Digitized by Google

اخرج السنان من جنبهِ الايسر فمال عن الجواد يخور في دمهِ يفحص بقدمهِ واقبل عنتر على عبلة وهناها بالسلامة من المهالك وسلمها الى ابيها مالك وعاد الى الغبار * وانصب على الاعداء انصباب الغيث المدرار وجعل قصده الى بني كندة لانهم كانوا اكثر عددا واقوى جلدا فنكس فرسانهم وقتل ابطالهم وشجعانهم واخرجهم من بين الخيام وفرقهم بين الروابي والاكام فطرحوا ما كانوا اخذوه من الاسلاب وهربوا كما تهرب الغنم من الذياب وعند ذلك رجعت بنو قراد الى القتال وقويت قلوبهم على النزال * ولما راي عنتر ان القوم ما بقي لهم رجعة ترك بني قراد في اعقابهم وانحرف الى بني طي وكانوا قد وقعوا في ابيات الملك زهير من دون كل الحي لان اميمة بنت سيدهم كانت عنده فقصدوا ان يخلصوها وكان في مقدمتهم ابوها فاخذها وسبى حريم الملك زهير واولاده وعادوا وبني عمهِ طالبين ديارهم ومعهم السبي والاموال والاما والعبيد والرجال فالتقاهم عنتر بطعن يسابق القضا والقدر وضرب لا يبقي ولا يذر * وكانوا كلما طلبوه وازدحموا عليهِ وصوبوا الرماح اليهِ يصرخ في فرسانهم ويطعن صدور شجعانهم هذا وبنو عبس قد شدوا بعنتر قلوبهم واكثروا صياحهم وزعاقهم واظهروا ارعادهم وابراقهم ونادى بالنصر المنادي وتراجعت الشجعان من كل شعب ووادي ورجع قيس وشاس بعد ما كانا قد هربا ونظرا ما فعل عنتر من

الاهوال * فقال شاس لاخيهِ قيس يا اخي الا ترى هذا العبد السوء انهُ ما قعد عن القتال الى الان حتى يظهر عزه وذلنا ويصير فضلهُ علينا كلنا وان لم اظفر منهُ في هذا اليوم بالمقصود مت وانا مكمود فقال لهُ وما انا تريد ان تفعل بهِ يا شاس وهل يرتفع لنا بدونهِ راس فقال لابد لي من قتلهِ ما دام مشغولاً بالقتال والا فان عاد الى الحلة سالما الحقهُ شداد بالنسب فيكون ذلك عاراً بين قبايل العرب * فقال قيس يا اخي اذا كانت هذه الفعال فعالهُ وهو ابن امة فهو افضل من ابن حرة مكرمة * فدعهُ يحامي عن الحريم والعيال و يخلصنا من غلبات الرجال ومع ذلك هل تقدر على قتلهِ وهل تغنينا عنهُ وتفعل كفعلهِ * قال الراوي ولم يزل قيس على اخيهِ شاس حتى رده عما كان في عقلهِ من الوسواس ثم حملت باقي الرجال تعاون عنتر على القتال فعندها تصادمت الابطال وبانت الاهوال وجرى الدم وسال وقصرت الاعمار الطوال وبان الصدق من المحال واختلفت رياح المنايا كاختلاف الصبا والشمال واما عنتر فانهُ اغار في طلب فارس بني طي غياض بن ربيعة وما زال يطلبهُ حتى ادركهُ في المجال وهو يحرص الابطال فالقى نفسهُ عليهِ وقام في بداديهِ وتمطى في ركابيهِ وضربهُ بالسيف على قمتهِ فنزل الى نصف قامتهِ * فلما نظرت بنو طي تلك الضربة رجفت قلوبها وردت سيوفها الى اغمادها وولت راجعةً الى بلادها * وهرب شارب الدماء مكتفيا بخلاص ابنتهِ اميمه

وتبعتهُ بنو طي وبنو كلاب بن وبرة وكانت على بني قحطان اشام سفرةٍ وكسرة * لانهم كانوا قد تفرقوا في اقطار الارض وعنتر يطعن فيهم بالطول والعرض وبنو عبس قد بذلت فيهم رماحها وكسرت في جماجمهم صفاحها الى ان ابعدوا في القفار وهم لا يصدقون ان يصلوا الى الديار وعادوا عنهم وعنتر بين اياديهم كانهُ الاسد الادرع وهو من دماء الاعداء قد تدرع * ثم انهُ اقبل على بني قراد وقبل يد عمهِ مالك وابيهِ شداد وقد زالت من قلوبهم الاحقاد وظهر منهم حسن الوداد وظن عنتر انهُ بلغ المراد ولم يعلم بما في قلب عمهِ مالك من العناد وفرح بخلاص عبلة من السبي والمذلة * وتذكر تلك الوقعة فجاش الشعر في خاطره وانشا يقول

عقاب الهجر اعقبني الوصالا ... وصدق الصبر اظهر لي المحالا
ولولا حب عبلة في فؤادي ... مقيمٌ مارعيت لها جمالا
فاها كيف ذلَّ العشق مثلي ... ولي عزمٌ افلُّ بهِ النصالا
انا الرجل الذي خبرّت عنهُ ... وقد عاينت مع خبري الفعالا
غداة اتت بنو كلبٍ وطيٌ ... تهز اكفها السمر الطوالا
بجيشٍ كلما فكرّت فيهِ ... حسبت الارض قد مليت رجالا
فداسوا ارضنا بمضمّراتٍ ... حسبت صهيلها قيلاً وقالا
فولت جفلاً مني خوالٍ ... خفافا بعد ما كانت ثقالا
وراحوا هاربين وهم حيارى ... وفاتوا الظعن قهرًا والرحالا

وما ردَّ الفوارس غير عبدٍ　ونار الحرب تشتعل اشتعالا
بطعنٍ ترعد الابطال منهُ　وان ذكرتهُ تجتنب القتالا
صدمت الجيش حتى ملَّ مني　وعدتُ ولم تجد نفسي ملالا
تبدَّد شملهم من خوف سيفي　وقد طلبوا المغاوز والجبالا
تدوس على الفوارس خيل عبسٍ　وقد جعلت جماجمهم نعالا
وكم بطلٍ تركت بها طريحًا　يحرك بعد يمناهُ الشمالا
وخلصت العذارى والغواني　وما خليت مع احدٍ عقالا

قال الراوي ولما فرغ عنتر من هذه الابيات فرح بهِ ابوه شداد وقال لاخيهِ مالك والله يا اخي لابد ان يرتفع قدرك بسيف ولدي عنتر عند امة ربيعة ومضر فقال لهُ مكرهٍ الان يا اخي قد كان الذي كان ومضى ما مضى واليوم عنتر سيفنا المنتضى ثم انهم دخلوا الحي والاما بين ايديهم بالدفوف والمزاهر وقد وقعت البشاير في العشاير وتخلصت الابكار والحراير وتفطرت من اعدا عنتر المراير ثم نحروا الجزور وصفوا المدام وصنعوا الالوان الفاخرة من الطعام وداموا على ذلك خمسة ايام وبعدها قدم الملك زهير وهو طاير العقل لايصدق ان يرى حيهُ بالسلامة والخير لانهُ سمع ان اعداه خالفوه في الطريق فخاف من خراب دياره وانطفاء نارهِ فلما وصل راهم تحت ظل العز العزيز والحرز الحريز وكان عنتر قد ركب الى ملتقاه وترجل لهُ وقبل في الركاب رجلهُ فامره الملك زهير ان يركب جواده الابجر فركب الامير عنتر وسار الملك زهير واولاده الى

جانبهِ حتى وصل الى ابياتهِ وقد زالت عنهُ جميع حسراتهِ * وباتوا بالسرور والافراح الى ان اصبح الله بالصباح ولما اصبح دعا الناس الى وليمتهِ فحضروا بين ازواج وافراد وكان اقرب الناس اليهِ في مجلسهِ عنتر بن شداد فصار يحدثهُ كيف ان اباه الحقهُ بالنسب وشاركهُ في الحسب وكيف خلصهم وحمي الحلة وكيف زوجهُ مالك بابنتهِ عبلة * فلما سمع شاس من عنتر ذلك الكلام اشتعل في قلبهِ الغضب * وقال ويلك ياشداد كيف يجوز لك ان تلحق هذا العبد بالنسب ومن فعل هذا قبلك من العرب * فقال لهُ اخوه قيس والله ياشاس ما قصر عنتر فيما فعل * ويستاهل ان يعمل في حقهِ اكثر من هذا العمل فقال الملك زهير لاتزال ياشاس تتكلم بكلام الحسد * وتعارض الوالد في الولد ولا يصل اليك من ذلك الا التعب والنكد * وكل القبيلة تعلم ان عنتر هو بن شداد * ولهُ الخيار في معاملتهِ بالتقريب والابعاد على انهُ والله قد فاق على جميع بني قحطان * وقهر جميع العربان ولو افتخر علينا لكان يحق لهُ ذلك لانهُ ابداً يرفع قدرنا ويشيد امرنا * وكان الملك زهير يقول هذا الكلام وعنتر يقبل الارض ويدعو لهُ بالبقا على ممر الليالي والايام * ويقول لهُ يامولاي بعزيز حياتك لاتواخذ مولاي شاس بما قال * فانا عبدهُ على كل حال وان كان قد تالم قلبهُ من الحاقي بالنسب * فانا ارحل الى بعض احياء العرب * واطلب لنفسي علو الرتب ولا اقيم بدار الهوان

ولا اعادي ملوك الزمان * ولولا انتظاري لمثل هذا اليوم السعيد ما كنت صبرت على الضيم ولا تركت نفسي في مقام العبيد واحتمالي كل هذه المذلة من اجل ابنة عمي عبلة * والان فقد بلغ الامر المنتهى لان عمي قد وعدني بها وانا لا اخذها الا عن اذنه ورضاكم ولا امشي الا بحسب هواكم * وان كان هذا لا يرضيكم فانا اتخذ لي بعض المنازل واقيم على بعض المناهل واتجرد لنهب اموال العرب وجمالها واسبي خيار نسايها وعيالها واعيش باقي عمري بلا صاحب ولا خليل ولا اقارب ثم بعد ذلك تجارت الدموع من عينيه وكاد ان يغشي عليه فجاش الشعر في خاطره وباح بما اكتتم في ضمايره فانشد وجعل يقول

حكم سيوفك في رقاب العذل ِ ... واذا نزلت بدار ذل ٍ فارحل ِ
واذا بليت بظالم ٍ كن ظالما ... واذا لقيت ذوي الجهالة فاجهل ِ
واختر لنفسك منزلا تعلو به ِ ... اومت كريما تحت ظل القسطل ِ
فالموت لا ينجيك من آفاته ِ ... حصن ٌ ولو شيدته ُ بالجندل ِ
واذا الحبيب جفا ومل ّ فخله ِ ... في غية ٍ واسمع مقال العذّل ِ
لا تسقني كاس الحياة بذلة ٍ ... بل فاسقني بالعز كاس الحنظل ِ
كاس الحياة بذلة ٍ كجهنم ٍ ... وجهنم ٌ بالعز اطيب منزل ِ
موت الفتى في عزة ٍ خير ٌ له ... مما يبيت ُ اسير طرف ٍ اكحل ِ
ان كنت ُ في عدد العبيد فهمتي ... فوق الثريا والسماك الاعزل ِ
وبذابلي ومهندي نلت ُ العلى ... لا بالقرابة والعديد الاجزل ِ

ان انكرت فرسان عبس نسبتي — فسنان رمحي والحسام يقرُّ لي
والخيل تشهد والفوارس انني — فرقت جمعهم بضرب الفيصل
ورميت مهري في العجاج فخاضهُ — والنار تشعل تحت ظل القسطل
فاعدتهُ كالارجوان مخضبا — يشكو اليَّ بذلةٍ وتململ
خاض العجاج محجلاً حتى اذا — شهد الوقيعة عاد غير محجل
باتت زبيبة في الظلام تلومني — خوفا عليَّ من ازدحام الجحفل
واتت تخوفني الحتوف كانني — اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فاجبتها ان المنية منهلٌ — لابد لي من ورد هذا المنهل
كفي ملامك يا اميمة واعلمي — اني امرؤ ساموت ان لم اقتل
ان المنية لو تمثل شخصها — لي في العجاج طعنتها بالاول

قال الراوي فما فرغ عنتر من شعره حتى نهض الملك زهير قايما على قدميهِ ومشى اليهِ وقبلهُ بين عينيهِ * وقال لهُ والله لا اصابك سوءٌ ولا شمت بك عدوٌ ويحق لك ان تلحق بالنسب وتفتخر على سادات العرب انت اليوم ابن عمي وفارج همي وغمي ثم نادي ياسادات عبس وعدنان من كان يريد ان يفعل مايرضيني فينادي عنتر مثل ماينادبني * قال وكان ولده مالك حاضرًا فما صدق انهُ يسمع من ابيهِ ذلك الكلام الذي يشفي الغليل ويعافي العليل حتى نهض وعانق عنتر وهناهُ وبابن عمهِ دعاهُ * وقام الى عنتر بعد مالك ساير بني عبس وعانقوهُ وبابن العم لقبوهُ * قال الراوي هذا وشاس قد زاد حنقهُ وكاد الغيظ

بخنقهُ * وكذلك الربيع بن زياد واخوهُ عمارة الوهّاد . الا انهم اخفوا ما في الصدور من الكمد واظهروا الجلد * ولما انقضت الوليمه خلع الملك زهير على عنتر خلعة معلمة بالذهب تساوي الف دينار كسروية وعممهُ بعمامة ريحانية وقلدهُ بصمصامة هندية * واركبهُ حجرةً عربية * وسماه حامية بني عبس . وفارس كل من طلعت عليهِ الشمس * وسار عنتر مع ابيهِ الى نحو ابياتهِ وقد علت بين السادات كلمتهُ . وارتفعت مرتبتهُ * والاما حولهُ بالدفوف والمزاهر والعبيد بالحراب والسيوف والخناجر * وزادت عند بني زياد الاحقاد وتفتتت منهم الاكباد وكان اعظمهم حسرةً عمارة لانهُ علم ان عبلة خرجت من يدهِ واشتعلت النيران في كبده واحس ان روحهُ خرجت من جسدهِ * فقال في نفسهِ مالي الا ان احتال عليها وانظرها فان كانت كما سمعت عنها فايقة في الحسن والجمال فانا اطرح نفسي على اخي الربيع . واسالهُ ان يعينني على هلاك هذا العبد الشنيع لان اخي يقدر على هلاكهِ بدواهيهِ ويبلغني منهُ ما اشتهيهِ وان لم تكن بهذه الصفة تركتها وسلوت عنها وارحت قلبي منها * ثم ان عمارة رصد عبلة حتى خرجت في بعض الايام مع جماعةٍ من نساء بني قراد * الى غدير ذات الاصاد * فلبس ثياب بعض العبيد وتزيا بزيهم وخرج خلفها من بعيد * ولما قرب منها امعن فيها النظر . فوجدها كما وصفت لهُ واكثر . قال الراوى فعند ذلك التهب

فوءاده وتزايد دهشته وغرمه ورجع وهو لا يدري اين تنتهي اندامه فلما وصل الى منزله قص على اخيه الربيع قصته وشكا اليه غصته وقال له والله يا اخي ان فاتتني هذه الجارية عدمت عقلي وان اخذها هذا العبد السوء كانت سبب قتلي ٠ فقال الربيع والله ياعمارة قد حملتنا امراً كنا عنه في غنى واحوجتنا ان نعادي هذا العبد الذي ليس هو من مثلنا ٠ والان ما عدت تقدر على هذه الجارية الا ان كان ابوها ياخذ بيدك فاطالعه على امرك وكاشفه بسرك ورغبه في المال وكثرة النوق والجمال ٠ وان كان يخاف من عنتر فانا ادبر على هلاكه واريحه من ارتباكه فطاب قلب عمارة بهذا الكلام واظهر الضحك والابتسام وانطفا عنه ما كان يجده من نار الغرام ونام الى الغد ولبس افخر ملابسه وتطيب وركب جواده وقد ظن انه يبلغ من عبلة مراده وانفذ عبداً من عبيده يدعوا اباها واخاها فاقبلا من ساعتهما اليه ٠ وسلما عليه ٠ وقال مالك لعمارة ما حاجتك ايها الامير والسيد الخطير ٠ فقال ياعماه اعلم انني ما دعوتك الا حتى ارى ان كان طاب قلبك بتسليم الدرة المكنونة والحرة المصونة ٠ الى راعي ابلها وسايق مواشيها الذي زاحم سادات العرب على معاليها ٠ فقال ولده عمرو وحق اله السماء لو قطعوني اربا اربا ما طاوعته على ذلك ٠ وان سلمت اختي الى هذا العبد الزنيم فلا اكون ابن مالك ٠ فقال ابوه والله ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبرا ابغض الي

من عنتر فانه عندي الاكبر . ولكن لولا ما تخدمه السعادة وتطاوعه المشية في الارادة ما كان نال هذه المنزلة من الملك زهير حتى الحقه بالنسب وجعله من سادات العرب . ولولا ذلك لما كان له ذكر لانني انا واخي ما لحقناه بالنسب الا ضحكا عليه حتى يساعدنا في القتال وما كان قولنا له الا على سبيل الزور والمحال ولقد اخطأنا نحن باقرارنا قدام الملك زهير وسادات العشيرة انني قلت له وقد سبيت ابنتي خلصها وهي الك زوجة ففعل ذلك وسلم من المهالك * وقد صارت له الحجة علينا ولاجل ذلك ضاقت علينا المسالك * ولكن انا ادبر واجود التدبير وانتظر له العرضيات في المقادير فقال عمارة يا مالك اما خوفك من زهير واولاده فهذه حجة قصيرة كيف يقدرون ان يغصبوك على زواج ابنتك بغير اختيارك ولو انك تكون اقل ما في العشيرة ولا سيما ان مثلي خلفك يرد عنك شر من ناواك ويكون معك في شدتك ورخاك * وانا واخوتي اليوم اقرب من كل احد الى الملك زهير لان ولده قيس قد تزوج بالمدللة بنت اخي الربيع وقد شاهدت انت زفافها عليه ولذلك صرنا اهله واحب الناس اليه * فاذا حضرنا غدا في مجلس الملك اقوم اليك واخطب منك ابنتك واغلظ معك في المقال فاجبني الى ذلك واطلب من المهر ما اردت من النوق والجمال ودعني بعد ذلك لعنتر ولكل من يعارضك من البشر * وانا اقود لك من المهر الف

ناقة سود الحدق حمر الوبر والف راس من الغنم وعشرين راساً من الخيل بلاماتها ومائة ثوب اطلس احمر واربع عقود جوهر ومائة ثوب من الديباج المدنر * ومائة زق من الخمر تصنع بها الوليمة ومائة عبد ومائة امة والف دينار من الدنانير القديمة * فقال له عمر اخو عبلة قد فرح بذلك يا وهاب والله نحن ما قصدنا في مالك ونوالك ولا في نوقك وجمالك ولا نريد الا حسبك ونسبك وكمالك وادبك * وماذا نصنع نحن بذلك العبد الاسود الذي ليس له حسب ولا نسب ولا ذكر يذكر به بين سادات العرب * قال الراوي فلما سمع عمارة ذلك الكلام فرح فرحاً شديداً واستبشر وانفصل الامر بينهم على ان عمارة يكفيهم موءنة عنتر ومن يتعصب له عند الملك زهير من البشر * وعول مالك ان يجمع بني زياد ويغدر بعنتر بن شداد وحدّث عمارة اخاه الربيع بما جرى له مع مالك وكيف عول ان يغدر بعنتر فوعده بالمعونة على ذلك ولما كان الغد وجلس الملك زهير اقبل عمارة في جماعة من بني زياد وقد كبر العمايم وضيقوا اللثايم واقبلت بنو قراد وفيهم عنتر بن شداد فنهض الملك زهر قايماً على قدميه وسعى اليه وقبله بين عينيه واشار بالسلام عليه وضحك في وجهه وقال له اهلاً وسهلاً ومرحباً بابن العم وكاشف الهم والغم ثم اجلسه الى جانبه بين اولاده واقاربه هذا وقد اخذت الفرسان مقاماتها وجلست كما كان من عاداتها قال الراوي فعند

Digitized by Google

ذلك التفت عمارة بن زياد الى مالك بن قراد وقال له يا شيخ اتعرف ان في نسبي او في اهلي واخوتي بعض ارتياب او فينا شي يعاب * فقال مالك لا والله يا ولدي بل انتم اشراف العرب واصحاب المعالي والرتب * فقال له عمارة فلماذا تهاونت في حقي بعدما انعمت لي بزواج ابنتك وتغافلت عني وانا راغب في مصاهرتك * فان كان في قلبك عذر او سبب فاظهره لي فاني من الحق اغضب ولا اخرج عن سنة الادب ولا عما تحكم فيه العرب فقال مالك ابو عبلة يا عمارة ما انا غادر ولا لي باطن ولا ظاهر * فقال عمارة الان مضى ما مضى وها انت في حضرة هذا الملك الكريم والسيد العظيم وقد جيتك خاطباً وفي كريمتك راغباً فافرض عليّ من المهر ما شيت من الفضة والذهب واشهد عليّ وعليك هولاء السادات من ذوي الرتب قال الناقل فلما سمع عنتر هذا الكلام علم ان عمه كاذب وفي عمارة راغب فخاف عنتر ان ينقطع المهر كما جرت العادة وتثبت على الاثنين الشهادة فقال عنتر لعمارة يا ابن زياد لا تزال على هذا التعدي ولا تتركه الخطب من الرجال ما لا يملكه فقال عمارة اسكت يا عنتر والزم موضعك فما انا اتكلم معك ثم عاد عمارة الى مالك بالكلام وقال له ماذا تقول فيما سمعت من اخس العبيد فانا لا اخالفك في كل ما تريد * بل اشهد عليّ هذا الملك اني اسوق لك مهر ابنتك كل ما تعينه من المال والنوق والجمال وبعد هذا كله انا عمارة بن زياد الذي

افتخر بالاباء والاجداد وهولاء الامرا اخوتي وهذا الملك صهري ومن يكون افخر مني في الحسب واعلى في النسب * قال الراوي فزاد بعنتر الحنق من الملال وظهر له من عمه المحال فقال يا قوم ما لكم في عبلة حتى تامزوا عليها ان عبلة لمن خلصها من مخاليب فرسان العرب لما اشرفتم كلكم على العطب فقال عمرو اخو عبلة والله يا عنتر لو امرني الملك زهير بقتلي او رايت السيوف تنهبني ما سلمت اختي اليك * ولا جعلتها في حوزتك وطوع يمينك * ولا اترك العربان تتحدث عنا في كل مكان ويقولون ان بني قراد زوجوا ابنتهم بعنتر عبد شداد * فقال الربيع يا عمرو ومن الذي يغصبك على هذا الامر الشديد لان اختك تحت حكمك تزوجها بمن تريد * ولا احد يقدر ان يلزمك ان تعطيها للعبيد قال فلما سمع عنتر هذا المقال قام الى جواده وركبه وكان سيفه مع شيبوب فاخذه واستلبه ونادى وقد احمرت عيناه وطلع الزبد على شداقيه وما بقي ينظر ما بين يديه * وقال يا سادات العرب ها انا وانتم في حضرة هذا الملك العظيم الشان العالي المكان وقد خطر ببالي كلام اريد ان اقوله قدام هذه السادات الكرام وهو ما يصدقني عليه الخاص والعام * انتم تعلمون اني قد سالت ابي الف مره ان يلحقني بالنسب فما فعل ولا ازال عني رق العبودية ولو وصاه بي مولاي مالك فما قبل الوصية * وما اقر لي اني ولده ولا قال لي يا ابني حتى احتاج الي وانتصرت بسيفي هذا على الاعدا

وخلصت حريمكم كلكم من السبي والعناء ❊ وهذا عمي سبيت ابنته وسلبت نعمته فقال لي يا ابن اخي خاص بنت عمك المكرّمة وانا لك عبد وهي لك امة ❊ ففعلت فعالا تعجز عنها صناديد الرجال ورميت نفسي الى الهلاك والوبال ❊ وخلصت الغنايم من بني طي والعيال طمعاً مني في ذلك الوعد والمقال واليوم حين قرّ قراره يقول انا زوج ابنتي لمن اريد ويحسبني من جملة العبيد ❊ اما عمارة فقد جرى لي بالامس معهُ ما جرى ❊ وعاد الى التعرض لي مرة اخرى ❊ وانتم تعاونونه عليَّ طمعاً فيما ترونهُ من انقيادي اليكم ❊ وخضوعي بين يديكم ❊ وانا افعل ذلك لاجل القرابة والنسب والا لو كان غيركم تركتهُ مثلاً بين قبايل العرب والان فقد كان الذي كان واريد منكم العدل والانصاف ان كنتم تزعمون انكم سادات واشراف ❊ وان لم تنصفوني فما انا عن اخذ حقي جبان ولا يدي قصيرة عن الضرب والطعان بل انا مهلك الفرسان والجبابرة الشجعان ❊ ومن حاد عن طريق الحق رددتهُ اليه بهذا الصارم اليمان ❊ لاني ما بقيت اصبر على الذل والهوان ❊ ثم ان عنتر اوما بيده الى الملك زهير وقال لهُ وانت ايها السيد الفاضل لا تلمني على ما انا فاعل ❊ لانك ادري بما نحن فيه ❊ واخبر بما نظهره وما نخفيه ❊ وهذا عمارة قد اراد ظلمي وزاحمني على بنت عمي ❊ فدعهُ يبرز الى الميدان ويقارعني عليها بين الفرسان ❊ فاينا غلب وقهر كانت عبلة لهُ على رغم انف الاخر

Digitized by Google

وان كان يفتخر عليَّ بكثرة مالهِ ونوقهِ وجمالهِ فهذا اهون عليَّ من كل شيءٍ فقل لعمي يقترح عليَّ ما اراد من الاموال والنوق والجمال حتى اتيهُ بها بالاعجال ولا يحتج عليَّ بغنى عمارة وفقري فيفتح عينهُ ويعرف قدري لان عمارة ما يملك الا الذي بيده والاموال العرب كلها لي ان شيت اخذتها نهباً وغزاً وان شيت تركتها حلماً وعفواً وان لم يسمع مني عمي هذا الكلام رحلت عنكم الى مكة اقيم هناك اعبد رب البيت الحرام واغزوكم في كل عام حتى افني اعداي بالحسام * واتركهم موعظة لساير الانام لاني احسنت اليهم فجحدوا الاحسان وحلمت عنهم فقالوا هذا جبان واريد من اليوم ان اعرفهم من هو احق بالذل والهوان واعلموا اني ما تكلمت بهذا الكلام وبقي لي عندكم نية في المقام ولا اريد منكم نسباً ولا ذماماً ولا اباً ولا اعماماً لاني ما بقيت اريد اباً غير هذا الحسام ولا عمّاً غير هذا الرمح المعتدل القوام وان زوجوا بنت عمي باحدٍ حضرت اليهِ وخطفت روحهُ من بين جنبيهِ * وان تعرض لها كسرى انو شروان ركبت اليهِ واخربت على راسهِ الايوان * ثم انشد وجعل يقول

انا مجد الجميل بنو قرادٍ وجارت بالفعال بنو زيادِ
فهم سادات عبسٍ اين حلوا كما زعموا وفرسان البلادِ
فلا عتبٌ عليَّ ولا ملامٌ اذا اصلحت حالي بالفسادِ
لان النار تضرم من جمادٍ اذا ما الصخر كرَّ على الزنادِ

ويرجى الوصل بعد الهجر حيناً كما يرجى الدنو من البعادِ
ومن لم يركب الاخطار امسى بقيد الذل في اسر الاعادي
حلمت فما عرفتم حق حالي ولا ذكرت عشيرتكم ودادي
ساجهل بعد هذا الحلم حتى اريق دم الحواضر والبوادي
ويشكو السيف في كفي ملالاً ويشكو عاتقي حمل النجادِ
وقد شاهدتمُ في يوم طيٍّ فعالي بالمهندة الحدادِ
رددت الخيل خائبةً حيارى وسقت جيادها والسيف صادِ
ولو ان السنان لهُ لسانٌ حكى كم شك درعاً في فؤادِ
وكم داعٍ دعا في الحرب باسمي وناداني فخضت حشى المنادي
لقد عاديت يا ابن العم ليثاً هزبراً لا يملُّ من الطرادِ
يردُّ جوابهُ قولاً وفعلاً ببيض الهند والسمر الصعادِ
فكن ياعمرُ منهُ على حذارٍ ولا تملاء جفونك بالرقادِ
فلولا سيدٌ فينا مطاعٌ كريم القدر مرتفع العمادِ
اقمت الحق بالهندي قهراً واظهرت الضلال من الرشادِ

قال الراوي فتعجب كل من حضر من حدة خاطر عنتر فالتفت شداد الى اخيهِ مالك وقال لهُ يا اخي اتريد ان تجعلنا مثلاً لكل قايل وتشتت شملنا في كل القبايل * فاما ان تزوج ولدي عنتر بابنتك عبلة والا رحلت عنكم انا في الجملة وكذلك قال زخمة الجواد اخو شداد * واما مالك بن زهير صديق عنتر فلبدى غضبهُ واظهر محبتهُ لعنتر وتعصبهُ * ثم التفت الى ابي

عبلة وقال له يا مالك اذا كان لابن اخيك في قلبك هذه البغضة والضغينة * لما اكتسبه بسيفه وقد خلص ابنتي عبلة وهي لك قرينة * واليوم لما قرّت بنتك في قرارها ولهنت في ديارها صرت تبعده * وتهينه وتطرده فلو ان عنتر هالك لاجل ذلك هل كنت انت تنفعه يا مالك * والله ان عبلة لعنتر على رغم انفك وانوف اعدايه الجميع الرفيع منهم والوضيع اولهم عمارة واخوهم الربيع * قال ولما اتم مالك كلامه ساعده بعض المحبين لعنتر * وعلموا ان كلامهم يرضي اباه فلاموا ابا عبلة مثاله واكثر فتلهب بنار غيظه وحنقه * وقال من شدة قلقه * انا لا اسمع ولا اطيع * ولا ازوج ابنتي الا لمن عاهدته في الاول وهو عمارة اخو الربيع * فقال له الملك زهير يا مالك هذه حجة قاصرة لا نقبلها ولا نترك مثل هذا الاسد الذي ناره في الحرب لا تخمد * وان كان خوفك من عمارة والربيع * فانا اسأله ان يهب لنا هذه الجارية ويعدل عن هذا الامر الشنيع * واسال اخاه الربيع ان يعينني عليه ٠ ويطفي هذه النار التي تصل حرارتها اليه ٠ فلما سمع الربيع هذا الكلام التجم من الخرس بلجام وقال من شدة مكره ايها السيد الهمام وحق ما لك علينا من سوابغ الانعام ما بقي اخي عمارة يذكرها ولو هلك لاجلها من الغرام ٠ ولا انادي عنتر الا كما انادي بني الاعمام * ثم انفصل الامر على هذا الحال ٠ وتفرقت الابطال * وعاد عمارة خايبا يتحسر ٠ وباذياله يتعثر ٠ ولم يزل كذلك الى ان وصل الى اياته

وبكي بين يدي اخيهِ الربيع . مثل بكاء الثكلي على ولدها الرضيع وقال وحق اللات والعزي ياربيع ان اخذ عبلة هذا العبد الزنيم . فاعلم ان اخاك عمارة يموت من حسرتهِ ويقاسي العذاب الاليم . فقال لهُ الربيع والله ياعمارة لقد انشبتنا في امرٍ يقلع اثارنا ويخرب ديارنا وعاديت بيننا وبين من ليس هو من نظرائنا ولا يعد من اكفائنا . وما وقع الفناء في بنات عرب البادية . حتى تزاحم هذا العبد على هذه الجارية ❋ قال الراوي ودخلت عليهِ امهُ فاطمه فوجدتهُ يبكي بين يدي اخيهِ الربيع فسالتهُ عن حالهِ فاخبرها بما جرى لهُ مع عنتر من الصنيع فقالت لهُ والله ياعمارة انا ما اردت انك تتعرض لهذا العبد وتلج هذا اللجاج . لانهُ فحل الهياج ❋ وهو مع شجاعتهِ عاشقٌ كالسكران لا يبالي بسادات العرب ولا بكسرى انو شروان ❋ وان عدت ذكرت عبلة فما امن عليك من جهلهِ لانهُ والله جبارٌ عنيدٌ لا يقدر احدٌ ان يفعل كفعلهِ ❋ ولقد رايت من افعالهِ ما اذهل بصري وحيرّ نظري ❋ لانهُ حطم ذلك الجيش الذي عجزت عنهُ الالوف ❋ وبدّد بسيفهِ تلك الجماهير والصفوف ❋ ولو لم يخلص من ايديهم السبايا لكنا الان في ديار بني طيٍّ نقاسي البلايا فقال عمارة ياأماه لا تزالين تعظمين هذا العبد الزنيم وانا والله ان لقيتهُ في الحرب اتركهُ كالعظم الرميم واعلمي ياأماه انه ان اخذ عبلة بنت مالك فاني لا شك هالك ❋ فقال الربيع

يا عمارة انا لا اتركك تموت بحسرتك بل ادبر الك على هلاكهِ بكل سبب * ارميهِ في مهاوي العطب حتى نستريح منهُ نحن وساير العرب * قال وكان للربيع صديق من بني عبس قد افنى عمره في الغزوات * والهب العرب بالغارات لا يبرح غائبا عن الاوطان ولا يستقر في مكان وكان يصتاد السباع من الدحال ويصادم الابطال وينهب الاموال ويفرقها على صعاليك الرجال وهو عروة بن الورد الذي يلقب بعروة الصعاليك * لانهم كانوا يجتمعون اليهِ وكان معهم في اموالهِ كالشريك * وكانت العرب تتحدث بعطاياهُ وفضايلهُ * وحسن اخلاقهِ وخصايلهُ وهو لا يفتر من الغارات ولا يهدا من الغزوات وكان مع شجاعتهِ حلو الخطاب حسن الاداب يفتخر على العرب بالفصاحة والكرم والسماحة وحسن الشيم * ومن جملة ما نقل عنهُ من الاشعار انهُ لما كانت امهُ تنهاهُ عن كثرة الاسفار وتلومهُ على ارتكاب الاخطار انشد وقال في ساعة الحال

اقلّي يا اميمة من ملامي وعذلي في الرحيل وفي المقامِ
فمن طلب العلا امسى كميًّا واصبح جائلاً تحت القتامِ
ولاقي كل جبارٍ عنيدٍ بطعن الرمح مع ضرب الحسامِ
فاهنى ما يلذ بهِ فوأدي محادثة الضيوف على الطعامِ
وبذل المال نحو جياع قومٍ حيارى بين اطناب الخيامِ
ونادي دايماً في الليل نهدي اليَّ الطارقين دجى الظلامِ

وانّي فارسٌ في كلّ حربٍ منيعٌ في الطعان وفي الصدامِ
ويطربني صريرُ الرمح حتى اشبههُ بآنية المدامِ
حياةٌ لا يكون العزُّ فيها حرامٌ في حرامٍ في حرامِ
فعش في العزّ والاقبال يوماً ولا تحت المذلة الف عامِ

قال الاصمعي وكان هذا عروة قد سمع بحديث عنتر بن شداد ولكن ما اتفق لهُ ان يراهُ في قتالٍ ولا طراد ولما جرى لعمارة ما جرى مع عنتر في هذه المرّة وشكا الى اخيهِ الربيع ما بهِ من الحسرة كان عروة بن الورد حاضرًا في الحالة تلك الايام فاستحضره الربيع وبالغ لهُ في الاكرام ثم حدَّثهُ بحديث اخيهِ عمارة وما جرى لهُ مع عنتر من العبارة ❋ وطلب من عروة قتل عنتر لانهُ قد طغى وتجبرّ ❋ فقال لهُ عروة وهل بلغ قدر عنتر هذا العبد الى هذا الحد ونسي ما كان فيهِ من رعي الجمال وجمع الجلة من بين التلال ❋ فقال الربيع اي وحياتك يا ابا الابيض خرج علينا منهُ شيطانٌ مريد وعبدٌ لا يقاس بالعبيد وقد رفع الملك زهير قدرهُ وعظَّم امرهُ ولقبَّهُ بحامية بني عبس وفارس كل من طلعت عليهِ الشمس ❋ ودعاهُ بابن عمهِ وكاشف غمهِ والان نريد منك يا ابا الابيض ان تعيننا عليهِ لعلك تصرم عمره وتكفينا شره قال وكان عمارة حاضرًا وقد لعب بهِ سلطان الهوى وزاد بهِ الوجد والجوى فطلب من عروة النصر على عنتر وقبلهُ بين عينيهِ ❋ وبكى من شدة حرقتهِ بين يديهِ

فقال لهُ عروة لا تبلك يا وهاب فانا اقتلهُ ولو صعد الى السحاب ❊
فقال عمارة يا ابا الابيض ان قتلتهُ فانا اعطيك فرسي اليعسوب
ومايه ناقة حلوب فقال عروة انا ما اريد منك مالاً ولا نوالاً ولا
نوقاً ولا جمالاً ولا بد ان اغتالهُ في بعض المواضع واقتلهُ حيث لا
ناظر ولا سامع فاشرب وطيب قلبك واشرح صدرك لان الله
قد يسر امرك فعند ذلك شرب عمارة وطاب قلبهُ وخفت كربهُ
وداخلهُ السرور والفرح واتسع صدرهُ وانشرح قال واما ما كان من
عنتر فانهُ لما اصبح الصباح واتت الفرسان الى خدمة الملك زهير
والسلام عليهِ اتى في الجملة وجلس بين يديهِ وبعد ذلك قام
مالك بن زهير وقصد اياتهُ واخذ معهُ عنتر واباهُ وابا عبلة
واقاموا ذلك اليوم في دعوتهِ . وفرح عنتر بقضاء حاجتهِ وجعل
يشكر عمهُ ويصف مكارمهُ وحلمهُ ويقول لهُ بالله عليك يا عماه
لا تضيع خدمتي الك وتعبي ولا تترك عمارة يشمت بي ❊ فقال لهُ
مالك بمكرهِ والله يا ولدي ما بقيت اعدك من اليوم الا عمدتي
وركني ❊ وانت عندي في منزلة ابني ❊ فلا تظن ان كلامي كان
لك في ذلك اليوم الاحياء من بني زياد لانهم بيت رفيع العماد .
فما امكنني اجاوبك قدامهم الا على طبق المراد والان فقد صار
الملك يخاصم عنا بني زياد ❊ ومضى ما بيننا من العناد ❊ وقد
صفت القلوب من الاحقاد ❊ فشكره عنتر على ذلك المقال ❊
وايقن ببلوغ الامال وقال والله يا مولاي ما اغضبني ذلك اليوم

الا قول ولدك عمرو والله لو قتلني الملك زهير ما سلمت اختي
الى بعض خدمها وراعي ابلها وغنمها ❋ فقال له عمه يا ولدي
ان ابني رغب في نعمة بني زياد ❋ وامل ان يختلط بهم ويعيش في
ظلهم وليس على كلامه اعتماد وهذا الامر اليّ انا مرجعه والذي
ادبره انا فهو بالضرورة يتبعه ❋ فقال له مالك بن زهير يا مالك
اقبل سوالي في عنتر وبلغه المراد وانا اكفيك موءنة بني زياد
واوريك ما افعل بعمارة الكشحان واحرمه ان يذكر ابنتك عبلة
بشفة ولسان فشكره مالك على ذلك واتموا بقية يومهم بالسرور
والافراح وتناول الاقداح الى ان اقبل الظلام فركب شداد
ومالك ابو عبلة وعادوا الى الخيام هذا وعنتر قد استوى على
جواده وسار في ركاب عمه كانه بعض اجناده ❋ وكان عمرو
اخو عبلة قد بات تلك الليلة غضبان لما راى اباه قد اتى من
عند مالك بن زهير وهو سكران ❋ وعلم ان عنتر كان معهم في
الجملة ❋ وانه انعم له بزواج عبلة فتركه الى ان صحا وقال له
يا ابتاه عرفني ان كنت صادق الكلام ❋ في تسليم اختي الى هذا
العبد الاسود حتى ارحل عنك بسلام فوحق الركن والمقام ❋ ان
كان هذا الامر صحيحاً لاعدت تراني ولا في المنام فقال يا بنيّ
طب نفساً وقر عيناً فوحياتك لاقتلنه اشرّ قتلة واعدمه الحياة
واجعله عبرة لمن يراه فطاب قلبه وما صدق ان الصباح يصبح
حتى مضى الى عمارة واعلمه بما جرى بينه وبين ابيه من العبارة

فحدثهُ عمارة بحديث عروة بن الورد الذي ضمن لهُ قتل عنتر ففرح بذلك واستبشر * هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عروة فانهُ بقي مفتكراً يتبصر في امر عنتر وصار يقول في نفسهِ انا ارهنت لساني مع بني زياد ولا بد لي ان انجز هذا الميعاد ومالي الا اني اترصدهُ واغتالهُ في الصيد والقنص . واكمن لهُ واجرّعهُ الغصص . ثم ارسل بعض عبيدهِ يرصدهُ حين يخرج الى الصيد لكي يتم لهُ ما نواهُ من الكيد . قال الاصمعي ياسادة وكانت عبلة تحب عنتر وتريد قربهُ وتراسلهُ وتطيب قلبهُ وتعلمهُ بكلما يجري من ابيها وما يدور بينهُ وبين اخيها * ولما عمارة اخبر اخاها بخبر عروة بن الورد اتى يسعى الى ابيهِ مالك واخبره بذلك . وقال يا ابتاه لك البشرى جانا الامر كما نريد من هلاك هذا الشيطان المريد . فقال وكيف ذلك ياولدي فحدثهُ بما عرّفهُ بهِ عمارة من حديث عروة بن الورد وقال لهُ ان شاء الله عن قريبٍ يتمّ هذا الوعد . وكانت عبلة كلما اختلى ابوها واخوها تجي خفية عنهما وتسمع كلما يقولان وترسل تخبر عنتر بما سمعت منهما فاتت تلك الساعة وسمعت ما دار بينهما . فارسلت من ساعتها الى عنتر تقول لهُ ياابن العم اوصيك انك لاتغتر بكلام ابي واخي وخذ لنفسك الحذر * ولا تخرج الى الصيد الا وانت غارق في الحديد فان عمارة بن زياد قد عاهد عروة بن الورد على قتلك وضمن لهُ اياهُ كما يريد

Digitized by Google

فخذ حذرك ودبر امرك ولا تضيق من قبلي صدرك فاني لا املك نفسي لغيرك ولو كان كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان فطاب قلب عنتر بهذا الكلام وسال عن عروة بن الورد فقيل له انه اخذ رجاله وسار من امس الى ارض بني مذحج يغير عليهم وياخذ ما امكنه من الاموال والانعام وكان لعروة مايه فارس من بني عبس تركب اركوبه وتنزل لنزوله وتحل في مكان حلوله فاخذهم واكمن لعنتر في شعب يقال له شعب الاواد وقد ترك على عنتر الارصاد * الى ان خرج يوما من الايام وشيبوب معه يعدو كظليم النعام . فاثار له الصيد ورد له الوحش حتى اشرفا على ذلك الشعب فخرج عليهم فارس طويل القامة عريض الهامة كانه دعامة واطلق عليهم عنانه وقوم سنانه قال وكان هذا الفارس عروة بن الورد وقد غير لباسه واقام في الكمين وهو يحقق على عنتر افتراسه حتى راه قد اشرف عليه * فخرج وبرز اليه بعد ما قال لاصحابه يا بني عمي اعلموا ان هذا العبد قد شاع ذكره بالفروسية وسمعت عنه امرا عظيما بالشجاعة والهمة القوية وقد ضمنت لعمارة قتله ورهنت لساني معه وانا اريد ان احمل عليه واقرعه فلا يكن فيكم من يقاتله حتى تروه قد استظهر علي فعند ذلك اركضوا الي . وابذلوا فيه الصفاح . وشيلوه على اسنة الرماح * وان رايتموني انا الظافر فيه فدعوني واياه وخلوني اقتله واوفي عني هذا الضمان وتكون قد عرفت منزلتي عند الفرسان

وبعد ما فرغ من ذلك الكلام خرج على عنتر وصدمه صدمة الاسد
الضرغام ولما راه عنتر عرفه وناداه ويلك من تكون من الفرسان
وما الذي اوقعك في هذا المكان ❋ فما ردّ ولا اجاب ❋ ولا نطق
بسلب ولا ايجاب ❋ فقال عنتر ويلاه من هذا الفارس فانه جرى
الجنان ولكنه اخرس اللسان فقال شيبوب ويلك يا ابن الام
اقتله ودعه يكون ايّ من كان وان كنت انت ما تقتله دعني
اشك لك هذه النبلة في صدره او صدر الحصان ولو انه النمرود
بن كنعان ❋ فقال عنتر يا شيبوب انني اريد الانصاف وانا
كفو له ولو ان معه خمسة الاف وان صدقني حزري ما هو الا
عروة بن الورد الذي ضمن لعمارة نهاية امري . فلما سمع عروة
هذا الكلام ❋ وعلم انه عرفه كشف عن وجهه اللثام ❋ وقال
نعم انا عروة بن الورد يا عبد السوء ولقد كنت لك في الانتظار
حتي اقتلك واتركك مطروحا في دمه القفار لانك قد خرجت
عن رتبتك وحدك ولم تنظر الى قدرك وسواد جلدك وعاديت
بني قراد ونسيت ما كنت فيه من رعي الجمال في كل شعب وواد
وصرت تتفضل بنفسك على بني زياد ❋ واريد اليوم ان اصرم عمرك
واصرف عنهم شرك فقال له عنتر اخرس يا كلب العرب اين
كنت في وقعة بني طي . ولما انا لم تهاجمهم وتستخلص حريمك
التي سبوها مع نساء الحيّ ❋ فقد كانت الفروسية ذلك اليوم ❋
عندما وقعت اموالكم ونساوكم في ايدي القوم ❋ والان تريد ان

Digitized by Google

تكافي الذي صان حريمك . بان تجعلهُ غريمك . فهذه اخلاق السادات الكرام ❊ الذين يعرفون الجميل ويحفظون الذمام ❊ ثم ان كل واحدٍ منهما حمل على صاحبهِ وانحط عليهِ انحطاط صاعقة الغمام وزمجر في وجههِ كما تزمجر الاسود في الآجام وتطاعنا بالرماح خلافاً ووفاقاً ❊ وطلع الغبار حتى بني عليهما رواقاً هذا وشيبوب قد تركهما في القتال وعدا نحو الشعب مثل الغزال لينظر ان كان فيهِ احد من الرجال فغاب ساعةً وعاد كانهُ ريح الشمال ❊ وهو ينادي ويلك يا اخي خذ حذرك فقد اتتك الابطال فلما سمع عنتر هذا المقال هدر مثل الاسد الريبال وصدم عروة صدمة تزعزع الجبال وقلب الرمح وطعنهُ في جنبهِ فالقاهُ على الرمال . وكان قبل ذلك يلاعبهُ في القتال مثل ما تلاعب اللبوة الاشبال ❊ وحينئذٍ تركهُ مشتغلاً بنفسهِ وطلب فم الواد واذا بالخيل قد خرجت كانها نار الزناد فتلقاها بطعنٍ يخطف البصر وضربٍ لا يبقي ولا يذر ❊ وهو يهمهم كانهُ الاسد القسور فقدَّ المغافر والزرد ❊ ونثر الرجال مثل نثر البرد ❊ واراد شيبوب ان يعينهُ برمي النبال فرأى الرجال بين يديهِ ممددة على الرمال وهم من حولهِ ذات اليمين وذات الشمال فصار يكتف من فيهِ الروح ويترك المقتول والمجروح ❊ حتى وصل الى عروة بن الورد ❊ فشدهُ كتافاً وقال لهُ يا ايها السيد لا تواخذ العبد وعاد الى اخيهِ فراهُ يكردس الرجال . حتى صاروا تلالاً فوق

التلال. وما زال كذلك الى ان تعالى النهار فطلبت اصحاب عروة الفرار وقد رات ما حير منها الابصار وكان قد هرب منهم ثمانية وخمسون فارساً الى البر الاقفر من قدام الامير عنتر وقتل احد عشر واسر واحد وثلاثون نفر * ثم امر عنتر اخاه ان يشد الاسارى على خيولهم عرضاً فشدّهم وساقهم بين يديهِ * وعروة نادمٌ مما جرى عليهِ وذهبوا بهِ وهو يعض البنان ويلعن عمارة بكل شفةٍ ولسان *وسار عنتر عراض شيبوب وهو ينشد ويقول

اعبلة لولا ان قصدت تكرما ... تركت جميع القوم بالسيف جثما
خرجت الى صيد الوحوش فثار لي
غبارٌ وفيهِ عروةٌ قد تلثّما
فدافعت بعض القوم عني وقد غدوا
الى الحي مهزومين كي يقلبوا الحمى
ولولا الحيا من ال عبسٍ تركتهم
طعاماً لوحش البر لحماً واعظما
قفي واسألي ياعبل منهم يخبّروا
لقد حق لي في الحرب ان اتقدّما
اخوض لظاها اسوداً ثم انثني ... من الدم محمرّاً وقد كنتُ ادهما
اعروة دع مكر الربيع وغدرهُ ... فما بيننا ثارٌ ولا بيننا دما
وان طاب هذا الكحل عندك عدغداً
وبادر اليهِ ان تكن تشتهي العمى

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الربيع بن زياد فانهُ ركب في ذلك اليوم هو وعمارة وقد طاب قلبهما بعروة بن الورد وهما ينتظران منهُ البشارة وكان الملك زهير قد ركب يفتقد المراعي في سائر اولادهِ وخواصهِ واجنادهِ * فتقدم الربيع الى شاس واعلمهُ بما دبر وكيف ضمن لهُ عروة قتل عنتر * ففرح شاس بذلك واستبشر . ولما رجع الملك زهير الى الحيّ اخذ الربيع اخاهُ عمارة وشاس وقال اريد ان نلحق عروة بن الورد ونرى ما جرى لهُ مع هذا العبد * وانا ارجو ان نراهُ قد شرب كاس العطب . لان عروة معدودٌ من جبابرة العرب * ثم انهم ساروا حتى قربوا من ذات الجرشا واذا باوايل المنهزمين * فالتقاهم الربيع وصاحباهُ وهم يركضون ويتلفتون الى ورايهم مثل المجانين . فقال لهم شاس ياويلكم ما وراكم وما الذي دهاكم * فقالوا لهُ ياملك ورانا عنتر وقد اسر مقدمنا وقتل نصفنا واكثر ثم انهم قصوا قصتهم لديهِ فكاد من شدة الغيظ ان يغشى عليهِ واما الربيع وعمارة فانهما ذابت اجسادهما وتفتتت اكبادهما . قال الراوى هذا وعمارة يقول وحق ذمة العرب ان ملك الموت مايقدر ان يقتل هذا الشيطان الذي شابت من فعالهِ روس الولدان ولا بد ان ياخذ عبلة ويملكها دوني واموت من حسرتي وتفقدوني فقال الربيع نحن نفرغ جهدنا في كل ما نقدر عليهِ * واما الان فنجتهد في خلاص عروة من يديهِ قبل ان يصل الى الحيّ

Digitized by Google

وهو يساق كالبعير لديهِ ثم ساروا وهم يتشاورون في هذه القضية
واذا قد خرج عليهم نحو ثلثماية فارس غزوانية يقدمهم فارس امرد
وعليهِ جوشن منضد · مقلد بسيف مهند · ومعتقل برمحٍ مسدد
وعلى راسهِ بيضة تتوقد ❋ وجال عليهم جولة الاسد الضرغام
وانقضَّ على شاس انقضاض الباز على فرخ الحمام · وخطفهُ من
سرجهِ وسلمهُ الى اجنادهِ · وعطف على الربيع وطعنهُ فقلبهُ
عن جوادهِ · وصاح بعمارة فاذهلهُ وضربهُ بالسيف صفحاً على راسهِ
فكاد يهدمهُ من اساسهِ ❋ ثم ربط الجميع بالحبال · وقطرهم كما
تقطر الجمال ❋ قال وكان هذا الفارس من بني معن يقال لهُ الهجام
بن جابر · وهو من سادات العرب الاكابر ❋ وكان سبب
قدومهِ الى تلك الديار ان الملك زهير لما سار الى قتال المتغطرس
ووجدهُ قد خالفهُ في الطريق · وكان السابق المتغطرس فوجد
حلة بني عبس خالية من الرجال لانهم ساروا مع الملك زهير
وكان ذلك لهُ من احسن التوفيق ❋ فقتل من قتل واسر من
اسر ولحقهُ عنتر وقتلهُ وخلص الاسارى كما تقدم الخبر واما الملك
زهير فانهُ لما علم ان المتغطرس قد خالفهُ في الطريق لم يكن لهُ
هدوٌّ ولا قرار دون ان عاد طالب الديار ❋ فجاءت طريقهُ على
حي بني معن فقتل لهذا الغلام اخاً وسبى عيالهم ونهب اموالهم ❋
وكان هذا الغلام غايباً عن الحيّ فلما قدم من غيبتهِ · وعلم بما
جرى على عشيرتهِ سار في هولاء الفرسان يطلب حلة بني عبس

Digitized by Google

وعدنان لياخذ ثاره ويخمد ناره · فالتقى بشاس والربيع وعمارة كما سبقت العبارة · ولما عرفهم قال لاصحابه يا بني عمي ها قد اخذنا ابن الملك والربيع بن زياد واخاه عمارة واخاف بعد الربح من الخسارة · والراي عندي ان نرجع الى ديارنا ونقتلهم هناك ❊ احسن من نلقي انفسنا بين قومهم ونتعرض للهلاك ❊ فقالوا له ما قصرت فيما به اشرت ثم عولوا على العودة راجعين وقد شدوا شاس وعمارة والربيع على خيولهم معارضين ❊ وما ساروا بهم ساعة من النهار حتى طلع من بين ايديهم الغبار فتاهبوا للقتال واخذوا بايديهم رماحهم الطوال وكان هذا غبار عنتر بن شداد · القادح النار من غير زناد ❊ ولما تقاربوا تقدم الهجام بين يدي اصحابه وصاح بعنتر صيحة تصدع الحجر · وقال له ويلك من تكون من البشر ❊ فقال له عنتر بل الويل لك يا كلب العرب انا عنتر بن شداد الذي صيته شاع في البلاد ❊ فقال الهجام مرحباً يا ابن السوداء انت والله غاية المطلوب فهلم لكي اقرنك الى ساداتك ويكون معهم انصرام حياتك ❊ فقال له عنتر ومن يكون هولاء الاسارى من الناس · فقال ويلك هذا الربيع بن زياد واخوه عمارة وابن ملكهم شاس ❊ فقال له خابت والله امالك واليوم تترمل عيالك ❊ هذا وشاس وصاحباه يقولون ليت الاعداء تنهبنا بسيوفها ولا يكون خلاصنا على يد هذا العبد الكشحان · فاننا نبقى عتقاء سيفه وتحت منته طول الزمان ❊ هذا والهجام

تقدم الى عنتر وحمل عليه فحمل عليه عنتر كانهُ من عفاريت منقر * وضايقهُ ولاصقهُ وسد عليهِ طرقهُ وطرايقهُ وضربهُ بالسيف على عاتقهِ فاطلعهُ يلمع من علايقهِ . فلما راى اصحابه ذلك حملوا على عنتر فتلقاهم بصدر جوادهِ الابجر . وصار ينثر روسهم مثل الاكر . واكفهم مثل اوراق الشجر * وشيبوب يرمي خلفه بالنبال . فيصيب بها مقاتل الرجال * ولم تزل السيوف عاملة . والخيول جايلة . والاعناق مايلة . والروس زائلة . والرماح خارقة . والاجال متسابقة . والارواح في سوق المنايا نافقة * والغربان على بني معن ناعقة * كانها وقعت عليهم الصاعقة * فوقعوا في الندم * وحال وجودهم الى العدم * وماجوا كالبحر اذا التطم * وشابت من هول تلك الوقعة اللمم * وكان لهم يوم ما سمع بمثلهِ في سالف القدم * وما نجا منهم الا من كان جواده طيَّارا ففاز بنفسهِ وانهزم * قال فعند ذلك ترجل عنتر عن جوادهِ وقبل يد شاس . وقال لهُ الحمد لله على زوال الباس ثم حلهُ من وثاقهِ . وامر شيبوب ان يسوق في الحبال بقية رفاقهِ ثم ان عنتر اخذ السوط من اخيهِ شيبوب ونزل على عمارة الوهاب حتى هشم منهُ الاوصال والاجناب فصار يعوي مثل الكلاب وقال لهُ ويلك ياحمارة السوء هذا جزاء من يعادي الرجال ولا يساوي قطبةً في النعال * اين اخوك الربيع * يرفع عنك هذا العار الشنيع * واين صاحبك عروة بن الورد يكفُّ عنك سوط

Digitized by Google

هذا العبد * ويجمع صعاليكة الشداد . ويقتل لك عنتر بن
شداد * قال الراوي فصعب على شاس كيف ان عنتر اخرق
بعمارة هذا الاخراق ولكنهُ اظهر الجلد * واخفى الكمد * وقال
يا ابا الفوارس ما هذه الفعال التي تفعلها ببني عمك * وهم على
كل حال من لحمك ودمك * وقال عنتر يا مولاي ان بني زياد
قد لزموا معي العناد * ورتبوا الى عروة ورجالهُ حتى يقتلوني وقد
نصرني عليهم الاله العظيم * رب زمزم والحطيم * وهذا عروة قد
اسرتهُ مع رجالهِ * وقتلت بعض ابطالهِ * وهذا عمارة واخوهُ
الربيع . لابد ان احضرهما بين يدي ابيك حتى يرى فعلهما الشنيع
وعلى ظني انه ما فاتك خبر هذه الحيلة التي صنعوها * وسرت
معهم لكي تتمموها * فجاء الامر بخلاف ما كنتم حاسبين * وصرتم
مغلوبين لاغالبين * فقال شاس يا ابا الفوارس ارجوك ان
تطلقهم هذه الكرّة * وتقبل سوالي فيهم هذه المرّة * فقال عنتر
اذا كان الامر كذلك فاحفظ لي هذا الصنيع * وانا لاجل خاطرك
اطلق لك عمارة والربيع * واجيب سوالك في هولاء الاثنين
واما عروة الصعاليك * فاني اقسمت اني ما اطلقهُ الا بين يدي
ابيك * فقال اطلق الربيع وعمارة كما ذكرت * وانا ابلغك ما بهِ
اشرت * ولكن بشرط انك لا تعلم بذلك احدًا * ولا تطلعهُ
على ما اصابنا ابدًا * فقال عنتر لا ومالك الممالك * لا اطلع احدًا
على ذلك * ثم ان عنتر اطلق الربيع وعمارة واعطاهما خيلهما

فانطلقا الى الحيّ من وقتهما وهما في حال الزل والانكسار * لا يعرفان الليل من النهار * ويتمنيان ان يكون العدو قد قتلهما ولا وقعا في هذا العار * هذا وسار عنتر على اثرهما كانهُ كسرى او قيصر او احد ملوك بني الاصفر وعروة مشدودٌ على ظهر الجواد وهو يلعن عمارة والربيع بن زياد * قال الراوي ولم يزالوا سايرين حتى وصلوا الى الديار ودخلوا على زهير فتقدم عنتر اليهِ * وقبل الارض بين يديهِ * ثم حدثهُ بتلك القصة * فاخذت عمارة واصحابهُ الغصة * وامر الملك ان يحلوا وثاق عروة فجلس بين يديهِ كالارنب . او كالجمل الاجرب * فقال لهُ الملك زهير ويلك يا ابا الابيض انت تدعي العقل والكرم والمروة والفروسية وحسن الشيم * فما الذي دعاك الى معاداة عنتر الذى تخشى معاداتهُ عفاريت منفر وهو حامية بني عبس وعدنان الذي خاطر بنفسهِ وخلص حريمك من سبى بني قحطان فقال عروة يامولاي ليس الامر كذلك ولكن انت تعلم انني كثير الاسفار شهراً غايبٌ ويوماً في الديار * وفي هذه النوبة اخذت رجالي وطلبت بني مذحج فلما وصلت الى ارض الدوم وانا اتحدث مع بعض القوم سرح عن يميني قطيعٌ من الوحوش والغزلان وعن شمالي قطعة من البوم والغربان * فصارت الوحوش تزعق والغربان تنعق وانا اعلم ان الطير والوحوش لا يجتمعان الا على قتيل فقصدت ان اكشف الخبر واذا انا قد التقيت بعنتر وكان في

قلبي منه امر عظيم لاجل ما سمعت عنهُ ولكنني ما عاينت قط قتالهُ ولا شاهدت نزالهُ ولما رايتهُ منفردا اردت ان اجرب نفسي معهُ واختبر حالهُ ❋ وقلت ان ظفرت بهِ نلت عند العرب المنزلة العليا وفزت بالذكر بين جميع اهل الدنيا وكان في قلب الرجل خلاف ما في قلبي فتلقاني وقتل رجالي ❋ وشدني واوثق عقالي ❋ واتهمني بالزور والمحال · في ما لم يخطر لي ببال ❋ فقال عنتر وحق ذمة العرب لقد كذب هذا الثعلب ❋ وما كان الا مكمناً لي في ارض الدوم · ينظرني يوماً بعد يوم ❋ وقد جعل عليَّ العيون والارصاد · طمعا في رشوة بني زياد ❋ وهذا عمارة اخسُّ الرجال · الذي ضمن لهُ على قتلي المال ❋ ثم ان عنتر التفت الى عمارة وقال لهُ ويلك يا ابن زياد ان هذا ذلٌّ لك واهانة وعجزٌ وجبانة · كيف تطلب من الناس قتل عبدك الزنيم وانت السيد الكريم · صاحب الشرف العظيم ❋ ان كنت من الرجال فالبس عدَّة الجلاد ❋ وابرز اليَّ انت واخوتك وجميع بني زياد ❋ وانا ما اقاتلكم بسيف ولا قنا · وما اقاتلكم الا بهذه العصا ❋ قال الراوي فلما سمع عمارة كلام عنتر قال لهُ والله يا عبد السوء انك اذل مما ذكرت واحقر وان اردت ذلك فسوف تراهُ اسرع من لمح البصر ❋ وانا لابد ان اسقيك كاس الحمام · واقطع راسك بهذا الحسام · فقال عنتر لماذا لا تعجل بالقيام ❋ حتى ننظر افعال الوهاب الذي يستعير الناس لقتل عبيده اللئام ❋

الذين يرعون جماله · ويخدمون جلاله · ثم اشار اليهِ وانشا يقول

تهدَّد يا عمارة بالنزالِ شجاعاً دابهُ طعن العوالي
عمارة لو صدقت وقلت حقاً عدلت من المقال الى الفعالِ
ولكن الذليل اذا تمادت بهِ الامال مال الى المحال
ايا ابن زياد قد عاديت ليثاً صبوراً في الملمات الثقالِ
بياض فعالي وسواد جلدي امرُّ عليك من ضرب النصالِ
فمت كمداً كما قد عشت حزناً حسوداً لي على ذات الجمالِ
ساحويها ولو ان المنايا تميل عليَّ في صورِ الرجالِ
وقد عاينتني في يوم طيٍّ فان انكرتني جرّب قتالي

قال الراوي ولما فرغ الامير عنتر من شعرهِ قام اليهِ الربيع بدهايهِ ومكرهِ ❋ وقال لهُ ودنة العرب يا ابا الفوارس لقد كذب الذي اخبرك عن عمارة هذا الخبر · فدع عنك هذه الاوهام وحقق النظر ❋ واعلم ان اخي عمارة من اليوم الذي امرهُ هذا الملك في السكوت عن هذه الجارية ما عاد ذكرها بشفةٍ ولا لسان · ولا عاد يذكرها طول الزمان ❋ واما هذا الرجل عروة فكل القبيلة تشهد لهُ بالكرم والمروة وحسن الشيم ❋ وتعرف ما يفعلهُ في حق الضعفاء والارامل والايتام وطول عمرهِ يطلب لهذه القبيلة الذكر الجميل بين الانام · فلا تدخل يا ابن العم في امر يكون فيهِ عليك ملام ومضرّة على بني الاعمام ❋ وما هو

الا صادق في الكلام ولكنهُ طوّح نفسهُ في التجارب فتأدَّب
وصار يعرف مقام نفسهِ بين فرسان العرب ❋ قال الراوي ولما
راى الملك النوبة مشكلة من ساير الجهات لم يجد لها اصوب من الصلح
بينهم لان الربيع شيخ بني عبس وكبيرهم ومدبرهم في كل الامور
ومشيرهم وعروة عند الناس مشكور ٠ وعنتر محسود لانهُ لم
يزل على اعدايهِ منصور فاصلح الملك زهير بينهم صلحاً غير
مقبول لان احقاد العرب تزيد ولا تزول بعد ذلك تفرقوا على هذه
الوتيرة وقد شاع خبرهم في العشيرة ❋ وسمع بذلك شداد
ففرح واستبشر ٠ بسلامة ولده عنتر ❋ واما عمهُ مالك وولدهُ
عمرو فعظم عليهما ذلك الامر واشتعل في قلوبهما الجمر ❋ وقال
مالك هذا شي لا ننال بهِ مقصوداً ولا نقهر بهِ حسود ولا نقدر ان
نهلك هذا العبد السوء ان لم نبعد بهِ عن الديار ونطرحهُ في
الاخطار والا افتضحنا في ساير الاقطار قال وبقي مالك ابو عبلة
مفتكراً فيما يعمل وقد ضاقت بهِ الحيل ❋ وكذلك الربيع بن
زياد اشتد عليهِ الامر وزاد واما عمارة فانفطرت منهُ المرارة واشرف
علي الهلاك ولم يجد لهُ من قيد الهوى فكاك ❋ ولما كان من
الغد خرج عنتر واخوه شيبوب للصيد والقنص وتسويغ الغصص
فانفذ الربيع خلف مالك وولده عمرو ليتفاوضوا في ذلك الامر
فركبا اليهِ وركب معهما عمارة وساروا وهم يتحادثون في هذه العبارة فقال
الربيع لمالك ان اردت هلاك عنتر ❋ فاسمع مني ما بهِ اشير

لانني ما طلبتك الا لاجل هذا التدبير * فقال مالك . وكيف ذلك فقال من اليوم فصاعداً اظهر له المحبة والوداد وافعل معه كما تفعل الاباء مع الاولاد ولا تمنعه عن دخول الخباء واظهر له محبة الاهل والاقرباء وبعد ذلك طالبه بالصداق . وانا قال لك ما الذي تريده فقل له الف ناقة من النوق العصافير التي للمنذر ملك العراق * حتى تفتخر بها ابنتي على ساير بنات العرب ويصير لك انت كذلك اعلى المنازل والرتب * وانا اعلم يا مالك انه يسير الى بني شيبان ويتعرض للمنذر بن النعمان فلا تعود تسمع به ما بقي الزمان ويكون عذرك واضحاً عند الملك زهير وساير العربان فانهم يقولون مضى حتى ياتي بمهر ابنة عمه فاغتالته طوارق الحدثان * قال ولما سمع مالك ذلك الخطاب راه عين الصواب * وخف من قلبه الالتهاب * وقال عمارة وحق ذمة العرب يا اخي لقد فتحت لهذا الاسود نعم الباب وكذلك قال عمر اخو عبلة لما سمع هذا الخطاب * وما عادوا الى المضارب والخيام الا وقد ايقنوا بان عنتر قد شرب كاس الحمام وعند المسا عاد عنتر من صيده فتلقاه مالك بالابتسام وامر العبيد فاخذوا ما كان معه من الصيد ثم مضى به الى بيته وحادثه حتى راج الطعام ففرح عنتر بذلك وراه عنده من اعظم الانعام واقام عنده ثلثة ايام * وفي اليوم الرابع اراد الانصراف فقال له عمه يا ابن اخي ان عبلة اليوم امتك وكل عشيرتها خادمتك *

فكن طيب الخاطر قرير الناظر فلما سمع عنتر كلام عمهِ زال ما كان من همهِ وغمهِ ومن عظم وجدهِ وشدة غرامهِ ما وجد شيا يكافي بهِ عمهُ على كلامهِ الا ثيابهُ التي على جسدهِ فخلعها عليهِ وشكر فضلهُ وقبل يديهِ * وكانت ثيابهُ عظيمة لها قدرٌ وقيمة وما بقي عليهِ شي لا يستتر بهِ غير القميص فنظرتهُ عبلة وهو عريان مثل فحل الجاموس وجسمهُ مثل الابنوس * وفيهِ ضربات السيوف وخدشات الرماح وآثار الجراح فصارت تتعجب من صورتهِ وتضحك من هول جثتهِ * فلما نظر الى ضحكها انشد يقول

ضحكت عبيلة اذ راتني عارياً ... وبجانبيَّ من الرماح خدوشُ
لا تضحكي بل فاعجبي مني اذا ... دارت عليَّ مواكبٌ وجيوشُ
ورايت رمحي في الصدور محكماً ... وعليَّ من سيل الدماء نقوشُ
الفي صدور الخيل وهي عوابسٌ ... وانا ضحوكٌ نحوها وبشوشُ
اني لاعجب كيف ينظر صورتي ... يوم الطعان مبارزٌ ويعيشُ

ولما فرغ عنتر من ابياتهِ قامت اليهِ عبلة وقالت لهُ والله يا ابن العم ما ضحكت الا فرحاً برويتك وتعجباً من حسن صورتك * لاني لما نظرت هذه الجراح ضحكت من شدة العجب لا من قلة الادب ففرح عنتر بكلامها واحضروا لهُ ثياباً فلبسها وذهب * ولم يزل كذلك وعمهُ يزيد لهُ كل يوم في الاكرام الى ان دعاهُ الى منزلهِ في بعض الايام واقام معهُ في مطارحة الكلام

وشرب المدام الى ان جن الظلام ❊ ومال عليهِ بالشراب ولده عمر حتى لعب براسهِ الخمر ❊ فقال لهُ عمهُ ما لك يا ابا الفوارس ماذا تريد ان تقدم لعبلة فقد منعت عنها الطلاب ❊ وقطعت الخطاب اتاخذها بلا مهر . وتتركها معيرة طول الدهر ❊ فقال عنتر لا والله يا مولاي حاشا لتلك الدرة المصونة والجوهرة المكنونة ❊ ان تسام بهذه المسامة الردية او تطلع عنها هذه السمعة الدنية وما كنت منتظراً الا كلامك فقل ما تشاء واطلب ما تريد ولا تطلب الا ما تعجز عنهُ الفرسان الصناديد ❊ ولا يقدر عليهِ احد من ملوك الزمان . ولا يكون انقاد في مهرٍ قبل الان . الى بنتٍ من بنات ملوك العربان ❊ فقال مالك والله ياولدي ما اطلب منك الا ما جرت بهِ سنة العرب لانها لا تطلب في الصداق . الا الجمال والنياق ❊ وانا اريد منك الف ناقةٍ من النوق العصافيرية . التي للملك المنذر صاحب الدولة العربية لانها لا توجد عندنا في ارض الحجاز فنحن نفتخر بها ونعتز غاية الاعتزاز ❊ وتنال انت بها العز والفخار . وتحظى بعبلة على رغم انف الكبار والصغار ❊ فلما سمع عنتر ذلك الكلام داخلهُ المرح وابدى الابتسام . ولعبت بعقلهِ بلابل الغرام . فاستهون شرب كاس الحمام ❊ فانعم واجاب . وصفا عيشهُ وطاب ❊ وقال انني بعد قليل من الزمان . اتيك بها وهي محملة من خزاين الملك النعمان . ولو تعصب لهُ كسرى

Digitized by Google

انو شروان فعاهدهُ مالك على ذلك واعطاهُ يدهُ ۰ والغدر قد ملاء قلبهُ وكبدهُ قال وقام عنتر الى منزل امهِ ونام تلك الليلة بالفرح والسرور ۰ ولم يعلم ما اضمر لهُ عمهُ من المكر والغرور ولما تنصف الليل نهض ونبه اخاهُ شيبوب وقال لهُ قم وشد الابجر * فاني عازمٌ على السفر * فقال الي اين تريد ان تمضي يا ابن امي فقال انني ساير في طلب مهر ابنة عمي * فقالت لهُ امهُ زبيبة هل رضي عمك بذلك * قال نعم يا اماه قد ذهب من قلبهِ الكيد والنفاق وقد ازوجني وطلب مني الصداق فقالت لهُ اذهب ياولدي اعانك رب السماء ونصرك على الاعداء فشد لهُ شيبوب على جواده وقام عنتر ولبس عدة جلاده وركب

وخرجا تحت ظلام الليل * وامها
خلفهما تبكي على فراقهما بدموع
كالسيل

فقال له شيبوب يا اخي اي الطرق تريد ان تركب واي المذاهب تريد ان تذهب * فقال يا ابن الام الى ارض العراق فانها كثيرة الجمال والنياق * قال الراوي فاخذ شيبوب يقطع قدامهُ الارض حتى غابت عنهما الديار وتضاحى عليهما النهار واذا هما بغبار قد ثار * حتى حجب الابصار * ثم ظهر من تحتهِ فرسان كانهم العقبان * على خيول اخف من الغزلان * ولما قربوا من عنتر عرفوهُ وصاحوا عليهِ وطلبوهُ * ونادوا الى اين تذهب يا هجين في هذه الروابي والقفار ونحن لك في الانتظار واعلم يا عبد السوء انهُ قد حان منك الدمار واليوم نجعلك طعام الوحوش والاطيار * قال فلما سمع عنتر هذا الكلام احمرت اماقي عينيهِ وظهر الزبد على شدقيهِ * وحرك جوادهُ الابجر واستقبل الخيل برمحهِ الاسمر * وزعق من شدة الغضب وانقضّ على القوم كانهُ سلهب وقال ويلكم يا اوغاد العرب وطلب مقدم القوم كانهُ النار ذات اللهب * واراد ان يطعنهُ في صدره واذا بهِ قد اسفر اللثام عن وجهٍ كانهُ البدر التمام * ونادى لا تفعل يا حامية بني عبس فانا الحارث بن الملك زهير وقد اردت ان امازحك فما في الامر الا كل خير * وكان هذا الحارث طريد اخيهِ مالك الذي يحب عنتر ويتعصب لهُ في كل محضر * وكان السبب

في ملتقاه بعنتر انه كان في وليمة عند صديق له في بني غطفان
سار اليها في جماعة من الفرسان ✱ ولما عاد منها التقى بعنتر
فلراده ان يلاعبه وجرى بينهما ما جرى كما تقدم الخبر فلما عرفه
عنتر رمى نفسه عن جواده واسرع اليه وقبل في الركاب قدميه
وقال له يا مولاي ما هذا الحال لقد خاطرت بنفسك وبهولاء
الرجال لاني وحق الركن والحرم لو فرط مني امر كنت تتلت
نفسي من الندم فضحك الحارث وقال لله درك يا ابا الفوارس فاين
تقصد في هذه السباسب التي لا يركبها الا كل مخاطر او هارب
فقال ايها الملك انت تعلم ان من اراد النفيس يخاطر بالنفوس
وعبلة بنت عمي قد قاسيت لاجلها ما قاسيت من الشقاء
والنحوس ✱ حتى انعم لي ابوها بزواجها وطلب مني مهرها ✱ وقد
خرجت في طلبه لكي انجز امرها ✱ فقال الحارث ارجع معي ولا
تبعد عن الحلة ونحن نعطيه ما يريد فليس في اموالنا قلة ✱ واني
لا عجب كيف تركك ابي واخي تسير وانت وحيد فريد ✱ وما
اعطياك ما تريد ✱ فقال عنتر لا والله يا مولاي ما علموا بمسيري
ولا اطلعت احدا على اموري ✱ فقال الحارث والله لقد
اخطات يا ابا الفوارس فارجع معي وانا اعطيك كلما املك من
النوق والجمال والذهب والملابس ✱ فشكره عنتر وقال له والله
يا مولاي لقد اكرمت وافضلت واحسنت واجملت ✱ ولكن
عمي طلب مني شيا لا يوجد في ارضنا وقد ضمنت له ما طلبه

وما بقيت انذر ان اعود الا به كما تقتضي شيم العرب * قال الاصمعي فقال له الحارث اذا كان الامر كذلك . فانا اسير معك ولا ادعك تخاطر بنفسك في طرق المهالك . فقال عنتر وحق ذمة العرب لا اطاوعك على ذلك ابداً ولا اخاطر بمثلك في خوض هذه المسالك * فقال له الحارث فان كان لا بد من ذلك فاذهب مصحوباً بالسلامة . وعسى ان تعود بالعزّة والكرامة * ثم ودعهُ هو ورجالهُ وساروا طالبين الاحياء . وسار عنتر في طريقهِ يطارد الوحوش وشيبوب يردّهُ عليهِ حتى امسى المساء فمال عن الطريق يطلب بعض الغدران واذا هو قد اشرف على بيتٍ مضروبٍ في ذلك المكان فقصد اليهِ واذ قد ظهر لهُ شيخٌ قد انحنى من الكبر . ومضى عليهِ الزمان وعبر * فالتقاهما وقال لهما اهلاً وسهلاً بكما انزلا على الرحب والسعة . والكرامة والدعة فلما سمع كلامهُ عنتر . نزل على باب الخباء عن الابجر * واضرم ذلك الشيخ النار وصنع لهما الطعام واكل معهما وجعل يحادثهما بالكلام وبعد ذلك سال عنتر الى اين هو ساير ومن ايّ العشاير فاخبره بقصتهِ من الاول الى الاخر * فقال له الشيخ قاتل الله عمك لقد بالغ في التدبير . وانفذك الى الهلاك والتدمير * فقال عنتر وكيف ذلك يا شيخ فقال يا ولدي هذه النوق العصافير لا توجد الا في بني شيبان . وهي للملك يقال لهُ المنذر بن ماء السماء اللخمي سيد قبايل العربان * وخليفة الملك كسرى انو شروان وهي عشرة

Digitized by Google

الاف ناقة اذا سارت تكاد ان تطير · وذلك يقال لها النوق العصافير ❊ ومنزلها حول الحيرة وارض النجف وانت وحق الكعبه سايرٌ بنفسك الى الهلاك والتلف · لانك ان اردت ان تاخذها جهرًا شربت كاس العطب وان اخذتها خطفاً فاين تغدو بها ومن يقدر ان يحميك من قبايل العرب ❊ واعلم ياولدي انني قد نصحتك لاجل اكلي معك الطعام فلا تطرح نفسك الى لهوات الحمام فقال له اخوه شيبوب والله يا اخي ان هذا الشيخ قد نصحك فاقبل النصيحة · وارجع ولا تعرّض نفسك للخيبة والفضيحة ❊ واطاع الملك زهير على ذلك فانه يبلغك المراد · رغماً عن عمك وبني زياد ❊ فقال عنتر ويلك ياشيبوب دع عنك هذا الكلام ❊ فانني لا اسمعهُ ولا ادع عمي يراني بعين عاجز عما اصنعهُ ويلك هل اعود الى عمي بعد خوض البلاد · واقول له عجزت عن مهر ابنتك فزوجها لابن زياد والله لافعلت ذلك ولو مالت علي الجبال · في صور الرجال ❊ ثم انهما باتا عند ذلك الشيخ ولما اصبحا ودعاهُ وسارا يضربان في الافاق · قاصدين ارض العراق ❊ وقد حمل عنتر نفسهُ على ارتكاب الخطر وحب عبلة قد اعمى منهُ البصر · ولما طال عليهِ المسير انشد وجعل يقول

بلرض الشربة شعبٌ ووادِ   رحلت وسكانهُ في فؤادي
يحلون فيهِ وفي ناظري   وان ابعدوا في محل السوادِ
اذا خفق البرق من ارضهم   ارقت وبتُّ خليف السهادِ

Digitized by Google

ايا عبلَ منى بطيف الخيال   على المستهام وطيب الرقادِ
عسى نظرةٌ منكِ يحيى بها   حشى ميتٍ بالجفا والبعادِ
ايا عبلَ ما كنت لولا هواكِ   قليل الصديق كثير الاعادِ
وحقك لازال ظهر الجوادِ   مقيلي وسيفي ودرعي وسادي
الى ان ادوس بلاد العراق   واسبي حواضرها والبوادي
اذا قام سوقٌ لبيع النفوس   ونادى واعلن فيهِ المنادي
واقبلت الخيل تحت الغبار   بوقع القنا والسيوف الحدادِ
هنالك اصدم فرسانها   فتمضي ممدَّدة كالعمادِ
وارجع والنوق مرفورةٌ   تسير الهوينا وشيبوب حادِ
وتسهر لى اعين الحاسدين   وترقد اعين اهل الودادِ

قال الراوي ومال زال عنتر وشيبوب يقطعان القفارِ والفدافد · حتى اشرفا على ديار بني شيبان وقد بقي بينهما وبين الحيرة يومٌ واحد ❋ فابصرا بلاداً عامرة · وخيراتٍ وافرة · وانهاراً دافقة واشجاراً باسقة · ومواشي بعدد النمل · اوجبات الرمل ❋ فلما راى عنتر ما في تلك الديار من الخلايق · بين صامت وناطق داخلهُ الهول والارتباك · وعلم ان عمهُ ما انفذهُ اليها الا وقد ارادلهُ الهلاك ❋ غير انهُ ثبت عزمهُ المتين · وسلم امرهُ الى رب العالمين ❋ وقال لشيبوب يا ابن الام انطلق وانظر لي هذه النوق وارجع اليَّ بالخبر · حتى استريح هنا واريح الابجر ❋ واخذ قوسهُ وكنانتهِ · وشبك العصا على اكتافهِ ❋ وسار

الى المراعي وهو في صفة راعي ❋ فوجد المواشي تنشق شحماً ولحماً لخصب تلك الارض ٠ وهي قد انفرشت في تلك السهول فملأتها بالطول والعرض ❋ فلما رآهُ العبيد ترحبوا بهِ واكرموهُ واخرجوا لهُ من الزاد الذي معهم واطعموهُ ❋ ثم سالوهُ من يكون من العبيد ٠ وكيف اتي الى تلك البلاد وماذا يريد فقال لهم يا بني الخالة انا من عبيد بني زبيد ٠ لي مولى جبار عنيد ٠ لا يرحم عبداً ولا امة ٠ ولا لهُ على احدٍ مكرمة ❋ فهربت من بين يديهِ وابعدت عن الديار حتى لا يلتقيني احدٌ ويردني اليهِ فقالوا لهُ يا ابن الخالة اقم عندنا بقية عمرك فانك تكون في امان من حوادث الزمان ❋ ونحن نقول لمولانا الملك المنذر يزوجك ببعض اماه وتكون عندنا في حماهُ ❋ فشكرهم شيبوب على ذلك التدبير ٠ واقام عندهم بقية يومهُ حتى عرف النوق العصافير ❋ فوجدها من عجايب الزمان لانها كانت بيض الالوان ٠ ولها اوبارٌ ناعمة كريش النعام ❋ واسنمة كالقبب العظام ❋ وقوايم كاعمدة الرخام وعيون سود الحدَق ❋ تسبح من خلق ❋ يتعجب من حسن منظرها البديع غير انهُ داخلهُ من اخذها الهول المريع ❋ ثم انه جلس مع العبيد على الطعام ❋ وساق الابل معهم حتى قرب من الاحياء وخيم عليهم الظلام ❋ فعاد عنهم وقد اشتغلوا عنهُ وانطلق يعدو كالظبي النافر ❋ او الطير الطاير ❋ حتى وصل الى اخيهِ واخبرهُ بالخبر ❋ وحدثهُ بما سمع ونظر ❋ وقال لهُ يا اخي وحق ذمة العرب

Digitized by Google

ما نحن الا في مقام الخطر * الا ان تكون معنا سعادة من الرب القديم تنجينا من هذا الهول العظيم فقال عنتر ويلك يا شيبوب اما تعلم انهُ من لا يصبر على النوايب لا ينال اعلى المراتب * ثم انهُ اقام الى وقت السحر * وشد لهُ شيبوب على جواده الابجر * وافرغ على جسدهِ الحديد * فصار كانهُ البرج المشيد * وسار الى المراعي ولبث ساعة واذا قد اشرفت النوق العصافير كقطع الجبال * وكل عشرة من العبيد مع الف ناقةٍ تسوقها حتى لا تزاحمها فحول الجمال فلما راهم عنتر امهلهم حتى قربوا من المرعى * وسرحوا مواشيهم تسعى * واخذوا في حديثهم ولعبهم ولم يلتفتوا الى عنتر * لانهم لعزة انفسهم لا يبالون باحدٍ من البشر * فقال عنتر ويلك يا شيبوب اذهب وامسك الطريق من جهة الحلة على العبيد * ولا تمكن احداً من الهزيمة حتى لا يثور علينا الصايح الا ونحن قد صرنا في مكانٍ بعيد * فركض شيبوب حتى صار خلف العبيد وافرغ كنانتهُ بين يديهِ واوتر قوسهُ وبرك على ركبتيهِ * والعبيد عنهُ غافلون * وهم بلعبهم مشتغلون * فلما علم عنتر ان اخاهُ قد وصل الى الطريق · حرك جواده وخاض في وسط النوق وقطع برمحهِ الف ناقةٍ اسرع من نار الحريق وصاح في العبيد ويلكم سوقوا النوق وسيروا بها قدامي * والا خضبت من دمائكم حسامي قال فعند ذلك ثاروا الى وجه عنتر وقد اذهلهم مراهُ * وصاح فيهم المقدم عليهم دونكم اياهُ * ثم بدر اليهِ وقال لهُ ويلك

Digitized by Google

من انت ايها الجاهل المغرور الذي تدسعي برجليهِ الى المهالك والثبور اما تعلمت ان هذه النوق للملك المنذر بن النعمان * خليفة كسرى انو شروان * فتلقاهُ عنتر بقلبٍ اقوى من الحجر * ثم علاهُ بضربةٍ على عاتقهِ اطلع السيف يلمع من علايقهِ * فلما رات العبيد تلك الضربة * فشلوا ووقعت في قلوبهم الرجفة * وساقوا النوق وقد انخرعت اكبادهم * وانصبغ بالصفرة سوادهم وعلت الضجة في المراعي فسار بعضهم خلف عنتر عاد اليهم ومدَّدهم على الثرى وترك كثرهم لوحش البر قرى وقصد بعضهم الحلة فالتقاهم شيبوب بنبالهِ وردهم الى الورا * وجعل يرمي صدورهم ونبالهُ لا تخطي ابداً . حتى ما ابقى منهم احداً * ثم لحق اخاه وعدل بالعبيد والجمال . واستقبل مهب الشمال * وغاص في القفار والسباسب وقد ساق سوق الخايف الهارب * وتاخر عنتر حامية لهُ على الاثر * الى ان تنصف النهار واذ قد طلع من خلفهم الغبار * حتى سد منافس الاقطار * ثم ظهرت من تحتهِ الفرسان . من ابطال بني شيبان * ولمعت الصفاح . وبرقت اسنة الرماح * حتى اشرفوا على عنتر والغنيمة سايرة بين يديهِ فتدفقوا من كل جانبٍ عليهِ وهم ينادون يا كلاب العرب اين تنجون من سطوة بني شيبان . ومن سيف الملك المنذر بن النعمان * قال الراوي وكان الصايح قد وصل الى الملك المنذر وهو قد خرج للصيد في ظاهر الحيرة . ومعهُ جماعةٌ من رجال العشيرة * فقال لولدهِ

Digitized by Google

النعمان وهو الاكبر انظر ما لهولاء العبيد وُعد اليَّ بالخبر. فتقدم اليهم فاخبروه ان خيلا اغارت على المراعي واخذت الف ناقه من النوق العصافير وجدت في المسير فلما سمع النعمان ذلك حرك الجواد وتجارت خلفهُ الفرسان الجياد وتبعتهُ بنو شيبان حتي لحقوا بعنتر كما سبق الايراد ولما راهم عنتر حمل عليهم حملة الاسد القسور وانصب عليهم انصباب المطر فاطلقوا نحوهُ الاعنة وقوموا الاسنة. وعلت منهم الضجة والرنة* فلما نظر عنتر الى تتابع الخيل ولمعان النصول تاتى الفوارس والخيل كما تلتقي الارض العطشانة اوائل السيل وطعن في الصدور واجرى الدما من انابيب النحور وكانت الرجال تتتابع اليهِ وهو ينكسها على الارض ويطرح بعضها فوق البعض الى ان كثر عليهِ العدد وتزايد المدد وعدم الصبر والجلد فخاض معهم تحت الغبار والهبهم بالصارم البتار وكان اذا طعن ضلعاً دقهُ وان ضرب راساً شقهُ وكلما ازدحمت عليهِ الابطال صاح فيها وبددها وكرَّ على الخيل فشردها هذا وشيبوب مشتغل عن معونتهِ بالنوق والعبيد قد زيت قلوبها بقدوم مواليها فما عادت تسوق ولما راى النعمان عنتر وشيبوب وحدهما وليس في المعركة غيرهما قال لقومهِ اذلكم الله من بين الفرسان فارس واحد من العبيد يفعل بكم هذه الفعال وانتم في هذا العدد من الابطال فانعطفت جماعةٌ منهم الى شيبوب واطبق الباقي على عنتر فانفرد شيبوب الى ناحيةٍ وربض كانهُ الذيب الاغبر ونادى ويلكم

يا انذال العرب وحق الكعبة ان تقدم احد منكم ضربتهُ بنبلة في صدرهِ اطلعتها تلمع من ظهرهِ واما عنتر فانهُ قاتل حتى كلَّت يداهُ وخدر ساعداهُ وفاض عليهِ الجمع وزخر * وخيَّم الغبار فوقهُ وانتشر ‧ وقصر من تحتهِ الابجر * وما بقي لهُ سبيل ان يتقدم ولا يتاخر فكبا بهِ الجواد فترجل وقد ايقن بحلول الاجل وحينئذٍ قصدتهُ الرجال مثل السلاهب ‧ وتدفقت عليهِ من كل جانب فضرب فيهم ضرباً لا يبقى ولا يذر * ونثرهم فوق بعضهم كورق الشجر * وقاتل فيهم قتال من استقتل * وما بقي لهُ في السلامة امل فتكردست القتلى فوق الرمال * حتى ما بقي للخيل من كثرتها مجال وبينما هو يفرق الشجعان وينكس الفرسان اذ عثر بقتيلٍ فوقع علي وجههِ فادركتهُ الرجال وبركوا علي صدره واوثقوه بالحبال واخذوهُ اسيراً في حال الذل والهوان الى بين يدي النعمان * واما شيبوب فانهُ من حينما غاص اخوهُ بين هذا العسكر الجرار ما عاد راهُ ‧ لانهُ كان مشتغلا بالنياق والعبيد والفريق الذي تلقاهُ وبينما هو كذلك اذا بالجواد الابجر وهو خالي السرج من عنتر فايقن انهُ قد قتل واندثر ففاض الدمع من عينيهِ ‧ وانطلق يعدو على قدميهِ فانطلقت خلفهُ الفرسان * وتبادرت اليهِ كالعقبان وهو يعدو في البر كالغزال النافر او الطير الطاير وغاص في البر بقوة عصبهِ والخيل تلجّ في طلبهِ فلا هو يفوتها ولا هي تدركهُ وتظفر بهِ بل دام الامر كذلك من الظهر حتى اقبل الظلام ‧

واشتد الانتقام * فوصل الى كهف جبل فيه غلام من رعاة الغنم وبين يديه نار تضرم * فلما راه شيبوب ناداه يافتى اجر عبدك الطريد . الذي صار اذل العبيد * فقال مرحباً بك قد دعوت غلامك . الذى يبذل نفسهُ قدامك * فدخل شيبوب الا انه ما استقر حتى وصلت اليه الخيل . وهي تتدفق مثل السيل * وقالوا للغلام ويلك اخرج لنا هذا الشيطان الذي قتل فرساننا وخيولنا وبلبل عقولنا فقال الغلام ياسادات العرب هبوهُ لي واقبلوا فيهِ كلامي فاني قد اجرته وصار في ذمامي فقالوا لا كنت ولا كان ذمامك اخرجهُ لنا لكي نقتلهُ والا قتلناك قبلهُ * لان اخاهُ قتل من بني عمنا اكثر من ثلثماية فارس وقد لقينا من هذا الشيطان ما لا تقدر عليهِ الجن ولا الاباليس * فارحم نفسك وسلمهُ الينا سريعاً * والا قتلناكما جميعاً * فقال لهم يا وجوه العرب اذا لم تسمحوا انفسكم بتركهِ فابعدوا عن باب المغار مقدار اربعين ذراعاً وانا اخرجهُ لكم وحينئذٍ دونكم اياهُ ولا تجعلوا ذمتي تذهب ضياعاً * فقالوا لهُ قد قبلنا سؤالك . فافعل ما بدا لك * فعندها دخل على شيبوب وقال لهُ يافتى قد سمعت ما جرى لي مع هولاء اللئام * الذين لا يعتبرون الذمام * وانا قد رضيت باتلاف مهجتي . ولا اضيع حرمتي * فاخلع الثياب التي عليك * والبس ثيابي وخذ مزودي وعصاي بيديك * وانا صرت على باب المغار قل لهم ياوجوه العرب دخلت اخرجهُ

لكم فما رضي ان يخرج معي وانا قد نزلت لاجلكم عن ذمامي * فدونكم اياهُ وانا ذاهبٌ حتى لا يكون قتلهُ امامي * فاذا رايتهم دخلوا اليَّ فاطلب لنفسك النجاة ودعني اياهم حتى يسقوني شراب الحمام * ولا اعيش مفسوخ الذمام * فعندها لبس شيبوب ثياب الراعي واخذ مزودهُ وعصاهُ * وخرج من المغار وسواد الليل قد اخفاهُ * وقال لهم كما علمهُ الغلام * وانطلق يعدو تحت الظلام * فعند ذلك دخل القوم الى المغار واخرجوا الغلام فعرفوه * ولاموهُ على ذلك وعنفوهُ * فقال يا وجوه العرب انهُ قد استجار بي فاجرتهُ واعطيتهُ الذمام * واذ لم اقدر على حمايتهِ رضيت ان اشرب كاس الحمام * ولا اعيش ساقط الحرمة بين الانام * وها انا قد صرت بين يديكم فان مننتم عليَّ بالاطلاق شكرتكم في جميع الافاق * والا فافعلوا بي ما شيتم وانا قد فوضت امري الى الخلاق * قال فتعجبوا من تلك المروة العظيمة التي لم يسمع بمثلها من الاعصار القديمة * ولم يروا على انفسهم ان يقتلوهُ ويرجعوا بالخزى والمذمة · ويكون هو الذي فاز بالكرم وحفظ الذمة * فرجعوا عنهُ خايبين · ومن قصتهِ متعجبين * واما ما كان من شيبوب فانهُ نجا بنفسهِ وسار حتى اصبح عليهِ الصباح وهو يذكر ما جرى لاخيهِ ويندب ودموعه جارية على خديهِ تنسكب * وكان اشدُّ المصايب عليهِ دخولهُ الى الحي ونعيهُ لاخيهِ * وشماتة الاعداء فيهِ * ولاسيما عمهُ مالك

وولده عمرو والربيع بن زياد * واخوه عمارة الوهاد * ولما تمادى به المسير . التهبت في قلبه نار السعير * فانشد وجعل يقول

يافارس الخيل ما للخيل تبكيكا . ماعادة السمر تخلو من اياديكا
لاكن يوم رايت الطعن مشتبكا . اليك يهوى واطراف القنا فيكا
فما حياتي بعد اليوم طيبة . ولو قدرت بروحي كنت افديكا
سقاك عمك كاسا من خديعته . فلا سقى الغيث يا ابن الام ساقيكا
واليوم تعلم عبس حق مافقدت . اذا اتيت الى الاحياء ناعيكا
ويشمت ابن زياد بعد غصته . ويشتفي لاشفى ربي اعاديكا
وبنت عمك تضحى وهي جارية . له ولو عشت لم ترضاه مملوكا
يافارس الخيل ما بقيت لي جلدا . ولا فوادي مدى الايام يسلوكا
والمهر يصهل بين الخيل ملتفتا . اليك كالمراة الثكلى يناديكا
لهفي عليك وقد امسيت منطرحا . مضمخا بالدما والنقع يعلوكا
سقى ثراك الحيا في كل باكرة . وازهر الروض لا زالت تحييكا

قال الراوي هذا ما كان من شيبوب واما ما كان من عنتر فانهم اخذوه اسيرا الى بين يدي النعمان . وهو مع ذلك يدمدم كالاسد الغضبان . وعيناه تقدحان الجمر كمواقد النيران * فتعجب من شدة جسارته . وهول صورته * فقال للقوم سيروا به الى ابي لكي يتفرج عليه ويفعل به حسب ارادته * فساقوه الى بين يدي المنذر وكان ذلك اخر النهار * والكتايب قد احدقت به ودارت حوله كالاسوار وكان قد خرج الى الصيد

وهم ان يرجع الى الاوطان · فظهر عليهم اسد من ارض يقال لها خفان · وطلبهم وهو يدمدم ويطلب الدنيان * قال ولما ظهر ارعب القلوب والاكباد * ونفرت الى ورائها الخيل الجياد فتبادرت نحوه الابطال · واكثرت الصياح من اليمين والشمال واتفق في ذلك الوقت وصول النعمان بعنتر · فقدمه الى ابيه واخبره بالخبر * فتعجب المنذر من افعاله · واندهش من هول منظره وشدة اوصاله * وقال له من اي العرب انت يا عبد النحس · فقال يا مولاي من بني عبس * فقال هل تكون عبدهم ام نزيلا عندهم · فقال يا مولاى ان النسب عند الرجال الطعن بالرماح الطوال · والضرب بالسيوف الصقال · والصبر في معمعة القتال * وانا طبيب بني عبس اذا اعتلت · وحاميها اذا ذلت وحافظ حريمها اذا ولت * قال فتعجب الملك المنذر من فصاحته وقوة قلبه ووقاحته * وقال ما الذي حملك على التعرض لاموالي وقتل رجالي * فقال ظلم عمي وغدره · وخبثه ومكره * لاني ربيت في نعمته وضيعت عمري في خدمته طمعاً في زواج ابنته * فطلب مني مهرها الف ناقة من النوق العصافير فساقتني اليك المقادير * والان ان شيت ان تقضى علي او تغنم الاجر والشكر بالاحسان الي * انا اكون عبدك على طول الزمان وخادمك الذى يغنيك عن كثير من الجنود والاعوان فان العفو بعد المقدرة ومن شيم الكرام قبول المعذرة

لان عمي قد طلب مني هذا الطلاب . وغلب علي الجهل لشدة رغبتي في ابنته فوقعت في هذا العطب فقال له وانت في هذا العقل والادب . كيف ركبت هذا الغرور وخاطرت بنفسك لاجل جارية من بنات العرب * فقال عنتر اي والله يامولاي ان الهوى يحمل الرجال . على ركوب الاخطار والاهوال * واي بلية تحمل النفوس على الهلاك والقتل . ولا تكون النساء فيها هي الفرع والاصل * والله يامولاي ما اوقع الرجال في مثل هذه المواقع الا النظر الى ما تحت البراقع ثم فاضت عيناه بالدموع . وتنفس من فواد مصدوع * وانشد يقول

جفون العذارى من خلال البراقع احدّ من البيض الحداد القواطع
اذا جردت ذل الشجاع واصبحت محاجره قرحى بفيض المدامع
سقى الله عمي من يد الموت جرعة وشلت يداه بعد قطع الاصابع
كما قاد مثلي بالمحال الى الردى وعلق امالي بذيل المطامع
لقد ودعتني عبلة يوم بينها وداع يقين انني غير راجع
وناحت وقالت كيف حالك بعدنا
اذا غبت عنا في الاراضي الشواسع
وحقك لا حاولت في الدهر سلوة ولا غيرتني عن هواك مطامعي
فكن واثقاً مني بحسن مودة وعش ناعماً في غبطة غير جازع
خلقنا لهذا الحب من قبل خلقنا فما يدخل التفنيد فيه مسامعي
فيا نسمات الريح بالله خبري عبيلة عن رحلي باي المواضع

Digitized by Google

ويابرق بلغها الغداة تحيتي وحيي ديارا كان فيها مراتعي
ويا صادحات الايك ان مت فاندبي على تربتي بين الطيور السواجع
ونوحي على من مات ظلما ولم ينل سوى البعد عن احبابه والفجايع
وياخيل ابكي فارسا كان يلتقى صدور المنايا في غبار المعامع
وامسى بعيدا في هوان وذلة وقيد ثقيل من قيود التوابع
ولست بباك ان اتتني منية ولكنني اهفو تجري مدامعي
وليس بفخر وصف باسي وشدتي وقد بان فخري في جميع المجامع
بحق الهوى لا تعذلوني واقصروا فعذلكم ما مر لي بالمسامع
وكيف اطيق الصبر عمن احبه وقد اضرمت نار الهوى في اضالعي

قال الراوي فتعجب الملك المنذر من فصاحته وشجاعته ٠ وقوة جنانه وبراعته * وعلم انه غريق في بحر الغرام لا يدري ما له او عليه من حوادث الايام * وبينما هو كذلك اذا بالرجال تقدموا اليه وقالوا ايها الملك قد سطا علينا الاسد فكان الشجاع منا من فر من بين يديه ٠ وقدر ان ينظر من بعيد اليه * وقد اهلك مناجماعة ولم نقدر عليه * لان الرمح لا نعمل له في جسد ولا يأتي يجسر عليه احد * فقال الملك بادروه بالنبال ٠ قبل ان يلتجي الى بعض احاقيف الرمال * ويقطع الطرق والمسالك ونسعيره في ساير القبايل بذلك * قال الراوي فلما سمع عنتر كلام الملك انفتح له باب الامل وطمع في تاخير الاجل * وقال يا ملك قل لاصحابك يرموني بين يديه فان افترسني تكون قد

بلغت في المرام وان قتلته بسعادتك تعاملني بما استحقه من الاحكام فاجاب الملك سواله واشتهى ان يرى افعاله * فقال لحجابه حلوا يديه ورجليه . حتى نرى ماذا يعمل ونتفرج عليه * فقال لا وحق ذمة العرب لا تحلو الايدي ودعوا رجلي في الوثاق حتى لا يكون لي منه براح ولا فراق . فتعجب الملك من مقاله . واشتهى ان ينظر الى اعماله فحلوا يديه من عقاله وعند ذلك اخذ عنتر سيفه وذهبوا به اليه . وتبعه من بعيد الملك ومن حواليه * فحجل عنتر نحو الاسد . وقد هاجت في راسه النخوة فانشد

دونك يا كلب البطاح والربى | اليوم اسقيك بكفي العطبا
وسوف تلقى فارس غشمشما | حلاحلا عند اللقا مجربا
لقد هزمت الخيل يا وحش الفلا | فمن تبغي اليوم مني الهربا
خذ هذه الضربة بالماضي الذي | عن الصخور الصم قط ما نبا
بكف عبل الساعدين فاتك | يجعل كل سبع غاب ثعلبا

قال الراوي ثم تقدم عنتر الى الاسد فصرخ الاسد عليه صرخة تفلق الحجر الجلمد * فاجابه عنتر بصرخة اعظم من صرخته . واستتر منه بجفنته فوثب الاسد على عنتر والقى نفسه عليه فابتدره بضربة بين عينيه طلع السيف من بين فخذيه * ووقع الى الارض شطرين فمسح عنتر سيفه في جلده ورجع وهو يحجل في قيوده كانه قابل ارنباً في وكره او طفلاً في مهده * وقد اقشعرت

جاءوا الناس من ءول تلك الضربة ووقعت في قلوبهم الرغبة وقالوا والله ان قتل هذا الرجل حرام فانهُ فارسٌ ما سمحت بمثلهِ الايام * هذا والملك المنذر قام وهو يقول والله ان هذا الفارس لا يقاس بالفرسان ولا ينتج مثلهُ الزمان وما بقي لهُ عندنا الا العفو والاحسان * فاشار اليهِ عنتر يقول

تُرى علمت عبيلة ما الاقي
من الاهوال في ارض العراقِ

طغاني بالريا والغدر عمي
وجار عليَّ في طلب الصداقِ

فخضت بمهجتي بحر المنايا
وسرت الى العراق بلا رفاقِ

وسقت النوق والرعيان وحدي
وعدت اجدُّ من نار اشتياقي

وما ابعدت حتى ثار خلفي
غبار حوافر الخيل المتاقِ

وطبق كل ناحيةٍ وفجٍ
واشعل بالمهندة الرقاق

وضجت تحتهُ الفرسان حتى
حسبت الرعد محلول النطاق

فعدت وقد علمت بان عمي
دهاني بالمحال وبالنفاقِ

وبادرت الفوارس وهي تجري
بطعنٍ في الصدور وفي التراقي

وما قصرت حتى كلَّ مهري
وقصر في السباق وفي اللحاقِ

نزلت عن الجواد وسقت جيشا
بسيفي مثل سوقي للنياقِ

وفي باقي النهار ضعفت حتى
اسرتُ وقد وَهَى عضدي وساقي

وفاض عليَّ بحرٌ من رجالٍ
بامواجٍ من السمر الدقاقِ

وقادوني الى ملكٍ كريمٍ
عظيمٌ قدرهُ في العز راقِ

وقد لاقيت بين يديهِ ليثا
شديد الملتقى مرَّ المذاقِ

Digitized by Google

بوجهٍ مثل دور الترس فيهِ   لهيب النار يشعل في الاماقِ
قطعت وريدهُ بالسيف جزراً   وعدت اليهِ اجحل في وثاقي
عساهُ يجود لي بمراد عمي   وينعم لي بهاتيك النياقِ

قال الراوي فلما سمع المنذر شعر عنتر قال لحجّابهِ وحق مفرق الاديان أن هذا الرجل اعجوبة في هذا الزمان لانهُ حوى الفصاحة والشجاعة والقوة والبراعة * والجسارة والاقدام على الامور العظام * وبهِ افتخر عند كسرى انو شروان · وابين فضل العرب على العجم عباد النيران * وانهُ يستحق أن يطلق اسرهُ ويعفى عنهُ ولو كان قتل لنا خمسماية من الابطال لانهُ يسوى الوفاً من الرجال * ولا يجوز ان يرفع عليهِ السلاح ولا يتحرى بهِ الا كل جاهلٍ لا يعرف المساء من الصباح * ولا بد لنا ان نبلغهُ ما طلب * وننعم لهُ بما اتى لاجلهِ وكان لمعرفتنا هو السبب * قال الراوي ثم ان ناموس الملك خطر على بالهِ واستنكف من اخراق عنتر لحرمتهِ وقتلهِ لرجالهِ فامر بالترسيم عليهِ لينظر ما ياول امرهُ اليهِ فوضعهُ في حجرةٍ واقام جماعة يحافظون عليهِ بدون اهانة · ويقدمون لهُ ما يحتاج اليهِ بالصحة والامانة * قال الراوي وكان كسرى ملك الفرس يحكم على بلاد العراق وملوك الحيرة كانوا نوّاباً لهُ في تلك الافاق وكان الملك المنذر يتردد اليهِ في أكثر الاحيان وهو يكرمهُ وينعم عليهِ ويبالغ في الاحسان * فحسدهُ بعض الحجاب وقال للملك

كسرى ياملك الى كم تكرم هذا البدوي عابد الحجر وترفع قدره
ان غاب او حضر وهو اقل من هذا واحقر لان العرب رعاة
الاغنام والبقر * لا يفتخرون الا بالسرقة والغارة وعبادة الحجارة
وكان ذلك الحاجب معتبرًا عند كسرى وتحت يده عشرون الفاً
من الفرس والديلم وكان اسمه الخسروان بن جرهم وما زال
يحدث كسرى بالكذب والمحال حتى تغير قلبه عن مودة المنذر
واستحال * واتفق ان الملك المنذر حضر الى زيارة كسرى في
تلك الايام . فقال الحاجب لكسرى ساريك جهل هذا البدوي
لتعلم ماذا يستحق من الاكرام * فلما جلس على الطعام واياه *
وضع الحاجب قدام كسرى تمرًا منزوع النوى وقدام المنذر تمرًا
بنواه * فصار كسرى ومن حوله ياكلون التمر ولا يرمون شياً
منه فظن المنذر ان هذه عادة لهم فصار ياكل مثلهم * وكان ابتلاع
النوى يتعسر عليه . فصاروا جميعهم يضحكون عليه * فخجل
المنذر وقال مالكم تضحكون * فاظهر له كسرى ذلك السر المكنون
فغضب المنذر وقام عن الطعام . ثم انصرف الي بلاده وهو
يلعن الفرس والاعجام ولما وصل الى الحيرة اعلم العربان بما جرى
بينه وبين كسرى في المداين وامرهم ان يغيروا على بلاده والقوافل
التي تاتي اليها ففعلوا كذلك حتى حرموا الطير ان يطير نحو
تلك الاماكن * فارسل كسرى الى المنذر يامره ان يردع قومه
عن هذا الطغيان * والا اخرب بلاد العرب الى اخر الزمان *

فلما وصلت الرسالة الى المنذر ارسل الى كسرى يقول له ايها الملك ان العرب سمعوا بما جرى لي عندك حين اطعمتني التمر وانضحكت عليَّ الحجاب فظنوا اني صرت مسخرة فتركوا طاعتي ولم يعد لي عندهم هيبةٌ ولا حساب • وان اردت ان يعودوا الى طاعتي فارسل اليَّ الحجاب الذين ضحكوا عليَّ مقيدين بالاصفاد * حتى ادوس رقابهم بقدمي على رووس الاشهاد • واشهرهم بين قبايل العربان في جميع هذه البلاد وحينيذٍ تعود العرب الى طاعتي • وتسمع كلمتي فلما وصل هذا الجواب الى كسرى هاج بهِ الغضب • وقال لقد طمع فينا المنذر حاكم العرب * واخبر الحجاب بما ارسلهُ من الجواب * فقال الحاجب خسروان انا ايها الملك اسير اليهِ واخذ روحهُ من بين جنبيهِ واخرب تلك الديار • واشتت اهلها في الاقطار * قال نعم فاركب اليهِ برجالك ولا تقتلهُ ان ظفرت بهِ بل احضره اليَّ اسيرًا لكي اقابلهُ على سوء ادبهِ * فركب خسروان في رجالهِ وهم عشرون الف عنان * وقصد الحيرة على بركة النار ذات الدخان * وكان عنتر في تلك الايام قد قصد ارض العراق لاجل اخذ النياق * وجرى لهُ ما جرى مع الملك المنذر كما تقدم السياق * واما المنذر فكان كل يوم يركب و يبعد عن الديار * يتنسم الاخبار * فبينما هو كذلك ذات يوم اذ طلع عليهِ غبار من ناحية بلاد العجم * واسودَّ الجوُّ منهُ واظلم * ثم

انكشف عن جمهورٍ من الفرسان* كانهم مردة الجان * وقد هزّوا السيوف والعمد · واشهروا العدد * وسطع عليهم بريق الزرد * فقال المنذر هذه والله مواكب عباد النيران * فخذوا يابني عمي اهبتكم للضرب والطعان ومن ساعتهِ انفذ النفير الى قبايل العربان وتبادرت اليهِ بنو شيبان * وانعقد الغبار الى العنـــان * وتقدمت ايضاً فرسان الاعجام حتى التقت العين بالعين * وانتشب القتال بين الطايفتين * واشتعلت بينهم نار الحرب ودار سوق الطعن والضرب * حتى انعقد عليهم الغبار واظلم منهم ضوء النهار * وفتك خسروان عابد اللهب بقبايل العرب وقصد رايات المنذر فنكسها واباد فرسانهُ ودرسها * وكان جيش الملك المنذر اثنى عشر الف فارس فما قدروا على الثبات فانهزموا وتشتتوا فى الفلوات * والفرس في اعقابهم ينادون باسم النيران وهم يقتلون وياسرون من ادركوهُ من الفرسان ثم عادوا عنهم وقد صارت الارض من دمايهم مثل ثوب الارجوان وبعد ذلك نزلوا وضربوا الخيام * وقال خسروان لاصحابهِ ياقوم احتفظوا على الحيرة وامسكوا الطرقات حتى لا يهرب المنذر في الظلام * فاني اريد ان اخذهُ اسيرًا · واقودهُ الي قدام كسرى ذليلاً حقيرًا * فداروا بالبلد من جميع الجهـــات * وحفظوا المنافذ والطرقات * واما الملك المنذر فانهُ دخل الحيرة وهو يعض انامله من الندامة وقد قامت عليهِ القيامة * ثم احضر

Digitized by Google

اولاد الثلثة وهم النعمان والاسود وعمرو وجميع خواص اجناده للمفاوضة في ذلك الامر * وقال والله لقد انفتح علينا باب لا يسد ووقعنا في داهية لا ترد * والان ما عاد ينجينا الا القتال والصبر على الاهوال ولكن نريد ان نحصن النساء والبنات في بعض الجهات * ونترك الديار خالية والمنازل خاوية * ونغلت من خلف اعادينا فنجمع قبايل العربان . ونرجع الى قتال عباد النيران وبينما هم في ذلك الكلام دخل بعض العبيد الموكلين بعنتر * وقال يا مولاي منا الفارس العبسي سمع اليوم الصياح وسالنا عن الخبر * فخبرناه بما جرى علينا من العظايم . وكيف كسرتنا الاعاجم * فقال احضروني الى ملككم فان لي معه كلاماً عسى ان يكون له نافعاً . ولاعاديه دافعاً * فقال المنذر احضروه حتى نسمع كلامه . ونعرف مرامه * فعندما احضروه الى بين يديه وقد حلوا يديه ورجليه فدخل وقال ايها الملك العظيم وحق زمزم والحطيم * لقد كاد قلبي ينفطر في هذا اليوم لما سمعت بما حل بكم من هولاء القوم * فقال المنذر يا عبسي وماذا تفعل الرجال وقد حمل عليها اضعافها . وبليت بمن لا يهاب قتالها ولا يخافها * فقال عنتر تصبر عند الاجتماع . وتقطع من الحياة الاطماع * ولا تخاف ولا ترتاع * لان الشجاعة . هي صبر ساعة * فقال المنذر يا عبسي فكيف التدبير . وقد جرت المقادير * فقال يا ملك ان ضمنت لي ما طلبه عمي من النوق العصافير

Digitized by Google

فانا ضامن لك كسر هولاء الطناجير * فقال المنذر يا عبسي
والله ان وفيت بضمانك لاحكمنك في اموالي * وجميع نوقي
وجمالي * فقال عنتر يا مالك اعطني سلاحي ومهري والفين
من فرسانك تحمي ظهري * حتى اريك ما تتحدث به الاعجام
والعربان . على طول الزمان * فاعطاهُ ما طلب وحينئذٍ
ركب ونزل الى حومة الميدان . ولما راتهُ الاعجام حملت عليهِ
من كل مكان * فتلقاها وطعن الاول رماهُ . والثاني القاهُ *
والثالث دحاهُ . والرابع اعدمهُ الحياه . والخامس الحقهُ برفقاهُ
والسادس مزّق احشاهُ . والسابع اقام عزاهُ * قال وكانت
عساكر العجم قد دارت بالحيرة من كل الجهات . طمعاً في نهب
الاموال وسبي المخدرات * فحمل عليها عنتر وبددها * وفرق
جموعها وشرّدها * ودام الامر كذلك حتى تنصف النهار
وهم في قتال اشدّ من لهيب النار * والتجت العجم الى خيامها
واطنابها * وقد نظرت من العرب غير ما كان في حسابها *
وبقيت اكثر الخيل خالية من ركابها * وهي تدوس على وجوهها
واجنابها * وبقي متقدمها خسروان تحت الاعلام * بعيداً عن
موقف الصدام * ونظر الى اصحابهِ وقد صاروا بعد الربح الى
الخسران * وبعد الزيادة الى النقصان * فقال لبعض المنهزمين
ويلكم ما بالكم تسابقتم الى الفرار وغضبت عليكم النار * فقالوا
يا مولانا قد اتيت بنا الى هذا المكان لكي نحارب الانس لا نحارب

الجبان * لانا باينا بفارس لا يخطي اذا ضرب ولا يدرك اذا انطلب ولا يولي الى الهرب * ان طلب موكباً فرقهُ وان طعن فارساً خرقهُ وان صدم جيشاً محقهُ * وان دارت بهِ الرجال صرخ فيها ودمدم وساق الفرسان بين يديهِ سوق الغنم * ولاندري من اين اتى هذا الفارس ولا نعلم هل هو من الجن او من الاباليس * فلما سمع خسروان ذلك شق عليهِ فطار الشرار من عينيهِ * فخرج من تحت الاعلام وطلب الغبار والقتام * وفي يدهِ عمودٌ ثقيل وهو على جوادهِ مثل الفيل * فقاتل الى ان اختلط الظلام وبات تلك الليلة لا يذوق الطعام ولا يعرف المنام * وباتت العجم تحدثهُ عن قتال عنتر وما راوا من هولهِ المنكر * فقال لهم انا رايتهُ لعنة الله على سوادهِ * وعلى ابائهِ واجدادهِ * وقد طلبتهُ فاختفى عني لخوفهِ مني * ولكن غداً افتحوا انتم باب الحرب حتى يبرز اليكم وانا حينئذٍ ابرز بغتة اليهِ ولا اتركهُ يجول معي جولةً حتى اضربهُ ضربةً تطير راسهُ من بين كتفيهِ ومتى قتلت لكم هذا الاسود اللعين يهون عليكم امر الباقين فتهلكونهم اجمعين * فقالوا نعم يامولانا هذا الاسود هو الذي اهلك الخيل والرجال ولكنهُ لا يثبت قدامك في المجال ومتى قتلتهُ نكرُّ على الشيطان الاخر الذي يرمي بالنبال فان نبلتهُ لا تخطي ولا يمنعها الزرد وهو اسرع من النسيم لا يقدر ان يدركهُ احد ومتى اكتفينا شرَّ هذين الماردين تصير عرب العراق قدامنا مثل الكلاب

نداء الشباب * هذا ما كان من هؤلاء واما الملك المنذر فانه لما لاح له وجه الظفر بقتال ابي الفوارس عنتر * امر باخراج الخيام الى ظاهر المدينة * ولما عاد من الحرب نزل في مضاربه وجمع اولاده وجلس معهم واجلس عنتر الى جانبه وقد صار من اعزّ اولاده واقاربه وجعل يباسطهُ في الكلام ويزيد لهُ في الاكرام ويعدهُ باعطاء كل ما طلب ولو كان وادياً من ذهب * ثم ان عنتر اقام عند الملك المنذر الى نصف الليل واراد ان يتولّى حرس الرجال والخيل * فحلف عليهِ المنذر ان لا يفعل فذهب الى مرقده ونام الى الصباح فبرز الى الحرب والكفاح * ولما صار في وسط الميدان * اشار الى الاعجام وانشد يقول

نفسوا كربي وداووا علتي   وابرزوا لي كل شجاعٍ بطلِ
وانهلوا من حد سيفي جرعاً   علقماً مثل نقيع الحنظلِ
واذا الموت اتى في جحفلٍ   فاتركوني للقاء الجحفلِ
يابني الاعجام ما بالكمُ   عن ندائي كلكم في شغلِ
من يكن منكم لقتلي طالباً   حيث يسقيني شراب الاجلِ
قدموهُ وانظروا ما يلتقي   من سناني تحت ظل القسطلِ

قال الاصمعي وكان عنتر يقول هذا المقال والخسروان يتاهب للقتال * ثم نزل الى الميدان كانه الاسد الغضبان وتحت فخذه اربع حراب كانهنّ الشهاب * وبيده عمودٌ من الحديد صدمتهُ تهدم البرج المشيد * ولما صار في الميدان صاح انزلوا

يا كلاب العرب وابشروا بالهلاك والعطب * واراد ان يحمل على عساكر الملك المنذر فاعترضهُ عنتر * وقال لهُ الى اين يا ابن الف قرنان * وانا لك في الطلب من دون الفرسان * وحينئذ حمل بعضهما على البعض * وقد رضت حوافر فرسيهما جنادل الارض * وراى الخسروان من عنتر ما لم يكن لهُ ببال . وعلم انهُ كان مغرورًا بالمحال * فاخذهُ الانبهار * وصار ينقل عمودهُ من اليمين الى اليسار * وقاتل بالحراب الى ان فرغت وما اصابت * لانهُ كل مازجٍ واحدةً منها انحرف عنها عنتر فخابت وحينئذٍ استلب العمود * وهجم على عنتر هجمة الاسود * واطلقهُ من يدهِ الى صدر عنتر * وهو يزمجر كانهُ البحر اذا هدر * فالقى عنتر الرمح من يدهِ وخطفهُ اسرع من لمح البصر * ثم اطلقهُ على الخسروان فوضع الترس على صدره فوق الدرع واستتر * فوقع العمود فوق الترس فخرقهُ الى احشايهِ فسقط الى الارض يختبط في دمايهِ * فلما رات ذلك عساكر العجم ارتبكت في امورها * وتقطعت سلاسل ظهورها * وبربرت باختلاف لغاتها * وحملت على عداتها * فالتقتهــا فرسان العرب بقلوبٍ اقسى من الحجر * وقد اشتدت عزايمها بالامير عنتر * واعملوا في الفرس رماحهم الطوال . وسيوفهم الصقال . وشيبوب يدور حولهم كالمولب ويرميهم بالنبال . فيصيب بها مقاتل الرجال * وعنتر يزعق فيهم كالرعد القاصف ويخرق صفوفهم كالبرق الخاطف ويقدّ

Digitized by Google

بسيفهِ المغافر والدروع ودق برمحهِ الترايب والضلوع وهو ينادي انا عنتر العبسيّ فارس العرب وقد ارسلتني النار على روسكم جمرة الغضب * واشتدت بهِ قلوب جماعة العربان * فانقضت من خلفهِ كالعقبان والهبت عباد النار بالضرب والطعان . فظنوا ان السماء عليهم قد اطبقت * او الارض تزلزلت بهم وصعقت فقالوا الفرار الفرار . من هول هذا الجبار * الذي لا يصطلى له بنار * وصاروا يتسابقون على الهزيمة * وهي عندهم اعظم غنيمة وتركوا رحالهم واسبابهم * وغنمت العرب خيلهم وسلاحهم واسلابهم * وعادوا من خلفهم كانهم مردة الجان وهم يثنون على عنتر بكل شفة ولسان . ويقولون هكذا تكون الفرسان * وكان المنذر قد اركبهُ مهرةً صفراء . فعاد بها مخضبةً حمراء * وهو ساير قدامهم كانهُ تلة من التلل . او قطعة فصلت من جبل فتذكر ما جرى لهُ في ارض العراق . ولعبت بهِ لواعج الاشواق فانشد يقول .

سلي يا ابنة العبسيّ رمحي وصارمي وما فعلا في يوم حرب الاعاجمِ
سقيتهما والخيل تعثر بالقنا دماء العدى ممزوجةً بالعلاقمِ
وفرقت جيشاً كان في جنباتهِ هماهم رعدٍ تحت برق الصوارمِ
على مهرةٍ منسوبةٍ عربيةٍ تطير اذا اشتد الوغى بالقوايمِ
وتصهل خوفاً والرماح قواصدٌ اليها وتنسلّ انسلال الاراقمِ
فخضت بها بحر المنايا فخضبت وقد غرقت في موجهِ المتلاطمِ

وكم فارسٍ ياعبلَ غادرتُ ثاوياً يعضُّ على كفيهِ عضة نـادمِ
يقلبهُ وحش الفـلا وتنوشهُ من الجوّ عقبان النسور القشاعمِ
احب بني عبسٍ واو هدروا دمي لاجلكِ يابنت السراة الاكارمِ
واحمل ثقل الضيمِ والضيم جايرٌ واُظهرُ اني ظالمٌ وابنُ ظـالمِ
ولما قرب عنتر من الملك المنذر قام لهُ على اقدامهِ ❋ وقد تعجب من فصاحة كلامهِ ۰ كما تعجب من قوّة قلبهِ ۰ وشدة طعنهِ وضربهِ ❋ وقوي عزمهُ على مخاصمة عباد النار ۰ ولو كانوا بعدد رمل البحار ❋ وقال لهُ يافارس العرب جميع مـا انهبتهُ رجالنا في هذه المرّة فهو لك غنيمة لانك كنت السبب في هذه النصرة العظيمة ❋ وبعد ذلك اعطيك النوق العصافير وعليها الهدايا والمال الكثير ❋ ولكن ياولدي من الراي ان اكتب الى ساير القبايل واجمع العرب من الاحياء والمناهل ❋ واتـاهب لحرب الملك كسرى فانهُ لابد ان يعود الينا ويسطو بعساكره علينا ❋ واول ما ارسل الى قومك بني عبس وعدنان ۰ وفزارة وذبيان وساير بني غطفان ولا ازال حتى اقيم دولة العرب واذلّ عباد النار واللهب ۰ فقال عنتر افعل ياملك ما تريد ۰ فانا لك من جملة العبيد ❋ ثم دعا لهُ وقام ۰ وانصرف الى مضجعهِ بالسلام
ولما طلع الصباح جلس الملك المنذر على سرير مملكتهِ ودارت حواليهِ سادات عشيرتهِ ❋ وعوّل على ان يكاتب العربـان ويتاهب لحرب عباد النيران ❋ اذا ببعض حجابهِ دخل عليهِ

وقبل الارض بين يديهِ ❋ وقال ايها الملك لك البشارة الجميلة بقدوم وزيرك عمر بن نفيلة وكان هذا الوزير قد عاش كثيرًا من الاعوام . وهذبتهُ الليالي والايام وكان رجلاً عاقلاً خبيرًا ولهُ كرامةٌ عند العرب والاعجام . وفي تلك المدة كان قد توجه الى زيارة البيت الحرام ❋ فلما دخل على الملك المنذر باداهُ بالسلام . وقام لهُ على الاقدام ❋ وقال لهُ ما اتيت الا في وقت الحاجة اليك لاني نادمٌ على ما سبق لي من العمل وحاير في ما افعل ❋ ثم اخبرهُ بما جرى وما عزم عليهِ . وفوّض الراي والتدبير اليهِ ❋ فقال الوزير ياملك الراي عندي انك تلزم الادب وتعدل عن مكاتبة العرب . حتى اسير انا الى المداين واخل على الموبذان . واستحلفهُ بحرمة النيران ❋ ان يخمد ما في قلب كسرى من الغضب ولا يخرب بلاد العرب ❋ فقال لهُ المنذر افعل ما بدالك من التدبير والتوفيق بيد الله القدير ❋ وبعد ذلك اقام عمر بن نفيله ثلاثة ايام حتى استراح وسار طالباً مداين كسرى في اليوم الرابع عند الصباح ❋ وقد اوصى الملك المنذر بالاحتراز على عنتر وان لايمكنهُ من العودة الي اهلهِ قبل انفصال هذا الامر المنكر ❋ لان المنذر كان قد حدّثهُ بما فعل في حومة الميدان وكيف اهلك عباد النيران ❋ وقتل حاجب كسرى الخسروان ❋ قال ولما وصل الوزير الى مداين كسرى دخل على الموبذان بعد الاستيذان فاستقبلهُ

احسن استقبال · وعاملهُ بالاكرام والاجلال * وقال لهُ ما الذي
اقدمك الينا بعدما جرى بيننا وبينكم من القتال * فقال انني
كنت غايباً في هذه الايام · في زيارة البيت الحرام * ولما بلغني
ما جرى من الفتنة بعد اكل التمر * بتُّ تلك الليلة على مقالي
الجمر * ومن الغد بادرت لعلي استدرك هذا الامر * فما وصلت
حتى وقعت الواقعة * وفاتت الفرصة النافعة * والان فقد
مضى ما مضى * وما بقي لي الا الخضوع واستعطاف الرضى *
فاتوسل اليك بحرمة النار · ذات الاشعة والانوار * ان تستعطف
خاطر الملك العادل بالعفو عن جهل العرب * الذين تربوا
بين الجمال والمواشي فتعلموا منها قلة الادب * فلما سمع كلامهُ
الموبذان · رقَّ قلبهُ ولان * وقال انا الى الان * ما اطلعت
الملك على هذا الشان * ولا اعلمتهُ بانكسار عسكرهِ وقتل
الخسروان * لان عندنا في هذه الايام شغلاً من اهم الاشغال · فما
اردت ان ازيد على قلب الملك الاثقال فقال الوزير ماذا الذي
جرى حتى اشغل قلب الملك ياترى · فقال ان قيصر ملك الروم
كان يرسل كل سنة الى الملك كسرى الهدايا والاموال الجزيلة ·
والمماليك والسرارى الجميلة * ففي هذه السنة وصلت الاموال
بزيادة · عما جرت بهِ العادة * ولكن حضر معها بطريقٌ جبار
يطير من عينيهِ الشرار * ولما دخل على كسرى في الايوان · قال
لهُ على لسان الترجمان اعلم ايها الملك ان معي في هذه النوبة

هدايا لا يصفها لسان . ولا نظر مثلها انسان ولكن ما اسلمها الى خزانتك الا ان يكون عندك فارس من جياد الفرسان يلقاني في الميدان . كما امرني قيصر العظيم الشان * قال الراوي وكان هذا الجبار قد خرج من جزاير البحار يريد زيارة بيت المقدس ويتبرك بما حوله من الاثار وسمع بلطايف دمشق الشام فحضر اليها وقضى فيها بعض ايام * وبارز عساكر بني غسان وقهرهم فى الميدان * فعظم في عين الحارث ملك دمشق واخبر الملك قيصر عنهُ واثني عليهِ واعلمهُ انهُ يريد ان يرسلهُ اليهِ * فارسل الملك قيصر الجواب بالقبول والايجاب * فلما حضر لاقاهُ قيصر بالاكرام وانزلهُ في دار الضيافة ثلاثة ايام * وبعد ذلك نزل الى الميدان وعلم علي جميع ابطال قيصر واقام على ذلك مدةً من الزمان * حتى صار لهُ عند الملك اكبر قيمة وجعلهُ في منزلةٍ عظيمة * فلما كان بعض الايام دخل على قيصر فراهُ يجهز اموالاً وتحفاً فسالهُ عن الخبر فاخبره ان تلك عادةٌ عليهِ كالخراج لكسرى الملك الاكبر * فقال لهُ لا تفعل ايها الملك فانا اسير اليهِ واغلب كل من عندهُ من الابطال واخفف هذه الاثقال فقال لهُ قيصر من الراي ان تسير انت مع الاموال وتبارز من عندهُ من الرجال فان غلبتهم ترفع الخراج وترجع بالاحمال * وان غلبوك فقد وصل اليهِ معتادهُ وانفصل الحال * ففرح بذلك وسار حتى دخل على كسرى في الايوان وبلغهُ المقالة على

لسان الترجمان * فغضب كسرى من ذلك الكلام ولكن خاف
ان ابى ان ينسب العجز الى ابطال الاعجام * فصار البطريق ينزل
الى الميدان ويعلم على الشجعان * واباحهم دمهُ ان قدروا ان يصلوا
اليهِ وحرَّم دمهم عليهِ * واقام خمسة عشر يوماً على ذلك الحال
حتى علم على جميع الابطال * وما ثبت قدامهُ الا فارس الديلم
بهرام فانهُ طاردهُ ثلاثة ايام * ثم استطال عليهِ فالحقهُ بمن تقدَّم
وهابت مبارزتهُ فرسان العجم والديلم * وفي اثناء ذلك وصل
عمر بن نفيلة العدوي * ودخل على الموبذان فاخبرهُ عن هذا
البطريق العظيم الشان * فلما سمع عمر هذا الكلام تعجب من
تقلبات الايام * وقال للموبذان لاتضيق صدرك ولا تشغل
فكرك * فان اليوم عند الملك المنذر فارساً من بني عبس لايقاس
بهِ كل من طلعت عليهِ الشمس وهو الذي قتل حاجبكم وكسر
عساكرهُ بالامس * وارجو ان يكون انفصال هذه النوبة عن
يديهِ اذا برز هذا البطريق اليهِ * ثم حدَّثهُ بحديث جسارتهِ
على اخذ النوق العصافير وفتكهِ بعرب العراق وقتلهِ للاسد
وهو مقيد في الوثاق * وكيف التقى عساكر الفرس وهي عشرون
الف عنان ولم يسمح ان يقاتل معهُ احدٌ من العربان * فلما سمع
المربذان بذلك داخل قلبهُ السرور والفرح وعلم ان الامر قد
اصطلح * وقال ان هذا الحديث يجب ان يورخ ويكتب * بماء
الفضة والذهب وانا اقول انهُ يزيل عن قلب الملك كسرى ما

بهِ من الغضب ويكون لاصلاح الشان بين الفرس والعرب ❋ ثم وثب وقال لهُ لاتبرح من هذا المكان حتى اعود اليك واقص ما يجري عليك ❋ ومن ساعتهِ دخل الى كسرى فامر لهُ بالجلوس وقال انهُ اردت ان ادعوك لانظر ما ترى في تدبير هذا الوقت العبوس ❋ فان هذا الجبار قد تمرَّد وان لم نقهرهُ اخرق حرمة دولتنا الي الابد ❋ والان نريد ان نكتب الي خرسان ونامر الولاة ان تاتينا بالفرسان عسي ان يقع لنا من يذل هذا الشيطان ❋ فقال الموبذان ومن يكون هذا الكلب حتي نزعج لاجلهِ مملكة كسري ونجرب معهُ واحداً بعد واحدٍ ومرَّةً بعد اخرى ❋ فقال كسرى وكيف الراي هل نذل لقيصر ملك الروم ونخلي لهُ الخراج المعلوم ❋ فقال الموبذان لا ولكن الراي عندي ان تكتب الى ذ ابيك على العربان وتامره ان ينفذ اليك بعض الفرسان ❋ لان اهل العراق والحجاز اجول من الفرس في مثل هذا البراز فقال كسرى ان ملك العرب غضبان لاجل ما جرى بينهُ وبين الحاجب خسروان ❋ وقد سار اليهِ بالعسكر والى الان ما اتانا منهُ خبر ❋ فقال الموبدان ايها الملك تبقى انت بعد العساكر فان خسروان قد مضى كما مضى امس الدابر ورجع جيشهُ منهزماً من خمسة ايامٍ وهو لا يعرف الطريق وانا كتمت عنك هذا الامر خوفاً على صدرك ان يضيق وما رايت ان احملك همّاً فوق همٍّ البطريق ❋ فلما سمع كسرى ذلك اشتعلت في قلبهِ

النعمان وقال من قتل خسروان وهو فارس الزمان * فقال
قتله فارسٌ من بني عبس وعدنان * ثم حدثهُ بما سمع من عمر
بن نفيلة من عنتر وقال ان هذا البطريق ليس لهُ الا هذا البطل
الذي يقدر ان يخرب ملك قيصر * ويكون لك بذلك الفخر الاكبر
لانهم يقولون ان بطريق الروم قد قهرهُ عبدٌ من عبيد دولتك .
وتصير كل الممالك ترتعد من صولتك * والراي عندي انك
ترسل الى الملك المنذر خلعة الامان . وتامره ان يحضر بهذا
الفارس الى هذا المكان * وذلك يحسب لك من الحلم والاحسان
وانا ضامنٌ لك ان هذا الفارس يقهر هذا الكشحان . لانهُ لايثبت
قدامهُ احدٌ ولو انهُ ملك الجان * وفضلاً عن ذلك اننا متى
جمعنا بينهُ وبين البطريق فايهما قتل الاخر كان لنا بقتلهِ السعادة
والتوفيق * فقال لهُ كسرى افعل كما تريد على بركات النار
عسى ان نقهر هذا الجبار ونرفع عنا الذلّ والعار * فعندها ذهب
الموبذان الى الوزير عمر بن نفيلة واعلمهُ بما جرى بينهُ وبين
الملك كسرى * فسر بذلك سروراً عظيما وكتب من ساعتهِ
الى الملك المنذر يامرهُ بالقدوم . واعلمهُ بما جرى بين كسرى
والبضرموت فارس الروم * وانهُ ضمن عن عنتر قتل هذا
البطريق المشوم ثم انفذ الكتاب * مع نجاب . واقام ينتظر الجواب
واما ما كان من البطريق فانهُ باكر الى الميدان وبرزت اليهِ
الرجال . واخذت معهُ في المجال * وكان افرس الجماعة لايثبت

Digitized by Google

قدامهُ اكثر من ساعة ❋ ومازال كذلك الى اخر النهار · فعاد
وقد نال الشرف والافتخار ❋ ولما كان في الغد برز اليهِ مقدمٌ
من مرازبة العجم يقال لهُ بهرام بن مهران · وكان من اعظم
الابطال والفرسان ❋ فنازل البطريق طول ذلك النهار ❋
وانفصلا على غير نهاية ولا قرار ❋ قال الراوى ولما انفصلا عن
بعضهما عاد كلٌّ منهما الى مكانهِ فسالت الاعجام · مقدمها بهرام
فقال ان هذا الرجل فارسٌ جبار · وبطل مغوار ❋ ولكن
غدًا يصير الانفصال لان قتالي اليوم كان معهُ على سبيل الاختبار
ولا بد ان اقتلهُ ببركة النار قبل ان يتعالى النهار ❋ وكان مع
البطريق جماعةٌ من الاروام · فسالوهُ عن خصمهِ بهرام ❋ فقال
لهم لو كنت اريد قتلهُ لقتلتهُ من حينما برز اليّ · ولكنني طلبت
اسرهُ لانني محرّمٌ دمهم عليّ ❋ وان شاء الله غدًا لا بد ان اخذه
اسيرًا · واقودهُ ذليلاً حقيرًا ❋ ولما اصبح الصباح برزا كلاهما
للكفاح فالتحق بهرام بمن سبق ❋ وزاد عند الملك كسرى الجزع
والقلق ❋ وتاخرت الفرس عن نزال البطريق · وصارت انفسهم
في غاية الكرب والضيق ❋ وما زالوا كذلك وهم ينظرون الى
ناحية العراق ❋ حتى راوا الغبار ذات يوم وقد طبق الافاق ❋
ثم انكشف عن الملك المنذر ومعهُ ماية فـارسٍ يقدمهم حية
بطن الواد · الامير عنتر بن شداد ❋ كانهُ ارَم ذات العماد ❋
فلما عرفوهم خرجوا الى ملتقاهم ❋ وادخلوهم بفرح عظيم على

Digitized by Google

الملك كسرى وهو لا يصدق ان يراهم * ففرح الملك بحسن طاعة المنذر وتلقاهُ بالابتسام · واكثر لهُ من الاعزاز والاكرام * ثم اخبرهُ عن ذلك البطريق · وما كابدوا لاجلهِ من الضيق * فقال عنتر للموبذان يامولاي اضمن انت عني للملك الاكبر * قتل هذا البطريق ولو كان من عفاريت منفر * فقال له كسرى وقد تبسم في وجههِ وان لم تقم بضمانك · فماذا نصنع من شانك فقال اجعل غلمانك يسحبوني الى بيوت النيران ويجعلوني لها كالقربان فضحك كسرى من كلامهِ * وأمل ان يحصل منهُ على مرامهِ * قال وبعد ذلك امرهم بالراحة الى ثاني الايام * فقال عنتر لا وحق البيت الحرام لا اكلت لكم طعامًا ولا ذقت مناماً حتى اقتل هذا الطنجير · واريح منهُ الضمير * فاعجب الملك هذا الكلام · وقال ابرز اليهِ عسى ان ننال منهُ المرام * قال الراوي وكان البطريق حينيذٍ في الميدان وهو يطلب براز الفرسان · وقد استوى على جواده كانهُ قصر غمدان او جبلٌ من جبال نعمان ومنظره يرعب اسود خفان * والناس قد تاخروا عن نزالهِ وانكسرت عزايمهم لما راوا من اهوالهِ فما دري الا وعنتر قد وثب اليهِ وزعق عليهِ فارتاع من هول زعقتهِ ومهابة خلقتهِ غير انهُ ثبت عزمهُ وحمل وهو يهدر كالجمل * فالتقاه عنتر وهو ينادي يا كلب الروم قد اتاك سبع العرب فودع اصحابك هذا النهار وايقن بالعطب * وحينيذ اطبق كل واحدٍ على

صاحبهِ والناس قد شخصوا اليهما بالابصار وخافوا على عنتر لما يعهدون من اهوال ذلك الجبار * ودام القتال بينهما ساعة من الزمان . ثم تاخر عنتر الى ورايهِ فارتعد قلب كسرى واصحابهِ خوفاً من الخذلان * وصاروا يتعوذون بالنيران * من شرّ هذا الشيطان * واما البطريق فانهُ طمع في عنتر . لما راهُ قد تاخر فحمل عليهِ وزعق * وطعنهُ طعنة الحنق * فصبر حتى قاربهُ الرمح فتناولهُ بيدهِ . واستلبهُ بقوة ساعدهِ وعضدهِ * وطعنهُ بعقبهِ فكاد يخرج روحهُ من جسده * وغاص معهُ في الطراد * وكسرى يتبسم سروراً بهِ وقد طمع في نيل المراد * قال الراوي ونظر بهرام فارس الديلم الى فعال عنتر * فحسده على ما بدا منهُ وظهر . وعول على قتلهِ حتى لايبقى لهُ ذكر يذكر * هذا وعنتر والبطريق يلتقيان ويتفرقان * وينفصلان وينطبقان * حتى مضى نصف النهار * وملت الناس من الانتظار * وراى بهرام الديلمي الفرصة عند اشتغال عنتر بالبطريق فانقضّ عليهِ * حتى صار بين يديهِ * وهزّ جربتهُ وصوبها اليهِ وقال لهُ خذها يا ابن اللئام من يد المقدم بهرام * وزجّها اليهِ فخرجت من يده

كصاعقة الغمام * فانحرف عنها عنتر

حتى مرّت بهِ فخطفها

اسرع من لمح

البصر

الكتاب السادس

وانفذها الى صدر البطريق * فطلعت من ظهره ولها زفير وشهيق * اقوى من حجر المنجنيق * وكان البطريق قد التهى ببهرام لما خرج الى عنتر فما شعر الا والحربة قد وقعت في صدره فارسلته الى قبره فعندها نادى عنتر يا لعبس لا شقيت * انا عبد الملك كسرى ما بقيت * ثم استل الحسام * وعاد يطلب المقدم بهرام * هذا وقد ضجت مواكب العجم * وقالت وحق النار ان هذا جبار الجبابرة في جميع الامم * ورفعوا اصوات التهاني والسرور * وضربوا الطبول والزمور * وخرجت المخدرات من داخل الخدور * وهتكت الحجب والستور * وقالوا يعيش الامير عنتر بن شداد * الذي رفع العار عن هذه البلاد * ولما عاد عنتر الى المقدم بهرام نادى كسرى يا ويلكم ردوه عنه وبشروه بالغنى والانعام * والا سقاه كاس الحمام * فعندها تبادرت النقباء وحالوا بينهما واتوا بعنتر الى قدام الملك كسرى وهو كانه من مردة الجان * او من عفاريت سيدنا سليمان * ولما صار قدام كسرى قبل الارض بين يديه * فقبله كسري بين عينيه * وقال حييتك النار يا سبع الفلا * مثلك تكون الرجال والا فلا * ثم خلع عليه خلعة كسروية من الديباج المدنر مزركشة بالذهب الاحمر * وقال للموبذان قدم للامير عنتر جميع ما اتى مع

البطريق من الاموال والجواري والخيل الروميات ٠ والحلل والتحف القيصريات ❋ وانزلهُ في افخر المنازل حتى نحضره معنا على الطعام ونغمره بالانعام وننذخره لطوارق الليالي وحوادث الايام ❋ فتولى الموبذان امر عنتر وقدم لهُ كل ما اتى من عند الملك قيصر ❋ وانزلهُ في اعز مكان مع المنذر ملك العربان ❋ ثم قام الموبذان وفتح الصناديق التي جاءت من عند قيصر واعرضها على عنتر ❋ وكانت مشحونة بالاموال والتحف التي تدهش البصر وقال لهُ هذه كلها لك وسيزيدك فوقها الملك الاكبر ❋ ثم احضر الجواري التي حضرت من هناك وكانت احسن من كواكب الافلاك ❋ وقال هذه ايضاً جواريك ولا يستحقها احدٌ سواك فلم يلتفت اليهن لان حب عبلة قد غلب عليهِ وملأ قلبهُ حتى سدَّ الطريق على غيرها فلا يصل احدٌ اليهِ ❋ ولكنهُ قال اين عينك يا عبلة ترى ما يساق اليك من الاموال التي لا تساوي نظرة من وجهك الجميل والجواري التي تقوم بخدمتك وترفع شانك الجليل ❋ ثم امر الموبذان باحضار الطعام واواني المدام ❋ فحضرت اطعمةٌ شتى من لحوم الغزلان والطباهيج والقبج والدراريج ❋ وحضرت بعدها الحلاوات كالفالوذج والقطايف واللوزينج فقال عنتر للمنذر يا مولاي مالي لا ارى شيئاً من لحوم الجمال والتمر وحليب النياق وهل هذه الاطعمة طيبة المذاق ❋ فقال يا ابا الفوارس هذه اطيب

من تلك ولكن لا تعرفها العرب في الحجاز والعراق * ولما تقدم
الى الخوان * همَّ ان يكمش بيده كما جرت عادة العربان *
فقال له المنذر لا تفعل يا ابا الفوارس فانهم يضحكون عليك في
هذا الامر كما ضحكوا عليَّ في اكل التمر * وذلك هو الذي احدث
هذه الفتنة ورمانا في هذه المحنة * ولكن كل كما اكل انا فانني
عاشرتهم وعرفت كيف العادة هنا * فقال جزاك الله خيرًا
يا ابا النعمان فاني جاهلٌ بعادة هذا المكان * وبعد ما شبعا من
الطعام وارتويا من المدام * حضرت الات الطرب ورنت
الالحان فكانت ليلةً من ليالي الزمان * واقاما تلك الليلة على
مهد السرور والافراح والفرس يدعون لعنتر ويفدونه بالارواح
حتى اصبح الصباح * فارسل كسرى يدعوهما للخروج الى الصيد
في تلك المروج فركب عنتر والملك المنذر ومن معهُ من الفرسان
وركب معهم جماعةٌ من الفرس حتى لحقوا بكسرى انوشروان *
وبين يديهِ السعاة والجنود والبزاة والشواهين والصقور
والكلاب والفهود فترجلوا وسعوا اليهِ وهمَّ عنتر ان يقبل رجله
في الركاب فمنعهُ من ذلك وحلف عليهِ وامر الحجاب فقدموا
له فرساً من جنايبهِ واخذهُ الى جانبهِ * وسار معه وهو يحدثهُ
ويباسطهُ في الكلام وعنتر يدعو له وللدولة الكسروية بالدوام
حتى وصلوا الى مكان الصيد فتنافرت بين ايديهم الغزلان ووقع
الصياح من كل جانبٍ ومكان * ووثبت الفهود والكلاب في

Digitized by Google

تلك السهول وتجارت الرجال الى سوابق الخيل * ووقف
كسرى يتفرج والصيد ياتي اليه ويوضع بين يديه * وكان
عنتر قد تبع عانةً من الوحش وابعد بها في الارض واوسع في
ذلك البر بالطول والعرض * فبينما هو كذلك اذا بفارس قد
انقضّ عليهِ وضربهُ بعمود حديد من ساعدٍ شديد * فوقع
بين اكتافهُ فتعتعهُ وكاد ان يصرعهُ * ونادى خذها من بهرام
الديلمي ياكلب الحجاز وان كان قد بقي فيك رمقٌ فدونك البراز
ولا بد لي من قتلك كما قتلت بن عمي خسروان وافتخرت علينا
بقتل البطريق في الميدان * وكان ذلك لما دخل الى قلبهِ
من الحسد لعنتر ولانهُ قتل ابن عمهِ الخسروان كما ذكر * وكان
لما نهاهُ كسري عن معارضتهِ لعنتر لاصحابهِ ان مضى هذا العبد
سالماً من هذه الضربة الديار ما يبقي لي عند احد قيمة ولا مقدار
ثم ترك عليهِ العيون والارصاد حتي خلا بهِ في الصيد والقنص
فقال في نفسهِ هذا وقت انتهاز الفرص * وتقدم الى عنتر على
غفلةٍ منهُ وضربهُ * واذ راهُ ثابتاً على جوادهِ سل سيفهُ
وطلبهُ فاستقبلهُ عنتر وهو بهمهم من شدة الغيظ ويحرد كانهم
الاسد وقال لهُ خاب والله املك يا عابد النار اتريد ان تقتلني
ياغدّار ولكن ابشر بعدها بالويل والدمار وخراب الديار * ثم
اطبق وعليهِ قلب سنان الرمح وطعنهُ بعقبهِ فالقاه عن مركبهِ *
ولولا حرمة الملك كسري كان ارحلهُ الي الدار الاخرى * فحملت

الديلم علي عنتر من كل جانب وقد سلوا السيوف القواضب وصار عنتر يدافع عن نفسهِ حتى كانت يداه وخدر ساعداهُ * وبينما هو كذلك اقبل الملك كسري بجنوده وهم يصيحون على الديالم ويلوحون لهم بالصوارم وهم يقولون قد اتاكم كسري باكلاب الاعاجم وكان قد وصل اليهِ الخبر بما فعل بهرام مع عنتر * ولما رأوا الملك تفرقوا وهم يقولون هذا العبد قد قتل بهرام كما قتل الخسروان ولا بد لنا من قتلهِ على ايّ وجهٍ كان * فقال لهم الموبذان تكذبون يا انذال الديلم فان هذا الرجل يجب ان يكرم لانهُ فعل في حقنا ما لا تقدر عليهِ العرب والعجم ثم احضر عنتر الى حضرة الملك كسرى * وسالهُ الملك عن ذلك فحدّثهُ بما جرى * فغضب الملك وامر بقتل الذين ارادوا قتل عنتر وقال هذا يفدى بالوف من البشر ويستحق ان يكرم ويعتبر * فعند ذلك ترجل عنتر وخضع بين يديهِ وقال لهُ يا مولاي بالله لا تفعل فان احسانك قد سبق . والعفو بك اليق * وانا في هذه الايام قد عزمت علي الرحيل وما اشتهي ان احدًا يذكرني الا بالجميل قال الراوي فتعجب كسرى من حسن ادبهِ وكان قد غضب فتبسم بعد غضبهِ * وقبل فيهم سوالهُ وعفا عنهم واطلقهم لاجل ما قالهُ * وشالوا ذلك الوحش بهرام وهو من طعنة عنتر قد صار مرضوض العظام * وعاد كسري من صيدهِ ودخل الى بستان كان لهُ خلف الايوان حافلاً بالاشجار والازهار المختلفة الالوان

Digitized by Google

وفيهِ قصرٌ رفيعٌ مشيد الاركان كانهُ بقعةٌ من بقع الجنان ونصبوا لكسرى فيهِ سريراً من الذهب الوهاج وحولهُ كراسي من الابنوس والعاج * فجلس وامر المنذر وعنتر بالجلوس وحضرت الاطعمة التي روائحها تنعش النفوس والخمرة التي تشرق بنورها الكوس فاكلوا جميعا وشربوا حتى اكتفوا من الطعام والمدام * ثم شكر المنذر الملك كسري على هذا الاحسان وقال لعنتر انشدنا يا ابا الفوارس شيأً من الشعر في مدح ملك الملوك مولانا كسرى انو شروان فانك شاعر العرب كما انت فارسها في هذا الزمان فقال اللهمَّ نعم وانشد يقول وهو يترنم

يا ايها الملك الذي راحاتهُ قامت مقام الغيث في ازمانهِ
ياقبلة القصاد ياتاج العلى يابدر هذا العصر في كيوانهِ
يا مخجلاً نوءَ السماءِ بجودهِ يامنقذ المحزون من احزانهِ
واذا سطا خاف الانام جميعهم سطواتهِ والليث عند عيانهِ
المظهر الانصاف في ايامهِ بخصالهِ والعدل في بلدانهِ
يا ساكنين ديار عبسٍ انني لاقيت من كسرى ومن احسانهِ
ما ليس يوصف او يقدَّر او يفي اوصافهُ احدٌ بوصف لسانهِ
ملك حوى رتب المعالي كلها بسمو مجدٍ حلَّ في ايوانهِ
مولى بهِ شرف الزمان واهلهُ والدهر نال الفخر من تيجانهِ
فغدوت في عزٍّ مقيمٍ عندهُ متنزهاً فيهِ وفي بستانهِ
ونظرت بركتهُ تفيض مياهها تحكي مواهبهُ وجود بنانهِ

Digitized by Google

في مربعٍ جمع الربيع بربعهِ ... في كل فنٍ لاح في افنانهِ
وطيورهُ من كل نوعٍ انشدت ... جهرًا بان الدهر طوع عنانهِ
ملكٌ اذا ما جال في يوم اللقا ... وقف العدوُّ محيرًا في شانهِ
والنصر من جلسايهِ دون الورى ... والسعد والاقبال من اعوانهِ
فلاشكرنَّ صنيعهُ بين الملا ... واطاعن الفرسان في ميدانهِ

قال الراوي فطرب لها كسرى ومن حضر في ذلك المكان وقال له المنذر حياك الله ياشاعر الزمان الذي لا يقاس بهِ امرءُ القيس ولا نابغة بني ذبيان * وبعد ذلك دارت الالحان على الجنوك والعيدان حتى كاد يرقص ذلك البستان * لان الفرس هم الذين وضعوا هذه الصناعة ولهم فيها المهارة والبراعة وباصطلاحهم تسمي اصول النغمات في اكثر اللغات * كالرصد والدوكاه وغيرهما كالجهاركاه * هذا وعنتر عن كل ذلك في غفلة لان قلبهُ عند عبلة * فكان يشرب . ولا يطرب * ولسانهُ يتكلم وقلبهُ يتالم ثم طمحت عليهِ الاشواق وتذكرَّ ما قاساهُ من لوعة الفراق فانشد وجعل يقول

فوادٌ لا يُسليهِ المدامُ ... وجسمٌ لا يفارقهُ السقامُ
واجفانٌ تبيت مقرَّحاتٍ ... تفيض دماً اذا جنَّ الظلامُ
وهاتفةٍ شجت قلبي بصوتٍ ... يلذُّ بهِ الفوادُ المستهامُ
شغلت بذكر عبلة عن غناها ... وقلت لصاحبي هذا منامُ
وفي ارض الحجاز خيام قومٍ ... حلال الوصل عندهم حرامُ

وبين قباب ذاك الحي خودٌ ردَاحٌ لا يُحل لها لثامُ
لها من تحت برقعها عيونٌ صحاحٌ حشو جفنيها سقامُ
وبين شفاهها مسك فتيقٌ وكافورٌ يمازجهُ مدامُ
فما للبدر ان سفرت جمالٌ ولا للغصن ان خطرت قوامُ
يلذُّ غرامها والوجد عندي ومن يعشق يلذَّ لهُ الغرامُ
الا يا عبل قد شمت الاعادي بابعادي وقد امنوا وناموا
وقد لاقيت في سفري امورًا تشيب من لهُ في المهد عامُ
وبعد العسرِ قد لاقيتُ يسرًا وملكًا لا يحيطُ بهِ الكلامُ
وسلطانًا لهُ كل البرايا عبيدٌ والزمان لهُ غلامُ
يفيض عطاءوهُ من راحتيهِ فما ندري أبحرٌ ام غمامُ
وقد خلعت عليهِ الشمس تاجًا فلا يغشى معالمهُ الظلامُ
جواهرهُ النجوم وفيهِ بدرٌ اقلُّ صفاتِ صورتهِ التمامُ
ولولا خوفهُ في كل قطرٍ من الاقطار ما قرَّ الحسامُ
وكل الناس جسمٌ وهو روحٌ بها تحيا المفاصل والعظامُ
تصلي نحوهُ من كل فجٍ ملوك الارض وهو لها امامُ
بنو نعشٍ لمجلسهِ سريرٌ عليٌّ والسماوات الخيامُ
فدم يا سيد الثقلين وابقي مدى الايام ما ناح الحمامُ

قال الراوي وكان كسرى خبيرًا بلغة العرب فكان كلما انشد عنتر بيتًا يهزهُ الطرب * ولما فرغ من هذه الابيات قال لهُ كسرى يا ابا الفوارس وحق النار لو اعطيتك على كل بيتٍ

الف دينار . لكان قليلاً في مقابلة ابياتك الحسان . لان عطايانا
تنفذ ومدحك لنا يبقى على طول الزمان * فاطلب منا ما تريد
واطلق في ميدان الطلب لسانك . كما اطلقت في ميدان الحرب
عنانك * قال عنتر وحق ذمة العرب اني قد بلغت يامولاي
امالي . بكرمك لا بفعالي وقد اكتفيت بجودك عن طلبي وسوالي
ولكن اذ كان الملك قد تلطف بذلك وتكرَّم . انطلق لسان
العبد وتكلم * فاني قد بلغت من احسانك هذه الرتب العليا .
ولا اعود الا بما افتخر بهِ على اهل الدنيا لانني متى اخذت ابنة عمي
لابد ان اعمل لها وليمة تفتخر بها على اهل الافاق . ويسمع
بها اهل الشام والعراق * وقد اشتهيت ان يكون مثل هذا
التاج على جبينها ليلة زفافها تفتخر بهِ على نساء ملوك العرب
واشرافها * وانا ما طلبت هذا الطلب . الا وقد علمت اني
اسات الادب * ولكن بحر حلمك يغرق فيهِ جهل جاهلية
العرب * فتبسم كسرى وقال وحق النار ياعبسي لقد تلطفت
وما اسرفت * ثم كلم بعض الاعوان فمضى ثم عاد ومعهُ اربعة
غلمان * يحملون قبة من الفضة على راسها باز من الذهب
الاحمر * وعيناه من الياقوت الاصفر . ورجلاه من الزمرد
الاخضر وذيل القبة مكللٌ بالجوهر * ومعها تاجٌ مرصَّعٌ
بالحجارة الكريمة لا يُعرَف لهُ ثمنٌ ولا قيمة * فقال كسرى
ياعنتر هذه القبة تكون لابنة عمك تجلس تحتها ليلة تزيينها *

وهذا التاج تلبسهُ على جبينها * وان كان قد بقي لك حاجةٌ فاطلبها مني ولا تكتمها عني * فقبل الارض عنتر مرارًا بين يديهِ وانعكف على تقبيل قدميهِ * ودعا لدولتهِ بالدوام على ممرّ الايام . وقال لهُ يامولاي انا قصير اللسان عن شكر هذا الاحسان * ثم ان عنتر قال يامولاي لقد غمرتني بالاحسان وما بقي لي حاجةٌ غير سرعة العودة الى الاوطان * فقال كسرى قد اذنت لك في الرحيل بعد ثلثة ايام ولكن على شرط ان تزورنا في كل عام * قال الراوي وكان عند كسرى مصارعٌ من جبابرة العجم اسمهُ رستم * وكان هايل المنظر طويل الباع لا يثبت قدامهُ احدٌ في الصراع * وكان لهُ عند الملك كسرى جملة اعوام يصارع بين يديهِ وهو يهبهُ ويخلع عليهِ * وقد صار لهُ غلمان واقطاع واملاك وضياع * فبلغهُ ذلك اليوم ما قد اخذه عنتر من التحف والاموال وما نال من الرفعة والاجلال * وقيل لهُ يارستم ان من اعظم العار ان يعود عبدٌ من ارضنا بهذه الاموال والنعم * ويقول انا قهرت فرسان العجم وجبابرة الديلم * وما زالوا يحرضونهُ حتى اشتعلت في قلبهِ نار الحسد * فوثب وثبة البعير اذا شرد * وسار الى ذلك البستان ودخل على الملك كسرى بغير استيذان وقال يامولاي كيف رفعت قدر هذا العبد وجعلتهُ لك من الجلاس . وجعلت ذلك عارًا علينا بين الناس لانهم يقولون انهُ قهر جبابرة الاعجام . واستحق من الملك هذا

Digitized by Google

الانعام * وانا اشتهي ان تامره ينهض الي حتى اكسر راسهُ * واخمد انفاسهُ * ولا ادعهُ يعود الي اجلاف العرب و يقول اخذت تاج كسرى وامواله وقهرت فرسانهُ ورجالهُ * قال فلما سمع كسرى هذا الكلام علم ان ذلك من شدة الحسد الذي قطع منهُ الكبد * وقال لهُ اسمع مني ودع نفسك بهيبتك ولا تتعرض لهذه الامور فتقع في المحذور * فان هذا الرجل ليس مثل من تعرف من الرجال * ولا مثل من تعهد من الابطال هذا وحق النار جبلٌ من الجبال * وليس لهُ نظيرٌ بين الناس في قوة العزم وشدة الباس * وانت تعرف كيف كسر عساكرنا في العراق وقتل الخسروان وكيف قهر البطريق الذي قهر جميع ابطال خرسان * وانا اعلم انك لا تجول معهُ جولةً الا وهو قد القاك على الارض وان شاء يدخل طولك في العرض * فيكون ذلك عارًا علينا فوق عار وشنعةً في جميع الاقطار * فاقبل مني النصيحة ولا تعرض نفسك للفضيحة * فقال رستم وحق نور الشمس المشرق وشعاع النار المحرق * لابد لي من صراع هذا الاسود حتى اريك من انفاسهُ تخمد * ونعرف من يُذمّ ومن يحمد * والا فلا اقيم بهذا البلد ولو فارقت روحي الجسد * فقال كسرى لعنتر بالعربية يا ابا الفوارس اتدري في اي شي نحن وماذا يقول هذا الرجل العابس * فقال عنتر لا وذمة العرب لانهُ يتكلم بالفارسية وانا لا اعرف غير العربية * ولكنني ارى

Digitized by Google

رجلاً كالغول ولا ادري هل هو من الخصيان ام من الفحول ❁
فقال كسرى صدقت فيما نطقت وهو قد في دخل هذا الوقت
وطلب ان يصارعك و يجرب نفسهُ معك ❁ فقال عنتر يا مولاي
اني اخاف ان احتاج معهُ الى قتلهِ بحضرتك فيكون ذلك سبباً
لازعاج سرك واخراق هيبتك ❁ فقال لهُ كسرى اذا صارعتهُ
اتقتلهُ ام تذلهُ وتخذلهُ ❁ فقال يامولاى ان قدرت ان اصرعهُ
سالماً صرعتهُ واذللتهُ وان تعاصي عليَّ واراد ان يقتلني قتلتهُ
فضحك كسري وعاد الى رستم وقال لهُ اقبل مني واقطع من صراع
هذا الرجل املك فانني خاف عليك ان تغضبهُ فيقتلك ❁ فقال
رستم وحق النار يا ملك لابد لي من صراعهِ وان لم يفعل دنوت اليهِ
ولطمتهُ على وجههِ فبخصت عينيهِ ❁ وان تطاول عليَّ قتلتهُ
لامحال ولو قتلتني بعدهُ في ساعة الحال ❁ فقال لهُ كسرى
اخلع ثيابك وثبت قدمك ❁ وانا اقول لهُ ان يصارعك وابيح لهُ
دمك ❁ قال فعندها خلع رستم ثيابهُ فبانت عن اكتاف كحجارة
المنجنيق وصدر كانهُ كركرة الجمل الفنيق وحينيذٍ اقبل كسرى
على عنتر وقال لهُ يا ابا الفوارس اريد ان تصارع لي هذا الرجل
المعجب بنفسهِ الذي تسوقهُ قدمهُ الى رمسهِ ❁ فانهُ قد طمع
فيك واستهواءُ الغرور الى الوقوع في هذا المحذور ❁ فصارعهُ
وان احتجت الى عدمهِ فاقتلهُ فانت بري من دمهِ ❁ قال فعند
ذلك قام عنتر وهو يقول والله يامولاى انهُ يشق عليَّ هذا العمل

ولكن العبد اذا امره سيده اطاع وامتثل * ثم قام وتمشى الى رستم وفي يده باقة من الريحان * وهو يتمايل كانه نشوان . غير مفتكر بهذا الشان * فتهيأ له رستم وتعدد . وتقبض وتمدد . وعيناه مثل الجمر تتوقد * فتقدم عنتر اليه ورمى زهرة الريحان من يديه وشمر عن ذراعيه * وقال لرستم تقدم ايها الجبار . لكي تنال الفخار * وتلبسني ثوب العار * وكان رستم قد انحنى كانه ذو عطرة * وهو يضرب بيديه على افخاذه فيسمع لها اصوات مذعرة فتطاولت من الاعجام كل رقبة واملوا بالفوز والغلبة * هذا وقد تلاحم الرجلان في الصراع واعتركا كالفحول في القراع * وطمع رستم في عنتر وهو يظن انه مثل غيره من البشر * فهجم عليه واراد ان يزعزعه فراه مثل البرج المشيد * او السد من حديد وعنتر ثابت قدامه ينظر اليه * وهو يضحك عليه * ثم عاد ثانية الى عنتر وظن انه استرخى وفتر * فوجده لم يزل كطود الاطواد او قصر عاد بن شداد فانثنى عنه الى الورا ثم هم ان يعود اليه مرة اخرى * فكره عنتر معه تطويل المجال . فانحم عليه كانه الاسد الريبال * وزعق فيه زعقة ارعدت جميع حواسه * ومكن يده من منطقته وشاله الى فوق راسه * واراد ان يحمله الى الملك كسرى سالما ويضعه قدامه بحضرة القوم لكي لا ينزعج قلبه وينهى المصارع عن التعرض لاحد بعد هذا اليوم * واما ذلك اللعين فانه رفع يده وضرب عنتر على راسه * كاد يذهله عن حواسه

Digitized by Google

فخنق عنتر وجلد بهِ الارض * فادخل بعضهُ في البعض * وارقده
رقدة لا يقوم منها الي يوم العرض فلما رات اصحابهُ ذلك هجموا
على عنتر ليقتلوهُ فصاح الموبذان ودفعتهم عنهُ الخدم والغلمان ·
وحملوهم رستم واخرجوهم من البستان * وعاد عنتر الى مكانهِ
وقبل الارض قدام كسرى ودعا لهُ بدوام عزهِ وارتفاع شانهِ *
قال ففرح بهِ كسري وهناهُ بالسلامة وقال لهُ انا اعلم ان خصمك
قد بغى عليك وما عاقبة البغي الا الندامة * فنعم ما فعلت بهِ
وجازيتهُ على جهلهِ وسوء ادبهِ * فقال عنتر والله يامولاي لو
اردت قتلهُ من قبل ان ارفعهُ من الارض لقتلتهُ فى ساعة الحال
وانما اردت ان احملهُ الى بين يديك سالماً حتى تزجرهُ عن
التعرض لصراع الابطال * فقال كسرى لقد زجرتهُ فما ازدجر
وانذرتهُ فما اعتبر · فعلمت ان اجلهُ قد حضر * ثم عادوا الى
ما كانوا عليهِ من الطرب والسرور · وشرب كاسات الخمور
حتى جن عليهم الظلام · وغلبهم سلطان المنام * وتفرق اكثر
الناس وانصرفت الجلاس * فاشار الملك المنذر الي عنتر فقام ·
ودعا للدولة الكسروية بالدوام · وانصرف وبين يديهِ الغلمان
والخدم حتى دخل الى مضجعهِ ونام * فلما اصبح الصباح اتى الموبذان
الى باب الدار * ودعا الملك المنذر وعنتر فخرجا اليهِ وركب كل
منهم وسار * وفي اثناء ذلك قال عنتر للموبذان يامولاي
اشتهي ان ادخل الى بيوت النار · لانظر ما فيها من الانوار *

واحدث بهِ قومي متى رجعت الى الديار * فقال الموبذان
ياوجه العرب لايسوغ لي ذلك لانك تدخل اليها على سبيل
الاستهزاء لاعلى سبيل الاحترام والاعتبار * واني اخشى عليك
منها لهذا السبب * ان يهيج فيها الغضب · فتلقى عليك اللهب
وترميك في العطب · ولكن اذا قابلتها بالوقار والسجود كما يليق
بالاله المعبود * فانا ادخلك اليها وهي تلقي بركاتها عليك اذا
القيت سلامك عليها * فقال عنتر والله يامولاي لاادخل الى
زيارتها الا بقلب سليم لاني اعلم انها من ايات الرب العظيم
وافعل كل ما تامرني بهِ من السجود والتسليم قال فلما سمع الموبذان
هذا الكلام من عنتر · سار بهِ الى المعبد الاكبر * فراى رجالاً
قياماً عراة الابدان · وفي ايديهم المداري ومقامع الحديد يقلبون
بها النيران * ويزمزمون حولها بكلام المجوس · ويتلونهُ باصوات
خاشعة تسلب النفوس * وشيخهم الكبير جالس على وسادة من
جلود الاسود وهو يهمهم وينود · ويومي اليها بالسجود * فلما
دخل عليهِ الموبذان باداهُ بالسلام فرد عليهِ بالاجلال والاكرام
ثم كشف راسهُ وسجد للنار · ودار حولها سبعة ادوار * وراه
عنتر قد فعل ما فعل فجاراهُ في ذلك العمل * فسر الموبذان
بذلك وقال لهُ الان قد افلحت * وتيسرت امورك ونجحت * وقد
حلت عليك بركة هذه الربة المعظمة وصارت انوارها تهديك
في الدياجي المظلمة * فدم على تعظيمها في كل مكان · تامن

من اهوال الزمان · وطوارق الحدثان ❋ فقال عنتر يامولاي ومن اين لنا نار مثل ناركم هذه التي تضرمونها بالعود والفاويه الطيب · فيظهر لها هذا النور واللهيب · ويفوح منها هذا النسيم الذي ينعش القلوب · ويفرج الكروب ❋ ونحن نضرمها في بلادنا ببعر الجمال وزبل البقر وجراثيم الشجر الاخضر فيفوح منها دخان يخبل الدماغ ويعمي البصر ❋ قال فضحك الموبذان من هذا الكلام وعلم ان العرب لا تحول عن عبادة الاصنام ❋ ثم دار بعنتر حواليها سبع مرات · وهو يسجد لها ويقول سبحانك لا اله الا انت فاشتملينا بالرضى والبركات ❋ وبعد ذلك مضى الموبذان الى بين يدي الملك كسرى واخبره عن تعبد عنتر للنار وكيف سجد لها ودار حولها بالخشوع والوقار ❋ ثم قال ان هذا الرجل قد غلب عليه الشوق الى بلاده وصارت اقامته هنا على خلاف مراده لان الغريب لا يطيب له غير اوطانه ولا سيما اذا كان الهوى قد تملك في فواده فان شاء الملك فلياذن له بالرحيل وهذا عنده هو اعظم الاحسان والجميل فقال الملك ذاك مفوض اليه وانا قد امرت له بكل ما اريد ان انعم به عليه قال الراوي وبعد ذلك خرج الموبذان من عند كسرى وجمع كل ما امر به لعنتر فكان لا يحصى ولا يقدر ❋ ثم دعا عنتر اليه واخبره بما انعم الملك عليه ❋ وانه قد اذن له بالمسير الى الديار على بركة النار · فحمد عنتر وشكر ودعا للدولة الكسروية بالنصر والظفر

Digitized by Google

وقال والله يا مولاي ان بلادكم افضل البلاد كما انتم افضل العباد والذي رايته عندكم ما رايته في مكان ولا اراه طول الزمان * ولكن انت تعلم ان الغريب تغلبهُ الاشواق وتقف في لهواتهِ غصة الفراق ثم تنفس الصعداء وتنهد واشار الى الموبذان وانشد

هاج الغرام فدر بكاس مدام ... حتى تغيب الشمس تحت ظلام
ودع العواذل يطنبوا في عذلهم ... فانا صديق اللوم واللوّام
يدنوا الحبيب وان تنأت دارهُ ... عني بطيف زار في الاحلام
فكأنّ من قد غاب جاء مواصلي ... وكانني اومي لهُ بسلام
طال البعاد واطنب الهجر الذى ... ما زال يلبسني ثياب سقام
ولقد لقيتُ شدايداً واوابداً ... حتى ارتقيت الي اعزّ مقام
وقهرت ابطال الوغى حتى غدوا ... جرحى وقتلى من ضراب حسامي
ما راعني الا الفراق وجورهُ ... فاطعتهُ والدهر طوع زمامي

قال الاصمعي ولما فرغ من انشاده رقّ لهُ قلب الموبذان وقبل عذرهُ في ما هو عليهِ من شدّة الهيمان فاخذه ودخل بهِ على الملك كسرى وكان جالسا في الايوان * فرّحب بهِ وادناه وقرّبهُ وحياهُ وبشّ في وجههِ واحسن ملتقاهُ * وبعد ذلك قام عنتر على قدميهِ واستاذن الملك في الرحيل فاذن لهُ وعاهده ان لا يزال يتردد اليهِ * ثم عاد عنتر الى مضجعهِ والخدم والمماليك بين يديهِ * واخذ يتجهز للمسير وفي قلبهِ من الاشواق نار السعير فجاش الغرام في نفسهِ وانشد يقول

Digitized by Google

ياعبلَ قد ساب الغرام منامي — والشوق اصبح في فوادي نامي
ياعبلَ هل من نظرةٍ تطفي بها — ناري ويشفى باللقاء سقامي
ياعبلَ ماشي لا يروق لناظري — في الارض غير جمالك البسامِ
ياعبلَ قد طال الفراق فما الذي — يرضاهُ مني غاضب الايامِ
ياعبلَ هل تدرين ما انا واجدهُ — من مدمعٍ يهمي كصوب غمامِ
اني لاصفيكِ المودَّة ناصحاً — واصدُّ عن عذلٍ وقول ملامِ

قال فلما فرغ عنتر من هذه الابيات . الا وقد وصلت اليهِ الانعامات * وكانت مبلغاً عظيماً من الاموال والملابس والتحف النفايس . والحلى والجواهر . والخيول الضوامر * والاسلحة الفارسية . والخلع الكسروية * فصار اغنى من ملوك الزمن . واعظم من مناذرة العراق وتبابعة اليمن * وافتخر بنفسهِ . على ابنا جنسهِ * حتى صار يظن انهُ يتناول الثريا بيديهِ . ويسحق الحصى بقدميهِ * هذا وان الموبذان قال لهُ يا ابا الفوارس قد بقي لنا منك ثلثة ايام لكي نستوفي حق الوداع وبعد ذلك تمضي بالسلام فقال يامولاي ليكن كما تريد . فانا لك من جملة العبيد * قال وقام عنتر مع الموبذان ذلك اليوم باوفى السرور واطيب الحبور وبات عنده تلك الليلة كانهُ في جنان الحور * وكان عند كسرى مرزبان يقال لهُ مهران * وهو اخو خسروان الذي قتلهُ عنتر في العراق . كما تقدم السياق * فلما راى عنتر قد نال هذه النعم والاموال وعزم على الارتحال * تقدم الى بين ايادي كسرى وقال

لهُ ايها الملك ماذا تقول عنك ملوك الزمان اذا اتحفت هذا العبد الكشحان بهذه النعم التي لا يستحقها الا سيدٌ عظيم الشان * وقد قتل حاجبك خسروان وكسر جيشك الذي كان عشرين الف عنان * وما تقول الملوك الا انك خفت من سيفهِ والسنان وربما يطمع فيك قيصر ملك الروم فيجري معك على غير اسلوبهِ المعلوم * والراي عندي انك تاخذ منهُ ما اعطيتهُ من الاموال * وتجازيهِ على ما فعلهُ مع حاجبك ومن معهُ من الرجال * فقال لهُ ويلك يامهران وما الذي يكون عذري بين ملوك الزمان * اذا قالوا ان الملك كسرى لحقهُ الندمَ * ورجع فيما اعطاهُ من النعم مع ان هذا الرجل وحرمة النار يستحق اكثر مما اعطيناهُ لانهُ رفع عنا العار ٠ وازال عنا طمع القياصرة واهل تلك الديار وهو لعمري فارس الفرسان وجبار الجبابرة ٠ الذي لا نظير لهُ في مملكة الاكاسرة ٠ ولا في جزاير القياصرة * فقال مهران يامالك اشتهي ان تحضرهُ الان وتطلب منهُ ان يقتل الاسد الذي عندك كما يقولون انهُ قتل الاسد الذي في ارض خفان ٠ وهو مقيد الرجلين مطلق البنان * فان اجاب وقدر ان يقتلهُ يكون قد استحق هذا الانعام * وان قتلهُ الاسد لا تكون اموالك قد ضاعت ولا عتب عليك من احدٍ ولا ملام * فلما سمع كسرى كلام المرزبان افتكر في نفسهِ حصةً من الزمان * وقد علم ان كلامهُ حسدٌ وطغيان ولكن اراد ان يظهر ذلك للعيان * فامر الموبذان

ان يرد عنتر ويامره بالحضور الي بين يديهِ لاجل امر قد عرض لديهِ فعندها عاد الموبذان الي عنتر وامرهُ بالحضور الي ديوان الملك في تلك الساعة فقال عنتر سمعاً وطاعة وسار مع الموبذان حتي حضر بين يدي كسرى في الايوان * فقال لهُ يا ابا الفوارس انني سمعت من الملك المنذر انك قتلت قدامهُ اسدًا في ارض خفان وانت مقيد الرجلين مطلق البنان * وعندي اسدٌ ربيتهُ شبلاً صغيرًا والان صار اسدًا كبيرًا * وقد طغي وتمرَّد حتى ما بقي يقدر ان يقابلهُ احد لانهُ يقطع السلاسل والقيود ويهجم على المرازبة والجنود * فاريد ان تصرم عمرهُ وتكفينا شرَّهُ * فقال عنتر يا مولاي قد سهلت عليَّ الامر ودفعت الشرّ لانني احسب السباع من كلاب البرّ وكنت قد ظننت انك رددتني اليك لاجل امرٍ عظيم او خطبٍ جسيم * والان فاحضر لي هذا الاسد الكرَّار وانا استعين عليهِ بسعادتك وقدرة النار * فامر الملك باحضار الاسد المشار اليهِ الى بين يديهِ * وكان ذلك الاسد يقال لهُ خميس وهو هايل المنظر من راهُ يتعوذ من شرّ ابليس فاقبلوا بهِ وكانوا عشرين نفرًا من الصناديد ماسكين كل عشرة بزنجيرٍ من الحديد * وبايديهم دبابيس حديدية ضربتها تسحق الجلاميد * وهم يقودون اسدًا عظيم الهامة طويل القامة * عريض الصدر احمر الوبر غاير المحجر افطس المنخر يطير من عينيهِ الشرر * ولهُ انياب كانها الحراب ومخاليب مثل الكلاليب

Digitized by Google

وكبدٌ مثل كركرة الجمل وشدقٌ يسع الحمل * وهو يمشي فيكاد يخسف الطريق ويزمجر فيهدر صوتهُ كالجمل الفنيق * فلما وصلوا بهِ الى قدام الايوان ۰ ارتعدت منهُ فرايص الشجعان ۰ وتعوَّذ بالنار من هول منظره الذي يرجف القلوب والابدان * فلما راهُ كسري اشار الى عنتر وقال لهُ يا شيرسان * اشتهي ان تفرجني على قتلك لهذا الاسد الغضبان ۰ ولا تخلي في قلبي هاجساً مما ذكرت عنك العربان * فقال عنتر سمعاً وطاعة وعسى ان اظفر بهِ فتتفرَّج انت والجماعة * ثم نهض غير محتفل كانهُ قايمٌ لمبارزة ثعلب ۰ او لاقتناص ارنب * واستقبل الاسد والابتسام يلوح من جبينهِ واخذ الدرقة بيده اليسرى والسيف في يمينهِ وتقدَّم الى ذلك الاسد المهول وهو ينشد ويقول

يا ليث احذر ان تكون جزوعا ۰۰ واحمل عليَّ فلست منك مروعا
اقبل اليَّ فانني لا انثني ۰۰ عن قتل مثلك او اكون هلوعا
ان كنت تزعم ان وجهك عابسٌ ۰۰ فانا العبوس ولا اكون شنيعا
اليوم تضحي في الفلاة مجندلاً ۰۰ وتخرُّ في هذا المكان سريعا

قال فلما سمع كسرى من عنتر هذه الابيات وراى منهُ ذلك الثبات * علم انهُ لا يبالي بالسباع ۰ ولا يهال قلبهُ ولا يراع * فامر الغلمان ان يطلقوا الاسد من السلاسل ۰ لينظروا من يكون القاتل * فعندها اطلقوهُ من تلك الجنازير وهو في قدر الفيل الكبير * فعندما اطلقوهُ دنا اليهِ الامير عنتر ۰ وزعق عليهِ زعقة

تفلق الحجر فاجتمع الاسد ووثب اليهِ واراد ان يلقى نفسهُ عليهِ
فالتقاه عنتر وفي يده سيفهُ الابتر وجاولهُ حتى استمكن من ضربهِ
واهوى بسيفهِ عليهِ * فوقعت الضربة بين عينيهِ طلع السيف من
بين فخذيهِ فصاح الملك كسري احسنت يا شيرسان وحق النور
والنيران انك جبار الانس والجان * ثم طلبهُ اليهِ . وقبلهُ بين
عينيهِ وقال لهُ انت في الحقيقة اسد الغاب والاسود كلها قدامك
كلاب * وكان المرزبان مهران حاضراً في الايوان * وكان
قد تحقق عنده الامل . لما راى ذلك الاسد قد اقبل . ان عنتر
لا بدَّ ان يقتل * فلما ظفر عنتر بالاسد تمزقت احشاوهُ من
الكمد وتمنى انهُ لم يولد * وحينئذٍ قال لهُ كسرى خسيت ايها
اللعين وامر بضرب عنقهِ في ذلك الحين * فضربوا عنقهُ قدام
الايوان وامر بضبط كل ما في دارهِ من الاموال والتحف الحسان
وقال لعنتر ان هذا الخبيث اشار عليَّ باسترجاع ما اعطيتك
من الاموال ومبارزتك للاسد وكل ذلك لما في قلبهِ من
الطغيان والحسد * فاردت ان اظهر شجاعتك على رووس
الاشهاد واخذل الاعادي والحساد * وهذا اللعين قد لقي عاقبة
بغيهِ واجتنى ثمرة سعيهِ * وقد اضفت اليك ما عندهُ من الاموال
فخذها فوق ما اعطيتك من الانعام وارحل الى ديارك بالسلام
فقبل الارض بين يديهِ * وشكرهُ واثنى عليهِ * وامر الملك
اجنادهُ بالركوب لوداع عنتر وخرج هو والموبذان والحجاب

وجماعةٌ من العسكر ❊ وانتشروا في تلك الارض حتي ملأوها في الطول والعرض ❊ وبعد ذلك ترجل عنتر وقبل رجل الملك في الركاب وودع الموبذان والوزرا والحجاب فقبلهُ كسري بين عينيهِ وامرهُ ان يتردَّد اليهِ بالزيارة في كل عام . ووعدهُ بمواصلة الهبات والانعام . وسار في ذلك الموكب الامير عنتر كانهُ الملك قيصر او احد ملوك بني الاصفر * والى جانبهِ الملك المنذر وهو مسرورٌ بتلك النعم التي اظهرت فضل العرب على العجم وكان عنتر حينيذٍ هو الملك في الحقيقة والمنذر عندهُ كبعض الخدم ❊ وما زالوا سايرين حتي وصلوا الى الحيرة وقد انتشرت قدامهم الاحمال والخيول فملأت تلك الفلوات والسهول ❊ وخرجت اولاد الملك المنذر لاستقبالهم ومعهم جمهورٌ من جنودهم ورجالهم ❊ وانبهرت العرب من ذلك الموكب العظيم ونظرت من تلك الهدايا والتحف ما لم تنظره من الزمان القديم ❊ ولما استقر الملك المنذر في اوطانهِ اخلى لعنتر مكاناً يليق بشانهِ ❊ فقال يا ملك وحياتك ما بقيت اقدر على المقام اكثر من ثلاثة ايام فضربوا لهُ الخيام بظاهر الحيرة وصنع الملك المنذر وليمة كبيرة واخذوا الناس في اكل الطعام وشرب المدام مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع طلب عنتر الاذن بالمسير فاجابهُ الملك المنذر وامر لهُ بالف ناقةٍ من النوق العصافير ❊ محملة من هدايا العراق وظرايف تلك الافاق ولما عول على الرحيل قال لهُ الملك المنذر

يا ابا الفوارس خذ معك خيالة من عساكري ولو ماية خيال حتى يوصلوك الى اهلك باليمن والاقبال * فقال عنتر ياملك انا لا احتاج الي غفيرٍ وباسمي ينادي كلُّ كبيرٍ وصغيرٍ * واذا كان معي فرسانٌ فانا غفيرهـا وحاميها وحافظها وراعيها ثم ودعهُ وشكر فضلهُ وقال لهُ والله يامولاي ما اعدُّ هذا الذي وصل اليَّ الا من نعمك ولا انا ايها الملك من اليوم فصاعداً الا بعض عبيدك وخدمك * لانك اطلقت لما اسرت وعفوت لما قدرت وجدت وما قصرّت فلا زالت سيوفك على اعداك مسلولة واموالك للقاصدين مبذولة * وسار عنتر وهو يقطع المراحل ويشتهي ان ينهب الطريق ليقرب وصولهُ الى المنازل

قال الراوي وما زال عنتر يقطع القفار ويواصل سير الليل بسير النهار ويطلب المنازل والديار * حتى توسط الطريق فوصل الى ارض يقال لها ذات المناهل وكان عنتر قد سبق العبيد وتركها تسوق الجمال وراه وتقدم لينظر لها المراتع والمياه * فلما وصل الى تلك الارض راى خمسة عبيد في ذلك المكان ومعهم هودج على راسهِ هلال من الذهب الاحمر * ومن داخلهِ شخصٌ ينادي من فوادٍ مقروح وقلبٍ مجروح * اه واذلاه من بعدك ياعنتر اين عينك تنظر ابنة عمك عبلة مسبية في هذا البر الاقفر * لعنة الله على ابي مالك ولا نجّاهُ من المهالك * وشل الله اليد التي ارتفعت عليك ويا ليت عيني تغمضت قبل عينيك

ثم اخذت في البكا والشهيق وهي تارة يغشي عليها وتارة تفيق ❋ وهي مع ذلك تنشد وتقول

اين عيناك يا ابا الفرسان ... لترانبي في ذلة وهوان
مع اناس لا يحفظون ذماما ... لا ولا يرجعون للرحمان
ليت لا كنت في زمان خوون ... غادر في مذلة قد رماني
قصر الله مدتي بعد ليث ... كان حامي الحريم والاوطان
فسقى الله قبره وبل غيث ... هاطل دايم مدى الازمان
فلقد كان فارسا يقهر الاسد ... ويغزو الابطال في الميدان

قال الراوي فوقف عنتر وبقي باهتا في ذلك الهودج وقد خفق قلبه وانزعج ❋ واراد ان يعلم من هو هذا المنادي باسمه وقد قلق لما سمعه من كلامه ونظمه ❋ فتقدم حتى قرب من العبيد ونادى ويلكم لمن هذه الخيام ومن هو الذي يريد النزول في هذا المقام ❋ ومن هذه الجارية التى تبكي وتتحسر وتنادي با سم عنتر فا قبل عليه بعض العبيد وهو يقول اذهب يا وجه العرب ودع عنك الفضول ❋ قبل ما يشرف عليك طارقة الليالي وحادثة الزمان ❋ فياسرك ويضيفك الى من معه من الفرسان ❋ قال فعندها خفق قلب عنتر من هذا الخبر ووقف وهو قد انذهل وتحير ❋ واذا بسجف الهودج قد ارتفع وظهر منه جارية نحيلة صفرا نحيفة غبرا ❋ قد ذبلت من الهزال وذابت حتى صارت كالخلال ❋ فلما راته شهقت شهقة كادت تقضى عليها وصفقت

بيديها * وقالت يا ابن العم وانت في عدد الاحياء اكون انا في ايادي الاعداء * ثم رمت نفسها الي الارض وهمت ان تقوم وتتعلق بركابهِ فلم تقدر على القيام وطفح السرور على قلبها فاغمي عليها وانعقد لسانها عن الكلام * فتفرس فيها عنتر واذا هي بنت عمهِ عبلة التي لاجلها كانت هذه الرحلة * فصاح بملوء راسهِ صيحة تصدع الحجر وقال الله اكبر * ما هذا يا ابنة العم الكريمة وماذا القاكِ في هذه البلية العظيمة * ثم هم ان يترجل اليها واذا بالعبيد قد ركبوا وصاحوا بهِ ويالك يا عبد السوء لا تتعرض لنساء الموالي فهذه زوجة سيدنا طارقة الليالي * وحق ذمة العرب لقد سعت الى منيتك قدمك وستندم حيث لا ينفعك ندمك * خلِّ يا ويلك عن الجارية وانجُ بنفسك والا فابشر بحلول رمسك فعندها تقدم عنتر اليهم وهمهم وزعق ودمدم * واطلق نحوهم العنان وقوم السنان * واستقبل الاول منهم بالطعنة في صدرهِ اطلع الرمح من ظهرهِ واعترض الاخر وضربهُ بالسيف على عاتقهِ فاطلعهُ يلمع من علايقهِ * فلما راى اصحابهُ ذلك عادوا على الاعقاب وطلبوا روس الروابي والشعاب ورجع عنتر وهو كانهُ الاسد اذا خرج من الغاب او الصاعقة اذا شقت اذيال السحاب

قال الراوي وكان السبب في ذلك انهُ لما وصل شيبوب ونعي اخاهُ عنتر كما تقدم الايراد ضج الحيّ بالبكاء والعويل وقامت الافراح عند بني زياد ودارت البشاير عند بني قراد ومن يجاريهم

Digitized by Google

من الاعداء والحساد * وكان ذلك اليوم كيوم البعث الموعود او يوم اخذ الصيحة لقوم عاد وثمود * حتى زهقت من القوم الارواح وكادت الارض تتزلزل من شدة الضجيج والصياح * وكان اشد الناس لوعةً بنت عمه عبلة فانها خرجت من خدرها وهي تلطم علي وجهها وصدرها وقد تهتكت ونشرت ذوايب شعرها * فكانت كانهُ اصابها مسٌ من الجنون فصارت تهذي بما يكون وما لا يكون * ولا سيما ان ذلك قد اصابهُ من اجلها فكانت تشتهي لو ان ما اصابهُ جرى عليها وعلي اهلها * ولما شاع الخبر بقتل عنتر استدعي الملك زهير اخاهُ فاخبره بما جرى وقال قد قتل حامية عبس وتمدَّد على ذلك الثري * فقل لعمارة بن زياد يحمي بعده الحيَّ كما حماهُ في وقعة بني طيّ * فتاسف الملك زهير كما تاسف الناس وكذلك ولده مالك بخلاف اخيه شاس * واما مالك ابو عبلة واخوها فانهما كانا غايبين في ذلك الحين وكثر على نسايهما التوبيخ والملام من بني عبس المحبين * فارتحلن ومعهنَّ خمسة عشر فارساً من بني عبس حتى وصلوا الى بني كنانة وهم بحالة الذل والنكس وكان مالك وولدهُ عمر قد وصل الى ذلك الحيّ بالامس * وكان فارس بني كنانة واقد بن مسعر غضبان على قومهِ ومنفردًا وحدهُ فوقع ببني عبس وقاتلهم فقتل منهم خمسة رجال واسرا الباقين وطالبهم بالفدي واكثر عليهم في طلب الاموال * وكانت احدى العجايز قد رات

عبلة عند وصولهم الى تلك البلاد فقالت له ان هذا الشيخ الذي يسمى مالك بن قراد بنتاً ما لها نظير بين العباد اطلبها منه فداه وفدى بني عمهِ فانها افضل من ملك فرعون ذي الاوتاد فطلبها منه فاجاب وسلمهُ اياها وخلص بني عمهِ من الاسر والعذاب هذا وعبلة تصيح وتنادي وليس لها مجير ولا فادي وحينئذٍ سار بها واقد طالبا دياره وهو مسرور بذلك التوفيق لانهُ ابتهج بمنظرها الجميل وقوامها الرشيق فالتقاهُ طارقة الليالي في الطريق * ولما راي عبلة وقعت من قلبهِ موقعاً عظيماً وحلت منهُ محلاً كريماً * فحمل علي واقد وانتشب بينهما القتال فما جال معهُ جولةً حتي القاهُ قتيلاً على الرمال واخذ عبلة وارسلها مع عبيده الى المنهل حتي اوصلوها اليهِ ووجدها عنتر عليهِ وكان العبيد الثلثة الذين سلموا من سيف عنتر انطلقوا الي سيدهم طارقة الليالي واخبروه بالخبر لانهُ ارسل عبلة مع العبيد ونزل يستريح في مكانٍ بعيد * وكان عمارة بن زياد وعروة بن الورد في بلاد اليمن وقد اغاروا على قومٍ من تلك الدِمن * فاخذوا بعض نياقهم وساروا بها في ذلك القفر فمروا في طريقهم من هذا المكان وراوا طارقة الليالي قد اسر ابا عبلة واخاها عمر * فعندذلك تقدم عروة بن الورد اليهِ واراد قتلهُ وخلاص عبلة وابيها واخيها من يديهِ فاسرهُ طارقة الليالي وامر بشد وثاقهِ وحمل عمارة ليقاتل قدام عبلة فاسرهُ ايضاً واضافهُ الي رفاقهِ وارسلهُ مع

عبلة الى الغدير وترجل لكي يستريح ويفتر عنهُ حر الهجير * وفي ذلك الوقت وصل عنتر وقتل العبدين كما سبق الخبر واما عبلة فلما نظرت عنتر عاشت روحها بعد الممات وعادت اليها الحياة * وحدثتهُ بما جرى عليها كما حدثها بما جرى عليهِ * وهو يتاسف ودموعهُ تسيل من عينيهِ * ثم اخبرها بما اتاها بهِ من الاموال والتحف وما تنال بهِ بين النسا من الفخر والشرف * فقالت لهُ يا ابن العم بالله عليك خذني وخذ هذه الاموال وارجع بنا الى الملوك الذين نلت منهم هذا النوال ودعنا نعيش عندهم باقي عمرنا ونستريح من هذا العنا فتبسم عنتر من كلامها وقال لها والله لا اخرج من هذه البلاد حتى اخذك رغماً عن الاعادي الحساد واشفي قلبي وقلبك من اهل البغي والفساد واجعل تحت قدميكِ رووس بني زياد وبني قراد وفي اثناء ذلك اقبلت العبيد والابطال ومعهم الاموال والرحال فامرهم عنتر بالنزول في ذلك الصعيد واوصى على عبلة بعض السادات والعبيد * وتقدم لكي يلتقي طارقة الليالي بقلب لا يهاب ولا يبالي * وكان طارقة الليالي سايراً على اثر اصحابهِ واذا بالعبيد يتراكضون اليهِ وهم يصرخون عليهِ فقال لهم يا ويلكم ما وراكم وماذا دهاكم فقالوا ان شملنا قد تبدد والجارية اخذها عبدٌ اسود * فلما سمع هذا الكلام هدر وزمجر وطار من عينيهِ الشرر وانعطف راكضاً نحو الغدير وهو كانهُ الخنزير حتى التقى بعنتر فصاح فيهِ ويلك يا ابن الامة المقذرة انت الذي قتلت عبيدي

واخذت جاريتي المخدرة فقال له عنتر بل الويل لك يا ابن الزانية ويلك متي صارت عبله بنت مالك العبسية لك جارية * وانا قد قاسيت الاهوال لاجلها ولولا غيبتي في طلب مهرها لما قدرت ان تنظر الى نعلها فدع ما انت فيه من الهذيان ودونك الضرب والطعان . قال جهينة اليماني وعندها انطبق عنتر علي خصمه كصاعقة الغمام واخذ معه في الصدام * حتى لاحت له فرصة فضربه بالسيف على راسه فظل السيف يهوي الى تكة لباسه فاقشعرت من تلك الضربة الابدان ونادت عبلة لا شلت يداك يافارس الفرسان . ثم ركض عنتر الى الاسارى العبسيين فحلهم من وثاقهم وسلم على عمه وقال له ابشر ياعماه بالخلاص من الهلاك واعلم ان جميع ما اصابك جزاء بما قدمت يداك لانك زوجتني ابنتك وارسلتني في طلب الصداق ورميتني الى بحر المنايا بارض العراق لاجل طلب النياق ونكثت العهد والميثاق . وزوجتها بفارس بني كنانة وضيعت المروة والامانة فلقاك الله عاقبة الخيانة فقال ياولدي لا تعتب علي فاني معذور لانه لما اتى اخوك شيبوب ونعاك وقطع رجانا من بقاك * اتفق انني وقعت انا وولدي عمرو ومعي جماعة من اخواني في قبضة واقد بن مسعر الكناني وكنا قد اشرفنا على ضرب الاعناق حتى وصفت له امراة عجوز ابنتي فطلبها مني فدى ارواحنا فاعطيناه اياها ومن علينا بالاطلاق ثم اخذها وطلب دياره فوقع مع طارقة الليالي فقتله واخمد ناره

واسرنا واخذ عبلة حتى اتيت وعجلت دماره · والان نحمد الله
على سلامتك ورجوعك الى الاوطان وجبر قلب ابنة عمك التي لا
يليق لها غيرك يافارس غطفان فقال عمارة اي والله يا ابا الفوارس
انهُ قد رجع الحق الى اصحابهِ والسيف الى قرابهِ فالحمد لله الذي
اعادك اليها سالماً من كيد اعداك والويل لمن يطلبها سواك *
وقال عروة صدقت ياوهاب انهُ لا يليق لعبلة الا عنتر ولو كان
من تبابعة بني حمير لان الله قد قسم لهُ بها فلا يجوز ان يتعرض
لها احدٌ من البشر * واما عنتر فكان يعلم ان ذلك منهما على سبيل
المكر والمحال ولكنهُ شكرهما وعاد بهما الى محط الرحال * قال
صاحب الحديث فلما راوا تلك التحف والاحمال اخذهم الانذهال
فقال مالك لعنتر يا ابن اخي لمن هذه الاموال والنعم لعل احداً
نزل في هذا المكان من ملوك العجم · فقال عنتر لا وذمة العرب
ياعماه هذا جميعهُ لعبدك عنتر الذي ارسلتهُ لياتيك بالنوق
العصافير وهذه هي النوق ومعها هذه الاموال التي توزن بالقناطير
ثم نزل بهم في بعض الخيام وامر العبيد ان تذبح النوق والاغنام
واخذ يقص على عمهِ ما جرى لهُ مع الملك المنذر والملك
كسرى وفارس الاروام وما اعطاهُ الله من شرف المنزلة ورفعة
المقام هذا وعمارة بن زياد يسمع وقلبهُ يذوب ويتقطع · وما انتهى
عنتر من الكلام حتى كان راج الطعام وتقدمت بهِ العبيد والخدام
وكان عنتر كلما تقدم اليهِ احد من الغلمان حتى يخدمهُ يقول لهُ

اخدم هولاء السادات الاماجيد لانهم الموالي ونحن العبيد . وكان عمارة واصحابهُ كانهم ياكلون من شجرة الزقوم و يشربون من ماء الصديد لشدة ما نالهم من الغم والكمد وما لذع اكبادهم من نيران الحسد . وبعد ذلك دخل عنتر على عبلة وقال لها ابشري يابنت العم بالسعادة والاقبال ففي خدمتك جميع هذه الجواري والاموال وهذه الملابس والتحف الفاخرة وهذا التاج الذي هو من ذخاير الاكاسرة * فقالت عبلة والله يا ابن العم ان سلامتك عندي احب اليَّ من كل ما ذكرت وما ارى العزَّ الا اذا حضرت فان عودتك اليَّ تسوى الدنيا وما فيها وبدونك لا خير في الدنيا ولا في اهاليها قال الراوي ثم ان عنتر ركب بعض الجنائب وخرج للحرس خوفاً من طوارق الظلام . وكان عمهُ مالك قد استحى منهُ فقام هو و ولدهُ عمر وعروة بن الورد وارادوا ان يتولوا الحرس فردهم واقسم عليهم باعظم الاقسام وقال لا وذمة العرب الاماجيد لا يمكن ان الموالي تخدم العبيد * ولا سيما وانتم لكم عدة ليالٍ لا تلذذتم بطعام ولا تهنيتم بمنام * هذا كلهُ يجرى من عنتر وهو ليس لهُ عندهم قدر ولا قيمة . لان البغضة في قلوبهم قديمة * ثم انهم باتوا تلك الليلة على مقالي الجمر ولاسيما مالك وولدهُ عمر * لانهم كانوا قد اطمأنوا على هلاك عنتر . فرجع سالماً وهو صديق الملك المنذر والملك الاكبر . ونال منهما تلك النعم التي لا تحصى ولا تقدر * هذا وعمر اخو عبلة يقول والله

يا ابتاه ما بقى لي اقامة في هذه البلاد · لان عيني لا تطيق ان ترى عبد اختي قد ملك زمامها ونال منها المراد * فقال لهُ ابوهُ ياولدي لا يقدر الانسان ان يعاند اله البرايا فاننا أحملنا عليهِ وانفذناهُ الى بحار المنايا فسلم منها واتى ومعهُ هذه الاموال والهدايا فعند ذلك قال عروة بن الورد ونمة العرب ياعمر لين وصل عنتر الى بني عبس ومعهُ هذه الاموال وفرقها على الرجال ملك المملكة قهرًا وعزل زهير عنها جزرًا * فلما سمع عمارة هذا الكلام بكي مما حل في قلبهِ من الالام وقال واذلاه يابني الاعمام * لقد انفطرت مرارة الامير عمارة من هذا العبد السو الذي اسعده الزمان بعد ما كان يرعى النوق والفصلان · فوالله لو ان طارقة الليالي ذبح عمارة كان اهون عليهِ من ان يسمع ان عنتر عاد وهو سالم ومعهُ هذه الاموال والغنايم · قال وما زالوا على مثل ذلك حتى اصبح الصباح وما فيهم من نام ولا استراح * ولما طلعت الشمس اتى عنتر وشاور عمهُ في الرحيل الى ديار بني عبس * فقال ذلك اليك ونحن كلنا في يديك * فعندها صاح عنتر في العبيد وامرهم بالارتحال فقوّضوا الخيام ورفعوا صناديق الاموال وساير الاحمال على ظهور النياق والجمال وقدموا عمارية الفضة الى عبلة وهي مرصعة بالجوهر · واخرج لها حلةً من حلل الملك الاكبر ما لبس مثلها نسا الملك قيصر ولا بنات ملوك بني الاصفر ثم وضع على راسها ذلك التاج وهو يلمع كالكوكب الوهاج *

فزادت جمالاً على جمال وزاد عمارة خبالاً على خبال * وقال في نفسهِ ويلك يا عمارة انت من الساعة قد وقعت في هذا الحال * فكيف انا رايت قد دخل عليها راعي الجمال هذا وعنتر قد سلم عبلة الى ابيها وقال له يا عم تسلم ابنتك وهذه الاموال وافعل معي ما انت له اهلٌ من الاعمال فدعا له عمهُ وشكرهُ · وقد اظهر له خلاف ما اضمرهُ * وقال له يا ابن الاخ ما عبلة من اليوم غير امتك ونحن عبيدك وفي خدمتك فعندها اشار عنتر اليهِ وانشد

ان لم تكن لي مسعفاً من مسعفي او لم تكن لي منصفاً من منصفي
او لم تكن توفي بوعدك للذي خاض المنايا والبلاء ممن يفي
يا مقصد القصاد يا كهف الرجا يا جابر القلب الكسير المدنفِ
كن لي بحقك مسعداً ومساعداً فعسى ارى نيران قلبي تنطفي

قال فشكرهُ عمهُ ووعده بكل جميل وزاد له في الاكرام والتبجيل ولم يزالوا سايرين في تلك الفدافد حتى ما بقي بينهم وبين بني عبس الا يومٌ واحد فطلبوا عمارة فما وجدوهُ ولم يكن عند احدٍ عنهُ خبر ولا ظهر له عينٌ ولا اثر * فقال مالك ابو عبلة يا ابا الفوارس ما اقول الا ان عمارة قد سبق الى اهلنا يبشرهم بسلامتك ويعلمهم باقبالك وسعادتك · فقال عنتر يا عماه والله ما لي عند عمارة هذه المنزلة حتى يفعل هذه الفعلة ولو كان كذلك كان خرج الملك زهير واولادهُ الى لقانا وجميع القبيلة * فقال يا ابن الاخ انا اشتهي ان امضي الان واشرف على

العشاير والتي في الحيّ البشاير * فقال لهُ ياعماه افعل ما تريد فانا لك من جملة العبيد * وان شيت فخذ ابنتك معك فان الاولى بها ان تتبعك فقال لا والله يا ابا الفوارس ما تكون ابنتي الاعندك فذلك احفظها وانا اشفق مني عليها لانك قد صرت بعلها ثم سار هو وولده عمرو وعروة بن الورد وزوجتهُ شريحة وقد ركبوا من خيل عنتر المستريحة * وتقدموا وهم يتشاورون في هلاك عنتر ولا يدرون باي حيلة يتيسر * هذا وعمرو اخو عبلة يقول والله ما هذا الا غبن عظيم من هذا العبد الزنيم لان عمارة ما هام على وجههِ الا من اجلهِ * فيا ليتني كنت فعلت مثل فعلهِ * وكنت اصحب الوحش باقي عمري واموت وانزل في قبري ولا ارى هذا العبد صهري

فقال لهُ ابوه ما لك ياولدي لاتضيق صدرك ولا تزعج فكرك فانا اذا عجزت عن هلاكهِ اقتل اختك بيدي في الليل واريح نفسي من هذا العناء والويل * لان العرب قد فعلوا ذلك قبلي في جميع الاعصار وقتلوا النساء والبنات واستراحوا من العار ثم انهم جدوا في مسيرهم حتى اصبحوا في ديار بني عبس عند طلوع الشمس فعندها قصد مالك بيوت بني قراد حتى انتهى الى ابيات اخيهِ شداد * وهو يقول والله العظيم ان موتي اهون عليّ من قدومي مبشرًا بسلامة هذا العبد الزنيم * ثم انهُ دخل على اخيهِ شداد وقال لهُ قم يا اخي الى استقبال ولدك الذي عاديتني من اجلهِ

وقلت اني كنت السبب في قتلهِ فانهُ قد رجع وهو سالم ومعهُ اموال وغنايم* فقال شداد احقاً تقول يامالك فقال نعم وحق مالك الممالك* فعند ذلك نهض شداد وركب متن الجواد ولبس لباس الافراح بغدلبس الحداد. ولم يبقَ في البيوت امة ولا حرة مكرَّمة الا خرجت وهي تنادي بالافراح بعد الاتراح. وضربت الدفوف والمزاهر وقامت في جميع الحيّ البشاير وبلغ الخبر الى الملك زهير فقال للعبيد انظروا لنا ما الخبر. فقالوا جاءت البشاير بقدوم عنتر فانهُ اتى ومعهُ غنايم واموال قد ملاءت السهول والجبال

م

الى هنا انتهى الكتاب السادس وسياتي تمام الحديث عن هذه الواقعة في الكتاب الذي يليهِ

الكتاب السابع
من سيرة عنتر بن شداد

فقال الملك زهير والله ان هذا من اعجب العجب . لانه ما سمع بمثله بين العجم والعرب * ثم نهض من ساعته ومعهُ اولاده . وعشيرتهُ واجنادهُ * وكان افرح الكل بذلك . والده مالك * وساروا وتركوا البيوت خالية ولم يبق في الحي الا شيخ كبير ضعيف عن القيام . او طفل صغير لا يعي حوادث الايام * قال وكان عنتر بعد مسير عمه اقام الى نصف الليل ورحل على الاثر . وهو يحادث عبلة ويلتذ منها بالحديث والنظر . وما زال كذلك الى وقت السحر * وعند ذلك قال لعبلة اعلمي يا بنت العم ان اباكِ يكون قد وصل الى الاحياء . واعلم اهلنا بقدومنا فخرج لملتقانا اهل الحي من الرجال والنساء * ولا بد ان يكون معهم الملك زهير واولادهُ . وعشيرتهُ واجنادهُ * وانا لا اريد ان اكلفهم المسير الى مسافة طويلة . والراي عندي ان اتقدم والتقيهم قريباً من الحي على مسافةٍ قليلة * وبعد ذلك تقبلون علينا لانني قد امنت عليكم من حوادث الزمان . فان هذه ارضنا ومنازل بني عدنان * ومن هناك سار عنتر والبر لا يسعهُ من شدة الفرح الى ان تضاحى النهار . واذا بالغبار بين يديهِ قد ثار . ثم انكشف فظهرت من تحتهِ بنو عبس . وبين ايديهم الاماء والحراير . وهنَّ يضربن بالدفوف والمزاهر * وقد لمعت على

اكتافهم اسنة الرماح · والرايات على روسهم تخفق مع هبوب
الرياح * والملك زهير بين ايديهم وعلى راسهِ راية العقاب ·
واولاده من حولهِ كانهم الاسود الخارجة من الغاب * فلما راهُ
عنتر · ترجل عن جوادهِ الابجر * ولما قربوا منهُ وعرفوهُ صاحوا
باصوات الافراح · حتى ازعجوا البر بالصياح * وتجارت اليهِ
الفرسان كانهم اسود البطاح * هذا وعنتر يقبل الارض الى ان
صار بين يدي الملك زهير · فترجل وعانقهُ وقال الحمد لله
الذي ارانا وجهك بسلامةٍ وخير * وساروا هو والملك زهير
واولادهُ وهم يقولون يا ابا الفوارس لا اذاقنا الله فقدك · فلا
خير في الدنيا بعدك * وصار الملك زهير يسالهُ عن سفرهِ وهو
يحدثهُ عما جرى لهُ مع الملك المنذر والملك الاكبر والبضرموت
الذي ارسلهُ قيصر * قال وكانت امهُ زبيبة قد خرجت مع
الناس وهي قد قابت حتى صارت كالشبح · وصارت تقبلهُ
وتحمد الله وهي لا تدري ما تقول وهو لا يفهم ما تقول لان لسانها
انعقد من شدة الفرح * واخواهُ جرير وشيبوب يصفقان · ويدوران
حولهُ ويرقصان * وما فرغ عنتر من حديثهِ مع الملك زهير حتى
اقبلت عبيدهُ تسوق النوق العصافير وقدامهم الاحمال على متون
البغال والجمال · كانها بعض الجبال * وقد لبست المماليك
الخز الملابس · كانهم العرايس · وبين ايديهم الجواري الروميات
والسراري الفارسيات · واقبلت عماريةُ الفضة المرصعة

بالجواهر المثمنات . وقدامها الجنايب القيصريات . والخيول الكسرويات . ولما قربوا من مولاهم عنتر داروا به من اليمين والشمال . وانتشرت حولهم الجمال والبغال . وعليها صناديق التحف والاموال . ثم ان عنتر قاد الى الملك زهير عشرة جنايب بمراكبها وجلالها . وخمسة بغال بصناديقها واموالها . وفرق التحف والاموال على جميع اهل الحي . فكان اكرم من حاتم طي ولم يبقَ احد من النساء والرجال . الا غمرهُ بالعطاء والنوال وما زال يبذل ذلك العطاء الكثير . حتى لم يبقَ لهُ الا النوق العصافير . فسلمها الى عمهِ مع ما كان قدم لهُ من التحف والملابس والاسلحة والدنانير . فكان حمدهُ على السنة الجميع يتلى . وكادوا يسجدون لهُ كما يسجدون للهبل الاعلى . هذا والملك زهير قد اندهل من كثرة ما راى من الاموال التي تدهش الابصار . وتحير الافكار . وامر الناس بالعودة فعادوا طالبين الاوطان . وعنتر الى جانب الملك زهير يحادثهُ كانهما اخوان . ولما وصلوا الى الحي طلب كل واحد منهم منزلهُ وعاد عمرو اخو عبلة . وهو يقود بغال العماريات التي فيها اختهُ الى مضارب بني قراد وقد كاد من الغم ان يقضي اجلهُ . ثم تقدم وكشف سجف العماريات لكي ينزل اختهُ وقال لها انزلي يا عبلة . فقد زالت عنكِ البلية . فلم يجبهُ احدٌ بكلمة ولا جملة . فرفع الستر ونظر فلم يجد احدًا . فعندها طاش عقلهُ وكاد ان يموت كمدًا . وانطلق من ساعتهِ الى عنتر . وسالهُ عنها

فقال والله يا ابن العم فارقتها وهي في العمارية من السحر . فاخبره
عمه بالخبر . وقال له لك الراي والمنظر . فلما سمع ذلك الكلام
عنتر . اصفر لونه وتغير . وقامت عليه القيامة وصرخ بصوت
ارعب به قلب كل من حضر . وقال له ويلك انا من السحر
تركتها في العمارية ووكلت بها العبيد . وسبقت حتى لا ازعج خاطر
الملك زهير بسفر بعيد . فماذا جرى عليها . ومن قدر ان يصل
اليها . فقال والله لا ادري . انا كنت معكم وقد حرت في امري .
فتحير عنتر وعظم ذلك لديه . وخيل له ان الارض انطبقت
جميعها عليه . فجمع اليه العبيد وسالهم عنها فما وقف احد على
خبرها . ولا وقع على اثرها . فانذهل لذلك وتحير . وفاض دمعه
على خديه وانحدر . واحسّ بان قلبه قد تفطر . وشاع الخبر
في الحي فانقلبت تلك الافراح . الى الغموم والاتراح . وسرّت
الاعداء والحساد وقالوا جعل الله طريقها سهلاً . ولا جمع له
بها شملاً . وسمع الملك زهير بذلك . فركب ومعه ولده مالك .
وتجارت خلفهم الفرسان وطافوا كل تلك الارض . في الطول
والعرض . فلم يقعوا لها على اثر . ولا قفوا على خبر . وعاد عند
المساء بالخيبة عنتر . فطار من عينيه الشرر . وفاض دمعه وانحدر .
مثل سح المطر . فقال له الملك زهير لا تضيق صدرك يا ابا
الفوارس فوحق الركن والحجر . والبيت العتيق المطهر . لا بد لي
من كشف اخبارها ولو انها خلف سد الاسكندر . فقال عنتر

يامولاي والله قد كان الخطا مني اول الحال. لانني تركتها وسعيت الى ملتقاك ليلا يبعد عليك المجال. ثم انه طلب بيت امه زبيبة وهي قاعدة في الانتظار. وفي قلبها من اجله لواعج النار. وكان عروة بن الورد قد حدث بني زياد بحديث اخيهم عمارة كيف خلصه عنتر من الاسر والوثاق. لما كان عايدًا من ارض العراق. وجاد عليه بالاطلاق. وكيف فقد منهم في الليل. ولم يعلموا اين ذهب من بين تلك الخيل. فقال الربيع وحق ذمة العرب. ان اخي قد شرب كاس العطب. وما قتله الا هذا العبد الذميم. والوغد اللييم وانا لا اطلب ثاري منه ولا اطلبه الا من الملك زهير فان سلمه الينا. والا رجلناه عن جواده واخذنا ثار اخينا بيدينا. قال فباتوا تلك الليلة ينتظرون السحر. ولما اصبحوا دخل الربيع واخوته على الملك زهير واخبروه بامر عمارة وطلبوا منه عنتر. فقال لهم بالله عليكم يابني زياد. اتركوا هذا الرجل ودعوا عنكم البغي والعناد. ولا سيما انه اليوم غارق في بحار الوسواس وعنده شغل شاغله عنكم وعن جميع الناس. ولو كان يريد ان يقتله كان قبل الان اهلكه. لانه ظفر به مرارًا وتركه. ولكن اذا ثبت انه قتل اخاكم فانا اسلمكم اياه. واعينكم عليه حتى تعدموه الحياه. فقال الربيع ياملك انه يشق علينا ان يكون دم عبد شداد ابن الامة. عديل دم اخينا ابن الحرة المكرمة. ثم خرج هو واخوته من عند الملك زهير بحالة الكمد. وقد اشتد بهم

الغضب والحرد. قال وكان السبب في فقد عبلة امرًا من اغرب العجب وحديثاً من اظرف الاحاديث التي جرت في ايام جاهلية العرب. وذلك ان عنتر لما فارق عبلة في الليل واوصى عليها العبيد وبقية القوم. حتى يلتقي الملك زهير وبني عبس اخذها النوم فنامت في العمارية والعبيد تسوق البغال وسارت الاماء بجانبها عن اليمين والشمال. وقد اخذهن ايضا الكرى. من طول السُرى. فصارت المطايا تقصر عن المسير. وصار بينهم وبين السابقين بعدٌ كثير. وما زالت كذلك الى ان ابيض مفرق الشرق. وبدا الصباح ينشق. فاشتبهت عبلة ونظرت الى ما حولها من الجهات. فلم تجد احدًا في تلك الفلوات. فقالت للامة ويلك اين الاظعان. فاني لا ارى احدًا في هذا المكان. فطار النوم من راس الامة وقالت يامولاتي ما عندي منهُ علمٌ ولا خبر. لان النعس قد اعمى مني البصر. ولكن ما عليكِ خوف ولا حذر. لاننا ما ضللنا عن الطريق ونحن سايرون على الاثر وحس العبيد بين يدينا. واصواتهم واصلة الينا. قال فلما سمعت عبلة طاب قلبها ونزلت من العمارية لتقضي حاجة لها. وقالت للامة سوقي الظعن فها انا على اثركِ فساقت الامة وسارت قبلها. قال فبينما عبلة كذلك اذا هي بفارس قد اقبل من جانب القفر. وكان قد انشق ذيل الفجر. فلما راها صاح وافرحاه. بعد ترحاه. وحق ذمة العرب لقد انتبه الزمان من رقدتهِ. وافاق من غفلتهِ. وقد ظفرت يا عمارة

بالبدر المنير. واشتفى فوادهُ من ذلك العبد الطنجيز. قال وكان هذا الفارس عمارة بن زياد لاننا ذكرنا ما جرى لهُ مع عنتر بن شداد. وما اصابهُ من نار الحسد ومرض الفواد. لما راهُ قد عاد وهو سالم. ومعهُ تلك الاموال والغنايم. وانهُ قد تمكن من الدخول والخروج على عبلة. وهو مطرودٌ عنها في حال الهوان والمذلة. فما بقي يقدر على المقام. بل خرج في الليل من الخيام. فهام على وجههِ بين الربي والاكام. وبقي طول ليلتهِ لا ينام. وطول نهارهِ لايذوق الطعام. وكان يسير تارة ذات اليمين وتارة ذات الشمال. ويتتبع اثار النوق والجمال ولما تمادى عليهِ السير انشد وقال

اسير وقلبي في البلاد اسيرُ وارجوا يسير الوصل وهو عسيرُ
وابكي على ذلي وقد كنت سيداً اليَّ صناديد الرجال تشيرُ
ولولا صروف الدهر ما انحط ماجدٌ ونال العلي عبدٌ وذلَّ اميرُ
اهيمُ واشكو في الفلا حرقة الجوى وبين ضلوعي للغرام زفيرُ
وتجذبني الاشواق يا بنت مالكٍ اليكِ على رغمي فاني اسيرُ

قال الاصمعي فبينما عمارة ينشد هذه الابيات. اذ نظر الى عبلة في تلك الجهات. فلما عرفها غاب عن رشدهِ من شدة السرور. وانقض عليها انقضاض النسور. واخذ بيدها وشالها الى وراه. واغار بها في اقطار الفلاة. وهي تصيح ويلك يا عمارة تسبيني وانا بنت عمك. وقطعة من دمك ولحمك. فقال لها عمارة اني والله اسبيكِ ولا اموت ذليل هواكِ. وما دمت في الحياة لارجع عنتر

يراكِ. فقالت له والله عمرك ما تنال مني غرضا. ولا تزيل من قلبك غصة ولا مرضاً. وبعد ذلك ان كنت لا اقدر ان امنع مثلك عن مثلي. فلا سلمت ولا رجعت الي اهلي. فقال عمارة الامر اليكِ يابنت الكرام. وهذا ما هو موضوع كلام. ثم اركض فرسهُ وهي من وراه طالبا ارض بني طيّ. وعول ان يستجير بمجم بن حنظلة الطائي ويقيم عنده في ذلك الحيّ. وما زال يقطع الفلاه حتى وصل الى بعض المياه. فنزل هناك واذا بغبار. بين يديهِ قد علا وثار. حتي سد منافس الاقطار. ثم انكشف ذلك الغبار عن ثلاثماية فارس. كانهم الاسود العوابس. وهم يطلبون ذلك الماء وبينهم فارس كانهُ العمود. او من بقايا قوم عاد وثمود. وعلى راسهِ عمامة خضراء وعليهِ حلة حمراء وهو متقلد بسيف ابتر. وعلي عاتقهِ رمحٌ من اعمال سمهر. وكانت هذه الخيل من بني طيّ والمقدم عليها مفرّج بن همام. وكان من ابطال العرب العظام وانهُ نظر الى عبلة وراى ما عليها من الحلى والحلل فقال لقومهِ ابشروا فقد اتانا التوفيق. من اقرب طريق. فان هذه الجارية لاشك انها من بنات الملوك. وقد وقع بها هذا الفارس الصعلوك فدونكم اياهُ. خلصوها منهُ وان مانع عنها فاقطعوا راسهُ. واخمدوا انفاسهُ. فعندها تجارت الفرسان الى عمارة. وداروا حواليهِ بالخيل والمهارة. وقالوا لهُ قم يا كشخان الي خدمة الفارس الهمام. الامير مفرّج بن همام. فلما سمع عمارة هذا الكلام زهقت روحهُ حتى كادت

تخرج من جسده . وتقطعت علايق قلبه وكبده . وعرف انه ان مانع خذل . وان قاتل قتل . واراد ان يسلم نفسهُ للعدى . ويضمن لهم الفدى . فمنعهُ الحيا وحملهُ الهوى . على ان يرمي نفسهُ الى البلا وخاف ان تراهُ عبلة بعين النقصان . فيكون عندها بمنزلة الهوان . فقال لها لا تجزعي يابنت العم فاني امانع عنك الاعدا بالسيف والسنان . وابذل نفسي دون محبتك وافديك من طوارق الزمان . وان كانت قد حانت منيتي على يدك ورجعت الى احيا بني عدنان . فانا استحلفك باللات والعزى . والهبل الكبير الاعلى . ان لا تمكنني ذلك العبد من نفسك . ولا تتزوجي الا من ابناء جنسك . فلما سمعت عبلة من عمارة ذلك الكلام صارت تعض على بنانها وزنودها . وفاضت دموعها على خدودها . وقالت ياعمارة لاعمر الله بك الاوطان . ولا نجاك من نوايب الزمان . كما بدلتني بالخوف بعد الامان . واذقتني بعد العز الذل والهوان . وما اتمت عبلة كلامها حتى دارت بها الفرسان . من كل جانب ومكان . وحملوها الى قدام مفرج بن همام . وهي تلوح كالبدر التمام ولما راى مفرج حسن صورتها . خفق فوادهُ وهام بمحبتها . وتالم لبكايها وذلتها . فقال لها لا تخافي ياغزالة عسفان . فقد وقعت في يد من يعرف قدرك وتكونين عندهُ عزيزة مرفوعة الشان . ثم ضربوا لها خيمة كانها من مقاصير الجنان . وعول ان يبات في ذلك المكان . واما عمارة فانهُ ما زال يمانع عن نفسه حتى انجرح

Digitized by Google

وقتل جوادهُ فسقط على الارض وانطرح. فاخذوهُ اسيراً الى الامير مفرّج فلما مثل بين يديهِ. سل سيفه وقام على قدميهِ. وهمّ ان ياخذ روحهُ من بين جنبيهِ. فصاح عمارة وقال لهُ لا تفعل ياوجه العرب. واطلب مني الفدى مهما اردت فانا احملهُ اليك لاني اميرٌ ذو حسبٍ ونسب. وان كنت لا تعرفني فانا عمارة بن زياد العبسي اخو الربيع شيخ بني عبس وعدنان. وفزارة وغطفان فقال مفرّج خسيت يا قرنان فيما ذكرت. ولا فخر فيما بهِ افتخرت. وحق ذمة العرب مابقيت تخاص من يدي الا بجميع ما تملكهُ من النوق والجمال. والخيل والاموال. والا والله قطعت كل يوم عضواً من اعضائك. وابصرت مني عذاباً ما ابصرتهُ قط عيناك. ثم شدهُ الى عمود الخيمة وهو يأنّ من الم الجراح. وكان الليل قد بسط عليهم الجناح. فاكلوا الزاد ولم يطعموهُ. وصاروا يسبونهُ ويلعنونهُ وكلما اشتكى اليهم لطموهُ. واقاموا ينتظرون الصباح. وعبلة طول الليل لا تفتر من البكاء والنواح. وكان مفرّج قد امر ان يحمل اليها شيءٌ من الطعام. فابت ولم تاكل شيا ولا عرفت عينها المنام. بل باتت تندب المنازل. وتعدد تعديد الثواكل. وتدعو على عمارة بالقتل والعذاب. وطرح لحمهِ للكلاب. وتقول اين عينك ياعنترة الفرسان. ترى عبلة في السبي والهوان. فقد ضاع التعب الذي تعبتهُ لاجلها. والهدايا التي جلبتها لها ولاهلها. من ترى يبلغك الخبر قبل ان تقتل نفسها

وتسكن رمسها * قال الراوي هذا ومفرّج يسمع كلامها . ولا
ينكر عليها بل يزيد اكرامها . وقد اوجع قلبهُ بكاها ورق اشكواها
وظن انها تستانس بهِ اذا طالت الصحبة وتنقلب بغضتها الى المحبة
فلما طلع الصباح رحل يطلب دياره والاطلال . وقد عارض عمارة
على بعض الخيل وشال عبلة على بازل من الجمال . وسار من
اوّل النهار . يقطع الارض والقفار . وقال لاصحابهِ يابني عمى قد
جعلت لكم جميع ما ياتى من هذا العبسي من الاموال . والنوق
والجمال . وانا ارضى بهذه الجارية التي ملكت فوادي . ونفت عني
رقادي . فقالوا لهُ نحن ما نزاحمك عليها . ولا ننظر اليها . لاننا
كلنا نعيش في انعامك . ونعتز بجاهك وارتفاع مقامك . ثم ساروا
يقطعون القفار . الى ان وصلوا الى الديار . فامر مفرّج العبيد . ان
يضربوا لعمارة اربع سكك من حديد . ويجعلوا في عنقهِ اثقل جنزير
ويربطوه مثل الخنزير . ويصلبوه بين تلك السكك ويعذبوه
العذاب الثقيل . حتى يفدى نفسهُ بالمال الجزيل . قال فعند ذلك
ندم عمارة غاية الندم . وقال هذه عاقبه من بغي وظلم . وعسى ان
تكون هذه الجاريه مشومة على ذلك العبد كما هي مشومة عليّ
وياحبذا انا احرم منها ولو خرجت من يديّ . ولما لم يعد لهُ طاقة
فدى نفسهُ بخمس ماية ناقة وخمسين راساً من الخيل بعددها
ولاماتها . والفين راس من الغنم برعاتها . وقال لمفرّج ايها الامير
انعم عليّ بعبد من عبيدك يسير الى اخوتي بعلامة مني لهم لياتوك

بالمال واخلاص من الاعتقال. وان لم يكن لك ارب في هذه الجارية وطلبت الفدى فانا انفذ الى قومها وهم يفدونها بالوف من الاموال. وقطعان من النوق والجمال. وكان كلام عمارة له على سبيل الاختبار. ليعلم ما عنده نحوها من الاعتبار. قال فلما سمع مفرّج كلامه تبسم وقال وذمة العرب يا حمارة بني عبس ما بقيت هذه الجارية تخلص من يدي ولو فدوها باموال قارون او كنوز سليمان. وكل من جاني في طلبها شككت قلبه بهذا السنان. لانها قد سلبت عقلي وفوادي. وسكنت جوارحي وملكت قيادي. وقد اشتريت قسم اصحابي بالف ناقة وجمل. ولم اكن انصفتهم في العمل. وهبتك لهم ياخذون منك ما تفدى به نفسك اللييمة. ورضيت بهذه الجارية وحدها من الغنيمة. ولولا ذلك حملتك الى من يضرب عنقك ويشرب دمك كزلال الماء. وهو ملجم بن حنظلة سيد بني طيّ الملقب بشارب الدماء. الذي قتل عبدكم عنتر صهره ناقد بن الجلاح. وسبي ابنته اميمة وهي الى الان لم تزل في البكاء عليه والنواح. وتتمنى ان يقع في يدها واحد من بني عبس حتى تشفي منه غليلها وتشرب من دمه سبعة اقداح. وانا ما طرقت دياركم في هذه النوبة الا في طلب عنتر بن شداد. واردت ان اسوقه اليهم في القيود والاصفاد. لكي يعذبوه اشدّ العذاب. ثم يقطعوا راسه ويرموه للكلاب. فوقعت بك وبهذه الجارية البديعة. التي اشغلتني عن

تلك الصنيعة. قال الراوي وبعد ذلك امر مفرّج بن همام بعض عبيده ان يمضي الى بني عبس . فشد على ناقة من النوق وركبها وسار عند طلوع الشمس. واوصاهُ عمارة ان يدخل الى فريق بني زياد . ويعلم اخوته بما جرى عليه سرًّا عن جميع العباد. واعطاه علامة لهم كي يصدقوا كلامهُ . ويعطوهُ مرامهُ. وبعد ذلك التفت مفرّج الى عبلة واخذ في مداراتها . وملاطفاتها وملافاتها. وصار كلما تقرب اليها ولاطفها في الكلام ضجرت. وكلما امرها بالجلوس نفرت. وكلما قدم لها الطعام تاخرت . وكلما ضحك في وجهها عبست وقطبت . وكلما اجتهد في مراضاتها غضبت . فقال لها في بعض الايام ويلك الى كم هذا النفار. اتظنين انهُ بقي لك سراحٌ من هذه الديار. اوخلاصٌ من مفرّج الجبار . فقالت لهُ والله لو انني تحت الارض السابعة. او فوق السماء الرابعة . لابد ان ياتيك من لا ينام عن كشف اخباري . ولا بد لهُ ان يقتفي اثاري . وترى والله فارسًا لا يلين لهُ في الحرب جانب . ولا يسلم من بين يديهِ محارب . ولو كان من مردة الجان . او من عفاريت سليمان . قال فلما سمع مفرّج من عبلة ذلك الكلام . دبَّ الغضب في وجههِ كدبيب النمل في حنادس الظلام . وقام اليها ضاربًا بالسوط على جسدها الرطيب . فصاحت واخذت في البكاء والنحيب . وهي تقول اين عينك تراني يا حامية عبس. الذي كنت تغار عليَّ من حرّ الشمس . وتخاف على بدني من النسيم

ان يزعجهُ باللمس . فاتت امهُ على صياحيها ودخلت عليـــهِ .
وخلصتها من يديهِ . وقالت لهُ بعد ما سكنت غضبهُ ياولدي
لقد عذبت قلبك مع هذه الجارية . التي اشابت منك الناصية .
واذابت العافــيــة . وقد سلمت قيادك . الى من لا يحفظ
ودادك . فاشتغل ياولدي عنها بغيرها من بنات عمك الابكار .
فان فيهنّ من تكون هذه في مقابلتها كالليل في مقابلة النهار .
والرأي ان تتركها عندك خدّامة . وتذلها لانها لا تعرف الكرامة .
لان من النساء من لا تلين الا اذا رات الهوان . وفيهنّ من تستعبد
بالاحسان . قال فلما سمع مفرّج ذلك الخطاب . علم ان امهُ
اشارت عليهِ بالصواب . فخلع جميع ما كان على عبلة من الحلى
والحلل والبسها جلبابا من الصوف . وقابلها بالمنكر بعد المعروف
وصارت امه تستخدمها في حلب النوق مخض اللبن . والاعمال
المزعجة التي تضني البدن . وكانت عبلة تقضي النهار في الخدمة
والعذاب . والليل في البكاء والانتحاب . وهي تنوح على الوطن .
وتدعو على عمارة بالبلا والمحن . وعمارة يسمع كلامها . ولا ينكر
ملامها . وصار خايفا من عنتر ان يصل الخبر اليهِ . فياتي ويخاصمها
ويقضي عليهِ . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الذي ارسلهُ
عمارة الى بني عبس . لياتي بالاموال فداءهُ عن النفس . فانهُ سار
طالبا ديار بني عبس حتى وصل اليها . واستدل على بيوت بني
زياد فدلوهُ عليها . وكان الربيع قد نزل بوادٍ قريب من أرض

بني عبس يقال له وادي الثقلين . وتبعهُ من فرسان العشيرة نحو مايتين . لانهُ لما طلب من الملك زهير ان يسلمهُ عنتر ليقتلهُ بدعواهُ انهُ قتل اخاهُ . ولم يقبل ان يسلمهُ اياهُ . خرج من عندهِ غضبان . وفي قلبهُ لهيب النيران . ومن هناك رحل باخوتهِ الى ذلك الوادي وقال والله لا رجعت جاورت عبساً طول الزمان . ما دام ملكهم قد اختار علينا هذا العبد الكشحان . ولم يزل الربيع هناك الى ان قدم عليهِ العبد الذي انفذهُ عمارة من عند مفرج بن همام . وطلب منهُ فداء نفسهِ من الحمام . وحدثهُ بحديث عمارة وما فعل بعبلة ووقوعهِ في الوثاق . وطلب منهُ الفداء من الخيل والغنم والنياق . فقامت عليهِ القيامة وانفذ الى جميع اخوتهِ وقص عليهم ما سمعهُ من الكلام . واعلمهم انهُ في اسر مفرج بن همام . وقال والله لقد افتضحنا في جميع الاقطار بسببي اخينا لبنت عمهِ عبلة . والله ان هذا شي ما فعلهُ احد قبله وقد تركنا بين العرب مثلة . وان فديناهُ بالمال يكون عاراً علينا لانهُ يقال ان بني زياد فدوا اخاهم بالنوق والجمال . وعجزوا عن خلاصهِ من اسره بالقتال . فقال لهُ اخوتهُ فما الراي عندك يا ربيع . وكيف تعمل في هذا الامر الشنيع . فقال لهم الربيع يا اخوتي الصواب اننا نسير في مايتين فارساً ونلقي رماحنا في بني طي ونبذل المجهود في ذلك الحي . واذا وصلنا الى فريق مفرج بن همام ورأينا فيهِ مطمعاً كبسناهُ . وخلصنا اخانا من اسره وبلاه

والا اكمنا له في تلك الجهات يوماً بعد يوم حتى نراه . ويقع
في ايدينا احد من قومهِ فنفدي بهِ اخانا ويكون قد مضى وهو
مكتوم . وحالنا غير معلوم . لان الملك زهيران علم بهذا الامر
تصير له الحجة علينا حتماً . ويقول لنا ان اخاكم عمارة سبى زوجة
الرجل وانتم اتيتم تطالبونهُ بدمهِ ظلما . ولا سيما اذا علم عنتر بن
شداد بذلك . فانهُ يلقينا في اكبر المهالك . فقالوا له صدقت
فافعل ما بدا لك . فاننا لا نخالف مقالك . وبادر قبل ان
يكشف الحال . ونصير حديثاً للنسا والرجال . ثم قبضوا على
العبد الذي اتاهم بالخبر من عند مفرج بن همام لاجل قبض المال .
وساروا بقية يومهم يطلبون الجبلين اجا وسلمى ومعهم مايتان
من الابطال . وكان عروة بن الورد مع الجملة وهو متعجب من
قصة عمارة وعبلة . هذا وعنتر باكي العين في الليل والنهار .
ومن عظم وجدهِ ما يقر له قرار . وارسل اخاه شيبوبا يدور الحلل
وساير القبايل . ويأخذ الاخبار من اهل المياه والمناهل . واقام عنتر
ينتظر قدومهُ وهو كالمجنون . لا ينتبه على نفسهِ ولا يعرف ما كان
ولا ما يكون . ولازم الخبا كالمخدرات . والنوح والبكاء كالثاكلات
وهو لا يلتذ بطعام . ولا تذوق اجفانه المنام . وصار نحيلاً كالخيال
حتى لو التقاه اقل صعلوك من الرجال . قدر ان يقتله بلا محال
وهو يقول كلما قعد وقام . يا ليت شعري كان ملتقاها في المنام .
ام اضغاث احلام . يا ليت شعري من هو الذي اخذها في ذلك

Digitized by Google

النهار . هل هو جني خطفها وسار . ام طاير حملها وطار . ام وحش فترسها في القفار . ماذا اصابك يا بهجة الفواد واين انت من البلاد . وا اسفا على ذلك الجمال . ويا ضيعة ذلك الدلال . واحسرتاه على ما قاسيت لاجلك من الاهوال . وما جلبت لك من التحف والاموال . يا ليتني كنت اعرف موضعها . لاقصده واعيش معها او اموت معها . ثم شب في قلبه الاشتعال . فانشد وقال

دموعٌ في الخدود لها مسيلُ ... وعينٌ نومها ابداً قليلُ
وصبرٌ لا يقرُّ له قرارٌ ... ولا يسلو اذا جدَّ الرحيلُ
فكم ابلى بابعادٍ وبينٍ ... وتشجيني المنازل والطلولُ
وكم ابكي على الفٍ شجاني ... وما يغني البكاء ولا العويلُ
تلاقينا فما اطفى التلاقي ... لنا لهباً ولا اطفى الغليلُ
طلبت من الزمان صفاء عيشٍ ... وحسبك قدر ما يعطي البخيلُ
وها انا ميتٌ ان لم يعني ... على جور الهوى الصبر الجميلُ

قال وبقي عنتر على ذلك الحال والتعب . يقاسي من الاشواق كل شدة ونصب . وهو لا ياكل ولا يشرب . ان لم يحضره الملك زهير ويحلف عليه . ويطعمه ويسقيه بيديه . ولم يزل في تلك الهموم والكروب . الى ان قدم عليه اخوه شيبوب . فوجده في بلاء ايوب . وفي حزن يعقوب . فلما دخل عليه خفق فواده وقال له ويلك يا ابن امي هل وقعت لعبلة على اثر . ام بالخيبة

Digitized by Google

بلا خبر. فقال له شيبوب لا والله يا ابن الام بل اتيتك بالخبر اليقين متوكلا على رب العالمين. فعندها صحا من سكر الغرام وقال هات ما معك من الكلام. فقال شيبوب يا اخي اني درت كثيرًا من البلاد الى ان دخلت ارض اليمن. والتقيت ما ينسي الاطفال رضاع اللبن. فرايت عبلة في قبضة مفرّج بن همام. وقد جعلها من اقل الخدام. وخلع ما عليها من ثياب الحرير اللطاف. والبسها الجافي من الاوبار والاصواف. وهي في الخدمة كل الليل والنهار. والشتايم عليها مثل سيل الامطار وتنادي باسمك كلما زاد عليها العذاب. وهم يقولون لها ابن كلبك الاسود يخلصك من اسود الغاب. فلما سمع عنتر ذلك اخذته الرعدة والخفقان غيرة عليها. وقال ويلك يا شيبوب ماذا القاها في قبضة مفرج بن همام وكيف وصل اليها. فقال شيبوب كان السبب في ذاك الفساد. عمارة بن زياد. ثم قصّ عليه القصة بالتمام. واخبره بجميع الظروف والاحكام. فقال عنتر وكيف اطلعت انت على هذا الخبر. فقال يا اخي لما وصلت الى الجبلين بت في كل فرق ليلة وليلتين. واخر ليلة كانت نومتي في ابيات مفرج بن همام. عند عبد يقال له مبشر بن حزام * فاضافني واكرمني وسالني عن نسبي. فانتسبت الى جاهمة وهي قبيلة سعد ابي حاتم الطائي فقال لي اكرمت انه نعم النسب العربي ولما كان نصف الليل وقع في اذني صوت عبلة وهي تقول واحسرتاه

Digitized by Google

من قلة المنام وفراق الاحبة . واشوقاه الى العلم السعدي وارض الشربة . وفي اثنا ذلك تنادي باسم عنتر بن شداد . وتدعو على عمارة بن زياد . ثم انشدت تقول

شوقي شديدٌ ووجدي زايد المددِ فخففوا الم التعذيب عن جسدي
وسايلوا حسرةً بالقلب كامنة تخبركُم عن لهيب النار في كبدي
حملتموني على ضعفي بقونكم ما ليس يحملهُ صبري ولا جلدي
يا ما ابيت طول الليل منتحبا على الحبيب الذي ولى ولم يعدِ
هذا بكاك وقد امسيت منطلقا فكيف حال اسير الشوق والكمدِ
ويا نسيم الصبا مري على وطني وبلغي خبري للضيغم الاسدِ
لال عبس وحاميها اذا طلعت مراكب الخيل بالابطال والعددِ
وها انا ارتجي من خالقي فرجا على يديهِ ولا اشكو الى احدِ

فقلت للعبد الذي اتى في ضيافتهِ يا ابن الخالة ما هذه المراة ما تنام في هذا الليل . وهي باكية بحال الذل والولِ . فقال لي يا فتى هي جارية يقال لها عبلة بنت مالك بن قراد . وقع بها اميرنا مفرج بن همام مع عمارة بن زياد . ولما راودها على نفسها اغلظت عليهِ الكلام . وهددتهُ بان عم لها يقال لهُ عنتر بن شداد . ولما سمع منها هذا الكلام . كبرت عليهِ نفسهُ فخلع عنها جميع ما كان عليها من الجواهر والحلل وجعلها من ادنى الخدام . واني يا ابن الام لما سمعت هذا الكلام طار من عيني المنام . فما صدقت بالصباح ان يصبح حتى اعود اليك . واقص القصة عليك . واني في عزدي

رايت بنى زياد سايرين الى ديار القوم يريدون الغارة. طالبين خلاص عمارة. وكنت متجنبا عن الطريق فما نظروني. ولا التفتوا الي ولا عرفوني. وهذا جملة ما عندي من الخبر. وعليك التدبير والنظر. قال فلما سمع ذلك عنتر غاب عن الوجود. وبقي حاضرا في صفة مفقود. وقال والله لابد لي ان اكافي بني زياد واحرمهم كما احرموني لذيذ الرقاد. وارمل النسا وايتم الاولاد * ثم انه انفذ خلف مالك ابي عبلة وولده عمرو. واطلعهم على هذا الامر. وشاع الخبر في ابيات بني قراد فعلا الصياح وازداد. وكثر النواح والتعداد. وقام عنتر الى مضارب الامير مالك. واخبره بذلك. فلما سمع مالك تلك القصة من عنتر مضى به الى ابيه زهير واعلمه بالخبر. فقال له عنتر يا ملك انت تعلم ان الربيع بن زياد اتهمني بقتل اخيه عمارة الذي ارتكب معي هذه الشنعة بعد ما خلصته من الاسر والوثاق. لما قدمت من ارض العراق * وسعيت له بالاطلاق * قال الراوى فلما سمع الملك زهير هذا الكلام. قال لعنة الله على بني زياد اللیام. فان اخاهم سبي عبلة وهي ابنة عمه وهرب. وكسانا العار بين قبايل العرب * والان يا ابا الفوارس طب نفسا وقر عينا فاننا نسير معك الى تلك البلاد. ونجتهد في خلاص عبلة ونجازي عمارة بن زياد على هذه الوقاحة والفساد. وخرج عنتر والامير مالك بعد هذا الكلام. فقال له عنتر والله يا مولاي ما بقيت اقدر على المقام. بعدما شاع خبر

عبلة عند مفرج بن همام . واخاف ان يبطش بها يوما من الايام فيبقى علينا العار بين الانام . ولا بد لي ان اتسبب في خلاصها ولو سقيت من اجلها اكاس الحمام . وربما انني اسير في هذه الليلة تحت غياهب الظلام . واصطلى هذه النوبة بنفسي ولا اتعب اباك ولا اكلفه المسير الى هناك فقال لا والله لا تذهب الا وانا امامك . ومعي جماعة يسيرون خلفك وقدامك . فقبل يديهِ . وشكرهُ واثنى عليهِ . ومن ساعتهِ انفذ اخاهُ شيبوبا الى الابيات يعلم الفرسان واباهُ شداد . وعمهُ مالك بن قراد . واخذ عنتر اهبتهُ . ولبس لامتهُ . وامر عبيدهُ ان تنادي في جميع فرسانهِ وعشيرتهِ بالركوب فما تضاحى النهار حتى صار ظاهر الخيام . موكب من الفرسان كاطباق الغمام . وساروا وعنتر بين ايديهم على جوادهِ الابجر . وقدامهم شيبوب دليل على الطرق في عرض البر الاقفر . والى جانبهِ مالك بن زهير . وقد استبشر بالنجاح والخير . وكان عنتر قد سمع من اخيهِ شيبوب ان عبلة تنادي باسمهِ الليل والنهار . فصار كلما تذكر يقول لبيكِ يابنت العم قد سمعت نداكِ على بعد الدار . قال الراوي وكانوا قد قطعوا بعض الطريق فقال لمالك والله يا مولاى ما هذه الا غيبةٌ عظيمة اني ساير الى اعداي اعينهم على خلاص اخيهم وقد علمت انهم لو قدروا على لحمي لاكلوهُ . او على دمي لشربوهُ . ولكن لاجل عين تكرم الف عين . ولولا ذلك لاوقعت على رؤوس الجميع غراب البين .

فقال يا ابا الفوارس انت ورايك في ما تختار فما عليك ملام . ولكن سوف ترى ما جرى لبني زياد مع مفرج بن همام . ثم ساروا يقطعون الجبال والوهاد وهم لا يصدقون ان يصلوا الى تلك البلاد . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عبلة ومفرج بن همام فان مفرج اقام ينتظر المال والندى . ويداري عبلة ويقول لعلها تطاوعني اليوم او غدا . وشاع هذا الحديث في بني طي فسمعت بذلك ام ناقد بن الجلاح الذي قتل عنتر ولدها وكانت لم تزل مداومة النوح والتعداد . ولابسة السواد . وهاجرة الرقاد . فلما سمعت باسر عبلة بنت مالك بن قراد وعمارة بن زياد . ركبت ناقتها وسارت في جماعة من عبيدها تطلب انها تاخذ منهم بالثار وتكشف عنها الذل والعار . فلما وصلت دخلت على مفرج بن همام . وبكت في وجهه بدموع سجام . وطالبته باخذ ثارها . وكشف عارها . فقال لها والله ياخالتاه انا ما اقنع من بني عبس بهولاء الرعاه . ولاكن تبعتهم حتى افنيهم واترك ديارهم فلاه . واذبح ساداتهم على قبر ولدك حتى يروي ظماه . واقود اليك اسودهم اللعين . وتحكمين فيه بما تريدين . وهذا عمارة ما طلبت من الفدا الا وانا اعلم ان المال يجي مع ساداتهم فاقبض على الجميع . واصنع بهم اقبح صنيع . وانا اعلم انه لا بد ما يسمع اسودهم ببنت عمه عبلة فيسوقه اجله الى خلاصها واسلمه اليك فتكون نحن قد ربحنا المال . وانت تكونين قد بلغت الامال . فلما سمعت

ام ناقد ذلك طاب قلبها . وزال عنها كربها . وقالت ياولدي اريد ان اعذب هذا الاسير اللعين . الى ان يقع لنا غيره من قومه النادمين . فقال لها افعلي ما بدالك . فاني لا ارد سوالك *
فنهضت ام ناقد في ساعة الحال . مثل اللبوة الفاقدة الاشبال . واخذت سوطا بيدها من السياط المفتولة واتت من خلف عمارة وضربته به فنزل عليه مثل صاعقة الغمام . فصاح ياسيدتي لاتفعلي فانا الامير عمارة بن زياد وقد فديت نفسي من الامير مفرج بن همام . وهي ترفع السوط وتضربه على راسه وعلى جسده اينما تفق . حتى ساح الدم من بدنه واندفق . وهو مشدود الى السكك لا يقدر ان يميل الى اليمين والشمال . وفي عنقه ذلك الجنزير وفي رجليه القيود والاغلال . ولم تزل تضربه حتى كلت يداها وخدر ساعداها . فالقت السوط من يدها وبركت عليه كالبعير وجعلت تنهش لحمه باسنانها وتمزق جلده بالاظافير . وهو يستغيث ولا يجاب . ويخاطب ولا يرد له جواب . بل تقول له ويلك يا ابن الف قرنان انت تفدي نفسك بالاموال . والنوق والجمال . انظن انك بقيت تسلم من الانتقام . لا وحق البيت الحرام لو اتيت بجميع اموال بني عبس . وجمال كل من طلعت عليه الشمس . ما خلصت من الردى . ولا قبلنا لك فدى *
ولا ذبحنك ذبح الاغنام . واشرب دمك مثل شرب المدام . ولا بد ان يقع في يدنا عبدكم الطنبير فاقطعه الف قطعة . واشرب

من دمهِ الف جرعة . ثم انها عرفتهُ بنفسها وبما حدثها مفرج ان الرسول الذي انفذه ياتي بالاموال . ما كان الا على سبيل الزور والمحال . حتى تاتى من بني عبس الرجال . ويسقيهم كاس الوبال قال فلما سمع عمارة ذلك تقطعت منهُ الاوصال . وندم على ما صدر منهُ من الاعمال . وقال وحق البيت الحرام . وما فيهِ من الالهة والاصنام . ما بقي لي فرجٌ الا ان ياتي ذلك الرجل المظلوم الذي تجنيت عليهِ بسبب عبلة * ويخلصني معها من الجملة . والا فليس لي نجاة من هذه الكربة والدبلة . واني والله استحق اكثر من هذا العذاب . لاني ظلمتهُ وفعلت ما الام عليهِ واعاب * وبعد ذلك اعاهد نفسي انني لا ارجع اتعرض لهُ ابدًا . ولو متُّ من العشق كمدًا . قال واقام عمارة يقاسي تلك المرارة . ومفرج بن همام . ينتظر عودة عبدهِ بالاموال والانعام . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الربيع بن زياد فانهُ سار كما ذكرنا ومعهُ جماعة من فرسان الحيّ . وصار يقطع الارض نهبًا حتى قارب ديار بني طيّ . وقال لمن معهُ اعلموا يا بني عمي اننا حصلنا في ديار الاعداء وما بقي في الامر الا حسن التدبير . قبل ان تعلم بنا هذه القبيلة ويهيج علينا النفير . ونحتاج ان نقاتل حتى يقتل منا الصغير والكبير . فقال لهُ اخوتهُ يا ربيع انت اخبر منا بهذه الامور . وابصر بعواقب الدهور . فقال لهم الربيع سيروا وطيبوا قلوبكم فانني ما رحلت من بني عبس الا وقد دبرت امرًا الا يخطر

لاحد منكم على بال وبه نخاص اخانا من الاسر والاعتقال . ونعود كلنا سالمين غانمين بلا حرب ولا قتال. فقالوا له انت نعم المشير يا ربيع فماذا يكون الصنيع. فقال لهم ننزل هذه الليلة على غدير ذات الجرعى . ونريح خيلنا ونتركها ترعى . واذا كان عند الصباح نرسل منا فارس الى مفرج بن همام . يقول له اركب اليه الامير واستقبل بني عبس فقد اتى منهم عشرة فرسان ومعهم النوق والخيل والاغنام . وقد التقاهم في ارضكم رجال اخذوا ما معهم وساروا . وهم من ذلك قد احتاروا . لانهم لم يريدوا ان يقاتلوا قوما تحت زمامك . ليلا يقعوا تحت ملامك . وانا اعلم انه يركب الينا في نفر قليل لاجل شجاعته وجهله . ونكون نحن مفترقين في موضعين او ثلاثة فننطبق عليه وعلى من معه من اهله . فناخذهم اسارى ونعود الى الديار . ونفدي بهم اخانا ونكشف عنا العار . قال الراوي فلما سمعوا من الربيع هذا المقال عجبوا من دهايته وعلموا ان اخاهم يخلص ان تم هذا الحال . وقالوا لله درك يا ربيع ما اعقلك . واحكم رايك واحيلك وساروا ذلك اليوم الى المساء ونزلوا على ذلك الغدير وهم قد اطمانوا على ذلك التدبير . ولما اصبح الصباح ارسل الربيع اخاه انس الى مفرج بن همام . وعنده ذلك الكلام فسار انس حتى وصل الى حي مفرج بن همام . وسال عن ابياته فدلوه عليها . وتقدم حتى وصل اليها * وكان مفرج مع ام ناقد في الحديث وهي قد دخلت عليه تسلاذنه

Digitized by Google

في ضرب عمارة بن زياد . كما جرى لها المعتاد . لانها كانت كل
يوم تدخل اليه وترفسه برجلها . وتضربه تارةً بالسوط وتارةً
بنعلها . واذا ببعض المولدات دخلت عليه وقالت له يا مولاي
على الباب فارس صعلوك . وهو يناديك ويدعوك . فنهض
كانه الاسد الخادر . واذا انس اخو الربيع على صهوة جواده
وهو منكسر الخاطر . فقال حياك الله يا وجه العرب . هل لك
حاجة او طلب فاعاد عليه راس القصة التي جرت والحيلة التي تدبرت
فلما سمع مفرج ذلك الخبر ثار وهو يهمهم همهمة الاسد . وافرغ
على جسده الزرد . وقال لبعض العبيد ويلك شد لي على الجواد
الادهم . ولا تدع احدا يعلم . فوالله لاسرت الا وحدي بغير
صاحب . ولو ان الرجال بعدد الكواكب . فقالت ام ناقد يا ابن العم
اخبرني بما انتهى اليك . وما سمعت من هذا الفارس الوارد عليك
فاخبرها بما سمعه من الاخبار . وعيناه تشتعل في ام راسه مثل
النار . قال وكانت هذه سلمى ام ناقد من ادهى نساء العرب وافطنهن
في العقل والادب . وقد لاقت الاهوال . وعركت الامور والاحوال
فلما سمعت كلام مفرج بن همام استغرقت في الضحك حتى
خرجت عن الاحتشام . وقالت لله درك ايها الامير صاحب الرأي
والتدبير . مثلك من يكون اميراً على الرعايا . ويدبر الامور
والقضايا . وحق الكعبة والحرام . وما عليها من الالهة والاصنام
ان جميع ما سمعته من هذا الفارس زور ومحال ومكر واحتيال

Digitized by Google

وان سرت معهُ وصدقت هذا المقال . وقعت في الذل والوبال
ويخلص هذه العبسي منك بلا مال ولا نوق ولا جمال . وكذلك
عبلة التي تهددت في هواها بتبديد لاخصلة الجبال . قال الراوي فلما
سمع مفرج ذلك الكلام انحلت عزيمته وذلت همته وقال لها
يا خالتاه كيف خطر الك هذا الخاطر الذي لم يخطر لي على بال
فاعادت عليه جميع مادبره الربيع بن زياد من المحال حتى كانها كانت
حاضرة عنده تسمع جميع ما قال . ثم قالت والله يا ولدي وما اتى
اليك اقل من مايتين من الفرسان وهم يكمنون لك كل فرقة في
مكان حتى تصل اليهم فيصطادونك صيد الغزلان . والدليل على
ذلك ان عبدك الذي انفذته ياتيك بالعدا ما عاد . وما هم الا قد
امسكوهُ عندهم وحضروا الى هذه البلاد . ومتى قبضوا عليك
وذهبوا بك الى تلك الناحية . يتهددونك بالقتل او تفدي نفسك
بهذا الرجل وهذه الجارية . ويعذبوك فتحتاج ان تفدي نفسك
وتصير انت من الخاسرين وهم من الرابحين . وربما طمعوا
فيك فيطالبونك فوق ذلك بمال ونوق وجمال . فاعرف نفسك
على اي شيء تكون . وامسك العقل واترك الجنون . فراى مفرج
كلامها هو عين الصواب وقال لها يا خالتاه فكيف يكون الجواب
فقالت له اشير عليك انك تقبض على هذا الناموس الذي اتاك
بهذه العبارة وتتركه مقيدا عند ابن عمه عمارة . وتركب بعد
ذلك في ابطال قومك الذين تعتمد عليهم في الشدايد . وتسيروا

كلكم في موكب واحد . واول ما تشرفون عليهم ابذلوا فيهم سيوفكم واستاسروا من قدرتم عليه . والذي يدافع عن نفسه خذوا روحه من بين جنبيه . فلما سمع مفرج خرج من ساعته الى انس بن زياد . ورجلوه عن الجواد . وقال للعبيد احملوا هذا الشيطان . الى المضرب الذي فيه بن عمه عمارة الخوان . واتركوه عنده في العذاب . حتى ناتي بعض رفقاه الكلاب . ونضرب من الكل الرقاب . وصاح بعد ذلك في رجاله وانتخب منهم ثلثماية فارس . من كل مدرع ولابس . وسار بهم يقطع البر . وهو متاهب للكر والفر . قال الراوي وكان عمارة في ذلك الوقت قد نام . لان ام ولد كانت قد اطارت نومه في ذلك الليل من كثرة العذابات والالام . فانتبه واذا اخوه انس الى جانبه مشدود . في اثقل القيود . فلما عرفه شهق شهقة كادت روحه تخرج من بين جنبيه . وحس بان الدنيا انطبقت عليه . وقال له ويلك يا اخي ما الذي اوقعك في الاعتقال . وانا كنت منتظرا منك حول المال . فاخبره عما دبر لهم الربيع من الاحتيال وكيف عرفت العجوز ذلك الحال . فقال عمارة وهو يبكي والله لقد كانت نومة مشومة . وسفرة مذمومة * تقع الجمرة بها في روس بني زياد . وتشمت بنا الاعداء والحساد . ولا بلغت من عبله المراد . ولا اخمدت بوصلها نار الفواد . فقال له انس ويلك يا حمارة بني زياد كم نهيناك عنها فما انتهيت وما زلت في لجاجك

حتى ابكيتنا وبكيت · وان قتلت في هذه النوبة فرسان بنى زياد
او قتل الربيع كيف يكون هذا الامر الشنيع · وماذا يكون الصنيع
فقال عمارة والله لقد صدقت يا اخي ولكن اذا زلت القـدم ·
لا ينفع الندم * على انه يهون عليَّ كل هذه الثقلة · اذا خرجت من
هذا الاسر وحظيت بعبلة فقال انس لعنة الله عليك وعليها والله
ان سلمنا من هذه النوبة لابد ان نخصيك. ونطردك عنا وننفيك
حتى نستريح من بلائك ودواهيك * هذا ما كان من هولاء واما ما
كان من الربيع فانه بعدما ارسل اخاه الى مفرج بن همام قسم الفرسان
الذين معه ثلاثة اقسام * واخفى كل فرقة منهم الى مكان وترك
منهم عشرة ظاهرين للعيان * وقال لهم اذا رايتم مفرج بن همام اقبل
مع اخي فنادوه ايها السيد قد اتيناك بالمال · كي نفدي به من عمنا
من الاعتقال . وفي هذه الارض فالتقتنا جماعةٌ من الرجال .
واخذوا منا جميع ما صحبنا من النوق والجمال * وها نحن
نداك على الطريق . فسر معنا بالله التوفيق * ثم سيروا بين
يديه وادخلوا بين هذه الاودية والتلال حتى نخرج عليه الرجال
من المكان وناخذه بلا تعب ولا قتال . قال فبينما هم في الكلام .
اذ وفد مفرج بن همام ومعه اصحابه وهم قد جردوا الصفاح وهزوا الرماح
وقد اقلب صهيل خيلهم تلك البطاح . فلم يمهل عليهم ان يسمع منهم
خطاباه ولا يرد لهم جوابا . بل شن عليهم الغارة فجرح منهم سبعة
انفار وانهزم من بين يديه ثلاثة الى مكان من اصحابهم في تلك

القفار . فلما دنوهم ظنوا انهم من اصحاب مفرج فخرجت اليهم الفرسان . من كل جانب ومكان . وتصايحت يا لعبس يا لعدنان . واطلقوا عليهم النبال . فسقطوا عن خيلهم في ساعة الحال و سمع مفرج الصياح . فتحقق عنده كلام ام واقد بن الجلاح . فحمل على القوم وهو مثل الاسد الغضبان . وصار ينثر الفرسان . ويجندل الاقران . والربيع بن زياد ينادي في طايفة بني عبس ويحثها للقتال . ويقول والله يا بني عمي قد كانت الحيلة محكمة لا يخطر مثلها لاحد على بال . ولكن اكثر ظني انه قبض على اخي انس وعاقبه فاقر علينا وعرفه جلية الحال . والان ما بقي ينجينا الا ضرب السيوف والصبر على شرب كاسات الحتوف . والا شمتت بنا الاعادي والاضداد . ولا سيما عبد شداد . ثم حمل واقتحم الغبار . ودام عمل الحسام البتار . حتى طار الشرار من حوافر الخيل على الاحجار . وبكت الارواح على فراق الاجساد وطارت الجماجم بشفار السيوف الحداد . وما زالوا على ذلك المرام حتى ولى النهار واقبل الظلام . فافترقوا وقد خسرت بنو زياد في القتال . والتجت الى احاقيف الرمال . وقتل منهم خمسون فارسا في ذلك النهار والجرح اكثر من ذلك المقدار وبات مفرج وهو يقول لاصحابه والله ان هذه العجوز حازنة البصيرة ولولاها لكنا وقعنا في خسارة كبيرة . وفي غداة غد ابرز الى هولاء الانذال . وانزل بهم الذل والخبال . وان اتى عبدهم عنتر كان لنا السرور الاعظم

والفرح الاكبر . لاني اريد ان احمله الى هذه العجوز واهبها اياه تحكم فيه بما تريد وتهواه وتاخذ منه ثار ولدها وتطفي غلة كبدها ثم اقام ينتظر الصباح . وبات الربيع واصحابه في البكاء والنواح وما رأى على نفسه العودة والهرب لانه خاف من معيرة العرب ولما طلعت غرة الصباح ثارت الفرسان تطلب الحرب والكفاح وقد اصطفت الصفوف . واشهرت السيوف . ووقف مفرج الى بين الصفين . واشتهر بين الفريقين . ونادى برفيع صوته ويلكم يابني زياد ان شرف الرجال . بالحرب والقتال لا بالغدر والاحتيال . فابرزوا الينا ان كنتم من الابطال . واتركوا الزور والمحال . فنزل اليه اخو الربيع بن زياد . وكان يقال له قيس الجواد فحمل عليه واخذ معه في الطراد . وخيم عليهما الغبار . حتى حجبهما عن الابصار . خرج مفرج من ساحة الميدان . وهو ينادي يالقحطان . واذ به قد اسر قيس الجواد وسلمه الى عبيده فربطوا يديه ورجليه وارسلوه الى جانب اخويه . ثم ان مفرج طلب البراز فبرز اليه طالب الدراك . وكان فارس بني زياد في القتال والعراك . فصدم مفرج بن همام . صدمة الاسد الضرغام واخذا في الافتراق والالتزام . حتى خيم عليهما القتام . هذا والربيع قد ارتبك في هذا الشان . وهو لا يدري ما يفعل به الزمان . فقال لقومه والله لقد وقعنا في امر منكر . وكل ذلك لاجل معاداتنا لعنتر . وعسى ان يكون علم بمكان عبلة فياتي يخلصها

ويخلصنا معها لانهُ رجلٌ سليم القلب سهل المراس وهو افضل منا عند الله والناس . ولكن لعنة الله على عمارة . الذي رمانا في هذه الخسارة . وعادى هذا الرجل الذي ليس كفوًا لمعاداة مثلهِ ولا يساوي قطعة في نعلهِ . وما سمعنا ان الكلاب . تقاوم اسود الغاب . قال وما اتمَّ الربيع كلامهِ الا ومفرج قد اخذ طالب الدراك اسيرًا . بعد ما جرحهُ جرحًا كبيرًا . ثم سلمهُ الى بعض العبيد . فشده شدًا وثيقًا والتاه مجتمعًا على الصعيد . كالكلب الباسط ذراعيهِ بالوصيد . وعول على الخروج اليهِ . فعض الربيع على كفيهِ واسودت الدنيا في عينيهِ . فسبقهُ عروة بن الورد . وزعق بصوت كالرعد . وكان عروة من الفرسان المعدودين في الحرب . ولهُ بصيرة في مواقع الطعن والضرب . فحمل على مفرج والتحما في الميدان . واخذا في الجولان . وقد سمحا بفراق الارواح للابدان . وطلع عليهما الغبار . وجرت بينهما معارك تذهل الابصار . وسطا مفرج على عروة سطوة جبار . وهجم عليهِ هجمة الاسد الكرار . وقبض على اطواق درعهِ واجتذبهُ وضرب بهِ الارض . فكاد يدخل بعضهُ في البعض . فهجمت العبيد عليهِ . واوثقوه واضافوه الى صاحبيهِ . وعلت على بني زياد الصيحات وطلبتهم فرسان بني طيّ من ساير الجهات . وحمل الربيع بن زياد واشتد بينهم الكرّ والطراد . وكان خبر هذه الوقعة قد شاع في تلك القبايل . فقصدتها العرب من كل فارس وراجل

Digitized by Google

وكثر علي بني زياد العدد . وزاد المدد الى ان خيم عليهم الليل
فانفصلوا وقد وقع الربيع واصحابهُ في الذل والويل . فـا لتجا
بهم الي جبل هناك . وقد بقي معهُ نحو سبعين من اصحابهِ والباقى
منهم من وقع في الاسر ومنهم في الهلاك . وصاروا يتندمون على
حضورهم مع الربيع . ويلعنون عمارة على ذلك الصنيع فقال الربيع
هذا ماجرت بهِ المقادير . حتى وقعنا في هذا الامر العسير . وما
بقي لنا الا انني ارسل الى مفرج بن همام واطلب منهُ الاجارة والذمام
. ونقيم عنده في الاعتقال . الى ان نشتري ارواحنا منهُ بالمال . ثم
باتوا تلك الليلة وهم يتمنون من شدة الظما . ان يبلوا حلوقهم
بجرعة من الماء . ولما اصبح الصباح انفذ الربيع بن زياد الى مفرج
بن همام يقول لهُ اعلم ان العرب الكرام يفتخرون على الاعجام .
بالوفا وحفظ الذمام . ونحن قد اعترفنا بالخطاء . وسمحنا بالعطاء .
وقد عجزنا عن القتال وعدمنا التدبير وهلكنا من العطش في هذا
الحر والهجير . فنريد منك الذمام على دمائنا حتى نسلم انفسنا
اليك . ونأتيك من الغد بما يقر عينيك وان كنت ما تفعل
فمكنا من ورود الماء . وانصفنا في اللقاء . ان كنت من العرب
الذين يخشون على انفسهم العار . ويطلبون العز والفخار . حتى اننا
نبذل المجهود . ونموت تحت ظل الرايات والبنود . او ننال المقصود
قال فلما وصل ذلك الرسول الي مفرج بن همام . ضحك وقال
ويلكم يابني زياد ما بقى لكم ذمام . بعد ما كذبتم في الكلام . فوحق

Digitized by Google

زمزم والمقام فما بقي يحميكم من ضرب الحسام. الا ان كنتم تريدون سلامتكم وتترجلون عن خيولكم وتاتون الى بين يدي حتى اجز نواصيكم واقطع اذانكم واجدع انوفكم واحلق لحاكم وبعد ذلك امكنكم من ورود الما واطلق سبيلكم لوجه الالهة والاصنام. فقال له الرجل للعبسي الذي اتاه رسولاً وكان اسمه جميلاً يا مولاي افعل ذلك بي خذ فرسي وجز ناصيتي واجدع انفي واحلق لحيتي ودعني ابل من الما غلتي. فعندها ضحك مفرج ووهبه نفسه واعطاه امانه. وسمح له ان يشرب ويسقي حصانه. وقال له اعلم انك صرت في ذمامي دون اصحابك لكن على شرط انك لا تقاتل. بل تمضي الى ديارك والمنازل. واما بقية اصحابك فان قاتلونا ابذلنا فيهم السيوف والقنا والا طاولناهم. بالجوع والعطش حتى يدركهم الفنا. وناخذهم ونضيفهم الى الاساري الذين عندنا اصحابكم واصلبهم كلهم في يوم واحد حتى تشتفي بهم قلوب الذين لهم عليهم الثار. وتنطفي من قلوبهم النار. فعندها عاد الرسول الى الربيع بن زياد وخبره بذلك المقال. فتقطعت قلوب الرجال. ووقع فيهم الانذهال. فقال لهم الربيع ماذا لنا يا بني الاعمام الا ان تموتوا كراما. ولا تعيشوا لياما لان قطع النواصي والاذان عار لا يمحى مدى الزمان. فقال جميل والله يا ربيع ان سلامة الانسان وعيشه بلا اذان. احسن من ان تاكل لحمه الوحوش والعقبان ولا سيما في هذا المكان. ثم حدثه ان مفرج بن همام اعطاه

الامان . وانه معول على المسير الى الاوطان . وبعد ذلك سار جميل وهو لا يصدق بالنجاة لما الربيع واصحابه فانهم برزوا يطلبون القتال وهانت عليهم الاجال فصدمتهم الابطال بالسيوف الصقال والرماح الطوال . وما تنصف النهار حتى اخذوا الجميع . وقتل منهم جمع كثير وقبضوا على الربيع واقرنوا الكل في القيود والاصفاد . وعادوا بهم الى حي بنى طي وقد سبقتهم البشاير . والتقتهم وجوه العشاير . وبين ايديهم الاما بالدفوف والمزاهر . وكان اعظم الناس فرحا سلمى ام ناعمة ام الجلاح لانها صارت تلطم وجوه السادات من بني زياد وتقول لهم وحق رجب الشما الابد ان اشرب دماكم في قحوف جماجمكم كما يشرب الظمان بارد الماء . ولا بد لي ان افنى بني زياد وبني عبس اللئام . ما دامت الالهة حفظت لي الامير مفرج بن همام . قال الراوي وانفذ مفرج بن همام الى قبايل بني طي يبشرهم بما فعل وبما عليه قد حصل . ومن شدة فرحه نحر النوق والاغنام . واحضر المدام . واخذ في اللهو والطرب . وبنو زياد تتقطع اكبادهم وقد اشرفوا على العطب . وما زالوا يبكون على انفسهم ويلومون عمارة وهو لا يبدي خطابا . ولا يرد جوابا . هذا وعبلة قد خف كربها وذهب عنها بعض همها . وبقيت منتظرة قدوم عنتر ابن عمها ولما مضى اكثر الظلام . وسكر مفرج بن همام . وتفرقت الناس الى الخيام . دخل الى مضربه وقال لامه وحق ذمة العرب لا انام

الليله ولا يقر لي قرار . حتى ابلغ من جاريتي العبسية ما احب واختار . والا قتلتها بعد ما اذبح بين يديها خمسين رجلا من بني عمها الاجواد . واكملهم بعمارة والربيع بن زياد فعندها خرجت امهُ الي مضرب المولدات ونادت بعبلة الى بين يديها وقالت لها اعلمي ان مولاكِ الليلــة قد غرق في سكرة المدام . وقد اقسم بالبيت الحرام انهُ لاينام . الاوانت ضجيعتهُ عند المنام . والا ذبحك وذبح من بني عمك خمسين رجلاً من السادات الكرام فاقبلي منى واجيبيهِ وقد نلتِ منهُ كل ما تشتهيهِ . ولعلك اذا نزلت فى قلبهِ بالمكان الرفيع تتشفعين في قومك وتخلصين الجميع فقالت عبلة وحق من رفع السموات لو قطعنى الف قطعة وسقاني من كوس الموت جرعة . وذبح اهل الدنيا ماراني لهُ ضجيعه ولا سامعه ولا مطيعه . فلما سمعت ام مفرج ذلك من عبلة شتمتها . ودار بها الغيظ فلطمتها . وقالت لمن حولها من العبيد اسحبوها على وجهها حتى توصلوها الى سيدها يفعل بها ما يريد فداروا بها وصاروا يجرونها وهى تصيح يالعبس يالعدنان اما من معين اما من مجير اما من نصير علي العدي . اما لهذا الاسر من فدى . اما من رجل كريم . يكون لهُ نخوة وغيرة على الحريم ولم تزل كذلك حتى سمع اساري بني عبس فقالوا للموكلين عليهم باوجوه العرب ما بال بنت عمنا عبلة تصيح في هذا الليل . فقد سمعناها تنادي بالحرب والويل . فقال لهم بعض العبيد ان سيدنا

مفرج بن همام . قد اقسم بحق الكعبة الحرام . انهُ لا ينام هذه الليلة الاان يبلغ من عبلة المرام . وان لم نطعهُ على مرادهِ لا يبقى منكم على شيخ ولا غلام . فقال عروة بن الورد انا اسال رب السما ان عبلة تزيد عليهِ في تغليظ الجواب . فلعلهُ يغضب ويضرب منا الرقاب . ويريحنا من هذا العذاب . والله لو قبل مني ما تعرض لها . لانها وحق ذمة العرب مشومة على كل من خطبها . ونحسٌ على كل من طلبها . قال المصنف وما فرغ عروة من كلامهِ حتى سمع صوتاً يصدع الحجر ويصم اذان الدب الذكر . والصياح من جوانب الحلة قد علا حتى زلزل الجبال والسيف قد عمل في اطراف الحي فتهاربت الرجال . فاصغوا الى تلك الاصوات واذا بها تنادي يا لعبس يا لعدنان . وزعقات عنتر بن شداد قد اقلبت الجبال والوديان . واذا الرجال تتنافر من بين الخيام والاطناب . وتصادم بعضها وتطلب الهرب والذهاب .

قال الراوي وكان عنتر لما سار من الديار ومعهُ مالك بن الملك زهير وهم يقصدون ديار مفرّج بن همام . ساروا ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع ثار من بين ايديهم غبار . وانكشف عن خمسماية فارس كرار . يقدمهم فارس كانهُ قلة من القلل . او قطعةٌ فصلت من جبل . يقال لهُ مسعود بن الغيداق من بني بارق . وكان صاعقة من الصواعق . وكان سبب قدومهِ ان عنتر كان قد قتل

اباهُ قديماً وربي هذا الغلام يتيماً . فلما كبر طلع افة من الآفات وبلية من البليات . فعيرتهُ العرب بترك ثاره فاتي بهذه الفرسان طالبا ارض بني عبس وعدنان . ليقتل عنتر بثار الغيداق . فوقع بهِ على سبيل الاتفاق . ولم يكن يعرفهُ فارسل فارساً من قومهِ فعاد اليهِ على الاثر واعلمهُ ان هذا عنتر . ففرح واستبشر وحمل عليهِ كالاسد القسور . فحمل عليهِ عنتر وقال يا ويلكم من تكونون من اوباش العربان . فقال انا مسعود بن الغيداق البارني الذي قتلتهُ في سالف الزمان . وانا ساير اليك حتى اقتلك واخذ ثاري واكشف ذلي وعاري . فقال عنتر مرحباً بك يا ابن الكرام فابشر بكشف العار ورفع الملام . وها قد دفعت نفسي اليك ولا ابخل بها عليك ثم تقدم اليهِ عنتر . واخترط الضامي الابتر . وما تركهُ يجول حتى ضربه على وريديهِ . فاطار راسهُ من بين كتفيهِ . وحمل على اصحابه فهربوا وكان معهم غنيمة من اموال بني غطفان . ومعها جملة اسارى من العبيد والفرسان . فردهم سالمين الى ديارهم بالامان . واخذ في سيره يطلب ديار بني قحطان . قال الراوي ولم يزل عنتر والفرسان سايرين حتى قربوا من الديار . فاراد عنتر ان يرسل اخاه شيبوب يكشف لهُ الاخبار واذا هو بجميل العبسي الذي اخذ الدمام من مفرج بن همام . لما التقى بهم في تلك القيعان . وكان سايراً يطلب الاوطان . فرمي نفسهُ الى الارض وصار يحثو التراب على راسهِ وينوح على اهلهِ

وناسبهِ . فتقدم اليهِ عنتر وسالهُ عما جرى للربيع واخوتهِ . مع مفرج بن همام وعشيرتهِ . فقال جميل والله ياحامية عبس لقد اسرت رجال بني زياد . وعن قريب يصلبون كلهم على الاعواد فقال عنتر والله لقد عوقبوا باعمالهم . وجازاهم الله على سوء افعالهم . وانا قد عزمت ان اكبس القوم في الظلام . واروي من دمايهم هذا الحسام . واقيم في ديارهم المناحة والصياح . واخلص عبلة قبل الصباح . ثم ساروا يطوون الارض حتى وصلوا الي ديار بني طي فمد عنتر نظره فراى النيران قد خمدت بعد الوقيد ونامت السادات والعبيد . فقال لمالك بن زهير خذ انت يامولاي عن يسار القوم . واتركني انا وحدي لميمنتهم . وانظر ما يجرى عليهم بعد غفلتهم . ثم اعطاه ماية وخمسين فارساً واخذ معهُ خمسين . وهجموا على المضارب من الشمال واليمين . وبذلوا السيوف في المشايخ والشباب . ورووا من دمايهم التراب . ونعق فيهم الغراب . ونادى على ديارهم بالخراب . قال وكان مفرج في انتظار امهِ حتى تقدم عليهِ بعبلة . فلما سمع الصياح طار السكر من راسهِ وانتبه بعد الغفلة . وقال لعبيده ياويلكم قدموا لي الجواد واتوني بعدة الحرب والجلاد . عسى ان تكون المقادير قد اتتني بعنتر بن شداد . وزين لهُ الجهل وجه المحال . لاجل وقوعهِ في الهلاك والوبال . قال وسمعت عبلة صوت عنتر يدوي مثل الرعد القاصف . فسكن قلبها وانجلت عنها المخاوف . ونادت باعلى

Digitized by Google

صوتها اتاك يا ابن همام . البطل الهمام . وفاتك ما كنت ترجوه من طيب الوصال . بوصول قاطع الاوصال . والليلة ترى بعينيك . ما كنت تسمعهُ باذنيك . ولا بد لهُ ان يطير راسك من بين كتفيك . قال فلما تكلمت بهذا الكلام . لطمتها ام مفرج على وجهها وقالت لها اسكتي يابنت اللئام . اتظنين ان مفرج بن همام مثل باقي الرجال الذين لاقاهم هذا العبد الطنجير فسوف ترين امعاء عبدك تندلق وراسهُ يطير . ثم وثبت الى ولدها فراتهُ قد ركب الجواد وهو لا يقدر على الثبات من خمار الشراب . فخافت عليهِ من غوائل الطعان والضراب . وردتهُ عن الركوب فانثنى الى خيمتهِ وراى ان ذلك منها بالصواب . هذا والسيف يعمل . والصياح قد زعزع السهل والجبل . وشيبوب يضرم النار في الخيام . ويرمي من صادفهُ بالسهام . فنفرت النوق والجمال من شدة الزعقات والاهوال . وداست في بطون النساء والرجال . وتفرقت بين الروابي والتلال . ومـا زال الامر كذلك حتى ذهب الليل واقبل الصباح . فانقطع الصراخ والصياح . لان رجال الحي تركوا الديار . وطلبوا النجاة والفرار واسرع شيبوب الى اسارى بني عبس فراهم في القيود الثقال . وقد هلك منهم عشرة رجال . تحت دوس الجمال . وكانت ام ناقد قد نظرت الى ما حل بقومها من البلا . فركبت جواداً من خيول القتلى . واخذت سيفاً من العدد المطروحة على وجه الفلا .

Digitized by Google

وقالت وحق اللات والعزى لا خرجت من هنا حتى اشفي فوادي من هولاء الاسارى اولاد الزنا ، ثم هجمت عليهم وكان شيبوب عندهم وقد حل منهم عشرة فرسان . فلما راها طالبة قتالهم صرخ فيها ونادى بالعبس يا لعدنان . فعندها هربت العجوز في جملة من هرب . وقد كاد فوادها ان يطير من شدة الغضب . وما اصبح الصباح المنير . وبقي في حي بني طي الا قتيل او اسير . وكان شيبوب قد عاد الى عبلة فنظرها تخوض في بطون القتلى وهي تنشد وتقول

انعشوا روحي وداووا كمدي ... وخذوا نحو ابن عمي بيدي
قل صبري وتشفى حاسدي ... وانميت الذل بعد الاسودِ
جسدي يضعفه ريح الصبا ... كيف يقوى للعذاب المجهدِ
قربوني من حمى عنترةٍ ... ليس يحمي الظبي غير الاسدِ
واخبروهُ انني من بعدهِ ... لم ازل في حيرة لا اهتدي
وزد خدّيّ الذي تعهدهُ ... غيرتهُ ادمعٌ كالبردِ
وجفوني زال عنها حسنها ... وشكت طول البكا والرمدِ
غربةٌ دايمةٌ عند العدى ... وعذابٌ فاق طوق الجلدِ
لو لقي بعض الذي لاقيتهُ ... جلمدٌ ذابَ فؤادُ الجلمدِ

قال الراوي فوثب شيبوب اليها كالذيب الاغبر واوصلها الى اخيهِ عنتر . فوجد درعهُ مغرقاً بالدماء . واكمامه تقطر بالدم مثل قطر الماء . ولما نظرها عنتر ترجل اليها . وهنا ما

بالسلامة من الحادثات الذي جرى عليها . وقال لها والله يا بنت العم يعزّ عليَّ ان تقاسي هذه المقاساة . وانا في قيد الحياة . ثم قال لاخيه شيبوب خذ عبلة وادخل بها الى بيت مفرج واجلسها على سريره . كما كان يشتهي في ضميره . ولا تزل عندها حتى التقي انا بمالك بن زهير ورجاله . واقف على جلية حاله . فاخذها شيبوب وادخلها الى بيت مفرّج فراه خالياً من النساء والرجال . فنظر فيه الى اليمين والشمال . فراى الثياب التي كانت على عبلة والتاج الكسروي والحلى . فسلم ذلك جميعهُ اليها وقال لها البسي فان الله قد دفع عنك البلى . وسار عنتر طالباً مكان مالك واصحابه واذا هم يركضون بين الخيام والمضارب . ويهزون الرماح والقواضب . ومالك في اوايلهم مثل العقاب . وقد انزل على الاعداء صواعق العذاب . ورجع وهو ينشد ويقول

شكا صارمي في غمده شدة الظما فقلت اصطبر حتى اروِيك بالدما
فجردتهُ في الكف ابيض عابساً وقد عاد يجري احمرًا متبسما

فقال لهُ عنتر والله يا مولاي انك لصادق في مقالك . وهذه اقل فعال لك . ثم قبل قدميه في الركاب وهناهُ بسلامته . وشكرهُ على علو همته . وسالهُ عن ليلته . فقال مالك والله يا ابا الفوارس انها ليلةٌ تعد بالليالي . لانها كانت عظيمة الاهوال . ولكن بهيبتك انتصرنا وبلغنا الامال . ثم افتقد من

معه من الفرسان فوجد قد فقد منهم ثلاثة ابطال . ومن اصحاب
ما لك خمسة رجال . واما ارض الحي فكانت مفروشة بالقتلى
في جميع الجوانب . والحي منقلب من انين المجروحين واصوات
النوادب . وعدتهم فرسان عنتر . فكانوا اربعماية نفر . ثم عادوا
وهم قد عزموا على الارتحال . فتلقاهم الربيع بن زياد واخوته
ومن معه من الرجال . وكان قد بقي منهم نحو ماية وعشرين .
فركبوا من الخيول الشاردة واخذوا السلاح من بيوت المنهزمين .
وتقدم الربيع بخبثه ومكره وبكي امام عنتر وقال يا ابا الفوارس
والله ما فينا من له وجه يقابلك به لاجل فعالنا الذميمه .
ولاجل ما قد اوليتنا من الايادي الجسيمة . ولكن يا ابن العم
الخطا من شيم الانسان . وكل احد يطلب لنفسه الزيادة ويكره
النقصان . والان فقد بين الله فضلك . وجمع ببنت عمك
شملك . وها نحن بين يديك مثل العبيد . فافعل بنا ما تريد .
لاننا بهيبتك نجونا من التلاف . وبهمتك فرج الله عنا الوثاق
والكتاف . ففرج الله عنك الشدايد . وجعل تحت اقدامك
كل عدو وحاسد . قال الراوي ثم ان عنتر عاد الى عمارة
وحياه بالسلام . وهناه بالخلاص من اسر مفرج بن همام .
ثم نزلوا في الخيام يطلبون الراحة وعنتر يقول لهم والله يا بني عمي
لولا هذا الخاين الذي اشمت بنا العدى ما كان ذل عبسي
ابدا . والان قد رزقنا الله النصر . وخلصناكم من الاسر .

ونحن اليوم في وسط بلاد بني قحطان . وقد عادينا جميع من فيها من العربان . وان هولاء القوم الذين هربوا من بين ايدينا لا بد ان ينفروا الينا الفرسان . والصواب اننا نأخذ الراحه ونأكل الزاد . ونرحل من هذه البلاد . ومن لحقنا منهم كان له ما يدبره رب العباد . ثم ذبحوا الاغنام . واضرموا النيران وروجوا الطعام . قال الراوي وكان الذين سلموا من بني طي قد تعلقوا في روس الجبال . ومعهم النسا والاطفال . وصار مفرّج يأكل كفيه . ندماً على ما جرى عليه . وكان قد وعي على نفسه عند اقبال النهار . وصحا من سكرة العقار . ونظر الى اصحابه والفرسان . ممددين على تلك القيعان . واما بنو عبس فاخذوا لهم راحة واكلوا الطعام . ثم رحلوا قبل انقضاء الظلام وساروا طالبين الاهل والديار . وهم يقطعون البراري والقفار . والسهول والاوعار . وفي ذلك الوقت وصلت بنو جديلة قبيلة حاتم الطاءى في خمسماية نفر تطلب الفرجة على بني عبس . فرات الديار في حالة التعس والنكس . والتقاهم مفرّج بن همام بالبكاء والنحيب . واخبرهم بما جرى عليه من البلاء والتعذيب فلما سمعوا كلامه قالوا له لا بد ان نلحق الاعداء . ولو وصلوا الى اخر البيداء . ولا نعود حتى نخرب ديارهم . ونقلع اثارهم . وبينما هم كذلك اقبل بنو نبهان في الف وخمسماية فارس . كانهم الاسود العوابس . يقدمهم المهلهل بن فياض وفارسها جابر بن

ثلاثة الطامة الكبرى . والمصيبة العظمى . فاشتد قلب مفرّج بذلك الشان . وانجلت عن قلبه الاحزان . واخبرهم بما جرى عليه من الحال . فنالهم اشد منا له وقال جابر لمفرّج وكم كان مع عنتر بن شداد . حتى فعل بكم هذه الفعال الشداد . فقال مفرّج وذمة العرب ما كان معهُ اكثر من مسايتي فارس ولكن كبسونا تحت الليل الدامس . وكنت انا والفرسان الذين اعتمد عليهم سكاري نياماً فبلغ منا ما اختار . ومن ساعته هرب يطلب اهلهُ والديار . قبل ان نفيق من الخمار . فقال جابر وائل بني طي بين العربان . واحرباه من هذه المصيبة التي ما سمع بمثلها في الزمان . وانه لا نزلت عن ظهر الحصان حتى اقتل هذا البعد الكشحان . واقلع منهُ الاثار . ومن قبيلتهِ الاشرار . وانفي عن بني طي العار . ثم سار من وقتهِ يقطع القفار . وعينهُ تقدح مثل الشرار . واخذ بني عمهِ واصحابهُ . وقد اصابهم مثل ما اصابهُ وجمع مفرج باقي قومهِ والتجا الى بني جديلة وساروا جميعاً على اثار بني عبس . وهم في الفين وثلاثماية فارس فادركوا عنتر ورجالهُ قبل غياب الشمس . فقال مفرّج لجابر يا ابن العم الراي عندي ان نهجم عليهم قبل الصباح . وننهبهم باسنة الرماح فقال جابر ما هذا صواباً لانهم عصابة يسيرة . ونحن طايفة كثيرة وان اختلطوا بنا ضاعوا في ظلام الليل فيقتل بعضنا بعضاً . ويلعب السيف في اصحابنا طولاً وعرضاً . ونكون قد طلبنا

الذريع فوقعنا في الخسران . وقادتنا العجلة الى طريق الذل والهوان . والراي عندي ان تاخذ انت الف فارس وتطلب المقدمة وتمسك على القوم طريق ديارهم . وابقى انا في الف وثلاثماية فارس على اثارهم . واذا اصبح الصباح انطبقنا عليهم وبذلنا فيهم السيوف . وسقيناهم كاسات الحتوف . وتكون قد عرفنا الاصحاب من العدى . وبان لنا الضلال من الهدى . فقال مفرج هذا هو الصواب . والراي الذي لا يعاب . وكان هذا جابر رجلاً خبيراً . وبامور الدهر بصيراً . وهو ابو وزر الملقب بالاسد الرهيص الذي يجرى له مع عنتر ذلك الحادث الذي سوف يذكر . قال الراوي ثم ان مفرج بن همام . اخذ معه الف فارس وتقدم يطلب المقدمه اعتماداً على ذلك الكلام . واما بنو عبس فسمعوا الصياح . وابصروا لمعان اسنة الرماح . وبريق خدود الصفاح . فقال مالك لعنتر ما عندك من الراي يا ابا الفوارس قد ادركتنا قبايل بني طي في هذا الليل الدامس . وربما حملوا علينا في ظلام الليل . واذاقونا الحرب والويل . فقال عنتر يا مولاي لا تخف من هذا الامر لانهم لو فعلوا ذلك خسروا وربحنا وفسد امرهم واصطلحنا . لان العصابة القليلة يسترها ظلام الليل الاسود . ولاسيما اذا اختلطت بكثرة العدد . وهذا لا يفعلونه ان كان فيهم رجل خبير بالحرب . وبصير بنوايب الطعن والضرب فقال مالك اراهم قد انقسموا علينا قسمتين . وافترقوا فرقتين

والفرقة الواحدة تقدمت لتملك علينا راس المضيق . وتقف لنا في الطريق . فقال نعم خافوا اننا نهرب منهم في الليل . اذا راينا كثرة الرجال والخيل . وانا وحق من نوّر الهلال . وارسى شوامخ الجبال . لا اترك الصباح يصبح حتى اكون فصلت النوبة وعرفتهم الحق من المحال . فقل لاصحابك ياخذون الاهبة للقتال ولا ينزلون عن ظهور الخيل حتى اريك ما افعل بهولاء الانذال فقال الربيع بن زياد على ماذا عولت يا فارس عدنان . فقال عنتر عولت ان اترك القوم حتى ينزلوا ويامنوا على انفسهم واحمل بكم على الفرقة التي بين ايدينا . واخوضها كما يخوض الفارس في الميدان وانا اعلم ان الصباح يقع علينا . وتطمع فينا الفرقة التي ورانا وتاتي الينا . ولكن انتم تفرقوا وقت الحملة في الحرب . واطلبوا المقدمة وبادروها بالطعن والضرب ثم تفرقوا في الارض واتركوا بعضهم يفتك بالبعض . واول حملتكم نادوا بانسابكم . وافتخروا باحسابكم . واذا اختلطنا بهم فاصمتوا حتى لا يعرف العبسي العدناني . من الطائى القحطاني . قال فلما سمع الربيع كلامه راه عين الصواب . واوصى به رجاله والاصحاب . فقال عمارة لعروة بن الورد يا ابن العم والله هذه ليلة عظيمة الخطر . واريد ان اغتنم فيها قتل عنتر . واذا قتلته يقال في الحي . انه قتل من بني طي . فقال عروة والله يا عمارة ما هذا الراي الا فاسد . وكلام جاهل حاسد . فوالله لو قتل في هذه النوبة عنتر . ما سلم منا

نفر. ولا من يخبر بخبره ٥ فدعنا بالله عليك من هذا الهذيان. الذى لا يسمعهُ انسان ٥ ثم اخذوا الاهبة في انفسهم للحرب . واعتدوا للطعن والضرب ٥ وطير عنتر حتي نزلت الطوايف ٥ وامن قلب كل خايف . ونام منهم الاكثر. واظلم الليل واعتكر. فقال لشيبوب كن انت الليلة محافظاً لعبلة. ولا تبرح بها على اثري عند الحملة. وكان قد اركبها على جوادٍ سابق. والبسها صدرية من الزرد ٥ مضاعفة العيون كثيرة العدد . خوفا عليها من غايلة تصيبها في المجال . عند اشتغاله عنها بالقتال . ثم نبه مالك بن زهير ورجاله ٥ وايقظ الربيع وابطاله ٥ فانضم بعضهم الى البعض ٥ وحملوا حملة تزلزل الارض ٥ وهزوا بايديهم الرماح وانتشروا في تلك البطاح . وانطبقوا على مفرج بن همام ٥ انطباق الغمام. وسمع جابر فارس بني نبهان فزعق على الابطال والفرسان وقال للمهلهل لقد اصاب عنتر واصحابهُ في هذه الفعال . وعملوا عمل الرجال . وما هي الا خبرة بامور القتال ٥ فان حملنا لمعونة اصحابنا ضاع القوم بيننا فكنا نحن الخاسرين. وان تركناهم كسروهم وخرجوا من هذه الديار سالمين ٥ فقال المهلهل ما هذا الكلام يا جابر كيف يخفى العبسي العدنانى . من الطاعي القحطانى فاحمل بالناس ودع عنك التواني . ثم حمل جابر والمهلهل وقصدوا الصياح ٥ وحملت الرجال من خلفها وقد هزوا في ايديهم قطع الرماح . واختلط الكل تحت غياهب الظلام .

وقام الحرب على ساق وقدم. وهمهم الشجاع وتقدم . وجار السيف لما حكم. وانهل الدم وانسجم. وتغيرت الاحوال والشيم وعمل عنتر في تلك الليلة عملاً اعمى النواظر. واذهل الخواطر وقاتل في تلك الليلة قتال من كره دنياه. ورمى نفسه الى الاعدا وطلب الوفاه. لما علم ان عبلة وراه . وفرق الكتايب . ونكس المواكب . واظهر الاهوال والعجايب . وطعن في الصدور والترايب. ونكس من الاعدا جانباً بعد جانب. ثم انسل بجواده من بين الاعدا . واتسع في البيدا وكذلك فعلت اصحابه وانتشروا في تلك الارض وتركوا القوم يفتك بعضهم بالبعض. ومازالوا كذلك الى وقت الصباح . فعرفوا بعضهم وتركوا الكفاح . وقتل من بني طي وبني قحطان تلك اليلة مقدار سبعماية فارس او اكثر واكثرها من سيف عنتر. وقد قتل من بني عبس ثلاثون فارساً وانجرح الامير عمارة جرحا اشرف منه على الخطر. ولما انفصل الناس بعضهم عن بعض وعولوا ان ينزلوا على الارض. خرجت سلمى ام ناقد بن الجلاح الى بين مواكب بنى قحطان. وعليها ثياب السواد كانها بعض الغربان . وزعقت واذل بني طي الى الابد. من فعل هذا العبد الاسود . ياللعرب اما فيكم فارس ياخذ لي بالثار من هذا العبد ويطعمني قطعة من لحمه . ويسقيني جرعة من دمه. ثم انها بكت حتى ابكت العيون وهمت ان ترمى نفسها على بنى عبس مثل الهايم المجنون. فقفز اليها مفرج وقال لها ارجعي

يا خالتاه واتخلي من النوح والتعداد . فلانا ابلغك المراد. واقود اليك عنتر بن شداد. بعد ما افنى بني عبس وبني زياد واجعلهم مثلاً بين العباد . لان ثارنا اليوم اعظم من ثارك . وعارنا اشد من عارك . ثم انهُ صال وجال. وطلب الحرب والنزال . ونادى ويلكم يا بني عبس قد صار بيننا وبينكم في هاتين الليلتين مـا صار. والان فقد بان النهار. الذي تبان فيهِ منازل العلو والافتخار وشيمة العرب الانصاف. وهي من شيم الاشراف . فابرزوا الينـا فارسا لفارس وشجاعا لشجاع. حتى نتلاطم في مقام القراع . ولكن لا يبرز لي الا من نسبهُ مثل نسبي . وحسبهُ مثل حسبي . حتى اذا اخذنا بالثار من السادات الاماجد. عدنا الى قتال العبيد ولما فرغ مفرج من هذا الكلام خرج الى بين الصفـين . واشتهر بين الفريقين . فخرج اليهِ عنتر. مثل الاسـد الغضنفر. وهو يقول لهُ ثكلتك امك يا كلب العـرب . من هو انت حتى تطلب براز السادات . وتعد نفسك من اولاد الحراير العربيات ها انا اقل العبيد لبني عبس اقلع اثارك. واخرب ديارك . واخمد بين العرب نارك . ويلك يا مفرج لا فرج الله لك غمه سبيت بنت عمي عبلة . واوقعتني في الهم والدبلة . وكاني راض بمن قتلت لكم من الابطال . ومن يتمت من الاطفال . فوالله لا خرجت من هذه الديار . حتى احصد كباركم والصغار . وافني العبيد والاحرار . ثم انشد يقول

انا خصمي تقاضاني بدين ... قضيت الدين بالرمح الرديني
وحد السيف يرضينا جميعاً ... ويحكم بينكم طوراً وبيني
جهلتم يا بني الانذال غدري ... وقد عرفوه اهل الخافقين
علوت بصارمي وبسعد جدي ... الى اعلى السهى والفرقدين
وكم من فارس خليت ملقى ... عفير الخد مخضوب اليدين
واخر هارباً من هول شخصي ... وقد اجرى دموع المقلتين
وما هدمت يد الحدثان ركني ... ولا مدت اليَّ بنان بين
وكيف اخاف من خصمي وسيفي ... صقيل المتن دامي الشفرتين
فسوف ابيد جمعكم بسيفي ... وتحمد لوعتي وتقرُّ عيني

قال ولما فرغ عنتر من شعره التحما في المجال . وانتشب بينهما القتال . وجرى بينهما عجايب واهوال . تحيره منها صناديد الرجال وما زالوا كذلك الى ان كلٌ منهما ومل . وهلن بعد عزه وذل واراد ان يشير الى قومهِ ويطلب منهم نجدة فما امهلهُ عنتر بل اطبق عليهِ اطباق الغمام . وضربهُ بالحسام . فوقع السيف على راسهِ . شقهُ الى تكة لباسهِ . ووقع الى الارض يختبط بدمهِ . ويفحص بقدمهِ . فعندها صاحت فرسان بني عبس من شدة الفرح . ووقع على بني طي الحزن والترح . وعولت بنو طي ان تحمل في مرة واحدة فمنعها جابر فارس بني نبهان . وقال لهم ان حملتم خسرتم مع هذا الشيطان . وان لم يقتل ما تنالون غرض ولا تشفون مرضا . لانهُ قد داخلهُ فيكم الطمع . ووقع في قلوبكم

منهُ الفزع . وانا قد بان لي منهُ عند قتالهِ امرٌ ما بان قبلي لطالب وعرفت من اين تنزل عليهِ المصايب . واريد انا ان اكفيكم شرهُ . واصرم لكم عمرهُ . ثم انهُ قفز يطلب عنتر . وهو مثل الاسد القسور وجال معهُ ساعة . حتى عرف مقدار ما فيهِ من الشجاعة وكان جابر مزدرياً بعنتر حتى وقف معهُ في الميدان . فراه جيد الخبره في مواقف الضرب والطعان . فعند ذلك ضاق صدرهُ وندم على نزولهِ الى عنتر . وصار يريد ان يتقهقر . ولكنهُ اخفى الكمد . واظهر الصبر والجلد . الى ان اختلف بينهم طعنتان وكان الاسبق فيها عنتر فوقع سنانهُ بين صدر جابر ونحرهِ فطلع يلمع من فقار ظهرهِ فوقع قتيلا . وصار على الارض جديلاً . فعندها صرخ المهاهل في بني نبهان وقال ويلكم دونكم هذا الشيطان . فعندها تصايحت الفرسان . وتبادرت الشجعان . وطلبوا عنتر من كل جانب ومكان . وحمل الامير مالك في طايفة بني عبس والقى نفسهُ في الميدان * وكثر الصياح والضجيج في الاقطار . وطلع القتام والغبار . وعمل الصارم البتار . وقصرت من الرجال طوال الاعمار . وتصادمت الابطال مثل موجات البحار وانذهل الجبان وحار . وتساوت العبيد والاحرار . وطلب عنتر قوم بني نبهان . فنثر الفرسان والشجعان . بتواتر الضرب والطعان * ورأى المهلهل بن فياض حملاتهِ على المواكب . وتفريقهُ لها من كل جانب * فخاف ان يلحقهُ بجابر بن غلاتهِ

ومفرج بن همام · ويسقيه مثلها كاس الحمام · فولى وطلب الانهزام وتبعته فرسانه من كل جانب ومكان · وساق في اثرها بنو عبس كالعقبان · وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان * وما زالوا وراهم حتى اطلعوهم من تلك الارض المقفرة · وساقوهم خمسةً خمسةً وعشرةً عشرة * ثم عادوا عنهم وعنتر فى اوايلهم مثل شقيقة الارجوان * مما سال عليهِ من ادمية الفرسان * ولما قرب من عبلة راها متبسمة من افعالهِ · ومبتهجة باعمالهِ * فجاش الشعر في خاطره وانشا يقول

يا عبلَ ان كان ظل القسطل الحالك
اخفي عليك قتالي يوم معتركي
فسايلي اجري هل كنت اطلقهُ الا على موكبٍ كالليل محتبك
وسايلي الرمح عني هل طعنت بهِ الا المدرع بين النحر والحنكِ
وسايلي السيف عني هل ضربت بهِ يوم الكريهة الا هامة الملكِ
اسقي الحسام واعطي الرمح نهلته واضرب القرن لا اخشي من الدركِ
لي همةٌ عند وقع السيف عاليةٌ
وعفةٌ عند وقع الطير فى الشركِ
يا عبلَ ان تجهلي حربي وما فعلت
يدي قفي وانظريني كي يبين لكِ
كم ضربةٍ لي بحد السيف قاطعةٍ
وطعنةٍ شكت القربوس بالكركِ

Digitized by Google

لولا الذي ترهب الاملاك سطوته   جعلت ظهر جوادي قبة الفلك

قال الراوي فلما انشد عنتر هذه الابيات صفقت عبلة طربا وتمايلت على جوادها عجباً . وقالت صدقت يا ابن العم انك فوق ذلك . وهكذا فعل الامير مالك . واما ابو عبلة وبنو زياد . فذابت منهم الاكباد . وشكروه في الظاهر . وفي الباطن تفطرت منهم المرائر . قال ولما نزلوا في الخيام . واكلوا ما راج لهم من الطعام . قال لهم عنتر يابني عمي خذوا الراحة الي نصف الليل . واركبوا بعد ذلك علي صهوات الخيل . واقطعوا بنا هذا الطريق قبل ان يلحقنا لاحق . او يعيقنا عايق . ثم قام يريد ان يتولى الحرس . تحت ذلك الغلس . فقال الامير مالك والله يا ابا الفوارس ما ادعك تتكلف هذا الامر وحدك . لانك لقيت من الحرب في هذا النهار ما كفى وقد تعبت جهدك . فاستحى الربيع وركب بجماعة من بني زياد . وركب عروة بن الورد ومالك بن قراد . وما فيهم الا من هو محترق بنار الحسد . ذايب الروح والجسد . وكلٌ منهم يتمنى قتل عنتر . ولا سيما عمارة فانه العدو الاكبر . ولما خلوا بانفسهم صاروا يشتمون عنتر بكل شفة ولسان . ويتشاورون في ما يفعلون بعد وصولهم الى الاوطان . فقال مالك ابو عبلة والله يابني عمي ما بقي لي عين تقدر ان تراه . ولا اقدر ان اجاوره ما دمت في قيد الحياه . واريد ان اسير بابنتي تحت الظلام . الى مكان يحميني من هذا العبد

Digitized by Google

ابن الليام • واعيش عزيزًا عند الغربا . ولا اكون ذليلا بين الاقربا . فقال له الربيع بن زياد . والله يا ابن العم ما نمكنك من هذا الامر الذى يشمت بنا الاعدا والحساد . ولكن انا اشير عليك بامر اذا فعلته تبلغ المراد • ولا تبالي بعنتر بن شداد • ولا باحد من العباد . فقال ما لك وبماذا تشير . يا ايها الامير • فقال الربيع هو انك تصبر حتى نصل الى الديار فادخل على الامير شاس مسلماً عليهِ • وامسك بذيلهِ واطلب منهُ الذمام وسلم ابنتك اليهِ • وقل لهُ هذه ابنتي امتك واريد ان تجعلها تحت يدك وتزوجها بمن تريد • حتى لا يطمع فيها احد من العبيد واذا صارت ابنتك عند الامير شاس . امنت عليها من جميع الناس • وبعد ذلك ننتظر لعنتر الفرص حتى نظفر بهِ في بعض الاوقات ونطرحهُ فى لهوات الافات • قال ولم يزالوا على مثل ذلك حتى تنصف الليل فاجتمعوا ورحلوا يطلبون الديار • وفي قلوبهم من عنتر شعل النار • وما زالوا سايرين الى ان تنصف النهار وبيناهم كذلك التفتوا الى خلفهم فراوا الوحوش جافلة في الاقطار • وظهر لهم من خلفها غبار • قد سد منافس الاقطار . فقال بعضهم لبعض هذه خيول بني طي قد نفرت الينا . واقبلت علينا . فردوا روس الخيل وتاهبوا للقتال • واصبروا على ملاقاة الاهوال . فقال لهم عنتر لا تخافوا يا بني عمي فلا يقتل الا من دنا اجلهُ . وحان الى المقابر مرتحلهُ • ثم ان عنتر حرك الجواد .

Digitized by Google

وتبعه ابوه شداد . ومالك بن زهير وتمام العشرة من ابطال بنو
الشداد . واسرعوا يكشفون الاخبار . فلم تكن الا ساعة حتى
ظهر من تحت ذلك الغبار جيش جرار . وهو قد ملأ تلك
القفار . وماجت الخيل من تحتو كما يموج البحر اذا لعبت به
عواصف الرياح . وانقلبت الارض بالصجيج والصياح . ونشرت
رايات الحرب وبنوده . وهمهمت أسوده . وكثرت بروقه
ورعوده وتزاحمت جنوده . وكان المقدم على ذلك الجيش
العديد ملجم بن حنظلة واخوه يزيد . لان مفرج بن همام كان قد
ارسل اليهم يخبرهم باسر بني زياد . وانه يريد قتلهم وصلبهم على
الجذوع والاعواد . ففرحوا بذلك لانه كان عندهم غاية المراد
ومن العدو وصلت اليهم اخبار الكبسة التي جرت في الحي وما
فعل عنتر بن شداد في بني طي . فقال ملجم لاخيه يزيد ويلك
كيف نخلي بني عبس يدخلون الى الديار . ويفعلون هذه الفعال
ويرجعون سالمين من الدمار . ونحن ملوك الزمان . وسادات بني
قحطان . ثم ان الملك ملجم ارسل الرسل الى جميع حلله تنذر
الرجال . فعند ذلك ركبت الابطال . وركب كل واحد منهما
في الفين من الفرسان . وساروا يقطعون الفيافي والقيعان . حتى
وصلوا الى ديار مفرج بن همام . وراوا القتلى مثل قطعان الاغنام
فزاد بهم الغيظ والغضب . واستمروا في سيرهم وقد خافوا من
معيرة العرب ولم يزالوا مجدين في سيرهم يقطعون الجبال والوديان

الي ان التقوا بالمنهزمين من الوقعة التي قتل فيها مفرج بن همام وجابر بن غلاثة فارس بنى نبهان . فجمع ملجم ساداتهم وسالهم عن الخبر . فحدثه المهلهل عما فعل بهم عنتر . فصار الملك ملجم يطيب قلبهُ وهو يقول لهُ ويلك يا ملجم عوقتنى عن المسير . وسرعة التشمير والساعة ياتينا عنتر فيهلكنى انا واياك . ولا تظن انهُ يبقي عليك اذا لاقاك . فليس لحصاد الروس عندهُ قيمه . ولا تنجى من يديهِ الهزيمه . فقال ملجم ذل هذا الكلب الاسود . والله ان لقيتهُ لاطيرنّ راسهُ بهذا السيف المهند . ولا اتركهُ يجول معي حتي اطرحهُ على الارض كالجذع الممدد . وانا اشتهي ان ابارزه لتعلم الناس الشجاع من الجبان . ولكن اخاف ان لا يتجاسر على مبارزتي في الميدان . فلا اشفي قلبي وقلوب بني قحطان . ثم ساروا من اول الليل فالتقوا ببنى عبس ضحى النهار . وكانوا قد اكتملوا عشرة الاف فارس كرار . وابصرت بنو عبس كثرة العدد . ولمعان البيض والزرد فحارت في امورها . وتقطعت سلاسل ظهورها فقال عمارة لمالك ابن عبلة جاك والله يا مالك ما كنت نومله واليوم يقتل عنتر وينقضي اجلهُ . فقال عروة بن الورد وذمة العرب يا عمارة ان قتل عنتر . ما يسلم منا من يخبر بخبر . فقال لهُ صدقت يا عروة والراى اننا نرد روس خيولنا ونطلب الهرب فذلك خير لنا من ان نشرب كوس العطب . فقال عروة ويلك يا مالك اليس تسبى ابنتك وتملكها بنو قحطان . فقال

Digitized by Google

دعهم يهلكونها ولا يبة لكنها منها الشيطان فقال الربيع يا بني عمي لولا ان مالك بن زهير تقدم حتى يكشف الخبر كنا فعلنا ذلك ونجونا بانفسنا من المهالك. ولكن نخاف من عتب الملك زهير ان يقول لنا انتم من بغضكم لعنتر تركتم ولدي في مقام الخطر والراي عندي ان نثبت الي ان تدور بنا المواكب. وتقصدنا من كل جانب. فنقاتل ساعة ونصيح الهريبة. ونخلي عنتر يلاقي وحدة القوم ويلتقي نفسه في العطب. وانا اعلم انه لا يخلي عبلة ويطلب الهزيمة. فلابد ان يقتل ونستريح من تلك الصورة الرجيمة. وربما يتبعنا مالك بن زهير. فيكون لنا في ذلك تمام الخير. وبينما هم كذلك. غشاهم الغبار الحالك. وراوا عنتر وهو قد تلقى الجيش مثل الاسد الفاتك. وتبعه ابو شداد وعمه مالك. والتهب لطعن المتدارك. وانفجر الجيش حتى سد المسالك. وحمل الربيع واصحابه بنية فاترة. وعزيمة قاصرة ثم عادوا الي الاعقاب. وطلبوا روس الروابي والشعاب. وتبعهم من كان عرف ذلك الحال. ووقف باقي الرجال. وبذلوا نفوسهم لاسنة الرماح الطوال. وبقيت عبلة حيرانة تلفة. ودموعها منحدرة. وهي تنادي عنتر باعلى صوتها وترتعد من شدة الفزع. وهو يحمل ويعود ويلقي الفرسان قطعاً على قطع. واما مالك بن زهير فانه ذلك اليوم استقتل. وقاتل قتال من ايقن بحلول الاجل. وفعلت رجاله ايضاً مثل الفعل. قال الراوي وكان

الربيع وعمارة وعروة بن الورد قد نجوا بانفسهم في خمسين
فارساً وطلبوا الهرب . وتركوا بقية قومهم تحت العطب الا ان
بني زياد ما ابعدوا من مكان الحرب . وخلصوا من غايلة
الطعن والضرب . حتى ثار من بين ايديهم غبار قد اقبل عليهم
وتقدم اليهم . فقال عروة هذا جيش من الاعداء وقد مسكوا
علينا الطرقات . وضيقوا علينا من ساير الجهات . والصواب
اننا نميل على اليسار ونخلي الطريق . والا عدمنا النجاح والتوفيق
ثم انهم لووا روس خيلهم وطلبوا الفلاة . وهم لا يصدقون بالنجاة
وبينما هم كذلك اذا بغبار اخر طلع من قدامهم . فجعل ضو النهار
مثل الليل . وقام من تحته صهيل الخيل . فقال عروة الى اين
نهرب يا ربيع ها ان الطرق قد استدت علينا من كل جانب .
ولقينا شوم نياتنا في جميع المذاهب . ومن طاوعك او مشي
معك وقع في المصايب . ثم انهم وقفوا حتى انقشع الغبار وظهر
للابصار . فراوا من تحته جماعة من الفرسان . على خيول اخف
من الغزلان . وعليها رجال مثل السباع الجياع . لا تفزع من
الموت ولا ترتاع . وكلهم ينادون من فرد لسان . يا لعبس يا لعدنان
ثم انهم اطلقوا الاعنة . وقوموا الاسنة . وطلبوا معمعة الحرب .
واستعدوا للطعن والضرب . ولما ابصر الربيع اصحابه ذلك
عاشت ارواحهم وبدا صلاحهم . وطلبوا الفرسان المقبلين .
واخبروهم بما فعلوا في ديار بني طي وكيف يتموا البنات والبنين

وقالوا لهم ادركوا مالك بن زهير ومن معهُ من الرجال . فما هذا وقت شرح الحال. فعندها حملت الفرسان وتبادرت الشجعان واقتحموا الغبار وطعنوا في صدور الرجال . وكشفوا بني طي عن ساحة المجال . وكان عنتر في تلك الساعة قد ايقن بالهلاك فظن انهُ ما عاد لهُ من الموت فكاك . لان اسنة الرماح . قد اثخنته بالجراح . وقلت قواه من شدة الكفاح . قال الراوي وبينما كان عنتر قد اشرف علي الهلاك اقبلت بنو عبس ودارت بالفرسان من كل مكان فانفرجت عن عنتر المواكب . وخفت عنهُ المصايب. قال وكان مع هذه النجدة قيس ابن الملك زهير واخوه شاس. بالفين من الفرسان ذوي الصولة والباس لاننا ذكرنا انهُ لما سار عنتر ومالك في تلك الغارة . كان الملك زهير في دعوة بدر ابن عمهِ سيد بني فزارة . وما عاد الملك زهير الا بعد ثلاثة ايام فاخبروه بالخبر . عن مسير ولده مالك مع عنتر * فلما سمع بذلك . خاف علي ولده مالك * فقال لولديهِ قيس وشاس اني اخاف علي اخيكما مالك من سطوات ملجم بن حنظلة واخيهِ شارب الدماء . وعلي فارسنا عنتر بن شداد قاهر الاعداء * فخذا الفين من الفرسان . والحقا الجميع وانظرا ما جرى لهم في ذلك المكان * ففعلا كما امرهما ابوهما في الحال . وساروا من يومهم بالسيوف الصقال * والرماح الطوال. ولما قربوا من ديار بني طي قال قيس لاخيهِ شاس اعلم يا اخي

ان قدامنا الربيع بن زياد * واخي مالك وعنتر بن شـــداد *
واخاف ان سرنا على طريق واحد ان نتخالف في الطـــريق .
فنعدم السعادة والتوفيق * والصواب ان تسير انت بالف فارس
شمالاً وانا اسير بالف فارس يميناً ونجعل ملتقانا فى راس
مفرق الطرق ومروج الفصلان . لانها اول ديار بنى قحطان *
فقال شلس افعل ما بدا لك . فانا تابع فعالك . ومن هنالك
انقسموا فرقتين حتى التقوا بالربيع بن زياد واصحابهِ وابصروا
غبار الحرب والجلاد . فعند ذلك حملوا وكشفوا الخيل عن
عنتر بن شداد * واعملوا السيوف الحداد * فى الهامات والاجساد
وافتخر الشجاع وساد * وعاد الصلاح الى الفساد . وامتـــلات
الارض بالابراق والارعاد . واتسع المجال علي عنتر بن شداد .
فغير جوادهُ الابجر لانهُ كان قد تعب وقصر . وركب غيرهُ
وعاد يكرُّ علي الخيل . ويسقي الرجال كاسات الوبال والويل
قال الراوى وكان ملجم بن حنظلة واخوهُ شارب الدما واقفين
تحت الاعلام . وما فيهم من قاتل ولا خاض القتام . حتي راوا
طوايفهم تضعضعت . وراوا بنى عبس فيهم قد طمعت فعند ذلك
حمل ملجم واخوهُ وباشرا القتال . واخذا يجولان في معمعة
النزال . وطال معها الكر والفر . حتي غطى غبارهما جوانب
البر . والتقى عنتر بشارب الدما وهو ينحي الابطال . ويردها الى
حومة القتال . فصاح فيه عنتر صيحةً تفلق الحجر . وانقض عليه

Digitized by Google

كالعقاب . وطعنه طعنة لو لم يرد فوتها الدرع كانت اسكنته التراب . وكان ملجم قد رأى من عنتر الاهوال . التي لم تخطر له على بال . فعلم ان ظنه كان فاسدا لانه رأى منه ما لم يكن رآه من غيره من الرجال . فانهزم وتبعه اخوه بن بدوينوطى وقحطان ونفروا كما تنفر الغزلان . وما زالت بنو عبس تضرب في اقفية الابطال . حتى اقبل الليل ونشر اجنحته على الروابي والتلال . فعادت وقد نالت الافتخار وبلغت من اعدايها ما تختار . وهنا بعضهم بعض بالسلامة . ونيل العز والكرامة . وافتقد عنتر صديقه مالك فراه مجروحا جراحات بالغة فصعب عليه ذلك ثم عدل الى قيس وشاس وترجل لهما عن الجواد وشكرهما على قدومهما ودعا بعد ذلك لابيهما فتبسم قيس من عذوبة كلامه . وشكره على اهتمامه . واما شاس فانه قال له اهلا يابن زبيبة ولك الهنا بالسلامة من هذه المصيبة . لانه كان عظيم التكبر . كثير التجبر . فما احتفل عنتر بخطابه ولا اعتنى برد جوابه . قال ثم نزلوا جميعهم لاكل الطعام . وطال بينهم الكلام وحدثهم شاس عن سبب قدومه كيف كان . وهناهم بالسلامة من ذلك الهوان . وباتوا تلك الليلة في ذلك المكان . وقد اشتفت قلوبهم من بني قحطان . ولما كان الغد ساروا طالبين الاوطان . ولم يزالوا سايرين ثلاثة ايام في تلك القفار * وفي اليوم الرابع وصلوا الى ارضهم وامنوا على انفسهم لما قربوا

Digitized by Google

من الديار . فنزلوا للمبيت ودخل مالك ابو عبلة على شاس بن زهير وقبل يديه ورجليه . وبكى وانتحب بين يديه . وقال له يا مولاي انك قد اوليتنا من الاحسان . ما يقصر عن وصفه اللسان . لانك خاطرت بنفسك لاجلنا وارجعتنا سالمين الى اهلنا واريد منك ان تتم هذا الاحسان . وتمنع عن ابنتي هذا الاسود الكنعان . وتاخذها الى ابياتك عند وصولنا الى الاحياء . وتستخدمها كما تستخدم الاماء . لانه قد عظم شانه وكثرت اعوانه . وانا عجزت عن دفع هذا العار . وما بقي لي اقامة في هذه الديار . وها انا قد فوضت امري اليك . وجعلت اعتمادي عليك . فان قدرت على نصرتي فافعل . والا فقل لي حتى اخذ ابنتي وارحل . وانزل على بعض ملوك العربان . واطلب الحماية والامان . واقول له ان ملك بني عبس قد عجز عن عبده . ولاجل ذلك رحلت من عنده . فقال له شاس وقد رق قلبه عليه . ما تذلل وتواضع بين يديه . يا مالك طب نفسا وقر عينا . فهذا انا ما اتوكله يتم عليك ابدا . ولا ادعك تحتاج احدا . ولا بد لي ان اهلك هذا العبد واسقيه كاس الردى . وبعد انصراف مالك من عنده انفذ خلف عنتر واحضره الى بين يديه وقال له يا عنتر ان البغي يورث الندم . ومن طلب ما ليس له بحق فقد ظلم . واعلم ان مالكا ابا عبلة كان الساعة عندي وشكا لي حاله وقد اعطيته اماني وذمامي . واوهبته منه كلامي . وقد صارت ابنته

عبلة من جملة حريمي . وصار غريمة غريمي . وانا اشير عليك
ان لا عدت تذكر عبلة لا سرًّا ولا جهرًا ولا تقل بها شعرًا ولا نثرًا . والا
اكون انا خصمك من دون الناس . وانت تعلم ما عندي من
شدة الباس . ونحن اولاد الملك زهير احد ملوك الزمان . وسيد
بني عبس وغطفان . لو طلبنا ابنة اقل رجال القبيلة وابى ما
تعرضنا له ولا اغتصبناه . ولا نقدر ان ناخذها الا برضاه . وهذا
الرجل ما يريدك لابنته . فاتركه يمضي لحال سبيلو ويفعل
ما يريد في كريمته . وانت تقول انك لا تقبل المذلة . فكيف
تذل لاجل هذه الجارية وتقع في هذه العلة . فقال له عنتر ايها
الملك انت تعلم ان اباها اطمعني فيها ووعدني بها . وتعلم كم مرة
خلصتها من السبى والقيت نفسي في المخاطر بسببها . ولما طلب
مني النوق العصافير . اتيته بها محملة جواهر ودنانير . وزد على
ذلك ما اتيتها به من انعام الملك الاكبر . وتحف الملك قيصر .
والى الان انا مخاطر بنفسي لاجل هذه الجارية . وهذه جراحي لم
تزل طرية دامية . ولا سيما ان هذا الخبر قد شاع بين جميع
العربان . واشتهر في كل مكان . فلا يمكنني ان اتركها ما دام
لي راس على جسد . واترك نفسي معيرة عند كل من قام وقعد
وانا اعلم انه ما فعل هذا العناد . الا بتدبير الربيع بن زياد .
حتى ياخذها لاخيه عمارة . ولكنا والله لا بد ان اترك ربحه خسارة .
اجعلها عليه الحسرة تجارة . ولن تزوج بها او ذكرها بكلام .

لاقتلنه ولو كان في البيت الحرام . او احتمت له ملوك العرب والاعجام . واضع السيف في ساير بني زياد . واجعلهم مثلاً بين العباد . ثم انه قام من قدام شاس . وهو شاهق الانفاس من عسكر الحواس . ثم دخل على اخيه مالك . واخبره بذلك . فصعب ذلك عليه وقال له يا ابا الفوارس لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك . فانا اعرف معالجة شاس والربيع وانا وصلنا الى الحيّ ارغم انوف الجميع . واصنع بهم اقبح صنيع . فدعا له عنتر وقبل يدهُ . واثنى عليه وحمدهُ . ولما جن الليل واقبل الظلام . وطلبت العيون المنام . قال عنتر لاخيه شيبوب قم سير الابحر . واوسع به في البر الاقفر . فانه قد استراح . وخف عنهُ بعض الم الجراح . فامتثل شيبوب امر اخيه . واخذ الجواد وهو يلاطفه ويداريه . وبعد ساعة اقبل عنتر وقد ركب جهيباً من جنايب الامير مالك وخرج للحرس الى ان ابعد في البر واجتمع باخيه شيبوب هنالك فركب جواده وقال له سر بنا يا ابن الام وابعد عن هولاء القوم اللئام واطلب بنا البيت الحرام . لانه ما بقي لي عندهم مقام فقال له شيبوب وكيف ذلك يا ابن الام فقال انا اعلم انا اذا وصلنا الى الحلة يلج شاس في معاندتي والاخوه مالك لا يتخلى عن نصرتي فتقع في الحي الفتن . ويعشقون عني الوطن وانا لا اريد ان احمل احداً ما لا يطيق بل اداوي مرضي بصبري في كل شدة وضيق . واقيم نعيني البيت الحرام . ولا ابرح من هناك حتى يذكرني الخاص او

Digitized by Google

تساعدني علي مرادي الليالي والايام . فقال له شيبوب وهل لك صبر عن عبلة قال نعم ما دامت في بيت امها مخبية . وان بلغني ان احداً تعرض لها سقيته كاس المنية . ولو كسلن تبع صاحب قصر غمدان . او كسرى صاحب التاج والايوان . ثم استمر عنتر في مسيره يطلب البيت الحرام . وهو يشكو من شدة الوجد والغرام . ولما تمادى به المسير . افتكر بما جرى عليه من الامر العسير فانشد يقول

انا كمد في الاحزان يادمع مسعدي
اعني عسى تطفى لهيب توقدي

ويا قلب ان لم تصطبر يوم بينهم فمت كمداً موت الغريب المشردِ
الى كم ارد الحادثات واتقي صروف الرزايا بالحسام المهندِ
واخدم اقواماً تكن صدورهم خلاف الذي يبدونه من تودُّدِ
انا عندهم في الحرب سيد قومهم وفي السلم لا اسوى قلامة اسودِ
عدمت هوى العينين كيف اذلني وهدّ قوى صبري واوهى تجلدي
ساطلب بيت الله اشكو ظلامتي الى حاكم في حكمه غير معتدِ
رحلت وقلبي في هواك مقيّدٌ فالتك رفقاً بالاسير المقيدِ
ستذكرني قومي اذا الخيل اقبلت يخب بها يوم اللقاء كل سيدِ
هناك يبان الفخر يا بنت مالكٍ صريحاً اذا عض الجبان على اليد

قال الراوي وما زال عنتر سايرا علي حاله يقطع القفار . ويسلي نفسه بنشيد الاشعار . ويلهي قلبه بتمويه الكلام . مدة سبعة

ايام . وفي كل تلك المدة ما نظرا في طريقهما لا سارحة . ولا بارحة ولا غادية ولا رايحة . فقال له شيبوب يا اخي اننا قد سرنا كل هذه الايام فما راينا لا راجلاً ولا راكباً . ولا قادماً ولا ذاهباً . فقال عنتر يا اخي لا باس . فانني لا اريد ان نلقى احداً من الناس . لاننا والله يا اخي لا نلتقي من يحسن الينا . بل من يطرح شره علينا . وانا والله قد ضجرت من مقاساة الحرب . ومل قلبي من هذه الايام التي لا يطيب فيها قلب . ثم اشار اليه وانشد

اخلو بنفسك واستانس بوحدتها تلقى الرشاد اذا ما كنت منفردا
ليت السباع لنا كانت مجاورة وليتنا لا نرى ممن نرى احدا
ان الاسود لتهدى في مرابضها والناس ليس بهادٍ شرهم ابدا

فقال له شيبوب يا اخي لماذا لا تسير الى ارض العراق وتقيم عند الملك المنذر ملك العربان . او تقصد المداين فتدخل على كسرى انوشروان . وتشكو الى احدهما فهو يبلغك الارب . وتخلص من هذا التعب . فقال له عنتر ويلك يا شيبوب كانني لا اقدر ان ابلغ مرادي من العدى . واضع فيهم السيف حتى لا ابقي منهم احداً . الا بمساعدة المنذر او كسرى . او اصحاب الدول الاخرى . حاشا ولكنني اخاف على قلب عبلة لانني لو قتلت اباها او اخاها تكدرت عيشتها بعد صفاها . وكذلك لو قتلت احداً من بني زياد . تكدر الملك زهير ووقع في العشيرة الفساد . واما مسيري الى الملك المنذر او كسري فانني جيت من

عندهما في رتبة الملوك. والان ارجع اليها في حالة صعلوك. واشكو لها جور هولاء اللئام. والعجز عن بلوغ مثل هذا المرام. فهذا لا يكون ابدا. ولو مت من ظلامتي كمدا. قال وما فرغ عنتر من هذا المقال حتى سمع مناديا ينادي. في ذلك الليل الهادي. وقايلة تقول يا للعرب اما في هذا البر من يسمع ندانا. ويرحم ذلنا وشكوانا. ويجير قوما قد هلكوا في القفار. ويخاص البنات الابكار * من غلبات الاشرار. واذلاه واقله ناصراه. ثم اخذت تنوح بهذه الابيات وتقول

يا عين جودي واهملي　　بدمعك المنهمل
على بنات ما لها　　من ناصر ولا ولي
متهتكات في الفلا　　فوق الجمال البزل
يبكين من فرط الجوى　　على ربوع المنزل
والشيخ من جراحه　　في غاية التململ
وقد غدت اولاده　　طعم الرماح الذبل
والام من احزانها　　انفاسها في شعل
ومن لهيب نارها　　تطلب قرب الاجل
يا سايرين في الدجى　　تحت الظلام المسبل
لعل فيكم بطلا　　من نسل ليث بطل
يجيرنا يوم اللقا　　تحت غبار القسطل
يسعدنا على العدى　　قبل انقطاع الامل

ويرتجي الشكر من ال رب القديم الازلي

قال فلما سمع عنتر هذه الابيات قال لاخيه شيبوب هذه والله امراة مظلومة قد قتلت الاعدا رجالها وسبوا بناتها . وتركوها تتقلب في حسراتها . وانا اريد من اليوم ان اعين كل مظلوم . عسي ان ينتقم من ظالمي مسير النجوم الحي القيوم . ثم انه حرك جواده نحو ذلك الصياح . وهو متالم مما به من الم الجراح ونادى ما حالك ايتها المراة الصائحة . الباكية النائحة * اخبريني ان كان احد عليك اعتدي . حتي انتصف لك من العدى . فقالت المراة وقد زاد بكاها . فرحا بهن اجلب نداها . وقالت اي والله يافتي قد اعتدى علي الزمان . ورمي قلبي بسهام الاحزان وقد افقدني اولادي . وتمكنت مني اعدامي وسبوا بناتي واحرقوا فوادي . وانجرح شيخ عشيرتي وبعلي . وبقيت فريدة في هذا المكان ونازحة عن اهلي . ولي ثلاثة ايام انادي في هذا المكان . ولا اجد احدا يجيبني . سواك ياسيد الفتيان . فبالله عليك ان كنت من اهل المروة والنجدة والفتوة . فخلصنا من هذا البلا وارتجي الشكر والثنا . ثم انها بكت . وانت واشتكت وانشدت تقول

اعطاك ربك ما ترجوه من امل .
وجاد ارضك صوب العارض الهطل .

يافارس الخيل يامن لا شبيه له عندا منتبا لك القنا والطعن بالاسل
اعدا لك كل صباح منك راجفة تخاف ارواحها من سرعة الاجل

وحاسدوك لهم في كل ناحية   قلب يقلب بين النار والشعل
وانت تزداد سعداً كلما حسدوا   وحد سيفك في الهامات والقلل

فقال لها عنتر من اي الناس انتم ومن سباكم من العربان. وما اني بكم الى هذا المكان فقالت يامولاي نحن من بني كندة. وقد انحطت ارضنا وخفنا من الهلاك. فرحل بنا الشيخ الذي لنا يطلب بني الحارث لان لنا ابنة متزوجة هناك. فقلنا نقيم عند القوم في ديارهم. وننقضي هذا العام في جوارهم. فعارضنا في الطريق شيطان من شياطين العرب. يقال له الصدام بن سلهب ومعه عشرة فوارس فقتلوا لي ثلاثة اولاد. وجرحوا شيخنا الاشعث بن عباد وسبوا البنات وهن ثلاث ابكار كانهن الاقمار. وهم سايرون بنا الي جبال بني طي يفرقوننا علي اهل الحي. فعندها قال عنتر لاخيه شيبوب خذ انت هولاء حتي اتقدم انا وابصر من يكونون هولا الانذال. الذين فعلوا هذه الفعال ثم انه حرك جواده الابجر وكان الفجر قد انفجر. فما غاب عن شيبوب غير قليل حتي ابصر الفرسان وهي مقبلة مثل الاسود. وفي اوايلهم الصدام كانه العمود. فلما راه عنتر اطلق نحوه العنان. وقوم السنان. بين اذان الحصان. وهو يقول الي اين تذهبون يا اوغاد. وقد اتاكم عنتر بن شداد. ثم صرخ فيهم صرخة ادوت لها البطاح فوقفوا وهزوا قطع الرماح. وزعق الصدام الا ما ابركه من صباح. هذا والله رزق هني قد وافانا من اول النهار. وساقته

الينا الاقتدار . فليخرج اليهِ واحد منكم يسالهُ عن حسبهِ ونسبهِ ويقتلهُ ويأتينا بجوادهِ وسلبهِ . فما اتم كلامهُ حتى قفز الى عنتر فارس يقال لهُ الهجام وكان فارسا لا يرام فلما قرب الي عنتر قال لهُ ويلك انت من اي العرب انتسب ان كان لك نسب . والا سلم جوادك والسلب . قبل ان يحل بك العطب . قال الراوي فبينما هو مع عنتر بالكلام ما شعر الا والرمح قد وقع في صدرهِ فطلع يلمع من فقار ظهرهِ وقال لهُ هذا حسبي ونسبي وهذا امي وابي فلما راهُ اصحابهُ انطبقوا على عنتر من كل جانب . وتبادروا اليهِ مثل السلاهب . وبقي الصدام ينظر اليهم وهو واقفٌ من بعيد . لانهُ كان قد احتقر عنتر وكبرت نفسهُ ان يقاتل العبيد . وصار منتظرًا اصحابهُ ان ياتوهُ بهِ اسيرًا . او يتركوهُ في دمهِ عفيرًا . فطال بينهم القتال وراوا من عنتر الاهوال فطلع عليهم الغبار حتى حجبهم عن الابصار . وجال عنتر فيهم بالطول والعرض . ومدد اكثرهم علي وجه الارض . وصار يلتقط منهم الفارس بعد الفارس كما يلتقط الصقر الحجال . فما تضاحي النهار الا وهو قد قتل العشرة رجال . ولما راى الصدام ذلك علم انهُ بعد هلاك اصحابهِ لا بد لهُ من طلابهِ فعند ذلك طلبهُ الصدام وناداه ياوجه العرب من تكون من الفرسان . والى من تنتسب من قبايل العربان فانا وذمة العرب لقد اعجبني قتالك . وادهشني افعالك . فاحببت ان اصاحبك واكون انا وانت ننهب الاموال . ونسبي ربات

الجمال . ونتمتع بالبنات الابكار . ونحمل الينا الغفارة من جميع
الاقطار . واول ما استوليك في هذه الغنيمة التي بين يدي لان
فيها ثلاث جوار كانهن الاقمار . والذين كانوا اشركائي قد
اهلكهم الزمان . على يديك يا فارس الفرسان . وما بقي لي والك
معاند . ولا مدافع ولا مطارد . فقال له عنتر ويلك دع عنك هذا
الهذيان يا اخس العربان . ودونك الضريب والطعان . واقطع
طمعك من هذه الغنيمة فان الله قد ارسلني لاخذ لهم معك بالثار
واطفي ما في قلوبهم من النار . ثم حمل عليه عنتر . حملة الاسد
الغضنفر . فعند ذلك زعق الصدام زعقة المحنق . وصدم عنتر
صدمة السيل اذا اندفق . واخذا في الجولان . واشتهار فرص
الضرب والطعان فضاق منها النفس . وصار النهار في اعينهما مثل
الغلس . ورأى عنتر خصمه منيع الجانب . خبيراً بالنوايب
فجاول معه حتى اتعبه وهجم عليه واكربه وطعنه بالرمح فاقلبه .
والى نار الجحيم اذهبه . وبعد ذلك عاد الى احبابه والشيخ
المجروح والبنات فشد جراحات الشيخ وابتدوا وطاطوا على
الارض واخذوا جميعهم يشكرونه ويثنون عليه ويقبلون
يديه وقدميه . ولما استقر بهم القرار في تلك الساحة . واخذ
عنتر الراحة . اتت العجوز اليه . ومعها شي من الزاد فوضعته
بين يديه . ثم وقفت هي والبنات في خدمته وزادت في كرامته
وشكر نعمته . وكان عنتر من حين فارق عبلة ما شبع من

الطعام ولا امتلأت اجفانه من المنام . فاكل ذلك اليوم ضحيانه
من القوم . ثم قال للشيخ ابن قاصدون . والى اين تذهبون .
فقال الشيخ الى بني الحارث يامولاى لان لنا ابنة هناك . وقد
اجدبت ارضنا فرحلنا خوفا من الهلاك . فقال له عنتر اما من
قتل فلم يبق فيه حيلة واما انتم فما بقى عليكم باس . ولكم الامان
من جميع الناس . وانا اسير معكم الى قرب تلك البلاد . واحميكم
من جميع العباد . ثم انه امر القوم بان يركبوا مطاياهم . وامر
شيبوب ان يرفق بهم و يتلافاهم . وساروا والشيخ يسال عنتر
عن حاله وعنتر يحدثه بما جرى له . وحدثه بحديث عبلة وما
اصابه من اجلها وما ناله . وكيف رحل عن بني عبس وهو غضبان
وانه يريد ان يجعل اقامته في مكة ولا يرجع الى الاوطان . فقال
الشيخ وقد تالم قلبه والله ان قصتك قد احرقت فوادي وقد
انستني ما جرى علي من فقد اولادي . وقد فعلت معي من الجميل
ما لا يفعله خليل مع خليل . ومالى شي اكافيك به غير هولا البنات
فان رايت ان تقنع باحداهن وتجعل مقامك عندنا حتى اخدمك
انا وهذه العجوز الى الممات فقال عنتر ومن لي بذلك لو امكنني فان
قيد الهوى شديد . وسلطانه عنيد . ولو قدرت على السلوان .
لكنت فعلت ذلك من اول الزمان . ودفعت عن نفسي هذا
العذاب والهوان . قال الراوي وما زالوا يقطعون الارض . في
الطول والعرض . حتى قربوا من ديار بني الحارث . وامنوا على

Digitized by Google

انفسهم من الحوادث ، فعند ذلك ودعهم عنتر وسار فالعجوز تقول له يا مولاي وهذه الخيول والاسلاب التي اخذتها بسيفك قد قسمها لك العزيز الجبار ، فقال لا والله لا اخذ منها مثقال حبة . بل هي لكم تستعينون بها على الغربة . هذا ما كان من عنتر وما جرى له في هذا السفر . واما ما كان من بني عبس فانهم باتوا تلك الليلة التي فارقهم فيها عنتر . وعند الصباح افتقدوه فما وجدوه ، وسالوا عنه فما وقعوا له على خبر . فجرى على قلب مالك بن زهير من فقده ما لم يجرِ على قلب بشر ، وحس ان قلبه قد انفطر . وكذلك اصاب اباه شداد . واما عمه مالك وعمارة وشاس والربيع بن زياد ، فانهم كانوا افرح العباد . هذا وشاس يقول لعمارة ها قد اتاك الامر كما تريد وما بقي لك في عبلة معاند بعد ذلك الشيطان المارد ، والراي عندي اننا متى وصلنا الى الحي تحمل المهر الى ابيها . وناخذ زوجتك وتبلغ نفسك امانيها . ثم ان شاس دعا بمالك ابي عبلة وقال انه يا ابن العم عاهد عمارة واخلص معه نيتك . واقطع عليه المهر وزوجه ابنتك ، حتى تنقطع عنها جميع الاطماع وتستريح من التعب والصداع . فقال مالك يا سيدي وكيف لي بذلك . والله اني اشتهي ان تكون امة في بني زياد . ولا تكون ملكة في بيت هذا الطنجير عبد شداد . ثم بعد ذلك اعتنقه وعاهده . واعطاه يده وعاقده . ثم ذهبوا وعروة يقول لعمارة على سبيل المزاح ، بارك الله لك في هذا الصباح ، وارجو ان تكون

العاقبة الى خير وصلاح . فقال الربيع يا ابا الابيض ما بقي عليهِ حذرٌ ولا باس. ما دام قد تولى هذا الامرِ الملك شاس . فقال عروة انا ما اري الا ان شوم عبلة قد عم جميع الناس . وما دام راس عنتر على بدنهِ كل من طلبها يصبح بدنا بلا راس. فضحك قيس من هذا المقال . وعلم ان كلام عروة صحيحٌ ليس فيهِ محال. قال وبلغ مالك بن زهير ذلك الخبر وهو ساير في اوايل الجيش والى جانبهِ شداد . فقال شداد والله اني خايف على اخي مالك ان تعود عليهِ عاقبة هذا البغي والعناد . فقال لهُ مالك انا احلف لك باعظم الاقسام . اني لا اترك عمارة يتهنا بعبلة ابدًا ولو شربت كاس الحمام . وبعد هذا انا متعجبٌ منك كيف رايت ان الرجل زوج ابنتهُ بعمارة . وتركته ولم تطالبهُ بمال ولدك وما لهُ عليها من الخسارة . فانهُ لما جاء من ارض العراق اتى باموال ثلاثة ملوك من الاكاسرة . والقياصرة والمناذرة . واتى بالف ناقة من النوق العصافير. محملة جواهر ودنانير . ودفع كل ذلك الى اخيك . وقال لهُ اني اقدم لك اضعاف هذا ان كان لا يكفيك وبعد ذلك عاقده وعاهده . واعطاه يدهُ . وازوجهُ بحضرة ابي والشهدهُ . فيا شداد لو ان ولدك اراد ان يتزوج بهذه الاموال من بنات اكبر ما يوجد في ملوك العرب والحضر . كان تزوج ماية بنت واكثر. وانا اقسم بالله العظيم . رب موسى وابراهيم . ان هذه الجواري التي اتى بها عنتر من بلاد العراق والمداين . كل واحدة

منها تفوق على عبلة في الجمال والمحاسن . ولكن الهوى غلب على عقله
وقيده بسلاسل جهله . هذا فضلاً عن كونه خلصها مراراً
من السبي ولولاه ربما كانت جارية لبعض الانذال . او رعاة
الجمال . وكان ابوها في الاسر والاعتقال . فقال شداد يا مولاي
طب نفساً وقر عيناً فاني اعلم ان اباها وعمارة في غرور . وكل ما
يتعاهدان به يذهب كالهباء المنثور . لان عنتر ما دام يعيش ويحيى
لا يمكن ان ياخذها احد في الدنيا . وما زال القوم سايرين من
مكان الى مكان . حتى وصلوا الى غدير يقال له رمال الغزلان
وكان شاس مغرماً بالصيد فراى الغزلان في تلك الارض تمرح
في الطول والعرض . فقال لاخيه قيس يا اخي سر بمن معك
نحو الاحياء حتى اتصيد انا في هذه الارض واعود اليكم في وقت المساء
ثم اخذ معه عشرة فرسان . وعدل عن الطريق يطرد الوحوش
والغزلان . والخيل تردها عليه من كل مكان . الى ان تعبت هي
والخيل التي معه من شدة الطراد . وكانوا قد اصطادوا شيئاً من
الغزلان فنزلوا عن الخيل ليأكلوا الزاد . وبينما هم ياكلون اجتاز
بهم صاحب تلك الارض وكان اسمه ميسور بن هلال فحمل عليهم
وحملوا عليه فقتل من بني عبس سبعة رجال لانه كان فارساً
شديد الباس . وكان معه اخ له فقتله شاس . فلما راى ميسور
اخاه قتيلاً هجم وقتل الثلاثة الباقين من الفرسان . واسر شاساً
ورجع به في الذل والهوان . طالباً ديار بني هلال الذي هو

وقال له ويلك يا كلب العرب من تكون من الفرسان . واي من تنتسب من العربان . فقال له ويلك انا شاس ابن الملك زهير بن جذيمه بن رواحة بن الوضاح العبسي سيد بني عبس وغطفان . وفزارة وذبيان وقد قتلت من بني عمك جماعة فافعل بي ما تختار . وخذ لبني عمك بالثار . وان طلبت الفدا بالمال فعليّ اضعاف ما تطلبه من نوق وجمال . وان طلبت قتلي فانت تعرف كم خاني من القبايل والابطال فقال ميسور والله يافتي ما بقيت ترى اهلك ولا تنظر الاوطان . لانك فجعتني في اخي شيبان . وتركتني ابكي عليه طول الزمان . ثم ان ميسور قال لمن بقي معه سيروا بنا نطلب الديار فساروا وشاس معهم يتقلب على مقالى النار . هذا ما جرى لشاس واما ما كان من بني عبس فانهم وصلوا الى الحي وهم مسرورون بالظفر والغلبة على بني طي وما منهم من نزل عن جواده . ولا خلع عدة جلاده . بل حضروا جميعا قدام الملك زهير فسلموا عليه . وقبلوا يديه . وحدثوه بما جرى لهم في ذلك السفر فقال لهم واين شاس وعنتر . فاخبروه بقصة عنتر مع شاس وسهره في القفاره وان شاس فارقهم في طلب الصيد ومعه عشرة فوارس على انه يعود اخر النهار . فلما سمع الملك زهير ذلك المقال وتاسف على ذهاب عنتر على تلك الحال ونظر الى ولده مالك فاذا هو مجروح وقد بقي كانه جسد بلا روح . وهو بين

يتكلم والدموع تذرف من عينيه. وعلامات الغضب لائحة عليه.
فقال له ابوه ما بالك يا ولدي تكلم واظهر ما تخفيه. وانا اقابل
الظالم على افعاله واجازيه. فقال مالك ماذا اقول يا ابي لعن الله
الظلم ومن تبعه. ومن رأى الحق ولم يكن معه. ثم حدثه بما فعل
عنتر مع بني زياد. وكيف بذل نفسه دونهم وخلصهم من الاصفاد.
وقص عليه القصة التي جرت من اولها الى اخرها. واطلعه على
ما في باطنها وظاهرها. فعند ذلك احضر الملك زهير عمارة
وقد صعب عليه فقد عنتر وقال له والله يا كلب العرب
وقليل المروة والادب. كل ما جرى على عنتر وعلى ولدي
شاس عاقبة بغيك يا مشوم الناصية. فلا اعطاك الله عافية. ولا
ابقى لك باقية. ولا حيي الله عنتر الذي خلصك من الاسر
والعذاب. وكان ينبغي ان يقطع راسك ويطرحه للكلاب.
ولكن هذه مروة السادات اصحاب الانساب والاحساب. وانا
قلبي يحدثني ان ولدي شاس. وقع في مصيبة من تعصبه لك
يا اشر الناس. وانت لا ترجع عن هذا البغي والعناد وسوف انك
تكون سببا لقلع اثار بني زياد. فقال عمارة وانا يا ملك ما ذنبي
حتى نسبتني الى هذا الكلام. والله لقد جرى علي في هذه النوبة
ما لا يحتمله احد من الانام. والله سلمني من شرب كاس الحمام.
فقال الملك زهير يا ليتها كانت القاضية. وليت المنية كانت
اليك ساعية. ولا كنا نرى هذا الوجه المنحوس. الذي هو اشام

من ناقة البسوس . فوحق من رفع الخضرا وسطح الغبرا ان هلاكك كان افضل من نجاتك . وموتك احسن من حياتك .
ويلك متى سمعت ان احداً من العربان . سبي ابنة عمهِ التي يلزمهُ عارها وابعدها الى اقصى مكان .
ويلك يا انذل العرب هذا جزاء عنتر منك وقد خلصك من الاسر عند عودتهِ من ديار كسرى . بعد ما جرى لك معهُ ما جرى . ثم ان الملك زهير امر عبيده بالقبض على عمارة فقبضوه . وامرهم بتكتيفهِ فكتفوه . وقال للعبيد ابطحوه . ونهض قايماً واخذ السوط بيدهِ وسطا بالضرب عليهِ . حتى كلت سواعد يديهِ . فالقى السوط من يده وامر العبيد ان يضربوه ضرباً اليماً . حتى يتركوه هشيماً . فصار يعوي مثل الكلاب . ويدعو ولا يجاب . وما زالت السياط تقع عليهِ مثل وابل المطر . حتى تخدشت اعضاوه وسال الدم منها وانفجر . والناس يقولون هوذا العريس قد برز باللباس الاحمر . وكان اخوه الربيع حاضراً فكان واقفاً يتالم . ولكن لا يجسر ان يتكلم . وكان عروة ينظر ويتبسم . وهو يقول هذه اول بركات زواج عبلة فتلذذ يا وهاب وتنعم .
ولما راى الملك زهير ان عمارة قد اشرف على التلف من شدة الالم امر العبيد ان يشدوا كتافه ويلقوه في بعض الخيام . فتقدم بعد ذلك شداد الى الملك زهير وقال له يا مولاي اريد من اخي مالك الاموال التي ساقها اليهِ ولدي عنتر . لانهُ زوج ابنتهُ بعمارة وترك

والدي عليها بتحسر . فلما سمع عمارة بن شداد هذا الاحتجاج ناداه باعلى صوته العاقبة لك يا شداد ان تتزوج مثل هذا الزواج فتبسم زهير من كلام عمارة وقال الاولى بهذا اللئيم ان يتزوج بعمارة . قال الراوي وجاء بعد ذلك عروة بن الورد يمازح عمارة ويقول له زفافك مبارك يا ايها الامير والله ان هذه الانعام الذي اخذته يشتري حمارة من احسن الحمير . ولكن هذا التفريط قليل لانني انا اعلم ان تفوط زوج عبلة ان يصبح وهو قتيل . وعمارة يسمع هذا الكلام . ويراه امر من ضرب الحسام . ثم ان الملك زهيرا احضر مالك بن قراد وقال له ويلك يا شيخ السوء انت صرت اليوم شيخا من مشايخ العشيرة وجميع بني عبس يقتدون برايك لانهم يظنون انك من اصحاب البصيرة . فكيف تستطيع الغدر وتأخذ من ابن اخيك المهر . ثم تزوج ابنتك بغيره بعد ما القيته الى لهوات المنايا ورميته في المخاطر والبلايا . وخلصك انت وابنتها من الاسر والهوان . وجازاك على قبيح فعلك بالجميل والاحسان . ولولاه كانت ابنتك مسبية مع اوباش العربان . ويبقى ذلك عارا عليك طول الزمان . ويا ترى من يفضل عمارة على عنتر . الذي اذا ذكر في بلاط الملوك يذكر . ومن يعرف عمارة من الناس واي كلب بالاسد يقاس . وماذا ينفعك عمارة . اذا اصبحت عليك الغارة . ولو لم يكن عمارة من نسل قوم كرام . من كان يرد عليه السلام . ولعمري ان عنتر اشرف منه عند العرب لان عمارة

ورث النسب من اجدادهِ وعنتر انشا لنفسهِ النسب والحسب . وصار من ارباب المناصب والرتب . فوالله انك تستحق الرجم بالحجارة . او ان نفعل بك كما فعلنا بعمارة . فقال مالك يامولاي انا ما غدرت ولا عوجت سبلي . ولكن قلت في نفسي ان ولدك شاس ملك وابن ملك والذي يعرفهُ شاس لا يعرفهُ مثلي . فسلمتهُ ابنتي وقلت لهُ انت ملكنا وابن ملكنا واصوب منا قولاً وفعلاً . وهذه ابنتي مسلمة لك فزوجها بمن تراهُ لها اهلاً . فقال شاس هذه ابنتك ما تصلح الا للامير عمارة بن زياد فزوجهُ بها وقد اصطلح الفساد فقلت لهُ وكيف ذلك يامولاي وابن اخي قد حمل اليَّ مهرها . وقد زوجتهُ وفوضت اليهِ امرها . وابوك عونٌ لهُ على ذلك . ومحبهُ وصديقهُ اخوك مالك . فقال شاس انا اكفيك مونة الجميع . وامنعهم عنك وعنها اكراماً للربيع . ثم ان ولدك شاس احضر ابن اخي عنتر وكلمهُ بما شق عليهِ . وقام وهو غضبان من بين يديهِ . وفارقنا وكان نصف الليل قد انقضى . ولا ندري الى اين مضى . وقلبي من اجلهِ على جمر الغضا . وها ابنتي في بيتها فزوجها ايها الملك بمن تريد . واحسب انها من بعض اموانك وانا لك من جملة العبيد . فلما سمع الملك زهير ذلك المقال قال هذه نوبة ما تنفصل الا حتى يحضر عنتر واقف

Digitized by Google

على جلية حالهِ . واقابل المعتدي على قبيح فعالهِ . وكذلك ولدى ان اتى واعترف بمقالك . والا قابلتك على كذبك ومحالك . ثم بعد ذلك افترق الناس . وامسى المسا وما عاد شاس . فضاق صدر الملك زهير واقام الى الصباح . وفرق الخيل في الروابي والبطاح . قال الاصمعي . ودارت الخيل في البراري والقفار . تفتش على شاس الى اخر النهار . ثم عادوا عند المساء وقالوا ايها الملك ما وقعنا له على خبر . ولا وقفنا على اثر . فزادت بالملك زهير الهموم والفكر . وقال هلك والله ولدي واندثر . واهلكهُ بغيهُ على عنتر . فوالله ان صحّ هلاكهُ ضربت رقبة عمارة بن زياد وصلبت مالك بن قراد . ولم ازل ببني زياد الجميع . حتى اهلك فوقهم شيخهم الربيع . لانهُ هو الذي كان السبب في هذا الصنيع ثم ان الملك زهير انفذ العبيد ثاني مرة الى احياء العرب تقتفي الاثار واقام منتظرًا ما يجدّ من الاخبار . وهو يتقلب في الغموم والاكدار وزوجتهُ تماضر تبكي الليل والنهار . وكذلك بقية اولادهِ ما بقي يطيب لهم عيش ولا يقر لهم قرار . هذا ما جرى لهولاء الناس . واما ما كان من حديث شاس . فان الرجل الذي اسره سار بهِ حتى وصل الي بني الحارث . وقد جرعهُ في الطريق غصص البلايا والكوارث . فكان تارةً يضربهُ وتارةً يلطمهُ ويعذبهُ . ولما وصل الى قومهِ قال لهم يابنى عمى انتم تعلمون ان هذا العبسي قتل اخي شيبان . وانا لا بد لى من قتلهِ لاطفي من قلبي لهيب النيران . فخذوا انتم

جواده وأسلابه ودعوني اشتفي منهُ كما اريد . ومن ساعتهِ ضرب
لهُ اربع سكك من الحديد . وربطهُ بها الرباط الشديد . وقال
له وذمة العرب انا لا اقتلك حتى اعذبك انواع العذاب . واجعلك
موعظة لمن حضر او غاب . وصار ميسور ان خرج يرفسهُ وان
دخل يلطمهُ . وان اكل لا يطعمهُ . ولا يترك احداً برحمهُ ولا
يخدمهُ . وشاع حديث شاس . في الحلة عند جميع الناس وصارت
تتهدده النسا والرجال . بالقتل والصلب على روس الجبال .
وبلغ خبره سيد العشيرة وكان يقال لهُ موهوب بن يزيد . وكان
صاحب راي سديد . فدعا بميسور اليهِ . ولامهُ وعتب عليهِ .
وقال لهُ يا ابن العم هذا الذي تفعلهُ باسيرك ليس هو بصواب .
ولا يستحسنهُ احدٌ من ذوي الالباب . لانهُ من ارباب المناصب
والرتب . وابوه ملكٌ من ملوك العرب . وانا لا امكنك من قتلهِ
حتى تمضي الى ملكنا عبد المدان . وتشاوره في امره وتعلمهُ بانهُ
قتل اخاك شيبان . فان اذن لك في قتلهِ فقد بلغت الارب . والا
فكففْ عنهُ لانك تعلم ان قومهُ من بني عبس يُعدُّون من جمرات
العرب . ولا بد لابيهِ من كشف خبرهِ . والوقوف على اثرهِ . واذا
سمع بقتلهِ اتانا ببني عبس وغطفان . وفزارة وذبيان . وان انفذنا
الى الملك وطلبنا منهُ نجدة يقول لنا انتم لما قتلتم ابن هذا الرجل ما
اعلمتموني . ولا التفتم اليَّ ولا شاورتموني . فافعلوا بانفسكم ما
تريدون . ودبروا برايكم ما تشتهون . وانا الراي عندي ان تخفف

عذاب هذا الانسان ٠ وتمضي وتشاور الملك عبد المدان والا فتحت علينا بابا لا يغلق . والحقتنا بمن سبق . قال فلما سمع ميسور هذا المقال عظم عليهِ وهاج في قلبهِ البلبال . الا انهُ احتاج ان يفعل هذا خوفاً من العاقبة . وفزع ان يقع من اجله في نايبة ٠ فدعا شاس وحل يديهِ ورجليهِ . ووطا تحتهُ واحسن اليهِ ٠ واراحهُ من ثقل الحديد . واوصي عليهِ عشرة عبيد . وركب في عشرين من الفرسان وسار يطلب الملك عبد المدان . فعند ذلك قال شاس لزوجة ميسور يامولاتي هل يكون لي من هذا الاسر فرج * او ياتيني من هذا الضيق مخرج * فقالت لا والله الا ان يكون لك في الاجل تاخير ٠ او ترزق يداً غالبة تخلصك من المقادير ٠ او تبذل المال الكثير ٠ فعند ذلك قال لها شاس والله ياحرّة العرب ان لي اليد الطويلة والايسار ٠ ولكن على من يوصل خبري الى اهلي على بعد الديار . قال وبينما هما في هذا الكلام . دخلت عليهِ جماعةٌ من النساء كبدور التمام . وكان معهنّ امراة كبيرة كانها الناقة الوجناء . فسلمت على صاحبة الخباء . وقالت لها يا بنت العم من يكون هذا الفتى ٠ ومن اين اتى . فقالت لها هذا ابن الملك زهير سيد بني عبس وغطفان . وفزارة وذبيان . فلما سمعت المراة ذلك نظرت الى شاس وقالت لهُ انت ابن زهير بن جذيمة قال نعم يا ايها الحرّة الكريمة ٠ فقالت لله در امك ما انجبها فانتم عشرة اخوة اشقاء ٠ فقال شاس نعم ياسيدة النساء ٠ فقالت لهُ

وكيف وصل القوم اليك وقدروا عليك. وارى الشجاعة لايحة بين عينيك . فقال لها شاس والله ما قدروا عليَّ الا وانا تعبان . وما كان معي غير عشرة من الفرسان . فاخذوني بعد ما قتلت منهم عشرة شجعان . فقالت الله يسبب لك الخلاص ياوجه العرب لانكم والله قوم موصوفون في الشجاعة وعلو النسب . الا انهُ ليس عندكم شيءٌ من الفصاحة وفن الادب . فقال لها شاس ياحرة العرب وانتم من عندكم في بني قحطان . حتى تعيري بذلك بني عبس وعدنان . فقالت نحن عندنا امرؤ القيس الذي قصيدتهُ على البيت الحرام . يسجد لها كل من يدعي النثر والنظام . وهي التي في مطلعها الاول * وقف واستوقف وذكر الحبيب والمنزل * حيث يقول

قفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ *

بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ *

ولهُ بعدها افصح منها التي اولها

خليليَّ مرَّا بي على ام جُندَبِ لنقضي لبانات الفواد المعذبِ

الم تريانيَ كلما جيت طارقاً وجدت بها طيباً وان لم تُطيَّبِ

فقال لها شاس ياخالتاه نحن لنا عبد يرعي الجمال قد خرج فصيح اللسان والحقناهُ بانسابنا . وشاركناهُ في احسابنا يقول من الشعر ما لم يسبقهُ اليهِ احد من ارباب هذه الصناعة ولا يقدر ان يضاهيه في الفصاحة والبراعة . ولو كنا نعرف قدرهُ ونضعهُ في مكانهِ

Digitized by Google

لكان ساد وافتخر على جميع العرب بفصاحة لسانهِ وقوة جنانهِ وكان يصير اوحد زمانهِ. فقالت وقد اظهرت الفرح من كلامهِ وما الذى قالهُ عبدكم من نظامهِ. انشدني منهُ شيا حتي اقابلهُ بشعر غيره من العرب. وارى هل يستحق ما ادعيت لهُ من الرتب فانشد

لعوبٌ بالباب الرجال كانها اذا اسفرت بدرٌ بدا في المحاشدِ
شكت سقماً كيما تعاد ومابها سوي فترة العينين سقماً لعايدِ
من البيض لا تلقاك الا مصونةً وتمشي كغصن البان بين الولايدِ
كان الثريا حين لاحت عشيةً على نحرها منظومة فى القلايدِ
منعمة الاطراف خودٌ كانها هلالٌ على غصنٍ من البان مايدِ
حوي كل حسن في الكواعب شخصها
فليس بها الا عيوب الحواسدِ

قال الاصمعي فلما انشد شاس هذه الابيات تمايلت النسا طرباً وتبسمت العجوز عجباً. وقالت والله ان هذا من كلام ظرفاء العشاق . ولقد جمع والله هذا العبد بين الالفاظ الفصيحة والمعاني الرقاق. فلعل هذا الكلام من شعر عنتر بن شداد. الذي يحب عبلة بنت مالك بن قراد. فقال شاس اي والله ياخالة واراك عارفة بهِ فقالت نعم لاني سمعت بهِ في هذه المدة. وانا عند قومي في بنى كندة. فهل تزوج بعبلة ام لا فقال شاس لا والله. انا منعتهُ منها وظلمتهُ وبغيت عليهِ. فوقعت

في هذه النكبة جزاء عما اسات بهِ اليهِ . وقد عاهدت الله انني ان سلمت من هذه النوبة كنت عونا له على ما يشاء واقبل يديهِ ورجليهِ في الصباح والمساء . فقالت العجوز قاتل الله الظلم ما اسرع مجازاته واعظم مكافاته . واذ كنت على هذه النية فلا تياس من الحياة . ولا تفزع من حلول الوفاة . ثم خرجت العجوز من عنده بعد ما اوصت زوجة ميسور عليهِ واقام يعالل نفسهُ بلعل وعسى . الى ان مضى النهار وامسى المسا . وكانت هذه العجوز هي العجوز الكندية التي خلصها عنتر هي وبناتها الثلاث من سبى الصدام . حينما كان سايرًا الى البيت الحرام . وكان الحي الذي اوصلهم اليهِ هو حي هذا ميسور. الذي شاس عندهُ ماسور . وكانت العجوز قد سمعت بحديث شاس فدخلت عليهِ وتحدثت معهُ بذلك الكلام الرقيق وعادت وفي قلبها من اجلهِ نار الحريق لانها سمعت منهُ كل ما كان عنتر حدثها بهِ في الطريق فدخلت الى مضربها ودعت بزوجها الاشعث بن عباد واخبرتهُ بالخبر . وقالت لهُ قد وجدنا شيًا نكافي بهِ عنتر . لان هذا الرجل العبسي ان تخلص على ايدينا اعانهُ على زواج بنت عمهِ عبلة وكشف عنهُ ما شكاه الينا من الهم والدبلة . فقال الاشعث صدقت فانك نعم المشير . ولكن كيف يكون التدبير . فقالت تركب ناقتك وتطلب مكة وتعلم بهذا عنتر بن شداد . واتركهُ يدبر بعقلهِ كيفما اراد . فقال الشيخ والله لقد قلت الصواب .

واحسنت الجواب. ثم ان الشيخ ركب ناقته وسار من اول الليل فاندفقت بهِ مثل السيل. وبقيت العجوز بعده خايفة يجول في قلبها الوسواس. من ان يعود ميسور من عند الملك عبد المدان ومعهُ الاذن بقتل شاس. قال وبعد ثلاثة ايام قدم ميسور ومن معهُ من الفرسان. وحضر معهُ عشرة فوارس ايضا من خواص الملك عبد المدان. وكان ميسور بغاية الفرح والسرور. لانهُ لما وصل اليهِ وشاوره على قتل شاس قال لهُ اقتلهُ وخذ منهُ بالثار. واذا قدرت على ساير بني عبس لا تبقِ منهم من ينفخ النار. فعند ذلك عاد ميسور وقد زال عن قلبهِ الباس ومعهُ العشرة فوارس قد اتوا معهُ يتفرجون على قتل شاس. ولما نزل ميسور في ابياتهِ امر عبيده بذبح النوق والاغنام. وتصفيف أواني المدام. واخذ في طعامهِ وشرابهِ. مع خلانهِ واصحابه. ودعا سيد الحلة موهوب بن يزيد. وجمع السادات والعبيد. وقدم شاس الى بين يديهِ. وصار ميسور يشرب ويصب الفضلة عليهِ. وشاس يبكي من شدة الذل والهوان. لانهُ ملك من ملوك الزمان. وكان ميسور كلما راه يبكي ويقول لهُ ويلك لما طعنت اخي في صدره. فاطلعت سنان رمحك من ظهره. ما رحمت بكاء عيالهِ. ولا شفقت علي يتم اطفالهِ. والله لا اتركك تمام الاسبوع وانت مصلوب على الخشب. حتى تتفرج عليك جميع العرب. والاماء حوالك تضرب بالدفوف والمزاهر. حتى يعتبر فيك كل

غايب وحاضر . هذا والعجوز الكندية تسمع . وقلبها يتقطع . ودام الامر كذلك حتى اظلم الظلام . وتحكمت في القوم كووس المدام . وتفرق اكثرهم الي المضارب والخيام . وذهب موهوب سيد العشيرة الي اياته . وحوله جماعة من عبيده واماته . ونام ميسور بعد ما شرب حتى انقلب . وكذلك الذين معه من رجال العرب . وانطرحت العبيد من شدة التعب . وبقي شاس وهو فريد وحيد . وقد ذاب قلبه من الذل والغم الشديد . فاخذ في التعديد والنواح . لانه ايقن بالقتل عند الصباح . وانشد يقول

ترى في ظلام الليل مثلي محيّر ... غريب على اوطانه يتحسر
وعند ضياء الفجر تنهبهُ العدى ... ببيض حداد او بقساد فينحر
فيا نسمات الريح بالله عرجي ... على العلم السعدي عسى منك يخبر
يخبر قيسا والربيع وما لكا ... بحالي فلي عهد مع القوم يذكر
لعلي ارى منهم معينا وناصرا ... يخلصني ان كان قتلي يوخر
ظلمت بجهلي ابن عمي فقادني ... الي الظلم جبار على الظلم اقدر
فان كان لي عمر غسلت بادمعي ... اسافل رجليه ولا اتكبر
ترى يابني الاعمام اسمع في الدجى ... منادٍ ينادي او بشيرا يبشر
بان غبار الخيل قد ثار نقعه ... عجاجا ومن تحت العجاجة عنتر
وتصبح ارض القوم ترجف خيفة ... لهيبته والجو اقتم اغبر
علالة قلبي لا تصح وانما ... اعلل نفسي بالمحال واصبر

Digitized by Google

قال جهينة ياسادة وبقي شاس يحن حنين الثكلي . وينتظر الفرج من الرب الاعلي . فبينما هو يحدث نفسهُ وقلبهُ قد انفطر وذاب اذا هو بشخص قد اقبل وهو يحبو علي يديهِ ورجليهِ وعليهِ ثياب سود مثل لون الغراب . وهو يقول ابشر بالخلاص من هذا العذاب . ثم تقدم اليهِ . وفك القيود من رجليهِ . وقال لهُ قم واتبعني ياعبسي . فاني اليوم افديك بنفسي . قال الراوي فلما سمع شاس هذا الكلام . ظن انهُ في المنام ومن ساعتهِ ثبت نفسهُ وقام وصار يتبع الشخص الذي قدامهُ وقد سترهُ الليل بالظلام . حتي وصل الي اطراف البيوت . وهو حاير مبهوت . فادخلهُ الي بيت كبير هناك * فاحله فيهِ وقال لهُ ابشر بالسلامة من الهلاك هذا وشاس قد بقي حايراً من هذا الحال لايدري من فعل معهُ هذه الفعال ولما سكن روعهُ تفرس في ذالك الشخص فاذا هو العجوز الكندية التي دخلت عليهِ وناشدته الاشعار . فقال لها شاس وقد حار واخذهُ الانبهار . ياحرة العرب جزاك الله خيراً . ولا اراك سوءًا ولا ضيرا . وانا اشتهي ان ارجع سالما الي الاوطان . حتي اكافيك علي بعض هذا الاحسان . فقالت لهُ اما انت ياشاس . فما بقي عليك خوف ولا باس . واما الجميل الذي تريد ان تعملهُ معي اعملهُ مع ابن عمك عنتر بن شداد . وساعدهُ حتي يملك عبلة بنت مالك بن قراد . وهذا عهد عندك من الله رب العباد . انك اذا اجتمعت بهِ تقبل عني جبينهُ ويديهِ وتجازيه بالجميل

الذي تقدر عليهِ . ثم حدثتهُ بما اصابها مع الصدام بن سلهب في تلك القفار * وما فعل عنترٌ معها ومع زوجها من الجميل وكيف خلصها هي وبناتها من السبي والاسار ثم اعلمتهُ انها ارسلت زوجها الى مكة يعلم عنتر بما هو فيهِ حتى يدبر على خلاصهِ من الدمار ولكن لما علمت انهُ سيقتل من الغد لم يعد لها اصطبار . فاحتالت هذه الحيلة وسرقتهُ قبل ان يطلع النهار . قال فلما سمع شاس ذلك الكلام بكي ندماً علي فعلهِ مع عنتر . وهو قد فرح بالخلاص واستبشر . وقال في نفسهِ انظر يا شاس هذا صنيع عنتر وهو ابن امة معنا ومع العرب . ونحن نفعل معهُ هذه الافعال وندعى الحسب والنسب . والله ما هذا الا راي فاسد . وعمل ظالم وحاسد . والان احسب ان امي ولدتني من جديد . واترك ذلك الراي الباغي العنيد . ويلكَ يا شاس هل يوجد رجلٌ مثل عنتر . والله لقد نظر ابوك موضع النظر . ووالله انهُ يستاهل ان ياخذ عبلة واختي المتجردة . ولا تكبر عليهِ ملكةٌ ولا سيدة . ولو رضي بالمتجردة عوض عبلة . لخاطبت ابي في ذلك واعطيت مهرها من مالي . وعملت لهُ وليمةً من نوقي وجمالي . ولكن ان ساعدتني الاقدار لا بد لي ان ابذل في قضا حاجته المجهود . وارغم انف كل مبغض وحسود . قال الراوي ومن ذلك الوقت زالت بغضة عنتر من قلب شاس . وصار عنده اعزّ الناس . ثم ان العجوز اتتهُ بشيء من الزاد فاكل وطاب قلبهُ . وخفّ كربهُ والبستهُ

بعد ذلك ثياب النسا . وبرقعته واجلسته بين بناتها داخل الخبا
قال الراوي ولما انشق الفجر انتبه ميسور . وهو مخمور . وقام من
منامه . وعاد الى مقامه . ودعا من عنده من المولدات . وامرهن
بنقر الدفوف والمزاهر ولعلعة الاصوات . وطلب من العبيد احضار
شاس . حتى يعذبه قبل قطع الراس . فتبادروا الى المكان الذي
كان فيه شاس موثوقا فما وجدوه . ثم عادوا الى سيدهم ميسور
واخبروه . فلما سمع ميسور ذلك تنغص عليه صبوحه . وكادت
ان تخرج روحه . وانقلبت مقل عينيه . وكاد ان يغشى عليه . ثم انه
ركب وصاح في الرجال . فتفرقوا في جميع الطرق بين السهول
والجبال . وغاصوا في اقطار القفار . ثم عادوا في اخر النهار . وما
فيهم من وجد المفقود . ولا نال شيا من المقصود . فلطم ميسور
على وجهه حتي ادماه . وصاح من شدة حرقته وادم اخاه . قال
وكان فى الفرسان الذين اتوا معه من عند عبد المدان . رجل شيطان
في صورة انسان . خبير بنوايب الزمان . يقال له الشريد بن
هامان . فقال له ياميسور قم فتش على غريمك في هذا اليوم .
فانه ما زال فى هذا الحي بين ابيات القوم . واما الصواب انك
تفتش العشيرة . ولا تدع فى جميع بنات الحي لا صغيرة ولا كبيرة
فتكون انت تفتش الرجال ونساوك تفتش النسا والبنات
وتكشف براقع المخدرات . فلا بد ان تجد الغريم . بين الرجال
والحريم . وتبقى تذكرني بهذا التدبير في جميع الاقطار . وتورخها

في الكتب والاسفار. فاستصوب ميسور هذا الراي السديد ٠
واستاذن مقدم العشيرة موهوب بن يزيد واقام الى ان اصبح الصباح
فبدا التفتيش في البيوت والمنازل ٠ وقال له الشريد فتش انت
ودعني اخذ اصحابي واقف بهم على الطرقات واجعل عيني لكل خارج
وداخل. فقال له ميسور افعل ما بدا لك . وتم احسانك
وافضالك ٠ ثم ان الشريد اخذ في مكان قد عزم عليهِ من ربط
الطريق. واخذ اصحابهُ واوصاهم باليقظة وحسن الملاحظة
بالتدقيق ٠ فعلمت العجوز بما فعل . فالتهب قلبها واشتعل
ودخلت على شاس واعلمتهُ بذلك ٠ فارتجفت اعضاؤه وايقن
انهُ هالك. وقال كيف يكون التدبير ياخالتاه فقالت اصبر
ياشاس فترى العجب. ولا تياس من السلامة ولا تخف من العطب
ثم ان العجوز جاءت برجل كبير ٠ وغلت فيهِ شيئاً من العقاقير.
وعرت شاس من لباسهِ ٠ ولطختهُ من قدمهِ الى راسهِ. فاذا هو
اسود بصاص ٠ كانهُ عمود من الرصاص. والبستهُ زي العبيد
واخرجتهُ معهم امامها. وامرتهم بسوق المواشي قدامها. وسارت بهم
كانها طالبة المراعي وهي تجد كالساعي. وكان اول من التقاها في الطريق
الشريد بن هامان ٠ فلما راها عدل اليها وهو يسعى على قدميهِ
كالغزلان * فالتقتهُ العجوز وهي تقول لله درك ايها السيد وحق
ذمة العرب لقد احسنت التدبير ٠ وعملت عملاً ما سبقك
اليهِ احد من الحكماء المشاهير * وانا ارجوا ان الله يظفرك بهذا

العبسى الملعون حتى اشفى منهُ غليل قلبي المحزون لانهُ ما البسني السواد الا بنو عبس الاوغاد ٠ ثم ان العجوز مرّت على حالها طالبة المرعى والابل قدامها تسعى ٠ وقالت لشاس يافتى ان الحرس الذي كنت تخاف منهُ قد عبر ٠ ونجوت من المخاطر والحذر ٠ فانجُ الساعة بنفسك واطلب البيت الحرام واذا اجتمعت بعنتر فاقرا مني عليهِ السلام * قال الراوي فعند ذلك ودع شاس العجوز وسار هايماً على وجههِ في الفلاة * وهو لا يصدق بالنجاة * وجدّ في المسير حتى امسي عليهِ الليل * وقد تعب مما قاساه وقلّت منهُ القوى والحيل ٠ فقعد ساعة وقام ٠ وعدل عن الطريق ونام ٠ حتى مضى اكثر الظلام . فقام يسعى بطلب البيت الحرام ٠ الى ان تضاحى النهار ٠ وقد امن على نفسهِ من المخاوف والاخطار ٠ واذا بعشرة فوارس قد اعترضتهُ وتفرقت حواليهِ . وتقدم المقدم على القوم اليهِ . وتفرّس في وجههِ وقال يابني عمي واللـه هذا هو السلال الذي كان يدور في الليل حول الخيام والاطنــاب ٠ وسرق جوادي سكاب . ثم ان المقدم قبض على شاس وترك الحبل في عنقهِ كالاسير ٠ وصار يسحبهُ ويقوده كالبعير ٠ ويقول لهُ ويلك ياعبد السوء ماضنعت بالذي سرقتهُ اول مرّة . حتى كــررت ثاني كــرّة ٠ وحق الكعبــة الغرّاء . وابي قبيس وحراء ٠ لاخرنك من قفاك . ولاطيلن عذابك وبلاك . ويلك اين مضيت بالفرس ٠ التي سرقتها تحت الغلس ٠ فقال لهُ شاس ياوجــه

العرب والله ما انا سلال . ولا عبد ولا محتال . ولا اعرف هذا المقال . انا شاس ابن الملك زهير سيد بني عبس وغطفان . وقد وقعت في هذه الارض ولقيت ما لا يوصف بلسان . وبهذه الحيلة تخلصت من نوايب الزمان . ثم انهُ حدث القوم بما تمّ عليهِ في تلك السفرة . وكيف تخلص من القتل بحيلة العجوز وعناية القدرة . قال وما اتمّ شاس كلامهُ حتي وثب اليهِ فارس يقال لهُ غابق بن كليب ولطمهُ على وجههِ كاد ان يطير مقل عينيهِ . ويعمي ناظريهِ . وقال لاصحابهِ يا بني عمي هذا ابوه زهير قتل ابي . وتركني يتيماً وانا صبي . وقد سهل الله عليّ اخذ ثاري . وانا قريبٌ من دياري . فخذوا كل ما تملكهُ يدي وسلموني هذا العبسي لكي اكشف بقتلهِ عاري . فبينما القوم في الكلام اذا بالغبار من خلفهم قد ثار حتي سدّ منافس الاقطار . ثم انكشف ذلك الغبار عن رجل يجري كانهُ السحاب المرسل . او القضاء المنزل . وظهر من بعدهِ فارس . في الحديد غاطس . كانهُ قلة من القلل . او قطعةٌ فصلت من جبل . والي جانبهِ شيخٌ كبيرٌ راكبٌ مطيّه تسبق الرياح الغربيّه . فلما نظر القوم ذلك تاهبوا للقتال . ووقفوا ينظرون الي الرجل ويتعجبون من خفة جريهِ الذي لا يقدر عليهِ الغزال . فلما قرب منهم تفرس فيهِ شاس فعرفهُ انهُ شيبوب . والفارس الذي وراه اخوه عنتر البلا المصبوب وذلك الشيخ هو الكندي زوج المراة الكندية . التي خلصت

شاس من قبضة المنية. فلما راى شاس هذا المنظر. فرح واستبشر
وايقن بالسلامة من الخطر. ونادى ويلك يا شيبوب ادركني فانا
ابن ملككم شاس. وقد ضاقت مني الانفاس. فلما سمع شيبوب
صياح شاس صاح على اوليك الرجال. ورماهم بالنبال. وناداهم
ويلكم يا اولاد اللئام الانجاس. خلوا عن الملك شاس. قبل ان
يدور عليكم ملك الموت بالكاس. ولا يبقي منكم ذنب ولا راس
ثم نادى اخاه عنتر وقال يا اخي الحقني فقد قرب الله علينا الطريق
واراحنا من التعب والتعويق. قال وكان السبب في مجي عنتر
هو الاشعث بن عباد الكندي زوج العجوز الكندية. التي دبرت
لشاس هذا التدبير وخلصته من البلية. وذلك ان الشيخ لما
قصد عنتر بقي سايرًا حتى وصل الى البيت الحرام. في اربعة
ايام. واخذ يسال عن عنتر فارشده الناس اليه. فلما اجتمع الشيخ
به قص قصة شاس عليه. وكان عنتر قد نزل بوادي الحرم.
وقطع رجاه من بني عبس ومن ساير الامم. وصار يتسلى في الليل
باخيه شيبوب وفي النهار بالصيد والقنص. ويخفف ما بقلبه
من الهموم والغصص. وما زال كذلك حتى وصل اليه الشيخ
واخبره بما جرى لشاس. وانه خلاه على حالة الاياس. فقال شيبوب
من حيث القت رحلها ام قشعم. والله انه لاخي عنتر هو العدو
الاعظم. فلا خلصه الله من هذه الضربة. ولا فرج له كربة.
فقال عنتر لا تقل هكذا يا شيبوب فان شر الناس من حقد والظلم

اخرهُ الندم. فلا يامن عواقبهِ احد

قال فلما سمع شيبوب من عنتر هذا المقال * قال لهُ لله درك ما اطول هذا البال . الي كم تحمل نفسك هذه الاحمال الثقال * وتطرح نفسك في تخليص اعدائك . الذين احبهم اليك يتمني لك الهلاك فاقعد وارح نفسك من هذا التعب فقد كفاك مالقيت من الاهوال . وما حصلت الا على كثرة الاعدا ولاسيما من هولا القوم الانذال . والى كم تذل نفسك هذا الاذلال . والى كم تحتمل هذا الاحتمال * ويلك اليس لك قلب ولامرارة . وليس في بدنك حمية ولاحرارة . كم هذه المقاساة التي تذيب الحديد . وتفلق الجلاميد فعندها ضحك عنتر من شيبوب فقال لهُ يا خي الامال لاتنال الا بالصبر لان من صبر قدر ومن لج عثر اذهب قدامي وانظر ما افعل فوحياتك لا تركن كل اعداي اصدقا لي بفعالي . وادع صغيرهم وكبيرهم يقبل على رغم انفهِ نعالي . فتعجب الشيخ من سعة صدره وايقن بنجاح امرهِ . وسار الشيخ وعنتر وشيبوب يقطعون الارض حتى التقوا بشاس على تلك الحالة في ذلك المكان وقد وقع مع اوليك القوم وكانوا من بني الريان . ولما راهم شيبوب رماهم بالنبال . فمالوا اليهِ بالرماح الطوال . وقصدوه من اليمين والشمال . فصاح عند ذلك الي اخيهِ عنتر . واعلمهُ بالخبر . فحرك جوادهُ الابجر . وقوم بين اذنيهِ الرمح الاسمر . وصرخ صرخة تفلق الحجر وحمل مثل الاسد الغضنفر . وماوصل اليهم

Digitized by Google

حتي كان شيبوب رمى منهم ثلاثة بالنبال. وطرح عنتر في طرفة عين ستة رجال * ولم يسلم من القوم سوى فارس واحد . لانهُ كان تحتهُ حجرة سابقة ففرت بهِ كالغزال الشارد. واشتغل عنتر بشاس وترجل اليهِ . وحل كتافهُ ونزع الحبل من عنقهِ وانكب على قدميهِ . هذا وشاس مطاطي الراس من شدة الحيا . وقد غلبهُ البكا وما عاد يدري ان كان هو في ارض ام في سما . فقال لهُ عنتر ما بالك يامولاي لا اشغل الله لك سراً ولا ضيق لك صدراً . فما خلقت الرجال الا لمقاساة الاهوال . فقال شاس لا والله يا ابا الفوارس ما انا منزعج من اجل هذا الحال ولكن من اجل ما قابلتك بهِ من قبيح الفعال . فوحق البيت والاركان ان قتلي كان اهون عليَّ من هذا البغي والطغيان . ولكنني اقسم باللات والعزى والهبل الاعلى . انك لم تمكني مما اريد قتلت نفسي بيدي. وانهب بالحسام جسدي. فقال عنتر قل يامولاي ما بدالك حتى ابلغك امالك فقال شاس اريد ان اقبل قدميك. حتى اكون قد وفيت نذري الذي نذرتهُ ان اوصلني الله اليك . ثم انهُ انكب على اقدام عنتر يقبلها ويتذلل وعنتر يقسم عليهِ ان لا يفعل وينهاهُ فلا يقبل هذا وشيبوب يقول لهُ يا شاس نحن ما نريدك ان تقبل قدميهِ بل نريدك ان تزف عبلة عليهِ . فقال شاس اذا وصلنا الى الحي سالمين. فعلت ما قدرني عليهِ رب العالمين . ثم ان شيبوب عدل بهِ الى بعض الغدران . واغتسل من ذلك السواد وعاد بهِ

فالبسهُ عنتر من بعض ثيابهِ وقدم لهُ جواداً من خيول بني الريان ومشي في ركابهِ كما يمشي الجندي في ركاب السلطان * ثم اقبل عنتر علي الشيخ وقال لهُ يا مولاي خذ انت باقي هذه الخيول والاسلاب وعد الى اهلك . فجزاك الله خيراً على جميل فعالك . ولابد ان تقرا سلامي علي تلك العجوز التي ليس لها نظير . وتقدم لها الشكر على ما صنعتهُ مع مولاي شاس من حسن التدبير . فشكر الشيخ افضالهُ . وودعهُ ودعا لهُ ومضي طالباً عيالهُ . وعاد عنتر وشاس يطلبان الديار وشيبوب يدلهما علي الطريق . وهو منطلق قدامهما كحجر المنجنيق . وعنتر يحدث شاس ويسليهِ وشاس يحدث عنتر بما كان يقاسيهِ . قال ولم يزالوا يقطعون الارض حتى تنصف النهار واذا الغبار من خلفهم قد ثار . ثم انكشف عن خيل بني الريان يقدمهم اميرهم حسان . وكان سبب قدومهم الفارس الذي سلم على حجرتهِ ونجا من دون رفقتهِ . فانهُ وصل الي بني الريان وهو خافق الفواد . واخبرهم بما جرى علي اصحابهِ من سيف عنتر بن شداد . فعند ذلك صاح حسان في الرجال فركبوا وغاصوا في القفار واقتفوا خلف بني عبس الاثار . حتى ادركوا شاس وعنتر فاستبشروا بنوال الظفر . ولما وقعت العين علي العين صاح حسان . وطلبهم في من معهُ من الفرسان . ونظر شاس الي تلك الكتايب . فايقن بحلول النوايب . وقال في نفسهِ كم اهرب من الموت وهو لي طالب . فلما سمع عنتر كلامهُ تبسم

وقال يامولاي لا تزعج سرك . ولا تضيق صدرك . فلو كانوا الفين واكثر . فرقهم عبدك عنتر . ثم ان عنتر اشار الي شاس وهو ينشد ويقول

دع الخوف يامولاي عنك وطب قلبا
فدونك عبد اسود يقحم الحربا

وحقك لو كانوا الوفا لقيتهم ... وفرقتهم شرقا وبددتهم غربا
انا صورة الموت الذي من بدت له ... ولو في منام مات من خوفه رعبا
تطيع سيوف الهند كفي لانني ... اذا اشتد يوم الروع اشبعها ضربا

وسمر القنا عند العدى تشتكي الظما
وعندي تروى حين اغشي الوغى شربا

علام اقول السيف يثقل عاتقي ... اذا انا لم اركب به مركبا صعبا
ساحميكم حتى اموت ومن يمت ... كريما فلا لوما عليه ولا عتبا
انا عنتر العبسي فارس قومه ... اذا انتضت الفرسان اسيافها الحدبا
اكر على الابطال في حومة الوغى ... اهز بكفي الرمح والصارم العضبا
حصاني وقلبي كالجبال كلاهما ... وسيفي ورمحي ينهبان العدى نهبا

قال ولما فرغ عنتر من هذه الابيات اطلق عنانه . وقوم سنانه . واستقبل الخيل بطعن خارق . وضرب اشد من نزول الصواعق . وصارت الفرسان يتبع بعضها البعض . وعنتر يفرقها في الطول والعرض . وينكسها عن ظهور الخيل الي وجه الارض . هذا وشيبوب من وراه يرمي بالنبال . ويكفكف

Digitized by Google

الابطال . وفي اثناء ذلك وقع عنتر بحسان بن صفوان . مقدم
بني الريان . وهو ينخى الابطال . ويصيح في الرجال . ويقول
ياويلكم ما هذه البلية التي طرقتكم من فارس واحد والعار الذي
لبستموه عند كل قايم وقاعد . وبينما حسان يقول لرجاله هذا
المقال لم يشعر الا وعنتر قد ادركه مثل القضاء النازل . وصاح
فيه صوتاً كانه الرعد القاصف فارتجت منه المفاصل . ولم يلتفت الى
الصايح حتى كان عنتر طعنه في صدره . اطلع السنان من ظهره
وقال لشيبوب خذ هذا الجواد لمولاك شاس . وبشره بالنصر
وزوال الباس . ولما نظر بنو الريان الى الطعنة التي طعنها
عنتر لفارسهم حسان . تطابقوا عليه من كل جانب ومكان . وقصدوه
بالسيوف البارقة . والرماح الخارقة . وهو يبري بسيفه الرماح .
ويلتقي بترسه ضربات الصفاح . ويخطف الارواح . ويبدد
الاشباح . وشاس ينظر الى فعاله . ويتعجب من شدة قتاله .
فوصل اليه شيبوب بالجواد وبشره ببلوغ المراد . فركبه وابتدر الحرب
وباشر الطعن والضرب . وكان شاس من الفرسان المعدودة
فاقتحم الغبار . وخاض في الاعداء خوض البطل الجبار . هذا
وعنتر قد اقام الحرب على قدم وساق . وطوق بالدما الاعناق .
ولم يزل كذلك حتى اظلمت الدنيا واسودت الافاق . وعاد وقد
اهلك منهم مایة بطل . وشتت الباقين بين السهل والجبل .
وقال لشاس يامولاي ما كان هنا امر تتعب به نفسك وتتعرض

الخطر . فوحياة راسك لو طال النهار ساعة اخرى ما تركت
منهم من يخبر بخبر . فتبسم شاس من كلام عنتر وعلم انه يقدر على
ما يقول واكثر . وكان عنتر قد عول على النزول في تلك
الساحة . للمبيت وطلب الراحة . فقال شيبوب لاخيه عنتر
لا تنزل هنا يا اخي لانني خبير بهذه البلاد . ومنها سبانا ابوك
شداد . وقدامنا اذا طلبنا اهلنا على هذا الطريق . تعب شديد
وضيق . وانا خايف من بنى الريان الذين سلموا ان ينفروا علينا
القبايل . ويدركونا بالجحافل . وربما سبقونا الى باب المضيق .
ويبلونا بما لا نطيق . والصواب ان تتبعني حتي اسير بك في
عرض البر ونطلب بلاد اليمن . ونسلم من البلايا والمحن . ونعود
الى ديار بنى زبيد ونكمن فى شعابها . ونقضي الليل في رمالها
وهضابها . الى ان نخرج من اطراف ارض غباغب * ثم نركب
الطريق الاعظم ونعبر بين جبلي الخشاخش والتناصب * وننحدر
الي ديار بني ربيعة ومن هناك الى ديار بنى عبس وعدنان . ونستريح
من حوادث الزمان * فلما سمع عنتر هذا الخطاب سمع واجاب
وكانت الخيل معهم كثيرة فصاروا يغيرون الخيل . ويقطعون
الارض فى ظلام الليل . فما اصبح عليهم الصباح الا وهم قد ابعدوا
عن بني الريان * ولاح لهم وجه الامان . وصار شيبوب يسير بهم
فى عرض السير على غير طريق الي ان عبر المضيق فركبوا
الطريق الواضحة وجدوا المسير وامعنوا فى الجد والتشمير هذا

Digitized by Google

وعنتر متعجب من معرفة شيبوب فى البلاد . وخبرته في الشعاب والوهاد * فلما كان فى الليلة السادسة نزلوا على مياه بني غباغب واكلوا الزاد ولذ لهم الرقاد . ولما كان عند السحر افاق عنتر * وهو يتنهد ويتحسر * فسالهُ شاس عن حالهِ . وما سبب انزعاج بالهِ فقال يامولاي قد زارني طيف عبلة في الظلام . فنفى عني لذيذ المنام ثم عبثت بهِ بلابل الغرام * وجاش الشعر في خاطره فانشد يقول .

زار الخيال خيال عبلة في الكرى ... لمتيم نشوان محلول العرى
فنهضت اشكو ما لقيت لبعدها ... فتنفست مسكاً يخالط عنبرا
فضممتها كيما اقبل ثغرها ... والدمع من جفنيَّ قد بل الثرى
وكشفت برقعها فاشرق وجهها ... حتى اعاد الليل صبحاً مسفرا
عربيةٌ يهتز لين قوامها ... فيخالهُ العشاق رمحاً اسمرا
محجوبةٌ بصوارم وذوابل ... سمر ودون خبايها اسد الشرى
ياعبل ان هواكِ قد جاز المدى ... وانا المعنى فيكِ من دون الورى
ياعبل حبك في عظامي مع دمي ... لما جرت روحي بجسمي قد جرى
ولقد علقت بذيل من فخرت بهِ ... عبسٌ وسيف ابيهِ افني حميرا
ياشاس جرني من غرام قاتل ... ابداً ازيد بهِ غراماً مسعرا
ياشاس لولا ان سلطان الهوى ... ماضي العزيمة ما تملك عنترا

قال فلما سمع شاس هذه الابيات جالت في عينيهِ العبرات وندم على ما فات وقال لهُ يا ابا الفوارس طب نفسا وقر عينا فوحق البيت الحرام

وما فيه من الالهة العظام . لاخذن لك عبلة ولو انها تحت الارض السابعة او فوق السما الرابعة . وبعد ذلك ركبوا وساروا يقطعون الروابي والاكام . مدة عشرة ايام . فوقعوا في ارض يقال لها ذات الاعلام . فروا بها ستة هوادج على ستة جمال . وفوق كل هودج منها هلال . وعليها ثياب الديباج . مرصعة بالذهب الوهاج . وحولها زمرة من العبيد كلهم بالدرق والسيوف الصقيلة . وعليهم الثياب الجميلة وقدام الكل فارس عظيم الهيكل . كانهُ قطعة من جبل وهو يختال علي فرسهِ كانهُ احد الاكاسرة او بعض القياصرة * فقال عنتر لشاس انظر يامولاي الي هذا الفارس العابر في هذه الارض . وهو يقطعها في الطول والعرض . وليس معهُ غير عبد واحد . فوالله ما هو الا فـــارس مارد فقال شاس والله يا ابا الفوارس لايخلو هذا الفارس اما ان يكون عالي النسب . من ارباب المناصب والرتب اجبارًا من جبابرة العرب . الذين لايخافون من العطب . ولو لا انهُ مقدم علي عظايم الاهوال ما سـار وحيدًا في هذه الرمال احتقارًا منهُ بالرجال . وثقة بنفسهِ عند لقاء الابطال * والراي عندي انك ترسل اخاك شيبوب يسالهُ عن حالهِ . ويسمع ما يبدي من مقالهِ . هذا وعنتر قد تطلع الى جنبات البر فراي تلك الهوادج ترفل من خلفهِ . ويتلفت اليها ويهز عجبـا من عطفهِ . فقال لشاس يامولاي ان هذا الفارس قد ركب الغرور . والجهل قد اعماهُ حتى اطفا من عينيهِ النور . فان

مسيره فريداً يدل على احتقاره الرجال ، واستخفافه بالابطال وهذا مما لا تقبله انفس الجبابرة . ولو كان صاحبه من ملوك المناذرة ولا بد لي ان اتعرض له وارغم انفه وان تمرد اهلكته واخذت هذه الهوادج التي خلفه ثم قال لشيبوب تقدم اليه بالانذار وقل له يسلم نفسه قبل الهلاك والدمار ، فعند ذلك اطلق شيبوب ساقيه للريح ، وطلب عرض البر الفسيح ، وكان هذا الفارس قد نظر الى شاس وعنتر . وانكر مسيرهما وحدهما في البر الاقفر وراى شيبوب لما انفرد عنهما في طلبه . فعلم انه قادم اليه ليسأله عن حسبه ونسبه فقال لبعض عبيده ويلك انطلق الى هذا العبد المقبل الينا واعلمه من انا من فرسان العرب ولا تتركه يدنو الى الهلاك والعطب ، واستخبر منه ان كانت اصحابه من فقراء العرب يحضرهم اليّ حتى اهبهم شيأ من الفضة والذهب . وان كانوا من اهل البغي والطمع ، فقل له يردهم الى وراهم ولا يعرضوا انفسهم لسوء المصرع ، فعند ذلك تقدم العبد حتى قارب شيبوب وصاح عليه . الى اين ايها الساعي الى حتفه برجليه . والطامع في ما لا يصل اليه . فقال له شيبوب ارجع الى من ارسلك وقل له يسلم ما في يديه ، قبل ان يتمكن الحسام من وريديه . ويرى سهم المنايا نافذة من الدرع الذي عليه . فقال له ويلك يا عبد اللئام ، لقد اسأت الادب في الكلام ، والنيم تشرب كاس الحمام ، من يد هذا الفارس الذي تضرب به الامثال * وترتعد من هيبته فرايص

Digitized by Google

الرجال . فقال له شيبوب ويلك والى من ينتسب هذا الغلام * ومن يقال لهُ من السادات الكرام . والى اين انتم سايرون بهذه الهوادج العظام . فقال العبد اما نسب فارسنا فرفيع . وجانبه منيع واسمهُ روضة بن منيع . واما قصدهُ يا ابن الخالة فانه طالب ديار بني عبس يريد ان يخطب عبلة بنت مالك بن قراد . ويقتل ابن عمها عنتر بن شداد ويغمر قومها بالنعم والاموال لكثرة ما وصف له فيها من الحسن والجمال

قال الراوي وكان هذا الفارس شجاعاً . وقرماً مناعاً . وكان ابوه منيع لما مات خلفهُ صغيراً وترك له من المال شيا كثيراً . فربي فيهِ الى ان بلغ مبالغ الرجال . وضيع اكثر اموالهِ علي الابطال . وكان لهُ ابن عم يقال لهُ الاسموع بن دارع . وكان يبغضهُ لانهُ كان كلما راه يطلب الفروسية يحسدهُ ويشتهى ان يقتل في بعض الوقايع . وكان روضة كلما ذكروا لهُ الامارة بعد ابيهِ يقول انا ما اريد الا ان القي فارساً يقهرني في الميدان . حتى اكون عبداً لهُ علي طول الزمان . فسمعهُ ابن عمهِ الاسموع فصار يعرض لهُ بذكر حديث الفرسان . حتي اوصلهُ الي حديث عنتر بن شداد . وعشقهِ لعبلة بنت مالك بن قراد . وما قال فيها من الاشعار . التي سارت بها الركبان الي جميع الاقطار . وما في هذه الجارية من الحسن والجمال . الذي يسبي عقول النسا فضلاً عن الرجال . ويقول لهُ من قهر عنتر واخذ عبلة فقد افتخر وساد . علي جميع العباد .

Digitized by Google

فوطن نفسهُ وشدد عزمهُ على ذالك . واتي بسامهِ واخواتهِ حتى يخطب عبلة بنت مالك . واخذمعهُ كثيرا من الاموال . والهدايا والتحف الغوال . ولما نظره عنتر . انفذ لهُ اخاه كما ذكرنا ليستقصي منهُ الخبر . فعاد شيبوب وهو ضاحك يصفق بيديهِ . ويخص في الارض برجليهِ . واعاد ما سمعهُ من العبد عليهِ فضحك عنتر حتى استغرب . وقال يا للعجب . وحق ذمة العرب ان هذا الحديث يستحق ان يورخ ويكتب . على صفايح الفضة بماء الذهب . فقال شاس والله يا ابا الفوارس ان لكل منية سبب . ومنية هذا الغلام سببها الجهل الذي قاده الى العطب ثم ان عنتر قفز بالجواد حتى قاربهُ وناداه دونك يا وجه العرب ان الله قد قرب عليك الطريق . واعطاك السعادة والتوفيق . فلما سمع روضة كلام عنتر تبسم . وحرك الجواد نحوهُ وتقدم . ولما صار بازايهِ راى الشجاعة لايحة بين عينيهِ . والفروسية تشهد لهُ ولا تشهد عليهِ . فقال لهُ ايها الفارس من تكون من فرسان القبايل . فاني ارى للشجاعة عليك دلايل . فقال عنتر انا الفقير عنتر بن شداد . الذي تريد ان تقتلني وتاخذ ابنة عمي مالك بن قراد . فلما سمع روضة كلام عنتر عاد نحو الهوادج وهو يقول يا اماه ابشري فقد بلغت المارب . وتيسرت عليَّ المطالب . هذا عنتر ابن عم عبلة قد لقيتهُ هنا . وببركة دعاكِ قد بلغت المنى . فما تم الكلام حتى رفع سجف الهودج الاكبر . واخرجت امهُ راسها ونظرت الى عنتر . فقالت

من يكون هذا العبد الطنجير حتى يتعرض لبنات الحرائر العربيات وهل يستطيع ان يلقى مثلك من كرام السادات. فارجع اليه واقطع راسه بضربة واحدة . والحقه بدوارس العرب البايدة . فقال نعم انني اعجل اليه اقدامي . قبل ان يفر من امامي. وفي الحال رجع الى عنتر وحمل عليه وهو ينشد يقول

لما رأني زماني لان جانبه . وذل وانصرفت عني نوايبه
واو يعاندني عممت مفرقه . بمرهف الحد لاتنبو مضاربه
انا الذي تجدت سمر الرماح له . وسابقته الى جيش يحاربه
وصاحبته سيوف الهند جاهدة . كانهن بنوه او اقاربه
كم جحفل من حسامي فر منهزما . وحار في سعة الارضين هاربه
وكم قتيل تركت الطير عاكفة . على دماه ووحش البر طالبه
ياعبل سعدك وافى فابشري بفتى . يفني الزمان ولاتفنى مناقبه
ياعبل عبدك قد حانت منيته . على يدي وقد قامت نوادبه
فليفرحن ابوك اليوم مبتهجا . ويرقد الليل ما سارت كواكبه

قال الراوي فلما سمع عنتر شعر روضة زاد به الغيظ والحرد حتى كاد يفتق ما عليه من الزرد. وقال له قاتلك الله ما اجهلك. وما ابعد املك. فلعن الله يعضنا حملك. ثم قفز بالحصان اليه . وصمم بالحملة عليه . واجابه على شعره يقول

كم يبعد الدهر من ارجو اقاربه . عني ويبعث شيطانا احاربه
فيا له من زمان كلما انصرفت . صروفه فتكت فينا عواقبه

دهرٌ يرى الغدر من احدى طبايعهِ   فكيف يهنا بهِ حرٌّ يصاحبهُ
جربتهُ وانا غرٌّ فهذبني   من بعد ما شيبت راسي تجاربهُ
كم ليلة سرت في البيداء منفرداً   والليل للمغرب قد مالت كواكبهُ
سيفي انيسي ومهري كلما نهمت   اسد الدحال اليها مال جانبهُ
وكم غدير مزجت الماء فيهِ دماً   لجاء وحش البراري وهو طالبهُ
يا طامعاً في هلاكي رح بلا طمعٍ   ولا ترد كاس حتفٍ انت شاربهُ

قال الراوي وما اتمّ عنتر كلامهُ حتى صدمهُ روضة وصال معهُ وجال. فاستقبلهُ عنتر احسن استقبال. وقال اهلاً بخاطب للبنات وقاتل الرجال. وطاولهُ ساعة واظهر قدامهُ الكسل. فطمع فيهِ روضة وظنّ ان ذلك من باب الضعف والفشل. فمد الرمح اليهِ وحمل. وهو يقول انزل عن الجواد يا عبد السوء وترجل. قبل ان تشرب شراب الاجل. هذا وعنتر قد وقف بعيداً حتى قاربهُ فالقى الرمح من يدهِ. وجذب سيفهُ من غمده. ولما راه روضة قد رمى الرمح ظن انهُ يريد ان يسلم نفسهُ. فتلقاه بطعنة ظن انها تسكنهُ رمسهُ. وقال خذها من يد روضة الفرسان والان قد ظهر الشجاع من الجبان فجذب عنتر السيف اسرع من ارتداد طرفهِ وضرب بهِ رمح روضة فبراه من نصفهِ. وانقضّ عليهِ حتى حك الركاب بالركاب. وقال عيبٌ عليّ ان اشهر سلاحي على الكلاب. ثم لطمهُ بقفا يده على صدره. فالقاه عن جواده على ظهره. فغاب من تلك اللطمة وما افاق على نفسهِ حتى كان

شيبوب قد شدّ كتافهُ . واوثق سواعده واطرافهُ . وساقهُ الى بين يدي اخيهِ عنتر . كالثعلب قدام الاسد الغضنفر . فقال لهُ بارك الله لك في هذا الزفاف يا روضة الزمان . ويهنيك قتل عبد بني عبس وعدنان . والله لا اقتلك الا بهذه العصا فانك لست اهلا للسيف والسنان . فعند ذلك رمت اخواتهُ الخمس وامهُ انفسهنَّ من الهوادج وكشفن البراقع . عن وجوهٍ مثل البدور الطوالع . واكثرن من الصياح . والبكا والنواح . وقلنَ لعنتر يا فارس الزمان بحرمة جدك عدنان . ارحم تذللنا ووقوعنا في هذا المكان وان اردت ان تقتل هذا الفتى فاقتلنا قبلهُ حتى لا ترى عيوننا قتلهُ ثم تقدمت ام روضة اليهِ وجعلت تقبل يديهِ ورجليهِ . وانشدت تقول

يا فارس الخيل بالله ارحم الحُرما
وكن لنا من تصاريف الزمان حمى

وان عزمت على ما انت فاعلهُ   من قتلهِ فاسقنا من قبلهِ العدما
حاشاك تفجعنا في فارسٍ سمحت   بهِ الليالي وتبكينا عليهِ دما
لا قاك ظلما فعاد الظلم يتبعهُ   فارحم صباهُ وسامحهُ بما اجترما
انت الشجاع الذي ان سل صارمهُ   يوم الوغى نثر الاعناق والقمما
يا فارس الخيل يا من لا نظير لهُ   ارحم مذلتنا يا خير من رحما
ولو تفاخر اهل الارض كلهمُ   كانوا جميعهم ارضا وانت سما

ثم انعكفت اخواتهُ الخمس على اقدام عنتر وهن منشورات الشعور

ينادين بالويل والثبور . ويلطمن الوجوه ويقرعن الصدور .
وينشدنهُ الاشعار المبكية . ويقدمن لهُ الاستعطاف والترضية .
فذرفت من عينيهِ العبرات . واستحي من العجوز والبنات . لانهُ
كان مع شدة باسهِ رقيق الفواد . وكان حليماً لا يصبر علي
الغضب والعناد . فامر باطلاق روضة وقال لهُ من الان اعرف
مقدار نفسك بين الرجال . ولا تظن عنتر بن شداد مثل من
تعرفهم من الابطال قال الراوي كل هذا يجري وشاس قد اذهلهُ
حسن تلك البنات الابكار وتعجب من مروة عنتر . وقال في
نفسهِ والله ان هذه مروة السادات الاماجيد . وحرام علي عنتر
ان يدعي من العبيد . هذا وروضة قد تقدم الي عنتر . وقبل يديهِ
وتاخر وهو من ذنبهِ قد استحي واعتذر . وقال لهُ يا حامية بني عبس
وعدنان . ان الزمان يعطي الانسان كل يوم عقلاً جديداً ويردعهُ
عن الطيغان . وانا كنت بجهلي سايرا الي خطبة بنت عمك
الكريمة . لاني لم اعرف مقدار سطوتك العظيمة . والان قد
اتضح البرهان وعرفت انك فارس لا تقاس بالفرسان * ولا تثبت
قدامك مردة الجان وقد عولت انني اعود الى الاوطان وابث
مكارمك في كل مكان . وانا اريد ان تقبل مني ما احضرتهُ معي
هدية علي اسم عبلة . وانا احسب قبولهُ منة لك عليَّ من الجملة
ثم ان روضة قام الي بعض الجمال فابركهُ وانزل عن ظهره حقيبة
واخرج منها ثلاث حلل من الديباج . وفي كل حلة عقد من

الجوهر يضي كالكوكب الوهاج . فقال شاس يا ابا الفوارس اقبل
منه هذه الهدية وخذها لمن انت برسمها . فانها لا تليق الا لعبلة
التي حضرت علي اسمها . فقبلها منه وشكره واثنى عليه . وقبله
بين عينيه . وبعد ذلك ودع كل واحد منها صاحبه وعاد راجعا
الي بلاده . وقد ارغم عنتر انوف جميع اعدايه وحساده . ولما
ابعدوا في البراري والقفار اقبل عنتر على شاس وقال له الا ترى
يا مولاي ما قد شاع لعبلة من الاخبار . وكيف تكاثرت عليها
الخطاب . وتواردت اليها الطلاب . وكل ذلك من البغي والعناد
الذي وقع علي من بني زياد . فلو كانت دخلت في يدي لم يتعرض
لها احد من العباد . وكنا استرحنا جميعنا من هذا التعب والجهاد
فقال له شاس ابشر يا ابن العم بقرب الاجتماع وزوال الهم والصداع
عنتر فقبل يده . واثنى عليه وحمده . وساروا بقية يومهم وليلتهم الى طلوع
الشمس . فاشرفوا على حمى بني عبس . فقال شاس لعنتر يا ابا
الفوارس انفذ اخاك شيبوب يبشر اهلنا بقدومنا جميعا . وانا اعلم
انه لا بد ما يركب ابي واخوتي وباقي العشيرة ويخرجون لملتقانا
سريعا . ولا بد ان ينثروا الدراهم والدنانير عليك . اذا علموا
ان خلاصي كان على يديك . ويعلو قدرك عند العشيرة . ويكون
لك بذلك المنزلة الخطيرة . فاجابه عنتر الى ذلك الخطاب .
وقد علم ان رايه صواب . وامر اخاه شيبوب بذلك فسار . حتى
اشرف على الديار . ونادي باعلى صوته بين الناس . وبشرهم

بقدوم اخيهِ والامير شاس. وطلب ابيات الملك زهير والعرب خلفهُ متبادرة . وعلى اثاره سايرة . وكان الملك زهير قد لحقهُ على ولده شاس الوجد العظيم . وحرَّم على نفسهِ اللذات والنعيم . وكذلك ولده مالك فانهُ حزن على فقد عنتر . اكثر من فقد شاس اخيهِ الاكبر . وكان اذا خلا بنفسهِ عند المسا . يعدد عنتر كما تعدد النسا قال وكان الربيع قد توسل الى الملك زهير لاجل اخيهِ عمارة وتردد عليهِ مرارا عديدة . حتى اطلقهُ مما كان فيهِ من الحبس والضيقة الشديدة . وصار عمارة يقول وحق ذمة العرب لولا فقد شاس من الحلة . كنت بلغت ما اريد من عبلة . وفي اثنا ذلك قدم شيبوب على الملك زهير وسلم عليهِ . وقبل الارض بين يديهِ وقال لهُ يا مولاي قد وصل اخي عنتر ومعهُ سيدي الملك شاس وقد تخلص من القتل والاسر بعد الاياس . فلما سمع الملك زهير هذا الكلام طار فواده من شدة الفرح . واتسع صدرهُ وانشرح . وقال احقٌ ما تقول يا شيبوب . قال اي وحق علام الغيوب . قال فعند ذلك ركب الملك زهير واولاده . وحاشيتهُ واجناده . بعد ما خلع على شيبوب خلعة فاخرة . واعطاه العطية الوافرة . وسار وهو يقول وحق البيت والاستار . من خرج اليوم بلا نثار . قابلتهُ بما لا يختار . يا ويلكم اليوم قد عاد ملك بني عبس من جديد . وقرت عيون الموالي والعبيد . والله لولا حرمة الملك التي تجلت عليَّ . ما كنت التقيتها الا ماشيا على

Digitized by Google

قد مي . قال وشاع ذكر شاس وعنتر بين الخيام والمضارب وانقلب
الحي من كل جانب . وخرجت الحراير والاموات . ورقصت
الوصايف والمولدات . وقامت الافراح في ابيات شداد . ونزلت
الخمدة علي بني زياد . ومالك بن قراد . هذا وعمارة يقول لا
مرحباً با لقادمين . ولا اهلاً بالراجعين . عاد والله هذا العبد
الطنجير سالما من الاخطار . واتي بوجهه الكالح الى الديار . وما
يقنع زهير بعوديه حتى يامرنا ان ننثر عليه النثار . ثم ان عمارة ركب
خوفا من الملك زهير . وهو يقول لا بشرك الله يا شيبوب بخير
وما ابعد القوم عن الحي حتي اقبل شاس والى جانبه عنتر . كانه
احد تبابعة بني حمير . وكان اول من تقدم اليهما مالك بن زهير
وهو يقول يا قوم . هنوني بهذا اليوم . ثم اعتنق اخاه شاس وعاد
الي عنتر فسلم عليه . وصافحه وقبل راسه وبين عينيه وهو يقول
مرحبا بك يا ابا الفوارس . وصدر المحافل والمجالس . لا عاشت
الدنيا بعدك . ولا نامت بنو عبس فقدك . هذا وعنتر يقبل يد
مالك وقد تزاحمت الناس عليه وعلى شاس ونثرت الدراهم والدنانير
من الاردان والاكياس . وكان عمارة لما ركب اخذ معه شيئا من
الذهب واوصى عبيده ان يكونوا كلهم بين يديه ولا يفارقوه . وقال
لهم اذا رايتموني قد نثرت المال عليه اسبقوا انتم اليه وخذوه .
فاجابوه وامتثلوا . وكما امرهم فعلوا . ثم ان عمارة تقدم الى شاس
وعانقه واظهر انه فرح بعودتهما واستبشر . ثم اشار بيده يسلم علي

عنتر. وقال تهنيك العودة الى الاوطان. والسلامة من حوادث الزمان. ثم ان عمارة بعد هذا الكلام نفض كمهُ من الذهب وكان فيهِ فضلةٌ باقية. فالتقاها بيديهِ الثانية. وكان شيبوب ملاحظا لهُ فصار يقول لله درك ياوهاب. مثلك من ينثر المال على الاقارب والاحباب. فقال لهُ عمارة هذا قليل في حقك وحق اخيك عنتر. ولو بذلنا لكم مال كسرى وقيصر. ثم ان عمارة قال في نفسهِ كلما كسرنا انفسنا لهولاء العبيد كنا نحن الخاسرين. وكانوا علينا رابحين. ولكن لابد ما ندبر حيلة انا واخي الربيع. ونسعى في هلاك الجميع. قال وبعد ذلك تقدم مالك ابو عبلة الي شاس فصافحهُ وحياهُ بالسلامة وهناهُ فقال له شاس ان كنت يامالك مسرورًا بخلاصي كما تقول تزف عبلة علي عنتر * والاوحياة الملك زهير افلق راسك بهذا الحسام الابتر واتركك موعظة للبشر. فتبسم مالك تبسم الخجل. وقال يامولاي لاتحتاج الي هذا العمل لانه والله ما بقي له في قلبي بغضة ولا عناد. ولا بقي يرى مني الا المحبة والوداد فاني من بعده ما ارتفع لي راس. ولا صار لي قدر بين الناس والساعة ابنتي له امةٌ على حسب ما يريد. وانا له من جملة العبيد * وان شيت في هذه الليلة زففتها عليهِ * وسلمتها اليهِ * ثم ان مالك ترجل بعد ما انتهى من مقالهِ * وسعى الي عنتر يخبشهِ ومحالهِ. فلما راه عنتر رمى نفسه عن الجوادِ اليهِ. وضمه الى صدرهِ وقبل يديهِ فقال له مالك يا ابن اخي انت اليوم باعنا الطويل. وسيفنا

الصقيل. وما كنت افعل في حقك ذلك العناد . الا من وساوس الاعداء والحساد . وسعي ارباب الفساد . واما الان فقد مضى ما مضى وان شا الله نبدل الغضب بالرضى • وكان مالك في هذا الكلام يظهر الوفاء والوداد • ويخفي الغدر والاحقاد . وكذلك الربيع واخوه عمارة بن زياد . هذا وزبيبة ام عنتر . تعدو بين يديه وتتعثر . وهى تقول والله ياولدي ما اريد لك هذا الحال . ولا اريدك الا نصب عيني ترعى النوق والجمال • فان ذلك اهنا علي قلبي من هذه الفروسية التي ترميك كل يوم في المخاطر والاهوال ولما عادت الناس الى الخيام • امر الملك زهير بنحر الجمال والاغنام وترويج الطعام • وصنع الملك زهير وليمة عظيمة. لها قدر وقيمة وجمع اليها الحي من الخاص والعام. واشبعهم من الاطعمة والمدام وما زالوا علي ذلك مدة ثلاثة ايام • ولما كانت الليلة الرابعة كان مالك ابو عبلة عند شاس . فقام شاس على قدميه قبل انصراف الناس. وقال يابني عمي اعلموا انني من غداة غد اريد ان اهتم في عرس عنتر فمن كان له قرابة او صديق يدعوه ليحضر وانا شاس ابن الملك زهير عتيق سيفه . وامين خوفه . وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر . لاتركت شيا من مالي الا واحضره الي بين يديه . وما هو الا من بعض احسانه الينا ولا نمن به عليه. قال فلما سمعت اهل العشيرة من شاس ذلك المقال • قالوا كلهم مثلما قال . فقال عنتر يامولاي هذا لايسرني لاني لا اريد ان اكلف

عشيرتي. فان عندي من انعامكم ما يقوم بحاجتي. وقد بقي تحت
يدي من انعام الاكاسرة والمناذرة. ما يقوم بعرس احد القياصرة
قال الراوي ولما انقضت الوليمة عاد عنتر مع ابيهِ واعمامهِ وقد
البسهُ شاس حلة جهرمية. واركبهُ على فرس من جياد خيلهِ
العربية. وتفرق الناس الى المضارب والخيام. وكل منهم قد
هان عليهِ بذل ما في يده من الاموال حتى يبلغ عنتر ما يريد
من المرام. قال وكان عمارة كلما سمع هذا الكلام. يذوب من
قهره وتشتد بهِ الالام. وزاد بعبلة غرامهُ فصار يهذ بذكرها الليل
والنهار. ولا يقر لهُ من اجلها قرار. وكان اذا دخل عليه اخوهُ
الربيع يشكو اليهِ حالهُ وبلواهُ. ويتنهد متحسرا في شكواهُ. فيقول
لهُ الربيع والله يا عماره مالك في الفرج على يدي امل. الا ان
كان في التدبير والحيل. وهذا العبد وحق ذمة العرب ابغض
الناس اليَّ واود لواني اشوي على النار لحمهُ واشرب عوض
الماء دمهُ. ولكن اعيتني فيه الحيل والتدابير. وليس لي قدرة
عليهِ الا ان كانت تساعدني المقادير. على اني لا ازال اراقب
الفرصة في انقطاع اجلهِ. ولا ادعه يبلغ ما يروم من املهِ. ولما كان
عند الصباح ركب الملك زهير واولادهُ ليفتقد المراعي والغدران
ولما صار بظاهر الخيام تجارت خلفهُ الفرسان. فافتقدوا عنتر فما
وجدوا له خبر. ولا وقعوا له على اثره فقالوا لا شك انهم مالوا
عليه بشرب العقار. وقد عتبة من ذلك خمار ثم انهم ساروا الى

ان حي الحز . وهو جر البر . فعندها عاد الملك زهير الى المضارب والخيام . وتفرقت النـــاس لاجل الراحة واكل الطعام . وكان شاس واخوهُ مالك قد اشتغلت قلوبهما لغيبة عنتر . ولم ياخذهما قرار حتي انفذا الى ابياتهِ بعض العبيد لكي يكشف الخبر . فعاد الرسول وهو يقول والله يا مولاي ما اصبح للرجل في الحي لا عين ولا اثر . وقد سالت عمهُ عنهُ فقال انهُ مضي من عندي الي ابياتهِ بقرب السحر . وعند الصباح طلبتهُ انا واخوتي للركوب . فما وجدناه لا هو ولا اخوهُ شيبوب . وسالنا عنهُ امهُ فقالت اتي الي بيتي فجلس حتي خمدت النيران ونام كل نعسان . فنهض ونادي باخيه شيبوب فشد لهُ علي الجواد . وركب واخذ اخاهُ وسار ولا ادري الى اي بلاد وسالتهُ الي اين يريد الذهاب فما رد عليَّ ولا اجاب . قال فلما سمع شاس من عبده ذلك الكلام قال لعنك الله يا مالك ما اكثر محالك . وما اخبث اعمالك . فلا بلغك الله امالك . فقال اخوهُ مالك . يا اخي ماذا تقول في ذلك فقال اظن ان عمهُ اظهر لنا خلاف ما اضمر . حتي اغتر بهِ عنتر ولما راهُ قد اطمان اليهِ . وجعل اتكالهُ عليهِ . انفذهُ الي بعض الاقطار . واسلكهُ مسالك الاخطار . حتي ابعدهُ عن الديار . فقال مالك لعلهُ مضي لكي ياتي بما يتقوي بهِ علي وليمة عرسهِ . لانك تعلم شرف نفسهِ . فلا يريد ان يكلف احدًا من عشيرتهِ وابنا جنسهِ . فقال شاس وانت تعلم

شهامة عنتر فانهُ لا يبغي على احد . الا ان يكون مالك قد كلفهُ مالا يتيسر عنده ولا يوجد . او يكون قد عيره وطغاه . حتى غير عادتهُ وهواه . والصواب . اننا نعلم ابانا بمسيره . وننظر ما يكون من تدبيره قال وشاع هذا الخبر في الحي فشمتت الاعداء والحساد . واشتفت قلوب بني زياد .

قال الراوي وكان السبب في غياب عنتر من الحلة . عمهُ مالك ابو عبلة . لانهُ من حينما وصل عنتر مع شاس . صارت اصدقاءهُ جميع الناس . فما امكنهُ ان يعصي امر الملك زهير واولاده ويخالف بقية اعوانهِ واجناده . فاظهر الفرح والسرور . واضمر المكر والغرور . ثم قال لابنتهِ عبلة البسي بعض الذي اتى بهِ ابن عمك عنتر . وتزيني بعقود الجوهر . فانك تزفين عليهِ في هذه الايام . لان الامر قد بلغ المنتهى وما بقي لنا حجة ولا كلام . ففعلت ما امرها بهِ ابوها وصارت كلما دخل عليها عنتر تقوم اليهِ وترحب بهِ وتقبل بكليتها عليهِ . وتضحك في وجههِ . وتلاعبهُ بنية صادقة . لانها في محبتهِ غارقة . وكان عنتر اذا اتاها وهو سكران من المدام تزيده سكرًا بطيب الحديث والكلام . ودام الامر كذلك الى الليلة التى عاد فيها من عند شاس . فحضر الى بيت عمهِ وجاءتهُ عبلة بالكاس والطاس . ولما خلا بعنتر ابوها . وامها واخوها . شرعوا في ذكر عرسها ومتى يكون الزفاف . وماذا يصنعون فيهِ ومن يدعون من الاصحاب والاحلاف . فقال مالك لعنتر يا ابا

الفوارس انني قد بلغت بك المنازل العالية. وما بقيت اكتم عنك سرًّا ولا علانية. فانا قد اوجع قلبي كلام الملك شاس. بحضرة القيام والجلاس وقوله اعمل الوليمة من اموالنا. وانحر فيها من نوقنا وجمالنا. وانا لا اريد هذه السمعة والرنة. ولا اشتهي ان يكون لاحدٍ عليك فضل ولا منة فانا انحر جمالي وجمال اخوتي حتى لا نبقي لنا من ناقة ولا بعير. ونزيد على ذلك النوق العصافير. ولا نقف تحت جميل احدٍ من اهل الزمان. ولا يقال ان عنتر جبوا له وليمة عرسهِ من العربان. فقال له عنتر يا عمّاه قد سمعت مني جواب شاس. فان عندي ما يغنيني عن مساعدة الناس. فقال يا ولدي لا تغتر بما عندك من الاموال. فانك لا تدري كم تحتاج من المواشي والجمال. وكم يجتمع عندك من احياء العربان الذين تدعوهم والذين ياتون يهنونك من كل جانب ومكان. فوالله انهم يحتاجون ذبائح تملا الجبال والوديان. وخمرًا يملا الصهاريج والغدران فلا يكفيهم ما عندك وما عندنا وتحتاج الى منة العشيرة والجيران. وقد سمعت بعض الناس يقول ان الاجمل بعنتر ان يذهب وياتي بغنيمة. تكفي هذه الوليمة العظيمة. ولكن نخاف عليهِ. من سوء العاقبة الذميمة. لان الانسان لا يستوثق كل مرة ان تكون عاقبتهُ سليمة. وانا حين كانت نيتي خبيثة عليك كنت اريد ان القيك في مهالك الاسفار. واما الان فانني صرت اخاف عليك من ركوب الاخطار. قال فلما سمع عنتر هذا الكلام انقلبت عيناه

Digitized by Google

في ام راسهِ . وتكدرت جميع حواسهِ . وقال يا عماه لو كان لعنتر قلبٌ يعرف الفزع لما كان يرمي نفسهُ بين الالوف . ويتلقى بصدره الرماح والسيوف . وانا والله لو كانت الرجال مثل الجبال واجتمعت معها الجن والاغوال . لاقتحمت الجميع بسيفي الابتر . ودستهم بحوافر حصاني الابجر . واذا كان هذا الظن قد وقع عليَّ فلا بدَّ ان اخوض بحر المنايا بقدميَّ . لكي انفي عني هذه الظنون . او اشرب كاس المنون . فقال عمهُ يا ولدي قد اعجزتني عن الكلام . فلك الخيرة في ما تفعل والسلام . قال وكان عمهُ قد علم عبلة كلاماً تقولهُ لعنتر . فقالت لهُ يا ابن العم لا اجتمع بك الا ان تقضي اربي . وتبلغني طلبي . فقال عنتر ما الذي تريدين . وماذا تطلبين . فقالت اريد ان تفعل معي من المفاخر . كما فعل خالد بن محارب مع بنت عمهِ الجيداء بنت زاهر . فقال لها ابوها بمكره وخبثهِ دعي عنك هذا الهذيان . وشقشقة اللسان . من اين سمعتِ بهذه الخرافات التي تتحدث بها العربان . فقالت سمعت هذا الخبر من النساء التي جاءت تهنيني بقدوم ابن عمي عنتر فقال لها عنتر وقد تبسم وما الذي سمعتِ يا قرة العين . والروح التي بين الجنبين . وقالت يا ابن العم لما حضرت النساء عندي جرى بينهنَّ ذكر الاعراس . والولايم التي تصنعها الناس . فقالت احدى النساء ما عمل احدٌ وليمة وافتخر بها على البوادي والحواضر . الا فارس بني زبيد خالد بن محارب لما

Digitized by Google

زُفت عليهِ الجيداء ابنة زاهر. لانهُ نحر في عرسها الف ناقة ومائة سبع ومائة لبوة اصطادها بيده من الاغوار والانجاد. ودعا لذلك بني زبيد وبني خثعم ومراد. واقاموا ثلاثة ايام ياكلون الطعام ويشربون المدام. وما فيهم من حضر قدامهُ شيءٌ من لحم الجمال والنوق. الا وبينهُ قطعةٌ من لحم الاسود بين مشويٍ ومسلوق وكانت النوق والجمال كلها من مال غشم بن مالك بن همام الملقب بملاعب الاسنة العامري. ولما زُفت عليهِ الجيداء كان القايد بزمام ناقتها ليلة عرسها بنت معاوية بن النزال صاحب بلاد اليمن الحميري. فقال عنتر يا عبل ان كان هذا يحسب عندك انهُ امرٌ عظيم. فوحق زمزم والحطيم. ورب الخليل ابرهيم. لا جعلت القايد بزمام ناقتك ليلة عرسك الا الجيداء بنت زاهر. وراس خالد بن محارب معلق في عنقها كقلادة الجواهر حتى لا يبقى احدٌ في العرب يعادلك. ولا يفتخر عليك ولا يناضلك. فقال لهُ ابوها يا ابا الفوارس والله لاطاوعتك على هذا الحال ومن هو هذا الخبيث الذي نطق بهذا المقال. دعها تهذي ولا تحرك ساكناً حتى يفتح امرك. ويتم عرسك وينشرح صدرك. لانني ما بقي لي طاقة بالملك زهير واولاده. واذا غبت عن الحيّ ساعةً طالبوني بغيبتك وعاد امري بعد صلاحهِ الى فسادهِ. ثم ان مالك مال على عنتر بشرب المدام. وما زال يسقيهِ حتى انقضى اكثر الظلام. ورقد كل من في الحي ونام. وقبل الصباح سار

عنتر الى بيت لمه زبيبة فما قر له قرار . لان ذلك اضرم في قلبه شعل النار . فايقظ اخاه شيبوب وامره بشد الابجر فشده وقدمه الى بين يديه . فركب وسار وشيبوب في ركابه وهو لا يعلم بما قد عول عليه . ولما خرج من الحي وابعد عن الخيام . طارت من راسه كوس المدام . فقال له اخاه شيبوب الى اين عولت ان تقصد يا اخي في هذا الصعيد . فقال له اقصد بنا جبال طويلع ومنازل بني زبيد . وخذ بنا في اقرب الطرق ليكون وصولنا غير بعيد . فقال شيبوب يا اخي وما الذي تجدد في هذا الليل حتى خرجت اليوم . وماذا تريد من اوليك القوم . فحدثه عنتر بما سمع من الكلام . وشرح له القصة با لتمام . فلما سمع شيبوب هذا المقال قال له قاتل الله عمك واخزاه . ولا حنظلة ولا رعاه . والله ما علم عبلة هذا الكلام غير هذا الخبيث . والا فمن اين لعبلة معرفة بهذا الحديث . قال الراوي وكان السبب في هذا التدبير مالك بن قراد . والربيع بن زياد . لانهما كانا يتراسلان في هلاك عنتر الليل والنهار . ويعملان التدابير والاشوار . فعلم الربيع ابا عبلة هذا المقال . وابو عبلة حدث ابنته به وطغاها بالمكر والمحال . لانه اظهر لها ان ذلك رفعة لشانها . وشرف لمكانها . وهو على عنتر اهون من صيد الارانب . وايسر من اقتناص الثعالب . هذا وان عنتر سار وفي ركابه شيبوب . وهو مستبشر بقضاء المطلوب . ولا يعلم بما حكم به علام الغيوب . ولما ابعدوا في البيداء . قاصدين

بني زبيد والجيداء طاب لهم السير في تلك الصحاري. في جوانب تلك البراري . وتذكّر عنتر عبلة فهاجت بلابل افكاره . وصار يتنشق رائحة النسيم التي تهب عليه من ديارها وجاش الشعر في خاطره . وبلح بما انطوى في ضمايره . فانشد يقول

اطوى فيافي الفلا والليل معتكرٌ
واقطع البيد والرمضاء تستعرُ

ولا ارى مونساً غير الحسام وان قلّ الاعادي غداة الروع او كثروا

فحاذري يا سباع البر من رجلٍ اذا انتضى سيفهُ لا ينفع الحذرُ
ورافقيني ترى هاماً مفلقةً والطير عاكفةً تمسي وتبتكرُ
ما خالدٌ بعد ما قد سرت اطلبهُ بخالدٍ لا ولا الجيداء تفتخرُ
ولا ديارهمُ بالاهل انسةٌ ياوي الغراب بها والذيب والنمرُ
يا عبل يهنيك ما ياتيك من نعمٍ اذا رماني على اعدايك القدرُ
يا من رمت مهجتي من نبل مقلتها باسهمٍ قاتلاتٍ بروها عسرُ
نعيم وصالك جناتٌ مزخرفةٌ ونار هجرك لا تبقى ولا تذرُ
سقتك يا علم السعدي غاديةٌ من السحاب وروّى ربعك المطرُ
كم ليلةٍ قد قطعنا فيك صالحةٍ رغيدةٍ صفوها ما شابهُ كدرُ
مع فتيةٍ تتعاطي الكاس مترعةً من خمرةٍ كلهيب النار تزدهرُ
تديرها من بنات العرب جاريةٌ رشيقة القد في اجفانها حورُ
ان عشت فهي التي ما عشت مالكتي وان امت فالليالي شانها العبرُ

. قال الاصمعي ولم يزل عنتر سايرا حتى وصل الى ديار بني زبيد

Digitized by Google

وأكمن في بعض الاودية وانفذ اخاه شيبوب يكشف له الاخبار ويري من هو الذى حاضر في الحي من العبيد والاحرار . فمضي شيبوب وغاد عند المسا اليه وهو يقول يهنيك يا ابن الام فقد تيسر ما انت طالب . لان خالد بن محارب غايب . ومعهُ اكثر فرسان العشاير . وما في الحي اكثر من ماية فارس مع الجيدا بنت زاهر . فقال عنتر تكفي يا اخي فانها هي المطلوب . وغاية المقصود والمرغوب ولكن اما علمت اين سار خالد . والى اين قاصد . فقال بلى سالت عنهُ بعض العبيد . فاخبروني انهُ سار الى بني عامر ومعهُ معدي كرب فارس بني زبيد . وقد صحبهم قيس المكشوح المرادي في بني مراد . وخلفوا الجيدا في ماية فارس حامية الحريم والاولاد * وهي تركب كل ليلة في عشرين فارساً وتفتقد الطرقات . وتدور حول الحي من جميع الجهات . وما تعود الي الصباح خوفا منها على المكان . ان يدركهُ طارقٌ من بعض العربان . فلما سمع عنتر كلام شيبوب . انجلت عن قلبهِ الكروب . وقال بلغت وذمة العرب غاية المطلوب . وفي هذه الليلة اخذ الجيدا . ان خرجت كما ذكرت الي البيدا . وما اريد منك يا شيبوب الا اذا وقعنا بها ورايتني حملت عليها ان تمسك الطريق على فرسانها حتي لا يهرب منهم احدٌ ويخبر بخبرها ويدل اهل الحي على اثرها . وان قدم عليك احدٌ من الفرسان فاضربهُ بنبلة في فوادهِ . نكسهُ عن ظهر جوادهِ . وان فاتك احد واخبر

اهل الحى بواقعة الحال • قطعت يمينك بعد الشمال • فتبسم شيبوب من ذلك المقال • وقال ابشر يا ابن السوداء فانك تعلم ما عند اخيك من كيد الرجال • ثم اقاما في ذلك المكان حتى مضي النهار واظلمت انواره فخرجا من ذلك المضيق • وسارا على غير طريق • حتى قاربا الحلة واذا بخيل الجيدا . وقد اقلب ركضها تلك البيدا . والجيدا قدام الخيل وهى تذكر فعلها وافتخارها على ابناء جنسها • وتنشد في مدح نفسها • وتقول

غبار الخيل في البيداء كحلي وطعن صدورها في الحرب شغلي
وصيد الاسد في الغابات فخرٌ وتعظيمٌ لغيري لا لمثلي
لاني كل يوم في فلاها اروّع لبوةً بفراق شبلِ
وقد علمت جميع العرب اني الاقي في الكريهة الف فحلِ
وقد شهدت رماح الخط انى افوق بها على من كان قبلى
فمن يقوي عليّ اذا رانى اخوض الليل في وعرٍ وسهلِ
حويت الفخر دون الناس وحدي باقدامي وافعالى وبعلي

قال فلما سمع عنتر كلامها عرفها فقال لاخيه شيبوب هذا وقتك يا ابن السودا خذ انت في عرض البيدا حتى اهجم انا على الجيدا • فعندها اطلق شيبوب قدميه وسعي في عرضهم . حتى فاتهم وصار من جانب ارضهم . وركض عنتر بالجواد حتي ادرك الفرسان وزعق فيهم زعقة ادوت لها الوديان وصمم على الجيدا وكانت قد سمعت صوته فاستعدّت . وطلبت مكان الصوت وجدّت • فما

شعرت الا وهو قد عارضها وقابل جوادها وحاذاه ثم طعنه وترك الرمح مصلباً في حشاه وتركها مشغولة بنفسها وسل سيفه وانصب على اصحابها انصباب السيل ومال عليهم كل الميل . وفي دون ساعة قتل منهم اثنى عشر وعولت الثمانية على الهرب . فتلقاهم شيبوب بالنبال ونادى الى اين تذهبون يا انذال العرب ثم رمى الاول في فواده فنكسه عن جواده . وعارض الثاني فاقلبه . والثالث فكبكبه . والربع فاعطبه . وما زال يدوز حولهم كاللواب حتى اهلك الثمانية . ولم يترك لهم باقية . واما ما كان من الجيدا فانها وقعت الى الارض لما سقط جوادها . وبقيت ساعة مغشياً عليها وقد انصدع فوادها . ولما افاقت على نفسها قامت على اقدامها وسلت قايم حسامها . وقوت جنانها . وهرولت تطلب اوطانها وهي من اثر الوقعة مخبلة الاوصال . وتشتهي ان تعرف من فعل بها تلك الفعال . وما ابعدت عن موضع الوقعة حتى نظرت خيل اصحابها شاردة . فعلمت انهم هلكوا وما حصل لهم فايدة . فركبت بعض تلك الخيل . وعادت تطلب الحي تحت ظلام الليل . ولم تزل كذلك في هربها . حتى ادركت عنتر وهو عايد في طلبها . وهو يقول لاخيه شيبوب ادرك الجيداء قبل ان تقوم وتركب من الخيل الشاردة . وترجع الي القتال والمجاهدة فلما سمعت الجيداء هذا المقال . علمت انه هو الذي فعل بها تلك الفعال . فقالت هيهات يا كلب البيدا . خابت والله

Digitized by Google

امالك من الجيدا . وها هي قد عادت تسقيك كاس المنية ، وتجعلك ممددًا في هذه البرية . ثم نهضت كأنها اللبوة الفاقدة اشبالها

وصرخت صرخة الاسود في دحالها

وهجمت عليه تحت الظلام

واشهرت في يدها

الحسام

٠٠٠

الى هنا انتهى الكتاب

التاسع وسياتي تمام الحديث عن هذه

الواقعة في الكتاب

الذي يليه

Digitized by Google

الكتاب العاشر

من سيرة عنتر بن شداد بن معوية

بن قراد العبسي

وتضاربا اشد ضراب وتصادما اعظم صدام . واشتد بينهما القتال . وتزلزلت الارض بالزلزال . وتفصلت منهما الاوصال . وكل عما جرى بينهما وصف الوصاف . وخدرت منهما المناكب والاكتاف . وايقن كل واحد منهما بالتلاف . وجازا بالطعن والضرب حد الاسراف . هذا وشيبوب يدور حول اخيه . وعيناه من ناحية الحلة خوفاً من خيل تفاجيه . وما زال عنتر والجيدا في حرب وكفاح . الى ان اشرق الصباح . وكلت الجيداء وملت . وقلت قوتها واضمحلت غير انها اظهرت الجلد . واخفت الكمد وهي ترى انها تقتل ولا تسلم نفسها من شدة عزيمتها . وقوة همتها ولم يزل عنتر يقاتلها ويراوغها ويحاولها . حتى هجم عليها هجوم القضا . وقبض علي اطواقها وجذبها عن الجواد فالقاها علي وجه الفضا . وضربها بالسيف صفحاً فادارت يديها الي الكتاف وقد استرخت منها المفاصل والاطراف . فقال شيبوب لعنتر سر بنا يا اخي قبل ان يتعالى النهار ويصل الخبر الى المنازل . فيتبعنا الفارس والراجل . فقال عنتر ويلك يا شيبوب اين اغدو وانا فارس السهل والجبل . وكيف اعود الى بني عبس ولا ناقة معي ولا جمل . فاصبر حتى تسرح اموال القوم وناخذ

حاجتنا ونعود. ونكون قد بلغنا المقصود . ثم انهُ صبر حتى
انبسطت الشمس على المرعى . وخرجت المواشي تسعى . فدخل
عنتر في وسط المال . وساق منهُ الف ناقة وقطعة جيدة من
الجمال . وصاح في رعاتها وطرح السيف في اقفية حماتها . وامر شيبوب
ان يسوقها في الفلاه . ووقف عنتر حاميا لها وراه . قال وعادت
العبيد تصيح في جنبات القبايل . فركبت الفرسان على الخيول
الصواهل . ونفر منهم الفارس والراجل . وقالوا ياويلكم اين
الجيداء فقالت العبيد اما الجيداء فما نعلم لها خبر . واما الاموال
فقد ساقها فارس اسود اللون اغبر كانهُ من عفاريت مسفر . بعد
ما قتل جماعة من الرجال . ووقف ينتظر من يقبل اليه من
الابطال . ونقول انهُ اهلك الجيدا . وتركها طريحة في البيدا .
فقال لهم فارس من بني زبيد يقال لهُ جابر بن المختال . ويلكم ما هذا
المقال . ومن يقدر ان يقاوم الجيدا في القتال . وحق البيت الحرام
لو وقعت الجيداء بالف فارس مارد ما تركت يصل الينا منهم
فارسٌ واحد . وما هي الا قد اوسعت في البراري تطلب صيد
الغزلان . وتقتنص الاسود من الجبال والوديان . والصواب اننا
نكفيها مونة هذا الشان . ونتركها تتنزه على المروج والغدران .
ثم اطلقوا الاعنة متتابعين * فاشرفوا على عنتر من عشرة ومن
عشرين . فراوه متكيا على رمحه الاسمر * يحدق اليهم بالنظر .
وهو ينتظرهم كما تنتظر الارض العطشانة . وابل المطر . فصاحوا

بهِ ويلك من انت ايها الساعي الي الهلاك برجليهِ . والطامع في ما لا يصل اليهِ ويلك هذه اموال الشجاع الغالب واللبث الواثب الامير خالد بن محارب . فارس المشارق والمغارب . الذي اذل بسيفهِ فرسان الاعاجم والاعارب . اسلم بنفسك قبل ان تسمع بك الجيداء فتتركك طريحاً في هذه البيدا . فلم يرد عليهم عنتر جواباً ولا ابدى لهم خطاباً . لكنهُ قلب الرمح في يديهِ وتلقى بهِ صدورهم وطعن بسنانهِ نحورهم . وكانوا ثمانين فارساً صناديد . ومعهم جماعة من العبيد * فما تعالى النهار حتى بدد عنتر اكثرهم . وسقاهم من المنايا كاساً فاسكرهم . وانهزم الباقون في تلك القيعان وهم يقولون لا شك ان هذا مارد من الجان . وعاد يركض على اثر اخيهِ شيبوب خوفاً عليه . والدما تسيل من منكبيهِ فبينما هو كذلك اذا بغبار قد ثار من بين يديهِ . حتى حجب بصر عينيهِ . فقال في نفسهِ جاءت والله العساكر التي للقوم وستظهر مراتب الفرسان في هذا اليوم . ثم اطلق عنان الابجر . واسرع يكشف الخبر . واذا بشيبوب من قدامهِ يجري كانهُ السهم اذا انطلق . او البرق اذا برق . فارتاع من ذلك واستهال . وصبر حتى قاربهُ فقال لهُ ويلك اين الجيداء والاموال . فقال يا ابن الام اشغلني عن ذلك هذا الغبار . الذي تراه قد ثار . والعبيد الذين كانوا معي لما ابصروا هذا القتام . وقفوا عن السوق وصاحوا وطلبوني وهم يقولون اين تاخذنا يا ابن اللئام . وقد جاءتك فرسان بني زبيد . وخالد بن

محارب الصنديد . وارادوا القبض علىّ فنفرت منهم . ورميت منهم ثلثة بعدما ابعدت عنهم . ولا شك ان هذا الغبار يدل على جيش عديد . وانت في هذه البلاد رجلٌ وحيد . ولقد كنت عن هذا التعب كلهِ في غنى . لان قصدك الجيداء وقد حصلت لك ولو طاوعتني ما كنا وقعنا في هذا العنا . وانا اعلم ان طمعك لا بد ان يرميك في بحر ما له قرار . وابقى انا متحسرًا عليك الليل والنهار والان قد ظهر لنا هذا الغبار الذي تحته فرسان بني زبيد وخالد بن محارب الذي اسرت زوجتهُ . واحرقت مهجتهُ . وان فلتت الجيداء وملكت السلاح . واجتمعت مع قومها في الكفاح فماذا تقول هل نطير مع الطيور في السحاب . ام نغوص تحت الارض في التراب . فقال لهُ عنتر ويلك يا ابن الانذال وانت من هذا الحساب خليت الجيداء والاموال . والله لاريتك في هذا اليوم حربًا يذكره الى يوم المحشر . ثم اركض حصانهُ الابجر . بقلب اقوى من الحجر . وسل في يده سيفهُ الابتر . وسار الى ان اشرف على المال والجيداء . فراي العبيد قد حلوا اكتافهم وتبددوا في اقطار البيداء . وهم ينادون يا ال زبيد . ادركونا وخلصونا من هولاء العبيد . هذا والجيداء قايمة على ظهر الجواد وهى خالية من السلاح موثوقة بالجراح . فلما راى عنتر ذلك صرخ في العبيد ويلكم يا اولاد الانذال . ما لكم والقتال . ها قد اتاكم قابض الارواح . الذي لا يحمى منهُ السلاح . ثم ادركهم فطعن واحدًا منهم

في صدره . والثاني في نحره . والثالث القاه على ظهره . فلما نظرت
بقية العبيد هذا الحال . اجتمعوا وساقوا الجمال . وهم ينادون الامان
الامان . يافارس الزمان . ولما رأت الجيداء ذلك اطلقت العنان
وطلبت ذلك الغبار . تروم منه المعونة والانتصار . وتبعها عنتر
كالعقاب . وعزم ان يخوض ذلك البحر العباب . واقتحم نحوه
بقلب لا يخشى ولا يهاب . هذا والجيداء قد قاربت ذلك الغبار واملت
منه بالفرج . لانها ظنت انه موكب من حيها قد خرج . واذا
هو ينادي من فرد لسان . يا لعبس يا لعدنان . وكان هذا الجيش
من بني عبس والمقدم عليهم الملك زهير واولاده . وحوله سادات
قومه واجناده . وكان السبب في ذلك الامير شاس واخوه مالك
لانهما لما فقدا عنتر . تنغص عيشهما وتمرمر . وسالا ابا عبلة عنه
فما اعطاهما خبر . فدخلا على ابيهما واعلماه بما جرى فضاق صدره
غاية الضيق . واشتد بقلبه اللهيب والحريق وفي الحال دعا بشداد
سرا وسأله عنه فقال والله يامولاي ما عندي منه خبر . ولا بقي
يطلعني من احواله على اثر . بل ملكه اخي لاجل محبته لابنته . وانا اعلم
انه لا يزال به حتى يسقيه في بعض الاوقات كاس منيته . وقد
حرت والله في امري . وضاق لاجل ذلك صدري . فقال الملك
زهير وحق ذمة العرب . وحرمة شهر رجب . ان اصابه امر
لاصلبن اخاك وولده عمر * واشوي لحومهما على لظى الجمر *
فشكره شداد على ذلك الكلام . وعاد من عنده طالب المضارب

والخيام . ثم انفذ الى زبيبة ام عنتر . وقال لها اذهبي الي بيت اخي مالك واكشفي لي الخبر . واقام في انتظارها بعد ذلك لترجع * وتخبره بما تسمع * فسارت زبيبة تطلب ابيات عبلة الى ان دخلت عليها وجلست بين يديها ثم سألتها عن عنتر فاعادت عليها القصة من اولها الى اخرها * واطلعتها علي باطنها وظاهرها فلما رجعت زبيبة اعلمت شداد بذلك * فاستشاط غضبا على اخيه مالك * وقام من وقته ودخل على الملك زهير فرأى عنده اولاده الجميع وهم حواليه كانهم زهر الربيع . فاخبره بما سمع وبكى بين يديه وقال له وتمنة العرب ياMولاي ما بقيت ارى ولدي على طول المدى . ولابقي له خلاص من مخالب العدى . فقال شاس قاتل الله اخاك اللعين . فانه اخبث من الشياطين . وانا وحق البيت الحرام . لاتركت ان ينفذ له مرام . ولا بد لي ما اسير خلف عنتر برجال لايعرفون الموت * ولايخافون حلول الفوت . واخذ ثاره ان كان قد شرب كاس الردى * واجازي اخاك الخبيث على ما ظلم واعتدى . وان كان في الاسر كنت له الفدى فقال الملك زهير وانا ايضا لا اسير الا في جميع بني عبس وغطفان واعين ذلك الفارس الذي ما زال يدفع عنا البلايا طول الزمان ثم ان الملك زهيرا امر العبيد ان ينبهوا على الفرسان باخذ الاهبة للمسير الى ديار بني زبيد . ففعلت العبيد كما امر . واجابته الفرسان كلها الى ما ذكره فركب الملك زهير الي ارض البلقاء ونشرت على

راسهِ الرايات وتلاحقت بهِ الابطال والسادات . قال الاصمعي وكانت جريدة بني عبس اذا طلبوا الغزاة اربعة الاف فـارس فركب معهُ الفان . وترك مع ولده ورقاء الف فارس تحفظ النسا والصبيان . وكان الالف الاخر غايباً عن الاوطان وكان لما هم الملك زهير بالمسير تقدم اليهِ مالك ابو عبلة وقال ايها الملك ما هذا النفير . والى اين تقصد في هذا المسير . فقال لهُ زهير قـد عولنا على المسير الي هذه العقدة التي عقدتها عسى ان نحلّها او نخدمك ياشيخ النار . الذي يستحق الصلب والرجم بالاحجار . ويلك الى كم تحلف لنا وتكذب في الاقسام . وترمي هـذا الرجل في المخاطر العظام . ولكن ان رجعت سالماً فلابد ان اجازيك على اعمالك . واقابلك على سوء افعالك . ولا سيما ان كان قـد قتل فاني اقطعك الف قطعة . واشرب من دمك الف جرعة فقال مالك ايها الملك وانا ما ذنبي وما كان مني . وماذا بلغك عني . فان هذا الذي ذكرتهُ لهُ عبلة ما سمعت بهِ انا قبل الان . ولا نطق لي بكلمة منهُ لسان . ولكن النسا لعبن بعقلها حـتى تكلمت بهذا الكلام . وانا من ذلك الوقت اضربها واتهددها بالعذاب والانتقام . فقال شاس وحق ذمة العرب يامالك . لقد كذبت في ذلك . وعبلة ما طلبت منهُ هذا الطلب الا بتدبيرك ياكلب العرب . وانا اقسم بالله العظيم . رب زمزم والحطيم . لولا هيبة ابي وقاب عنتر لكنت اخذت راسك من بين كتفيك .

واعدت شوم تدبيرك عليك . ثم نهض شاس واخذ السوط بيده ونزل على اكتاف مالك واجنابه . حتى كاد يطحن عظامه ويقطع جميع اعصابه . وعرف الملك زهير ان ذلك الصنيع . كان بتدبير الربيع . فنهض واخذ السوط بيده وضرب الربيع حتى غاب عن رشده وسالت الدماء من خدوش جلده . وكل من كان حاضراً من الجماعة . خاف من غضب الملك فما تجاسر ان يقدم فيه شفاعة . وكان بنو زياد قد تجهزوا للسفر ومعهم مالك بن قراد . فردهم الملك زهير وقال اقيموا في الحي لاجل المحافظة على النسا والاولاد قال الراوي وبعد ذلك سار الملك زهير بمن معه كما ذكرنا قبل الان . وعاد مالك والربيع الى الحلة وهما يبكيان وينتحبان وكان مالك يبكي ما جرى عليه . ويلطم وجهه بيديه . ويقول والله ما بقى لنا بين هولا القوم مقام . ولا بد لي من الرحيل الى بلاد الشام واسكن هناك عند من يكرمون الصلبان . واترك عبادة الاصنام والاوثان . ولا اقيم عند قوم اذل عندهم واهان . فقال عمارة والله ان اقامتنا في القيود والاغلال . اهون من اقامتنا هنا على هذا الحال . فقال الربيع هذا كله فعله بنا زهير لاجل هذا العبد الادهم . فنحن نرحل عنه ونترك له الحي ونريه كيف يندم . اذا زلت به القدم . ثم ان الربيع واخاه عمارة ومالك بن قراد . وطايفة بني زياد . اجمعوا رايهم على الارتحال . فجهزوا الاحمال وجمعوا المواشي والاموال . وامروا العبيد ان تسوق الجمال .

فرحل مع القوم سبعماية بيت بالاموال والرجال . والنساء والاطفال
لان الربيع شيخ بني عبس وكبيرهم . ومدبرهم ومشيرهم فكان
يقارب الملك زهير في الشرف وعلو الشان . وقضى زمانه في
الكرامة ولم يلحقهُ ادنى هوان . ورحل مالك بابنتهِ عبلة . ومن
يالفهُ من اهل الحلة . وكذلك عروة بن الورد رحل معهم في
فرسانهِ . واخلافهِ وخلانهِ . وهم الذين كان لتقى بهم المصايب .
ويرد بهم النوايب . ومشى على اثر الجميع الربيع بن زياد . وهو
سخين العين منكسر الفواد . واما عمارة فلما راى عبلة قد خرجت
في الجملة . تعلقت امالهُ بالنجاح ونسي الحزن وكل ما فيهِ . وشكر
الله علي نكبة ابيها واخيهِ . وما زال الربيع سايرًا بهم تلك الليلة
المقمرة حتى اصبح الصباح فنزلوا للراحة واخذوا في المشورة .
فقال مالك ابو عبله الراي عندي اننا ننزل في ديار بني عامر بجوار
خالد بن جعفر . لان جيشهُ كثير العدد وارضهُ خصيبة جميلة
المنظر . فقال الربيع بل الصواب اننا ننزل على بعض المياه حتى
نسمع خبر عنتر وما جرى لهُ مع الجيدا وابن عمها خالد بن محارب
فان سلم كانت احياء العرب قدامنا والطرق مفتوحة من كل
جانب وان هلك فانا اعلم ان زهيرًا يندم علينا . فيرسل يطلبنا
لانهُ لا بد ان يحتاج الينا . ويقدم رسولهُ علينا * واكثر
ظني ان هذا الاسود لا يسلم من تلك البلاد ولو كان معهُ الهبل الاعلى
وجن الارض السفلى . فقال عمارة بشرت بالخير يا ربيع حق اللات

والعزى ان اصابته مصيبة او نكبة : قدمت نصف مالي الى الكعبة
قال الراوي ثم ان القوم ساروا الى ان دخلوا بين جبلين . في
ارض تسميها العرب ذات الجرجين . وكان ذلك المكان كثير
المراعي والمياه فنزلوا فيه . وسرحوا الاموال في نواحيه . هذا ما
جرى لهولاء واما ما كان من الملك زهير فانه سار في ذلك العسكر
حتى اشرف على عنتر . وكانت الجيداء قد هربت من قدامه لما
رات ذلك الغبار . وهي تظنه من الاعوان والانصار . فلما سمعت
نداء بني عبس علمت انهم قد حضروا نجدةً لعنتر في تلك الديار
فعند ذلك سلمت اليه وطلبت منه الذمام . فاذم لها على نفسها
من القتل والاعدام . وامر شيبوب فبادرها بالكتاف . وشدّ منها
السواعد والاطراف وبعد ذلك ترجل عنتر الى خدمة الملك زهير
واولاده وقبل الارض امامهم . وشكر فضلهم وانعامهم . وعنايتهم
واهتمامهم . وقال للملك يا مولاي ما هذه المشقة الشديدة . الى هذه
البلاد البعيدة . فقال الملك يا ابا الفوارس قد دعانا اليها
مسيرك وحدك الى بلاد العدى . وخوفنا عليك من اسباب الردى
ولو كنت اطلعتنا على هذا السبب . ما كنا احوجناك الى هذا
التعب . بل كنا عكسنا على عمك حيلته . ورفقنا عليك ابنته
وان ابي سلبنا مهجته . وكان الواجب عليك ان تشاورنا . ولا
تشغل بغيبتك خواطرنا . فقال عنتر ايها الملك ان ابنة عمي
اقترحت عليّ امراً هيناً وقد قضيته وبلغت المراد . واخذت الجيداء

على رغم الاعادي والحساد . وما هذه السفرة الا سفرة محمودة العواقب . ميسورة للمطالب . لاني بسعادتكم اينما توجهت افلحت . وكل امر سعيت فيه نجحت . لاني لما وصلت الى هذه البلاد رايتها خالية من الرجال . فبلغت الامال . وملكة الجيداء التي رعدت عبلة بها وسرت في طلبها . قال وبعد ذلك نزل الملك زهير في تلك المروج . وسرحوا خيولهم بها فكانت كالبحور تموج هذا وان الملك زهير مدّ بصره الى تلك التخوم . فراى الابيات منتشرة كالنجوم . والمواشي كانها قطع الغيوم . فقال يا ابا الفوارس اذ قد اتينا الى هذه الاقطار . فلا بد ان نلقي هيبتنا على اهل هذه الديار . وقد خطر لي ان نسير الى هذه القبايل نغتنم اموالها ونسوق نوقها وجمالها . لان خالد قد سار الى بني عامر . واتكل عند مسيره على الجيداء بنت زاهر . وما علم انها تقع في مخالب الاسد الكاسر فقال عنتر يامولاي الامر لك واليك . وليس لاحد اعتراض عليك . فامر الملك زهير بالغارة . وعند ذلك تبادرت الفرسان وانطلقت كالطيور الطيارة . ولمعت الاسنة في ايديهم كالكواكب السيارة . فلم يتركوا في تلك الديار . غير الطلول والاثار . واخذوا الرجال اسارى والعبيد والاماء اذلا حيارى . وكان الملك زهير قد اوصاهم ان لا يقتلوا الحرايم والبنات . بل العبيد والاموات . ولما راى كثرة المال والاسرى مصفدة بالقيود تهلل وقال والله ما عنتر الا رجل مسعود . وكل من يعاديه منكود

واقام الملك زهير في تلك المنزلة ثلاثة ايام ينحر الابل والنياق ٠
وفي اليوم الرابع رحل طالب الديار والاموال ماشية بين يديه
تنساق ٠ وقد سدت بكثرتها الافاق ٠ وعنتر يحدث الملك زهير
ويناشده الاشعار ٠ وهم يقطعون البراري والقفار ٠ هذا والجيداء
على جمل بازل وزمام جملها بيد شيبوب وهو يحدو ولها حدا المنصب
الطروب ٠ وما زالوا سايرين على ذلك المرام ٠ حتى بقي بينهم وبين
ارضهم ثلاثة ايام ٠ فعندها اصبحوا في بر واسع ٠ وقفر شاسع ٠
كثير الغدران والمناقع ٠ خصيب المراعي والمرابع ٠ فقال عنتر
للملك زهير يامولاي ما احسن هذه المواضع للقتال ٠ وجولان
الخيول تحت الرجال ٠ فقال زهير يا ابا الفوارس هذا يصلح
للماكل والمشارب ٠ وصيد الغزلان والارانب ٠ فقال عنتر يامولاي
انا ما الفت الا على القتال ٠ وملاقاة الابطال ٠ وصيد السباع
من الدحال ٠ فلا يخطر لي غير هذا ببال ٠ ثم اشار اليه بهذه
الابيات يقول

اسمعاني تحمحم الصافناتِ ... وصرير الرماح في اللباتِ
وحفيف النبال من كبد قوسٍ ... تقذف الموت من اكف الرماةِ
كل من طاش عاش عمراً ذليلاً ... تحت ظل الغبار والمرهفاتِ
ليس من همتي المجالس والقصف ... وليس الخمور من عاداتي
انما لذتي حسامي ورمحي ... وحصاني وخوذتي وقناتي
ولقاء الكماة في كل حربٍ ... تصطلي نارها قلوب الكماةِ

ليس يغني لبس الرجال حريرًا تنطوي تحته قلوب البنات
ان فخري لبس الحديد الى ان يلبسوني الاكفان عند الممات

قال فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام اخذه الطرب والهيام وقال لله درك يافارس الخيل . وخايض الليل . ثم انهم ساروا في تلك القفار . ساعة من النهار واذاهم بغبار من قدامهم قد ثار حتى سد الاقطار . ولاحت من تحته اسنة الرماح . وبريق الصفاح وبين ذلك عويل وصياح . وبكاء ونواح . فقال الملك زهير ياابا الفوارس هاقد اتاك ما انت طالب . ولا شك ان هذا عسكر خالد بن محارب وهذا البكاء والنوح الساير . هو من سبي بني عامر وما بقي غير الصبر على ضرب السيوف البواتر . والهجوم على هذه الاسود الكواسر . التي اهلكت سادات بني عامر . وفيهم مثل ملاعب الاسنة والربيع بن عقيل وجندح ابن البكا وغيره من حماة العشاير . هذا وقد نظرت فرسان بني عبس الى هذه العساكر التي سدت الافاق . فايقنوا ان ما بقي لهم من قيد الموت اطلاق . فعندها قال عنتر للملك زهير ايها الملك لا تضيق صدرك ولا تظن الا الخير فسوف ناتيك بالفرسان وهي الى بين يديك تساق . واعاديك في ذلة الاسر والوثاق . ونحن ما فينا من يتاخر عن طعن القنا وضرب البواتر . ولو انقلبت علينا الدنيا بالخيول الضوامر قال الراوي ثم ان بني عبس كمنوا العبيد الغربا الذين سبوهم من ديار خالد ووكلوا بهم عشرين نفرًا من الابطال حتى

لا يشغلوا قلوبهم وقت القتال وتقدم عنتر بين ايادي الفرسان . وهو منتظر الضرب والطعان . كانه الاسد الغضبان . فقال له الملك زهير يا ابا الفوارس تسلم انت امر القتال ورتب الرجال وكن من نحونا طيب القلب . فما فينا من يتاخر عن الطعن والضرب . ولو انقلبت علينا الجبال . في صور الرجال * قال الراوي فلما سمع عنتر ذلك المقال . وراه متاهباً للقتال . تقدم اليه . وقبل الارض بين يديه * وقال لا وحياة راسك ايها الملك ما خليتك تباشر قتالاً . ولا تحضر معنا حرباً ولا نزالاً ثم حلف عليه ورده ورد روس الخيل والجمال * وصف الرجال عن اليمين والشمال . وتقدم بين يدي الفرسان كانه مارد من مردة الجان . وكان هذا الجيش المقدم ذكره جيش بني زبيد . والمقدم عليهم خالد بن محارب وهو في جمع غفير من الابطال الصناديد . منهم قيس المكشوح المرادي ومعدي كرب فارس الخيل * وخايض الليل . فتحصن بنو عامر منه في الجبال ورفعوا اليها المواشي والجمال . وجمعوا النسا والامتعة والهوادج في رمال يقال لها رمال عالج وكان هذا من تدبير ملاعب الاسنة غشم بن مالك لانه وقع في قلبه من خالد هيبة عظيمة لما جرحه في النوبة الاولى وجرى بينهما ما جري هنالك . فصار يترك عليه العيون والارصاد وينفذ الجواسيس الى دياره . ويتوقع استماع اخباره . ويحذر منه في ليله ونهاره . ولما طرق خالد في هذه النوبة ديارهم وراهم

محترزين على انفسهم بعناية عظيمة * خشي أن يرمي نفسهُ بينهم فيتخذل ولا يظفر بالغنيمة فعند ذلك استشار بني عمهِ فقال لهُ بعض مشايخهم ياخالد ان اردت ان لا تقضي ايامك بالباطل ولا تعود بالحرمان . فاطلب ديار بني عبس وعدنان وقد اغنيت رجالك من النوق والجمال . والامتعة والاموال لانهم اكثر العرب مالاً . واحسنهم حالاً . قال فلما سمع خالد من ذلك الشيخ هذا الخطاب . راه عين الصواب . فرحل من ساعتهِ وسار طالباً ديار بني عبس حتى وصل الى ذات الخرجين وهو المكان الذي نزل فيهِ الربيع بن زياد . وعروة بن الورد ومالك بن قراد . ومن تبعهم من اهل الحي الذين كانوا معهم في الالفة والوداد . وكان اشرافهُ عليهم نصف النهار فراى خالد تلك المضارب . والخيول والجنايب فتعجب من ذلك غاية العجب . وقال لمعدي كرب يا ابن العم وحق ذمة العرب . وحرمة شهر رجب . اني طرقت هذه الارض مرارًا . وما رايت بها ديّارًا . وقد اشتهيت ان اعلم من نزل فيها من العربان واتخذها لهُ دارًا . فبينما هم كذلك اذا خيل بني عبس قد ركبت واطبقت من كل مكان . وهي تنادي يالعبس يالعدنان . وفي اوايلهم الربيع بن زياد واخوتهُ . ومالك بن قراد وعشيرتهُ . وعروة بن الورد وجماعتهُ . وكانوا الكل سبعماية فارس من الابطال الاشاوس . وانبسطوا في الصحرا . ونادوا بذلك الندا فلما سمع خالد ذلك الندا مال بجيشهِ اليهم . وكرّ بصولتهِ عليهم

وهو ينادي يا اولاد اللیام . انتم القصد والمرام . وان شاء الله يكون هذا اليوم عليكم اخر الايام . ثم انه بادرهم بالقتال . ودارت بهم من اليمين والشمال . وسالت عليهم الرجال . مثل العارض الهطال . وعملت الصوارم الصقال . في المناكب والاوصال . ونفذت من الصدور الرماح الطوال . وصال خالد عليهم واستطال . وقاتل الربيع بن زياد اشد قتال لانه كان من الفرسان الذين تضرب بهم الامثال . وكذلك عروة ومن معه من الابطال وبذلوا ارواحهم للاسنة العوال وايسوا من العودة الى الاطلال فما امسى المساء وغابت الشمس حتى هلك نحو ثلثماية نفر من اصحاب الربيع وباقى عبس . واخذوا الباقين اسارى فى القيود والاغلال وسبيت النساء والبنات والاطفال . وعلا منهم البكا . وكثر الانين والاشتكا . وكان اكثر العويل والتعداد . عند عبلة بنت مالك بن قراد . لانها ندمت على فعلها . وعلمت ان اباها اراد قتل عنتر لاجلها . وبان لها ان اباها كان يحتال . حتى القاها الى الهلاك والوبال . والقى عنتر في المخاطر والاهوال . قال الراوي وكانت عبلة من حين نزلوا فى ذلك المكان ماشبعت من الطعام ولا تهنت بمنام . لانها سمعت ان اباها يريد ان يزفها على عمارة بن زياد عن قريب . فصارت تندب الليل والنهار وتقضى ايامها بالبكا والنحيب . هذا وخالد قد راى عبلة وهي اعظم النساء حسرة . واشدهن بكاء وزفرة . فسالها عن حالها فنادت باسم

عنتر . وهي تتلهف عليهِ وتتحسر . فقال خالد من تكون هذه الجارية . ومن هو ابن عمها عنتر الذي هي باسمه داعية . فعند ذلك اطلعوه على جلية الخبر . وقصوا عليه قصة مسير عنتر . وقالوا انهُ ذهب لياتي بالجيداء خادمةً لعبلة ليلة زفافها عليهِ . وقايدةً بزمام ناقتها اليهِ . ومن اجلها وقعنا في هذه البلية واصابنا هذا العنا . لأن الملك زهير غضب على ابيها فطارده ونحن خرجنا معهُ ونزلنا ها هنا . وسار الملك زهير واولاده في بني عبس اليه . خوفا منك ان تسطو عليهِ . لانهم يعلمون شدة باسك . وكثرة اناسك . قال فلما سمع خالد هذا الكلام . صار الضيا في عينيهِ كالظلام . وقال ياويلكم وزهير الساعة في ديارنا . ونحن قد ابعدنا عن اقطارنا . فقال الربيع نعم قد مضى ليكشف عن عبده عنتر . والقى نفسهُ واولاده لاجلهِ في الخطر . فقال خالد ومن في دياركم من الرجال : لاجل حماية العيال . فقال له هناك ورقاه بن زهير في الف فارس . قد اقام بهم هناك كالحارس . فعند ذلك اشتعلت في خالد نار الغيظ والغضب . وقال وحق ذمة العرب ان هذا الحديث ينبغي ان يكتب . بماء الذهب . وما قدَّره الله الا ليكون لقلع بني عبس اعظم سبب . ثم انهُ استدعى معدي كرب فارس بني زبيد . وضم اليهِ الف فارسٍ صناديد . وقال له يا ابن العم اقصد ديار بني عبس واقتل فرسانها واجنادها . واستاسر حريمها واولادها . ولا تترك في احيابهم من المضارب

Digitized by Google

الا اوتادها . حتى اسير انا الى زهير بن جذيمة . واجعلهُ مع اصحابهِ لوحش البر وليمة . قال الراوي فعند ذلك سار معدي كرب طالباً ديار بني عبس وعدنان . وسار خالد طالب الملك زهير ومن معهُ من الفرسان . قال وما زال خالد يجد السير في الليل والنهار . ولا ياخذهُ قرار ولا هدوءٌ ولا اصطبار . وكلما تذكر قول مالك بن قراد لعنتر بن شداد . انهُ لا يزف ابنته على عبده الطنجير الا والجيدا قايدة بزمام البعير . يضربه بالسوط على راسهِ واكتافهِ ويثني على ولده عمرو لانهُ من احلافهِ . وعمارة يرى ذلك المصاب . ويحسب لنفسهِ الف حساب . وكان الربيع قد انجرح ثلاثة جروح مشبعة . لانهُ قاتل قتالاً عظيماً في تلك المعمعة وكذلك عروة بن الورد كان مجروحاً ودمهُ قد خضب سرج الجواد . وحلف انهُ ان سلم لا يصاحب بني زياد . قال وكان عروة كلما سمع مالك بن قراد يصيح من الم الضرب يقول لهُ تستاهل هذه الشدايد . هذا جزاءُ من يزوج ابنتهُ كل يوم بواحد . فالله لا يفرج عنك . ويريح الدنيا منك . فانك قد صرت سبباً لخراب بني عبس . وعسى خالد ان يقطع راسك قبل طلوع الشمس . وكان خالد بن محارب كلما تذكر كلام مالك وسوء فعلهِ . يشتد غضبه فيضربهُ على راسهِ تارةً بالعصا وتارةً بنعلهِ . واذا ترجل يلطمهُ بيدهِ ويرفسهُ برجلهِ . حتى رضَّ المفاصل منهُ والضلوع . وتلبدت لحيتهُ مما سال عليها من المخاط والدموع . هذا وما لك

يلتفت الى عبلة ويقول لها يا الخناء كل هذا قد اصابنا لاجلك . وقد جلبت العذاب على ابيك واهلك . فقالت بل انت جلبت العذاب علينا وعليك بغدرك . وخبثك ومكرك . وخروجك عن الطبيعة الانسانية . حتى كانك من وحوش البرية . وكيف تعاند من لا تساوي حصاة تحت رجله . ولا قطبة في نعله . وله صيت يقلق الحجر . عند كسرى وقيصر . ولو التقاك انت وجميع بني زياد بالعصا . لكان يفتتكم بعصاه كالحصي . وياخذني رغما عن انوفكم . ولا يخاف من رماحكم وسيوفكم . ولكن شرف نفسه يمنعه من ذلك . فكان يلقى نفسه في المهالك . هذا ولما اشتفي قلب خالد من مالك سار طالبا ديار قومه يقطع البيداء . وجد في المسير وقلبه على الجيداء . وكانت الاسارى والسبايا تساق بين يديه كقطعان الجمال فجاش الشعر في خاطره وقال

اذا ما النقع ثار على الجبال ... وانجلت الكماة عن القتال
ابدت سراتها في كل قفر ... وخلفت النواح على العيال
جلبت الخيل شعثا ثم غبرا ... ثقالا بالحديد وبالرجال
عليها كل جبار عنيد ... شديد الباس مفتول السبال
فولوا عند اقبالي وفروا ... فرار الوحش من اسد الدحال

قال الراوي وكانت عبلة اكثر السبايا حسرة واعظمهن بكاء وزفرة وهي تنادي وا حسرتاه وا ابن عماه لا ابعد الله دارك ولا غيب عنا اثارك . فصاح فيها خالد وقال ويلك ومن هو ابن

عمك الذي باسمهِ تنادي. وقد صدعت بصياحك فوادي. فلا كنت ولا كان ذلك العبد الطجير. الذي مشفرهُ كمشفر البعير. وانا اسال الله ان يجمعني بهذا العبد الطنان. حتى اضربهُ ضربةً اطير راسهُ الى ديار بني عبس وعدنان. واجعلك خادمةً لابنة عمي الجيدا. تسقينها الحليب في الصباح وتقدمين لها الطعام في المسا فقالت عبلة سوف ترى من تخدم الاخرى اذا بقيت حيًّا بعد ان تلتقي بعنتر. وسلمت من ضربة سيفهِ الابتر. قال فعند ذلك اعرض عنها ولم يلتفت اليها وسار وهو يضحك عليها وما زال سايرا حتى اشرف على جماعة الملك زهير وعنتر. فعند ذلك ارسل الملك زهير فارساً من قومهِ يكشف لهم الخبر. فاطلق ذلك الفارس العنان في ذلك البر الاقفر. ولما راى خالد انفراد ذلك الفارس قال لبني عمهِ يا بني عمي ها قد انفذ الملك زهير يطلب منا الامان. ويسالنا في اطلاق النساء والصبيان. وانا وحق ذمة العرب الكرام ما اجيبهُ الى ما يريد. ولا بد لي ان افني هذه القبيلة قريباً غير بعيد. ومن اسرتهُ منهم تركته مع جملة العبيد. الا ان يكون عنتر عبد شداد. فاني اصلبهُ على رووس الاعواد. غير اني اخاف ان يهرب من املي. فلا ابلغ منهُ مرامي ولكن انتم لا تزالوا تراقبونهُ اذا هرب حتى تسدوا عليه كل مذهب ولا تقتلوهُ فاني اريد ان اعذبهُ اشد العذاب ثم اصلبهُ على الاخشاب. ثم اطرح لحمهُ للكلاب. ليكون عبرةً للناس الى يوم

الذكة والحساب . ثم قال لبعض فرسانهِ يابني عمي يتقدم منكم فارسٌ الى هذا العبسي ويسمع ما يقول وإن كان هو من الحي الينا رسول . فاسالوه عن الجيدا ان كان عندهم عنها خبر . لاني علمت انهم ما وصلوا الى الاموال والنعم الا والجيداء قد اصابها الضرر قال ولما انتهى خالد من كلامهِ وثب واحد من فرسانهِ كحجر المنجنيق . حتى التقى بذلك العبسي في نصف الطريق . وقال لهُ ما بالك ايها الجاني على نفسك . والساعي الى حلول رمسك . قل ما بدالك . قبل ان اقطع اوصالك . فقال العبسي ياوجه بني زبيد ما الحاجة الى هذا التهديد . والوعد والوعيد . فانا ما اتيتكم الا مستخبراً ومبشراً . ومحذراً ومنذراً . فقال لهُ الزبيدي بماذا تبشرنا . ومن ماذا تحذرنا . فقال العبسي اما بشارتي لكم فاننا غزونا دياركم وسبينا نساكم وعيالكم * واخذنا نوقكم وجمالكم * واغتنمنا ذخايركم واموالكم . واما تحذيري لكم فمن سيوف لا تنبو * وخيول لا تكبو * ورجال لا يهابون الموت الاحمر . منهم سلطان الفوارس عنتر . الذي يقدّ بسيفهِ سدّ الاسكندر . واما استخباري الذي انا من اجلهِ حاضر فعن هذا السبي من اين وصل اليكم وانتم كنتم في بني عامر . فقال الزبيدي وصل الينا من توفيق الكريم الواهب وسعادة سيدنا خالد بن محارب * ثم ان الزبيدي حدث العبسي كيف انهم ساروا الى بني عامر وكيف تحصنوا منهم في الجبال والكثبان وكيف ساروا طالبين بني عبس وغطفان . وكيف

وقعوا بالربيع بن زياد واخوتهِ . ومالك بن قراد وابنتهِ . وعروة بن الورد وجماعتهِ . ومن قتلوا ومن اسروا من الفرسان . وكيف سار معدي كرب في الف فارس الى ديار بني عبس وعدنان . ثم قال وبعد هذا اسالك هل عندك من الجيداء خبر . هل وقفت لها على اثر . فقال له العبسي هي اسيرة معنا تقاسي الذل والعنا . وجراحها تذرف بالدما . فقال الزبيدي ومن اسرها من الناس . وهي تقارب ابن عمها في شدة الباس . فقال العبسي اسرها حية بطن الواد . عنتر بن شداد . الذي يقطع سيفهُ ارم ذات العماد . وتتزلزل زعقاتهُ السبع الشداد . وكانت قدامهُ كالارنب قدام سبع الغاب . ولو اراد قتلها كان اهون عليهِ من جرعة كاس الشراب . ولكنهُ قصد ان ياسرها لغاية في نفسهِ ستعلمونها عند مباشرة عرسهِ . وهو قد طرق دياركم وحده . والجيدا كانت مراده وقصده . ولما علمنا بمسيره لحقناه . واسرعنا في المسير حتى ادركناه . وبسيفهِ نهبنا اموالكم وخربنا دياركم . وسبينا حريمكم وقلعنا اثاركم . وتركنا ارضكم خاوية تحوم فيها الذياب الضارية . واخذنا الجيداء بنت زاهر وسابقة بنت عبد اللات وكلثوم بنت عمير . وخرجنا تحت ظل سيف الامير عنتر وراية الملك زهير . فلما سمع الفارس الزبيدي ذلك المقال من الفارس العبسي وقعت عليهِ الخمدة والخبال . ثم رجع كلٌّ منهم في طريقهِ . واخبر اصحابهُ بما سمع من رفيقهِ . وكان السابق منهما العبسي فرفع صوتهُ بالبكا

والانتحاب . وحثا علي راسهِ التراب . قال الراوي فلما سمع بنو عبس هذا الخبر ركبتهم الاهوال . واخذوا في البكاء والاعوال . وكان اشدهم لوعة عنتر . لما اصاب عبلة من الامر المنكر . الا انهُ فرح بما جرى على ابيها . وعلي عمارة واخيها . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من بني زبيد فان فارسهم وصل اليهم وهو يلطم راسهُ . وقد مزق لباسهُ . واخبرهم بما سمع من الامر الشنيع . وما اصاب حيهم من الامر الفظيع . فضجوا في البكا والعويل * وندموا علي ذلك الرحيل . واما خالد فانهُ هدر وزمجر . ونهم وبربر . وطار من عينيهِ الشرر . وصاح صيحة تصدع الحجر . والتفت الي بني زبيد وقال يا بني عمي اريد اليوم ان افرغ من هولاء اللئام ولا ابقي منهم على شيخ ولا غلام . فمن وقع منكم بعبسي لا يلبث ان يقتلهُ . ومن نهب منكم شيئاً من اموالهم فهو لهُ . قال فعندها تقدم اليهِ رجل من مشائخ بني زبيد وقال يا خالد الصواب انك تنفذ الى زهير رسولاً ان يرد السبايا والاموال . وينصرف بلا حرب ولا قتال . فان اجابك الي ما تقول سامحهُ بما فات . لانهُ ما سبي احداً من الحراير العربيات . وان ابي علينا . فالقتال قدامنا وبين يدينا . قال فاستحسن خالد رايهُ ودعا بشيخ عاقل من مشائخ بني زبيد . اسمهُ خالد ويلقب بمطارد الوحش لان كان صاحب باس شديد . فقال لهُ يا خالد اذهب الى الملك زهير وقل لهُ ان خالد بن محارب يسلم عليك ويقول لك انكم ظلمتم وما انصفتم

وجرتم واسرتم وقتلتم وما ابقيتم . ونهبتم وما خليتم . وسبيتم وما استحييتم . والان قد تعادلنا ورضينا ان نتساوى في الميزان . وتكونوا عونا لنا ونكون عونا لكم على نوايب الزمان . ولكن على شرط ان تخلوا ما في ايديكم من السبى والمال . ونحن نطلق اموالكم ومن لكم في الاعتقال . وكل فريق منا يعود الى دياره بالاسلام . ونكتفي شرّ النزاع والخصام . وانظر يا خالد ما يبدي زهير من الكلام واسرع في العودة لاني من امري على عجل . ولاجل ابنة عمي الجيداء على وجل . قال فعندها ركب خالد جواده وجدّ السير . حتى وصل الي الملك زهير فحياه وسلم . واطلق لسانه برسالته ونكلم . فعندها قال زهير يا بني عمي اسمعوا واشيروا بالصواب . فسكت القوم ولم يكن عند احد منهم جواب . فعندها تقدم فارس بنى عبس الادهم . وبطلها المعلم . عنتر بن شداد نادرة الزمان . الذي جمع بين السيف واللسان . وقال للرسول عد الى صاحبك وقل له اننا قد اجبناهُ الى مراده . كرمًا منا لا خوفًا من عساكره واجناده . ولكن على شرط اني لا اطلق الجيداء حتى ادخل على ابنة عمي عبلة وتقود بزمام ناقتها ليلة زفافها وبعد ذلك انفذها اليه عزيزة كريمة مصحوبة ببعض سادات العشيرة واشرافها . وان ابى فدونهُ الميدان . حتى اصحبهُ معها اسيرًا الى ديار بني غطفان . او اتركهُ طعامًا للنسور والعقبان . ثم انشد يقول :—

* الا كن مبلغاً اهل الجحود مقال فتى وفيٍّ بالعهود *
* انا البطل الذى ترتج مني لدي الهيجاء اكباد الاسود *
* ساخرج للبراز خليَّ بال بقلب قدَّ من زبر الحديد *
* واطعن بالقنا حتى يراني عدوي كالشرارة من بعيد *
* اذا ما الحرب دارت في رحاها وطاب الموت للرجل الشديد *
* تري بيضاً تشعشع في لظاها موصلة باعضاد الزنود *
* لاقتحمنها ومعي رجالٌ كأن قلوبهم صخر الصعيد *
* بخيل عودت خوض المنايا تشيب مفرق الطفل الوليد *
* ومملكة عليها تاج عز وقوم من بني عبس شهود *
* يعادل مجدهم فلك الثريا ويحرق فعلهم قلب الحسود *

قال الراوي فعاد الرسول الى خالد بن محارب وابلغه ذلك الجواب فغاب عن الصواب . لما سمع عن الجيدا الذي لم يكن له في حساب . وعند ذلك نادى في بني زبيد بالحملة فحملت الفرسان * وتناخت الشجعان . وركب خالد جواده وهو يرغي ويزبد ويبرق ويرعد . وتغيرت احواله وقد ركب جواده وركب بنو زبيد اركوبه وقد تقلدوا بالصوارم الرقاق . واعتقلوا بالرماح الدقاق . وهدروا كالسباع . وزلزل ضجيجهم البقاع . وحينئذ التقتهم بنو عبس كاسود الغاب . بقلوب لا تخاف ولا تهاب . وفي مقدمتهم عنتر كانه مارد من مردة الجان . او من عفاريت سيدنا سليمان . وهو بمنظره يرعب الابدان ويجعل قلب الشجاع اضعف من قلب الجبان .

Digitized by Google

ثم بعد ذلك انطبق الجيش على الجيش . واخذ الجميع الدهش والطيش . فعند ذلك التفت شاس الى عنتر وقد ارتاع مما راى وتحير . وقال يا ابا الفوارس ما هذا الايوم شديد . تلين من هوله الجلاميد . فقال له يامولاي ان الاعمار لاتنقص ولاتزيد . وانا لمثل هذا اليوم كنت اشتهي واريد . فان يوم الحرب عندي ابهج من يوم النيروز . وهجيره ابرد من ايام برد العجوز . وان كان القوم قد اخذوا اموالنا فانها وديعة استردها منهم . وانتزعها من ايديهم رغماعنهم . ولو اجتمعت اليهم مشارف بني قحطان . وكتايب الملك النعمان . ثم اشار الى الملك شاس يقول

اذا قنع الفتى بذميم عيشٍ　　وكان وراء سجفٍ كالبناتِ
ولم يهجم على اسد المنايا　　ولم يطعن صدور الصافناتِ
ولم يقرِ الضيوف اذا اتوهُ　　ولا يروي السيوف من الكماةِ
ولم يكسب بضرب السيف مجدًا　　ولم يكُ صابرًا في النايباتِ
فقل للناعيات اذا بكتهُ　　الا فاقصرن ندب النادباتِ
ولا تندبن الا ليث غابٍ　　شجاعاً في الحروب الثايراتِ
دعوني في الحروب امت عزيزًا　　فموت العز خيرٌ من حياتي
لعمري ما الفخار بكسب مالٍ　　ولا يدعى الغنيُّ من السراةِ
ستذكرني المعامع كل وقتٍ　　على طول الحياة الى المماتِ
فذاك الذكر يبقى ليس يفنى　　مدى الايام في ماضٍ وآتِ
واني اليوم احمي عرض قومي　　وانصر ال عبس على البغاة

واخذ مالنا منهم بحرب ٍ تخرُ لها متون الراسيات ِ
واترك كل نائحة ٍ تنادي عليهم بالتفرق والشتات ِ

قال الراوي

فلما سمع شاس هذه الابيات قال لهُ لله درك يافارس الفرسان . واشعر بني قحطان وعدنان . فوالله لقد فقت علي ابنا هذا الزمان بالشجاعة . كما فقت عليهم بالفصاحة والبراعة . هذا والقبيلتان تموجان كانهما البحر العجاج . اذا تلاطم بالامواج . ونظر خالد بن محارب الي بني عبس فراهم كالاسود الكواسر . وخيولهم كالنسور الطواير . واسنة رماحهم كالنجوم الزواهر وقد غاصوا في الحلق . حتي ما يبان منهم غير الحدق . فعند ذلك زعق في بني زبيد وقال دونكم يابني عمي القتال . وعليكم بالصبر علي الاهوال . وكل من وقع في يده عبسيٌ يقتلهُ . ولا يصبر عليهِ ولا يمهلهُ . والذي ياتي براس عبدهم الاسود . اعطيهِ ما يغنيهِ الى ولد الولد . فانني لاازيد ان اضيع شرف نفسي بمبارزتي المعبيد . واظنُ انهُ لايجسر ان يبارزني خوفا من باسي الشديد . ثم امر فرسانهُ بالحملة بعد ما حمل وكذلك امر عنتر وفعل . فانتشب بين الفريقين القتال ودارت رحي المنايا والاهوال . وفي دون ساعة صار النهار ضباباً . والقتام حجاباً واختلطت المواكب اختلاط البحر اذا كان عباباً . ووقعت السيوف خطاءً وصواباً . وامطرت السماء علي القوم عذاباً . وانشبت الاسنة في الارواح مخلباً ونابا . وصارت الدماء لبيض اللحى خضابا

وشابت الرجال من الاهوال بعد ما كانت شباباً. وسقاهم القضا
من المنية شراباً. وخرست السن الفصحاء فلم ترد جواباً. وقال
الجبان يا ليتني كنت تراباً. وما امسى المساء حتى اهلك عنتر
جانباً من ابطال بني زبيد وبني مراد. ومددهم على الوهاد. وكان
القتال من ناحية السبايا لان عنتر طالب خلاص عبلة فلم يمكنهُ
الوصول. لاجل ما بينهُ وبينها من الرجال والخيول. واما خالد
بن محارب فانهُ ادهش بقتالهِ النواظر. وحير الخواطر. وكان
طلبهُ الجيدا بنت زاهر. لانهُ كان يقول في نفسهِ انه اذا حمل لا تثبت
بين يديهِ العساكر. وكان يظن ان اهل الارض في قبضتهِ. وان
الجبال تهتز من هيبتهِ. ولما وقع ذلك اليوم ببني عبس راى منهم
غير ما كان يعهدهُ. وما كان يقتل فارساً منهم حتى يتعب معهُ
ويرى منهُ ما يروعهُ ويجهدهُ. وعند المساء وقع في موكب الملك
زهير فاهلك منهم جماعة. في اقل من ساعة. وانجرح شاس واخوه
مالك من اولادهِ. وخاض السيف في نحور ابطالهِ واجنادهِ.
ولما نظر الملك زهير الى فعالهِ حمل عليهِ وقاتلهُ حتى تصرم
النهار. ولبست الشمس حلة الاصفرار. ثم عادت الجيوش عن
القتال. وقد جرت الدماء من الطايفتين عن اليمين والشمال.
فلما استقرت الناس في الخيام. وشرعوا في اكل الطعام. حدث
الملك زهير عنتر بحديث خالد بن محارب وما جرى لهُ معهُ هنالك
وكيف انجرح شاس واخوه مالك. فقال عنتر لما سمع والله

يامولاي ما اشغلني عنهُ الا طلبي لخلاص عبلة . ولو لا ذلك ما غفلت عنهُ هذه الغفلة . وكنت قتلتهُ اشرّ قتلة . ولكن غداً اكون اول من يخرج الى القتال . وادعوهُ الى النزال . واجعله معهُ يوم الانفصال . فان قتلتهُ او اسرتهُ بلغنا الامال . واما قومهُ فقد زال من رووسهم الطمع * ودخل في قلوبهم الخوف والجزع . فانهم راوا من حربنا ما لم يخطر لهم ببال لانهم كانوا يظنون اننا لا نثبت بين ايديهم ساعة واحدة في المجال . فقال زهير والله يا حامية عبس انني غير خايف من هولاء الحاضرين . لانني اعلم اننا نكون نحن الظافرين . ولكنني خايف من معدي كرب الزبيدي الذي مضى الى الاوطان . وما في الحلل غير ولدي ورقاء في نفر قليل من الفرسان . واخاف ان ينتصر عليهم ويسبي الحريم والصبيان * وان لم ننصح عند الصباح في القتال خسرنا غاية الخسران . قال ثم انهم اخذوا في الراحة من الكفاح . واقاموا ينتظرون الصباح . وكان جواد عنتر قد امسى تعبان فتركهُ يستريح وركب بعض الخيل . وخرج يطلب الحرس في ظلام الليل . واخوه شيبوب في ركابهِ وهو يتلهف كيف ما ظفر بخالد بن محارب * ولا خلص عبلة من انياب النوايب . وشق عليهِ كلام الملك زهير وخوفهُ على اهلهِ واولاده * واتباعهِ واجناده * فتضجر عنتر من انزعاج الملك وهو شاكر لفضلهِ . لانهُ يعلم ان ذلك كلهُ جرى من اجلهِ * فقال لشيبوب والله يا اخي انا اسير وحدي في قضاء الحاجات * واري

نفسي في البلايا والافات * حتى لا يكون لاحد عليّ منة ولا جميل وفي الاخير لا اخلو من هذا الحمل الثقيل . وانا قد فعلت اليوم هذه الافعال * ولكن ما بلغت الامال * ولا خلصت عبلة من الاعتقال . لانها في غاية الاذلال . مما تحمل قلبها من الاثقال فقال شيبوب وذمة العرب لقد صدقت يا اخي وانا اليوم رايتها فما كدت اعرفها من الضعف والهزال . وهي تنادي باسمك وتلتفت الى اليمين والشمال . فقال عنتر واين رايتها يا اخي فقال رايتها بين السبايا لاني لما رايت القتال قد اتصل . وكل واحد بنفسه قد اشتغل * فاوسعت في عرض البر من بعيد . وسرت في عراض جيش بني زبيد * ودخلت بينهم في زي العبيد * فرايت الربيع واخوته مالك وولده وعروة بن الورد مشدودين على خيولهم بالعرض * وهم ينظرون الى جوانب الارض * عسى ان ياتيهم من يخلصهم من تلك الوثاقات * والنسوان من حولهم نادبات باكيات * وعبلة بينهن تنثر من جفونها سواكب العبرات * وهي تنادي يا قوم اما فيكم من يقص على ابن عمي قصتي * لعله يخلصني من السبي ويذهب عني غصتي . ورايت حولهم يا اخي مائة فارس وهم كانهم الابالس . يردونهم في البر كلما شردوا مثل رد الغنم وانا يا ابن الام لما رايت ذلك زاد بقلبي الالم . وما زلت من حولهم ارمي بالنبال . حتى انفصل القتال فعدت وقد قتلت خمسة رجال . عدا ما جرحت من الخيل والابطال . وكانوا

كلما طلبوني بالخيول . اوسعت في البر بالعرض والطول . وكلما عادوا الى القتال . عدت اليهم مثل الغزال . واما قولك يا اخي عن مسيرك وحدك فان القوم والله قد نفعونا على كل حال وماذا تظن يا اخي هل تقدر ان تلقي اليمن بما فيها من الرجال وكيف تصنع بهذه المواكب والكتايب . اذا انصبت عليك من كل جانب . فاحسب حساب العاقل اللبيب ودبر التدبير الراشد المصيب . فلما سمع عنتر ذلك المقال من شيبوب هطلت الدموع من عينيه . وهانت المنية عليه . ولما اصبح الصباح . ثارت الطايفتين للحرب والكفاح . وصفت بني عبس صفوفها . ورتبت الوفها . وجردت سيوفها . وانتظر الملك زهير عنتر . فما سمع له بخبر . ولا وقف له علي اثر . فعند ذلك قلق الملك زهير واندعر . وشاع الخبر في بني عبس فانهد عزمهم وانكسر وقالوا في انفسهم اليوم يفتك بنا خالد بن محارب . وتخطفنا الاسنة من كل جانب . وعول الملك زهير ان ينفذ فارساً الى بني زبيد ويسالهم عن عنتر عسى ان يكون له عندهم خبر . فبينما القوم كذلك واذا بغبار قد ثار . حتى سد منافس الاقطار . ثم انكشف عن الف فارس . كالاسود العوابس . يتقدمهم فارس عظيم الهيكل كانه القضاء المنزل . فتبينوه واذا هو معدي كرب الزبيدي في سبايا عبس . وهم علي اشد ما يكون من رداءة الحال وضيق النفس . وكنا قد ذكرنا انه انفذه خالد بن محارب لاجل هذا

السبب . في الف فارس منتخب . فلما وصل الى حي بني عبس لم يجد غير ورقاء ابن الملك زهير في نفر قليل فانقض عليهم واخذ الاموال . واستاق النوق والجمال . فلما وقع الصياح في الحلة ركب اليهم ورقاء بمن عنده من فرسان بني عبس الاشاوس . فارتد اليهم معدي كرب فقتل من الفرسان مائة فارس * وانهزم الباقون وقد اسر منهم من اسر وساق ما تيسر من الخيل والمهار . ومن وقع في يده من البنات الابكار * وعاد يقطع البر عدواً حتي اشرف على القوم وهم علي تلك الحال . وكان الفريقان قد عزما علي الحرب والقتال . وقد ابصر الملك زهير الي ذلك . فضاقت في وجههِ المسالك . وقال هذا والله . ما كنت اتوقعهُ واخشاه . واما الان فليس لنا الا الضرب بشفار الصفاح . والطعن باسنة الرماح . ومال معدي كرب الي بني زبيد ففرحوا باقبالهِ . وسالوهُ عن حالهِ . فحدثهم بما جرى لهُ وسالهم عن خالد بن محارب . فقالوا لهُ انهُ من نصف الليل غايب . فقال لهم يا بني عمي اذا كان خالد غايباً . فانا اكون عنهُ في غيابهِ نايباً . وانا ما قلت الا اني الحقكم بالمنازل والابيات . وقد قضيتم ما في انفسكم من الحاجات . ثم انهُ بعد ذلك المقال . حمل الي الحرب والقتال . واشتبك القوم بين طعانٍ وضراب . وثار الغبار حتي غدا كالسحاب . وطاب كاس الموت للشجاع الابي فثبت في الهيجاء وصبر . ومرَّ للجبان الساقط فولى وادبر . وما ارتفع النهار حتى تفرقت ميسا سر بني

عبس وعمل فيهم الحسام الفاصل . وبقي الملك زهير في الميمنة
يدافع عن نفسهِ ويقاتل . وحوله بنوهُ وجماعةٌ من شجعان القبايل
وبان لهم من الموت علايم ودلايل . فانخلعت قلوبهم من شدة ذلك
الهول . وايقنوا بحلول الغول . وذهبوا في تلك القفار بـدادْ .
والملك زهير ينادي فيهم ولكن كان كانهُ ينفخ في رماد . قال الراوي
وعلى الحقيقة حلت بهم المهالك . وضاقت عليهم المسـالك .
ودارت بهم المواكب . وعمل السيف فيهم من كل جانب . وضاقت
في وجوههم المذاهب . وفي ذلك اليوم عزم الملك زهير ان يترجل .
ويقاتل عن نفسهِ الى ان يقتل . قال الراوي وما زال الملك زهير
يقاتل الى ان استغلقت في وجههِ ابواب الحيل . وظن انهُ قد
انقلب عليهِ السهل والجبل . فبينما هو يحدث نفسهُ بالنزول كما
قدمنا واذا بغبار . قد علا وثار . حتى سدَّ منـافس الاقطار .
وانكشف من خلف الاعداء عن بريق زرد . ولمعان خود .
وفرسان كانهم العقبان . على خيول اخف من الغزلان . وموكب
كبير اوفى من الف وخمساية فارس . ابطال اشاوس . كالاسود
القناعس . والكل ينادون بفرد لسان . ياالعبس ياالعدنان . يتقدمهم
فارس بالحديد غاطس كانهُ قلة من القلال . او قطعة فصلت
من جبل . او سخط الله اذا انحدر ونزل . وامام الخيل رجـل
قد انقضَّ انقضاض العقبان . وارتفع فوقهُ الغبار الى العنان .
وفي يده رمح طويل قد علق راساً بسنانهِ . وهو ينادي في ذلك

البرّ بملء لسانهِ . ويصرخ من قلبٍ قد احرقهُ اللهب . واستطاره الطرب . ياويلكم يابني زبيد قد جاكم البلاء من كل جانب . فاقطعوا اما لكم الكواذب . واطلبوا اقرب الطرقات والمذاهب فان اسعدكم الهارب . وهذا راس صاحبكم خالد بن محارب . ثم انهُ رفع في يده رمحًا طويلاً عالي السنان . وعليهِ راس كانهُ راس ثعبان . ورمى بهِ امام اوليك الفرسان . فتبينوا ذلك الفارس واذا هو الصل الاغبر . والحسام الابتر . البطل المرهوب . الامير شيبوب . وذلك البطل القسوَر . هو ابو الفوارس الامير عنتر وانقضوا علي بني زبيد . فاذاقوهم البلاء الشديد . وعملوا فيهم بالعضب والسنان . واشتدّ الضرب والطعان . وادارول عليهم نوبة النحوس . وجرعوهم امرّ الكؤوس . وطلع بعد ذلك موكبٌ من النساء . والغلمان والاماء . قد اقبلوا على النجب والمهاري . وضجت باصواتهم تلك البراري . هذا وعنتر يطعن في الاعداء ويضرب . وينثر الفرسان عن ظهور الخيل فتنقلب . وقد عاشت ارواح بني عبس بعد الممات . ونادي الملك زهير يابني عمي في مثل هـذه الاوقات . يكون الصبر والثبات . فدونكم الخيل والرجال . ولا ترهبكم كثرة الابطال . وابشروا بالنصر بعد الانخذال . فهذا حاميتكم عنتر ابو الشدايد والاهوال . الذي يقدُّ بعزمهِ الجبال . قال الاصمعي واما خبر قتل خالد بن محارب فان عنتر لما تولى حرس العسكر كما ذكرنا . وجرى بينهُ وبين اخيهِ شيبوب ما جرى

من العتاب كما اخبرنا . وما كان من حديث عبلة وما يتعلق
بهِ حسبما قررنا . وسمع عنتر ان عبلة تنادي باسمهِ في ليلها ونهارها
ولا تزال تذكره في اشعارها . غاب رشده وقال لهُ ويلك اوسع
في البر الاقفر . واقصد مكان السبايا لعلنا نقدر على خلاصهم
قبل السحر . واعلم انهُ حيثما وقع بصري على عبلة او سمعت لها
خبرًا في مكان . فلا بد لي ان اخلصها ولو ان حولها عشاير
الانس وطوايف الجان . فقال شيبوب سمعًا وطاعة ثم سار
بين يدي اخيهِ عنتر . واوغلا في ذلك البرّ الاقفر . حتى انقطع
عنهما الصوت في تلك البيد . وطلب شيبوب مكان بني زبيد .
قال الراوي وقد ذكرنا ما جرى على قلب خالد بن محارب لما
سمع بحديث الجيداء ابنة زاهر وما كان من الاحوال . وكنا اخبرنا
انهُ عند اقبال الليل تولى حرس بني زبيد ولم ياخذ معهُ غير
دامس السلال . وكان هذا دامس من اعز الناس عليهِ . واحبهم
اليهِ . لانه كان منفردًا في الدهاء والمكر . واساليب الحيل والغدر
اذا استعمل الخباثة والختل اخذ الفارس البطل . واذا عمد الى
الكحل استلهُ من بين اهداب المقل . وكان يومئذ قد غير زيهُ وسار
الى احياء عبس فاختلط برجالها . وتحدث مع الجيداء فشكت اليهِ
ما تجده من العذاب واخبرتهُ عن حقيقة حالها . وارتهُ جراحها
وهي تنزف بالدماء . فشق عليهِ ذلك واراد ان يدبر حيلة في
خلاصها بما عنده من الاحتيال والدهاء . فلم يمكنهُ ذلك نهارًا

Digitized by Google

ولا استطاع في الليل استتارًا . فعاد وفي قلبهِ التهاب واشتعال .
وصبر حتى انفصل القتال . وعاد خالد من المجال * فاخبره
دامس بما كان وقال لهُ يا مولاي انا اقدر ان اخلصها في هذه
الليلة اذا كنت انت معي ترعاني . وترد عني شرّ من يغشاني فخرج
معهُ خالد وقد سرّ بذلك لما يعلم من جراءة دامس وجسارتهِ .
ولما يعتدُّ بما في نفسهِ من قوتهِ وشجاعتهِ . وقد وثق بقضاء حاجته
وكان حديث الجيداء قد قطع قلبهُ . وسلب لبهُ . فلما وصلا الى
البراوغلا في المسير تحت ذيل الليل العاقد . وجدّا في قطع تلك
السباسب والفدافد . وخالد يقول لعبده ويلك يا دامس ما كنت
احب الان اظفر هذه الليلة بعنتر بن شداد . واريهِ طرق الحرب
والجلاد . واشرب دمه مثلما اشرب الماء . لاجل ما فعل ببنت
عمي الجيداء . قال وما اتم خالد هذا المقال . الا وشبحٌ قد
ظهر عليهِ كانهُ بعض الجبال . فمال اليهِ وقال لهُ من انت من
انذال العرب . والى اين انت سارٍ تحت هذا الغيهب . فلما
سمع دامس السلال هذا الكلام هرول الى خالد وقال لهُ يا مولاي
ها قد قضى الله ماربك . وساق اليك عن كثب مطالبك . فهوذا
عنتر فدونك اياه في الحال . وبادره بحد الفيصل الفصال . فعند
ذلك صاح خالد بعنتر اليك يا ولد الزنا . ونتيجة الخناء قد كنت
سايرًا لاقطع راسك . واخمد انفاسك . فاوقعك الله في يدي
وهذا هو غاية مقصدي . ثم انهُ انحط عليهِ انحطاط الليالي والايام

وتلقاه عنتر بضرب كانهُ رسل الحمام . فترك شيبوب اخاه عنتر
وخالد يتحاربان ومال على دامس السلال واشتغل كل واحد
بصاحبهُ . واقبل يخادعهُ ويحاربهُ . وقد انبهر خالد من عنتر
وانبهر دامس من شيبوب وكان شيبوب مع دامس اذا تقاربا
تضاربا بالخناجر واذا تباعدا تراشقا بالسهام . على الحس والكلام
هذا وعنتر مع خالد في عراك وصدام . وطعن يسبق رسل الحمام
وقتال تتعوذ منهُ الجن في براريها . وتبهت لهُ الكواكب في مساريها
وقد صار بينهما كرٌّ وفر . وملالٌ وصبر . وهمهمة كهمهمة الاسد
ودمدمة كدمدمة الرعد . وكانت ليلة سوداء مظلمة . مدلهمة
مقتمة . ولم يزالا بين قتال وكفاح . حتى انبجس نور الصباح .
وقد تقصفت في ايديهما قطع الرماح . فعمدا الى البيض الصفاح
وابصر خالد من عنتر ما اذهلهُ من شدة الباس وقوة العزيمة في
القتال . وشهد انهُ ابو الفوارس وسيد الابطال . وكذلك دامس
وشيبوب اصبحا وقد ملا من المصادمة . وكلا من المقاتلة والمهاجمة
وتعبا من الجري في تلك الفلوات . وعطبت سيقانهما من الوثبات
وتورمت اقدامهما من صدم الحجارة عند العثرات . وفرغت كنانتهما
من النبال . فعمدا الى الخناجر في القتال . واستمرا بين انفصال
والتحام . واشتباك واصطدام . وبينما هما على ذلك واذا بضجة من
نحو عنتر وخالد . ضجت لها تلك الفدافد . وقايل يقول بالعبس
لا شقيت . انا حبيب عبلة ما بقيت . وكان الصايح عنتر . الاسد

القسور. لانهُ راى من خصمهِ التقصير. وعرف ذلك منهُ معرفة خبير. فعند ذلك هجم عليهِ عنتر هجمة الاسد اذا انذعر. وضربهُ ضربةً لاتبقي ولا تذر. اطار راسهُ مع زرد المغفر. ونظر دامس الي ذلك فارتعد وعول على الهزيمة. فادركهُ شيبوب باشد عزيمة. وضربهُ بالخنجر بين ثدييهِ. اطلعهُ من بين كتفيهِ. وعاد الي اخيهِ وهناه بالسلامة. وبشره بنيل الكرامة. وسالهُ عن حالهِ فقال لهُ شيبوب يا ابا الفوارس ما لك عليَّ فضل هذه النوبة في قتلك خالداً * فان كلٌّ واحدٍ منا قد قتل واحداً. فقال عنتر وحيوة عيني عبلة ما لقيت عمري من الفرسان افرس من خالد ولا اصبر منهُ علي الشدايد. ثم ان عنتر ركب جواد خالد لان جواده كان قد اعيى من شدة المكافحة والجريان. واما شيبوب فانهُ قطع راس خالد بن محارب وعلقهُ بالسنان. وحملهُ وعاد يطلب مكان القتال. فراى بني عبس وقد انكسرت وبنو زبيد قد اذاقتها الوبال. واعملت فيها السيف الفصال. واسارى عبس ما عندهم اكثر ماية فارس. برسم الخفير والحارس. فلما نظر عنتر الي ذلك اشتعلت النار في فواده. وخاف على الملك زهير واولاده * فصاح في الاماء والعبيد العبسية ويلكم يابني الزواني وانتم كلكم وقوف تحفظون الاموال خوفاً من ماية فارس * وتخلون امو الكم مع هولا الشياطين الابالس. ياويلكم حلوا مواليكم من الوثاق والاعتقال حتى نلحق اصحابنا قبل الهلاك والوبال * ثم ان عنتر حمل علي

Digitized by Google

المايه الفرسان الذين كانوا يحفظون الاسارى والسبايا * ففرقها يميناً وشمالاً واذاقها اشدّ البلايا . وحلت العبيد مواليها من الاعتقال . وانطلقت النساء والرجال . وركب الجميع الخيل والجمال . وصاحوا صيحة واحدة وطلبوا المعمعة والقتال . وفي ايديهم اعمدة البيوت الطوال . والعصي الثقال . وبعضهم كان يرمي بالحجارة والنبال . ويقول دونكم وهولاء الانذال وشردت النوق والجمال . واسودت النواحي من اليمين والشمال . وطعن عنتر في بني زبيد طعناً يسابق الاجال . وفتك في الفرسان والابطال . ورفع شيبوب راس الرمح وعليه راس خالد بن محارب وقال ذلك المقال . وفرح الملك زهير وبنو عبس غاية الفرح ببلوغ الامال . وقد جادوا عند ذلك في الكفاح والنضال وضربوا بالسيوف الصقال . وحلّ باعدايهم الوبال . وولوا يطلبون الديار والاطلال . وتفرقوا بين الشعاب والتلال ونهبت ارواحهم الرماح الطوال . وما زالوا على تلك الحال . حتي ذهب النهار واستحال . وعادت طايفة بني عبس عن القتال . وقد بلغت المراد والامال . وتفرقت فرسانهم في البر لجمع الاسلاب والاموال . وعاد عنتر ليهني الملك زهير بذلك النصر بعد الانخذال . فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

لقد وجدنا زبيداً غير صابرةٍ يوم التقينا وخيل الموت تستبقُ
اذ ادبروا فعملنا في ظهورهمِ ما تعمل النار في الحلفا فتحترقُ

وخالدٌ قد تركت الطير عاكفةً * على دماهُ وما في جسمهِ رمقُ
خلت لحرب احميها اذا بردت * واصطلي بلظاها حيث احترق
والتقي الطعن تحت النقع مبتسماً والخيل عابسةٌ قد بلها العرقُ
او سابقتني المنايا وهي طالبةٌ * قبض النفوس اتاني قبلها السبقُ
ولي جواد لدى الهيجا ذو شغبٍ * يريك سيل الغوادي حين ينطلقُ
ولي حسام اذا ما سل في رهجٍ يشق هام الاعادي حين يمتشقُ
انا الهزبر اذا خيل العدي طلعت * يوم الوغى ودم الابطال يندفقُ
ما عبست حومة الهيجاء وجه فتىً الا ووجهي اليها باسم طلقُ
ما سابق الناس يوم الفضل مكرمة * الا بدوت اليها حيث تستبقُ

قال الراوي ولما انتهى عنتر من هذه الابيات طلب الملك زهير وهو مثل شقيقة الارجوان. مما سال عليه من ادمية الفرسان فقبل ركاب الملك زهير وشكره على فعاله. وهناه بالسلامة وسالهُ عن حالهِ. فحدثه بما جرى له مع خالد بن محارب من القتال. وكيف اورده كاس الوبال. وما جرى لشيبوب مع دامس. تحت ذلك الليل الدامس. فتعجب الملك زهير وقال لهُ لله درك يا ابا الفوارس. والله اننا كنا قد اشرفنا على الهلاك. ووقعنا في اشراك الارتباك. وكل هذا حتى يرضى عمك القرنان. لا عمرت به الاوطان. فدعا لهُ عنتر بطول البقا والنصر والدوام في حلل المجد والفخر. وقال لهُ يا مولاي بحلمك واحسانك تصفح عن عشيرتك وخدامك وغلمانك. فمثلك من صفح وغفر

الكتاب الحادي عشر من سيرة عنتر بن شداد

واسبل ذيل العفو وستر * قال وكان شداد ابو عنتر . قد ركب جواده الابجر . ولما نزلوا للراحة وقد اقبل الليل طلب عنتر عبلة فلم يقف لها على خبر . وطلب عمه مالكاً وولده عمراً فما وقف للجميع على اثر . فقلق لفقد عبلة وتحير . وشعر ان ظهره قد انكسر . واخبر الملك زهير بذلك فجرى على قلبه ما لم يجر على قلب بشر . وقال الملك زهير والله ان هذا الرجل قد خلع عنه ثياب الانسانية وتردى بثياب البغي واستتر . وما ارى الا ان نقتله ونمحو الاثر . ثم ان الملك زهير سال عمن كان تخلف في المنزلة وقت الحملة الكبرى فقيل له لم يتخلف في المنزلة الا الربيع بن زياد ومعه اخوه عمارة وعروة بن الورد لان الربيع كان مثخناً بالجراح . لشدة ما قاسي من الكفاح . لا يستطيع على غدو ولا رواح قال فلما وصل الربيع وصار قدام الملك زهير قال له الملك زهير والله يا ربيع ما قصرت فيما اوصيناك به من حفظ المنازل والابيات . ولا شك ان رب السما قد عاقبك من اقرب الطرقات . لانك تركت المنازل نهباً للعدى وتبعت اخاك عمارة . حتى وقعت بنا هذه الخسارة . فقال الربيع والله يا مولاي ان لمتني فما تكون انصفتني وان عتبت عليَّ تكون ظلمتني . لانك عند رحيلك طردتني . وخفضت قدري واهنتني . وفي قضية عنتر وعمه مالك اشركتني

Digitized by Google

ومنعتني من المسير معك وابعدتني. والحال ان ابا عبلة عند رحيلك عول على الرحيل من دون الناس. لاجل ما اهانه ولدك شاس. وقال لابد لي من المسير الى بلاد الشام. واقيم هناك الى ان يدركني الحمام. فخفت ان يتوجه في مسيره فيبقى علي الملام. وقد احتجبت فرحلت معه لما سمعت منه تلك الاقسام. ورددته وانزلته معي في ارض ذات الخرجين وطيبت قلبه وقلت له يا ابن العم لا ترحل الى مكان. فان الملك زهير لا يغفل عنا مقداراً طويلاً من الزمان. فاقم بنا ههنا حتي يعود الملك من سفرته ويكون ابن اخيك عنتر في صحبته. وانا انفذ الي اولاد الملك زهير وادعهم كلهم يسيرون اليك. ويقبلون راسك وما بين عينيك. ويعيدونك الي ارضك في العز والاكرام. ويغمرونك بالاحسان والانعام. ثم اننا بعد هذا الكلام ما اقمنا غير ثلاثة ايام حتي جرت علينا هذه المصايب العظام. التي ما جرى مثلها على احد من الانام. فلقد فتك فينا الرمح والحسام. ودارت علينا كووس الحمام. فقال له الملك زهير وقد علم ان كلامه زور ومحال دعنا يا ربيع من هذا المقال. وحدثنا بما جرى من مالك ابي عبلة وولده عمر من الفعال. فعند ذلك حلف الربيع ان ما عنده من امرهما خبر ولا وقف لهما على اثر*

وقال الربيع ايها الملك لما حلتني العبيد من الوثاق كانت روحي قد بلغت الفراق. وانا مطروح في الصحرا

وجراحي تنزف بالدماء. فلما سمع الملك زهير ذلك. قال وحق الذي تحت حكمهِ جميع الممالك. ان مماتك من العشيرة خبرٌ لها فما جرى ما جرى الا من دواهيك وفعالك. واما ابو عبلة فلا بدّ لي ان اقابلهُ على ما فعل. واريهُ اينا اقدر على المكر والحيل. فقال عروة بن الورد يا قوم اما في العرب من لهُ بنتٌ ولم يرد ان يزوجها الا مالك * فقال شاس بلي يا عروة كثيرٌ من العرب من فعل ذلك. الا هذا القرنان. فانهُ كل يوم يزوجها بشيطان ويسوق الينا البلايا والمهالك. وانت تعلم انهُ زوج عبلة بعنتر مراراً عديدة. ورماهُ في كل داهيةٍ شديدة. واشهدنا عليهِ بقبض المال. ثم نكث في المقال. ثم ان القوم اقاموا في ذلك المكان ثلاثة ايام. وارتاح الجميع من جهد المتعب الا عنترا فانهُ ما ذاق المنام. ولا التذ بطعام. بل انهُ بات عند مالك بن زهير بين الغبن والغم. والاسف والهم. فجعل مالك يسليهِ ويقول لهُ يا ابا الفوارس لا تشمت بنا الاعدا من بني زبيد. واصبر صبر الرجال الاماجيد. حتي نسمع بخبر عمك وعلى من نزل من العرب. ونتوصل اليهِ فنبلغ منهُ اقصى الارب. وما زال بهِ مالك بن زهير كذلك يسليهِ حتي مضي الظلام. وقام اولاد الملك زهير الى المنام وخلا عنتر بنفسهِ فبكا وانتحب. وفاض دمعهُ وانسكب. واشتعل قلبهُ والتهب. فعند ذلك نطق لسانهُ بالادب. كما جرت عادة العرب فانشد وقال شعر

اذا كان دمعي شاهدي كيف اجحدُ ونار اشتياقي في الحشى تتوقدُ
وهيهات يخفى ما اكنّ من الهوى وثوب سقامي كل يوم يجددُ
اقاتل اشواقي بصبري تجلداً وقلبي باغلال الغرام مقيدُ
الى الله اشكو ظلم عمي وجورهُ اذا لم اجد خلاً على الظلم يسعدُ
خليليّ امسى حب عبلة قاتلي وباسي شديد والحسام مهندُ
حرامٌ عليّ النوم يا ابنة مالكٍ ومن فرشهُ نار الغضا كيف يرقد
سأندب حتى يعلم الطير انني حزينٌ ويرثي لي الحمام المغردُ
والثم ارضاً انتِ فيها مقيمةٌ لعلّ لهيباً حلّ في القلب يبردُ
رحلت وقلبي يا ابنة العم تايهٌ على اثر الاظعان للركب ينشدُ
واني على ما تعهدين من الولا فهل لم تزالي مثلما كنت اعهد

قال الراوي ولما اصبح الصباح رحل الملك زهير يطلب ارض الشربة والعلم السعديّ وقلبهُ على من بقي من الحريم والعيال . والانعام والاموال . وانفذ عنتر اخاهُ شيبوباً يكشف لهُ اخبار عبلة ويبصر عمهُ وينظر ماذا فعل . وعلى اية القبايل قد نزل . ومن قد اجارهُ من اهل الحلل . ثم ركب عنتر الى جانب ابيه شداد في موكب بني قراد . وسار اولاد الملك زهير حواليه يحادثونهُ ويطايبونهُ . وعن ذكر عبلة يشاغلونهُ . واما بنو زياد فان ذلك اليوم كان عندهم افضل من ايام الاعياد . لاجل بغضهم لعنتر بن شداد . ولما كان وقت المسا نزل بهم الملك زهير على بعض الغدران . ليستريح الرجال والاطفال والنسوان . قال وكانت

بنو زياد تنزل عن يمين الملك زهير وبنو قراد عن شماله فعارض عمارة عنتر عند النزول وعنتر في حالة العدم . وجيش الهم قد نزل بهِ وخيم . وقال لهُ وقد اظهر الشماتة والحقد . ما حالك يا اسود الجلد . لقد ظهرت عليك علايم الغرام . وتيمك الوجد والهيام . وما زلت على لجاجتك . حتى احرمتني واحرمت نفسك من حاجتك . فلما سمع عنتر من عمارة هذا الكلام . زاد بهِ الالتهاب والاضطرام . غير انهُ اظهر الجلد . واخفى الكمد . وقال لهُ ويلك يا ابن زياد اتعيرني بسواد لوني الذي سترهُ بياض فعلي . حتى تودُّ كل انثى في ابياتكم ان تكون حاملةً مثلي . اوما تعلم ان جميع القبايل تشهد انني رب السيف . ومقصد الضيف . وجالي الغياهب . وكاشف النوايب . وصاحب الضرّ والنفع * ومثير النقع . وذو اليد البيضاء . والعجاجة السوداء . في الهيجا * وسل من شيت عن عنتر . فارس الابجر . يخبرك انني الاسد القسور . والسد الغضنفر فقال عمارة كذبت في المقال . يا ابن الانذال . وسوف نرى صدق هذا الكلام . ولتقعنَّ مني بليث ضرغام . وبطل همام . فلما سمع عنتر كلام عمارة قال لهُ والله يا عمارة انك اذل واحقر من ان تضرب كلباً على باب عنتر او تنظر اليهِ بلمح البصر . وانشا يقول

احولي تنفض استك مذ رويها لتقتلني فها انا ذا عمارا
متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا
وسيفي صارمٌ قبضت عليهِ اشاجع لاترى فيها انتشارا

Digitized by Google

حسامٌ كالعقيقة فهو امضى سلاحي لا افلّ ولا فطارا
واسمر من رماح الخطّ لدنٍ تخال سنانهُ في الليل نارا
وخيل قد زلفت لها بخيل عليها الاسد تهتصر اهتصارا
ستعلم اينا للموت ادنى اذا ادنيت لي الاسل الحرارا

قال ثم ان عنتر قال لعمارة واما قولك اني حرمت الاجتماع بابنة عمي . وتعيرني بحزني وهمي . فوحق من رفع السماء . وعلم ادم الاسماء . لاخذتها علي رغم اناف الجميع من الاعداء . من بين الحراير والنساء والاماء . ولو كان دونها من الفرسان ماتضيق عنهُ البيداء . قال وعاد شاس ايضا وقال لعمارة ويلك اما تشفق على نفسك . من حاول رمسك . وكم تقبح علي من لاتقدر عليه بمضرة . وقد خلصك من الهلاك الف مرة * علي انك والله ما انت من اقرانهِ . ولا تستطيع الثبات على ضربهِ وطعانهِ . قال فعند ذلك عاد عمارة بصفقة الخاسر . وقلب الحاسر . وسمع اخوهُ الربيع بما جرى فقال لهُ ويحك يا عمارة دعهُ ولا تعارضهُ في الكلام . وخلهِ يموت بالوجد والغرام . فان نفسه عندهُ قد هانت . وما يعارضهُ الا من تكون منيتهُ قد حانت . قال وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح اشرفوا علي الاحياء . فلاقتهم الغلمان والنسا ووقعت الافراح . وعلا الصياح . وتباشرت الاحباب بالاحباب . وسرّ المقيمون بقدوم الغياب . وزادت نار عنتر استعارًا . لما راى دار عبلة ومنازلها قفارًا فعند ذلك اتكا علي رمحهِ وبهت الى الديار . وصار

Digitized by Google

ينظر الى الرسوم والآثار ودموعهُ على خديهِ مثل وابل الامطار فانشد وقال

هل غادر الشعراء من متردم · ام هل عرفت الدار بعد توهم
اعياك رسم الدار لم يتكلم · حتى يكلمك الاصم الاعجمي
يادار عبلة بالجواء تكلمي · وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي
دارٌ لآنسةٍ غضيض طرفها · طوع العناق لذيذة المتبسم
اوقفت فيها ناقتي وكأنها · فدنٌ لاقضي حاجة المتلوم
وتحلُّ عبلة بالجواء واهلها · بالحزن فالصمان فالمتثلم
حييت من طلل تقادم عهدهُ · اقوى واقفر بعد ام الهيثم
وتحل عبلة في الخدور تجرها · واظلُّ في حلق الحديد المبهم
حلت بارض الزائرين فاصبحت · عسراً علي طلابك ابنة مخرم
علقتها عرضا واقتل قومها · زعماً لعمر ابيك ليس بمزعم
ولقد نزلت فلا تظني غيره · مني بمنزلة المحب المكرم
اني عداني ان ازورك فاعلمي · ما قد علمت وبعض ما لم تعلمي
حالت رماح بني بغيض دونكم · وزرت خوافي الحرب كل ململم
ياعبل لو ابصرتني لرايتني · في الحرب اقدم كالهزبر الضيغم
كيف المزار وقد تربع اهلها · بعنيزتين واهلنا بالغيلم
ان كنت ازمعت الفراق فانما · زمت ركابكم بليلٍ مظلم
ما راعني الا حمولة اهلها · وسط الديار تسف حب الخمخم
فيها اثنتان واربعون حلوبة · سوداً كخافية الغراب الاسحم

اذ تستبيك بذي غروب واضحٍ عذبٍ مقبلهُ لذيذ المطعم
وكان فارة تاجرٍ بقسيمةٍ سبقت عوارضها اليك من الفم
او روضة انفاً تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم
نظرت اليك بمقلةٍ مكحولةٍ نظر الملول بطرفهِ المتقسم
وبحاجبٍ كالنون زين وجهها وبناهدٍ حسن وكشحٍ اهضم
ولقد امر بدار عبلة بعد ما لعب الربيع بربعها المتوسم
جادت عليها كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم

قال الراوى وهذه القصيدة هي التي علقها عنتر فى البيت الحرام ٠ ولما فرغ عنتر من انشادها برد ما عندهُ من الضرام واقبل اليهِ اولاد الملك زهير وقد تعجبوا مقالتهِ ٠ وطربوا من فصاحتهِ .وقالوا والله يا ابا الفوارس ما سبقك الى هذه المعانى احد في هذا الزمان ٠ وانت ورب الكعبة فصيح بنى عبس وعدنان ومن يكون هذا المقال مقالهُ ٠ وتلك الفعال فعالهُ. كيف يذل لسلطان الهوى .ويخضع لما يجد من الصبابة والجوى.فابعد هذا عن قلبك واشرح صدرك فان عمك هو الخاسر في تدبيره * وحيثما مضي فالي هذا المكان اخر مسيره ٠ فقال عنتر يا مولاي ما دخل الهوي بقلبي باختياري وبغيتي .ولا تمكن مني بارادتي حتى ازيله من فكرتي ٠ ثم ان عنتر نزل في ابيات ابيه شداد وعادوا اولاد الملك زهير الى ابيهم واخبروه بما ابدى عنتر من البراعة في الانشاد . وطرب الملك زهير وامر اخاهُ اسيداً ان يكتبها ليفاخر بها اهل

الفصاحة والادب . ويتباهى على جميع شعراء العرب . قال الراوي ومن الغداتي الشيخ بدر ابن عمرُ سيد بني فزارة ومعهُ اولاده حذيفة وحمد ووجوه قبيلتهِ . وهنوا الملك زهير بسلامتهِ . وقال لهُ الشيخ بدر لا تظن ايها السيد اننا توانينا عن معدي كرب لما ساق اموالكم واسر ولدك ورقاء بل لما وصل الينا الخبر ركبنا على الاثر . وسقنا يومين وليلة فما حظينا بظفر . فقال الملك زهير . يا ابن العم ما كان الا الخير ثم حدثهُ بما جرى . واعاد عليهِ جميع ما تم وطرا . وامر العبيد بذبح النوق والاغنام . وعمل لهم وليمةً مدة ثلاثة ايام . وكان عنتر اذا حضر يرفع الملك زهير مكانهُ . ويعظم قدرهُ وشانهُ . ويجلسهُ عن يمينهِ مع الشيخ بدر واولادهِ فيستحي منهم عنتر ويظهر الجلد . ويخفي الكمد . وياكل ويشرب ونار الشوق في احشايه تتلهب . فلما فرغت الوليمة عاد الشيخ بدر الى ديارهِ ودعا ابنهُ حذيفة اولاد الملك زهير واخذهم معهُ ودعا شاس عنتر فاجاب دعوتهُ وطاوعهُ فساروا كلهم حتى وصلوا الى ارض بني فزارة فنزلوا على مرج افيح وكان ذلك الوقت زمان الربيع . والارض تنقشت بالوان زهرها البديع . ونشرت حللها الملونات . على الصحارى والربوات . وفاح بها الزهر من ساير الجهات . ونظر حذيفة تقصير عنتر في اكلهِ وشربهِ . وقلة نشاطهِ . عند لهوهِ ولعبهِ . فقال لهُ يا ابا الفوارس الى متى يكون هذا الغم والكمد . اما تعلم ان هذا يهدم مجدك الذي بنيتهُ

Digitized by Google

وعلاك للذي عليته . والله ان عمك هو الخاسر في هذه الفعال ٠ وسوف يرجع اليك بالخضوع والاذلال. فقال عنتر والله يا امير ما انا متاسف الا علي الجميل الضايع . والمخاطرة في ركوب الاخطار وخوض المعامع*واخيرًا تشمت بي الحساد . وتتكلم في عرضي اللئام والاوغاد٠ قال وعند ذلك جالت الدموع في اجفان عنتر . وتحسر من عظم ما جرى عليه وتفكر ٠ ومنعه الحيا من البكا . فقام واوسع في الفلا ٠ ليسلي نفسه من ذلك البلا * واذا بسرب حمام قد تساقطن علي اغصان الشجر وتجاوبن بالنوح كما تتجاوب النسا الثاكلات. فاجرين من اجفان عنتر العبرات ٠ وتصاعدت من انفاسه الزفرات فجاش الشعر في خاطره وباح بما انطوت خفايا ضمايره ٠ فانشد يقول

ياطاير البان قد هيجت اشجاني   وزدتني طربًا ياطاير البانِ
ان كنت تندب الفًا قد فجعت به   فقد شجاك الذي بالبين اشجاني
زدني من النوح واسعدني على حزني   حتى ترى عجبًا من فيض اجفاني
وانظر الى نار وجدي لاتكن جذلاً   واحذر على الروح من انفاس نيراني
وطر لعالك في ارض الحجاز ترى   ركبًا على عالجٍ او دون نعمانِ
يسري بجاريةٍ تنهل ادمعها   شوقًا الي وطنٍ ناءٍ وجيرانِ
ناشدتك الله سرب الحمام اذا   رايت يومًا حمول القوم فانعاني
وقل طريحًا تركناه وقد فنيت   دموعه وهو يبكي بالدم القاني
ويسال الريح من اي الجهات اتت   عنكم سوال سايب العقل حيرانِ

اقسمت لوكان فوق الشمس منزلها او فوق اعلي السهي او ظهر كيوان
لا بد اشفي غليل القلب من رجل يغدر و من بلوغ القصد اقصاني
قال وكان عنتر لما قام من المجلس تبعهُ مالك بن زهير وتمشي
وراهُ وهو لايدري حتي باح بسرّ هواه . وسمع شعرهُ وشكواهُ .
فجرح قلبهُ وبكي علي بكاهُ . ثم ان عنتر بعد هذه الابيات كفّ
دموعهُ السجيمة . وعاد الي الوليمة . واما مالك بن زهير فانهُ حدث
اولاد بدر بما سمع من عنتر * فرثي الباواهُ كل من حضر . وقال
حذيفة قاتل الله العشق فما اقتلهُ للعشاق . وما اذلهُ للاعناق .
ثم ان القوم عادوا الي ما كانوا عليهِ وحذيفة يوسع لهم في الشراب
والطعام . ويزيد لهم في الاكرام . تمام سبعة ايام . ولا يمضي يومٌ الا
ويسمعون من عنتر ما يطربون بهِ من النثر والنظام . وفي اليوم
الثامن عادوا اولاد زهير وعنتر الي حي بني عبس وقد زاد بهِ الوجد
والغرام * وبانت عليهِ علايم الضر والسقام . وما كان يفرج عنهُ
الهموم والكروب . الا قدوم اخيهِ شيبوب . فان قلبه كان معلقا
بقدومهِ اليهِ * لكي يقصّ ما عندهُ من الخبر عليهِ . قال وما زال
عنتر ينتظرهُ تمام الاربعين يومًا وقد زاد بهِ القلق . واشتعلت
في قلبهِ الحرق * واراد ان يسير في طلبهِ ليكشف حقيقة خبرهِ .
ويعلم ما تم عليهِ في سفرهِ . قال فبينما عنتر يحدث نفسهُ بالمسير في
اثر اخيهِ شيبوب واذا بهِ قد اقبل . ودخل عليهِ علي عجل . فنظر
اليهِ عنتر ما يعرفهُ لان قدومهُ عليهِ كان في الليل * وكان قد

اصابهُ الذهول والحيرة حتي صار في حال الذل والويل . فقال لهُ شيبوب ويلك ياعنتر ماذا جري عليك حتى صرت مثل الولهان وانت لاتعي علي انسان . قال فلما عرفهُ عنتر كاد قلبهُ ينفطر واذا بهِ شيبوب فقال لهُ يااخي اخاف ان تكون بعد هذه المدة عدت بلافايدة وما وقعت لعمي علي خبر . ولا طلعت لعبلة علي جلية اثر . فقال شيبوب والله يا اخي ما جيتك الا بالخبر اليقين . الذي عاينتهُ الصوبان المبين . وها انا اعرفك ان عمك نزل علي بني شيبان عند قيس بن مسعود . صاحب العساكر والجنود . واستجار بهِ فاجاره واعطاه الذمام . وزوج عبله بولده بسطام . واختار هناك المقام . فلما سمع عنتر ذلك قلق وهام . ولم يترك يتمّ اخوه الكلام . حتي حس ان روحهُ انسلت من جسده من شدة الغرام . وقال ويلك ودخل بهاذلك الشيطان ابن الالف قرنان . فقال شيبوب لايااخي اسمع هذه القصه واترك عن قلبك هذه الغصه * فاني لما فارقتك سرت الى ديار بنى قحطان . ودرت حللاً كثيره من حلل العربان . حتى سمعت ان عمك نازل في بنى شيبان . فسرت الى القوم وقد ضيقت لثامي وغيرت كلامي ودخلت في الليل الى الحلة . والقوم عني في غفلة . فرايت قيس بن مسعود قد ركب عند الصباح في موكبهِ . وعمك وولدهُ الى جانبهِ . ثم اني رصدت مضرب عبلة حتى خلا ودخلت عليها فرايتها تبكي من شدة الشوق الى الديار والاطلال وقد تغير منها

ذاك الحسن والجمال. فلما رأتني وثبت الي ودموعها تتحدّر. وقالت لي ويلك يا شيبوب ابن اخوك عنتر. فقلت لها هو مقيمٌ في بني عبس يقاسي النحس والنكس * وانا درت عليك جميع الحلل. وعملت جميع الحيل فما وقفت لك على اثر. ولا اطلعت على خبر * فقالت والله اني كنت خائفة عليه وليس عندي احدٌ يوصل خبري اليه. وانا قد غرقت في بحر الهموم والفكر. لان ابي قد ازوجني ببسطام بن قيس وطلب منه مهري راس ابن عمي عنتر. وقد اتفقوا جميعهم على ذلك. وما بقي الا انهم ينصبون لاخيك اشراك المهالك. فارجع اليه واعلمه بالخبر. وقل له يكون من امره على حذر. ثم بعد ذلك ودعتني وقد زاد بكاها وعظم شكاها. وتلهبت بنار جواها وقد ارسلت لك معي ابيات وقد حلفتني ان انشدها عليك وهي هذه الابيات

ايا ابن العم قد طال انتزاحي	وذبت لفرط وجدي والتياحي
ولو اني قدرت لطرت شوقا	الى تلك الديار مع الرياح
ولكن حول ابياتي رجالٌ	تهز اكفها سمر الرماح
وقد اصبحت مثل الطير لكن	يد الايام قد قصت جناحي
فبالله كيف يباع مثلي	رخيصاً للعدى بيع السماح
ويرغب في غريب اجنبيٍ	ويزهد فيك يا ليث الكفاح
وحقك لا نقضت العهد يوما	ولو قُطّعت بالبيض الصفاح
فدبر ما ترى فيه صلاحاً	فانك انت اخبر بالصلاح

Digitized by Google

قال ولما فرغ شيبوب من اداء الرسالة التي من عبله الى اخيه عنتر . توقدت عيناه حتى كاد يطاير منهما الشرر . وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لاجعلن بسطام وبني شيبان . احدوثة في هذا الزمان . تتحدث بها جميع العربان . واجازي عمي على هذا الغدر . حتى يرى كيف عاقبة المكر . ثم قال عنتر واين هم نازلون هولاء فقال شيبوب بارض العرندين والدهناء وهم سبع الف من الف فارس من بني شيبان . لان اكثرهم في هذه الايام على التزويج والغدران . ولكن هيبة قيس و بسطام تحرسهم من طوارق الحدثان ن قال وكان السبب في نقل مالك ابي عبلة ونزوله على بني شيبان . هو انه لما فرغ عنتر من نوبة خالد بن محارب ورحل طالبا معونة الملك زهير واولاده على قتال بني زبيد . وجاءت خلايق من بني عبس الفرسان الصناديد . والاف الملكان من الاحرار والعبيد . فقال مالك للربيع اما ترى ما انتظم سعادة هذا العبد الاسود . الذي قد طغى وتمرد . وكلما رميناه في مهلكة يسلم منها ونقع نحن فيها فيحوجنا الدهر اليه . ويكون خلاصنا على يديه . والله ان شرب كاس المنية . اهون علينا من هذه البلية . والان مابقى لي من بعده خلاص . ولابد ما ياخذ ابنتي بالسيف والاقتناص . ولا اعلم كيف يكون التدبير في هلاك هذا العبد الطغيير . فقال له الربيع اعلم يا ابن العم ان الناس الان مشغولون بالحرب فاركب انت بجميع اهلك على هذه الجنايب

والمهاري . واقطع بهم القفر والبراري . واطلب ارض بني شيبان . فما ينفصل الحرب الا وانت في ابعد مكان . واذا نزلت على قيس ابن مسعود وشكوت اليه حالك فلا بد ان يلحقك امالك . لانه مالك مطاع . وله ولد اسمه بسطام تخاف منه السباع . فلا تتم ظالمة فهو يقتل الك غنتر . ويخلصك من هذا العار الاكبر . فلما سمع مالك كلامه رآه غاية الصواب . فركب من المهاري والنجب التي اتى بها معدي كرب واخذ جميع اهل بيته ومن يتعلق به من الاصحاب . حتى وصل الى الملك قيس بن مسعود واستجار به فاجاره واعطاه الذمام . وطاب له هنالك المقام . قال الراوي وكان هذا الملك قيس ملك بني شيبان . والحاكم على تلك العربان . وكان يقال قيس ذو الجدين لانه اصيل في النسب . ورفيع المجد والحسب . وكان له ولد اسمه بسطام ترتاع من هوله اسود الاجام . وكان قد سمع الملك النعمان به * فارسل بخلعة اليه . وطلبه ليجربه ويبارز الفرسان بين يديه * فحضر عند النعمان . وبارز الفرسان . وقارع الشجعان . وبطح الاقران . في ساحة الميدان . واقام عنده مدة ايام وعاد طالبا ديار بني شيبان . وقبل وصوله ارسل عبده واخبر اباه واهل الحلة فخرجوا الى لقايه . وكان في جملة من خرج مالك ابو عبلة فسلم عليه وقبل يديه . وبعد وصوله الى الحي سال عمه مالك وعشيرته فقالوا يا امير هولاء القوم من بني عبس وقد نزلوا على

ابيك متنجبر بن ابيهِ من عبدٍ قد نشا عندهم وقهرهم بشجاعته .
واحتاج ملكهم الى سيفهِ وحمايتهِ . واراد ان يغضب هذا الشيخ
على ابنتهِ * فانف الرجل من ذلك والتجا الى ابيك واستجار بهِ
فاجارهُ واعطاهُ الذمام . والان لهُ عندنا جملة ايام . وفي غضون
ذلك وصفوا لهُ حسن عبلة وملاحتها . وادبها وفصاحتها .
فاشتغل قلبهُ وخلا بامهِ وقال لها يا اماه هل رايتِ هذه الجارية
العبسية التي اتت مع هذا الشيخ فقالت نعم وما رايت احسن
منها . فما الذي تريدهُ بسوالك عنها . فقال لها وهل هي من الحسن
كما قيل لي عنها . فقالت اي والله ياولدي واكثر لانها فتنة لمن
يراها . ومنية لمن تمناها . قال فلما سمع الامير بسطام هذ الكلام .
اشتد بهِ الغرام . وقال لامهِ ياأماه والله كان في نيتي اني لااذكر
النساء واما الان فقد وقع في قلبي من هذه الجارية نارٌ لاتخمد .
ولوعةٌ لاتهمد . ولقد اشتهيت ان اراها قبل ان اخطبها لان كل
عين لها نظر . فقالت وكيف تقدر على هذا وهي مخدَّرة لاتراها
لاشمسٍ ولا قمرٍ . فقال بسطام يا اماه متى حضر ابوها واخوها
الى مجلس ابي فادعي انتِ امها واكرميها * وطاوليها في الحديث
ولاطفيها . حتى التف بكساء وامضي الى بيتها بزيٍ سايلة لعلي
اراها * اذ لاعيب على الانسان اذا سعى في حاجة نفسهِ وقضاها
فاجابته امهُ الى ذلك حتى كان الغد وحضر ابوها واخوها الى
مجلس ابيهِ وانفذت ام بسطام الى ام عبلة حضرت واكرمتها *

ولاطفتها في الحديث وشاغلتها . فلبس بسطام ثياب امراة فقيرة وخرج يطوف في الحلة . حتى وصل الى بيت مالك ابي عبلة . وكانت عبلة في ذاك الوقت سافرة رافعة النقاب . وقد لاح وجهها كالقمر اذا انكشف عنه السحاب . فبينما هي كذلك اذا بسطام قد وقف على باب الخباء وقال لها يا حرة العرب الله يبلغك مراد قلبك سدي جوعي . وكفي دموعي . فاني امراة ضعيفة الحال . كثيرة العيال . قليلة الرجال . فدخلت عبلة الى الخبا ثم خرجت ومعها رغيف وشي من التمر وقالت خذي ياخالة واعذرينا في هذا المقدار . لاننا غربا في هذه الديار . هذا وبسطام قد غاب عن الوجود من عذوبة كلامها . وحسن منظرها واعتدال قوامها . ثم عاد الى امه وهو قد غاب عن الصواب . وخلع عنه تلك الثياب . وقال لها يااماه لا تسالي عن حالي فما بقي لي سمع ولا بصر بعد هذه النظرة التي تدهش النظر . فقالت له طب نفساً وقر عيناً لانك اليوم سلطان بني شيبان وانا اخاطب اباك في هذا الشان . ثم حدثت اباه بالقصة . واعلمته بما وقع في قلب بسطام من الغصة . فقال لها يا ابنة العم انني سادعو اباها وابذل له ما يريد من المال . والنوق والجمال . واجمع بهذه الجارية شمل بسطام . ولا ادعه يكابد لواعج الغرام . ثم دعا بولده بسطام وطيب قلبه بنوال المرام . ودعا بمالك ابي عبلة وقال له اعلم يا وجه العرب انني اقول لك قولاً لك فيه الصلاح . وان كنت

Digitized by Google

توافقني فتحت لك ابواب النجاح . فقال قل ايها الملك ما يبدا لك فانني لا اخالف مقالك . فقال اريد ان تزوج ابنتك بولدي بسطام * الذي هو سيد بني شيبان . وحامي بلاد النعمان * واطلب ما تريد من المال . والنوق والجمال . حتى اسوقه اليك في الحال . فلما سمع مالك ذلك الكلام . رآه طبق المرام . فكاد قلبه يطير من السرور . وقال والله يا مولاي . ما انا الديك الا عبد مامور . ولكن يا سيد العرب . انت تعلم ما تم لي من السبب . واني ما اتيت اليك الا لكي استجيره من ذلك العبد الطخير . وقد جاءت بالبيت الحرام . وما فيه من الالهة والاصنام . اني ما ازوج ابنتي الا لمن ياتيني براسه لانه مادام في قيد الحياة لا استامن على نفسي من بلاه . وعند ذلك ازوجه ابنتي من غير مهر ولا صداق . ولا جمال ولا نياق . فلما سمع بسطام ذلك الكلام . طاب قلبه . وانفرج كربه . وقال له يا شيخ ان هذا الامر عندي اهون الامور فلا بد ان احضر براسه اليك . واطرحه بين يديك * حتى تدوسه برجليك . وانفي عنك الهم والغم والعار . واطفي ما بقلبك من النار . وبعد ذلك اعطيك كل ما تريد . من المال والجمال والعبيد . فتصير انت وابنتك من ارباب النعم . واصحاب الممالك والخدم . وعند ذلك اعطى مالك يده لبسطام . وانعقد الامر على هذا المرام . ونهض بسطام والدنيا لا تسعه من شدة الافراح . وايقن بالتوفيق والنجاح . قال الراوي وبعد ذلك دخل

يسطام بابيه فقال قيس والله ياولدي ان هذا الضمان الذي ضمنته لامرٌ عظيم . وخطرٌ جسيم . لاننا ان جمعنا جالك بني شيبان . ومضينا الى بني عبس وعدنان . ثارت بيننا الحروب . ونصير بين غالب ومغلوب .

ويقول عنا العربان . اننا ما قدرنا على قتل عبد بني عبس الا حتى جمعنا عليه بني شيبان . وما ثارت بيننا هذه الفتن . الا من اجل جارية غريبة مشردة عن الوطن . وان سرت وحدك وبذلت المجهود . ما اظنك تنال المقصود . وربما تلقي نفسك في الخطر . ويحكم القضا والقدر . فقال بسطام . يا ابتاه ما هذا الكلام . ومن هم بنو عبس الا انذال . حتى اسير اليهم بالخيل والرجال . وانا اقسم بالركن والحجر* والهبل الاكبر* انني لا اسير اليهم الا وحدي . ولافعلنَّ بهم فعلاً لاً تتحدث بها الناس من بعدي . واعود وراس عبدهم معي * ويرتفع قدري وموضعي* ولكن اريد ان تكتم عني هذا الحال* ولا تطلع عليه احداً من النساء والرجال . ومن سال عني من العربان . فقل له مضى يشرف على بلاد النعمان . وان اطلعت على امري احداً . قتلت نفسي ولا تعود تراني ابداً * فانني اخبر الناس بعواقب الدهور . واعرفهم بحوادث الامور . وانني اخبرك بما اريد من العمل وما عزمت عليه من الحيل . فاني اذا وصلت الى ارض بني عبس وعدنان . اختفي بين الرمال والكثبان . فلا بد لعنتر

ان يخرج يتصيد في ذلك المكان. فاقطع راسهُ واعود بهِ الى الديار والاوطان. قال الراوي فلما رآى ابوهُ منهُ ذلك العزم الشديد. اطاعهُ على ما يريد. وقال اذهب بحفظ الالهة العظام * وعسى ان تحظى بنيل المرام. ثم ان بسطام صبر حتى ولى النهار وانصرم. واقبل الليل بجيوش الظلم. فتاهب واعتد وخرج من الخيم. يطلب الذي عليهِ قد عزم. قال الراوي وجعل بسطام يضرب في البراري والقفار وقد لعبت بهِ لواعج الغرام. وصار يلتفت الى المضارب والخيام. وانشد يقول

زوديني يا عبل منك السلاما ... واحفظي حرمتي وارعى الذماما
قد تملكت سيداً وهماما ... كان لا يعرف الهوى والغراما
فارس تشهد الفوارس في الحر ... ب لهُ قبل ان يسل الحساما
ان قلبي في دار عبلة من بعد ... رحيلي عن الديار اقاما
يا لقومي فتلت بالاعين النجل ... وامسيت مغرماً مستهاما
وجفوني قد حللت سهر الليل ... وباتت ترى المنام حراما
قد رميت مهجتي فتاةٌ لعبس ... بلحاظ قد ذقت منها الحماما
عجبي من لواحظ فاترات ... كيف ترمي الى القلوب سهاما
خطرت فاستعار منها قضيب ال ... بان ليناً والخيزران قواما
وراها الهلال فاقتبس الانو ... ار من وجهها فعاد تماما
وظلام الدجا تحير لما ... اسبلت شعرها فزاد ظلاما
صورةٌ لو بدت لنا كل يوم ... ما عبدنا من بعدها اصناما

فدع العشق يا ابن شداد واسلو   عن هوى عبلَ والتقي بسطاما

قال الاصمعي وجعل بسطام يجدُّ السير في الهول والآكام . وهو سكران من خمرة الغرام . كما يسكر شارب المدام . فما افاق على نفسهِ الا وقايد الهوى قد اعدمهُ التوفيق . وسايق العشق قد ضلَّ بهِ عن الطريق . لانهُ اراد ان يطلب وادي ذي قار . فرأى نفسهُ في ارض الدمايث وتلك الاقطار . وهي ارض واسعة الجنبات . دارسة الطرقات . كثيرة الآفات . موحشة الفلوات . فوقف ينظر فيها ذات اليمين والشمال . ويتامل تلك الروابي والتلال * واذا بغبار من يديهِ قد ثار . واظلم منهُ ضوء النهار . ثم انكشف عن سبعين فارساً مسربلين بالحديد * وبين ايديهم فارس كانهُ الحصن المشيد . ولما راهم بسطام حرك نحوهم الجواد . واراد ان يستخبرهم من اي العرب هم ومن اي البلاد . وكانت ايضاً الفرسان لما نظرتهُ حركت نحوه الخيل . وطلبتهُ مثل اندفاق السيل . وتقدم مقدمها اليهِ وقال لهُ يا فتى من تكون من فرسان العرب . انتسب عسى يُنجيك النسب . فلما سمع بسطام ذلك الكلام زاد بهِ الغضب . واشتد بهِ السخط والتهب . وقال لهُ ويلك انا بسطام ابن الملك قيس بن مسعود * الكريم الآباء والجدود * وان كان لا يُنجيني النسب * نجاني هذا الحسام المشطب * وهذا الرمح المكعب * وانت من تكون من اوباش العرب . قال فما اتم بسطام هذا الكلام . حتى ابدى ذلك الفارس الابتسام . وهز في

Digitized by Google

كتفهِ ذلك الرمح المعتدل القوام. وقال اهلاً وسهلاً بك يا ابا
اليقضان. فان لي بانتظارك مدة من الزمان. فما احسن هذا
الاتفاق. الحلو المذاق. الذي يستحق ان يسطر في الاوراق.
والحمد لله الذي قرب عليَّ الطريق. وخلصني من المهلة والتعويق
فقال لهُ بسطام وكيف هذا الكلام هل لك عندي دين
تستوفيهِ. ام ثارٌ تقتضيهِ. فقال لهُ ذلك الفارس والله يابسطام
لا اقدر ان اعود الى اهلي الا ان اقطع راسك بهذا الحسام * حتى
لا يبقى عليَّ عتب ولا ملام. فقال لهُ بسطام وكيف هذا الكلام
يارجل اطلعني على معناهُ * حتى اعرف ما وراه. فقال لهُ اعلم
اني خطبت سعدى بنت شهاب اليربوعي سيد بني يربوع.
الذى جرحته انت وكسرت منهُ الضلوع. فقالت لي امها انها
حلفت ان لا تزوج بنتها الا لمن ياتيها براس الذى جرح اباها
واركبهُ العار في ساير الاقطار. وتركهُ لا ينتفع بنفسهُ لا في الليل
ولا في النهار. فقلت لها ومن يكون هذا الرجل من العربان.
فقالت هو بسطام بن قيس سيد بني شيبان. فدخلت انا تحت
هذا الشرط واخذت يدها عليهِ. وخرجت في هذا الطلب الذي
يسر الله لي قرب الوصول اليهِ. واما سوالك عن نسبي فانا
طرفة بن رافع. صاحب الغارات والوقايع. واذا قطعت راسك
اعود. واخذ زوجتي بلا صداق معدود. ولا مال منقود. وعلى
اني ما ابغي عليك. ولا اخلي احداً من قومي يدنوا اليك. فخذ

الان حذرك . ودبر امرك . ثم اشار اليهِ وانشد

دونك ليثاً بطلاً فضاحا　بسيفهِ يختلس الارواحا
فحلٌ كمي يحمل السلاحا　ولا يملُّ الحرب والكفاحا
ويكسر الاسياف والرماحا

قال الراوي فلما سمع بسطام هذا الكلام . قال والله يا طرفة لقد ساقك الموت برجليك الى سوء المصرع . واليوم ترى اسد لا يلتقى ولا يدفع . وانا ما اريد منك غير الانصاف وان لم تنصف احمل عليَّ انت وقومك اجمع . فانكم عندي مثل الغنم الرُتع اذا وقع فيها الاسد الادرع . فقال له وما الذي تريدهُ من الانصاف . اعلمني بهِ حتى اطيعك من غير خلاف . فقال بسطام تمهلني حتى انزل عن جوادي واريحهُ قليلاً في هذا المكان . وبعد ذلك اعود الى ظهرهِ ودونك القتال في الميدان . فقال له طرفة افعل ما بدا لك * فاني لا اخيب سؤالك . ثم ان طرفة عاد الى رفقتهِ . واعلمهم بما اتفق ببسطام ففرحوا بقضاء حاجتهِ . وبعد ذلك نزل بسطام عن جوادهِ وحل عنهُ الحزام . واخرج من فمهِ اللجام . وصبر حتى اخذ الراحة للمجال . لانه كان سار من اول الليل الى وقت السحر وهو على ذلك الحال . فلما اخذ الراحة عاد الى ظهرهِ وجال وصال في الميدان . وتفكر في حوادث الزمان . فانشد يقول

انصف الدهر وبالحق حكم　ولعمري يا القومي ما ظلم

سرت ابغي دم من لاهانني فاتاني من يطالبني بدم
عاشقٌ يشكو صبابات الهوى وبه مثل الذي بي من سقم
قصةٌ يعجب من يسمعها ثم تبقى مثلاً بين الامم
يابني شيبان قلبي ضايعٌ فانشدوه بين اطناب الخيم
خدعته ظبيةٌ في طرفها صايدٌ يصطاد اساد الاجم
من بنات العرب حازت بهجةً فضحت بالحسن ابكار العجم
قسماً لو برزت من خدرها ماعبدنا بعد رؤياها صنم
هي شمس طلعت وقت الضحى او هلالٌ سار في جنح الظلم
يا ابنة العبسي اني ضيغمٌ اترك الشجعان زرقا للرخم
لو نظرت اليوم طعني بالقنا يا منيّ قلبي وضربي للقمم
ما تاسفت علي عنترة لا ولا قست الموالي بالخدم

قال الراوي ولما فرغ بسطام من شعره حمل على تلك الخيل. ونزل عليها نزول السيل. في هدو الليل. والتقى الرجال. بضرب يقرب الاجال. ويقصر الاعمار الطوال. قال فلما نظر طرفة الى بسطام. وهو قد حمل على قومه كانه الاسد الهجام. وقتل منهم جماعة بضرب الحسام. زعق عند ذلك في بسطام وحمل عليه. وتقرب منه حتى وصل اليه. ورد قومه عن قتاله. خوفاً منه على رجاله. فالتقاه بسطام بضرب يقرب الحمام. وطعن لا تدركه الاوهام. وتحاربا ساعة من النهار. حتى انعقد عليهم الغبار. وعميت منها الابصار. وتحيرت منها الافكار.

ونظر بسطام من طرفة عين التقصير وطرفه نظر من بسطام ما اهاله فندم على مافعل من سوء التدبير. لكنهُ اظهر الجلد واخفى الكمد ولم يزالا في قتال ونزال. وطعن بالسمر العوال. وضرب بالسيوف الصقال. حتى اخذ الارض من تحتهما الزلزال. ولاح لبسطام فرصة من خصمهِ فضايقهُ. ولاصقهُ. وسد عليهِ طرقهُ وطرايقهُ. وضربه بالسيف على عاتقهِ فاطلعهُ يلمع من علايقهِ. فلما رات اصحابه ماحل بهِ من البوار. وعلموا ان ليس لهم على حرب بسطام اقتدار. ولوا الادبار. واركنوا الى الهرب والفرار. هذا وبسطام لما فعل ما فعل رأى لنفسهِ علو المقدار * وزاد بهِ الفرح والاستبشار. وايقن بالغلبة على عنتر والانتصار. فلم يتبع احدًا من المنهزمين في البر والقفار. ونزل في ذلك المكان وقرّ بهِ القرار. وبعد ذلك ركب جواده وسار طالبًا ديار بني عبس وتلك الاثار. حتى وصل الى ارض الصريمة * ومنازلها القديمة. ومن هنالك سقط على ديار بني مرة وغشم بن مالك فبينما هو على ذلك اذ طلع عليهِ فارسٌ بين يديهِ راجلٌ يسعى ويقطع الارض قطعًا. قال الراوي وكان هذا الفارس عنتر بن شداد * والراجل شيبوب وهو يهز في البر قدام ذلك الجواد. وكان سبب قدومهِ الى تلك الارض ان شيبوب لما اعلمهُ بقصة بسطام * صار الضياء في عينيهِ ظلام * وسار خفيةً من الحي في ظلام الليل. وشيبوب يندفق قدامهُ

Digitized by Google

اندفاق السيل . حتى التقي به بسطام وقد عرف كل منهم صاحبهُ
بالصفة من تحقيق ولا معرفة . فصاح عنتر الى اين يا ابا اليقظان .
وماذا اتى بك الى هذا المكان . فقال بسطام اليك يا ابن شداد .
حتى اقطع راسك واغتنم ظبية الصياد . فقال لهُ عنتر وقد
زاد قلقهُ . وانحدر على جبهتهِ عرقهُ . وهل نظرتها يا ابا اليقظان .
فقال نعم قد نظرتها فوجدتها تصلح لمثلي لا للعبيد السودان .
واخذت يد ابيها واشهدت عليهِ . بشرط اني احضر براسك
اليهِ . فقال مرحبا بك يا ابا اليقظان . لقد طلبت امرًا اسهل
من جرعة الماء عند العطشان . وقد كان ينبغي ان ترسل اليَّ
بعض عبيدك ولا تعني انت يا سيد بني شيبان . وهذا راسي
امامك لا تحتاج اكثر من ضربةٍ واحدة . وتعود الى اهلك
بالغنيمة الباردة . فلعب الطمع براس بسطام وهدم كابنه
الاجلم . وتقدم وهو يقول والله يا عبد السوء ما القتال معك
الا عار لان العبيد لا تقابل بالاحرار ثم انهُ صال وجال على
فرسهِ ذات النسور . وانشد يقول

حادثات الدهر تاتي بالبدع ترفع العبد والحرّ تضع
خلِّ عنك الحرب يا لون الدجى واتبع الحق ودع عنك الطمع
ما ركوب الخيل نوقٌ في الفلا كنت ترعاها اذا الصبح طلع
لا ولاعبالة من بعض الاما مثلها مع مثالك الدهر جمع
فاسلُ عنها قد حواها سيدٌ سيفهُ لو ضرب الصخر انقطع

يلتقي الابطال في يوم الوغى بجنان لايدانيه فزع
يابني شيبان قد نلت المنى وانجلي هم فوادي واندفع
وغدا اخبركم عن عنتر انه قد شرب الموت جرع

قال الراوي فلما سمع عنتر من بسطام كلامه وما ابداه من نظامه عرف انه معجب في نفسه وصباه وان العشق قد اغراه فجلل عنتر عليه ومال واجابه على شعره وقال

يا ابا اليقظان اغراك الطمع سوف تلقى فارسا لا يندفع
رمتني تطلب مني غفلة مثل ذيب في المواشى قد رتع
يا ابا اليقظان كم صيد نجا خالي البال وصياد وقع
ان تكن تشكو لاوجاع الهوى فانا اشفيك من هذا الوجع
بحسام كلما جردته سجد الموت له ثم ركع
ويك اني عنتر الليث الذي يصدم الخيل اذا النقع ارتفع
نسبتي سيفي ورمحي وهما يؤنساني حين يشتد الفزع
يابني شيبان عمي ظالم وعليكم ظلمه اليوم رجع
ساق بسطاما الى مصرعه فالقا منه باذيال الطمع
وانا اقصده في حيكم واجازيه على ما قد صنع

قال الراوي ولما فرغ عنتر من شعره اخذ مع بسطام في معاناة الحرب والصدام ثم انهما لعبا بالرماح وطلبا الجد وتركا المزاح وقصدا بالاسنة مقاتل الارواح وكانا فارسين كاسبين زابر بن او بحرين زاخرين وما زالا كذلك حتى

اقبل عليها المساء . وهما بين لعل وعسى . الا ان بسطام كل
ومل وضعف عزمه والحل . وندم علي ما فعل وعلم ان الفرسان
تتفاضل . وان عنتر بطل لا يقابل . فعند ذلك طلب بسطام
الا قالة لكي يرتاح . الى وقت الصباح . فاجابه عنتر الى ذلك
وعلم ان بسطام ما بقي لهُ من يدهِ براح . فطلب بسطام بعض
الروابي ليبات هناك . وهو قد اشرف من التعب علي الهلاك .
واما عنتر فانهُ نزل عن الجواد واتاه شيبوب بشيء من الزاد .
وقال لهُ يا اخي كيف رايت خصمك في هذا النهار . فقال
ياشيبوب انهُ فارس مغوار وبطل كرار . فقال لهُ شيبوب
اني وحق البيت الحرام عزمت على قتلهِ مرارًا بالسهام . ولكن
خفت من الملام . فقال ياشيبوب دعهُ يعض انامله باثياب
الندامة . وانا قد تبين لي منهُ عند المساء ان ليس فيهِ رجاء
السلامة غير اني اريد ان اخذهُ معي اسيرًا الى بني شيبان . ليكون
قد حضر ومعهُ راسي الذي عقد عليهِ العهود والايمان . ثم امر
شيبوب ان يتولى حفظهُ الي الصباح . ويضيق عليهِ في
تلك البطاح . فطلع شيبوب الي اعلى الجبل وصار يتردد امام
بسطام . فلما راي بسطام خيالهُ ارتاع منهُ وقال لهُ من تكون
في هذا الظلام فقال لهُ شيبوب انا من ملوك الجان . قد
استوطنت في هذا المكان . وقد اتيت هذه الليلة اليك . حتى
اجعلها اشر الليالي عليك . فارتاع بسطام وقال لهُ اتركني

ايها الجبار * فقد كفاني الشيطان الذي وقعت في حربه هذا النهار
فقال له والله لا ارجع عنك . حتى اشفي فوادي منك . قال
الراوي وما زال شيبوب معه في اقبال وادبار * ورجم بالحصى
والحجار حتى طلع الصباح فانحدر من على الرابية الامير بسطام .
وقد حل في يده الحسام * وكان في تلك الليلة ما نام * وهو
يفتكر في تقلبات الايام . ويتعجب كيف قاده الغرام . الى هذه
المهالك العظام . فندم على مخالفة ابيه * التي اوقعته في ما لا يعنيه
قال الاصمعي وبعد ذلك انطبق الفارسان على بعضهما واخذا
في الحرب والجلاد . والكر والفر والطراد . وحمل بعضهما على
البعض . وجالا في الطول والعرض * حتى ارتجت منهما تلك
الارض * واستطال عنتر على بسطام حتى كل وملّ . وضعف
عزمه وانحل . فبينما هما على ذلك اذا بغبار قد ثار . من ناحية
بني عبس بتلك الديار * ثم انكشف عن مائة فارس كرار * على
خيول تسير كانها الاطيار * ولما قربوا من مكان الحرب وحققوا
النظر الى بسطام وعنتر * نادوا كلهم يا لعبس يا لزياد . وهموا
ان يطلقوا الاعنة للحرب والجلاد * فارتعد بسطام واراد ان يفلت
من يد عنتر بن شداد . ويفر من امامهم في تلك الوهاد . واذا
بغبار اخر من ناحية بني شيبان . قد احتبك مثل قطع الدخان
وامتد في تلك الاقطار * وبان لاعين النظار * عن ثلثماية
فارس كرار . مثل شعل النار . قال الراوي وكان كل فريق

Digitized by Google

من القادة بن طالب الباقين قتل عنتر . وليس عندهم علم من بعضهم ولا خبر . وكان السبب في قدوم العبسيين ان مالك بن قراد . ارسل خبرًا بقصة بسطام الى الربيع بن زياد . ويقول له يا ابن العم انه قد حصل لي من القوم اكرام عظيم . ولكن قلبي يحن الى وطني القديم . وانا خايف ان يختلط نسبي ببني شيبان . وتحترم من عودتنا الى الاوطان . والان فقد سار بسطام ليقتل عنتر في جوار الحلة . ويرجع فياخذ عبلة . وانا التمس من نخوتكم ان تعينوه على ذلك لعله يسقيه شراب المهالك . ويعود الشمل الى الاجتماع . ويتصل الحبل بعد الانقطاع . ففرح الربيع بهذه البشارة . واعلم بذلك اخاه عمارة . فزاد طمع عمارة في عبلة هذا الصنيع قال لاخيه فكيف يكون التدبير يا ربيع فقال الربيع من الراي ان نترك على هذا العبد العيون والارصاد . حتى يغيب الى غير هذه البلاد . ونتبعه بماية فارس ونقتفي اثره وناخذ من الحلل خبره . فان ادركناه في الحرب مع بسطام ساعدناه الى ان يقتله ويسقيه كاس الحمام . والا اكمنا له على طريق بني شيبان . واذا عبر علينا خرجنا عليه بالرجال والفرسان . ولا ندعه يخرج من ذلك المكان . فقال عمارة والله لا سار اليه الا انا ولا بد لي ما انهب جسده بالصوارم والقنا . ثم دعوا عروة بن الورد في عاجل الحال واتفقوا معه على هذا المنوال وبقوا يرصدون عنتر في الليل والنهار . الى ان غاب عن الحلة . وعلموا انه

سار الى خلاص بنة عمه عبلة. فعندها ركب عمارة وعروة بن الورد ورجاله وتتابعت خلفهما الفرسان. وطلبوا ديار بني شيبان. وعمارة يقول وحق ذمة العرب ان قلبي يحدثني بنوال المرام واني عولت ان اقتل عنتر وبسطام. واسقي الاثنين كاس الحمام. حتى لا يبقى من يعاندني في عبلة حبيبة فوادي. التي منعت من عيني لذيذ رقادي. فقال له عروة والله يا عمارة ليس عبلة الا مشومة على بسطام. وانها تجعله عنتر موعظة للعربان. فلاني اعرف قتال عنتر ومنزلته بين الفرسان. واني والله ما سرت معك الا موافقة لك حتى لا تقول صديقي عروة ما يعرفني الا عند السرور والافراح. ويتعد عني في وقت الشدايد والاتراح. فقال عمارة على كل حال تكون نحن رابحين. وما يكون معنا مثل هولاء الفرسان ونكون خاسرين. لان خيلنا جياد. ورماحنا مداد. وسيوفنا حداد. وسواعدنا شداد. ونحن سادات بني زياد. فان راينا عليه فرصة بادرنا اليه وقتلناه. واذا رايناه وقع في داهية عدنا عنه وخليناه. ولم يزالوا سايرين خلف عنتر حتى ادركوه عند الصباح. وهو مع بسطام في الحرب والكفاح واما الغبار الثاني الذي ظهر من ناحية بني شيبان فكان السبب في قدومهم الى ذلك المكان. هو ان الملك قيس افتكر في امر ولده بسطام ومسيره وحده خلف عنتر وراى امه قد التهب قلبها عليه وهي لا تزال تبكي وتتحسر. فارسل هولاء الفرسان

وقدم عليهم ابن عم له يقال له نجاد. وكان مذكوراً بالشجاعة يوم الحرب والجلاد. وامره ان يتبع اثر ولده بسطام. ويكون معاضداً له ويرسل يخبره عما تم له من الاحكام * فسار الى ان اشرف على عنتر وبسطام. وهما في الصدام. وحينئذ عرف عنتر ان الجميع اخصام له وان كلهم يريدون قتله * فهجم على بسطام وضايقه ولاصقه. وسد عليه طرقه وطرايقه. وطعنه بعقب الرمح في صدره. القاه على ظهره وامر شيبوب ان يشده بالحال ويحتفظ عليه حتى يرى كيف يكون نهاية الحال. فلما راى ذلك نجاد مقدم بني شيبان قال لمن معه ياويلكم شيلوا هذا الاسود على اسنة الرماح. ودونكم هولاء العبسيين الذين اتوا ليعينوه وانهبوا منهم الاجساد والارواح. وانا اقول ان بسطام ما ضعف قدام هذا الاسود الا خوفاً من هولاء الفرسان. واظن ان هذا العبد هو عنتر الذي سار بسطام اليه فالتقى به في هذا المكان * وبعد ذلك حمل يطلب عنتر في خمسين فارس من فرسانه وحمل الباقي منهم على عمارة واصحابه مثل السلاهب وداروا بهم من كل جانب. وتفرقوا عليهم كراديس وكتايب. فعند ذلك لزم بني عبس القتال. والمدافعة عن انفسهم خوفاً من الوبال. قال الراوي وندم عماره على سو رايه الوخيم. وانقلاب مرامه الذميم. لانه اتى ليفتك عنتر فصار من اعوانه وانصاره * واحتاج ان يقاتل معه بغير اختياره. واراد ان يهرب ولكن ما قدر على

ذلك . لان بني شيبان مسكت عليهم جميع الطرق والمسالك .
فاحتاج ان يقاتل ويبذل المجهود * وقد زعقت عليهم الفرسان
على الجنود وهم مثل الاسود وتواثبت الرجال مثل الفهود وقدحت
حوافر الخيل النار من الجلمود . وخيم الغبار على روسهم حتى
بقي مثل الرواق الممدود . وتقطعت مما جرى ذلك اليوم القلوب
والكبود . وايقن عمارة انه هالك ومفقود . ونوى في نفسه ان
سلم من هذه الوقعة ما بقي يرجع الى معاداة عنتر ولا يعود . فالتفت
ذلك الوقت الى عروة وقال له اطلب النجاة . قبل ان نفقد
الحياة . ثم لوى عمارة الوى عنان جواده وطلب الهرب * وهو
لا يصدق بالنجاة من العطب . فتبعه عروة وباقي الفرسان .
فتبعتهم بنو شيبان . وقد اقبلوا بصياحهم الوديان * حتى صاروا
في ابعد مكان . فافتقد الى اصحابهم فوجدوا انه قد قتل منهم
خمسون فارس . وساروا وعروة يقول لعمارة بارك الله لك في
هذه العروس التي هي ابرك العرايس . وعسى ان يهلك لاجلها
جميع بني زياد . ولا يبقى احداً من بني قراد . قال الراوي هذا
ما كان من هولاء واما ما كان من عنتر بن شداد . فانه التقى
الجياد . ومعه اوليك الفرسان الشداد . فابتدرهم بطعن يسبق
لمح البصر . واندفق عليهم كهاطل المطر . اذا زخر وما انكسرت
بني شيبان حتى قتل منهم عنتر ثلاثون فارس من خيار فقتل
منهم ثلاثين . وانكسر الباقون منهزمين . وهم يقولون والله ان

Digitized by Google

هذا الاسود من الجن او الشياطين والتقى بنجاد مقدم بني شيبان.
وهو يجول في حومة الميدان . ويتخي الابطال والشجعان .
فتقدم اليه وضيق المجال عليه . حتى ما بقي يعرف يديه من رجليه .
وطعنه بالرمح في جانبه الايسر اطلع السنان من الجانب الاخر .
فوقع قتيلاً على الارض يختبط بعضه في البعض فعند ذلك
حملت على عنتر بقية الفرسان . من بني شيبان . وهم يقولون شل
الله اناملك . وقطع مفاصلك . وداروا به من اليمين والشمال .
فراوا منه طعناً يشيب روس الاطفال . فعند ذلك ولوا الادبار .
وطلبوا الفرار . هذا وبسطام قد حار وانبهر * من قتال ابي
الفوارس عنتر . وكان شيبوب قد توكل ببسطام حتى عاد اليه
عنتر . وهو مخضب بالدما مثل الشقيق الاحمر * وقال له شد
بسطام على ظهر جواده ولا تبرح من هذا المكان . حتى اشفي
فوادي من الذين يرجعون من بني زياد من بني شيبان * ولولا
ما بيني وبينهم من العداوة والخوان . ما تخليت عنهم ولكن من
بغيهم علينا سلط الله عليهم هذا الانتقام . ثم انه نزل عن الابجر
في تلك الساحة . وصبر عليه حتى اخذ الراحة . فهمّ ان يركب
ويطلب اثار بني شيبان . واذا بهم قد عادوا مثل العقبان . ومعهم
اسلاب بني زياد . وهم طالبون مقدمهم نجاد . لانهم كانوا يظنون
انه قتل عنتر وخلص بسطام . ولم يعلموا ان عنتر سقاه كاس
الحمام . وكان قد قتل من بني زياد نحو سبعين . واكثر السالبين

منهم كانوا مجرحين . الا انهم قتلوا اكثر من مايه فارس من بني شيبان . وجرحوا منهم جماعة من الشجعان . وعند عودتهم ناقلهم عنتر بطعن يقرب الاجال . وضرب يقصر الاعمار الطوال . فتقاتلوا ساعة من النهار الى ان عاينوا ان متقدمهم قتل وابصروا الرجال الذين كانوا معه مبددين في ملك القفار . فقال بعضهم لبعض ياويلكم دونكم الفرار * والا مابقى منكم ديار ولا من ينفخ النار . ثم انهم عطفوا روس خيلهم وطلبوا الديار . وعنتر في اثرهم ينهب الارواح والاعمار . وما عاد عنتر من وراهم حتى ملا الارض من قتلاهم . ورجع يركض بجواده الابجر . وسنانه يقطر من الدم الاحمر . حتى وصل الى اخيه شيبوب . وهو مثل الاسد الغضوب . فقال له شيبوب ماذا عولت يااخي ان تصنع فقال له نسير الى ارض بني شيبان . ونجعلها خرابا لا ياوي فيها الا البوم والغربان . واعرفهم شوم طلعة عمي مالك * وانزل بهم الذل والمهالك . واخذ عبلة على اهون سبيل لاني اعلم ان فرسان بني شيبان المنهزمين . يخبرون الملك ان ولده معي اسير يقاسي العذاب المهين . فيجمع العساكر ويسير الى ارضنا حتى يخلص ولده وتبقى حلته خالية من الرجال . فادهمهم انا على غفلة واقتل من يثبت امامي وانهب الاموال واخذ عبله وارجع بها الى الديار والاطلال * فلما سمع بسطام هذا الكلام قال ما تحتاج ياابا الفوارس ان تكلف نفسك ما لا تطيق . فاصطنعني واتركني

الك طول الدهر بمنزلة عبد رفيق . حتى اني وحق ذمة العرب
اسير معك الى الديار . وابلغك ما تريد وتختار . وما ادع عبلة
تسير من ديارنا حتى يزف ابنته عليك وانا احمل اليه الخيل
والاموال والاما والعبيد . واعطيه من عندي جميع ما يشتهي
ويريد . وابقى اقر عند جميع الناس اني عتيق سيفك
وابن خوفك . فقال عنتر يا ابا اليقظان
لعلي عاجز عن قضا حاجتي حتى استعين بها على غيري من
الفرسان . وحق الملك الجبار . لا تركت ارضكم كالقفار ولا علق
اسك في رقبة عمي الغدار حتى يتوبه عن الطوله ولا يعود
تغرب عن دياره قال لشيبوب سر بنا في عرض البر على غير
الطريق . حتى لا يرانا عدو ولا صديق . ففعل شيبوب ما امره عنتر
وصار يقطع البر الاقفر . حتى قربوا من ديار بني شيبان فقال
شيبوب ويلك يا ابن الام ابصر لنا مكانا نختفي فيه الى حين
نقضي حاجتنا ونعود . وبيان لنا ما فعل الملك قيس بن زهير
وما فعل ومادبر بعد ساعة من المنهزمين الخبر فعدل عن
الطريق مسافة ميل . ودخل بهم الى واد يقال له وادي النيل
فقال عنتر لشيبوب يا ابن الام اتركني في هذا المكان . واطلب
بنت ابيات بني شيبان . واكشف لي اخبارهم وارجع بالخبر
اليقين . لعلك تجد لي فرصه اشفي بها داء الدفين . فتركهم
شيبوب ومضى وغاب عنهم ساعة وعاد * وهو منزعج القلب

والفؤاد * فقال له اخوه ما لك يا شيبوب . اراك قد عدت على عجل وانت مرعوب . فقال اني لما سرت من هذا المكان . غدوت حتى اشرفت على منازل بني شيبان . فرايت الدنيا منقلبة لفقد بسطام . لان المنهزمين اتوا الى ابيه واخبروه بما جرى عليه من الاحكام . وسمعت يا اخي اصوات النساء قد ضجت بالبكا والاعوال . وهن يندبن من قتل لهن من الرجال . ورايت الخيل تركض حول الحلة من كل جانب * والناس يدخلون ويخرجون من الخيام والمضارب فخفت على نفسي من نوايب الايام . ووقفت على بعد من الخيام . وخفت ان يعلم بي عمك مالك . فيسلمني الى الملك قيس ويسقيني شراب المهالك * واني عند عودتي اليك سمعت راعيا يقول لراعٍ اخر روح غنمك الليلة لان اهلنا غدا يرحلون * ويتركون الحي ويخرجون . وفي اي ارض ندخل . فقال في ارض دارة جلجل . وهذا المنزل من جملة منازل العرب الشهيرة . وفيها مراعٍ ومياه غزيرة . وقد ذكرها امرء القيس في معلقته حيث يقول

الا ربَّ يومٍ صالحٍ لك منهما ولا سيما يومٌ بدارة جلجل .

قال الاصمعي ثم قال شيبوب لاخيه فرحت انا يا اخي بهذا الرحيل . لاننا نتصل الى عبلة على اهون سبيل . فقال عنتر وكيف ذلك فقال اذا كان القوم محملين وراحلين تكون عبلة على ظهر البعير . فاخذ بزمام ناقتها واسير . واطرد انت الخيل

Digitized by Google

عني ولا تدع يصل اليَّ منها لا قليل ولا كثير. فقال عنتر اي وابيك يا ابن السودا انا ارد عنك الخيل. ولو انها مثل عارض السيل * فلما سمع بسطام. من عنتر هذا الكلام. تحير في امرهِ وانزعجت جميع حواسهِ. ونسي الفروسية وطار العجب من راسهِ. وايقن ان الزمان ياتي بكل عجب * وينقلب باهلهِ ايَّ منقلب. وزاغ عقلهُ من فارسٍ وراجلٍ يقدر ان ياخذ عبلة من وسط قبيلة بني شيبان * ثم نام عنتر وشيبوب وانطلقا حتى قربا الى تلك الديار. اخر النهار. ودخلا في الوادي بين تلك القفار * وهما يتستران خوفًا من اعين النظار. ويطلبان من يسمعان منه الاخبار. فبينما هما على تلك الحال واذا هما باغنام. سايرة في تلك الاكام. ومن خلفها راعٍ على كتفه عصاه. وهو يسير في تلك الفلاه. وهو يبكي ويقول وااسفاه عليك يا بسطام * كيف غدرت بك الايام. وسلمتك الى عبدٍ لا رتبة لهُ ولا مقام. فلا بارك الله في عبلة ولا في ابيها. ولعن اياماً رايناها فيها. ثم ان الراعي تنهد. وكفكف دموعهُ وانشد

فجعنا فيك يا بدر الكمال ويا ليث الوغى عند النزالِ
ويا حامي الحريم بكل ارضٍ اذا ذلت صناديد الرجالِ
لقد عدمت بنو شيبان سيفًا يقدُّ بحدهِ صمَّ الجبالِ
وذلت بعد ما كانت بعزٍ تذلُّ اسيفها اسد الدحالِ
رماهُ زمانهُ في اسر عبدٍ قريب العهد من رعي الجمالِ

ولولا الغدر في الايام طبعاً لما انتصر العبيد على الموالي
الا يا عبل لا لاقيت خيراً ولا وُقيت حادثة الليالي
ولا زالت ديار ابيك قفراً خراباً من احبتها خوالي

قال الراوي فلما سمع عنتر هذا الكلام . من العبد سايق الاغنام . زاد غضباً على غضبهِ وارسل شيبوب في طلبهِ فانتفض شيبوب على ذلك العبد الراعي كانهُ الباشق الجسور اذا نزل على اضعف العصفور . وجذب اطواقهُ . فكاد يطير احداقهُ . ولما اوقفهُ قدام عنتر اخذتهُ الرعدة ونزلت عليهِ الخمدة . فطيب عنتر قلبهُ . وسكن رعبهُ . وقال لهُ من تكون من عبيد بني شيبان * فقال يامولاي انا من عبيد بسطام . بن قيس عامل الملك النعمان . ونحن غداً راحلون لاننا خايفون من بني تميم . ان يسطوا على الاموال والحريم . لانهُ بلغنا انهم استضعفوا حالنا من اجل فقد حاميتنا بسطام . ونريد ان نجمع حلفانا ونأتي بهم الى هذا المقام * ونجد في خلاص سيدي من اسرهِ . ونجازي الذي اسره بقتلهِ وانطفاء ذكرهِ . فقال لهُ عنتر ومن اسر سيدكم الذي تزعمون انه فارس الفرسان . واشدهم في الضرب والطعان . وانهُ حامية بلاد النعمان * وسيد بني شيبان . فقال العبد والله يامولاي ما اسره من له قدر ولا شان . بل عبدٌ من عبيد بني عبس وعدنان .

فقال لهُ وما الذي اوصلهُ الى عبد بني عبس وعدنان . حتى

وقع في الاسر والهوان . فعند ذلك حدثه العبد بحديث مالك
ابي عبلة وما جرى له مع سيده بسطام . وقص عليه قصة علي
التمام . ثم قال لعنتر يا ابن الخال ومن اين انتم ومن اي عرب تكونون
فقال نحن من بلاد السكاسك والسكون . وقد غضب علينا
ملكنا ذو الاذعار . فخفنا منه وهربنا واتينا الى هذه الديار .
قاصدين حماية سيدك الملك الجبار * وانت الان من هذا الخبر
قد اوقعتنا في الاياس . ونخاف ان يطلبنا ملكنا فلا يحمينا احد
من الناس . ولو كنت اتيت اليه قبل هذه الايام لكان يعطيك
الحماية والذمام . وكان يشتريك من سيدك ولو طلب في ثمنك
سبعة جمال ونكون عنده من اعز الرعيان والخدام * فتبسم عنتر
لما سمع من العبد ذلك الكلام ثم ذهب به الى باب المغار
الذي فيه بسطام . وقال له انظر هذا الاسير ان كان يعجبه
مولاك حتى نطلقه لاجالك . وتعود به الى اهلك . فلما نظر اليه
خرس لسانه عن الكلام . وعجزت رجلاه عن القيام * وخفق
فؤاده واشعر . بان الذي يكلمه هو عنتر . فعند ذلك قال
يا مالك لا قرب الله دارك . ولا ادنا مزارك . ما كان انحس
يوما رايناك فيه . فانه اشر ايام الدهر ولياليه . ثم ان العبد
بكي من فؤاد قريح . وصار يقبل اقدام مولاه بسطام ويصيح
فبادر اليه شيبوب وسد فاه . وشده كتافا ورماه عند مولاه
ثم خرج وقصد ديار بني شيبان . لينظر متى يكون رحيلهم من

الكتاب الثاني عشر
من سيرة عنتر بن شداد العبسي

ذلك المكان . واقام عنتر في انتظاره الى اخر النهار فما حضر ولا بان منه علم ولا خبر. فخاف عليه من هذه الغيبة * ان يكون قد وقع في ريبة . وبينما هو على ذلك الحال . واذا به قد طلع من بين تلك الرمال . وهو يهمز همزات الغزال . حتى وصل والدمع يجري من عينيه . ولونه قد تغير مما جرى عليه . فقال له عنتر ماذا جرى لك . وما الذي غير حالك. فقال ان القوم قد اتاهم يد غالبه لا تندفع . ولا تُصدّ ولا تمنع . فانهم كانوا قد عزموا على المسير * وشدّوا على كل ناقة وبعير. وانا عزمت ان اعود اليك واعلمك بالخبر وقد بشرت نفسي بالفوز والظفر. واذا بالبر قد امتلا مواكب وكتايب . وسدّ الغبار المشارق والمغارب . ودارت الخيل بالحلة من كل جانب . والفرسان تنادي بالتميم . وقدامهم فارس عظيم كانه نار الجحيم . وقد مال على بني شيبان فقتل الفرسان. وقلع البيوت بما فيها من الاولاد والنسوان . ونظرت الى عبلة بين النسا المسبيات . وهي تساق في جملة البنات . وسمعتها تنادي يا لعبس يا لعدنان اين الفارس الغيور على الحريم . اين من يفعل فعل الرجل الكريم . واغربتاه . واقلة ناصراه . واشوقي اليك يا ابا الفوارس اين عينك تنظر

ماذا تقيت بعدك . ولا اذاقني الله فقدك . فلما سمع ابوها نداها حمل يطلب خلاصها فانقض عليه ذلك الفارس وخطفه من سرج جواده وحذفه الى ورا ظهره . فتلقته منه العبيد وكتفوه . وشدوا اطرافه حتى كادوا ان يتلفوه . واراد ولده عمرو ان يحامي عنه فانقض عليه وطعنه بعقب الرمح في صدره . القاه على ظهره . ثم انقض عليه بعض العبيد فشد كتافه . واوثق سواعده واطرافه . واني يا ابن الام سمعت ذلك الفارس ينادي . اني قد بلغت مرادي . وحويت بدور منية فوادي . فما عرفت حقيقة مرامه . ولا من هي التي يعنيها بكلامه

قال الراوي فلما اعاد شيبوب على عنتر هذا الخبر فاض دمعه وانحدر . وقال يا مالك لاخلاك الله من المهالك . وهم ان يخرج من الوادي . ويلحق بالذي لي المطامع في اثر الاعادي . واذا ببسطام وهو يبكي وينادي واذلاه وغبينه الانسان من شماتة عداه . والله ان ضربات السيوف الحداد . اهون من شماتة الاعادي والاضداد . فلما سمع عنتر منه ذلك . ظن انه يتاسف على عبلة بنت مالك . فدخل عليه وقال له ما بالك يا بسطام . اراك تتحسر من شدة الهوى والغرام . وتتاسف على سبي عبلة مع دولا القوم اللئام . فقال له بسطام لا والله ما بقي عندي قلبي من بنت عمك اثر . ولا لي فيها ارب ولا وطر . وما اسفي الا على هتك حريمي . واعاقني عن دفع غريمي . وان لي اختا اسمها

بدور قد خطبها سادات بنى قحطان. وخطبها ايضاً جماعة من بنى نبهان. ولم اسمح بها لاحد من العربان. وكان من جملة من خطبها قنعب بن غياث الذى اغار علينا فرددته خايباً وكرهت ان يكون لها بعلاً وصاحباً. لان بلغنى انه بخيل ياكل وحده. ويحرم عبده. فمضى وهو غضبان. وبلغني انه صار يتوعد لبني شيبان. ويقول لابد لي ما اجمع عليهم العربان. ولا شك ان هيبتي كانت تحمي سبة هذا المكان. وتحترمني العرب لاجل منزلتي عند الملك النعمان. الى ان جرى معك ما جرى فاظنه قد سمع بقصتي. واغتنم الفرصة في غيبتي. فاتى وهتك حرمتي * وتحكم في اختي وشقيقتي. التي كنت اغار عليها من نظر مقلتي. ثم ان بسطام زاد في بكاه. وتحسره وشكواه. وقال يا ابا الفوارس بحق ذمة العرب مكنّي منى حصانك. والا اعطني ذمامك. واعلم اني قبل هذا اليوم كنت من اهل العطا. والان قد اعترفت بالظلم والخطا. ولو قتلتنى ما كان يلومك احد لاني انا الباغي الظالم. فردني الله وانا خاسر نادم. وان الانسان لا يجهد ويثنى عليه. الا اذا احسن لمن اساء اليه. وانت تعلم ان لك في هذه القضية اعظم سبب. لان بعد هربك عبلة قد وقعت بين انذال العرب * والقوم الذي تريد ان تخلصها منهم خلق كثير. وجمع غفير وانت فريد وحيد ليس لك معين ولا ناصر ولا تقدر وحدك على مقاومة هذه العشاير فاجعلني لك مساعداً.

واتخذني معينا وعاضدا . فسر بنا من هنا . حتى نجتمع بمن نصادفه من قومنا . ونبذل نفوسنا لاطراف القنا . لعل الله يبلغنا المنى *

* قال الراوي فلما سمع عنتر من بسطام هذا الكلام رق قلبه عليه . وتقدم اليه . وقبله بين عينيه . وسلمه ما كان له من السلاح . وعاد الامر بينهما الى الصلح والصلاح . فقال شيبوب لعنتر وهذا العبد السوء الا نقتله ونحل به الوبال * لاجل ما سمعنا من غليظ المقال . فقال عنتر ويلك يا ابن السوداء انطلق السادات الاماجيد . ونقتل العبيد . ولا سيما ان بيننا وبينه نسبا في السواد . فينبغي ان نحفظ معه المروة والوداد . فتبسم بسطام لما سمع من عنتر هذا الكلام . وقال له لله درك يا ابا الفوارس فلقد كملت في كل الخصايل . وجمعت كل المحامد والفضايل . فاطلق شيبوب العبد وركب عنتر وبسطام الى جانبه . كل منه من اهله على ناربه . وجعلا يتحادثان بعضهما مع البعض * وشيبوب يجري قدامهما في فسيح تلك الارض . وهما قاصدان نحو الديار * وقلوبهما متعلقة بما كان من الاخبار

* قال الاصمعي ولم يزالا سايرين وهما يركضان . حتى اشرفا على ديار بني شيبان . فابصرا الديار خالية الابيات . والقتلى مطرحين في ساير الجنبات . فلما راى بسطام ذلك انهملت من جفونه العبرات . وندم غاية الندم على ما فات * ثم امر عبده ان يذهب ويجمع له السالمين * من فرسانه المنهزمين ويعلمهم بما

جرى بينهُ وبين عنتر ويعرفهم انهُ قد عاد سالماً الى الديار * وجاءَ يطلب الثار * ويكشف عنهم العار. قال وكان الذي جرى على القوم هو من قنعب بن غياث فانهُ كبس بني سيف في ثلاثة الاف فارس من بني تميم ورياح . وفعل بهم هذه الاعمال واسر الملك قيس بعد ما اثخنهُ بالجراح . ووضعت رجالهُ في بني شيبان عوامل الرماح . وتركوهم اشباحاً بلا ارواح . لان بني شيبان كانوا الف فارس فقتلوا منهم ثلاثماية واسروا مايتين وانهزم من سلم منهم في الجبال والوديان . وتشتتوا في كل جانب ومكان . ولما علموا بقدوم بسطام قدموا عليهِ من جميع الاقطار . وفرحوا بسلامتهِ من الاسر والاخطار . وقالوا له يا امير ما نال العدو منا ما تمنى . الا لغيبتك عنا * فقال يا بني الاعمام ان تدبيري كان غير محمود . وعاقبة البغي على اهلها تعود * ثم اخبرهم بما جرى له مع عنتر من الاتفاق . وكيف اسرهُ ومنَّ عليهِ بالاطلاق . فلما سمعوا هذا الكلام طابت انفسهم بمصادقة عنتر . واملوا بالنصر والظفر . وطابت انفسهم وساروا علي اثر الاعداء حتى ادركوهم عند اقبال الظلام . وكان قنعب قد نزل للراحة والمنام . وامر بضرب الخيام * وكانت السبايا الى ذلك الوقت على ظهور الجمال . وصراخهنَّ قد زلزل الجبال . فقال بسطام الراي يا ابا الفوارس ان تبيت العدى . ونصبحهم بالحرب غدا. فقال لا وذمة العرب لانزلت عن ظهر جوادي حتى اخلص

Digitized by Google

الحريم وأكشف هذا العار العظيم. وأروي هذه الارض من دماء بني تميم وكان عنتر قد سمع صوت عبلة فعرفه فاشتعلت في فؤاده النار. ولم يعد له جلدٌ ولا اصطبار. بل صاح وحمل. وانصب على القوم انصباب القضاء المنزل. وشيبوب يهمز في عراضه مثل البرق اذا خطف * لو الريح اذا عصف. وحمل بسطام من الجانب الاخر وقد اشتد فؤاده وحملت خلفه فرسانه واجناده وكان بنو تميم قد هزأوا بهم عند اقبالهم. ولم يعباوا بهم ولا خطروا على بالهم. ولما راوهم قد حملوا وضربوا في جوانبهم تضلبوا للقتال. واخذوا معهم في الحرب والنزال * وصار عنتر يطعن تميم طعناً يخرق الجبال. ويضرب ضرباً يطير الجماجم مسافة ثلثة اميال. واخوه شيبوب يحامي عنه وعن جواده بالنبال. ويفرق من بين يديه الى اليمين والشمال. وبسطام ينادي ابشروا يابني تميم بشرب كاس الحمام * فقد اتاكم عنتر وبسطام. ودام الامر على هذا النسق. حتى لوحي الليل سدول الغسق. وراى قنعب جيشه قد تفرق. وعدد رجاله قد تمزق. فاخذه الوسواس والقلق. وصاح في من معه وامر بتقديم جواده حتى يركب. وقد زاد به الحنق والغضب. واذ بخاله الاخضر بن جدعان قد اقبل. وقال له يا ولدي اصبر وتمهل. فهذا بسطام بن قيس ومعه رجال يقاتلون خلاف القتال الاول. وقد قتلوا منا الى هذه الساعة اكثر من ثلاثماية بطل * فاصبر حتى يصبح

الصباح وننظر بما تندبر . ولا نخالط القوم في هذا الظلام فنخسر . فقال قنعب ياخالي انت تعرفني اخاف من بسطام . او من خوض الظلام . حتى تفندني بهذا الكلام . اما رأيت فعلي قبل هذه الايام . وهجومي على الاساد في الاجام . فقال بلى والله ياولدي وانا لا اخاف عليك من بسطام . ولكن من فارس رايته بين يدي بسطام وهو يحمل على الفرسان حملات الاسد . وينثر الجماجم من على الابدان نثر البرد . فظننته من مردة الجان . او من عفاريت سيدنا سليمان . وانا ياولدي قبل خروجي معك في هذه السرية . اوصتني امك عليك وصية . وقالت لي يا اخي لا تفرط في هذا الولد ولا تدعه يقاتل عبداً اسود . فقد رايت له حلماً وانا خايفة منه عليه . واخشى ان تصل عاقبته اليه . فقلت وما الذي رايت يا اختي لولدك وهو فارس قحطان . وما سار قط الى مكان . ورجع وهو خسران . فقالت رايته وقد اصطاد صيدة وانا عقاب اسود قد انقض عليه . واخذ صيدته من يديه . فلواد ان يستخلصها منه فانقض عليه . واخطف راسه من بين كتفيه . وصار مثل الكرة في مخليبه . ورايته طايراً به الى مكان بعيد وانا من وراه اصيح وصيا حي لا يفيد * والان ياولدي بعض المنام قد تصور عندي فان هولاء القوم قد هجموا الى ناحية السبايا والاموال . ومعهم الاسود الذي يصطاد الرجال . كما يصطاد الباشق افرخ الحجال . وانا خايف عليك من هذا الحال

❋ قال الروي فلما سمع قنعب كلام خالهِ تبسم من مقالهِ . وقال لهُ ياخالاه وانا اصبر الى غدٍ كما تريد واريك ما افعل ببسطام وبهذا العبد الذي هو اخس العبيد . حتى تعلم ان فروسيتي ما عليها من مزيد وبعد ذالك امر الفرسان ان تدور بالسبي من كل جانب ويمسكوا عليهم جميع الطرقات والمذاهب

قال الراوي واما ما كان من عنتر فانه لم يزل في حملتهِ وهو يجندل الابطال حتى وصل الى الحريم والعيال . وفعل بسطام فعل الشجعان . هو ومن معهُ من الفرسان . وقد استولوا على اموالهم واجتمعوا باولادهم وعيالهم . وقال عنتر لبسطام ادخل انت وحلّ اباك وقومك واقرباك . واترك عمي مالك وولده في الاعتقال . لان عمي خبيث الطبع ردي النعال . وان اطلقتهُ اخذ عيالهُ وهرب . ونرجع معهُ الى التعب . وانفذ شيبوب الي عبلة يطيب قلبها ويسكن رعبها . واقام عنتر يحفظ المضايق من سارق او طارق . قال وكان مالك قد سمع صوت عنتر فقال لولدهِ هذا والله صوت العبد الزنيم . والليلة يغني بني رياح وبني تميم ❋ ونرجع معهُ الى الهوان والعذاب الاليم . وما ادري كيف يقطع الافلق . وياتينا عند ضيق الخناق . فياليت الاعادي كانت سقتني شراب المنية . ولا رايت تلك الصورة الشيطانية . فقال لهُ ولدهُ لعل العرضيات والنوايب . تلقيهِ بين هذه المواكب .

وتصرم لنا عمره . ونكتفينا شره . قال وبعد ذلك وصل بسطام
الى ابيه وعشيرته وحلّهم من الكتاف . بعد ما كانوا اشرفوا
على التلاف . وحدّث اباه بما جرى له مع عنتر . واطلعه على
جلية الخبر . ففرح ابوه واستبشر . وقال والله يا ولدي ان هذا
الانسان . لما يوجد مثله في الزمان . ولا يقيننا نقدر نكافيه على
ما صنع معنا من الجميل والاحسان . والصواب اننا نعينه على
ما هو فيه من ملاقاة العرب . ونجعل ارواحنا لروحه فدى *
ونبذل جميع اموالنا بين يديه . ولا نمن بها عليه . ونكلف عمه
ان يزف ابنته عليه . ونعتذر من فعاله اليه . وانا اقسم يا ولدي
بحق البيت الحرام . وزمزم والمقام . انه لو كان يطيعني ويسلو
بنت عمه عبلة كنت زوجته اختك بدور . التي هي احسن من
البدور . ولا اخذ منه مالا . ولا نوقا ولا جمالا . ثم امر بحل بني
عمه من الاعتقال . وتركوا مالك واخيه مربوطين بالحبال *
وعاد بسطام الى عنتر في الحال . ليعينه على سهر الليل وحفظ
العيال . وكان شيبوب وصل الى عبله وطيب قلبها وحدثها
بما فعل عنتر وسكن رعبها . وانزلها في ابيات الملك قيس عند
ام بسطام . ففرحت بها واكرمتها غاية الاكرام . وقالت لها يا عبلة
يكون الك مثل هذا الاسد وتهربين منه من بلد الى بلد . فقالت
يا حراير العرب اني وحق من في غيبه احتجب . ما اهرب منه
ولا اريد ان افارقه وانما ابي واخي قد ابغضاه * ونحن لم نزل في

الذل الى ان نراه

قال الراوي ولم يزالوا على ذلك حتى اصبح الصباح • واضاء بنوره ولاح • فعندها ثارت بنو تميم وبنو رياح * تطلب الحرب والكفاح * وظهر الملك قيس في رجاله الذي كانوا ماسورين في القيود • وهم يزمجرون كالاسود • ولما رآهم عنتر قادمين ترجل وخدم الملك قيس بالطاعة والادب • وقال يامولاي ما كان يحتاج الامر الى هذا التعب * وانا عبدك كنت اباعلك الارب • فقال له الملك قيس يا ابا الفوارس وحق ذمة العرب • وشهر رجب * ما في بني شيبان اليوم الامير هو امين خولك • وعتيق بينك . فقبل عنتر يديه • وشكره واثنى عليه • ثم عاد بعد ذلك الى جواده ورأى بني تميم تريد الحملة فبادر اليها • وسبقهم عليها . وحمل على ميمنتهم وطعن فيهم طعنا يخطف البصر • وضرب ضربا لايبقي ولا يذر . وقال الملك قيس لولده بسطام ياولدي ينبغي ان نبتدي بالاعداء قبل ان يبتدوا بنا فاحمل وساعد الامير عنتر • ولا تدعوا منهم من يخبر بخبره فاطاعه وحمل في ساعة الحال على الاثر

قال الراوي وكان قعنب بن غياث في ذلك الوقت قايماً يلبس درعه وسلاحه وهو متكل على نفسه . وقد عول ان يبارز بسطام وعنتر في مرة واحدة لكي يظهر لخاله شدة باسه • وبعد ذلك استوى على ظهر جواده وحركه الى مقدمة العسكر •

حتى يكفي فرسانهُ شرَّ بسطام وعنتر. وقد بعنتر قد حمل عن يمينهِ وهو يدمدم كالاسد الزابر. ويهدر كالجمل الفاطر. وكان قد قتل الى حين التقى بقنعب خمسة وعشرين فارساً من بني تميم. ورجع الى بني شيبان من خوفهِ على الحريم. فصدمه في تالك العودة قنعب. وقد لعب بهِ الحنق والغضب. وقال له ويلك ياعبد السوء اما سمعت بفعالي. اما بلغك صفة قتالي. حتى اتيت اليَّ. لكي تخلص بزعمك غنيمتي من يدَيَّ. فوالله لاجعلنَّ لحمك طعاماً للذياب. ودمك شراباً للكلاب. فقال له عنتر اما الغنيمة فمن اول الليل خلصتها وباتت البارحة في ذمامي. وتحت ظل حسامي. فغدا انت اليوم ياسيد بني تميم. من يد هذا العبد الذميم ❋

❋ قال الراوي وبعد ذلك اطبق كل واحد منهما على صاحبهِ. واحترز من طعنهِ ومضاربهِ. واصطدما والتحما وهمهما ودمدما. وانعقد عليهما الغبار. حتي اظلم ضوء النهار وتقدم خال قنعب في جماعتهِ من بني تميم. وقال لهم خذوا اهبة الحرب في هذا اليوم العظيم. ففعلوا كما قال * وتاهبوا للحرب والقتال. هذا وقد اشتدت الاهوال. وتزلزلت الاودية والجبال. وتصايحت نسا بني شيبان خوفاً من رجوعهنَّ الى السبي والهوان. وجرت دموع عبلة من الاجفان * وصارت تنادي بالويل والاحزان. خوفاً على ابن عمها عنتر من الهلاك. وعلى نفسها

من السبي ولا نهتالكه وهي تنادي واغربتاه * واغاثت ناصراه *
واذلاه ان اصابتك نوايب الزمان . يا فارس عدنان . وسمع ابوها
واخوها نداها وهما في الاعتقال . فقالا والله لا جمعنا بينكما ما دامت
الايام والليال . هذا وقد دام بين عنتر وقنعب القتال . وابصرت
الفرسان منها الاهوال * وكان بسطلم قد حمل على الميسرة كما
حمل عنتر على الميمنة وطلب الكفاح . وقتل في حملته تسعة
فوارس من بني رياح . والتقى بمقدمهم عاصم بن وشاح . واخذ
معه في القتال . ولكن ما طال بينهما المطال . حتى طعنه بسطلم
فالقاه ممددا على الرمال . وعاد الى ناحية عنتر يخب بجواده الى
ان وصل اليه . وقد خيم الغبار عليه . فوقف ينظر واذا بصيحة
زلزلت الاقطار . وامتدت اليها الاعناق وشخصت نحوها الابصار
وقايل يقول يالعبس انا عنتر الجبار . فنظروا واذا ابو الفوارس
عنتر قد اقبل وفي يده راس قنعب كانه راس عفريت من
عفاريت منفر * وهو ينشد ويقول

اذا لم اروى صارمي من دم العدى ويصبح من افرنده الدم يقطر
فلا كحلت اجفان عيني بالكرى ولا جاءني من نحو عبلة مخبر
انا الموت الا انني غير صابر على انفس الابطال والموت يصبر
اذا منادي الحرب نادى اجبته وخيل المنايا بالجماجم تعثر
سل المشرفي الهندواني في يدي يخبرك عني انني انا عنتر
انا قابض الارواح بالعضب والقنا انا البطل الندب الهمام الغضنفر

اذا ما لقيت الليث عممت راسهُ
بسيفٍ على شرب الدما يتجوهرُ
الا فليعش جاري عزيزًا ويتثني
عدوي ذليلاً يختشيني ويحذرُ
قهرت تميماً ثم جندلت ليثهم
وعدت وسيفي من دم القوم احمرُ

* قال الراوي ونظر خالد فنعب مصرعه ومصابهُ. فقال وحق ذمة العرب هذا المنام الذي رآته امهُ وحسبت حسابهُ. وفي عاجل الحال مزق ثيابهُ. وصاح وحمل في من بقي من بني تميم على بني شيبان. وحملت ايضاً بنو شيبان. وفي اوايلها بسطام وقد اطلق العنان. وقوّم السنان. وطلع على راس الطايفتين الغبار والقتام. وتنكست الرايات والاعلام. وصبرت الكرام. وفرت اللئام. هذا وعنتر قد حمى الظعن والعيال. كما تحمي الاسود الاشبال. وفعل افعالاً تشيب الاطفال * حتى كلمت منهُ المناكب والاوصال. وكان بسطام قد ركب جوادًا غير ذيات النسور فقتل ذلك الجواد فصار يقاتل وهو راجل. حتى كلمت منهُ السواعد والمفاصل. وتطابقت على عنتر الفرسان. وصاح فيهم الاخطل بن جدعان. وجعل ينادي باويلكم يابني تميم. اشفوا فوادي من هذا الاسود الزنيم وفوزوا بالمال والحريم هذا وعنتر صابر لوقع المضارب. وشيبوب يدور حول جوادهِ

Digitized by Google

من كل جانب . ورمى بالنبال في الصدور والترائب

* قال الراوي فبينما القوم على ذلك الحال . واذا بار بعين فارساً ظهروا من تلك الرمال . متقلدين بالصفاح . معتقلين بالرماح . فداروا بعنتر وهم يقولون اتاك والله الفرج يا ابا الفوارس فابشر بالنصر على العدى . وكن امناً من اسباب الردى . فنحن بنو عمك ومن لحمك ودمك

* قال الراوي وكان هولاء الفرسان من بني عبس الاطايب . والمتقدم عليهم غياض بن ناشب . وكان السبب في قدومهم ان عمارة بن زياد لما عاد منهزماً من قدام بني شيبان * وعاد الى بني عبس بالذل والهوان . دخل على اخيه الربيع . واخبره بما تم عليهم من ذلك الامر الفظيع . فقال الربيع هذا الامر ما كان لي في حساب . وفي ما دبرت الا التدبير الصواب . ولكن لا اقدر ان اعلم ما يحدث في الغيب من عروض الاسباب . فدعه الان يا عمارة وانتظر له حوادث الايام . لعلك تبلغ المرام * فلما سمع عمارة هذا الكلام * زاد في قلبه الاضطرام . وفي عاجل الحال استدعى بغياض بن ناشب وكان يعدّ من الشجعان . وكان بينه وبين عنتر حقود واضغان . من حينما اخذ منه الغنيمة واشترى بها الجواد الابجر . وحدثه عمارة بما جرى له في بني شيبان وما تم عليه من اجل عنتر . وطلب من غياض المعونة عليه وان يشتفي منه الاثر وقال له يا ابن العم عسى يكون اجله قد اقترب على

يديك . واعطيك ما يسرّ خاطرك ويقرّ عينيك . فاجاب غياض هذا السوال . طمعاً منهُ في المال * و سار بالاربعين فارسا حتى وصل الي بني شيبان * ومن هناك اخذ اخبار بني تميم ففرح وقال عسي ان يكون قد ساعدنا الزمان . ثم اجهد نفسهُ في السير على الاثر . حتى اشرف في ذلك الوقت الذي ذكرناه على عنتر * وابصرهُ وهو يقاتل في بني تميم . ويحامي عن العيال والحريم . وقد دار بهِ ذلك الموكب العظيم . وهو ينادي باسم بني عبس وعدنان . و يفتخر بهم على العربان . فانقلبت نية غياض في ذلك الوقت من البغضة والعناد . الى المحبة والوداد . وقال لاصحابهِ يابني عمي ان النصره لهذا الفارس الذي انشا لنا فخرًا بين العرب * افضل مما يعطينا اياهُ عمارة والربيع من الفضة والذهب . فوالله لاعينن هذا الرجل المظلوم * ولا ارتكب هذا الامر المذموم . ثم حمل وتبعتهُ رجالهُ . وكشفوا عن عنتر فاتسع عليهِ مجالهُ ولم يزل يطعن في الصدور * ويقطع الجماجم والنحور . حتي ولت بنو تميم الادبار . وارکنوا الي الهرب والفرار . وتبعتها بنو رياح وهي لا تصدق بنجاة الارواح وعاد عنتر وبسطام وغياض بن ناشب يخبرهُ بما فعل لهُ عمارة من الاكرام * وكيف وعدهُ بالمال . والنوق والجمال . وقال لهُ في اخر كلامهِ يا ابا الفوارس والله لا سرتُ من هذا اليوم الا في صحبتك واكون انا ورجالي في خدمتك . فشكره على ذلك عنتر

بوعدهم بالحظ لانهم ساروا حتى وصلوا الى الظعن فتلقتهم
الاكابر والسادات . والنساء والبنات . وجعلوا يشكرون عنتر
ويثنون عليه بكل شفة ولسان . ثم نهضوا طالبين ارض بني
شيبان . الى ان وصلوا الى ارضهم وضربت لهم المضارب والخيام .
وسرحت الخيل والجمال والاغنام . وضرب الملك قيس لعنتر
بيتاً بجانب ابياته . وانزل فيه عبلة وامر امراته ان تجعلها كاحدي
بناته * ثم اخذ في اصطناع الطعام . وتصفيف المدام . وعمل
لعنتر وغياض وليمة عظيمة . لها قدر وقيمة . وكان مالك
قد تقدم الى عنتر وبكي بين يديه واستعبر . وطلب الصفح
والعذر . فقال يا عماه ان الصفح من شيم الكرام . كما ان الغدر
من شيم اللئام . والان قد مضى ما مضى . فلنرجع الى حال
السلامة والرضى . وبعد ثلاثة ايام قال له يا عم ان الضيافة
فرغت وانقضى الزمان . وقد ثقلنا على القوم فاعزم بنا على الرحيل
الي الاوطان . فقال له اعلم يا ابن اخي ان ما بقي لي وجه ان
ارجع الى بني عبس ولابد ان ينحط شاني . اذا لم يحضر واحد
من اولاد الملك زهير يترضاني . والراي عندي يا ولدي انك تمضي
الى الديار . وتخبر الملك زهير بما صار . وتطلب منه ان يرسل
بعض اولاده الى الملك قيس بن مسعود . لكي يترضاني و يطلب
عودتي الى الديار فارتضي واعود . وان كنت لا تثق بقولي فخذ
بنتي عبلة معك . ودعني اني واخاها هنا حتى يتم الامر فنتبعك .

والشهود على ياسادات بني شيبان انني ازوجته بنتي عبلة عن يقين . وهذه يدي اليك قدام هولاء الحاضرين فاجابه الى ذلك المرام . واشهد عليه الملك قيس ووالدته بسطام * ثم ودعها وسار يقطع الجبال والوديان . طالبا ديار بني عبس وعدنان . ودام على ذلك السير ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع ظهر عن يمينه غبار كانه قطع الغمام * ثم انكشف عن فرسان ينادون بالضراب . والمقدم عليهم الملك عمر بن شهاب . وهو قد سار في الف فارس من ارض بني قحطان . طالبا ارض بني عدنان . ليغير على بني عامر ابن غطفان . فاتفق انه التقى بعنتر في ذلك المكان . نادى على قومه بالله عليكم ايها الفرسان . اشفوا قلبي من هذه الشرذمة اليسيرة فانها من بني عدنان . لانني اذ قد وصلت الى هذا المكان . لابد لي ان اقلع اثر كل من فيه من العربان . فعند ذلك انفرد منهم مائة فارس من بطل جحجاح بين ابطال الفوارس . فلما راى قصدهم اليه . وانصبابهم عليه . قال لعياض بالله عليكم لا تقاتلوا معي في هذه النوبة بل احموا ظهري حتى افرجكم على كري وفري * ثم استقبل اوليك الفوارس * بوجه مثل وجه الاسد العابس . وقوم اليهم سنان رمحه الخطار . كانه شعلة النار *

* قال الراوي وكان احد الفرسان قد سبق اصحابه وقوم سنانه . وارخى عنانه . فاخلاه عنتر يصل اليه . حتى

Digitized by Google

طعنه بين ثدييه . اخرج السنان من بين كتفيه . وادرك الثاني بطعنة في صدره . فانفذها من ظهره . وصرخ في اصحابه وتلقاهم بطعن يذهل الام عن اطفالها * واللبوة عن اشبالها . فلم تكن الا ساعة حتى انكشف الغبار عن ثلاثين فارساً مقتولين . وسبعين منهزمين . ولما راى الملك عمر ما جرى . اردفهم بماية اخرى . فحملت الماية الثانية على عنتر . وطلع عليهم الغبار الاكدر . فاستقبلهم وحمل عليهم بقلب اقوى من الحجر . وهاج عليهم كما يهيج البحر اذا زخر . فانطبقوا عليه وداروا حوله كالسلاسل . واحاطوا به من كل جانب * وهو يطعن فيهم ذات اليمين والشمال . ويزعق عليهم زعقات تزعزع الجبال . ولم يزالوا على ذلك الى نصف النهار . حتى انكشف عن روسهم الغبار . واذا بعنتر يصول عليهم وقد قتل منهم تمام السبعين . واجفل الباقي منهزمين . فعند ذلك اشتعلت النار في قلب الملك عمر . وخرج من تحت الاعلام واشار الي قومه بالحملة علي عنتر فحملوا جميعاً الى حومة الميدان . وداروا بعنتر من كل مكان . فاستقبلهم بقلب اقوى من الصوان * وحمل معه غياض ومن معه من بني عبس وعدنان . وانطبقوا على بعضهم انطباق الغمام . واخذوا في الكفاح والصدام . حتى خيم عليهم الغبار . وحجبهم عن الابصار . فما كنت ترى الا راساً طايراً ودماً فايراً . وجواداً غايراً . ونصالاً تلمع تحت ذلك الضباب .

مثل زرق النجم تحت السحاب. هذا وشيبوب قد دار حولهم كاللولب وهو يرميهم بالنبال. فيصيب بها مقاتل الرجال. وبينما هم على ذلك الحال* التقى الملك بعنتر فاخذ معهُ في القتال. وجرى بينهما حرب يشيب الاطفال* وما زال عنتر معهُ في الكفاح ساعةً من النهار. حتى لاحت لهُ فرصةٌ فابتدرهُ بضربةٍ من سيفه البتار. واذا براسهِ قد طار. فوقع الى الارض. يختبط بعضهُ في البعض. ومن بعدهِ وقعت الخمدة على بني الضباب. وطلبوا روس الروابي والهضاب وهم يبكون على ملكهم عمر بن شهاب. ونزل عنتر واصحابهُ في ذلك المقام* لاجل الراحة واكل الطعام. الى ان اصبح الله بالصباح. واضا بنورهِ ولاح. فامر عنتر اخاهُ ان يجمع الخيل المتروكة والسلاح. وقال لغياض هذه الغنيمة لكم وهي اكثر مما اوعدكم بهِ عمارة بن زياد. وازدرتم عليها الصلح والوداد. مع عنتر بن شداد. فضحك غياض لما سمع ذلك الكلام من عنتر وقد فرح واستبشر. وقال والله يا ابا الفوارس لاعدت فارقتك في سفر ولا في حضر. وبعد ذلك ركبوا وساروا يطلبون الديار. وعنتر قدامهم كالاسد الهدّار. الى ان قاربوا الحيّ فانفذ عنتر اخاهُ. يخبر بقدومهِ اباه. شداد. وعمهُ زخمة الجواد. وشاع في الحلة الخبر. بقدوم عنتر ففرحت اصحابهُ واصدقاوه. واخذلت حسادهُ واعداوه. وكان ذلك اليوم عند الملك زهير واولادهِ من اعظم الايام.

لانهم كانوا قد خافوا عليه اذا انقطعت عنه الاخبار والاعلام. فلما علموا بقدومه وركبت الخيل الى ملتقاه وركب ايضاً الملك زهير وخرج وهو لا يصدق ان يراه * وكان خروج الملك ذلك اليوم الى عنتر في موكب عظيم . وخلق جسيم * فالتقاه على بعد من الديار * وهو في غاية الفرح والاستبشار . ولما تقاربوا بعضهم الى بعض ترجل عنتر الى وجه الارض . ومشى الى بين يدي الملك زهير وخدم * ودعا له بدوام العز والنعم ❁ ❁ قال الراوي فتلقاه الملك زهير بالبشاشة والاكرام. وسلم عليه احسن السلام * ثم امره ان يركب جواده واخذه الى الى جانبه . وسار يسأله عن سفرته . ويهنيه بالعودة الى اهله وعشيرته . فحدثه بجميع ما تم له في بني شيبان . وما جرى بينه وبين عمه مالك من العهود والايمان . حتى وصل الى حديث عمه وقوله اني لا اعود ما لم يحضر احد ويترضاني . ليرتفع قدري وشاني . فقال الملك زهير اعلموا يا بني عمي ان الرجل قد ندم على افعاله . وقد ذاق طعم الغربة لانها معادلة للاسر واثقاله . ولو امكنه كان عاد . ولكن خاف من شماتة الاعادي والحساد. وانه والله قد افتقد موضع الافتقاد . والراي عندي اننا نبلغه المراد . ولكن حتى نقضي مع ابن عمنا عنتر برهة من الزمان. ونروي اشواقنا منه بعد هذه الغيبة عن الاوطان . ثم ساروا حتى نزلوا في الابيات . وعملوا الولايم والدعوات . وضج الحي بالافراح

Digitized by Google

من سائر الجهات . وكان معهم في هذه الواقعة كل من في الحلة الا بني زياد . ومن يوافقهم من الاعادي والحساد . فلان قلوبهم كادت تتفطر من رجوع عنتر وعاتب عمارة غياض بن ناشب وقال له ويلك يا غياض ارسلتك الى عدوي لتاخذ منه ثاري . وتطفي لهيب ناري . ولما وصلت اليه انقلبت نيتك . وصرت من حزبه انت ورفقتك . فقال غياض اي والله يا عمارة ان عنتر يستاهل الفدى بالاموال والارواح . لاجل ما فيه من الكرم والمروة والسماح . ثم الوى وجهه عن مخاطبته . وتركه يتوهج بحسرته

✻ قال الراوي وبعد ذلك ثم راي اولاد الملك زهير ان يسيروا مع عنتر بن شداد . لكي يترضوا عمه مالك بن قراد . واخذوا في الاهتمام والاستعداد . فبينما هم على ذلك الحال . وقد عزموا على الترحال . اذا بعبد اسود قد اقبل بين الروابي والكثبان . من ناحية ديار بني شيبان ✻ فلما وصل سال عن عنتر فدلوه عليه ✻ حتى اوقفوه بين يديه . فقال يا مولاي سيدي بسطام يسلم عليك . ويقبل يديك . ويقول لك ان عمك قد فعل فعال اللئام ✻ وما اقام بعد رجوعك من عندنا الا ثلثة ايام . وفي اليوم الرابع طلبناه . فما وجدناه ✻ وسالنا عنه فما وقعنا له على خبر . ولا وقفنا على اثره وهو الان قد ارسل الرسل يكشفون خبره لنعلم اين هو نازل من احياء العربان . ويعلمك بالخبر اليقين ويكون في خدمتك هو وجميع بني شيبان . فلما سمع عنتر

Digitized by Google

من العبد ذلك الكلام . صار الضيا في عينيه ظلام . ومضى الى الملك زهير واعلمه بالخبر . فاشتغل لذلك وتكدر . وقال لا بأس يا ابا الفوارس كن طيب القلب والنفس . فاننا لا بد ان ندركه وهو وصل الى مغرب الشمس . فقال عروة بن الورد وقد اظهر النصيحة لعنتر ويلك يا عنتر كم جهد تطلب من لا يطلبك . وترغب من لا يرغبك * فاسمع مني وازهد في من هو فيك زاهد * وارح نفسك من هذه الشدايد * ولا تقسو على مواليك الذي تربيت بين حريمهم واولادهم . فما يكون جزاهم منك الا التشتيت عن اوطانهم وبلادهم * فقال عنتر والله يا عروة انك تتكلم بلسان ناصح . من قلب شامت كاشح . فسوف نرى كيف تدور الدواير على اهل الغدر والعناد . وماذا يصيب الاعادي والحساد . فقال الملك يا ابا الفوارس طب نفسًا وقر عينًا فما بقي لعبلك خصيمٌ الا انا . وسوف ترى ما افعل به من الانتقام حتى تبلغ المنى

* قال الراوي وفي ذلك الوقت انقلبت الافراح الى ابيات بني زياد . وانقلب الحزن الى ابيات بني قراد . وكان كلام عروة على عنتر امر من ضرب الحسام . واشد من وقع السهام . فقال لاخيه شيبوب ويلك يا ابن الام اما سمعت كلام عروة المرة . ورايت افعاله معي المرة بعد المرة . فاجعل عينك عليه اذا طلع من الحلة * حتى اطلع خلفه واشفي فوادي منه قبل ان اسعي في طلب عبلة . فقال شيبوب السمع والطاعة .

انا ارصده من هذه الساعة

* قال الراوي ومن عجيب الاتفاق ان عروة له اخت تسمى سلمى ام حسان * وكانت متزوجة في بني غطفان. وكان عروة يحبها ويزورها في اكثر الاوقات واتفق ان عروة خرج يزور اخته في تلك الايام فعلم به شيبوب واعلم اخاه عنتر فطلع خلفه يريد له الهلاك . واكمن له خلف جبل هناك . وكان عروه قد سبق فانتظره حتى يعود * لما في قلبه عليه من الضغاين والحقود . واما عروه فلما وصل الى بني غطفان وجد اخته متغاضبة مع زوجها وقد اوقع بها الذل والهوان . ولما رات اخاها بكت في وجهه وشكت حالها اليه . واعادت قصتها عليه . وقالت له يا اخي بحرمت الاحشاء الذي تربينا فيها ردني الى ديار قومي واجعلني من بعض عيالك . او من جملة الصعاليك الذين تنفق عليهم جميع اموالك ودعني اعيش عندك عزيزه جليله * ولا عيش في غير وطني مقهورةً ذليله . وزادت في وجهه النحيب والبكا حتى حركته للنخوه العربية والحمية الجاهليه . فعند ذلك ركب جواده واجلسها في هودجها واخذ بزمام ناقتها وسار . وهي لا تصدق ان تصل الى الديار * وما زال سايرًا حتي وصل الى الجبل الذي عنتر مكمنٌ فيه . وقد اتاه الامر كما يشتهيه . واذا بعشرة فرسان سوابق وقدامهم فارسٌ طويل . في تقاطيع النيل . وجواده قد اقلب البر

بالصهيل . ولما راى الناقه والهودج صاح . الا ما ابركه صباح .
وعدل الى عروة وقال له ويلك من تكون من الفرسان . والى
من تنسب من العربان

فقال يا ويلكم انا عروة بن الاسود العبسي . الذي اقري
الصعاليك بما لي وابذل دونهم نفسي الغداة في طريقكم . والا
تحرمون توفقكم . فلما سمع الفارس ذلك الكلام * ابدا الضحك
والابتسام . وقال مرحبا بك يا ابا الابيض . هل تعرفني . وانا
لي عندك غرض . فقال عروه ليس لي بك معرفة يا اخا العرب .
ولا اعرف ان لك علي طلب . فقال له انا قيس بن جدعان *
وانت يا عروة قتلت لي اخا من افرس الفرسان . وكنت انا
غايباً في بعض غزوات العربان . والان قد التقيت بك في هذا
المكان فلا بد لي من طلب الثار لكي كشف العار . واخمد ما
بقلبي من النار . ثم بعد كلامه صال وجال * وطلب القتال .
وهو يهدر كخاطر الجمال . فتاهب عروة لقتاله واخذ معه في الضرب
والطعان . والكر والجولان . حتى انعقد عليهما الغبار واحتجبا تحته
عن الابصار . وكان عنتر ينظر اليهما من الجبال وينتظر ان
يرى كيف ينتهي بينهما الحال . فما كانت الا ساعة من الزمان
حتى سطا قيس على عروة وضايقه . وسد عليه طرقه وطرايقه .
وطعنه بعقب الرمح في صدره * فاقلبه على ظهره . وتقدم اليه
بعض الفرسان فشده كتاف . واوثق منه السواعد والاطراف .

وتقدم قيس واخذ بزمام الناقة وابركها . وكشف الهودج فرآى سلمى فقال ياهامن طريق ما ابركها . والتفت الى اصحابه وقال لهم اضربوا لي خيمة في هذا المكان . حتى انزل فيها واتمتع بجمال ام حسان . وبعد ذاك اقتله واخذ بثاري . واكشف عني عاري . فعندها صاحت اخت عروة وافضيحتاه . واذلة رجالاه . ياعبس ياعدنان . اين انتم عن جاريتكم التي وقعت مع هذا الكشحان ❋

❋ قال الروي فلما سمع عنتر هذا النداء . وقد كان لها ولاخيها من جملة الاعداء ٭ فحركته الهمة العربية والنخوة الجاهلية . فهبط من الرابية . وتقدم الى الخيل . ونزل عليها نزول السيل . ونادى باعلى صوت لبيك يا ابنة العم . ابشري بزوال الهم . فقد استجاب الله نداك . وبعثني الى حماك .

❋ قال الراوي فلما سمع قيس من عنتر هذا الكلام . صرخ في وجهه صرخة الاسد الهجام . وحمل عليه وهو يصول . فلم يتركه عنتر يجول . حتى ضربه بالصامي فاطار راسه كحجر المنجنيق واطبق على الخيل التي معه وهو يهدر كالفنيق . فقتل ستة فرسان . وهرب الاربعة وهم يقولون نعوذ بالله من شر هذا الشيطان . وبعد ذلك عاد عنتر الى عروة فسلم عليه وحل وثاق يديه . وترك عقال رجليه . فعند ذلك نزلت سلمى من هودجها وتقدمت اليه . والقت نفسها على قدميه . وصاحت لله درك من

فارس ناصر. فلا اخلى الله منك العشاير ٠

قال الراوي وعاد عنتر بعد ذلك الى عروة وقال له يا عروة ما بري قلبي من كلامك ٠ ولا خرجت من الحي الا سقيك كاس حمامك * وانما الزمان اتي بشي ما كان في الحساب ٠ ولما رايتك في هذه الحالة نسيت جميع ما اضمرت لك من العذاب ٠ ولما رايت حالة اختك سلمى صعب علي هتك سترها بعد الحجاب ٠ فبكي عروة بين يديه وانتحب. وقال العفو منك يا فارس العرب ٠ واريد ان تقبل مني التوبة . وتتخذني صديقاً بعد هذه النوبة ٠ وان عدت رايت مني ما لا يسرك من القول والفعال ٠ فدمي لك حلال ٠ وكذلك اخته سلمى تقدمت اليه . وقبلت يديه ورجليه ٠ ولم تزل تساله فيه وتتذلل لديه . حتى حل قيده من رجليه فقال له عروة والله ان مثلك لا يوجد في الانام ٠ ولا تسمح بمثلك الايام. وانا والله لا عدت سرت الا بين يديك. ولا تروح روحي الا بين قدميك

* قال الرواي فشكره عنتر على ما ابداه من الكلام ٠ وعاد معه الى القبول والاكرام وبعد ذلك جمعوا اسلاب القتلى وخيلهم التى كانت مبددة في الفلا ٠ وعادوا راجعين الى الديار واذا هم باعرابي يهيم . ويخب في ذلك البر كانه ظليم ٠ فلما راه عنتر قال وحق ذمة العرب لا بد لهذا الاعرابي من سبب واقول انه من بنى شيبان ٠ اتي يعلمنا بماجد لعمي من الشان ٠

فاسرع ياشيبوب اليه واتبع اثره. واحضره حتى نعلم خبره. فانطلق شيبوب مثل الريح المهبوب . حتى لحق ذلك الاعرابي وصرخ عليه . وتقدم اليه حتى صار بين يديه . فتعجب الاعرابي من سرعة عدوه في ذلك البر الاقفر وهو كانه ذكر النعام اذا نفر. فقال لهُ شيبوب يا ابن الخالة اراك حايدًا عن الطريق فلمن انت قاصد . ومن اين انت وارد . فقال اعلم ياوجه العربان . اني من بني شيبان . وقاصد عنتر في بني عبس وعدنان . اعلمه ان خبر عمهِ قد ظهر لان العبيد الذي ارسلهم سيدي بسطام يقتفون من مالك الاثر عادوا الى مولاي واعلموهُ انهُ في بني كنده وقد ارسلني بهذه البشارة الى عنتر. وبينما هما في الكلام اذا عنتر قد وصل وسأل الاعرابي عن قصتهِ فقصها عليه من اولها الى اخرها . واطلعهُ على باطنها وظاهرها . وقال لهُ في اخر الكلام سيدي يسلم عليك ويقول لك ان اردت يحضر اليك بطايفة من بني شيبان . ويكونون لك من جملة الانصار والاعوان .

❋ قال الراوي هذا وشيبوب قد انطلق طالبًا ارض بني كندة . واخوه عنتر على اثرهِ وقد اراد الانفراد والوحدة . فسار وقد هاجت الى عبلة اشواقهُ . وسالت بالدموع اماقهُ . ثم جاش الشعر في خاطره فباح بما انطوى عليهِ مكنون ضمايره . وانشد يقول

لمن طللٌ بالرقمتين شجاني وعاثت بهِ ايدي البلى فحكاني

وقفت بهِ والشوق يكتب اسطرًا باقلام دمعي في رسوم جناني
اسايله عن عبلةٍ فاجابني غرابٌ بهِ مابي من الهيمان
ينوح على الف لهُ واذا شكا شكا بنحيبٍ لا ينطق لسان
وينذب من فرط الجوى فاجبتهُ بحسرة قلبٍ دايم الخفقانِ
الا ياغراب البين لو كنت صاحبي قطعنا بلاد الله با لدوران
عسى ان نرى من نحو عبلة مخبرًا
باية ارضٍ او بايّ مكان
وقد هتفت في جنح ليلٍ حمامةٌ مغردةٌ تشكو صروف زمان
فقلت لها لو كنتِ مثلي حزينة بكيتِ بدمع زايد الهملان
وما كنتِ في دوحٍ تميس غصونهُ ولا خضبت رجلاك احمر قاني
ياعبل لو ان الخيال يزورني على كل شهرٍ مرّةً لكفاني
فان غبتِ عن عيني يا ابنة مالكٍ فشخصك عندي ظاهرٌ لعياني
غدا تصبح الاعداء بين بيوتكم تعضٌ من الاحزان كلّ بنان
فلا تحسبوا ان الجيوش تردّني اذا جلت في اكنافكم بحصاني
دعوا الموت ياتيني على ايّ صورة انى لا اريه موقفي وطعاني

❋ قال الراوي ولما فرغ عنتر من هذه الابيات سار هو وشيبوب يقطعان البر والفلوات الى ان وصلا الى مياه غطبول وعولا هناك على النزول . واذا بغبرة من خلفهم قد طلعت وعجاجةٍ قد ارتفعت ۰ وبان من تحتها فرسان طايرة على عجل والغبار على روسهم قد انعقد وتقسطل ❋ فوقف عنتر واخوهُ

ينظرون اليها . وقد تاهبوا للحملة عليها . واذا بها قد انكشفت
عن ماية فارس في الحديد غواطس . وبين يديهم فارس شديد .
كانه البرج المشيد . فحقق النظر اليهم عنتر واذا هم من بني عبس
وعدنان . والمقدم عليهم عروة بن الورد وقد اتى خلف عنتر مكافاةً
لما فعل معهُ من الجميل والاحسان . لانهُ لما فارقه ما زال سايراً
الى ان اوصل اختهُ الى الديار وجمع من لهُ من الرجال والانصار
وقال لهم اعلموا يا بني عمي انهُ ما كان احدٌ ابغض اليَّ من عنتر
والان هو عندي اعز من السمع والبصر . لانه خلصني من القتل
وخلص اختي من السبي والانهتاك . وخلصني من الهلاك *
بعد ما تجمع عليه الف مرة وطلب عدله الهلاك . ولا بد ان اكون
انا وانتم من جملة اصحابه . وان ما سار سرنا في ركابه . لانه
رجلٌ بالسعد مسعود . وعدوهُ مقهورٌ مكمود . وانا اعلم اننا
اذا سرنا معهُ وصاحبناه . صرنا تحت كنفه وحماه * وان هذه
القبيلة لولاهُ ما ارتفع لها راس . ولا ابتنى لها من المجد اساس .
وقد فارقته وهو سايرٌ وحدهُ الى بني كندة . لكي يخلص ابنة عمه
وينزل عليهم البلا والشدة * وقد حدثتهُ نفسهُ انه يخرب ديارهم
ويقلع اثارهم . لاجل انهم اجاروا عمهُ مالك * ومن كان في مثل
هذه الشجاعة والقوة لا يجوز ان تخلي عنهُ بنو عمه حتى يقع في المهالك
لانهُ يصطلي نار الحرب بنفسه * ولا يتخلى عن ابناء جنسه .
فاطاعوهُ جميعاً على ما يريده وتحالفوا انهم يكونون لعنتر مثل

Digitized by Google

العبيد . ومن يومهم تاهبوا للمسير وخرجوا الى ظاهر الحي على ذلك التدبير . واتفق ان عمارة بن زياد علم بالحال وان عروة بن الورد ساير من الحي في من له من الرجال . فخرج عمارة اليه . وتذلل بين يديه . وقال له الى اين تذهب يا ابا الابيض وانا لك في الانتظار . حتى تقلع من ذلك العبد الاثار . وتخلي منه الديار . لانه قد فقد من الحي من ثلاثة ايام . وانا اقسم بالعظام الاقسام . ان عاونتني انت ورجالك عليه اعطيك ما تريد من المال والانعام . فقال عروة والله يا ابن العم ليس عندي منه خبر . وانا ساير الى اليمن فان لقيته بذلت في هلاكه المجهود وقلعت منه الاثر . فقال عمارة واحسرتاه على صحة هذا المقال . فوحق ذمة العرب ان بشرتني بهلاكه اعطيك كل ما املك من المال . وافضلك على جميع من لي من الرجال * فقال له عروة ابشر فلا يكون الا ما تريد . واكون انا لك في هذا الامر طوع من العبيد *

* قال الراوي وبعد ذلك سار عروة في اثر عنتر . ولم يزل هو ورجاله ساير بن في ذلك البر الاقفر . حتى لحقوا عنتر وقدامه شيبوب . وهو يجري مثل ريح الجنوب فلما وقعت العين على العين في تلك الارض . دنا بعضهم من البعض فقال عنتر يا ابا الابيض نحن ما عملنا شيئاً نوازي اعمالك . حتى اتعبت نفسك انت ورجالك . فقال عروة يا ابا الفوارس ما بقينا

نفارقك ولا نعتمد الا عليك * ولا نتوجه الى مكان الا ونحن بين يديك . فتقدم عنتر اليه . واحتضنه وقبله بين عينيه . وشكره واثنى عليه . وفعل كذلك مع بقية الرجال * ووعدهم بالغنايم والاموال * ثم ساروا وقد تعذرت عليهم الطريق * واشتعلت الشعاب من وهج الحريق فقال عنتر لاخيه ويلك يا شيبوب اذهب قدامنا واكشف لنا هذا البر الاقفر . وانظر هذه الارض الى اين تسلك وارجع الينا بجلية الخبر . فقال شيبوب السمع والطاعة . وانطلق في الحال والساعة . فما غاب الا شيئاً يسير وعاد اليهم مثل الطير الذي يطير . فقال عنتر ما الذي رايت ونحن في اي مكان . فقال له نحن في ارض بني غيلان . وهي شديدة الحر كالنيران . والماء عنا من الجانبين بعيد * والوصول اليه صعب شديد

فلما سمع عنتر من اخيه ذلك الكلام التفت الى عروة وقال له انزل انت ورجالك حتى امشي انا واخي شيبوب و نكشف هذه البراري والقيعان فقال عروة نحن احق بهذه الخدمه انا ومن معي من الفرسان فقال عنتر والله يابا الابيض انا اولى بمثل هذه المهمات . فانني عبدٌ وانتم السادات * فقال له لا والله يا ابا الفوارس انما انا عبدك وعتيق سيفك ولذلك الخجل من هذا الكلام . وطاعة لامرك اقيم في هذا المقام . فاخذ عنتر شيبوب بين يديه وتبحّر تلك القفار . ولم يزالا يجدان السير الى نصف

النهار فما وقعوا باحد في تلك الديار. فقال عنتر لمالك يا شيبوب انا كنت اعهد هنا غديرًا فتقدم بنا اليه. لعلنا نعثر عليه . فما ساروا الا قليلاً حتى اشرفا على ذلك المكان واذا هو واد اخضر فيه اشجار باسقه * وغدران وافقه * واطيار ناطقه .

* قال الاصمعي فلما دنا عنتر من ذلك الماء الجاري واراد ان يستظل بظل تلك الاشجار. سمع رجلاً خفي الانين يتاوه من قلب حزين * وقليلاً يقول فانك الله يا مالك ولا نجاك من المهالك. فلما سمع عنتر ذلك الكلام. سكر من غير مدام . و بقي كانه في منام . ووقف يسمع . وقلبه يتقطع. واذا هو بصوت اقوى من الصوت الاول وارفع . وصاحبه يتلوه ويتوجع وينشد ويقول

يا ام دوي كبدي بالماء من حر الظما
وابكي علي انني قد مل جسمي السقما
قد كان دمعي منجدي واليوم قد صار دما
وذار جسمي سقماً وذاب قلبي ألماً
حمامة الوادي اهتفي وساعدي المتيما
نوحي علي واصنعي على بلائي ماتما
بحرمة العهد الذي حفظته فيه الذمما
ان سالتك عبلة قولي لها قد هدما
واليوم يقضي نحبه شوقاً الى ذاك الحمى

ياعبلَ ما خلي الهوى من رسم جسمي عَلما
والغرام مني قد وهى والصبر مني انصرما
لما رايتُ عبلةَ مسبيةً سبي الاما
لكن بهذا قد قضى في حكمهِ ربُّ السَما

❋ قال الراوي فلما سمع عنتر ذلك الكلام. غرق في بحار الاوهام. والتفت الى اخيهِ وقال لهُ ويلك ياشيبوب هل نحن في منام. ام اضغاث احلام. والله لقد احرق فوادي. سماع هذا المنادي. ولا بد ما اكشف خبرهذا الوادي. ثم حرك جواده وطلب ذلك النهر فراى على جانبهِ امةً سوداء كانها الليل اذا اعتكر. وبين يديها غلام يشابهها في الزيّ والمنظر. وهو تارةً يغمض عينيهِ. وتارة يشير بيديهِ. والامة قاعدةً الى جانبهِ تبكي عليهِ. وهي تقبل عارضيهِ وبين عينيهِ. فتقدم اليها عنتر وقال لها يا امة الله أنتم من ايّ الناس. وما بال هذا الفتى خامدًا الانفاس. لا يسمع نفَالاً ولا يلتفت يمينًا ولا شمالاً. فقالت له الامة والله ياوجه العرب ما كانت هذه الصفه صفتهُ. ولا هذه الحالة حالتهُ. وما كان الا فارسًا من الفرسان المذكوره. وبطلاً من الابطال المشهوره * وانما غدرة بهِ الايام * وتواترت عليهِ الاسقام. حتى وصل الى هذا المقام. فقال ومن يكون هذا الغلام. وماذا جرى عليهِ من الاحكام. فقالت هذا يقال لهُ عنتر بن شداد وانا امهُ واسمي زبيبه. واامورنا عجيبةٌ غريبه.

Digitized by Google

انا اشرح لك بعضها . وابين لك ابرامها من نقضها . وذلك ان اباهُ سباني من بعض الاحياء . ووافقني في الصحراء . فعلقت منه بهذا الولد ووضعتهُ في ابياتهِ . ما بين اهلهِ واَموالهِ . وربيته حتى كبر وصار يقدر ان يسعى . فاخرجته معي الى المرعى . فصار يركب الخيل . ويخوض بها في النهار والليل . حتى اعطاه الله القوة والحيل . ورُزق التوفيق والسعاده . باذن صاحب المشية والاراده . فكبرت نفسهُ على رعي الجمال . وصار يغزو احياء العرب وينهب الاموال . وصار يزعزع العرب من اماكنها . ويشتتها عن مواطنها . وما زال على هذا الحال . حتى نزل عليهِ القضاء وعشق بنت عم لهُ يقال لها عبلة . وهي التي نزل على قلبهِ من اجلها هذه البليه . وكان يخدمها كما تخدم العبيد بنات سادات العرب . فلما ظهرت نجابتهُ الحق نفسهُ بالنسب . وطمع ان ينال من زواجها الارب . فصار يتقرب الى قلب ابيها بكل ما يقدر عليهِ من الهدايا والاموال * ويخلصه من كل ما يقع فيهِ من الاهوال . حتى ازوجه بها ولكن على سبيل المكر والمحال . وصار ولدي يغير على حياء العرب . ويبذل لهُ ما يقع في يدهِ من الفضة والذهب . وصار عمهُ يهرب بابنتهِ من مكان الى مكان . حتى وقع بهِ فارس العرب المذكور . وبطلها المشهور . ينظان بن جياش بن مزاحم . صاحب الوقايع والملاحم . فقتلهُ واخذ عبلة منه وهو مقيمٌ في هذا الوادي الذي اختارهُ وطناً * واتخذه

لنفسهِ سكناً * فبقي ولدي هذا يهيم في القفار ويقتفي منه الآثار. حتى انحله هواها وهو يطلب ان يملك نفسهُ مناها . وقد عرف ان عمهُ قتل وان هذا الجبار اخذ بنت عمهِ وسباها. فبقي عندي وهو مطروح . يبكي عليها وينوح . ثم حملهُ الهوى والهيمان . حتى طلبها وسعي خلفها الى هذا المكان . وقد وصلنا الى هنا وانا انهاهُ وهو لايسمع . واردهُ فلم يرجع . وما زال حتى رمى نفسهُ على هذا الغدير وقد اهلك نفسهُ من كثرت الحزن وقلة الاكل والمنام . ولنا ثلاث ليالٍ في هذا المقام . لم يذُق الطعام وهو لايقدر على الدخول الى هذا الجبار . ولا انا اقدر ان اردهُ الى الديار . وبقي طريحاً كما تراه . وقد اشرف على الهلاك من مكر عمهِ ودهاه *

* قال الراوي فتعجب عنتر من هذه القصة العجيبة . والمشابهة الغريبة * وقال ويلك يا شيبوب انظر هذه الامة ما كانها الا امنا زبيبة ولكن اسألها هل لها ولدٌ اسمهُ شيبوب فقالت ليس لي الا هذا الحزين المكروب *

قال وكانت قصة هذا الغلام مثل قصة عنتر ولكن عنتر كان اقوى منهُ واقدر . واحمل للبلايا واصبر . وكان لهُ سعد وتوفيق بامر القضا والقدر . هذا وان عنتر لما سمع هذا الكلام رق قلبهِ لشكواها . وعزم علي كشف بلواها . فقال لها يامولدة العرب والان اين الذي سبي عبله بنت عم هذا الغلام . وفعل

معكم فعل لاوباش اللئام . فقالت لهُ والله ياولدي انه في هذا الوادي مقيم . ونحن على غاية الخوف العظيم لانه لو كان يظهر من الوادي ويرانا . كان قتلنا وشرب دمانا . فعندها لوى عنان جواده الابجر . وهو على ملاقات هذا الفارس يتحسر . وشيبوب بين يديه كانهُ الذيب الاغبر . وكان هذا الفارس جبارًا من جبابرة العرب وفتاكها الذين لايسترون حرمة ولا يرعون ذمة . لا يعرف الا سفك الدما وهتك المخدرات وارتكاب الفجور . وخطف البنات من الخدور . وما لهُ همٌّ الا مالٌ ينهبهُ . او فسقٌ يرتكبه . او زق خمرٍ يشربهُ . او فارسٌ يجدل عطبهُ . ويأخذ سلبهُ * وهو لا يصغي الى مقال . ولا يسمع ملامة العذال . ولا يرجع عن هذه الفعال . وهو الذي كان السبب في خراب تلك الارض وهجاج اهلها في روس الجبال . خوفاً على الحريم والعيال . لانهُ كان يرسل العجايز الي الحلل القريبة منهُ لتعطيه صفة البنات الموصوفات بالجمال . واذا سمع بامرأةٍ مليحة . او بنتٍ صبيحة . لا يزال يشن علي اهلها الغارات . حتي يأخذها مسبيةً من وسط الابيات . ويأتي بها الي هذا الوادي يتمتع بهـا الي ان يسمع بغيرها فيذبحها ذبح الغنم * ويشرب منهـا ما يتحصل من الدم . ثم يشوي لحمها على الجمر فيأكلهُ ويشرب عليهِ زقاً من الخمر . وكان الذي اضراه على اكل لحوم الناس اكل لحوم السباع . لانهُ يهجم عليها ويصطادها من كل غابة

وقائع . ولما علم ان العرب كلها تطلبهُ اتخذ هذا المكان سكنا . وجعلهُ لهُ وطناً . وكان ذلك الوادي كثير الغابات . وفيه كثير من السباع واللبوات . والافاعي والحيات . فداوم السباع بالاكل حتى كاد يفنيها . لانهُ قتل اكثرها وهرب باقيها . وكان قد اختار لهُ عشرة من الاشبال . وربّاها كما يربي الراعي السخال . وصار يطعمها من يده . ويربيها حتى صار الواحد منها كالبعير . ومثل الثور الكبير . لانها تربت على لحوم الضان والفصلان . وكان ايضاً يطعمها من لحم البنات والنسوان . وكان الواحد منها اذا لطم البعير قتلهُ . وان ربض عليه اكلهُ * وكان ذلك الجبار اذا قعد دارت به تلك السباع من كل جانب . واذا نام حرستهُ من كل طارق وطالب * واذا غاب تحرس الوادي . حتى لا يطمع فيه احد من الاعادي . فسمتهُ العرب ابا الاشبال . وخافت منهُ جميع الابطال . فلا يقرب هذا الوادي الامن قربت منه الآجال . ولما وقعت عبلة في يده ودخل بها الى هذا الوادي ولم تسلم نفسها اليه . وصارت تتمنع وتشنع عليه . وكانت تجاوبهُ بغليظ الجواب . وهو يتبسم من كلامها ويتخذهُ من كلام الاحباب . ويطول روحه عليها مثل ما تفعل الاحباب بالاصحاب * ولما دخل عنتر الى ذلك الوادي وقف الابجر وتنخر . ونخر وتاخر * لانهُ شم رايحة السباع . فار تعدت فرايصهُ ولم ترتاع . فترجل عنتر . وقال لشيبوب خذ انت الابجر

Digitized by Google

واخرج به الى خارج الغاب . لانظر ماذا يجري بيني وبين هذه الكلاب * فقال شيبوب والله يا اخي لا افارقك لاني ما اهزى ما يجرى عليك . وها انا من خلفك وبين يديك . ثم ان شيبوب ربط الامحر في بعض الاشجار * وتقدم امام اخيه في تلك الادغال وهو تمد هيا القوس والنبال . واخوهُ اخذ سيفهُ باليمين ودرقته بالشمال . وما زالا يشقان ذلك الغاب حتى وصلا الى مكان خال من الاشجار فنظر عنتر واذا هو مكان واسع فيه عيون ومنابع وخيم مضروبة * ونارٌ مشعوبة . وفرس ملجم ورمح مقوّم وسيف معلق وابو الاشبال جالسٌ ولهُ هيبةٌ اذا نظر الى الحجر انفلق . وبين يديه حمار وحش وهو يقطع منهُ ويلقي على النار وزق خمر كانهُ الناقه العشار . والجارية قدامه وهي تبكي بدموع غزار . وكلما لج عليها في الطلب تهم ان تلقي نفسها في النار . وتقول لهُ الى كم هذا الجور يا ابن الانذال . هل تقدر على شيء اكثر من ان تقتلني وتاكل لحمي انت وهولاء الاشبال * فوالله لا اخون ابن عمي عنتر . ولو تقطعت على عدد اوراق الشجر . فلما سمع منها هذا الكلام امتلا غيظاً وغضباً وعزم على افتراسها مغتصباً *

* قال الراوي فلما علمت نلك صاحت وامصيبتاه واقلة ناصراه . اين عينيك يا عنتر . تنظر الذي يجري عليَّ من هذا الامر المنكر . وما زالت على ذلك الصياح . وهي تزيد

في البكا والنواح . حتى خيل لعنتر انها بمت عمه عبلة فغاب عن صوابهِ . وما بقي يعرف اعداه من اصحابهِ . فصرخ صرخة ادوت لها الجبال . ونظرت اليهِ الاشبال . فصارت تهدر كفحول الجمال . فقال لها اخرسي يا كلاب البر فان السباع عندي كالارانب . والجبابرة كالثعالب ثم استقبلها بسيفهِ الضامي المصقول . ومال فيها بالعرض والطول . وتبعه شيبوب برمي النبال . وصار يقصد بها الاشبال عن اليمين والشمال ❋

❋ قال الراوي فلما سمع الضجة ابو الاشبال اشتغل عن الجارية . واحتسب من وقوع الداهية * ما كان فيهِ من ذلك الحال فصاحت بهِ الجارية قد انتقم الله منك يا كشحان * وارسل لك من يردك عن الفساد والطغيان . فقال يا لخنا من هو الذي يقدر ان ياتي الى هذا القاع . ففي هذه الساعه نريتهُ نهبا لانياب السباع . ولما علت الضجة طلع يكشف الخبر في الحال فراى قد قتل سبعة وبقي ثلثة من الاشبال * وكان من جملتها سبع احمر . افطس المنخر . فلما نظر الى صاحبهِ كشر عن ناب كانهُ خنجر . ووثب في عاجل الحال الى عنتر . فاستقبلهُ بالضامي الابتر * الذى ضربتهُ تفلق الحجر . فجاءت الضربة بين عينيهِ . واذا بالسيف قد طلع يلمع من بين فخذيهِ * فلما راى ابو الاشبال تلك الضربة . ارتاع ووقعت في قلبهِ الرعبة . وزعق على الاسد بن الباقين وردهما الى غابها . خوفاً عليهما ان يلحقا باصحابها * ثم

تقدم الى عنتر وقال له ويلك يا عبد السوء اظنك بجاهلا خبري
حتى تماديت هذا التمادي ودخلت هذا الوادي . فاين بقى لك
من يدي فرار . ولا بد ان يكون اخر ايامك
هذا النهار . ثم اشار
الى عنتر
يقول

الى هنا انتهى الكتاب الثاني عشر وياتي
تمام الحديث عن هذه الواقعة
في الكتاب الذي
يليه

الكتاب الثالث عشر من سيرة عنتر بن شداد العبسي

انا ابو الاشبال ليث الوادي والبطل المعروف بالفساد
لحم السباع ماكلي وزادي والدم يروي بعده فوادي
كم قد تركت حرمة تنادي وما ترى من العذاب فادي
وقد فتكت اليوم في اولادي وساقك الموت بغير حادي

قال الراوي فلما سمع عنتر منه هذا الكلام المرذول . اجابه على شعره يقول

ان كنت طبع الشر والفسادِ * فالخير طبعي والصلاح زادي
والحفظ للحريم والاولادِ * وقتل اهل البغي والعنادِ
وصارمي نار بلا زنادِ * يقدح في الارواح والاجسادِ
وقد فتكت في سباع الوادي * وانت قد وقعت في اصفادي
وسوف تبقى عادم الرشادِ * وليس تلقى من يديَّ فادِ

قال الراوي ثم انطبق بعضهما على البعض. حتى رجفت من تحت اقدامهما تلك الارض . وزاد بينهم الصياح والزعاق . حتى طبق الآفاق . وكانا متساويين في ذلك الجولان . كانهما افرس الفرسان . فافترقا ساعة في تلك الساحة . لياخذ كلٌ منهما الراحة ثم رجعا الى الكفاح فاعتركا و تصادما . وتقايضا

وتهاجما. فما طال بهما المطال. حتى لحق ابا الاشبال. الضجر والملال. فقال لعنتر ويلك يا ابن السوداء انني لاقيت الابطال. ومارست الحرب والقتال. فما رايت اعظم من صبرك على الاهوال. فهل لك في الصراع. على هذه البقاع. فقال أي وابيك لم اكن في الحرب الا منصفاً. وفي العطاء والبذل الا مسعفاً. ومخلفاً. ثم طرحا السيوف وخلعا الدروع واخذا في الصراع * بقوة المتن والذراع. وصاح كل واحد منهما في وجه صاحبه وزعق وتهافت عليه وانطبق. فاغتاظ عنتر من طول مقامه في الصراع. وتمكن منه بالباع والذراع. ورفعه على ساعديه. حتى بان سواد ابطيه. وضرب به الارض فادخل طوله في العرض. وعاد الى سيفه وضربه على راسه. فشقه الى حد اضراسه. فنادت الجارية لاشلت يداك يا فارس العرب. وفارج الكرب. وكان شيبوب — قد رمى بالابطال الاثنين الباقيين من الاشبال. وطرحهما على الارض في عاجل الحال. ودخل الى الجارية فحلها من الوثاق وبشرها بابن عمها عنتر انه في جانب ذلك الوادي يتقلب على نيران الاشواق. فشكرته واثنت عليه. وقامت الى عنتر وقبلت يديه. وانطرحت على قدميه. وقالت له لله درك يا فارس الفرسان. وقاهر جبابرة الزمان. فوالله لقد فعلت ما لا تقدر عليه مردة الجان. ولا عفاريت سيدنا سليمان. وقد ارحت الناس

من شر هذا الشيطان . فجازاك الله بالمنة والاحسان . فقال لهذا
ياجرّة العرب ان شيمتي صنيع المعروف . واغاثة الملهوف .
ولذلك يسهل الله لي الطريق * ويعطيني السعادة والتوفيق *
وبعد ذلك امر اخاهُ شيبوب ان يجمع ما في ذلك الوادي من
الحطام . واخرجهُ من ذلك الوادي الى حيث كانت الامة والغلام
فوجدها تعللهُ وتخبرهُ بما جرى وهو كانهُ غارق في المنام . ولما
رات عبلة قد ظهرت وظهر من خلفها عنتر . وهو راكب صهوة
جواده الابجر . فكاد قلبها من شدة الفرح ان يتفطر * ثم قامت
اليهِ واستقبلتهُ وقبلت يديهِ . واسافل قدميهِ . فترجل وقعد
عند راس الغلام وقال لبنت عمهِ كلميهِ . ورشي على وجههِ
الماء واجلسيهِ . فيذهب عنهُ جميع اللهيب الذي هو فيه . فاني
اعرف ان مرض العشاق لا يبرا الا بنظر الحبيب فانهُ للمحب
ترياق * فدنت الجارية من ابن عمها واقامتهُ * وضمته الي
صدرها وكلمتهُ . فعند ذلك استفاق الغلام وقعد من غير
ما استند . وردت روحهُ الى الجسد * فامر عنتر ان ياتوهُ
بشي من الطعام وصار ياكل وبطعمهُ . وبنت عمهِ تلقمهُ .
ففي الحال اشتدَّ عزمهُ . وزال عنهُ وجدهُ وسقمهُ . وصار يقبل
يد عنتر وقدميه . ويشكره ويثني عليهِ . وقال لهُ يامولاي اريد
ان تتخذني لك من بعض الغلمان . لاخدمك على طول الزمان .
لانني ما بقيت اقدر على فراقك ابداً بعد ان احييتني وخلصت

لي بنت عمي من اسر ذلك الشيطان . فقال لهُ عنتر يا اخي اذهب الى حلتك . وادخل على بنت عمك بين اهلك وعشيرتك . ولك ما حييت مني العهد والذمام . على مدى الليالي والايام . ولكن يا اخي بالله عليك لاتسمي نفسك بهذا الاسم بين قبايل العرب . فانني اخشى عليك من العطب . لان هذا اسمي ولي اعداء كثيرةٌ من العربان . فيغلطون عليك وانت لاتقدر مثلي على مقاومة الفرسان . فقال يامولاي فانظر لي اسماً استأمن بهِ ولا اخاف * فقال اسميك عطّاف . فقال سمعاً وطاعة . وليكن هذا اسمي من هذه الساعة . ثم امر عنتر اخاهُ ان يعطيهِ قطعةً من النوق والجمال . التي كانت في ذلك الوادي لابي الاشبال . وودعه عنتر وسار . وهو كثير الافتكار . في ما ياتي عليهِ من تصاريف الاقدار . وجدَّ في المسير هو واخوهُ شيبوب في ذلك البر الاقفر . واذا بغبار ثار من بين يديهِ حتى قرب منهم وظهر * فبان من تحتهِ ثلاثون فارساً معهم غنيمة كسبوها من تلك البلاد . فقال شيبوب لاخيه عنتر هذه غنيمه ساقهـا الينا رب العباد . فقال عنتر يا شيبوب لاتتعرض لهم فربما يكونون من فقراء العرب وقد نالوا هذه الغنيمة بعد المخاطرة والتعب . وربما يكون قتل بعضهم حتى ملكوها . وان اخذناها منهم لايصادفون لهم غنيمة مثلها ليدركوها . ثم عدل عن الطريق وتنحى عنهم * فلما راوا ذلك ظنوا

انهُ قد خاف منهم . فتقدم فارس منهم اليهِ وقال لهُ انزل عن جوادك وسلم لنا نفسك . قبل ان تسكن رمسك . فقال لهُ عنتر اخسأْ يا كلب العرب فاني ما تركت لكم هذه الغنيمة الَّا شفقة عليكم . فتكون قد صارت احساناً مني اليكم . فامضوا في طريقكم بالسلامة . قبل ان تحلَّ بكم الندامة . فلما سمعوا كلامهُ تبادروا اليهِ . وهم يضحكون عليهِ . فلما راى عنتر ذلك قال وذمة العرب الكرام . لابد ما ابدل ضحككم بالبكاء يا اولاد اللئام . ثم حمل عليهم وطعن الاول الذي كان يكلمهُ فقتلهُ . والثاني الحقهُ بهِ وما امهلهُ . والثالث جندلهُ . فعند ذلك تصايحوا عليهِ وتبادروا جميعهم اليهِ . وهم ينادون البدار البدار . الي هذا العبد الجبَّار . هذا وعنتر يجول من قدامهم وخلفهم . ويطرح واحداً بعد واحدٍ حتى اهلك اكثر من نصفهم . فلما راوا منهُ ذلك الهول العظيم . قالوا لهُ شل الله انامك يا ايها العبد الزنيم . فلا شك انك ماردٌ من الجان . في صورة انسان . فضحك عنتر من كلامهم وصاح فيهم ويلكم يا اوغاد . اما تعلمون اني عنتر بن شداد . فلما عرفوا ان الذي يقاتلونهُ هو عنتر . تطايروا في ذلك البر الاقفر . خوفاً من مضارب سيفهِ الابتر . وقالوا لبعضهم ان وقفنا قدامهُ فما يصل منا من يخبر بخبر . فعند ذلك امر شيبوب اخاهُ ان يجمع النوق والجمال . التي كانوا سائرين بها اوليك الرجال واضافها الى الغنيمة التي

اغتنمها من ابي الاشبال *

قال الراوي وبعد ذلك سار حتى وصل الى عروة بن الورد ورجاله فتواثبت اليه الفرسان * والتقوه من كل جانب ومكان . والتقى عروة بن الورد بعنتر بن شداد . وهناه بالسلامة واثنى عليه بحسن الوداد . وسأله عما جرى له من الاحوال . فحدثه بما جرى له في الوادي مع ابي الاشبال . والاتفاق العجيب الذي وقع له مع ذلك الغلام . وقص عليه جميع ذلك بالتمام. فتعجب عروة من ذلك الاتفاق. وقال والله يا ابا الفوارس هذا الحديث مما يجب ان يسطر في الاوراق . فلا زال ركابك مقرونًا بالسعادة . وسعدك في النمو والزيادة . فشكره على ذلك المقال . واعطاه هو ورجاله اوفر نصيب من تلك الجمال . ونزل هو واخوه في تلك الساحة . ياخذان لهما راحة . ومن الغد ساروا يطلبون حي بني كندة وعنتر بين ايديهم راكب على جواده الابجر . وعروة بجانبه مثل الاسد القسور *

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من مالك بن قراد فانه لما هرب من ديار بني شيبان . سار يطلب من يجيره من قبائل العربان . فصار يطوف في البلاد . واي قبيلة نزل عليها يطردونه خوفًا من عنتر بن شداد . لان خبره شاع في جميع بلاد العرب وعرفوا اموره . فلم يقبل احد منهم ان يجيره . ولم يزل سائرًا حتى نزل على بني كندة. وكانوا من

اصحاب القوّة والنجدة فقصد ابيات الملك عمر المقصور وأناخ على ابوابها . وشدّ ذيالهُ باطنابها . وكان الملك حينئذٍ غائباً في الصيد فتلقتهُ رجال العشيرة . وطلب منهم الذمام والجيرة . واقام ينتظر رجوع الملك حتى حضر فسلم عليهِ . وقبل الارض بين يديهِ . وشكا حالهُ اليهِ . فرحب بهِ واعطاهُ الذمام . واقامهُ في ضيافتهِ ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع امر باحضارهِ الى بين يديهِ . وسألهُ عن نسبهِ وعمّا جرى عليه . فقال لهُ ايها الملك اننا من بني عبس الكرام . الذين يقال لهم فرسان المنايا والموت الزؤام . ولكن نشا فيهم عبدٌ يسمّى عنتر بن شداد . وهو ابن اخي من امةٍ سباها في بعض غزواتهِ من تلك البلاد . ولما انتشا تعرّض لابنتي يريد ان ياخذها زوجةً لهُ وانا استنكفت ان اصاهر عبداً مثلهُ . فصرت اهرب بها من مكانٍ الى مكانٍ . والتجي الى قبائل العربان . فقال لهُ الملك ولماذا ما استجرت ببني عمك وهم امنع العرب جاراً . واشدّهم سطوةً واقتداراً . فقال مالك انهُ فارسٌ جبار . لا يصطلى لهُ بنار . ولا لاحدٍ عليهِ قدرةٌ ولا انتصار . فما وسعني الا انني اخذت ابنتي واتيت بها الى هذه الديار . واستجرت بكم فانكم نعم الجوار ❋

قال — فلما سمع الملك عمر المقصور منهُ ذلك الكلام . علم انهُ من اهل النخوة وارباب المقام . فامر ان يضرب لهُ بيت

بجانب ابياته وحكمهُ في امواله وعبيده واموانه . واقام مالك عنده وقد امن على نفسه من سطوة عنتر. وظن ان نزوله على هولاء القوم يبلغهُ الوطر. ولا عاد ياكل ولا يشرب الا معهم. وبعد ذلك بايام خرج مالك من ابياته فرأى الحي يموج بسكانهُ وقد ركبت فرسانهُ . وتراكضت نسوانهُ . فسال عن ذلك فقيل له قد اتى الى زيارة الملك ابن اخته الامير مسحل بن طراق. الملقب بالعقاب لانهُ لايوجد مثلهُ في جميع الافاق . والناس قد خرجوا الى ملتقاه . وتباشروا برؤياه . فعند ذلك ركب مالك وولده عمرو مع الفرسان . الى ملتقى هذا الانسان . وما زالا يركضان حتى لحقا الملك واذا بمسحل قد اقبل . وبين يديه سبعماية فارس كانهم ثنية جبل . والعبيد قدامهُ بالقسيّ العربية والسيوف الهندية . والحربات الحبشية ولهُ هيبة تذهل البصر . وهو يظن بنفسه انهُ اعظم من كسرى وقيصر . فتقرب مالك من ذلك الفارس وحققهُ بالنظر . فراه غلاماً لهُ وجهٌ كالقمر . وهو كانهُ الرمح الطويل . ولهُ اعضا كانها تقاطيع الفيل . وعليه حلةٌ من الديباج . مرصعة بالذهب الوهاج . وهو قادم بتلك الزينة والملبوس . يتجلى كانهُ العروس . الى ان دنا من القوم فازدحموا عليهِ . وصارت اكابرهم تقبل يديهِ . هذا ومسحل قد عظم قدر مالك واخذهُ الى جانبهِ . وصار يتحدث معهُ دون اهله واقاربهِ . وقال لهُ ياشيخ تشرفت

بك الديار . وطاب لك المزار . فقال لهُ ما لك والله يامولاي ما عُرِف لي قدر ولا قيمة الا في دياركم . ولا امنت على نفسي الا في جواركم . ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى الخيام . ونزلوا واستقر بهم المقام . فعملوا الولايم فرحًا بقدوم الامير مسحل وصفت بين ايديهم جفان الطعام . ودارت عليهم كؤوس المدام . ولما دار بينهم الكلام . قال الملك عمر لمسحل يابني كيف قدومك علينا في هذه الايام . فما هي ايام زيارتك في سالف الاعوام ❋

قال الراوي وكانت عادة مسحل انهُ لاياتي الا من العام الى العام . وقدومهُ هذه المرة كان لهُ اربعة اشهر تمام . فقال لهُ مسحل ياخالاه ان سبب قدومي الذي اتعبت بهِ نفسي انني اريد خطبة بنت هذا الشيخ العبسي . وانا اعطي اباها ما يريد من المال . والنوق والجمال لانها وصفت بين يدي واخبروني بما هي عليهِ من الحسن والجمال . وقد التهب بوصفها فوادي . وطار من اجلها رقادي . وما كان قدومي في هذه النوبة الا لاجلها . واريد منك المعاونة والتحدث مع اهلها ❋

قال الراوي فقال له خالهُ والله ياولدي لقد وفقت بخطبتها غاية التوفيق . وما اشار عليك بزواجها الا كل صديق . لان قبل قدومك كنت انا وزوجتي في وصفها . وقالت لي كنت اريد ان يكون لي ولد ذكر حتى يحظى بجمالها وظرفها ❋

فقال مسحل والله ياخالاه انني قد اشتهيت ان ابصرها قبل خطبتها . حتى لايلحقني ندم بعد اتمام نوبتها . فقال له ياولدي وكانك تقدر تنظرها وهي في خدرها بين اهلها ولا يراها غير امرأة مثلها . فقال مسحل انا ادبر ذلك ان ساعدتني المقادير. واعانتني زوجتك على حسن التدبير. فقال له خاله اخبرني ياولدي كيف تريد ان تفعل . فاني اخاف ان يكون قد زين لك الهوى وجه الطمع فتقع في سوء العمل . فقال له ياخال انا ما افعل شيأ يكون عليّ فيه ملام . ولكن انا اعلم ان النساء والبنات غداً تحضر الى زوجتك تهنيها بقدومي في هذه الايام وانا البس ثياب امرأة واضع البرقع على وجهي واجلس الى جانبها في جانب المكان . فلا بد ان تاتي عبلة وامها مع جملة النسوان . فقال له خاله ومن اين لنا امرأة في طولك . وعظم جثتك . حتى تخفي حالك وتسلك صناعة حيلتك . فقال له مسحل اعلم ياخال ان ابنتك ناجية تقاربني في كبر الجثة وعظمها . فالبس ثيابها واجلس الى جانب امها . فقال له خاله افعل ياولدي ما بدا لك . فما هنا احدٌ يخالف مقالك فعندها قام مسحل ودخل على امرأة خالهِ وعاد عليها ما دبره من احتيالهِ فاجابته الى سوالهِ . ثم انها لبسته ثياب ابنتها ناجية . واجلسته بجانبها الى جهة الزاوية . وبعد ذلك وفدت عليها البنات والنسوان . من كل جانب ومكان . ودخلن المضرب عليها .

وتصففن من حواليها . وانت عبلة مع امها من جملة البنات فصاحت بها امراة الملك واجلستها الى جانبها . وضحكت في وجهها . وترحبت بها . وكشفت لها البرقع عن وجهها وقبلتها بين عينيها . واجلستها بين يديها . واما مسحل بن طراق . فانه قد انبهرت منه الاحداق . وقد اشتغل خاطرهُ . وتبلبلت ضمايرهُ وهم ان يصيح مما لحقهُ من شدة الغرام . وانعجم لسانهُ عن الكلام . وهانت نفسهُ عنده بعد العزّ والوقار . ونسي ما هو فيهِ من الهيبة والافتخار . وما صدق ان تنصرف النسوان . حتى نهض من ذلك المكان . وخلع عنه ثياب الاحتيال . وخرج الى خالهِ في عاجل الحال . وقد اشتعلت بهِ لواعج البلبال وكان عنده جماعةٌ من سادات العشيرة ومن جملتهم مالك ابو عبلة وولده عمر . وهما قد بلغهما ما قصده الامير مسحل من ذلك الامر . فلما اقبل عليهم مسحل قام كل من كان في المجلس ووقفوا بين يديهِ . وهمَّ ابو عبلة ان يقوم فمنعه الملك عن القيام وحلف عليهِ . وقال له وحق ذمة العرب انت يا امير مالك احق ان تخدم . واولى ان تحترم وتكرم . فعظمت عند مالك نفسهُ لما سمع من الملك ذلك الكلام . وارتفع شانهُ عند الجلوس والقيام . ثم اقبل عليهِ مسحل وقال له مرحباً بك يا وجه العرب فقد شرفت الديار . وطاب لك المزار * وانك تستحق الاجلال والاكرام . ورفع المنزلة والمقام *

Digitized by Google

فعند ذلك التفت الى ولده عمرو وقال له سرًّا ياولدي انظر ما احسن تودد هذا الغلام · ولتبجيله لنا من غير معرفة في هذا المقام * وانا اشتهي ان يخطب اختك فانه يصلح لها بخلاف ذلك العبد الزنيم * الذي كانه الشيطان الرجيم * وهو يحمينا منه لانه فارسٌ صنديد * وعنتر عنده من اقل العبيد *

قال الراوي ثم اختلى مسحل بخالهِ وقال له ياخالاه اخطب لي بنت هذا الامير واضمن له عني كل ما يريد من الاموال * والخيل والنوق والجمال * فعند ذلك التفت الملك الى مالك وقال له ياوجه العرب اعلم ان ابن اختي قد وقع لك في قلبه محبة ووداد * من حينما اتى وابصرك عندنا في هذه البلاد * وعرف انك من بني عبس الكرام * فصار لك عنده منزلة ومقام * والبارحة كان عندي في هذا الحديث وقال لي ياخالاه اني اشتهيت ان هذا الشيخ وولده يذهبان معي الى بلادي * حتى احكمهما في جميع اموالي واجنادي * واجعلهما يدبران مملكتي * واشركهما في نعمتي * وهو اليوم فارس الافاق * واليهِ تحمل الغفارة من ارض اليمن الى العراق * لانه بطلٌ لايقاس بالابطال * واذا التقى بعنتر كان عنتر قدامهُ كالارنب قدام الاسد الريبال * ومن جملة افعالهِ · وقوة سواعدهِ واوصالهِ · انهُ اذا لكم بكفهِ بعيرًا

شارداً صرعهُ . واذا ضم فخذه على اجناب الجواد الشديد قطعهُ . وقد حدثتهُ بحديثك وقصتك . وما تم الك مع عبدك وخطبتهِ لابنتك . وانك كبرت نفسك عن احتمال العار . فاخترت الغربة والرحيل عن الديار . فقال لي ياخالاه لولا زيادة نخوتهِ ومروتهِ . ما كان تغرَّب عن وطنهِ لاجل حفظ حرمتهِ . واني اريد منك ياخالاه تخطب لي ابنتهُ حتى يصير بيني وبينه علقة ونسب . واحميه من هذا العبد وكل من تعصَّب له من العرب . وانا اسلم جميع ما تحتوي يدي اليهِ ولا امنُّ بذلك عليهِ . وانا اريد منك ياوجه العرب . ان تجيبهُ الى ما طلب . حتى ترى ما يفعل معك من الجميل والاحسان . وما تصير اليهِ من علو المنزلة وارتفاع الشان . فعند ها قال جميع من حضر في ذلك المحضر . والله يامالك قد نظرت موضع النظر . لان ما يصلح لتلك الشمس الاَّ هذا القمر . فلما سمع مالك ذلك الكلام . ايقن ببلوغ المرام ومن شدَّة الفرح الذي استولى عليهِ . انهملت الدموع من عينيهِ . وقال حبًّا وكرامةً فليفعل الامير ما يريد . وابنتي له امةٌ وانا واخوها من جملة العبيد . وهذه يدي الك يامالك بالوفا . وخلوص النيَّة والصفاء . فاخذ يده مسحل بن طراق . ووقع بينهما الاتفاق . وفرحت بذلك العشائر . ووقعت في بني كندة البشائر . وجدَّدوا الولايم والدعوات . واغتنموا اللهو واللذات . ولما كان عند المساء

امتدّ سماط الطعام . واصطفّت بواطي المدام . ودارت على القوم الكاسات . ولعبت بعقولهم الطاسات . ولما اراد مالك وولده الانصراف خلع عليهما الامير مسحل الخلع المذهبة . وقاد قدامهما الخيول المجنبة . ومشيتا بين ايديهما الجنود والاعوان . فكانا كانهما من ملوك الزمان . وكانت عبلة قد سمعت الاخبار . ففاضت دموعها كالامطار . وامتنعت عن الطعام والشراب . ولازمت البكآ والانتحاب *

قال الراوي وبعد ان انصرفت الناس خلا مسحل بخاله واستشاره في ما يقدّم لعبلة من المهر فتمّ بينهما الاصطلاح . انهٔ يرحل الى ارضهِ عند الصباح . وينفذ مهر عبلة الف ناقة محملة من طرايف اليمن . واربعة الاف راس غنم . وخمسين فرساً من الخيل الغالية الثمن والف ثوب من الديباج . وثلثة الاف دينار من الذهب الوهاج . واربعة عقود من الجوهر . وخمسين نافجة من المسك الاذفر . ومايةطبلة من العنبر . وعند الصباح رحل بمن معهُ من العساكر الى بلادهِ . وعند وصولهِ ارسل المهر مع خمسين فارساً من اجنادهِ فساروا طالبين بني كندة . وقد قاسوا في طريقهم من سوق الاموال اعظم شدة . ولما وصلوا الى ابيات الملك عمر المقصور . دارت بشاير الفرح والسرور . وابصرت بنو كندة ما معهم من الاموال فانبهرت منهم الاحداق . وقالوا طول عمرنا ما راينا احدّاً حمل

مثل هذا الصداق وقالت النساء وحق ذمة العرب والبيت الحرام . ما رأت قط جارية من بنات الملوك العظام . مثل هذه العبسية من الاكرام . ولكنها تستاهل اكثر من ذلك . لانها فريدةٌ لايوجد مثلها في جميع الممالك *

قال ولما استولى ابوها على مهرها . اخذ في تجهيزها وانجاز امرها . حتى بقي ثلثة ايام من الاجل . الذي اُجلهُ لهم فحصل وفي تلك الايام وصل عنتر بن شداد . واشرف على ارض بني كندة وتلك البلاد . فقال لعروة بن الورد اننا قد وصلنا الى هذه الديار . وقد اشتهيت ان اعلم ما جرى لعبلة من الاخبار . واظن انها ما تخلو من زواج جديد . لان اباها يزوجها كيدًا لي ولو طلبها اقل العبيد . فقال شيبوب انا اريد ان ادخل الى هذه الديار . واتيك بجلية الاخبار . فقال عنتر اخاف عليك من عمي ان يعرفك . فيعجل تلفك . فقال شيبوب انا ما ادعه يعرفني ولو وقفت شهرًا بين يديهِ . فاني انزيّا بزيٍ لايهتدي احدٌ اليهِ . وكان شيبوب يهوى جاريةً يقال لها بانة وياخذ ثيابها معهُ في السفر . لكي يشم رائحتها ويلتذ منها بالنظر . فوثب الى رحلهِ واخرج منهُ تلك الثياب . فلبسها وارسل على وجههِ النقاب . وكانت تلك الجارية لشداد ابي عنتر فلما راهُ قال لهُ ويلك ما هذا والله ما كانك الاّ بانة امة ابي شداد . فقال نعم فانها محبوبتي وانا اصحب ثيابها معي اينما

سافرت من البلاد . لكي اشم رائحتها واشفي بها غليل الفواد .
فقال عنتر وانت صرت تعشق يا ابن السوداء . فقال تظن
ما احدٌ غيرك يعشق النساء . ولكن فرق بين حبيبتي وحبيبتك
كما بيني و بينك في قتال الاعداء . فقال عنتر لا والله يا ابن
الام فانك ساعدي وزندي وعلى يدك يكون لي التوفيق والنجاح .
ولولاك كنت كالكف بلا ساعد او كالطير بلا جناح . وبعد
ذلك خرج شيبوب من عند عنتر وانطلق في تلك البطاح .
حتى وصل الى الحيّ عند الصباح . وكان الملك عمر قد
ركب في ذلك السحر . وركبت معهُ الفرسان للصيد في ذلك
البر الاقفر . فقصد شيبوب ابيات الملك عمر وصار يهزّ
ردفهُ . ويثني عطفهُ . ويغمز من يراه بطرفهِ . ويلوح على
صدرهِ بكفه . ولم يزل على هذا الحال حتى دخل بين
الابيات . ورأى القوم في انتهاز فرصة المسرات . وقد تزينت
البنات . ورقصت المولدات . وهن يضربن بالدفوف والمزاهر
والرقص داير بينهنّ من سائر الجهات . والكل قد سكروا
من شرب المدام . وليس فيهم من يعقل على كلام . وكان لما
دخل الحي تحدث مع بعض المولدات وسالها عن تلك
المهمّة لمن تكون من السادات فاصدقتهُ المقال واخبرتهُ
بجليّة الحال * فتقدم وهو حايرٌ لايدري اين يقصد من
الجوانب * حتى يعرف عبلة في ايّ المضارب * وبينما هو كذلك

لاحت منه التفاتة فراي البنات داخلات الى مضرب جميل المنظر. وعليهِ سجفٌ مرصعٌ بالذهب الاحمر. فعلم شيبوب انهُ مضرب العروس. لما عليهِ من الهيبة والناموس. ولكن بقي حايرًا كيف يكون العمل. لكي ينال الامل. وبعد ذلك صاح واظهر الطرب. ودار بين النسا والجواري دوران اللولب. ورقص حتى اذهل النساء من حسن انعطافهِ. ولين اعطافهِ. فتعجبن من صناعتهِ وعياقتهِ. واقبلن من كل جانب يتفرجن على خفتهِ ورشاقتهِ. فبينما هو في ذلك الرقص والطرب. اذا ببعض المولدات قعدت تطلب الراحة من التعب. وكان معها مزهرٌ كبيرٌ فبادر اليها شيبوب. وصاح فيها كانهُ القضاء المصبوب. وقال لها وحياة مولاي مهلهل. قد قطعت حظنا عند ما طاب لنا العمل. وتقدم اليها في عاجل الحال. وخطف المزاهر منها اخف من ريح الشمال. وضرب بهِ حتى ادهش الحاضرين. وحير الناظرين. وما زال شيبوب في رقص وغنا وميل اعطاف. وهزّ اكتاف. وتغنيجٍ عيون. وتنويع فنون. حتى ادهش النسا والبنات. وابطل حركات المغنيات والراقصات. فعندها استقبل المضرب الذي علم ان عبلة فيهِ فلعلع بصوتهِ وانشد يقول

ظبية القناص راعيك اتى فابشري بالنصر من سيف الفتى
افرحي بالقرب يا كل المنى لا تقولي ما اتى ها قد اتى

وافهمي ما قلته من قصتي لمتي هذا التواني لمتي
حلت الافراح في ارضكم دايم الاوقات صيفاً وشتا

وكانت عبلة تسمع الغنا من داخل المضرب . فعرفت الطلب . وانشدت تقول

ايها الصايح ما بين الخيم دايرا يرقص ما بين الخدم
بشر القناص والسبع الذي رابضٌ ما بين كشبلن الاجم
ما غزال الحي ما بين الظبي يترجّى البرء من فرط الالم
ان هذا وقت افراحي بكم فازيلوا ما بجسمي من سقم
هد حيلي بعدكم يا سادتي فامنتوا بالقرب اني في عدم

قال الراوي فلما سمع شيبوب من عبلة هذه الابيات عرفها حقّ المعرفة فاظهر التعب وجلس ياخذ له راحة بجانب المضرب وتفرقت من حواليه البنات . والنسا والمولدات . واذا بعبلة قد طلعت من باب الخبا . فنظرت الي شيبوب وهو جالس في زي الاما . فعرفته وقالت والله ما هذه الامة كندية . وما هي الا عبسية شدادية . فلما راها اقبل عليها وهناها بالزواج . حرصاً على نفسه بهذا الاحتجاج . وكان المكان قد خلا من النساء والاولاد . فقال لها من تشبهيني يا عبلة . فقالت ببانة مولدة عمي شداد . فقال اي والله اذا لم اكن بلنة مولدة شداد . فانا شيبوب اخو عنتر فلرس بني قراد . ثم انه بعد هذا الكلام . كشف عن وجهه اللثام فكادت عبلة تطير من الفرج لما حققت ذلك الخبر .

وقالت ويلك ياشيبوب واين اخوك عنتر. فقال لها هو بالقرب منكِ مكمن في البر الاقفر. ومعه عروة بن الورد ورجالهُ وهم ماية فارس. تلقى الجن والاباليس. فعند ذلك اخبرتهُ عبلة بان اباها زوجها بعمرو بن طراق. وانهُ مضى الي بلادهِ وارسل المهر والصداق. وقد بقي من الاجل ثلثة ايام حتي تساق اليه. وتزفّ عليه. ثم حلفت له باعظم الاقسام انهُ لو لم يحضر اليها قبل انقضاء المدّة. لكانت تقتل نفسها وتدفن في ارض بني كندة. وقالت له ارجع الان الى اخيك عنتر. واخبرهُ بجلية الخبر* ولا تمكنهُ من الهجوم علي الحيّ لان فيهِ عساكر* لا تعرف لها اول ولا اخر* ولكن يرتقبني يوم الزفاف حتى يراني في الهودج فيخرج اليّ* ويقتل من يكون حواليّ. وتقود انت بزمام ناقتي وتعرج بي عن الطريق. ومن تبعني فهو يلقاهُ بسيفهِ ويعدمهُ التوفيق. وقل له ان وقع في يدهِ ابي يقتلهُ ولا يبقي عليه. لاني قد كرهتهُ واشتهيت الخلاص من يديه *

قال الراوي فلما سمع شيبوب منها هذا الكلام عاد طالباً اخاه. وهو لايصدق بالنجاه. وكان قلب عنتر علي مقالي النار وما زال يترقبهُ حتي تنصف النهار* واذا بهِ قد طلع وهو يهزّ عطفهُ ولوصالهُ* ويكاد يسبق خيالهُ* فلما قدم عليهِ تلقاه. وفرح بروءياه. وسأله عن جلية الخبر وما تمّ له في ذلك السفر. فقصّ عليهِ القصة بتمامها* وما سمع من حديث عبلة وكلامها.

وكان عنتر يسمع . وفؤاده يتقطع . واجفانه تدمع . وندم على ما كان يصنع في حق عمه الخوّان . من الجميل والاحسان . والى ذلك يشير في معلقته حيث يقول

فبعثت جاريتي وقلت لها اذهبي ... وتجسسي اخبارها لي واعلمي
قالت رايت من الاعادي غرة ... والشاة ممكنة لمن هو مرتمي
ياشاة ما قنص لمن حلّت له ... حرمت عليّ وليتها لم تحرم
ويبيت عمي غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعم

ثم قال لشيبوب ماذا ترى هل نهجم على الحلّة . ام ننتظر حتى تمرّ عبلة . فقال شيبوب يا اخي الانتظار هنا اوفق لان القوم في جمع غفير . وجيش كثير . ونحن في مائة فارس لاغير . فان هجمنا عليهم يهلكونا وتاكل لحومنا الطير . ولاسيما ان ادركنا مسحل بن طرّاق . عقاب الحرب الذي لايطاق . فقال عروة لقد صدق شيبوب في ما قال . لانني سمعت عن هذا مسحل كثيرًا من الوقايع والاهوال . وهو الذى اغار على بني عامر وجرح ملاعب الاسنة وقتل ابطالهم . وساق اموالهم . والراي عندي اننا نقيم هنا حتى تخرج عبلة فناخذها من الطريق وهذا اقرب الى النجاح والتوفيق *

قال فعند ذلك اقام عنتر حتى انقضت ثلاث ايام الميعاد . وما راوا احدًا ظهر من نحو تلك البلاد . فقال عنتر لاخيه ويلك اخاف ان يكونوا قد ساروا بها من غير طريق . ونحن ننتظر

هنا في هذا المضيق . فقال له شيبوب يا اخي ليس لهم طريق الا
من هنا ولكن ربما يكون حدث لهم سبب يعيق *

قال الاصمعي وكان السبب في تلك العاقة ان عبلة كانت
قبل ذلك قد هجرت الطعام والشراب. ولازمة البكا والانتحاب .
وما زالت كذلك حتي نجز امرها وحان وقت الزفاف . فصار
الامر معها بالخلاف . لانها صارت تاكل وتشرب وتلبس الحلي
والحال. التي ارسلها لها بعلها مسحل وكان ابوها يرى ذلك فينكر عليها
ذلك الانقلاب . وحسب في قلبه الف حساب. فلما اشتكل عليه
الحال قال لاخيها انني انكرت حال اختك لما رايت من ضحكها
ولعبها . فان هذا يدل على طيب قلبها. وانا اقول انه قد اتاها
خبر من ابن عمها عنتر. وانا خايف ان يقف لها في الطريق .
ويعدمنا السعادة والتوفيق. وان راني لا بد ان يقتلني على المكان.
لاني هدرت له دمي واشهدت عليَّ بني شيبان . فقال عمرو
كيف يقدر عنتر ان ياتي الى هذه الديار . وكيف يمكن ان
يستخلصها من بين هذا العسكر الجرار . وبعد ذلك ان كنت
خايفاً من هذا الحساب . فارسل الى بعلها حتي ياتي ويتسلمها
ويسير بها الى دياره . ويحميها بسطونه واقتداره . فلما سمع
مالك كلام ولده راه عين الصواب . وانفذ الى مسحل يعلمه
بهذا الحساب . ويقول له ايها السيد اعلم اني قد دهيت من
ابن اخي جملة مرات * قبل هذه الاوقات . وانا الى الان خايف

من هجومه عليَّ . وقدموه الى هذا الحي . فاحضر انت وتسلم زوجتك وخذها بالامان . ولا تحضر الا ومعك جماعةٌ من الفرسان . فلما وصل الكتاب الى مسحل تبسم عجباً ومال طرباً . وقال هذا العبسي مجنون * والا فهذا العبد من يكون * ولكن انا اسير اليه واتبع كلامهُ . ولا اخالف مرامهُ . وعسى الله يسوق ذلك العبد الى هذه الديار حتى يرى ما يسرهُ . ويأمن ما يضرهُ . ثم انهُ ركب في خمساية فارس . كالاسود العوابس * حتى قدم على خالهِ . واعلمهُ بما كان من حالهِ . واراهُ الكتاب الذي بعثهُ له مالك . فضحك متعجباً من ذلك وقال لمالك يا وجه العرب كيف انفذت الى ابن اختي هذه الرسالة وقابلتهُ بهذه المقالة قال نعم لانني اعرف ان عنتر لايعيقهُ احدٌ من البشر وقد جرى عليَّ من اموره ما يشيب راس الطفل في سريره . فقال له الملك والله ان بنتك في هذا الوقت ما يقدر عليها كسرى ولا قيصر ولا ملوك بني الاصفر . وانت تخاف وهذا الفارس صهرك الذي اذل رقاب الفرسان وارعب قلوب الانس والجان *

قال الراوي وبعد ذلك عاد مالك الى ابياتهِ . وامر عبيدهُ واموالهِ . فقربوا النوق والجمال . وشدُّوا الهوادج والاحمال . وشد لعبلة هودجاً مرصعاً بالجوهر . وعليهِ هلالٌ من الذهب الاحمر . ودارت حولها العبيد والاموات . واحاطت بها الفرسان والسادات . وجلست عبلة في هودجها وخرجوا من الحلة .

وتبعتهم جماعة من نساء بن كندة وحريم الملك في الجملة ، ومشى العبيد امامهم بالحراب والسيوف والجواري تضرب بالمزاهر والدفوف . والرجال من حولهم كتائب وصفوف ، وتقدم مسحل في اوايلهم ومن حوله الفرسان . والعبيد والغلمان ، كانه اسكندر او سليمان . او كسرى صاحب التاج والايوان . فكان ذلك اليوم لا يقاس بالايام . ولم يبق مثله في السنين والاعوام . وكان ابو عبلة واخوها افرح الناس بهذه الامور . وقد ظهر عليهم الفرح والسرور ، وصارت عبلة ترفع سجف الهودج . وتنظر الى البر وتتفرج وكان هودجها قريباً من هودج امها فقالت لها ياعبلة ما كانت قبل اليوم تنشف لك دمعة واراك فرحانة بخلاف العادة فكيف انقلب هذا الحال بالسرعة فقالت لها يااماه اني قطعت الرجاء من ابن عمي ومن الرجوع الى الاوطان وانا متوجهة الى احسن مكان وصار زوجي ملكاً من ملوك الزمان وقد سلب عقلي بحسنه وجماله واعجبني عظمة جاهه وماله وتسليت به عن عنتر لان نظرة منه تسوى الف عبد واكثر ولا سيما انني ضجرت ما اقاسي من اجله واغضب ابي واخي لاجل عبد مثله وهذا بعلي اليوم احب الي من كل احد لانني صحوت من سكري وعرفت فرق الملك المتوج عن العبد الاسود قال ففرحت امها بمقالها واعلمت بذلك اباها فناله من السرور مثل منالها وقال من مثلك ياعبلة وقد صرت صاحبة هذه الارض

في الطول والعرض وحق ذمة العرب انك قد صرت عديلة تماضر زوجة الملك زهير واعظم منها في عظمة الشرف وكثرة الخير ثم ساروا الى ان قربوا من الشعاب وعبلة تتلفت الى اليمين والشمال حتى بان لامها منها الحال فقالت لها يا عبلة بحق اللات والعزى اليس عندك خبر من ابن عمك عنتر فقالت لها يا اماه من اين تاتيني الاخبار وانا غريبة وحيدة في هذه الديار وما تلفتي هذا الا لطلب الفرجة على هذه الارض لانها كثيرة الرياض والازهار والنبات والاشجار فسبحان خالقها الواحد القهار فقالت لها امها تكذبين يا ملعونه والله ما هذا الفرح العظيم الا لانك سمعت بخبر من ذلك العبد الزنيم ❁

قال الراوي وما زالت عبلة على مثل ذلك الحال . وهي وامها في قيل وقال حتى وصلوا الى الشعب الذي فيه عنتر والرجال فابصرهم شيبوب وكان رقيباً لهم في روس الجبال فصاح باخيه يا اخي قد اتاك الامر كما تريد . فلا تعفو عن احرار ولا عبيد فشمر ساعدك الشديد وكان شيبوب قد راى مسحل بن طراق . عند قدومه الى تلك الآفاق فاعلم اخاه به وعرف الغاية التي لاجلها الزفاف انعاق ولما اخبره شيبوب بقدوم القوم فرح واستبشر . وركب على جواده الابجر واراد ان تخبر عروة فناداه يا ابا الابيض هذه عبلة قد اقبلت والى نحونا وصلت فهل تريد ان تاخذ بزمام ناقتها وانا ارد عنك الرجال . ام

اخذها انا ثم اعود الى القتال فقال عروة لا والله بل دعني لحفظ عبلة. وانت ردّ عنا الحماة فقال عنتر اخي والله ياعروة انا اكاسيها شارب ة ولهوها راكب. ثم قال له تسلم انت ناقة عبلة وسر بها الى الوادي. ودعني انا القي الاعادي. ولا يتبعني احدٌ منكم حتى نزول الفرسان قد اطبقوا عليّ. واجتمعوا بمواكبهم حوالي ثم انهُ خرج من فم الوادي كهبوب الرياح. وطلب هودج عبلة حتى قرب منها وصاح الا ما ابركه من صباح ياويلكم خلوا عن هودج عبلة والاّ قتلتكم جملة ثم ضرب العبد الذي كان ماسك الزمام فاطاح راسه واجرى دمهُ على الاقدام ولما ابصرهُ عبدهُ مالك انقطعت سلاسل ظهره وحار في امره فعند ذلك تسلم زمام ناقة عبلة ورجع الى عروة فسلمهُ اياه ثم استقبل عبدهُ فكاد يسقط ميتاً لما رآه فقال له عنتر ويلك ابن شحو ياشيخ العار ومعدن الخيانة والعار والله لاجازينك على فعالك المنكر واجعلك عبرةً لمن اعتبر فعاد مالك طالباً مسحل بن طراق يعلمه بهذا الاتفاق وكانت العبيد من حينما راوا ضربات عنتر التي لاتبقي ولا تذر تبادروا الي مسحل واكثروا بين يديه الصياح والزعاق. واعلموه بهذا الامر المرّ المذاق. فازورت منه الاحداق. واحمرت منه الاماق. وازبدت منه الاشداق. وحرك هو وفرسانه على الخيول العتاق. وهم ينادون اسرع يافارس الافاق. فان عبلة قد خلصها عبدها عنتر بن شداد. وها هو يقاتل الفرسان

والاجداد . فلما سمع مسحل هذا الكلام غاب عن رشده وركض طالباً عنتر فادركه على باب المضيق . وقد اشتعلت في قلبه نيران الحريق . وكان عنتر قد سلم عبلة الى عروة وقال له انزل بها في هذا الوادي . حتى اعود انا الى الاعادي . واشفي منهم غليل فوادي . ثم عاد الى مسحل ولقاه مثل الجبل بقلب لا يعرف الخوف والوجل . وكان مسحل قد خانه جلده وصبره لما سمع ان عنتر سبا زوجته فاستقبل عنتر بقلب اقوى من الحجر وهو ينشد ويقول

ابسبي زوجتي راعي النياق ويرشقني بسهم من فراق
ويلك ظبية اسرت فوادي بسحر في الجفون وفي الاماقي
حرمت وصالها ان لم ازرها على خيل مضمرة عتاق
واسقي عبدها كاس المنايا بعسال من السمر الدقاق
وافني بعده سادات عبس باسياف من البيض الرقاق
انا البطل الذي قد شاع ذكري بارض الشام مع ارض العراق

قال الاصمعي فلما فرغ مسحل بن طراق من كلامه اجابه عنتر يقول

امسحل دون ضمك والعناق طعان بالمثقفة الدقاق
وضربة فيصل من كف ليث شديد الباس ممدود الرواق
انا البطل الذي يلقى المنايا اذا قامت على قدم وساق
اذا طعن الفوارس صدر خصم فطعني في النحور وفي التراقي

وان فخر الجبان بذخر مال ‍ ففخري بالمضمرة العتاق
الا ان المنية راس رمحي ‍ وقائم صارمي للموت ساقي
الا ان الفخار عليَّ وقفٌ ‍ وما من مرتقي بعدي لراقي
فاخبر آل كندة ما تراهُ ‍ قريباً من يديَّ وما تلاقي
واوصيهم بما تختار منهم ‍ فمالك رجعة بعد التلاقي

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعره صاح مسحل ويلك يا ابن اللئام. ألي يقال هذا الكلام. وانا والله استحي ان ابارزك واجعلك لي من الاقران * فتحط منزلتي بين الفرسان * ولكن اريد اجعلك قضيب ادب. تتادب بهِ جميع العرب * حتى لا تعود العبيد والرعيان * تتعرَّض لملوك الزمان *

قال الراوي فما اتم مسحل كلامهُ حتى قفز عنتر اليهِ. والقى نفسهُ عليهِ * فالتقاهُ مسحل * وتطاعنا باطراف الاسل وتضاربا بالسيوف على القتال الى ان حامت عليهما غربان الاجل وحمي الحر واشتد الهوجل فابصر مسحل من عنتر * ما ادهش منهُ النظر وحير الفكر * واخذهُ الملل والضجر غير انهُ اخفى الكمد. واظهر الصبر والجلد ونظر عنتر الى الخيل وقد ادركتهُ من جانب البر فهاجم خصمهُ مهاجمة الاسد. وطعنه طعنة في العنق والجرد. فاخترق ضميرهُ مع الزرد. فوقع يختبط بدمهِ ويبحث الارض بيدهِ وقدمهِ. وبعد ذلك انطبق على الخيل * فانزل بركابها الذل والويل. وكان قد وقع في قلوبهم الرعب والوجل.

لما نظروا ما فعل . فهابوا ان يتقدموا اليه . ونظروا المنايا وهي دايرة من جواليه . فاوسعوا في ذلك البر بين يديه . حتى اشرفوا على بني كندة . وهم في شدة اي شدة . فالتقتهم العشاير والزمر . واتى الملك وسالهم عن الخبر فاخبروه بما فعل عنتر وقالوا له دونك ابن اختك المرحوم . فقد اهلكه هذا العبد المشوم . فقال الملك لا تقولوا هذا المقال . فان ابن اختي جبلٌ من الجبال . لا تهزهُ الخيل والرجال . وانا اعلم ان هذا الاسود اذا وقع بين يديه لا يرجع . وانما انتم تقولون هذا من شدة الفزع . ثم انه سار حتى يكشف الخبر . وقد تدفقت وراءه المواكب مثل البحر اذا زخر واذا هو باوايل الخيل التي كانت مع مسحل متفرقة في الافاق . وهي تنادي واسفاه عليك يا مسحل بن طراق فسال الملك عن ذلك فتقدم اليه فارس واعلمهُ بالخبر وقال ان ابن اختك قد قتلهُ عنتر فلما سمع الملك ذلك الخبر طار الشرار من عينيه . وكاد ان يغشى عليه . وتقدم وهو يقول ما كان اتعس وجه هذا العبسي علينا . وما هذه البلية التي ساقها الينا . ثم انه صاح في تلك الفرسان وحمل بمن معهُ من الشجعان . واطلقوا الاعنّة . وقوموا الاسنّة . وطلبوا تلك الروابي وهم ينهبون الطريق حتى لحقوا عنتر في ذلك المضيق *

قال الراوي وكان عنتر بعد قتل مسحل قال لاخيه شيبوب اجمع هذه الخيول والاسلاب . واوشر بها عداي الى

عروة ومن معهُ من الاصحاب . ثم انه نظر الى سهيل . فراى الروح تتردد فيهِ وهو ملقي مثل ثنية الحجول . فافتكر في زواجهِ بعبلة فالتهب قلبه واشتعل فسلّ سيفهُ من غمدهِ وضرب به على وسطهِ فجعلهُ دلوين . وتركهُ قطعتين والى ذلك يشير في معلقتهِ حيث يقول

وحليل غانيةٍ تركتُ مجدلاً · تمكو فرايصهُ كشدق الاعلمِ
سبقت يداي له بعاجل طعنةٍ · ورشاش نافذةٍ كلون العندمِ
وتركته جزر السباع تنوشهُ · يقضمن حسن بنانهِ والمعصمِ
لما رآني قد نزلت اريدهُ · ابدا نواجذهُ لغير تبسمِ
فطعنته بالرمح ثم علوتهُ · بمهندٍ صافي الحديدة مخذمِ

قال الراوي فلما راى عنتر ذلك الغبار . ركب جوادهُ واغار . فراى الجيوش تلاحقت . والابطال تسابقت . والفرسان من اربع جهات الارض تزاعقت . وهم يقولون قتلك الله ايها العبد اللعين . لانك قتلت لنا ملكاً يسوى بني عبس اجمعين . فلما نظر عنتر لمعان الصفاح . وبريق اسنة الرماح . وهم ينادون كلهم باسمهِ ويتسابقون الى نهب روحهِ وجسمهِ دخل عليهِ الغيظ والحرد . حتى كاد ينشق ما عليهِ من الزرد . فوطن نفسهُ على الموت من ذلك اليوم المهول . والى ذلك يشير في معلقتهِ حيث يقول

لما رأيت القوم اقبل جمعهم · يتذامرون كررت غير مذممِ

يدعون عنتر والرماح كانها اشطان بير في لبان الادهم
يدعون عنتر والسيوف كانها لمع البوارق في سحاب مظلم
يدعون عنتر والنبال كانها طش الجراد على مشارع حوم
يدعون عنتر والدروع كانها حدق الضفادع في غدير ديجم
والخيل عابسة الوجوه كانما تسقى فوارسها نقيع العلقم
ما زلت ارميهم بغرة ابجر ولبانه حتى تسربل بالدم
وازور من وقع القنا فزجرته فشكا الي بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي

قال ثم انه حمل على الجيش بقلب اقوى من الحجر. وانصب عليهم انصباب المطر. وصار يبري بسيفه الرماح الردينيات. ويتلقى ضربات السيوف المشرفيات. وكلما تطابقت عليه الابطال. وضاق عليه المجال. يزعق في وجوهها فيردها الى وراها باصحابها. ويطعن في صدور الخيل فتنقلب بركابها. ولم يزل على ذلك حتى فل من سواعده الخيل. وصار النهار في عينيه مثل الليل. وبعد ذلك تكاثرت عليه الرجال والخيل. زعق الملك عمرو في رجاله فارمت انفسها عليه وصوبت اسنتها اليه. وعنتر صابر صبر جبابرة العرب. وقد استد في وجهه كل مذهب. واختار الهلاك والعطب. ولا يكون عليه اسم الهزيمة والهرب. قال فبينما هو كذلك واذا بعروة قد طلع كالعقاب. من تلك الشعاب. ورجاله بين يديه وهم قد اخفقوا الناموس.

وكشفوا الروس . ووطنوا على الموت النفوس . وصاحوا
على خيلهم بالعبس بالعدنان . وحملوا مثل كواسر العقبان .
واخذوا يطعنون في صدور الفرسان وكان عروة قد وكل بعبلة
عشرة من رجاله وامرهم بالمحافظة عليها . والقيام بين يديها . ولما
خاض بين القوم قال لرجاله يا بني عمي الان احملوا حملة صادقة
بنيات موافقة ولا احد منكم يحدث نفسهُ بالهرب ولا يطلب
النجاه فهذه اول نوبةٍ قاتلنا فيها مع عنتر واعناهُ على اعداه فاذا
كشفنا عنه هذه النوبة يعرفها لنا ما دام في قيد الحياه وكان
قصد عروة بذلك ان يريهم وقعات عنتر ويعلمهم الثبات
لوقتٍ اخر فعندها داروا بتلك الابطال واجادوا الطعن في
صدور الرجال وصبروا على الاهوال وصارت قلوبهم مثل
الجبال وظنّ كل واحد منهم انه يلقى الفناً من الابطال وكان
لحملتهم هيبة عظيمة فاظهروا القوة والعزيمة وكان بنو كندة
قد ظنوهم جمعاً كثيرًا فتاخروا عنهم فرسخاً كبيرًا ولذلك
هان عليهم القتال واتسع عليهم المجال وصار الواحد منهم ان
ضرب قطع وان طعن صرع ❊

قال الراوي وسمع عنتر صياح عمه مالك وهو ينادي بني
كندة يا ويلكم اقصدوا هذا الاسود الذي قتل مسحل . ولا تهابوا
الذين معهُ فان الكل ماهم اكثر من ماية بطل . فلما سمع
عنتر كلام عمه مالك جعل قصده اليه . فلم تكن الا ساعة حتى

Digitized by Google

قتل كل من حواليه . وادركه قبل ان يهرب فمسكه ورماه
الى الارض * واذا بشيبوب عليه قد انتهض . فشدهُ كتافاً واي
كتاف . واوثق منه السواعد والاطراف . فحمل عليه ولده ليسعى
في خلاصه . من يد قناصه . حتى اقترب منهُ . واراد ان يقاتل
عنه . واذا بشيبوب ضرب جواده بنبلة فقتله . وادركه قبل
ان يهرب فمسكه واعتقله . ومضى بهما حتى اوصلهما الى بطن
الوادي ورجع . فنظر اخاه يقاتل الاعادي . وامتدّ النفير في بني
كندة فسارعت فرسانها . واقترت بجمعانها . وزاد على بني عبس
المدد . وكثر المدد . واظهرت رجال عروة الجلد . فحماها
عنتر كما تحمي الوالدة الولد . وما امسى المساء حتى اهلكوا
اكثر الابطال واثخنوهم بالجراح . فتشتتوا في تلك البطاح .
فلما دخل الليل اداروا حول بني عبس المواكب . ومسكوا
عليهم الطرق والمذاهب . لانهم كانوا مغرورين بقتلة بني
عبس وكثرت ما عندهم من الكتائب . وبلغت الملك على
راس المهتبق . وفي قلبه على عنتر نيران الحريق . وقال وحق
ذمة العرب ان ما فعله هذا العبد تعجز الجنّ عنهُ . ونحن كنا
نلوم عمه ونستهزي به الا نخاف منه . وان خرج من ارضنا وهو
سالم . عيرتنا الناس ما نعد قاعد وقام قايم . فقالت سادات
بني كندة يطيب قلبك ايها الملك فوحق الكعبة الحرام .
وزمزم والمقام . لابد في غداة غد ان ننهب جمعه على اسنة

الرماح . وتقطعه شفار الصفاح ثم انهم بانوا وقلوبهم تغلي كالمرجل من شدة حزنهم على مسحل واما رجال عروة فانهم بانوا يلومون بعضهم بعضاً ويقولون والله قد ركبنا الجهالة . وسلكنا طريق الضلالة . لاننا اتينا بماية فارس ونريد ان نلقى اهل اليمن . واهل صنعاء وعدن . ولكن ما حسبنا حساب تصاريف الزمن . حتى وقعنا في هذه المحن . وعنتر رجل عاشق وغارق في بحر هواه وقد هانت نفسهُ عندهُ لاجل بلوغ مناهُ ونحن لو كان لنا عقل ما تبعناهُ ولكن عروة غرنا بالمحال واطمعنا في نهب الاموال حتى القانا الى الهلاك والوبال قال وكان عنتر قد لحظ على حالهم وعلم انهم ندموا على مجيهم ومساعدتهم لهُ بقتالهم فاقبل على عروة وقال لهُ يا ابي الابيض انا اعلم ان رجالك قد ندموا وايسوا من السلامة وعادوا على انفسهم بالملامة والراي عندي انك تاخذهم وتنجو بهم في هذا الليل وانا ارد عنكم من يتبعكم من الخيل ولا ازل اقاتلهم حتى اعدم السمع والبصر او اسلم واعود بعدكم على الاثر . لاني اعلم ان الاجل اذا حضر . لا يتقدم ولا يتاخر . فقال عروة ما هذا الكلام يا ابا الفوارس فوحق الملك العلام . وخالق الضياء والظلام . ما بقينا نفارقك حتى تدوس الخيل روسنا . وتفارق اجسادنا نفوسنا . وان كان من اصحابي احد واقعهُ الندم . فهو بشانه اعلم

Digitized by Google

الكتاب الرابع عشر من سيرة عنتر
بن شداد بن معوية
بن قراد العبسي

قال الراوي ثم انهم بعد هذا الكلام . قدموا شيأ من الطعام . وامر عنتر عروة ان يفتقد عمه وولده ويطعمها شيئاً من الزاد . ويطايب قلوبهما بالكلام وحفظ الوداد . ثم قام عنتر الي نحو عبلة وبلّ شوقة منها بالنظر . وصار يسالها عما لاقت في تلك الغربة والسفر . فقالت له يا ابن العم اظن ما لاقت جويرية مثل ما لاقيت . ولا قاست مثل قاسيت . ثم انها حدثتهُ بما كانت تلاقيه من الشوق الى الاوطان . وما جرى علي قلبها من الهموم والاحزان . فقال لها والله يا ابنة العم لو علمت ان قلبكِ يصبر على البين والنوي . ما كنت تركت اباكِ يستنشق الهوى . ولكنني اعلم اني اذا فعلتُ ذلك تحتاجين الي لبس السواد . وتواظبين النوح والتعداد . وتشتفي بكِ اهل البغي والحسد . واقل ما يقولون عنكِ ان عبلة قد اختارت قتل ابيها لاجل هذا العبد الاسود . فتبسمت ضاحكة من كلامهِ وقالت يا ابن العم قد بلغت هذه المنزلة العاليّة . ورغمت انوف ساداتِ الجاهليّة . ولا تمحو عنك اسم العبوديّة . فقال

عنتر لا والله ياقرة العين . والروح التي بين الجنبين . ما انكراني عبد جمالك . واسير دلالك * قال فضحكت عبلة وقبلت يديه . وشكرته واثنت عليه *

قال الراوي وبعد ذلك قام من عندها وزال عنه العنا والتعب . وحدثته نفسه انه يلاقي جميع العرب . وركب جواده وخرج يحفظ راس المضيق . وشيبوب في ركابه وعروة وجميع اصحابه ولما اشرفوا على بني كندة وجدوا نيرانهم زايدة الايقاد والاوهاج . وهم يموجون كالبحر العجاج . اذا تلاطم بالامواج . فقال عنتر والله ان قلبي يحدثني بالكبسة لهولاء الانذال في هذا الليل . فنبليهم بالذل والويل . ونبادرهم بضرب الصفاح . وانجاز الامر قبل الصباح . لانهم اذا سمعوا الصياح ضرب بعضهم البعض . وتشتتوا في اقطار الارض . فقال عروة لا يا ابا الفوارس ما هذا صواب . لانهم يعرفون قلة عددنا واذا حملنا عليهم يحسبون هذا الحساب . وربما مالت طايفة منهم الي ورانا ويعودون يسبون عبلة ولا نعلم من سباها من الفرسان . فيعود ربحنا الي الخسران . فقالت صدقت يا ابا الابيض ومكثوا حتى مضى اكثر الليل واذا ببني كندة قد انطفت نارهم وركبت فرسانهم . وعادوا يطلبون اوطانهم . وهم لا يلتفت بعضهم الى بعض . وقد اقبلوا بصياحهم وركض خيلهم جنبات الارض . وكان عنتر لما ركبوا ظن انهم ركبوا للقتال . فلما راهم راحلين

تعجب من ذلك الحال وقال لشيبوب ياترى ما بال بني كندة وقد عادوا راجعين نما بهذا الآن لانهُ قد أتاهم خبرٌ يشغل البال. وانا لابدَّ لي ان اتبع آثارهم فقم ونبّه على الرجال. فقال شيبوب لايتبعهم الآن انا. لاني اخاف ان تكون حيلة منهم فنقع في العذاب والعناء. وعندها سار شيبوب وراهم. حتى يكشف اخبارهم. الى ان لحق بهم وهم قد قاربوا ديارهم. فراى الصياح في بيوتهم من كل جانب ومكان. ومناديًا ينادي في اواسطهم يالشيبان انا بسطام بن قيس فارس الفرسان فلما سمع شيبوب هذا الكلام اطلق ساقيهِ للريح. في ذلك البر الفسيح فلما وصل الى اخيهِ اطلعهُ على الخبر. وقص عليهِ جلية الاثر فلما سمع عنتر هذا الكلام قال والله ما اخلي احدًا يتمكن من الامير بسطام وبني شيبان. ولا بد لي ان اسير على آثار بني كندة واعين ابا اليقظان والا لحقوهم بهذا الجمع الكثير. وافنوا منهم الكبير والصغير فقال عروة هذا هو الصواب * والامر الذي لايعاب ثم ان عنتر امر عروة ان ينادي في رجالهِ. ويسرع في ارتحاله واذا بغبار قد علا وارتفع. وضربتهُ الرياح الاربع فظهر من تحتهِ فرسان كانهم العقبان على خيول تسبق الغزلان فحرك عنتر بالجواد نحوهم وساق في تلك البيداء وقد ظن انهم كمين من الاعداء وقال في نفسهِ لا شك ان القوم رحلوا من غير قتال لانهم تركوا خلفنا من يدهمنا اذا تبعناهم ويسقينا كاس المنايا

مثل ما سقيناهم فقال شيبوب يا اخي اثبت مكانك حتى أتيك بخبر هذا الغبار وانطلق كالنعامة في تلك القفار وما غاب الاَّ قليلاً حتى اقبل وهو يقول ابشر يا ابن الامّ بالخير. وتقدم وسلم على أولاد الملك زهير. فقد جاءوا الى نصرتك بعسكر جرَّار مثل الجراد الطيار ❋

قال الراوي فبينا شيبوب وعنتر في الكلام اذا بالغبار قد انكشف وبان عن الف فارس ينادون يالعبس يالعدنان والمقدم عليهم أولاد الملك زهير الشجعان وهم شاس ومالك ونوفل والحارث ومعهم شداد واخوه زخمة الجواد ومن وراهم الف فارس. من الابطال العوابس وكل فارس يقول انه يلقي وحدهُ الف فارس منهم قرواش بن غالب. وغياض بن ناشب وعامر بن الجلاَّح وغيرهم من الابطال المعودين على الحرب والكفاح ❋

قال الراوي وكان السبب في حضورهم على هذا القصد سلمى اخت عروة بن الورد. لان اخاها لما رحل برجاله من ديار بني عبس وتبع اثر عنتر بن شداد. خلاها في ابيات بني قراد. واوصاها ان لا تعلم بسيره احداً من العباد. ففعلت ما امرها وبقيت كاتمة ذاك الحال. الي ان رأت لهفة النسا والرجال. من اجل فقد عنتر واخيها ومن معهُ من الابطال. وخافت ايضاً على اخيها من الخطر في مرافقتهِ لعنتر. ومن شدة ما جرى

على قلبها اعلمت شداد بان ولده سار الى ديار بني كندة في طلب خلاص عبلة من تلك البلاد فلما سمع شداد هذا الكلام مضى الي اولاد الملك زهير وبكى بين ايديهم وتحسر. واخبرهم بمسير صديقهم عنتر. وقال لهم اعلموا ياموالي ان عبدكم الذي عليتم ذكره. ورفعتم قدره. قد سار الى بني كندة وحده. وقد رمى الي الهلاك نفسهُ. التي هانت من شدة الغرام عنده. وانا خايف عليه من الملك عمر المقصور لانه ملك عظيم الشان. كثير الجنود والفرسان. وله ابن اخت يقال له مسحل بن طراق. لا يوجد مثله في جميع الافاق. وهو فارس شرس الاخلاق. مر المذاق. اطعن اهل زمانه بالرماح الدقاق. واضربهم بالسيوف الرقاق.

قال الراوي فلما سمعوا هذا الحديث لعبت جمعهم الحرق. وزاد فيهم القلق. فدخلوا على ابيهم فاخبروه بما سمعوا عن عنتر واستاذنوه في المسير الي بني كندة. ليكونوا له نجدة. فقال لهم خذوا معكم من بني عبس الف فارس وسيروا اليه. واذا وقعتم بهِ فسلموا عليه. واعلموهُ اني مريض ولولا ذلك سرت معكم بنفسي الى نصرتهِ. وما توانيت عن نجدتهِ. فعند ذلك خرجوا من عند ابيهم واختاروا من بني عبس الف فارس. كالاسود العوابس. وفي الحال ركبوا وسار معهم شداد. واخوهُ زخمة الجواد. وجماعة من بني قراد. وساروا يقطعون الارض. في طولها والعرض. حتى اشرفوا على ديار بني كندة فالتقاهم عنتر

وعروة واصحابهُ وترجلوا وسعوا الى خدمة اولاد الملك زهير . ودعوا لهم بالسعادة والخير. وقال لهُ شاس يا ابا الفوارس قد عتبنا عليك لانك تسير وحدك في اشغالك . ولا تطلعنا على احوالك . فقال عنتر والله يامولاي انا ما افعل هذا الا احتراماً لكم لاني لا استحق اهتمام مثالكم من ذوي الاقدار . ولا اريد تقول العرب ان سادات بني عبس وعدنان سارت مع عبدها حتى صارت لهُ كالانصار فقال لهُ ابوهُ شداد وانت ياولدي لاجل هواك . ترمي نفسك كل يوم في الهلاك . وتترك العرب كلهم اعداك . فقال نعم يامولاي ان الانسان اذا بلي بظالم يحتاج ان يبذل في مكافاتهِ المجهود . ولا يرضى ان يشمت فيهِ العدوُّ والحسود . وبعد ذلك حدثهم بما جرى لهُ في بني كندة وكيف زوج عمهُ عبلة بمسحل بن طراق . وكيف قبض المهر والصداق . وكيف قتل مسحل وشتت قومهُ في الآفاق . فتعجبوا من ذلك الباس والشدة . وسالوه عن مالك وعبلة وبني كندة . فقال لهم اما مالك وابنتهُ واخوها وزوجتهُ فانهم تحت قبضتي في الاعتقال . واما بني كندة فانهم عادوا الى ارضهم والاطلال . يطلبون خلاص الاهل والعيال . من يد بسطام سيد بني شيبان . الذي انا سايرٌ الى معونتهِ لولا قدومكم الان . فساروا معهُ الى مكان المعمعة واذا مالك وزوجتهُ وولدهُ قد اشرفوا على التلاف . من شدة الوثاق والكتاف . فقال شاس لمالك ويلك يامالك ما كان انحس

ساعة نزلت فيها الدنيا اما كفاك صرت مثلاً بين الورى . واحدوثة لكل من يسمع ويرى . ولكن هذا الهوان بك اولى لان الجاهل لا يفرق بين النعيم والعذاب . ولا يعرف الخطا من الصواب . فقال والله ياسادات بني عبس . انني رجلٌ عزيز النفس . وانا لا اسلم ابنتي اليهِ وفيَّ جارحةٌ تخفق . ولا لسانٌ ينطق . الا ان كنتم تقتلوني وتاخذوها سبيَّة . حتى يكون عندي واضحاً في البلاد العربيَّة . قال شداد يامالك وانا اخليك ان تاخذ اموال ولدي وتاكل خيرهُ . وتزوج بابنتك غيرهُ فقال عنتر ياقوم اشهدوا عليَّ ان هذا عمي ان ستر بنتهُ من الفضائح واستقرَّ في ديارهِ ولم يعرّضها للزواج كل غادٍ ورائح لا اطلبها ابداً ولا اقيم في الاوطان واجعل مقامي في بني غطفان ولكن ان زوجها لغيري وانا في دار الدنيا فلا اتركهُ يعيش ساعة ولا يحيي فقال شاس لما سمع هذا الكلام والله ياابا الفوارس ما بقي عليك ملام ولا يقدر احداً يدخل تحت هذا الشرط من الانام وفي قلبهِ بعض ما في قلبك من الغرام فقال مالك بن زهير يامالك اتريد اكثر من هذا الذل بين يديك وقد اجابك الى ما تريد بعد القدرة عليك فقال يامولاي انا ما اريد هذا الشرط يكون الا بين يدي ابيك حتى يقابل الذي يرجع عن هذا الكلام ويجرد عليهِ سيف الانتقام واما انت فاريد منك هذه الشهادة والا قرار متى عدنا الى الديار حتى يوفي بما اشترط

على نفسه وقرّ عليه القرار. فقال عنتر وانا ارضى بهذا الحكم ولو حملت نفسي الشماتة والعار. ثم انهُ تقدم اليه. وحل من الرباط يديه وقبله بين عينيه ❊

قال الراوي هذا واولاد الملك زهير يتعجبون من عظيم مروته . وشدة احتماله ونخوته . ثم انهُ عول على المسير الى مساعدة الامير بسطام . وقال لاولاد الملك زهير وانتم ياموالي ارجعوا انفسكم في هذا المقام. ولا تباشروا الحرب في هذه الايام . فقال شاس لا والله لا نكون الا في اول الرجال . ونقاتل بين يديك الابطال. والا فعليك منا السلام ونحن نعود الى الديار والاطلال فعند ذلك قال عنتر لاخيهِ شيبوب اقصد بنا اثار خيل بني كندة . حتى ننظر ما جرى على الامير بسطام من الشدّة . فسار بهم شيبوب يقطع الربى والاكام . وعنتر الى جانب شاس ينادمه بالكلام . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الامير بسطام وسبب قدومهِ الى هناك في تلك الايام انهُ لما عاد رسوله اليه واخبرهُ بان عنتر عزم على كشف اخبار عبلة . وعلم ان اباها قد نزل بها في تلك الحلة . قال والله لا قعدت عن هذه الخدمة لان ابا عبلة اخذها من عندي وهرب . وصار يجب عليَّ الطلب ثم انهُ انتخب الف فارس من بني شيبان. واستأذن اباه في ذلك الشان فأذن له وقال اذهب بحفظ الالهة والاصنام . واذا وصلت اليه فاقرئه مني السلام وسار بسطام طالباً ارض بني كندة

وكان وصوله اليها بالاتفاق . لما قارب زفاف عبلة على مسحل بن طراق . وكان قد بقي لها من الاجل يوم واحد . فاكمن في تلك البراري والفدافد . وانفذ بعض عبيده ينظر ما يتجدد بالاخبار . ويفحص ان كان عنتر طرق . تلك الديار . فسار العبد حتى وصل الى تلك الاطراف وعاد الى بسطام وقال له يامولاي ان بني كندة مشغولون بمهمة الزفاف . وهم عازمون عند الصباح على انجاز شغلها . وانفاذها الى بعلها . فقال بسطام وقد تأسف وتحسر . خرجت والله عبلة من يد عنتر . ولكن وحق ذمة العرب لا خليت بني كندة تتهنأ بها ولا بد ما اسعى في خلاصها وابذل المجهود . حتى اكون وفيت بالعهود . فياليت شعري ما الذي اعاق عنتر عن الحضور في طلبها . وهو هالك بسببها . ثم التفت الى عبده الذي اتاه بالخبر وقال له ارجع الى بني كندة ولا تبرح من الحي حتى تنظر عبلة . قد خرجت من الحلة . وارجع اليّ بالعجل . حتى اريك ما افعل . فعاد العبد الى بني كندة وبات عند الرعاة . في تلك الفلاة ومكث هنالك حتى اصبح الصباح . فانقلب الحي بالسرور والافراح . وركبت الفرسان على متون الخيل العوال . ورفعوا الهوادج على ظهور الجمال . وسارت النسا مع عبلة تودعها . وخرجت البنات تشيعها . فعاد العبد الى بسطام واخبره فكاد قلبه ان ينفطر . لاجل انقطاع الخبر من نحو عنتر . وقال لرجاله تاهبوا انتم

للقتال . حتى اريكم ما افعل بهولاء الانذال . ثم سار برجاله حتى اشرفوا على المضارب . واذا هم يسمعون اصوات النوادب . والعويل من كل جانب . فلما سمع ذلك بسطام قال لئن صدقني حذري فان عنتر اخذ العروس . واصبح القوم صباح منحوس . وبنو كندة ساروا خلفه وتركوا الاموال والعيال . ونحن ما خطرنا لهم على بال . فدونكم الان ونهب الاموال . ثم انه كبس القوم باصحابه كما ذكرنا ونزل عليهم نزول القضا والقدر . فقتل من قتل واسر من اسر . وعاد وهو يقول انا اعلم ان بني كندة لا بد ان يتفرقوا عن عنتر . اذا سمعوا بهذا الخبر .

قال الراوي وكان الحساب الذي حسبهُ بسطام صحيحاً لان الخبر كان وصل الى بنى كندة وقت السحر . فرحلوا وقد تفرقوا عن عنتر . وطلبوا بسطام وبني شيبان فلحقوهم في ارض يقال لها ذات الجلاجل . وهم قد اقبلوا تلك الارض بالعساكر والجحافل . وكان الملك عمرو المقصور سيد بني كندة قد تبعهم في اربعة الاف فارس حجحاج . كانهم عوامل الرماح . يهشون للقراع . هشاشة الاطفال للرضاع . فلما اشرف على بسطام . امر العساكر بالحملة والصدام . فالتقتهم فرسان بنو شيبان . واصطدم الجيشان . واتصل الضراب والطعان . وفارقت الارواح الابدان . وتمددت القتلا فى ساحة الميدان . وفعل بسطام فعل اولاد الحلال . ورد عن قومه الكواكب ولا نيال . وجال على فرسه

ذات النسور. وهتك ببنان رمحه الصدور. وقاتل قتال الخايف المذعور. وكانت فرسان بني كندة قد تفرقت في القيعان. فعادت على بني شيبان. وخلصت منهم الاموال والنسوان. وعاد ربح القوم الى خسران. وما اشرف عليهم عنتر الا وهم في غاية الخذلان. وكان بسطام قد ايقن بالهلاك والتلعان. من ازدحام المواكب وكثرة الفرسان. وهو يتلقى بصدره عوامل الاشطان ويكثر من ذكر صديقه عنتر. والقتلا من حوله مثل البدر او كالجراد اذا طار وانتشر. وهو يبكي ويتحسر. ويترنم بهذه الابيات

في الحرب يفتخر الشجاع الضيغمُ ... او ما تراني في الوغى اتقدمُ

بالله يا ريح الشمال فخبري ... لابي الفوارس كيف كندة تهزمُ

نادى منادي الموت فيهم معلناً ... فغدا وجود القوم فيهم يعدمُ

لولاي لم يكن الحسام بقاطعٍ ... يوماً وكندة كالدوافق تسجمُ

والخيل تعلم والفوارس انني ... في ساحة الحرب العوان معظمُ

صبرًا على الاهوال لا ابغي بها ... فالصابرين على الوقايع تغنمُ

قال الراوي فقال عنتر من هذا كنت خايف على ابي اليقظان ثم انه حمل بفرسان عبس الشجعان. الذين ما فيهم مقصر ولا جبان. بل لهم الوقايع المذكورة في كل مكان. وكان قد وقع لعنتر في قلوب بني كندة هيبة عظيمة وشان. ثم تقدم عنتر الى ناحية بسطام. وحياه بالسلام. وانشد وقال

لله درك يا ابا اليقظانِ ... من ضيغمٍ صعبٍ على الحدثانِ

صبراً اتاك ابو الحروب وليثها ... ومشيرها بثقف الاشطان
صبراً اتاك مغاغل الاسياف في ... قمم الملوك وقاتل الشجعان
يا ال كندة قد اتاكم فارساً ... قهر السراة الشم من قحطان
ما سل سيفاً مرهفاً في معرك ... الا وقال الدهر منه كم ان
كم جهد اصبر والزمان يكيدني ... ويزيد عمي ذلة بهوان
او ما ترى ان الاسود تذل لي ... او ما ترى كل الورى تخشاني
فاليوم يومي والزمان يودني ... والوقت وقتي والعلا مكاني

قال الاصمعي فعند ذلك اجتمعت اكابر آل كندة واتوا الى الملك عمرو وقالوا له نحن في شدة واي شدة . لان هذا الشيطان . ما قصد هذا المكان . الا وفي نفسه ما يبقي منا انسان . ونخاف ان يكون بعضهم قد مال على اطلالنا . وسبي حريمنا وعيالنا . وان كان هذا الحساب صحيح فهو الهلاك والقلعان . الى آخر الزمان . فقال لهم عمرو والله ما نظرتم الا موضع النظر . والراي عندي ان نعالج من دائنا المرض الاخطر . ونميز بحسن التدبير الاقل من الاكثر . قالوا وما هو قال اسير انا الى الاطلال . واجمع ما بقي هناك من الفرسان والابطال . وانتم تقاتلون ثم تتاخرون . واياكم ان تنهزمون . فعند ذلك يطمع فيكم عنتر . واكون قد ادركتكم بباقي العسكر . فتحيط به من كل ناحية ونقلع منه الاثر فاستصوبوا رايه واستحسنوه . وظنوا انهم بواسطة ذلك ينالوا ما يوملوه . وفي دون ساعة شاع في بني

كندة هذا الخبر. فصارت تقاتل وتتاخر. وقد اشتغلت قلوبها
على الحريم والاولاد. فقصرت عن الحرب والجلاد. وعلم عنتر
بذلك الحال. فبدد الطعن في صدور الرجال. وفعل بسطام
ورجاله مثل تلك الفعال. فصارت الهزيمة حقا. وتبددت
جموع كندة غربا وشرقا. وما وصل منهم الى البيوت الا كل
ضامر مهزول * على جواد الخيول * وكان الملك عمرو قد
سبقهم الى الخيام والمضارب * فوجد بيته سالما من النوائب *
فصاح على الرجال * وامرها باخذ اهبة القتال * بعد ما اخبرها
بحقيقة الاحوال * فكرت الى معونة صحابها * واجادت في
طعانها وضرابها * وما زالوا يقتتلون بطعن الرمح وضرب الحسام.
حتى اظلم الظلام * وخفيت مواضع الاقدام * فعند ذلك
تاخرت جموع كندة واضطرت الى الانهزام * وتقهقرت الى
الخيام * وتحكمت فيها سيوف الانتقام. فامر عنتر قومه بنهب
الاموال * وسوق النوق والجمال. واطلاق الحريم المخدرات *
والبنات العربيات * ثم انه التقى بالامير بسطام فاعتنقه وشكره
على فعاله * واثنى عليه وعلى رجاله وقال له لقد تفضلت علينا
يا ابا اليقظان واوليتنا الجميل والاحسان وما بقينا نقدر على
مكافاتك ابدا لانك تكرمت علينا بروحك وجعلتها لنا فدا
فلما سمع بسطام من عنتر ذلك الكلام قال وحق الملك العلام
يا حامية آل عبس الكرام ان خدمتك وجبة على مدى الدوام

لانك لما ملكت عتقت وبقيد الاحسان اوثقت ثم انه اشار بمدح عنتر بهذه الابيات

هنائي لايزال على هناء ... يخصك في الصباح وفي المساء
فانت اجل فرسان البرايا ... واولى بالمديح وبالثناء
فان الله لم يخلقك الا ... لباسٍ في الكريهة والعناء
فما حاداك ليثٌ في قتالٍ ... ولا ساواك غيثٌ في سخاء
حويت مع الحيا علماً وفهماً ... وصبراً في الشدائد والعطاء
اضفت الى السخاء جميل فعلٍ ... وكملت الفضايل بالنداء
فيعجب من يراك لما تراهُ ... عليك من الجلالة والبهاء
ابا الفرسان انت لنا مجيرٌ ... تكاد تجير من صرف القضاء
فامرك مثل عزمك في نفاذٍ ... وعزمك مثل سيفك في مضا
فعش في نعمةٍ ودوام عزٍ ... بغير تغيُّرٍ وبلا فناء

قال الراوي ثم ان عنتر شكر الامير بسطام . على شعره والنظام . وحدثه بما كان في قلبه من نار الاحتراق . لاجل زواج عبلة بسحل بن طرّاق . واعلمه بان عمه عليه غضبان . وحلف انه لم يعد يسكن في بني عبس وعدنان . فقال بسطام وحق مكوّن الاكوان . ومدبر الوقت والزمان . انني ما ادعك تسكن عند احد من الخلان . ولا تجعل مقامك الا عندي في بني شيبان لانني اولى بك من كل انسان . لاجل ما لك عليَّ من الجميل والاحسان . والفضل الذي لا يستوفي وصفهُ اللسان . فلعن الله

عمك الخاين القرنان فما اشد بغضته * واعمى بصيرته فقال مالك بن زهير والله يابسطام نحن ما نمكن ابن عمنا . ان يرحل عنا الي غير ارضنا فلا نخالف عليه حتي نتلافى قصته * ونجد نوبته ونرد قلب عمه بعد هذا الحقد اليه ونبذل نفوسنا بين يديه وان كان قد اقسم بان لا يجاوره حتى يرضى عليه فنحن نتركه في بعض اوديتنا ونقيم كلنا عنده . حتى تنحل عقدته ويبلغ مراده وقصده لان ارضنا واسعة . واماهاهنا نابغة فقال شداد والله ياما لك ان مقام ولدي عند الامير بسطام * هو غاية القصد والمرام حتي لا تتفرق العشيرة وتنقسم الى شطرين . فيتعب قلب ابيك معنا لما يرانا قد صرنا حزبين ونبقى كل يوم في مقال وعتاب * فتشمت بنا الاعداء وتحمل همنا الاصحاب واذا وصلنا الى الديار اخذت عبلة الى عندي واترك ابوها يقطع منها الاياس * والا جعلته احدوثة بين الناس * الا ان كان يصالح ولدي ويترضاه ويبلغه قصده ومناه *

قال الراوي ثم انفصل الامر بينهم على ذلك الحال وباتوا في تلك الاطلال فلما اصبح النهار وطلعت الشمس * عول بسطام ان يقسم الاموال والغنايم على بني عبس وحلف انه لا ياخذ منها ما يساوي قيمة فلس فابوا وقالوا هذه تكون برسم ابن عمنا عنتر الذي هو صديقك وجارك * يستعين بها مدة اقامته في ديارك * فتعجب بسطام من فرط مروتهم وحسن اخلاقهم

الكريمة إسحق من اولاد الملك زهير بن جذيمة . فامر رجاله بسوق الاموال واشتغلوا على احسن حال فعند ذلك بكي شداد على فراق ولده عنتر وتأوه من قلب حزين وتحسر وهملت دموعه على خديه كانها غزير المطر وعبلة تنادي وتقول الشمل مني افترق وقلبي قد التهب واحترق فلما سمع شداد كلامها انشد يقول

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال الراوي وسار القوم من تلك الارض وهم يتحدثون مع بعضهم البعض وعاد عنتر مع بسطام . وهو يشاغله بغير ذلك الكلام وعنتر يظهر الجلد ويخفي الكمد و يرفع راسه ويتنهد لانه كان محروق الفؤاد وولهان وهو خايف على قومه ان يقعوا بنكبة قبل وصولهم الي الاوطان فصار يلتذ باستنشاق النسيم الذي يهب من ناحية عبلة فينتعش به جسده ويزيل عن قلبه الغم والذلة لان عشاق العرب والمتيمين كانوا يتنشقون الريح التي تهب من ارض الحبيب فتداوي امراض قلوبهم من العشق وتطيب ثم غلبت عليه كثرة الاشواق والاحزان وتذكر ما قاسى من حر الفراق والاشجان عند مفارقة الاحباب والخلان فصار بسطام يحادثه باخبار المتيمين والعشاق . وما لاقوا من الهجر والفراق فقال عنتر

Digitized by Google

يا بسطام ما اظن احد لاقى مثل ما لاقيت ، ولا قاسي مثل ما قاسيت ثم جاش الشعر في خاطره . فباح بما كنت عليه ضمايره وافتكر بابنة عمه عبلة . وما قاسي لاجلها من الغم والذبلة . وكيف ان قومه تركوه في ذلك المكان . وابعدوه عن الاهل والخلان فانشد وقال

اذا ريح الصبا هبت اصيلا ... شفت بهبوبها قلباً عليلا
وجاتني تخبر ان قومي ... بمن اهواهُ قد جدوا الرحيلا
وما عنوا على من خلفوهُ ... بوادي الرمل منطرحاً جديلا
يحن صبابة ويهيم شوقاً ... اليهم كلما ساقوا الحمولا
ينادوني بعنتر يوم حربٍ ... ويوم السلم عبدهمُ الذليلا
الا يا عبل ان خانوا عهودي ... وكان ابوكِ لايرعى الجميلا
حملت الضيم والهجران جهدي ... على رغمي وخالفت العذولا
الفت السقم حتى صار جسمي ... اذا فقد الضنا امسى عليلا
وعاداني غراب البين حتى ... كاني قد قتلت له قتيلا
وقد غنّى على الاغصان طيرٌ ... بصوت حنينهِ يشفي الغليلا
بكى فاعرته اجفان عيني ... وناح فزاد اعوالي عويلا
وبات مقلقلاً لفراق الف ... ياٌنُّ لفقدهِ الليل الطويلا
فقلت له جرحت صميم قلبي ... وابدى نوحك الداء الدخيلا
وما ابقيت في جفني دموعاً ... ولا جسماً اعيش به نحيلا
وما ابقى لي الهجران صبراً ... لكي القى المنازل والطلولا

ولو انني كشفت الدرع عني رايت وراءه رسماً محيلا
وفي الرسم المحيل حسام نفس يفلل حده السيف الصقيلا
الفت نوايب الايام حتى رايت كثيرها عندي قليلا

قال الاصمعي ولم يزالوا سايرين يتناشدون الاشعار. حتى تنصف النهار. واذا بعنتر وقف في تلك القفار ونكس راسه الى الارض وزاد به الافتكار فقال له بسطام ما خالك * وما الذي جرى الك وما الك. وانت كلما انشدت شعراً جاءت عبلة في بالك * فقال عنتر والله يا اخي ان ذكر عبلة هو في جلدي لايغيره الزمان * ولولا الشعر الذي انطق به لهاجت في فوادي النيران وهي احسن العلاج والدوا . وبها اسلو نوعاً عن مرارة الوجد والهوا. ولكن يا امير بسطام قد حسبت حساب وانا خايف ان يتسبب منه اسباب . فقال بسطام وما هو الحساب * بحق الملك الوهاب فقال قلبي خايف من بني كندة ان يعلموا باحوالنا وانقطاعنا عن بني عمنا واهلنا . فيطمعوا فيهم ويسير الملك عمرو خلفهم في جموعه وجنوده . ويلحقهم بفرسانه وفهوده وان كل فريق . قد سار منا في طريق . وربما يهلك من اولاد الملك زهير احد . فيلحقنا من اجله المضرة والنكد . ويأول امرنا بعد الربح الى الخسارة . ويشمت بنا الربيع واخيه عمارة . فقال بسطام وكيف يكون الحال . فقال عنتر الصواب انك تامر هذه الفرسان تسبقنا الى المنازل والاطلال

ونحن نسير في عشرة من الابطال . ونقتفي من بني عمنا الآثار ونرعاهم من بعيد حتى يبعدوا عن هذه الديار . ونأمن عليهم من نوائب الاخطار وبعد ذلك نعود الى ارضكم كما تحب وتختار . فقال بسطام افعل ما بدالك . فانا تابع مقالك ثم ان بسطاماً امر قومه بالمسير الى الاطلال . وان يسوقوا قدامهم الغنيمة والاموال . وانتخب من قومه عشرة من الابطال . ممن يعرفهم بالشجاعة والاقبال وعادوا مع عنتر وشيبوب قدامهم يدلهم على الطرقات . حتى فاتت بهم حلل بني كندة وابعدتهم في الفلوات وما اصبح الصباح الا وقد قطعوا الارض بعيد في تلك البطاح فتاملوا في تلك الارض وكان ذلك الوقت عند طلوع الشمس . فلم يروا غير اثر حوافر خيل اصحابهم وهي راجعة الى ارض بني عبس . فقال بسطام والله يا ابو الفوارس ان بني كندة عندهم شغل شاغلهم عن اتباع سواهم وقد القيت في قلوبهم خوف ما ينسوه في دنياهم فقال صدقت ولكن انا ما تكلمت الا بكلام عقلاء الناس . وما في الاحتراز من باس . ونحن نستريح اليوم هاهنا ونرحل وقت السحر . حتى لا يفوتنا من بني كندة خبر . فهذا ما جرى لبني شيبان وعنتر . واما ما كان من بني عبس فانهم لما ابعدوا في البر الاقفر . حتى ضاقت صدورهم لفراق عنتر . وما فيهم الا من تاسف وتحسر . وقال شاس لما الملك ابو عبلة وكان اجتمع به في خلوة يا مالك ها قد اتاك الامر كما تريد . واصبح

عنتر من اجالك وحيد وفريد . وسار مع بسطام الى دياره والاوطان . وهجر الاهل والخلان . لا ابو عبلة ولكن وحق الدايم بلا زوال . لابد ما تندم على على هذه الفعال . وتتحسر من هذه الاعمال ثم انه انشد وقال

اعلم وخذ عن موضع الاخطار   تلقى النكال بيه عظيم النار
ان الخطوب اذا تعاظم قدرها   حكمت على الاسماع والابصار
ياقاطعاً سبل الرشاد وقاسياً   قرب القرابة عشت ناىء الدار
اني اخاف عليك من مشتجر القنا   يوم الهياج وصولة الكرار
او ما رأيت عيالك موقف كبدة   والموت في كفيه والاخطار
لما غدوا صرعاً تنوش لحومهم   وحش الفلا ومخالب الاطيار
فلتندمن يامالك ولتعلمن   سلم اللئيم سلامــة الاشرار

قال الاصمعي فلما سمع ابو عبلة ذلك المقال . قال له ايها السيد المفضال . انا ادم على صيانة الحرم . من العبيد والخدم . فوالله لو ان لعنتر نسب يرجع اليه . ما بخلت بابنتي عليه . ولكن حمل العار ثقيل . وكلام الناس اشد من ضرب السيف الصقيل ❋

قال فلما سمع شداد ذلك المقال قال له ويلك يامالك كم تطعن في نسب ولدي وتعيبه في ساير المواضع . ونسبه اليك راجع . ويلك اما انت اخي وانا اخوك . وامي امك وابي ابوك . فقال مالك بلى ياشداد ولكن انت تسبي امــة وتاتي منها بولد

سفاح . وتطلب مني ان ازوجه بعبلة سيدة الملاح . التي تلفت في محبتها المهج والارواح . وبلك يا شداد انجمل شريحة بنت الوضاح . معادلة زبيبة بنت السفاح ثم ازداد بينهما الكلام . حتى آل الامر بينهما الى ضرب الحسام ❁

قال الراوي فعند ذلك اتاهما مالك بن زهير وفرق بينهما وقال لهما يابني الاعمام . لا تختصمان في هذا المكان . فليس هذا موضع خصام . وانتما في بلاد الاعدا اللئام . والذي تختصمان لاجله قد رحل وطلب الانفراد . واختار على قربكم البعاد . حتى لا يتفرق شملكما . ولا تبعدا عن اهلكما . وقد قال سر يا امير يا مالك . وان اراد عمي يزوج ابنته الى احد فلا تمنعوه من ذلك لاني ما بقيت ارجع الي هذه البلاد . حتى اسمع ان صار لعبلة اولاد . فان روحي قد ملت من ركوب الاخطار . وانا اخدم اناس في الليل والنهار . وهم لا يعرفون لي لا قيمة ولا مقدار . وانا اريد اجعل مقامي في بني شيبان . ولا ارى بعيني الذل والهوان . وما زال مالك على مثل هذا المقال . حتى طاب قلب ابو عبلة بهذا الحال . وسار القوم بعد ذلك طالبين الديار . وفي قلوبهم لهيب النار . وكان شاس في هذه النوبة . نوي على قتل ابو عبلة . من شدة ما جرى عليه من الدبلة . وما زالوا كذلك . حتى خرجوا من ارض بني كندة وتلك الدكادك . ووقعوا في البر الاقفر . فزاد بشاس الهم والفكر . ثم سار في اول

العسكر . ووافقه شداد ابو عنتر . وما فيهم احد يشتهي ان ينظر ابو عبلة من سوء افعاله . وغلاظة مقاله . وبقي مالك بن زهير في باقي الفرسان . وجعل يسير بعبلة سير الامان . ويترفق بها وباخيها . وبامها وابيها . لانه اطول بالاً من اخيه شاس . واكثر منه مداراة للناس . فسار على اثر اخيه يوماً كاملاً في تلك الهضاب . حتى اشرف على ارض . يقال لها الرباب . وكانت مليحة الجنبات . طيبة النبات غدرانها دافقة . وروابيها بالزهور عابقة . ووحوشها راتعة وعيونها نابعة *

قال الراوي وكان قد قل على القوم الزاد لبعد المسالك فشكى اكثرهم من الجوع الى الامير مالك . لانهم لما فارقوا عنتر واعطوا الى بسطام النوق والجمال . ما زالوا سايرين لتقريب الاجال . وكانوا يقتاتون من صيد البرية . الى ان اشرفوا على تلك الارض البهية . ونظروا الى كثرة وحشها السارح . وزهرها الفايح فنزلوا هناك وقال مالك لاصحاب الخيول السابقة والجنايب الغير متلاحقة . دونكم يا بني الاعمام وهذا الصيد الوافر والخير الغامر فلا يعود احداً منكم الا بما يكفيه ويكفي رفيقه . ويعينه على قطع طريقه . ثم ان مالك ركب مهرة من جنايبه السبق . التي تسبق بمسيرها لمعان البرق اذا برق . وطلب بها عرض البر وصار يطعن الوحوش ويمددها على الرمال وجعل يجتهد في صيد الغزلان . حتى ابتعد عن اهله والفرسان . وقد

اعجبهُ الصيد والقنص * فاوسع في البر لانتهاز الفرص * واذا به قد ثار من بين يديه ظليم . وعدى من فزعهِ يطلب الروابي وبهيم . فجد مالك في اثره . وصاح فيهِ فاذعره . فقصد الظليم البر الفسيح . وطلبهُ مالك مثل هبوب الريح . حتى غاب عن عينيه ذكر النعام . واختفى بين الروابي والاكام . فعند ذلك وقف الامير مالك . واخذ يلتفت ويتامل في تلك البراري والدكادك . فلم يجد له اثر . فحار وانبهر . واخذهُ القلق والضجر . وقد طاب له الهلاك ولا يفوته من فريسته خبر . فبينما هو على تلك الحال . اذ ظهر عليه بدوي من بين احاقيف الرمال . وقدامه ناقة عالية السنام . قد ازعجت بصياحها البر والاكام . ومن خلفهِ جارية كانها البدر التمام فلما رات مالك اومت بيدها اليه شبه المستجيرة . طالبة منه المعونة والنصرة . فعلم مالك مطلوبها * ولكن ما اجابها لقلة معرفته بها وقال في نفسهِ هذه زوجة البدوي او اخته وقد ضربها لسبب من الاسباب . وربما حلت اليهِ ما هو صواب . ثم انهُ هم ان يرجع الى قومهِ . خوفاً من فوات يومهِ . فالقت الجارية من يدها المقود . ولوحت في وجههِ فشرد . وهج في البر والفدفد * وصاحت على البدوي يا وجه العرب * الحق الجواد فقد هرب * فعندها ترك البدوي الناقة وتبع الفرس * بعد ما لطم الجارية على صدرها كاد ان يعدمها النفس * فلما ابعد اتت الى مالك واستجارت بهِ وطلبت منه

النصرة والمعاضدة فقال لها من انت ومن يكون هذا الرجل حتى تطلبي عليه المعونة والمساعدة فهل هو بعلك . او احد من اهلك * فقالت والله يامولاي ما هو لي بنسيب ولا قريب * بل هو اجنبي وغريب * وقد قتل ابن عمي. الذي هو من لحمي ودمي . وكنا راجعين من وليمة كانت في نبهان. طالبين الاهل والاوطان . فالتقانا هذا الشيطان . فقتل زوجي وسباني وساربي كما تراني وانا مستجيرة بك ايها السيد الكريم وليس لي احد سواك ان يخلصني من هذا البلا العظيم ثم انها بكت وانت واشتكت وانشدت تقول

كم حرةٍ عبثت بها الايامُ ... يافارساً خضعت له الاقوامُ
ياذا المكارم والايادي والعلى ... فعليك من دون الانام سلامُ
يامن يرى سبي الحريم مهانةً ... يامن له بحرٌ يفيض غمامُ
اني رجوت الخير منك فراسةً ... ان الجميل له لديك مقامُ

قال الراوي فلما سمع مالك كلامها . وما ابدته في شعرها ونظامها . وراى كثرة بكاها واذلالها . شفق عليها وانتخى لها . لانهُ كان من اهل الفتوّة . مشهوراً بالنخوة . والمروّة . متصفاً بالصفات الحميدة وكرم الاخلاق . مكتنفاً بالشمايل السعيدة التي تعطرت بها الافاق . لاسيما انهُ من بني عبس الكرام . الذين تسميهم العرب فرسان المنايا والموت الزوام . فقال لها ياحرة العرب * ابشري بالسلامة وزوال العطب * فسوف

Digitized by Google

اخلصك من يد هذا الاعرابي . وادعه ملقى بين هذه التلال والروابي *

قال فبينما هو مع الجارية في مثل هذا الحديث والايراد . واذا بالبدوي قد عاد . وهو راكب على ظهر الجواد . فنظر الى مالك والجارية بين يديه . تشكو ما حل بها اليه . فغضب وقامت في ام راسه مقل عينيه . ثم انه قوّم سنان رمحه وحمل عليه . وهو يقول له ويلك يا انذل العربان . من انت حتى تخاطب جوار الفرسان . ومن هو الذي اتى بك الى هذا المكان . والقاك في هذه البراري والقيعان . اخلع يا ويلك ما عليك من الثياب والسلب . وسلم نفسك قبل وقوع العطاب * فان كنت جاهل بي . فانا اعرفك بنفسي ولقبي . انا المعروف بالرعد القاصف . والسحاب الواكف . المسمّى بفياض الخاطف . وانشد يقول

يا جاهلاً بمكانة الشجعان . مهلاً ستبقى ماكل العقبان
يا ابن اللئام اما سمعت بهمتي . وبصولتي وبحملتي ومكاني
او ما علمت بانني اسد الوغى . لما غدت كل الورى تغشاني
او ما علمت بان مجدي سامياً . حتى علا شرفاً على كيوان
والدهر يرهبني ويعرف سطوتي . وانا الصبور اذا الزمان غشاني

قال الراوي فاستقبله مالك بقلب قوي . وجنان جري . واجابه على شعره يقول

ثكلتك امك كيف تلقى ضيغماً . متعوداً صبراً على الفرسان

كم قتيلٍ قد تركت مجدلاً قد كان مثلك رائد الهذيانِ
يا ابن اللئام لما خشيت عقوبة الا صنام او غضباً من الديانِ
حتى غدوت معارضاً لحزايرٍ اهل المكارم من نسا قحطانِ
من ذا الذي انجيك مني في الوغى وانا الكريم الاصل من عدنانِ

قال الاصمعي ثم ان مالكاً حمل عليه وهو يقول يا ابن الالف قرنان. لقد حدثتك نفسك بالزور والبهتان. وساقك القضا الى هذا المكان. حتى تبقى رزقاً للوحوش وكواسر العقبان. لانك استثنت في العرب سنة غير محمودة بسبيلك الحرابر. واليوم تصير مثلاً لكل مقيمٍ ومسافر. ثم انه هجم عليه وطعنه بالرمح طعنة قاتلة. فانعزل عنها ذلك البدوي فراحت باطلة. وقد اشتد عليه الغيظ والغضب. وعاد الى ظهر جواده مثل السلهب. وقاتله حتى اتعبه. ثم طعنه بعقب الرمح اقلبه. ونزل اليه فاخذهُ اسير. وقاده قودة الذليل الحقير. وقد نظر الى جمال صورته. وحسن لباسه وعدته. فعرف انه جليل القدر. عالى الذكر. فقال له يا غلام من انت ومن تكون. اصدقني قبل ان اسقيك كاس المنون. فان الصدق اليق باصحاب المراتب. والكذب يشين بالرجال الاطايب. ثم انه سل حسامه. بعد ما انتهى من كلامه. فقال له مالك لا تفعل يا سيد الرجال. فما انا ذري الحال. ولا قليل المال والرجال. انا مالك بن الملك زهير سيد بني عبس وعدنان. وفزارة

وذبيان . ومرة وغطفان . فلما سمع البدوي كلامه احمرت عيناه
وانفتحت شفتاه . وقال والله لانت غاية مطلبي * ومنك ابلغ
قصدي واشفي لهبي . ثم انهُ شد كتافه . وقوى سواعدهُ واطرافه .
وعارضه على ظهر الجواد . وقال والله ما بقيت تخلص من يدي
الاَّ ان كان والدك يسلمني اسودكم عنتر بن شداد . حتى اذبحهُ
ذبح البقر والجمال . والاَّ فعلت بكم ايشم فعال . وبلغت بقتلك
غاية الامال * فقال له مالك * وما هو السبب في ذلك * فقال
اعلم ياوجه العرب الابطال . اني كنت هويت جويرية من
ديارنا والاطلال . وبذلت لابيها جميع ما املك من المال .
والنوق والجمال . فقال والله ما ازوج ابنتي الاَّ لمن ياخذ بثاري .
ويكشف عني عاري * ويطفي لهيب ناري * وياتيني براس الذي
قتل ولدي ظلماً وعدواناً . واورثني بذلك سقماً واحزاناً . فقلت
له ياعماه ومن هو غريمك حتى اخذ بثارك * واكشف عنك
عارك * فقال لي هو عنتر بن شداد . اسود بني عبس وحاميها
وقت الجلاد . لانهُ كان فيما مضى قد اغار على ديارنا والاطلال
فقتل ولدي وهو يرعى النوق والجمال . وسار من عندنا بعد ما
فتك في الابطال . وقد حلفت اني ما ازوج ابنتي لاحد من
البشر * الاَّ لمن ياتيني براس عنتر . فلما سمعت منهُ هذا المقال .
ضمنت له قتل اسودكم ابن الانذال . واعود اليه براسهِ وابلغ
الامال . وما خرجت منازل قومي والاطلال . حتى عاهدته

علي ذلك واعطاني يده على هذا الحال . وسرت طالب دياركم حتى اطفي ما بقلبي من لهيب الاشتعال . فوقعت بهذه الجارية التي ابصرتها . وكانت سايرة مع ابن عمها فقتلته واسرتها . وبعد هذا وقعت انت في يدي . وسوف ابلغ بك غاية مقصدي وتبرد حرارة كبدي ❋

قال الاصمعي فلما سمع مالك من الاعرابي هذا المقال . اطمع نفسه في المحال . وطلب الخلاص بالمكر والاحتيال . وقال له يا وجه العرب . اشكر الهبل الذي هوّن عليك الطلب . وقرّب عليك الطريق والسفر . واراحك من تعب هذا البر الاقفر . فان الذي تطلبه هو ها هنا في ارض الرباب . وما معه اكثر من عشرة رجال من الاصحاب . وانا قد فارقته في هذا الصباح . وهو يطلب صيد الغزلان . فلاح لي ظليم من النعام فتبعته الى هذا المكان . وقد وقعت بي وانا تعبان . وجوادي قصّر من كثرة الجري والجولان . ونصرت عليّ وبلغت مرادك مني . فاشفي فوادك بقتلي او اصفح عني . لانه لم يبقَ للاعتذار مجال . ولا للاستقالة مقال . وما ثم طريق الا معاملتك لي بالاحسان والافضال . وان كنت كما ذكرت بانك فارس نجيب . سر الى غريمك فانك منه قريب . عسى تنال حاجتك وتبلغ مامولك . ويصبح عنتر اسيرك ومقتولك . فلما سمع كلامه صاح بالعرب . وقد اخذه الفرح والطرب . وقال وحق الملك

العلام . ان كنت صادقاً فيما قلتهُ من الكلام . فلك مزيد الاكرام . والانعام العام . فاذا وقعت عيني عليه اخذته اسير . ولو كان معهُ الف فارس نحرير . والصواب ان آخذ لنفسي الراحة الى وقت السحر . ثم اركب الى لقاء عبد كم عنتر . لانهُ ما دام قد فقدك في هذا النهار . فما يرجع من هذه الديار . ولا يقدر على الرواح الا بك . ولربما سار في طلبك . ولا بد من ان يعبر هذا الطريق . وتسوقه الى علائم السعادة والتوفيق . ثم انهُ نزل عن ظهر الجواد . وقدم ما تيسر عندهُ من الزاد . وصار ياكل ويطعم مالك بن الملك زهير . ويسالهُ عن سبب مجيهم الى هذه الديار واوعده بالسلامة والخلاص من الضير . ومالك يحدثهُ بالزور والمحال . ويخدعه بالكذب والضلال . وجعل يخبرهُ بخبر مالك ابو عبلة وكيف هرب بابنتهِ الى بني كندة . واقام عندهم مدة . ثم قال لهُ في اخر كلامه ان عنترة اتى في خمسين من ابطال بني قراد . وسرق عبلة من بني كندة وعاد وانا كنت معهُ على سبيل المعاونة فقل علينا الزاد . فنزلنا في هذه الارض والمهاد . فصرنا نطلب الصيد لنقتات بهِ على قطع هذا البر الاقفر . وما زال مالك يحدثهُ ببعض الخبر . ويخفي عنهُ الاكثر حتى جن الليل واعتكر . فاضطجع الاعرابي ونام . وبقيت الجارية واقفة على الاقدام . وكانت قد تعبت من المشي وقلة الطعام . ولما رات مالك على تلك الحال زاد همها . وكثر حزنها

Digitized by Google

وغمها . وصبرت علي البدوي حتى غلب عليه الرقاد . وغرق
في بحر السهاد . فاتت الي مالك وحلت كتافه وقالت له يافتى
اطلب لنفسك النجاه . في هذه الفلاه . ودعني وهذا
المريد . يفعل بي ما يريد . فقال لها مالك . لا وذمة العرب لا
فعلت ذلك . ولا تركت هذا الجبار يحكم في جمالك لانه اذا
فقدني يعلم انهُ من فعالك وقد كرهت نفسي الحياه . واشتاقت
الي الوفاه ثم انهُ وثب لياخذ سيفه . ويبادر الي خصمه ليقتله
ويسقيه كاس حتفه فانتبه البدوي من المنام . وسل سيفه وهجم
عليه ليسقيه كاس الحمام . وكان مالك قد ملك الحسام . فتدانيا
من بعضهما تحت غسق الظلام . واخذا في الضرب بالسيوف
والطعن بالرماح . الى ان طلعت غرة الصباح . فتعب مالك
واثخن بالجراح . وراى نفسه انه هالك لامحال . فسلم نفسه اليه
خوفاً من شرب كاس الوبال . فاعادهُ الى الشد والكتاف .
وقوّى منه السواعد والاطراف . وصار يقول له يا ابن الانذال
كلما حدثتني بهِ فهو زورٌ ومحال . ولا بد ما اعدمك مهجتك
لانك محتال . ثم انهُ عاد الى الجارية وقد علم انها خامرت عليه
فجلدها بالصوت وشدها على الناقة وساقها بين يديه وفعل
بمالك . مثل ذلك . ثم ركب جواده وسار وقد ظن انه نال
غاية المجد والفخار وانشد وقال

سلوا عن فعالي والدما تسيلُ باعلى القنا والصافنات تجولُ

وتشهد لي بيض الرقاق وفي يدي تصول على الهامات وهي نصول
اذا قيل هذا اليوم لا يوم غيره اخوض لظى نيرانه فتزول
واركض مهري فوق اجساد فتية له من دماهم غرة وحجول
فلا تطلبوا مثلي اذا الحرب سعرت فمثلي اذا اشتد الهياج قليل

قال الاصمعي لما فرغ من كلامه طلع الى الاستوا من الوطي والشمس قد اشرقت على التلال والربى وتعالى نورها واضاء فرأى رجلاً يسعى في جنبات تلك الفلا وقد طلق قدميه ورا غزالة يريد ان يصيدها وهي سايرة بين يديه في تلك السباسب . تطلب الاتساع وهو وراها مثل الشهاب الثاقب . حتى مسكها من قرنيها والبدوي ناظر اليها واذا قد طلع من وراه عشر فوارس متسربلين بالزرد النضيد على خيول يقطع مفاوز البيد وقدامهم فارس كانه صخر الجلاميد والى جانبه فارس اخر يقاربه في الهيبة والمنظر وكلهم الي الرجل طالبين ولاثره متبعين فلما نظر الاعرابي الي حسن لباسهم وجودة افراسهم وقلة عددهم مال اليهم طامعاً في اخذ ما عليهم واما الفرسان القادمين فكانوا قد نظروا الي الناقة والهودج في تلك الارض واسير مشدود علي جواده بالعرض فوقفوا في جوانب ذلك البر الاقفر وتقدم فارس منهم ليعترف حقيقة الخبر واراد ان يسال البدوي عن حاله فصاح فيه صيحة منكرة وقال له يا ويلك من تكون من فرسان العرب انتسب ان كان لك نسب قبل ان يحل بك العطب

الكتاب الخامس عشر من
سيرة عنتر بن شداد
العبسي

فعند ذلك زاد بالفارس الغضب وصرخ فيه صرخه كاد عقله يستاب وناداه وبلك ما اعمى قلبك عن معرفة فرسان العرب * وما اقل خبرتك بكل فارس منتخب ان كنت ما تعرفني انا اعرفك باسمي انا فارس الجلاد . والصابر لوقع السيوف الحداد انا مفرج الكروب الشداد حية بطن الواد والقادح النار من غير زناد ابن البيت الرفيع العماد والكريم الاباء والاجداد واشجع من ركب الجواد الامير عنتر ابن الامير شداد فمن انت يا احقر العباد ونسل الاوغاد ومن هو هذا الاسير الذي على ظهر الجواد ومن هذه الحرة التي تصيح وتكثر التعداد وتطلب لها نصير من قيدها والانقاد فعند ذلك قال له البدوي وقد اهتز على جواده طربا وقال عجباً اهلاً وسهلاً بحامية عبس ومرحبا بمن هو اسود الشمائل وابيض الخصائل اني قد اتيت اليك قاصد والى نحوك وارد فقد قرّب الله خطك وانا الان متمنالك ثم انه اخبره بما جرى له من امر خطبته وعاد اليه شرح قصته فقال له عنتر ومن هذا الاسير الذي

Digitized by Google

محلك مشدود • وعلى جواده مجهود فقال له هذا مولاك وابن مولاك الذي الحقك بالنسب وادخلك في الحسب وتركك تذكر بين سادات العرب مالك بن الملك زهير بن جذيمة صاحب الاخلاق الكريمة والهمة العظيمة ❋

قال الراوي فلما سمع عنتر هذا الكلام صارت عيناه مثل الجمر في الظلام • فحار وانبهر واخذته الفكر واذا ببسطام قد اقبل اليه • وصار بين يديه • وساله عن الحال . فاخبره عنتر بما سمع منه من المقال فقال له بسطام لله درك من فارس. يا ابا الفوارس .ما اخبرك بالامور • وعواقب الايام الدهور. لانك حسبت هذا الحساب . وقرات عنوان الكتاب ❋

قال الاصمعي وان السبب في ذلك لما رجع عنتر وبسطام والعشرة فوارس من بني شيبان الى ديار بني كندة من خوفهم على بني عبس ان يلحقهم لاحق . او يحصل لهم عايق فوجدوا القوم مشتغلون بمصايبهم عن غيرهم من العربان . فاقاموا باقي يومهم وليلتهم مكمنين في ذلك المكان. الى ان اصبح الصباح واضا بنوره ولاح فالتفت عنتر على اخيه شيبوب وقال له جد بنا في قطع هذه الهضاب . لتقتفي اخبار قومنا حتى يكونوا خرجوا من ارض الرباب • لانني خايف عليهم من صروف الزمان . وطوارق الحدثان وبعد ذلك نرجع بامان ونطلب ديار بني شيبان ففعل شيبوب ما امره به عنتر. وتبعه بسطام بن معه من العسكر

وعلم ان غاية عنتر بذلك . هي من شدة وجده الي عبلة ابنة مالك . حتى انه لايزال قريباً من ديارها . يقتفي اخبارها ويتنشق من روايح اثارها اذا هبّت الارياح بتذكارها لان عشاق العرب والمتيمين قد جرت لهم في ذلك عوايد . ذكروها في الاشعار والقصايد وكانوا ينتفعون بالنسيم اذا هبّ من ارض الحبيب . انه يداوي مرض قلوبهم بمنزلة الطبيب واذا راوا نار المعشوق في دجى الليل الداجي . ارتجوهُ مثل الراجي . كما قال الشاعر المفتون . قيس بن الملوّح الملقب بالمجنون

اذا اضرمت ليلي على البعد نارها اشير اليها بالبنان مسلّما
وان اخمدت عند الصباح اعدتها بزفرة نيراني لهيباً تضرّما
وتبرد انفاسي اذا ما تنفست نسيم الصبا في الليل من جانب الحما

قال الراوي وما زالوا سايرين . والي اخبار قومهم متطلبين الى ان قطعوا ارض الرباب * وتلك الاراضي والهضاب وقد ذهب ما كان في قلوبهم من الغم والانقباض * والتقوا بالفارس المذكور المسمّى بفياض وجرى لعنتر معهُ ما جرى لما سمع حديثه وقصته . وعلم انه قد جا لطلب معرفته . وراي الى مالك بن المالك زهير . مشدود على ظهر فرسه وهو في غاية الضرر والضير . فلما راه على تلك الحالة عظم عليه الامر . وصارت عيناه في ام راسه من الغيظ مثل الجمر . فقال له يسطام دعني وهذا القرنان . قال عنتر لا والله ياابا اليقظان . ما يشفي

فوادي غير هذا الصارم اليمان فما فيكم من يتقدم اليه . حتى لايقال عنا لولا المكاثرة ما قدرنا عليه ❋

ثم انه عاد الى قتال فياض . بقلب اجرى من تيار النهر اذا هاج وفاض واخذا في المصادمة والاعتراض . وطلع عليهما القتام حتى اسود ضو النهار في اعينهما بعد البياض ولمعت السيوف في الغبار مثل البرق عند الايماض . وكان اوقع المضارب هوي واستيقاض ولما راى شيبوب الى ذلك الحال . وقد اشتغلا في الحرب والقتال اطلق رجليه نحو الناقة والهودج وسار اسرع من الطير . وتامل في المشدود لينظر من هو من الناس واذا به مالك بن الملك زهير . وهو يأنّ من شدة الجراح ويتحسر . وينادي ابن عينيك تراني يا عنتر ويذم الزمان الذي اوقعه بيد ذلك الصعلوك . وهو ملك من ابناء الملوك فدنا منه وحل شداده . واعاده الى ظهر جواده وجعل يقبل يديه . ويسالهُ عما جرى عليه . فحدثهُ بالقصة من اولها الى اخرها . واطلعهُ على باطنها وظاهرها . ثم قال لهُ اطلب بنا مكان القتال . حتى اشفي فوادي بمصرع هذا اللئيم ابن الانذال وما زالا حتى اشرفا على معمعة الميدان . وابصرا عنتر وفياض مع بعضهما في اشد ضراب وطعان وقد جرى بينهما من الحرب ما حير الفرسان . واعجز عن وصفهِ اللسان الا ان عنتر كان قد اتعب خصمه وضربه بسيفه البتار . واذا براسه عن جسده قد طار . وانطرح كانه الجذع

المدد في تلك القفار وخرج عنتر من تحت الغبار . وهو يهمهم مثل الاسد الاكول . وانشد وجعل يقول

اقول لخصمي وهو يبحث باليد　　وقد مال كالبرج الرفيع المشيد
هنيئاً لك الكاس الذي قد شربته　　فمات عنتر الغد غير موسد
انا عنتر الكشاف كل كريهة　　مبيد الاعادي بالحسام المهند
بي تفخر الفرسان في كل معرك　　وتخضع لي الشجعان في كل مشهد
سموت على كل الانام بصارمي　　ورمحي وصبري في الوغى وتجلدي

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعره . دنا من مالك وضمه الى صدره وعانقه عناق الحبيب المشتاق . وتراى لديه ترامي العشاق . وهناه بالسلامة من الاسر والوثاق . واظهر له ما بقلبه من لواعج الاشواق . وقال له والله يا مولاي يعز علي ما قد جرى عليك . وما وصل من الشر اليك . فلا كان يوماً تصل اليك فيه يد الزمان . وعبدك عنتر راكب على ظهر الحصان . فشكره مالك وقال والله يا ابن العم انك لنعم الرفيق . واجل شقيق وصديق . فغيب الله من يبعدنا عن طلعتك . ويلسج في ابعادك عنا ويحرمنا انسك ورويتك . ثم انه حدثه بما جرى بينه وبين اخيه شاس من اجلو على التمام . وكيف غضب شاس على مالك ابو عبلة وما جرى بينهما من الحديث والكلام ومسير الامير شاس في اكثر الابطال . طالب الاهل والاطلال . وفي صحبته الامير شداد . مع عروة بن الورد وزخمة الجواد . وكيف

قل عليهم الزاد . وخروجه الصيد في ارض الرباب وما جرى بينه وبين فياض والجارية من الاسباب . الى ان التقاه وخلصه مما كان اعتراه هذا وبسطام قد تقدم الى مالك . وكذلك شيبوب والجماعة التي كانوا هنالك . وهنوه بالسلامة من المهالك وقال له عنتر الراي عندي يا مولاي ان تعود من وقتك الى بني عبس . وتلحق بهم قبل غروب الشمس . ولا تذكر لهم اني ابصرتك . ولا انك أسرت وخلصتك . بل تقول لهم انك كنت في الصيد والقنص . وانتهاز الفرص . فامسى عليك المساء وانت في غاية التعب . فوقعت في حي من احياء العرب . فحلوا عليك وانزلوك . واضافوك واكرموك . حتى لا تنحط منزلتك عند اهل الحلة ولا يلومك احد بالجملة ولا يقول عمي مالك اني ما قدرت اصبر على عبلة . واني تبعت اثارهم في الطريق من شدة الاشتياق ونيران الحريق وانا وحق زمزم والمقام . والمشاعر العظام . ما فعلت هذه الفعايل . الا خوفاً عليك من بني كندة الانذال . ثم انه بعد ذلك . اطلق الجارية التي استجارت بمالك . واعطاها الناقة والسلب . وهناها بالسلامة من العطب . وقال لها سيري في زماني واماني . ولا تخافي من كل قاصٍ وداني . فلو تعرض لك كسرى هدمت . ايوانه واهلكت جنوده وفرسانه . فعند ذلك قبلت رجله في الركاب واثنت عليه وعلى من معه من الاصحاب واشارت تمدحه بهذه الابيات

وقيت كل فجايع الايام ... وبقيت محروساً مدى الاعوام
وغدوت ذو راي يضي تزدهي ... انوار بهجته لكل ظلام
ياعصمة من كل خطب فادح ... اصبحت عن كل الانام تحامي
لازلت في درج المعالي راقياً ... ومسلماً من صرف كاس حمام
وتبيت فرداً لايرى الك ثانياً ... بين الانام وجد سعدك سام

قال الراوي هذا وبسطام قد تعجب من قول عنتر. وعلم انه يفعل جميع ما يقول واكثر ثم ان مالكاً عاد طالباً ارض الرباب وعنتر وبسطام من وراه خوفاً عليه لا يصاب. الى ان وصلوا الى تلك الهضاب. وهم عنتر ان يعود واذا بالطير يحوم على تلك المنازل والرسوم. والوحش يعوى فى اقطار الفلا. ويجول في طلب اجساد القتلا. فقال عنتر لمالك والله يامولاي ان هذا بئس الفال. وامر يدل على الهلاك والوبال. وما خوفي الاّ على بني عبس ان يكونوا قد أصيبوا بعدك باعظم مصاب. واتفق لهم امر لم يكن في حساب فقال مالك بن زهير صدقت والله يا ابا الفوارس اني اعلم ان لجاج عمك لا يودّي الى خير. ولا بد ان يحل به البلا والضير ولولا ذلك ما كان ترك اهله والتجا الى الغير واني اشتهي من اله السماء وخالق النور والظلماء ان يكون عمك من جملة القتلا في هذه البيداء *

ثم انهم تقدموا قليلاً فوجدوا القتلا مطرحين في ساير الجنبات. والدم قد غير الوان النبات. والرماح محطمة. والسيوف مثلمة.

والاجساد على بعضها مكوّمة . فعندها صاح عنتر وآحرباه
قد صح هذا الخبر والله ما بقيت ارجع من هنا حتى اعرف لعبلة
اثر ثم انهم نزلوا جميعاً وصاروا يقلبون القتلا ويقولون هذا فلان
وهذا فلان . الى سمعوا صوت نزاع وانين . يدل على ان
صاحبه قد اشرف على الهلاك المبين . فتبينوه واذا به مالك
ابو عبلة وهو مجروح . وعلى وجه الارض مطروح . وقد صار
جسده بلا روح . ودمه قد اختلط بالتراب * والطير يتهافت
عليه كتهافت الذباب على الشراب * فنادى شيبوب الى اين
تمضي يا اخي في هذه الفلاه . وعمك مالك ملطخ في دماه . وقد
لاقاه الله ببغيه وجازاه . فلما سمع عنتر من اخيه هذا المقال *
تقدم اليه بمن معهُ من الرجال . فراوهُ في اسوء حال . فشدوا
جراحهُ ورشوا على وجههِ الماء ففتح عينيه . فابصر مالك بن
زهير وعنتر ابن اخيه من حواليه . وقد دبت الروح في جسده
وعاد اليه عقله ورشده . فقال له عنتر والله يا عماه من هذا الامر
كنت خايف عليك . وكنت اتقرب بكل ما اقدر بهِ من
الخير اليك * وانت تركب معي طرق اللجاج حتى اوقعك الله
في هذا العذاب والانزعاج . فرد عليهِ بصوتٍ خفيف * من قلبٍ
ضعيف . يا ابن اخي قد مضى ما مضى . وانتهى الماضي وانقضى
وما عدت من الان وصاعداً . افارقك ابداً ومن هذا اليوم
ندمت في لك قلبي . وكبدي * وعرفت اني كنت عليك ظالم

ومعتمدي . واين ما ذهبت القى الذل والهوان. فارحمني واحملني الى بني عبس وعدنان * حتى اكون الك من جملة العبيد والاعوان. ولا بقيت اسمع فيك كلام انسان. فقال له عنتر حبًّا وكرامة * ابشر يا عم بالخير والسلامة . ولكن مرادي ان تخبرني من الذي فعل بكم هذه الفعال. واين ابنك عمرو وابنتك عبلة وباقي الرجال . فقال يا ابن اخي الكل في قبضة انس بن مدركة الخثعمي الفارس الصنديد . وقد التقينا به نهار امس في هذه البيد . ومعه الف فارس من بني خثعم ونحن في اشد ما يكون من التعب الشديد. وكان الامير مالك واكثر الفرسان اصحاب الخيل الجياد . قد انفردوا في طلب الصيد والقنص بين التلال والوهاد . فدار من حولنا بالمواكب * وفرّق علينا الخيل من كل جانب * وترك رجالنا كما ترى مبددين في جنبات الصحرا . وساق الباقي معه اسرى * ومازلت اقاتل عن زوجتي وابنتي وولدي * حتى عملت الرماح في جسدي . فوقعت على وجه الارض وليس لي منقذ ولا معين . ولولا قدومكم عليَّ كنت من الهالكين *

قال الراوي وكان الذي فعل بالقوم تلك الفعال . وفتك في الرجال والابطال. فارس لا يقاس بالفرسان . وبطل تبطل عند قتاله حيل الشجعان. وكان يقال له انس بن مدركة وهو من بني خثعم. وكان موصوفاً بالفروسية والكرم. والفصاحة

وفاز بالمغنم . فاتفق انه خرج ذات يوم مع قومه للغزو والمكسب كما جرت في مثل ذلك عوايد العرب فقطعوا القفار . وسلكوا المفاوز والاوعار . فالتقوا ببني عبس وهم راجعون من بني كندة وتلك الديار * فعند ذلك صاح انس في بني عمه وقال لهم قد اتانا التوفيق وبلغنا المآرب * وتيسرت علينا المطالب * ثم انه استقبل القوم بطعن خارق . وضرب اشد من نزول الصواعق . وصار ينثر الفرسان . ويجندل الاقران . في ساحة الميدان وفي دون ساعة فتك وظفر . فقتل مَنْ قتل وأسر من أسر . وكان قد حصل لعبلة من الغم والكدر . ما لم يحصل على قلب بشر فامتنعت عن اكل الطعام . واحترمت لذيذ المنام . وصارت الدنيا في عينيها مثل الظلام . نظرًا لفقد ابيها . ومن يلوذ فيها . وكان انس لايفارق شرب المدام . فاقام في ذلك المكان الى ثالث الايام . فاكل وشرب الخمر مع الابطال . وهو فرحان بما قد حاز من الاموال . وما زال كذلك حتى مضى من النهار الاكثر . وكان بنو عمه قد وصفوا له فصاحة عنتر . وما قاله في حق عبلة من الشعر المفتخر وذكروا له لثمها واعتدالها . وظرفها ودلالها . فقال لهم انها تلمع لكم الف مرة . لا تصفوا لي احد من النسا لا امة ولا حرة . ولا تذكروا لي سوى اخبار الحرب * ومواقع الطعن والضرب * وما جرى بين الشجعان والابطال . في معامع القتال * ومواقف الاهوال

وما هو الغرام . عند الحرب والصدام . وكيف يجوز للرجل ان
يسلم قياده . ويملك الى غواني النسا زمام فواده . وحق ذمة
العرب . وشهر رجب . ان الم الجراح . وطعن الرماح . وصياح
الفرسان في معمعة الكفاح احب الي من ذكر النسا الملاح .
ثم انه صبر الى ان انصرم النهار . فهجع ساعة من الليل وبعد
ذلك سار بقومه بطلب الديار . وما زالوا مجدين السير وهم
يقطعون البراري والقفار . والسهول والاوعار * والعبيد
تسوق الخيل والجمال . والغنيمة والاموال . حتى طلعت الشمس
على الروابي والتلال * فامر في النزول على امياه بني هلال .
وكانت عبلة لم يغمض لها جفن في ذلك الليل الطويل . وهي
مواظبة على البكا والعويل . والندب بالويل والتنكيل . لانها
قد آيست من ابيها . وابن عمها واخيها . وكان انيس بن
مدركة قد سمع بكاها وصياحها . وعويلها ونواحها . فالتفت
على بني عمه وقال لهم من تكون هذه الجارية التي كانت تبكي في
جنح الظلام الهادي . وتندب كانها حمامة الوادي . فقالوا ايها
السيد العظيم . والبطل الكريم . هذه الجارية هي التي في مجلسك
قد ذكرناها . وشرحنا لك امرها ووصفناها . فما راينا قط افرح
من قلبها . ولا اكثر من حزنها وكربها . ولها الان نحو يومين
ما ذاقت من الزاد . ولا هدأت من النوح والتعداد . ولا شك
انه يكون قد قتل لها من يعز عليها . اما يكون اخوها او لحمة

من والديها . فقال لهم بالله عليكم يا بني عمي احضروها امامي
حتى انظرها . واكشف عن حقيقة خبرها . واطيب خاطرها
وقلبها . حتى يسكن روعها ورعبها . فعند ذلك احضروها الى
بين يديه . واوصلوها اليه وكشفوا البرقع عن وجهها فنظر
الى طلعتها . وحسن صورتها . ورای دموعها تسيل . من طرف
كحيل . ذات حسن وكمال . وقد واعتدال . تسبي عقول
الرجال . فلما راها خفق فواده من شدة البلابل . وخيل له انها
رشقت فواده في نبال . وكان انس منكي من تعب السفر فجلس
وقد تغيرت احواله . وزاد عشقه وبلباله . وقال لها ويلك اما
تقلي من هذا البكا والانتحاب . اخبريني هل قتل لك احد من
الاهل والاصحاب . فقالت له وقد زاد حزنها وغمها . وسترت
وجهها بفاضل كمها . قد قتل ابي في هذه الوقعة . وكانت
بسببه هذه الفجعة . وقد تجرعت من الغصص الف جرعة . ثم
انها القت نفسها الى الارض وقد علا نداها . وزاد زفيرها وبكاها
وكثر عويلها وبكاها . فتلق انس لاجل شكولها . وقد تمكن
قلبه في حبها وهواها . فالتفت على من حوله . من اصحابه
واهله . وقال لهم اعلموا ان هذه الجارية قد افتتني بلحظها المكسور
فامسى قلبي وهو في يدها ماسور . وكان لا يعبا بهذه الامور . ولا
يعرف حاسيات الغرام . فانقاد الان الى سلطان الهوى حتى صار
له من جملة الخدام . والان مرادي ان تحضر والي امامها حتى

اطلبها لنفسي واخطبها . والا هلكت زوجي بسببها . وان امتنعوا فليس لهم خلاص . الا التهديد والقصاص وبعد ذلك افعل بهم ما اريد . ولا اخاف من كل جبار عنيد . ولما انتهى من كلامه احضروهم الى بين يديه . فوقفوا امامه وسلموا عليه . فاعاد عليهم الحديث والايراد . وخطب منهم عبلة بنت مالك بن قراد فقالوا له انه يكون لنا في ذلك الشرف الاكبر والحظ الاوفر . لانك صاحب الفضل والاحسان . والذكر العالي الذي شاع بين العربان غير انه لا يخفاك ان هذه الجارية امرها بيد اخيها عمرو بن مالك . ونحن لا نخالفه في ذلك

قال وكان عروة بن الورد واقف بجانب عمرو اخو عبلة . وكان بين الرجال من الجملة فقال له مرادي يا عمرو اشور عليك برأي يكون لنا فيه الخير والاصلاح وبلوغ الارب والنجاح قال عمرو وما هو يا ابي الابيض . اشير به علي لعله ياتي في المرضيات عرض فقال له ان اردت ضرب رقبته . وسلب نعمته . وهلاك اهله وعشيرته زوجه باختك ودعه يتمنى عليها من ساعته فلعل الله يرسل اليه عنتر فيصرم عمره . ونخلصنا من شره ويكفينا امره لانك قد جربت احزانها وافراحها وعرفت لعراسها وافراحها قال عمرو يا عروة الى ونمة العرب من هذا الامر حيران لاني اخاف ان انا امسكت زواجها الى هذا القرنان اخاف من عنتر ان ياتي الينا في هذا

المدابر فهنأني ولو كنت في حجر الملك النعمان او كسرى انو شروان وان لم انعم له بذلك اخاف ان يسقيني كاس المهالك فقال له عروة تزوجه بها واترك المداراة بشرط ان لا يدخل عليها في هذا المكان الا عند وصوله الى الاوطان واعلمه انها متزوجة بابن عمها عنتر فارس البدو والحضر واطلعه على هذه الامور والاسباب لعل ياتي لنا في العرضيات ما لم يكن في حساب وانا الضامن لك انه يكون عليه يوم عبوس . ونكون في علمه ابشم عروس . فيهبط برج سعده ويكون طالعه منحوس *

قال الراوي ولما ابطا عمرو بالجواب زاد بانس القلق والالتهاب هذا وجميع الحاضرين يشوروا عليه بالزواج وهو باهت فقال له انس هل لا تريد ان تكون اختك زوجة لي واكون لها بعلا اما انا كفوء لها من الغير واولى واحق بها من كل امير وولي لما سمعت بالخبار وعلو منزلتي ورفيع قدري وعظم شاني فقال عمرو نعم اني قد سمعت وعرفت وانت بالحقيقة فوق ما وصفت ولكن اعلم ايها الامير والسيد الخطير ان هذه الجارية كان ابوها قد زوجها بابن عم لها فيما مضى وقبض مهرها وانتهى الامر وانقضى ثم ندم بعد ذلك وحسّن له الشيطان جحودا الجميل والاحسان وما زال يهرب بها من مكان الى مكان الى ان كان ما كان وانا يا مولاي من

عاقبة هذا الامر فزعان واخاف ان زوجتك بها ورجعت الى الاوطان فياتي ابن عمها يقتلني دون كل انسان ولو احمي لي كل من في بني عبس وغطفان وفزارة وذبيان لانه آفة من آفات الزمان وطارقة من طوارق الحدثان لا يقاومه فارس في الميدان ولا يلقاه احد من جبابرة العربان فقال له انس وقد استشاط غضباً من كلامه ويلك يا خبيث ومن يقال لهذا الفارس الذي وصفته بحضرتي حدثت عنه بهذه الصفات والاحاديث فلاشك انك قليل الخبرة بفرسان العرب وابطالها وساداتها واقيالها قال عمرو ايها الامير هو الاسد الواثب . والليث الغالب . فارس المشارق والمغارب . الذي قتل خالد بن محارب . وانزل على قومه البلا والنوايب وجلاهم في ثياب الحزن والمصايب . وقد افنى الابطال ومزق الكتايب وخضع لسيفه كل ماشي وراكب صاحب المهر الادهم . والرمح المقوم والسيف المخذم الذي فاق بشجاعته فرسان العرب والعجم فقال انس قد خبرتني بوصف هذا الفارس . والقرم المداعس . ولكن ما بينت لي اسمه ولا كشفت لي عن رسمه قال يا مولاي هو البطل الجواد . الذي قهر بسيفه الابطال الشداد . واذل برمحه جميع فرسان العباد . حية بطن الواد . القادح النار من غير زناد . حامي قبيلة عبس وآل قراد . الامير عنتر بن شداد . وما ذكرتك عنه الا وانا صادق في المقال . ولبس سيفي وصلى هذا

زور ولا محال *

قال الراوي فعند ذلك التفت انس على القوم الحضار . وقال لهم هل فيكم احد سمع باسم هذا الرجل الجبار الذي قد ازعجني بذكره هذا الغلام واوقد في قلبي منه لاز شديدة الاضطرام فقال له شيخ من الحاضرين وكانت قد مرّت عليه الايام والسنين اعلم يا انس اني قد سمعت بحديثه من مدة اعوام حدثني به رجل صادق في الكلام وذكر لي عنه انهُ فارس اسمر شديد الباس لطيف المحضر ليس له شبيه في فرسان المغرب * قد ذلت له رقاب الملوك واصحاب المناصب والرتب وما ازوجه عمه بابنته الا فزعاً منه خوفاً من القتل والعطب لانهُ القاه في كل مصيبة وعاد منها في بلوغ الامال والارب ولما لم يعد له على المحاولة امكان ما كان منهُ الا انهُ هرب بها من مكان الى مكان وقد زوجها ما ينوف عن عشرين مرة بفرسان العربان ولم يتميز لها امر ولا شان وكان قد زوجها اخيراً بمسحل بن طرّاق فارس بني كندة وتاك الافاق فالتقاه في الطريق فقتله واعدمهُ السعادة والتوفيق وتركه ملقىً على الارض كانهُ الفنيق وقد تخلا عنه كل رفيق وصديق وخل وشفيق واب وشقيق وكل من طلب ان يتزوج بها او يتعرض لها كانت سبب منيته بلا تعويق والراي عندي ان لا نتعرض لهذه العروس لاني تاملت في كعب رجلها التي فيه ندوس *

واذا فيه تدويرٌ فعلمت ان طالعهُ منحوس ❋

قال الاصمعي فلما سمع انس من الشيخ هذا الكلام زاد بهِ الوجد والهيام واخذ فواده القلق وهام والتفت على بني عمه وقال وحق البيت الحرام والركن والمقام انني من حين انتشيت ما ذقت طعم العشق والغرام وما دخل في قلبي غير حب هذه الجارية التي ليس لها مثيل في نسآء عرب البادية الا ان هذا الشيخ قد انساني حبها وهمها نظرًا لما ذكره لي من صفات ابن عمها لانى كما تعلمون احب ملاقات الفرسان ومبارزة الاقران والشجعان والراي عندي ان تبقى هذه الاسرا في الاعتقال والجارية بين الحريم والعيال الى ان ياتي ابن عمها بالرجال والابطال . ليخلصها من الاسر والنكال فحينئذٍ يُعرَف الشجاع من الجبان . اذا اختلفت بيننا مواقع الضراب والطعان ❋ ثم امر باكرام عبلة وخدمتها . تعظيماً لمقامها وحرمتها . وقال في نفسو ان كانت هذه الجارية هذه حالتها وهي في هذا الشقا والحزن . وقد البسها الله عزَّ وجل ثياب الحسن . فكيف اذا طابت نفسها وشبعت من الزاد صباحاً ومسآء . ولبست الثياب البهية وابصرت حكمها في الرجال والنساء ❋

قال الناقل ثم انهم رحلوا من ذلك المكان . وجدوا في قطع البراري والقيعان . حتى مضي نصف النهار . وكانوا قد

Digitized by Google

قطعوا اكثر القفار . واذا بغبار من خلفهم قد ثار . حتى سد منافس الاقطار وبعد ذلك تقطع وانكشف عن فرسان مسرعة وغبارها كالضباب مرتفعة . فقال انس الى بني عمه اكشفوا لنا خبر هذه الغبرة الطالعة . والفرسان الغابرة المتتابعة . وهل تحتها مال ننهبه . او ظعن نكسبه . وناخذ منه سلبه . فعند ذلك تسارعت ماية من الفرسان * طالبة ذلك المكان *

قال الراوي وكان تحت ذلك الغبار الذي ظهر في ذلك البر الاقفر ابو الفوارس الامير عنتر . فارس البدو والحضر * وبسطام سيد بني شيبان الاسد الغضنفر . وكان السبب في ذلك ان عنتر لما سمع من مالك ابو عبلة ذلك المقال . وابصره على تلك الحال . وعلم ان انس بن مدركة هو الذي فعل بهم هذه الفعال نهم كما ينهم الاسد الريبال * وترك شيبوب عند عمه مالك مع فارسين من بني شيبان . وقال لمالك بن زهير اقم يامولاي في هذا المكان . الى ان نمضي ونخلص اصحابنا ونعود اليكم ونطلب الاوطان . لانك منزعج من الم الجراح . واني اخاف عليك من غاية الحرب والكفاح . ثم قال الى بسطام اركب يااخي انت ورجالك من هذه الخيول الشاردة . حتي ترتاح خيلنا فنركبها في وقت الحرب والمجاهدة وان شيت نرجع من هنا الى اهلك ونعود . فافعل وانت على هذه الحالة مشكور

مجهود . لاننا قد اتعبناك معنا وبذلت في خدمتنا المجهود . فقال بسطام . وحق الاله الباقي على الدوام . الذي خلق الارواح والاجسام . وافرق ما بين الحلال والحرام . ان خدمتك واجبة عليّ مدى الدهور والايام قد اوجبتها على نفسي مثل الحجّ الى بيت الله الحرام وزمزم والمقام فوالله اني لا افارقك ابداً . ولو شربت كاس الردى . حتي تنتهي قصتك . وتزول عنك غصتك * وتدخل بزوجتك * وبعد ذلك ارجع الي اهلي عن خدمتك * فقال له عنتر لاعدمتك من حبيب وصديق * واخ ورفيق . وانا اقول ان قصتي قد هانت باذن الله السميع القدير وما بقي منها الا الشي اليسير . وانشاء الله عند الصباح ادرك القوم وابذل السيف فيهم . واخلص عبلة وقومها من بين ايديهم *

قال الراوي ثم انهم ركبوا من الخيول الشاردة كما امرهم عنتر وساروا من وقتهم خلف القوم يقتفون منهم الاثر . حتى اشرفوا عليهم كما ذكرنا في ذلك البر الاقفر . فتاهبوا للحرب والجلاد . وفي اوايلهم عنتر بن شداد . وابصر بسطام الخيل قد انتشرت لاجل كشف الاخبار . فقال لعنتر وحق ذمة العرب الاخيار . دعني الى لقآء هولآء الاعادي . حتي اشفي منهم غليل فوادي . لانهم ليس باكثر من ماية فارس . فان كنت خلف ظهري التقيتهم بهمتك وانزلت بهم الوساوس . فتبسم عنتر من كلام

بسطام . وقال له افعل ما تريد ايها البطل الهام . والاسد الضرغام . لانك قد اقسمت عليَّ بذمة العرب الكرام . وانها والله عندي اعظم الاقسام . فعند ذلك اطلق جواده ذات النسور واستقبل القوم وكانوا مقبلين نحوه مثل الصقور . وكان في اوايلهم فارس من فرسان بني خثعم . يقال له مبادر بن غشم . وهو ابن عم انس بن مدركة الذي على السرية مقدَّم . فسمعهُ بسطام وهو يقول ويلكم اخبرونا من انتم من اوباش العربان . ومن اين اقبلتم الى هذا المكان . قبل ان تطير روسكم عن الابدان . وتضحى جثثكم فريسةً للوحوش وكواسر العقبان . فلما سمع بسطام منهُ ذلك الخطاب . انقض عليه انقضاض العقاب . وطعنهُ بسنان الرمح في صدره . خرج يلمع من غفارة ظهره . فوقع عن ظهر الحصان . وانطرح قتيلاً على بساط الصحصحان . وابصرت جماعته تلك الطعنة فبادروا اليه كأنهم الاسود الكواسر . وهم ينادون وآسفاه يامبادر . ثم انهم انطبقوا على بسطام في تلك البطاح . وقد اكثروا من الصريخ والصياح وهم يقولون لبعضهم بعض دونكم وهذا الطنجير . خذوهُ اسير . وقودوهُ الى حضرة ابن عمكم قود البعير . حتى انهُ يقتلهُ بثار ابن عمه . ويشفي ما بقلبه من همه وغمه . فلما سمعوا هذا الخطاب * تشددت عزايمهم للطعان والضراب * فانقسموا قسمتين . وافترقوا فرقتين . وطلب عنتر سبعين فارس .

واحاط الباقي ببسطام مثل الابالس . فالتقاهم عنتر بجواده الابجر . كما تلتقي الارض العطشانة وابل المطر وصار ان ضرب شطر . وان طعن دثر . وما زال يطعن الخيل ويزرق بالطعن اجنابها . واذا ازدحمت عليه طيّر جماجم اصحابها . فولى من تبقّى امامه . وهم يتعوذون من وقع طعانه وضرب حسامه . وكان انس بن مدركة قد تبعهم في باقي الابطال . حتى اقترب الى معركة القتال . وكان عنتر في ذلك الوقت قد قضى الاشغال . وما سلم من السبعين فارس الذين كانوا يقاتلوه غير خمسة من الرجال . فولوا من بين يديه وهم يضربون اكفال الخيل . ويلتفتون الى وراهم من شدة ما حل بهم من الويل . فقال لهم انس ما حالكم . وما الذي اصابكم ونالكم . قالوا والله ما اصاب احدٌ مثل ما اصابنا . ولو اننا ثبتنا قليلاً كانت ضربت رقابنا . وحل بنا ما حل باصحابنا . فقال وقد اندهش واعتراهُ الخبال . ويلكم هذا كلهُ جرى عليكم من عشرة رجال . قالوا لا وابيك ايها الفارس الريبال . ان الذي دهانا هو من رجال واحد من الابطال . ترتج من صدماته الاودية والجبال . وقد راينا منهُ اعظم الفعال . لانهُ كان يلتقط الفارس منا في عرصات المجال . فيضرب بهِ الاخر فيموتا الاثنان في عاجل الحال . وكان جواده يعينه على قتال الفرسان . وهلاك الشجعان . لانهُ كان يفتح فاه مثل الغول .

Digitized by Google

فيراهُ الفارس فتنحل عزايمه ويحل بهِ الخمول. فبينما هم كذلك
واذا بثلاثة فوارس قد اقبلوا من معركة الصدام . وهم من
جملة الثلاثين الذين كانوا في قتال الامير بسطام . فتلقاهم
انس وقد انقطع قلبه . وزاد بلاه وكربه . وقال لهم ويلكم ما
هذا المصاب . فقالوا له لا تطيل علينا في الكلام والخطاب .
ولا تزيد في الملام والعتاب . فقد راينا فارس كانهُ العقاب .
ليس له مثيل في قبايل الاعراب . فعند ذلك ابدى انس الضحك
من قلب الغضب . وانصدع فواده والتهب . وقال هذا والله
من اعجب العجب . وهذا هو الرجل الذي وصفهُ اليَّ الشيخ
انهُ طرق ديار كندة . في مائة فارس من اهل النجدة . وقتل
مسحل بن طرّاق . الذي يضرب بهِ المثل في الافاق . وقد
آليت على نفسي ان لم اقتلهُ لا اقرب زوجتهُ ولا اتزوج بها .
وها هو قد اتى في طلبها . ولو عرفت من الاول انهُ عنتر . لما
كنت سمحت لكم بالخروج اليهِ خوفاً من هذا الامر المنكر *
والان قد اقبل الليل واعتكر . وما بقي في الامر الاَّ اننا ننتظر .
وحينئذٍ ترون ما افعل بهِ في معركة الكفاح *
ثم انهُ عاد الى مكانه الاول . وقلبه يغلي بالنار كما يغلي الماء
في المرجل . وعزم على قتل الاسرا ليشفي منهم غليل فواده .
نظير ما فعل عنتر في عسكره واجناده . فمنعهُ عقلا قومه من
هذا المرام . وقالوا له ايها البطل الهمام . ليس هذا الامر بمشكور

ولا يحدث الا من الغافلين عن تقلبات الدهور. والراي ان تصبر الى الصباح وتبارز هذا الاسود . وننظر ما يتجدد . فاذا فاذا انتصرت عليه بباعك الشديد . فعلت به وبقومه ما تريد لان المثل يقول من لم يقدر العواقب . ليس له في الدهر صاحب * فلما سمع منهم هذا الخطاب . راه عين الصواب .

قال الراوي وكان قد بلغ الاسارى ما فعله عنتر في ساحة الكفاح . فوقعت بهم البشاير والافراح . وقد ظهر لهم وجه الخلاص . من شرك هذا الاقتناص . والتفت عروة بن الورد علي عمرو بن مالك . ومن اجتمع من بني عبس هنالك . وقال له اما قلت لك ان كنت تروم النجاة من الاسر والتهلكة . زوج اختك بانس بن مدركة . فها قد تمزق شمله في هذه البطاح وكساه عنتر ثوب الذل والافتضاح ومع كل ذلك لم تعقد عليه عقد النكاح ولو تكن قد انعمت بتسميتها عليه كما تسمى الرجال علي النساء . ما كان امسى عليه هذا المساء *

قال الاصمعي هذا ما جرى لهولاء من الايراد . واما ما كان من عنتر بن شداد فانه لما عاد بسطام اليه . ابصر الارض مفروشة بالدما والقتلا من حواليه . فتعجب وضحك حتى كاد ان يغشى عليه وقال والله ياسيد الابطال . كلما اردنا ان نحمل عنك بعض الاشغال . ونخفف عنك الاحمال والاثقال . نرك تسبقنا الي مواقف الاهوال . فلا زالت ايامك في هنا

وسرور . وغبطة وحبور . ما دامت الايام والدهور . فشكره عنتر على مقاله . واثنى عليه وعلى رجاله . وما زالوا يتحدثون في مثل ذلك . الى ان ذهب الليل الحالك . واقبل النهار الضاحك . فنهض انس في بني خثعم وغاص في الحديد . وتسربل بالزرد النضيد . وركب جواده . واعتقل بآلة حربه وجلاده . وتقدم الى ساحة الميدان . بمن معه من الابطال والفرسان وكان عنتر بن شداد قد ركب ظهر الجواد وطلب الحرب والجلاد واراد بسطام ان يسبقه ويتقدم فمنعه عنتر وقال له لا تغرر بنفسك فتقدم

م

الى هنا انتهى الكتاب الخامس عشر وسياتي تمام الحديث عن هذه الواقعة في الكتاب الذي يليه

Digitized by Google

الكتاب السادس عشر من سيرة
عنتر بن شداد العبسي

لاني اخاف عليك من نوائب الزمان . والا يشهد ركن بني شيبان . لان الشجاعة لايحة على اعطاف هذا القرنان . والفروسية تشهد له بثبات الجنان . والصواب ان ابرز اليه وانجز امره واصرم لكم عمره . فاذا ابصرتم قومه وانا معه في الصدام . حملوا عليّ كافوهم بحد الحسام . ثم انه حمل بعد ذلك على انس . وعيناه تتوقد من شدة الغيظ مثل القبس . فراه ينظر الى خلفه وبيده زرمحه على كتفه . وقد نبه جواده للحرب المهول . وهو ينشد ويقول

صبوحي ضرب جمجمة وصدر . وكاسي صارمي لا كاس خمر
وشربي من دم الفرسان صرفاً . على النغمات من بيض وسمر
وعادني اقتناص الاسد قهراً . من الغابات فاعلم ثم ادري
وقد اصبحت نشواناً طروباً . وقد كسر الغرام لهام صبري
لاجل غزالة صادت فؤادي . بطرف لواحظ كحلت بسحر
عبيلة في الفؤاد لها مكان . اهاج تقلقلي واطال فكري
وهذا اليوم اترك عبد عبس . قتيلاً في الملا بنهشة نسر
واترك في ديار بني قراد . عويلاً دائماً في كل فجر
واحظى بالفخار على البرايا . بقتلته ويعلو فيك قدري

قال الراوي فلما سمع عنتر شعره تعجب من عظم جهله . وكثرة عجبه بنفسه وقلة عقله .فصاح فيه وبلك يافرنان . اما سمعت بما جرى على غيرك من الفرسان .عند ذكر عبلة بالشفة واللسان .ومن حيث قد ذكرتها في شعرك . فسوف تلقى كيدك في نحرك .وتندم على عاقبة غدرك .فقال بلى والله ياعبد اللبام .قد سمعت بحديثك قبل هذه الايام .والك بعد رعي الجمال .أعطيت سعادة واقبال .فقتلت جماعة من صعاليك الرجال ثم خطبت ابنة عمك بالزور والمحال .واليوم قد ساقك الاجل الى فنائك .ويكون على يدي هلاكك ومنتهاك .وقد اليت على نفسي ان لا ادخل على عبلة حتى اقطع راسك وارغم انفك واخمد انفاسك .والان قد انتجز امري . وقبلت الايام نذري .وبلغت ما كنت اومله من دهري .ثم انه حمل بعد كلامه هذا على عنتر .وظن انه كمن لاقي من البشر .ولم يعلم ان عنتر فارس البدو والحضر .فتعجب عنتر من مقاله . واوسع معه في مجاله .وعلم انه اصبر من غيره على النوايب . واخبر بحوادث الامور والعواقب .من كثرة ما لاقي من مكايد الدهر والتجارب .فصال وجال . واجابه على شعره وقال .

اذا لعب الغرام بكل حر ٭ حمدت تجلدي وشكرت صبري
وفضلت البعاد على التداني ٭ واخفيت الهوى وكتمت سري
ولا أبقي لعذالي مجـالا ٭ ولا اشفي العدو بهتك ستري

عركت نوائب الايام حتى عرفت خيالها من حيث يسري
وذل الدهر لما ان رآني الاقي كل نائبة بصدري
وما عاب الزمان علي لوني ولا حط السواد رفيع قدري
اذا ذكر الفخار بارض قوم فضرب السيف في الهيجاء فخري
سموت الى العلى وعلوت حتى رأيت النجم تحتي وهو يجري
وقوم آخرون سعوا وعادوا حيارى ما رأوا اثرا لاثري

قال الراوي ثم انهما جالا في عرض البر. واخذا في الكر والفر. واختلفت بينهما المضارب بالسيوف اليمان. ووقفت الفرسان تنظر ما يجري لهما من عجائب الطعان. ساعة من الزمان. حتى صار الغبار فوقهما شبه الدخان. فغابا عن العيان. وكانا تارة يفترقان. وتارة يجتمعان. ثم يوسعان في بساط الصحصحان. وقد خابت فيهما الامال. وامتدت اليهما اعناق الرجال. وحامت على روسهما طيور الآجال. وافترق لسان الصدق عن لسان المحال. ولم يزالا في اشد قتال حتى تثلمت في ايديهما النصال. وتقصفت الرماح الطوال. وارتعدت خيلهما من الصهيل وقد اعتراها التعب والملال. وتطايرت من افواهها الزبد حتى صارت كانها مدافق الجبال. وابصر انس من عنتر ما لم يكن له على بال

قال الراوي ووصل الخبر الى عبلة في الخيم. ان عنتر في قتال انس بن مدركة سيد بني خثعم. فنادت من وسط السبي

باعلى صونها . وقد عاشت روحها بعد موتها . يا ابن العم لا
اذاقني الله فقدك . فما نشفت لي دمعة من بعدك . فجد الان
في قتال خصمك . واظهر قوتك وشدة عزمك . وخلص
جاريتك وابنة عمك فقد ساءت احوالها وفنايت اهلها ورجالها
وعاندها زمانها . وتشتت عن اوطانها وجفتها اهلها وخلانها .
فلما سمع عنتر نداها . تالم قلبه اشكواها . وصاح على انس صيحة
عظيمة ارعبهُ . واوهنهُ واتعبهُ . وكانا قد اعتركا واندمجا . حتى
انقطع منهما الامل والرجا . وصار النهار عليهما دجى مثم لاصقهُ
وضايقهُ . وسد عليهِ طرقه وطرايقه . ومد يده واقتلعه من ظهر
الجواد . ورفس حصانه برجلهِ القاه على وجه المهاد . فعند ذلك
ماجت فرسان خثعم وتجردت للممانعة . واحتشدت للمقارعة
والمدافعة . وهجمت كالبرق الخاطف . وزعقت كالرعد القاصف
واندفعت على عنتر كالريح العاصف . فالتقاهم بسطام بن
معهُ من الابطال . وصاح فيهم صيحة الاسد الريبال . وطعن
في صدور الرجال . وجعل ينادي احفظ اسيرك يا فارس
عدنان . وسيد ابطال هذا الزمان . فانا اكفيك شر بني خثعم
واسقي ابطالها كوس النقم وكان عنتر لما تمكن من انس بن
مدركة عول ان يكتفهُ ويلقيهِ على بساط المعركة . فدافع عن
نفسهِ وتمنع . لانه كان فارس سميدع . فضربه على كتفهِ بالسيف
المهند . القاه جريحاً على الارض كالجزع الممدد . ثم حمل

لمعاونة الامير بسطام . وجد في ضرب الحسام . ونثر الجماجم تحت الاقدام . وبذل فيهم سيوف الانتقام . هذا وقد ارتفع القتام . وبطل العتب والملام . وقل الخطاب والكلام . وكان يوماً عظيماً على القوم . لم يروى مثله من عهد الاسكندر الى ذلك اليوم . ورات الاعدا الى ضرب اشد من نزول الصواعق . وطعن يسابق مصائب الايام والطوارق . فانحلت منهم العزايم . وخيل لهم ان البركة رماح وصوارم . فهان عندهم ترك الاموال والغنايم . وتفرقوا في اقطار الفلا وطلبوا البر المتسع . واخذتهم نوافض الرعب والهلع . وما زال عنتر واصحابه لهم في التبع . حتى مزقوهم في تلك القفار . وقتلوا منهم ما ينوف عن ثلاثماية فارس كرار . وقتل من ابطال بني شيبان . ثلاثة فرسان . ثم رجعوا جميعاً . واتوا الى قومهم سريعاً . فحلوهم من السلاسل والاغلال . وهنوهم بالسلامة من شرك العقال . فانشرحت خواطرهم وزالت عنهم الانزاج . وابتهجت سرايرهم من السرور والافراح . واقبلوا على عنتر وشكروه . واثنوا عليه ومدحوه . وتقدم عنتر الى عبلة وسلم عليها . واظهر لها ما عنده من كثرة الاشواق اليها . وقال لها اتظني اني انساك . واغفل عنك ولا ارعاك . ولا اقفو اثارك واحفظك من العدى . ولو ان اباك من اهل الظلم والاعتدا . فبكت وقالت ان ابي قد احاط به الويل . فاضحى قتيلاً تحت حوافر الخيل . وناح عليه النهار

والليل . فوالله لا خلعت عني لبس السواد . ولا سررت في المواسم والاعياد . وما زلت اواظب على النوح والتعداد . حتى تأخذ لي ثارهُ . وتكشف عني عارهُ . فلما راى عنتر الى كثرة بكاها . تألم قلبهُ واوجعهُ شكواها . وقال لها يا ام بنية القلب . والروح التي بين الجنب . قلي من بكاك . فما ابوك الا سالم من كل ضير . وقد تركتهُ في مكان الوقعة وعنده اخي شيبوب ومالك بن زهير . ثم ان عنتر ارسل عروة بن الورد الى معركة القتال . لياتيهِ بانس بن مدركة في عاجل الحال . فسار عروة في جماعة من الفرسان . وتطلبوه في ذلك المكان . فلم يقفوا له على خبر . فرجعوا واخبروا الامير عنتر . فقال انني قد تهاونت في امره . وكان الواجب قتلهُ وقطع خبره . فقال عروة لا تندم على حياتهِ وبقاه . وهب انك اخذت هذه الاموال على خلاصه وفداه . لان هذه القبيلة من افقر العرب . وقد ساقها الله اليك من دون مشقة ولا تعب . قال الراوي وكان السبب في خلاص انس انهُ كان قد افاق من غشوتهِ . فراى السيف قد اهلك ابطالهِ وفرسان عشيرتهِ . فركب من بعض الخيول الشاردة في تلك الفلاة . وطلب لنفسهِ السلامة والنجاة . ثم ان عنتر بعد ذلك امر بسوق تلك الغنايم والاسلاب وساروا طالبين ارض الرباب وعنتر امام القوم كانهُ اسد الغاب . والى جانبهِ بسطام على جواده ذات النسور . وهو بغاية الفرح والسرور . ولما تمادى بهم السير والترحال تذكر

عنتر بما جرى عليهِ من الوقايع والاهوال. فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

صحا من بعد سكرتهِ فوادي وعاود مقلتي طرب الرقادِ
واصبح من يعاندني ذليلاً كثير الهم لا يفديهِ فادِ
يرى في نومهِ فتكات سيفي فيشكو ما يراه الى الوساد
الا يا عبلَ قد عاينت فعلي وبان لك الضلال من الرشاد
وان ابصرت مثلي فاهجريني ولا يلحقك عارٌ من سوادي
والا فاذكري طعني وضربي اذا مالج قومك في بعادي
طرقت ديار كندة وهي تدوي دوي الرعد من ركض الجياد
وبددت الفوارس في رباها بطعن مثل افواه المزاد
وخثعم قد صبحناها صباحاً بكوراً قبل ما نادى المنادي
غدوا لما راوا من حد سيفي نذير الموت في الارواح حاد
وعدنا بالنهاب وبالسرايا وبالاسرى نكبل بالصفاد

قال الراوي فلما سمع بسطام شعره . اثنى عليهِ وشكره وقال والله ياحامية عبس وعدنان . ومن هو نادرة هذا الزمان . لقد كملت فيك الشجاعة وفصاحة اللسان . وحزت غاية المجد ورفعة الشان فشجاعتك لا توصف ولا تحد . ولفظك اعذب من الشهد واعبق من فتات المسك والند . فلا زالت ايامك في سعود . ونجمك فوق هام المجد معقود . ثم انهم جدوا في قطع الهضاب . حتى اشرفوا في ثاني الايام على ارض الرباب . وابصر شهبوب

غبارهم فانحدر اليهم مثل العقاب . والتقى باخيه عنتر الفارس المهاب . ورأى تلك الغنايم والاسلاب . ففرح بسلامتهم واستكشف احوالهم . فاخبروه بقصتهم وما جرى لهم . فسأله عنتر عن عمه مالك بن قراد . قال قد بدا اصلاحه وصار ياكل ما يشتهيه من الزاد . ويركب على ظهر الجواد . ثم ساروا حتى وصلوا الى تلك الارض . وسلموا على بعضهم البعض . ودارت فرسان عبس على مالك بن زهير . وهنوه بالسلامة من الالم والضير . وبعد ذلك تقدموا الى نحو مالك ابو عبلة وسلموا عليه بالجملة فقال اشهدوا عليّ ياسادات عبس وعدنان ومن حضر في هذا المكان باني عتيق سيف ابن اخي عنترة الفرسان لان له عليّ حقاً قديماً وفضلاً جسيماً وقد اصنعت له التقصير من البغض والتكدير وبعد هذا اليوم لم عاد يقع مني في حقه حقد ولا جفا الا المحبة وحفظ العهود والوفا لانه قد صار عندي بمنزلة العين او الروح التي بين الجنبين وسيبلغ مني في امره كل ما يهواه ويرضاه ويتعلق به خاطره ومناه ثم اخذ يستعطف بخاطره ويطلب منه الرضا والاغضا عما مضى * واشار يمدحه بهذه الابيات

انظر اليّ فدمعي هاطل هامِ وطود حلمك سامي المرتقى حامِ

وانت فينا همامٌ سيدٌ بطل يوم الحروب لقد اهلكت اخصامي

لله درك اذا اسودّ سحاب وغى * وافضت البيض حمراً من دم الهامِ

وجاءت الخيل مبتلاً رحائلها تمت القتام بإسادٍ وآجام
احييتني بعد موتٍ كنت شاربهُ من الجراح ومن ضرٍّ والام
لاشكرنك في سرٍّ وفي علنٍ بين الانام وفي اهلي واوطاني

قال الراوي وكان قول مالك في هذه المرة صحيح . من غير كذبٍ ولا تاويح . فقال له بسطام وحق رب العباد كل من لايعرف مقام هذا الفارس الجواد * ليس له عقلٌ ولا رشاد قال عنتر دعهُ يا امير بسطام . يفعل ما يريد من المرام وانا اقسم بحق من خلق الظلام والنور * العالم بما في الضماير والصدور لو ملكت جميع ما في الدنيا من الاموال والدنانير ما كنت الا عبداً لهذا الامير فان ذمني اكرمتهُ * وان طردني اتيتهُ وخدمتهُ وما زال عنتر يدح عمه مالك بمثل هذا المقال حتى شكرته جميع الرجال وقد تعجبوا من احسن ادبه ومروته وكرم اخلاقه ومودته وباتوا تلك الليلة في تلك الارض وهم فرحا بجمع شملهم مع بعضهم البعض * ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح اقتطع عنتر قطعة جيدة من تلك النوق والفصلان والتفت على الامير بسطام وقال له يا ابا اليقظان . قد غمرتنا بالجميل والاحسان فخذ هذه الاموال قسمك . واطلب ديار اهلك وقومك . لانها قد طالت غيبتك * على اهلك وعشيرتك . فقال بسطام . ايها البطل الهمام والاسد الضرغام كيف يطيب فؤادي ان اسير الى اهلي وبلادي قبل انفصال نوبتك . ودخولك بعبلة زوجتك .

Digitized by Google

قال عنتر يا اخي وذمة العربان . لادخلت عليها حتى تحضر انت وساير بني شيبان ان امكنني الزمان واعلم ان عمي ما زال بشكو من الم الجرح . ليس لي سبيل ان اخاطبه بذكر عرس ولا افراح حتى يعود الى حالة الصحة والنجاح فحينئذٍ ارسل خلفك ونصرف وقتنا بالحظ والانشراح ثم ودعوا بعضهم البعض . وافترقوا من تلك الارض . وسار كل منهم يطلب ديار اهله واصحابه وهو متاسف على فراق احبابه وجد عنتر في المسير حتى اقتربوا من الاوطان وهبت عليهم ارياح بني عبس وعدنان فعند ذلك تذكر عنتر اهله وخلانه وما لاقي في زمانه فانشد وقال

ياعبل اين من المنية مهربي ... ان كان ربي في السماء قضاها
وكتيبةٍ لبستها بكتيبةٍ ... شهباء باسلةٍ يخاف رداها
خرساء ظاهرة الاديم كانها ... نارٌ يشب وقودها بلظاها
فيها الكماة بنو الكماةِ كانهم ... والخيل تعثر في الوغى بقناها
شهبٌ بايدي القابسين اذا بدت ... باكفهم غاب الظلام سناها
صُبرٌ اعدوا كل اجرد سابحٍ ... ذبلت مراكله وضم حشاها
يعدون بالمتدرعين عوابسا ... قودًا تهمهم اينها ووجاها
يحملن فتيانًا مداعيس القنا ... وفرًا اذا ما الحرب خف لواها
من كل اروع ماجدٍ ذي صولةٍ ... يسطو اذا الحتف حصى به لاها
وعصابةٍ شم الانوف بعثتهم ... ليلاً وقد مال الكرى بطلاها
وسريت في غلس الظلام اقودهم ... حتى رايت الشمس زال ضحاها

Digitized by Google

ورايت في كبد الغبير فوارساً فطعنت اول فارس اولاها
وضربت قرني كبشها فتجدلا وجعلت مهري وسطها فمضاها
حتى رايت الخيل بعد سوادها حمر الجلود خضبن من جرحاها
يعثرن في نقع النجيع جوافلا ويطان من نار الوغى عظماها
ولذات فيهم صارماً في حده كاس المنية فاستهل دماها
ورجعت محموداً براس عظيمها وتركتها جزراً لمن ناواها
ما سمت انثى نفسها في موطن حتى اوفي مهرها مولاها
ولما رذات اخا حفاظ سلعة الا له عندي بها مثلاها
اغشى فتاة الحي عند حليلها واذا غزا في الجيش لا اغشاها
واغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي ماواها
اني امرؤ سهل الخليقة ماجد لا اتبع النفس اللجوج هواها
ولئن سالت بذاك عبلة اخبرت ان لا اريد من النساء سواها
واجيبها اما دعت لعظيمة واعينها واكف عما ساءها

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الابيات اهتز مالك بن زهير طرباً وتمايل على ظهر جواده عجباً وقال والله يا ابا الفوارس ما سبقك الى هذه المعاني احد من البشر وانت ورب الكعبة شاعر البدو والحضر لانك قد وفقت بالفصاحة جراءة الاقدام على كل بطل همام وسيد قمقام كل من يدعي النثر والنظام فما امرؤ القيس الا نقطة في بحارك والمهلهل بن ربيعة الا شرارة من نارك وجميع فرسان العرب تعترف بباسك واقتدارك

فاشعارك الحسان تعجز الشعرا على نظم ابياتها ووقايعك في الحروب تكاد تمور الارض من عظم اهوالها فشكره عنتر واطنب في الثنا واطال في الدعا وقال والله ما انا الا عبد وانت المولى وما قد ذكرته من جميل الصفات فانت به احق واولى . لان اخلاقك تعلم الناس كرم الاخلاق وحسن الشيم وذلك بساير صفاتك الشايعة في العرب والعجم . ثم قال له مالك بعد ذلك من الصواب ان ترسل اخاك شيبوب الى اهلنا يعلمهم بوصولنا حتى يخرج ابي في ساير عبس الى ملتقاك فتغنم بذلك اعداك وتفرح بسلامتك اهلك واصدقاك لاني اعلم ان اخي شاس قد وصل الى الاوطان واعلم الناس بما جرى لنا وكان انك رحلت مع بسطام الى ديار بني شيبان في زي جردان ولا شك ان عمارة قد سمع بهذا الخبر واوعد نفسه بزواج عبلة عند قدوم عمك من السفر وانا اعلم متى وصل شيبوب الى حلتنا واخبر ابي بقدومنا من سفرتنا وان عمك اصلح شانه معك وانك في صحبتنا تبدلت افراح بني زياد باحزان وياخذهم القلق والهيمان ويطيب قلب ابي من اجلي بعد قطع الاياس لان خبري قد ابطا عليهم بعد قدوم اخي شاس فلما سمع عنتر منه ذلك الخطاب راه عين الصواب فاذن وقته اخوه شيبوب فطار كانه العقاب وبقي دون ساعة انقطع غباره وخفيت اثاره . قال الراوي وكان الحساب الذي حسبه مالك وقصة على عنتر جاء كانه نقش على حجر

لان شاساً كان قد فارقهم من اول النهار وسار امامهم في تلك القفار حتى وصل الى الديار فدخل على ابيه واعلمهُ بما فعل عنتر في تلك المدة في ديار بني كندة وكيف قتل مسحل بن طراق ومزق شمل قومه في الآفاق ثم اخبره بمسيره الى بني شيبان وهو من افعال عمه مالك جردان فلما سمع الملك زهير ذلك الايراد نما غيظه على ابي عبلة وزاد وقال وحق باسط المهاد لا يزال مالك بن قراد ملازم اللجاج والعناد حتى تشمت بنا الاعدا والحساد ولا بد من اتصال اذيته الى سائر عرب البلاد وذلك بعد ما يلحق شره الينا وبسببه يقتل لنا من يعز علينا لان طبعه الخبث والغدر ودابه الخدع والمكر فلا بد من ذلك ولا يضجر وقلبه انس من الصوان واصاب من ... اقام بانتظار والده مالك ثلثة ايام فلم يحضر ولم يقف له على خبر فاخذه القلق وساطته فيه وقال اشاس اخبرني بخبر اخيك ولا تكتم عني ولا تخفيه . فقال ابشر يا ابتاه بالخير والكرامة فاني قد فارقته وهو في غاية الصحة والسلامة وما اقول الا ان مالكاً بن قراد لخذ ابنته عبلة وهرب بها الى بعض البلاد وسار اخي خلفه ليقف منه الاثر لانه اطول مني بالاسفار واجلد على الاهوال والاخطار قال وبينما هما في مثل هذا الخطاب واذا بالمنهزمين الذين انهزموا من ارض الرباب قد وصلوا في ذلك الوقت عند الغياب ودخلوا على الملك زهير وهم في حالة الذل والاكتئاب وشكوا له ما اوقع بهم

انس بن مدركة من المصاب . فسالهم عن ولده مالك وقد زادت به الغصص فاخبروه انه كان قد فارقهم في طلب الصيد والقنص فاخذه الغم والوسواس واستشاط غضباً على والده شاس وقال له والله يا والدي لقد اسات التدبير واخطات في امر اخيك وعجلت في المسير فقم الان ونادي في بني عبس باخذ اهبة القتال حتى نسير الى ارض الرباب ونكشف حقيقة هذا الحال . قال وكان عمارة بن زياد قد سمع ما جرى لعنتر بن شداد من النفور والانكاد في تلك الارض والبلاد فطاب منه الفواد وايقن ببلوغ المراد واجتمع باخيه الربيع وقال يا اخي قد تمكنت الان من عبلة وزالت عن قلبي الدبلة لاني اعلم ان ذالك الاسود الكشحان لم يعد يخرج من ارض بني شيبان لما عليه من الاحقاد وادمية الفرسان فقال له الربيع والله يا عمارة لا تزال تتعلق بالطمع الكاذب والامل الخايب حتى تلقينا في لهوات المنايا والمعاطب *

قال وكان الامير شاس قد نادي على بني عبس بالمسير وان يتاهب الكبير منهم والصغير فاستعدت الابطال الصناديد وتدرعت بالزرد النضيد واذا بشيبوب قد اقبل عند ذالك ليبشر بقدوم الامير مالك واخيه عنتر فارس المعارك فراى الحي يموج بلمعان الصفاح ونصال السيوف واسنة الرماح وقروم ابطال الكفاح . فعلم بواقعة الحال وقصد الى خوراية الملك زهير دون

باقي الرجال فسلم عليه وقبل الارض بين يديه وقال لك البشارة ايها السيد الكريم والملك العظيم بقدوم ولدك مالك وهو في احسن حال وانعم بال واتم اقبال ومعه الغنايم والاموال وفي صحبته اخي عنتر. وقد ارسلني لابشر بهذا الخبر. ففرح الملك واستبشر. وركب من وقته بباقي العسكر. وسار لاستقبالهم في ذلك البر الاقفر. وما زالوا سايرين وهم يقطعون الارض حتى التقوا ببعضهم البعض فعلا منهم الصياح. وزادت المسرّات والافراح. واعتنق الملك زهير ولده. وقد انطفت نار كبده. لانه كان يحبه اكثر من اخوته. وعاد الى عنتر فوجدهُ قد ترجل الى خدمته. فشكره وسلم عليه. وقبله بين عينيه. وقال له يا ابا الفوارس هجرت الاوطان. وصرفت زمانك بالشقا والحرمان. والقيت نفسك في الامور الكباير. وما كنا نري لقصتك من اخر. فقال عنتر يامولاي قصتي هانت. والامور بعون الله قد لانت ثم حدثهُ بتفصيل القصة وكيف خلص ابنة عمه واهلها من تلك الغصة فاستحسن الملك كلامه وعظم عنده قدره ومقامه وعلم انه رجل مسعود وما عاداه احد الا وعاد مقهور مكمود

قال الراوي ثم انهم نزلوا للمبيت في ذلك المكان. وفرحت الاخوان بالاخوان. والاصدقا بالخلان. ولما اقبل النهار. رحلوا طالبين الديار ولما وصلوا وقع في الحي الفرح والاستبشار وما نزل عنتر عن ظهر جواده الابجر. حتى فرق من الغنيمة

القسم الاكثر . فاغنى عروة بن الورد واقوامه . وقسم الباقي على ابيه واعمامه . وقد طابت اوقاته واياميه . وعادت عبلة الى ابياتها . وفرحت بها اهلها وجاراتها . وكانت قد اتخذت جارية من سبي بني خثعم . واصطفتها لنفسها وقدمتها على جميع الخدم . وكانت بديعة في الحسن والجمال . وعليها آثار النعم والدلال كحلا العيون كثيرة المزاح والمجون . طويلة القوام . عذبة الكلام حافظة ذمام الاحتشام . وكان اسمها رابعة . وهي ابهى من الشمس الطالعة . وكانت تسلي عبلة على همها وغمها . وكانت عبلة تشكو اليها ما قاساه عنتر ابن عمها . وتقضي معها اكثر الليل والنهار . في الحديث ومناشدة الاشعار . فحبها عنتر لاجل محبة ابنة عمه عبلة . وكان يكرمها في الجملة . واستمرت عبلة تنادم عنتر صباحاً ومسا وتخفف عنه ما كان يجده من الهم والاسا هذا وقد فرحت الاصدقا والمحبين . واغتمت الاعدا والمبغضين

قال الراوي وكان عمارة بن زياد عندما بلغه قدوم عنتر بن شداد وقع على فراش الضنا وهجر الطعام والرقاد . زاد به النوح والتعداد وهو لا يزداد الا حسرة وجوى من شدة العشق والهوى حتى ذابت مهجته وانفرطت مرارته فلما رأته امه على تلك الحالة قالت له يا ولدي اخبرني ما الذي اعتراك من الخبر لاني ارى جسمك في كل يوم على ضعف وهزال . فقال لها ان هذا

كله من قدوم عنتر الى الاطلال. ومعه هذه الغنايم والاموال وانى ارى عمه قد ذل له اذلال العبيد. واحبه بعد ذلك البغض الشديد. وقد عول بعد ما يشفى من علته. يزوجه بعبلة ابنته وانا اقسم بحق اللات والعزى. والهبل الاعلى. متى بلغني انها تزف عليه وتجلى. تخرج روحي من شدة الوجد والهوى واموت بعلة ما لها دوا. لان في هذا غبن عظيم. وامر يترك الجسم الصحيح سقيم. فلما سمعت مقاله. رثت له وبكت لحاله. وقالت والله يا ولدي. ومهجة كبدي. ان حزنك هذا لا يجلب لك خيرًا. ولا يكشف عنك غمًا ولا ضيرًا. فلو سمعت مني خطبت لك بعض بنات عمك. وارحتني من حمل همك وغمك. ورُدَّت اليك عافية جسمك. لان عنتر بعد هذا اليوم لا يعادى ولا ينافس * ولا يمثل بغيره ولا يقايس * لانه قد صار في منزلة عظيمة. وارتفع قدره عند الملك زهير بن جذيمة. واشتهر صيته في بلاد العرب. وهابته الملوك والسادات من ذوي الرتب. فاعصِ نفسك هواها. ولا تعطها مناها. والا دعنا نترك هذا الوطن. ونرحل الى مكان لا نرى فيه هذه المحن فانه لم يبقَ لنا طاقة على الصبر والجلد. ولا قلب يحتمل هذا الهم والنكد. فقال لها يا اماه اذا كان الامر كذلك. فاني لا محالة هالك. ثم انه استدعى باخيه الربيع فحضر. وقص عليه ذلك الخبر وقال له هذا وقت المروة. والقيام بحق الاخوة.

Digitized by Google

فما عندك من الراي والتدبير. في هذا الامر العسير. وماذا ترى
فيهِ وتشير. لانهُ قد زاد سقامي. وانقطع صوت كلامي. ودنا
وقت حمامي. فلعلك تنفع نفسي وتحييها. وتدفع شر هذه البلية
التي وقعت فيها. فبكي الربيع وقال ان هذا امرٌ مشكل. وداء
معضل فوالله لست بقادر ان ازيل عنك هذه الكربة. ولا
يمكنني اعاند رب السما الذي اعطاه هذه الرتبة. فان سعده عمّال
وطالعهُ في اقبال. وكلامهُ مسموعٌ مطاع. وكل العشيرة له
اتباع لانهُ اشتهر بجميل الصفات. وارتقى الى اعلى الدرجات
واستمالت اليه خواطر السادات وفي قلبي منهُ اكثر مما في
قلبك من الحسد. ولكنني اصبر منك واجلد فكل تدبير صوّبناه
الى نحو هلاكه يعود علينا. وكل مصيبةٍ القيناه فيها يتخلص
منها ويرجع وبالها الينا. وما في الامر الا ان ننتظر له العرضيات
وندبر على هلاكه في الباطن ان ساعدتنا الامور المقضيات. فقال
عمارة هذا املٌ بعيد لا ننال منهُ ارب. وقد صرت هدفاً للبلا
والعطب لانهُ في كل يوم يشاهد عبلة ويتمتع بحسنها الباهره
ويصرف ايامه مع الملك زهير بالعيش الرغيد والحظ الوافره.
ولو نكن عبلة قد قتلت في بعض الكرات. كان انقضى امرها
وفات وزالت عني الهموم والحسرات قال الربيع ان كنت ترغب
في قتلها ابشر بالنجاح. وبلوغ الارب والصلاح فانا ادبر لك
على هلاكها واتلاف مهجتها. واحرم عنتران ينظر جمال طلعتها

Digitized by Google

ثم انهُ رجع الى مضاربه وبات وهو يتفكر في هذا الامر وعواقبه . ولما بدت غرة النهار . استدعى عبيده ومن يلوذ بهِ من الجواره وقال لهم هل فيكم احد من له اختلاط بعبيد بني قراد . فليعلمني بهِ حتى ابلغهُ المراد فقال له بعض العبيد يامولاي ان لي معرفة بخميسة امة عبلة . وهي تحبني وانا احبها بالجملة . وكثيرًا ما تتعرض لي وانا لا التفت اليها . ولا اعين عليها . لاجل ما بينك وبين ال قراد من الحقود والاكياد . قال الربيع لا تخف ما دمت عبدي وانا مولاك . فاني اكافي من يحسن اليك واعادي من عاداك . ومن اليوم وصاعدًا اظهر لها المحبة والمودة . ودع عنك الهجر والوحدة . واحضرها الى خيامنا * واخلو بها في ابياتنا حتى اقول لك ماذا تفعل * واشير عليك بما تعمل . فقال السمع والطاعة . وانا احضرها الى بين يديك في هذه الساعة . وقد قالت لي الف مرة خذني وسر بي الى بعض احياء العرب . وانا اتيك بما اقدر عليهِ من الفضة والذهب . وبكل ما تملكهُ مولاتي عبلة من الثياب الفاخرة . والعقود النفيسة النادرة . التي لا توجد الاَّ في خزاين الاكاسرة . او عند الملوك القياصرة . فلما سمع الربيع هذا الخبر . فرح واستبشر وعلم ان الامر قد تيسر واظهر للعبد الوداد وزاد في اكرامه . وملا مزوده ما طاب من طعامه . وقال له اذا جيتنا بها وكنت تحبها وتهواها . فانا اشتريها لك من مولاها . وازوجك اياها . فسار العبد حتى اجتمع

بالجارية واعلمها بمرامه . فالتهج فوادها وفرحت بكلامه وسارت معهُ الي خيامه فلما بلغ الربيع قدومها زال عنه الهمّ . وعلم ان امرهُ قد تمّ . فارسل لها الطعام . وانية المدام فاكلا وشربا . ولذّا وطربا وتم بينهما الامر . وانتصف زيدٌ من عمرو . وكان عندهما ذلك اليوم اعظم من ايام الاعياد والافراح . وما زالا في حظ وانشراح الي ان لاحت تباشير الصباح فعند ذلك عوّلت خميسة علي الرواح خوفاً من الهتيكة والافتضاح . فدخل عليها الربيع واظهر لها الفرح والسرور والابتهاج والحبور وقال لها قد انستينا اليوم فلا تواخذينا بالقصور . وقد عوّلت ان اشتريك من مولاكِ . وازوجك بعبدي هذا لانهُ يحبك ويهواكِ . وهو عندي بمنزلة الولد . لاجل ما فيه من العقل والراي المسدد . فدعت له وقالت وقاك الله يامولاي من المهالك واني والله احبه ولو قال لي اقتلي نفسك لفعلت ذلك . ففرح الربيع بكلامها وابتهج . وطرب فواده وانتعش . واصرفها بعد ما اوصاها ان لا تنقطع عن المجي والرواح . في المساء والصباح

قال الراوي وكان للربيع صديق في حلة بني شيبان وهو من اكابر الزمان واحد ندما الملك النعمان ملك ملوك العربان وخليفة كسري انو شروان وكان من دهاة الرجال وقروم الابطال يقال له مفرج بن هلال وكان بينهما صحبة قديمة ومحبة عظيمة فارسل اليه بعض عبيده يقول له اريد من فضلك

واحسانك ان ترسل لي عشرة من ابطال فرسانك الذين يحفظون السر والكتمان ولهم قدر وشان حتى ارسل لك شيًا يعز علي اظهاره واريد اخفيه ولا انسب الي عاره فسار العبد بالرسالة واجتمع بمفرج وبلغة تلك المقالة فاستدعي بابن عم له يسمى سنان وضم اليه عشرة من الفرسان وقال لهم سيروا الي ديار بني عبس وعدنان واقصدوا الربيع بن زياد وامتثلوا له في كل ما اراد فساروا وقد جدوا في الترحال حتى اشرفوا على ديار بني عبس وقت الزوال فاخفاهم العبد بين احاقيف الرمال ودخل على مولاه الربيع واخبره بواقعة الحال ففرح بذلك وابدي الابتسام وامره ان ياتي بهم ليلاً والناس نيام بحيث لايعلم بهم احد من الانام فلما كان الليل جا بهم العبد الي الخيام فالتقاهم الربيع بالترحيب والاكرام ونحر لهم النوق والاغنام وقدم اليهم الطعام والمدام وبالغ في التعظيم والاحتشام وشكر مساعي الاقدام واقاموا عنده مدة ثلاثة ايام في عز واحترام فلما كان في اليوم الرابع قال سنان ياربيع ما هي الحاجة التي دعوتنا اليها فان الوقت قد طال فاطلعنا عليها فعند ذلك امر عبده باحضار خميسة الى بين يديه فسار وما غاب الا القليل حتى احضرها اليه فاختلى بها وقال مرادي ان اكلمك في قضية فاذا قضيتيها ضمنت لك عتق نفسك من رق العبودية . قالت ما هي حاجتك حتى ابلغك اياها وان يكن في

ذلك هلاك نفسي وفناها . فقال ان اخي عمارة قد اشرف علي الهلاك وما بقي له من اشراك الموت فكاك وفي كل يوم ادخل عليه واقول له ماذا تريد وما الذي يكشف عن قلبك الدبلة فيقول لي ما اريد الا نظرة اتمتع بها من وجه عبلة حتى اودع بها هذه الدنيا لاني قد صرت من جملة الاموات لا من الاحيا وقد تالم قلبي لشكواه وعجزت عن بلوغ مناه وما وجدت لي من اسأله سواكِ فان قدرتِ على ذلك نلت مني مناكِ فلما سمعت هذا المقال غلب عليها الهوى والبلبال وقالت يا مولاي ان حاجتك تفدى بالمهج والارواح وخدمتك واجبة عليّ في المسا والصباح فقل لاخيك ان يخرج هذه الليلة الي غدير ذات الاصاد حتي ابذل المجهود في تتميم المراد. فقال على ماذا عولت ان تفعلي من العمل وماذا دبرت من الحيل قالت هذا امر هين وصعبة لين لان عنتر من حين جا من السفر وهو مقيم عند مالك بن زهير ولا يفارقه الا في وقت السحر. وانا اقول لمولاتي عبلة اخرجي الي الغدير في هذه الليلة لان ابن عمك عنتر يكون لك هناك في الانتظار. وهكذا امرني ان احدثك بهذا الخبر. من اول النهار . ويكون عمارة مكمن في تلك الارض وربما . فتخرج عبلة فيراها وتبلغ نفسه مناها *

قال الراوي فلما سمع الربيع كلامها تبسم . وعلم ان الامر قد تحكم . فاظهر لها السرور والطرب. واخرج لها من جيبه

دملج من الذهب .وقال لها خذيه الان على سبيل الهدية حتى
اذا انقضت الحاجة زوجتك بعبدي وعتقت نفسك من رق
العبودية واعطيكما ما تعيشان بهِ من العيشة الرضية فامتنعت
وقالت ان كان ولابد من سوابغ انعامك فاودعهُ لي امانة عندك
حتى يتم مرامك لانه قد دخل في حيز القبول واخاف ان
اخذتهُ الان وسئلت عنهُ فما ادري ما اقول وربما يكون سبباً
يلقيني في امر مهول ثم انصرفت من عنده وقد احتكمت القصة
واجتمع الربيع بفرسان بني شيبان وفي قلبهِ من هذا الامر غصة
وقال لهم ان الحاجة انقضت وهان منها العسير. ثم التفت على عبده
سالم وقال له اخرج بهولاي الرجال الى جانب الغدير
واكمن بهم هناك واخفى اثارهم واذا رايت عبلة قد وصلت
اريهم اياها حتى ياخذوها ويسيروا بها الى ديارهم فقال سنان
وما ذنب هذه الجارية. قال هي امراة زانية وقد البستنا بفعلها
ثوب العار واني اريد قتلها في ارض بعيدة عن هذه الديار حتي
ينكتم امرها عن الكبار والصغار لانها من بنات عمي ومن لحمي
ودمي وما احتاج ان اصف لك ما عليها من المصاغ والجوهر.
واللولوء الذي لايوجد مثله عند كسري وقيصر. وما فيها من
الحسن والجمال. والقد والاعتدال. مما يحير عقول الرجال.
وعند وصولكم الي مفرج بن هلال سلموها اليه. وقولوا له ان
يتركها عند بعض ثقاته حتى اقدم عليه ❋

قال فعند ذلك خرج سنان . بمن معه من الفرسان حتى اقبلوا على الغدير، وما لبثوا هناك الا اليسير. حتى اشرفت عبلة وهي كانها البدر المنير وصوت خلخالها قد اقلب البر الاقفر. وكانت في تلك المدة لم تزل مزينة بانواع الحلي والجوهر. وكان عنتر يزورها في المساء والصباح. ويصرف اكثر اوقاته معها بالحظ والانشراح لان قلب اباها كان قد استمالة ومال اليه. واوعده انه متى تعافى من جراحة يزفها عليه ❋

قال وكان السبب في خروج عبلة على تلك الحال . خميسة بنت الانذال . لانها بعد مفارقتها الربيع خرجت الى الصحراء وما زالت هناك حتى انصرم النهار فرجعت عند المساء. ودخلت على عبلة وقالت لها يامولاتي يقول لك ابن عمك عنترة انه ينتظرك على الغدير في هذه الليلة المقمرة حتى يكلمك في امر قد تجدد من اخيك عمرو وقد اعترضني في هذه الساعة في ابيات الامير مالك وقال اخبري مولاتك عبلة ان تنتظرني على جانب الغدير فما ادري ان كان كلامه صحيح ام السكر قد حسن له ذلك فقالت عبلة والله ما كلامه الا صحيح ليس فيه ادنى ريب ولا تلويح لاني اعلم ان اخي يبغضه وكثيرا ما يفسد قلب ابي عليه حتى يرفضه وربما ان مراده يحدثني بشي قد بدا له ثم انها صبرت حتى اظلم الليل وارخى اذياله وكان اكثر اهل الحي نيام فاخذت معها رابعة ندبة الدام وقالت لخميسة سيري امامي حتى

اسمع كلام ابن عمي واطيّب قلبه بكلامي . فسارت خميسة وقد سرّ فؤادها حتى كادت من شدة الفرح تطيره ومشت عبلة ورابعة من وراها حتى اقبلن على الغدير . فابصرها سنان ومن معهُ من الانفار . وكان لها في الانتظار . فتقدم اليها واردفها خلفه على ظهر الحصان ونزل بعض فرسانه وكتّف رابعة وخميسة وتركها على بساط الصحصحان . هذا وعبلة تصيح وتستغيث . وتطلب الخلاص ولا مغيث . ثم ساروا بها وتبطنوا القفار . وكانوا يسيرون في الليل ويكمنون في النهار حتى وصلوا الى الديار

قال الراوي هذا ما جرى لهولاء من الخبر . واما ما كان من ابي الفوارس عنتر . فانه كان تلك الليلة قد اطال السهر في بيت صديقه مالك بن زهير الى وقت السحر ثم رجع الى خيامهِ ولم يعلم في ذلك احد من البشر ولما كان الصباح شاع الحديث في الحلة واشتهر فاستيقظ عنتر وهو مخمور . وقد غاب عنهُ خيال السرور واسودت الدنيا في عينيه . ووقع على الارض مغشياً من شدة ما جرى عليه هذا وقد ركب الامير شداد * واخيه زخمة الجواد وساير فرسان آل قراد وتفرقوا في كل جانب وتبطنوا البراري والسباسب * وما زالوا يقتفون الآثار * حتي تضاحى النهار وقد خفيت عليهم الاخبار وفي رجوعهم عبروا على غدير ذات الاصاد * فراوا رابعة وخميسة مكتفات وهنّ

ملقيات على وجه المهاد فنزلوا اليها وحلوها . وسالوها عن خالها . وما الذي جرى لعبلة وما دهاها . فقالا ان عبلة اخذتها الخيل . وسارت بها من اول الليل فقال لها شداد وانتما من جاء بكما الي هنا . حتى حل بكما هذا البلا والعنا قالت رابعة يا مولاي ان خميسة قالت لعبلة ان ابن عمكِ عنتر يقول لك اخرجي في هذا الليل المنير . وانتظريهِ على شاطي الغدير حتى يحدثك بخبر قد طرق مسامعه . ويستشيرك فيما هو صانعه . فخرجنا على مثل هذا الكلام . وما استقر بنا المقام . حتى هجمت علينا جماعة من الفرسان . فتقدم احدهم الي عبلة واردفها خلفه على ظهر الحصان . ثم كتفانا وتركانا على هذا الحال . وساروا بعبلة بين الروابي والتلال *

قال فلما سمع شداد كلامها اخذه الحنق . والتهب فواده من شدة الغيظ واحترق . وقال لخميسة ويلك من ارسلك بهذه الرسالة . وعلمك ان تقولي لعبلة تلك المقالة . قالت يا مولاي خذ لي من عنتر الامان . حتي احدثكم بما جرى و كان عند ذلك اخذها شداد في ركابه وعاد الي الخيام . واجتمع بعنتر واخذ لها منه الذمام . واعاد عليه ما قالت من الكلام ثم حدثته بجلية الخبر . وما دار بينها وبين الربيع من الكلام الذي تقرر وكيف انهُ اعطاها الدملج الذهب . واوعدها بزواج عبده عند بلوغ الارب . فلما سمع عنتر ذلك المقال . ووقف على

صورة الحال . غاب عليهِ الوجد والبلبال . وخرج عن دايرة الاعتدال وقال ويلك يا امة الخنا . ونتيجة الزنا فلاجل هواك وازدياد عشقك وجوالك . سلمت مولانك وعليها من الجوهر المنتخب . ما لايوجد عند احد من ملوك العرب فوحق من رفع السماء وخلق الارض من طين وماء لو لم يسبق لك مني الذمام كنت مكنت منك هذا الحسام ولكن قتالك لايشفي قلبي العليل ولا يبرد لي نار ولا غليل وانا اعلم ان هذا اخر العهد من عبلة وسوف تزداد هذه المصيبة والدبلة ولولا هيبة الملك زهير واولاده الاجواد لجردت الان سيفي في بني زياد وجعلتهم مثلاً بين العباد لانهم لم يتركوا من انواع العدارة شياً الا تعاطوه . ولا من الافساد والشر صنفاً الا هيأوه فبينما هم في مثل ذلك واذا برسول الملك زهير قد حضر وقال لهم قد بلغ الملك طرفاً من حديثكم فتكدر وتشوش صافي خاطره وتعكر وهو يستدعيكم الى حضرته حتى يقف على حقيقة الخبر. فساروا حتى دخلوا عليه . وتمثلوا بين يديه وقصوا عليه حديث خميسة واوقفوه على حقيقة تلك الدسيسة . فقال يا لها من قضية عظيمة وداهية جسيمة والله ان هذا من اعجب العجايب . ان تسبي بناتنا من بين المضارب وهيبتنا قد شاعت في المشارق والمغارب ثم انهُ ارسل في طلب الربيع فحضر مع اخوتهِ . ومن يلوذ بهِ من اهلهِ ورفقتهِ . فحيوا وسلموا . ثم جلسوا ولم يتكلموا فالتفت

الملك زهير على الربيع وقال له هل سمعت بما جرى لهولاء القوم . في صباح هذا اليوم قال نعم وقد صعب عليّ هذا الحال فركبت مع اخوتي وتفرقنا في البراري والتلال . وكدّينا غاية الكدّ . وبذلنا الجهد والجدّ . فما عرفنا لها خبرًا ولا راينا لها اثرًا . وهذا الامر ليس هو قليل . ولا يرضى بهِ الا كل جبان ذليل . لان عاره علينا عايد . ولا يرضي بهِ الا كل عدوٍّ وحاسد فقال مالك ابو عبلة يا ربيع دع عنك زخاريف المحال . ورد علينا ابنتنا بما عليها من المال والا خرجنا معك من المقال الى الفعال واثرناها حربًا شديدة القتال وتركنا العرب تضرب بنا الامثال ما بقيت الايام والليال كما ضربت بحرب البسوس من قبلنا . وتكون انت السبب في تفريق شملنا لان خميسة حدثتنا بفعالك . وما دبرت من مكرك واحتيالك * فلما سمع الربيع مقاله . اصفرلون وجهه وتغيرت احواله واخذتهُ الدهشة * واستولت على قلبهِ الرعشة . وعلم انهُ لا ينجيهِ من هذه الورطة الوبيلة . الا استعمال الخداع والحيلة فقال لمالك انا اعذرك في ذلك . لانك فقدت الدرة المصونة . والجوهرة المكنونة . ولكن اعلم ايها الامير . والسيد الخطير ان رفيع قدرنا ما سقط بعد الى هذا الحدّ . وكلامنا لم يزل مسموعٌ لا يردّ حتى تسمع فينا كلام امة ذميمة . لا قدرٌ لها ولا قيمة لانها تعلم ما في قلوبكم علينا من الاحقاد . وعدمة الالفة وانواع

العناد . فالقت بيننا هذه الفتنة والفساد وها نحن صابرون الى
ان ينكشف خبرها ويظهر امرها ويبان اثرها . فانها لم تصعد
الى الجو الاعلى . ولا هبطت تحت الارض السفلى والان فما لكم
علينا الا اليمين . واشهاد رب العالمين . باننا ما اطلعنا لها
على خبر ولا وقفنا لها على اثر . فلما راى الملك زهير ان القصة
مشكلة . والامور معضلة خاف من وقوع الفتن . واثارت الشر
والمحن . فقال يا بني عمي الصواب ان تاخروا هذا الامر حتى
يبان الصدق . ويظهر صحيح الحق . وحينئذ نجازي المفتري
على قدر ما يستحق . لاني قد عزمت ان اتولى على كشف اخبارها
وارسل عبيدي الى جهات الارض واقطارها . فقال شاس
وقد اشتعلت في قلبه نيران الغضب . واضطرب جسده من
الغيظ والتهب اعلم يا ابتاه ان القوم ما داموا في ارض واحدة
لم تزل الشرور بينهم متزايدة . والراي عندي ان يرحل الربيع
باهله الى بني فزارة . حتى تسكن الفتنة وتخمد هذه الحرارة .
فاستحسن الملك هذا الراي واستصوبه . واعجبه كلامه واستنسبه
وامر برحيله من تلك الساعة . مع من يلوذ به من الجماعة قال
سمعاً وطاعة . وانا ارحل بجميع بني زياد . واترك الديار لعنتر
بن شداد حتى يصحى من سكرة الفراق . ويجتمع بابنة عمه
ويذوق حلاوة التلاق ويظهر له المحب الصادق . من العدو
المنافق . وحينئذ يستقر بالخطا والزلل . ويندم على ما فعل .

ثم اظهر الغيظ والحنق . واخذ اخوته وانطلق ولما وصل الي خيامه . امر عبيده وخدامه * برفع ابياته وسوق انعامه . وما امسي المساء الا وقد رحل باهلهِ وعيالهِ * وساق نوقهِ وجمالهِ *

قال الراوي هذا ما كان من الربيع بن زياد واما ما كان من عنتر بن شداد فانهُ رجع الي مضاربهِ بقلبٍ منكسر ودمعٍ منحدر وهو سكران من غير مدام لا يتكلم بكلام بل وظب المضارب والخيام وامتنع عن اكل الطعام مدة ثلاثة ايام وقد احتارت اولاد الملك زهير في امره ولم يطيب لهم الوقت لاشتغال سره وكانوا يوردون عليهِ من نوادر الحديث ما حلا وراق ويشاغلوه باخبار المتيمين والعشاق وما قاسوا من الوجد والم الفراق ويقولون له يا ابا الفوارس ما جرى على قلب ابي عبلة وامها مثل ما جري على قلبك من الوساوس . فقال لهم صدقتم وبالحق نطقتم . ولكن ايها السادة الموالي اين قلب العاشق الشجي من الخالي . ثم انه بكا وزاد بهِ الامر فلم يجد له ثباتٌ ولا صبر فعند ذلك صاح باخيهِ شيبوب وقد زادت بهِ الكروب وقال اما ترى ما حل بنا من النكبة واريد منك ان تكشف عني هذه الكربة

قال الراوي فلما سمع شيبوب مقاله وراى عظم ما ناله قال ابشر يا ابن الام فسوف اطوف مشارق الارض ومغاربها واقصد حال العرب وجوانبها وانشاء لله ما احضر اليك الا بها . ثم ودعهُ

وسار يقطع السباسب والآكام وغاص في تلك البراري كانهُ ذكر النعام واقام عنتر يكابد الوجد والغرام وهو لا يستطعم طعام ولا يلتذ في منام بل يقضي الليل بالسهر والنحيب والنهار بالبكا والتعذيب هذا ما كان من عنتر بن شداد واما ما كان من الربيع بن زياد فانهُ لما رحل عن بني عبس وعدنان وسار الى بني فزارة وغطفان .فعلم بقدومهِ الشيخ بدر بن عمرو فخرج الى ملتقاه مع ساير اولاده واقرباه ولما التقوا قال الربيع للشيخ بدر لقد ضاقت ايها المولى صدورنا وحرنا في امورنا من ذلك العبد عنتر الذي قد تطاول علينا وتجبر ونحن صابرون على هذه المحن لاجل خاطر الملك زهير خوفاً من وقوع الفتن وقد راينا ان البعد عنهُ اصلح والمقام تحت ميامن ظلك اوفق لنا واربح . ثم حدثهُ بفقد عبلة وما جرى بسببها وكيف انهم قد اتهموه بها .فقال الشيخ بدر انزلوا عندنا على على الرحب والسعة والكرامة والدعة لانكم اصحاب هذه الديار وجواركم نعم الجوار فاحكموا في المراعي والمناهل حكم اصحاب الاملاك في البيوت والمنازل ثم قال لولده حذيفة وكان اكبر اولاده وهو الموصي له بالملك من بعده ياولدي اكرم مشايخ بني عبس وعدنان وانزلهم في احسن مكان ففعل حذيفة ما امره بهِ ابوه وقد قر بهم القرار وطابت لهم الديار قال وكان في قلب الربيع لهيب النار لاجل ما بلغهُ على ما كان على عبلة

Digitized by Google

من الدر والجوهر واللولو النفيس المفتخر فكان يحسب الف حساب
واعتراه القلق والاضطراب وانقطع عن الطعام والشراب لانهُ
قال في نفسهِ ان شاع خبرها وسار ذلك الاسود في اثرها يفوتني هذ
المال وربما يقتلني ذلك العبد ابن الانذال ولا ابلغ امال والصواب
ان اسير الى بني شيبان واظهر لبني فزارة اني قاصد الملك
النعمان واقسم بيني وبين مفرج بن هلال ما كان على عبلة من
الاموال ثم اقتلها بعد ذلك واعود وقد امنت عاقبة الامر ونلت
غاية المراد والمقصود واكمدت قلب العدو والحسود قال ثم
انهُ اظهر لبدر بن عمرو وسادات فزارة انهُ قاصد الملك النعمان
كما سبقت الاشارة ثم اخذ عبده سالم وسار يقطع البراري
والكثبان حتى وصل الى ديار بني شيبان ودخل على مفرج بن
هلال فاستقبلهُ احسن استقبال واحتفلهُ غاية الاحتفال واقام
عنده مدة ثلثة ايام في عز واكرام وبعد ذلك قال له الربيع ايها
الامير والسيد الخطير اني ما اتيتك الان الاَّ في امر الجارية التي
انفذتها اليك مع ابن عمك سنان . قال هي في ابياتنا . بين اهلنا
ومولدانتا . غير انها لا تخفاك قد اشرفت على الهلاك من كثرة
البكا والنواح في المساء والصباح فقال الربيع واين الاموال التي
كانت عليها والجواهر والتحف النفيسة والذخاير قال مفرج
وحق النار ذات الشعاع ما رايت عليها غير كساءٍ فارسيٍ وقناع
فقال الربيع وقد تغير وجههُ واندهل كانك تظن انها من فقرا

Digitized by Google

نسا الحال هذه عبلة بنت مالك بن قراد وابن عمها هو عنتر بن شداد الذي تذل لذكر اسمه الابطال الشداد وتكتفي شره الملوك بالهدايا من جميع البلاد وقد كان عليها من انواع المعادن ما لا يوجد عند سلطان ولا ضبط ثمنهُ قلم ولا ديوان ثم حدثهُ بحديث عنتر وكيف انهُ اخذ هذه الاموال من كسرى وقيصر فلما سمع مفرج بن هلال من الربيع هذا المقال اطرق مفكرًا وبقي متحيرًا وقال ويلك انت صديقي وصاحبي ورفيقي وبيننا مودة لا ينقضها ناقض فكيف طاب على قلبك ان تنغص عيشي بهذا العنقود الحامض فاني وحق ما يظهر في النار من الحرارة والاشتعال لو علمتُ بحقيقة هذا الحال ما كنت ارسلت اليك احدًا من الرجال ولا ادخلتها في ابياتي ولو كان في يدها موتي وحياتي ولكن لما وصل بها ابن عمي من تلك البلاد سالته عنها فقال لي هذه من بنات عم الربيع بن زياد وقد زنت مع بعض العبيد ويريد ان يعذبها العذاب الشديد وبعد ذلك يقتلها في مكان بعيد حتى لا يظهر عارها عليه بين الاماجيد ولا يكون له من اجلها في كل يوم تنكيد فاحفظها له الى ان ياتي الى هنا ويفعل بها ما يريد فظننت ان حديثهُ حقاً وان الكلام الذي تكلم بهِ صدقا فتركتها عند النسوان تقاسي الذل والهوان والى الان ما عدت نظرتها ولا وقعت عيني عليها ولا ابصرتها فخذها بالله عني واكفني شرها وارحني من عاقبة امرها ولا تجلب لي بسببها الشر والضرر .

من ناحية ابن عمها عنتر فما انا اقوى من كسرى وقيصر لاني قد سمعت ببعض فعاله . ووصل اليَّ طرفاً من اعماله . فتبسم الربيع وقال ايها السيد الكريم والبطل العظيم مثلك من يخاف من عبد زنيم ووغد لئيم وخلفك مثل الملك النعمان مالك ملوك العربان ولكن احضر ابن عمك سنان واساله عن المال حتى اقول لك كيف يكون الحال . فعند ذلك استدعاهُ فحضر وسلم . وراى الربيع عنده فتبسم فقص عليهِ مفرج ما ذكره الربيع من المقال وساله عن تلك الجواهر والاموال فخجل ولم يمكنهُ الانكار خوفاً من الفضيحة والعار بل قال الجميع عندي وقد اخفيتهُ احترازًا عليهِ حتى ياتي صاحبهُ واسلمهُ اليهِ

ثم رجع الى ابياتهِ واحضر المال وقدمهُ الى بين يديهِ ولما راى مفرج الى تلك الاموال والجواهر التي تحير الخاطر وتذهل الناظر قال للربيع لقد صدقت وحق النار وما هذا الا مالٌ عظيم المقدار وما يقدر عليهِ الا الملوك الكبار اصحاب الاقاليم والامصار ولكن ماذا يكون التدبير في هذا المال الكثير

فقال الربيع تاخذ انت نصفهِ وانا النصف الاخر ونقتل الجارية وندفنها في بعض الحفر وقد انتهى الامر وانكتم الخبر وبلغنا القصد وانقضى الوطر . قال مفرج قد نطقت بالراي السديد . واشرت بالفكر الرشيد *

قال الراوي ثم ان مفرجاً استدعى بعبد له كان قد رباه وهو

صاحب سره ونجواه يقال له بشارة بن منيع وكان عنده في مكان
رفيع لانه كان يعتمد عليه في ساير الامور ويذخره لكل امر
محذور وقال له يا بشارة اريد منك في هذه الليلة متي انسدل
الظلام تاخذ الجارية العبسية وتوسع بها في البراري والاكام
وتسقيها كاس الحمام ولفنا مالك اجد عنها بعد هذه الايام فقل
اتوا اهلها واصلحوا امرها واخذوها وساروا بسلام . فقال الربيع
يا بشارة اياك وان يظهر هذا الخبر لاحد من البشر والا ينقلع منا
ومنكم الاثر ولا يبقي لنا ذكر يذكر فضحك وقال يا مولاي انا
اطلعت علي كثير من هذه الامور وقد حنكتني نوايب الايام
والدهور ولولا ذلك لما اختارني مولاي علي ساير الاهل والخلان
وجعلني عونا له علي حوادث الزمان . فقال مفرج يا ربيع
ما بقي هذا الامر يظهر . ما دامت الشمس والقمر *
ثم انعكفا بعد ذلك علي المدام . واخذا في لذيذ الكلام وسماع
الانغام فقال الربيع لمفرج وقد داخله الفرح . وطاب فواده
وانشرح اعلم انني ما بقيت ارجع الي الاوطان . حتي اقصد
الملك النعمان واترك بزيارته حجة لي عند كل انسان قال
مفرج وانا اسير في صحبتك اليه . واترك يوليك من الاحسان
ما تشكره عليه * ولم يزالا علي مثل ذلك الكلام حتي انسدل
الظلام . وهجعت الناس في الخيام . واضطجع كل مستيقظ
ونام * فحينئذ دخل عليها بشارة . واستاذن مولاه في تلك

العبارة . ثم خرج من عندها بعد ما اعطاه الربيع سكين ماضية وهي على قبض الارواح قاضية • وقال له اذبحها بهذه السكين واحفظها عندك تذكارًا مني على ممرّ الايام والسنين * ثم ركب العبد جواده وسار الى مضرب عبلة واردفها وراه • وسار بها وهي لاتدري بما حكمت بهِ مشية الله • بل كانت تبكي وتسكب العبرات * وتطلب من الله الفرج حتى غابت عن الابيات * فقالت للعبد الى اين سائر بي في هذا الليل . قال الى طارقات المصائب والويل . وقد امرني مولاي بقتلكِ لانهُ مالك رقي . والمحكّم في اجلي ورزقي • فلا يمكنني ان اخالف مقاله . ولا انكر جميله وافضاله • فلما سمعت عبلة هذا الكلام ايقنت بفناءِ عمرها وحارت في امرها • ودقت بيدها على صدرها . وقد احاط بها البلا . وهي تلتفت في اقطار الفلا • وتصيح يالعبس يالعدنان . وتنادي باسم عنتر فارس الفرسان وتطلب الفرج من كل ناحيةٍ ومكان وتقول ياابن العم صبرت عني وتركتني اقاسي الهوان وآشوقاه الى الاهل والاوطان • واحسرتاه على رويتك قبل ان اموت وادرج في الاكفان ثم كشفت البرقع عن وجهها من عظم وجدها وعضت من شدة الاسف على زندها وباحت بما عندها *

قال الراوي فعند ذلك عدل بها العبد عن الطريق • وقد عاينت الموت على التحقيق . ثم نزل وانزلها عن ظهر الجواد . والقاها على وجه المهادِ . وامتثل بما امرهُ بهِ مفرّج بن هلال

والربيع بن زياد وسل السكين التي اعطاه اياها الربيع . وهي امضا من الاجل السريع . وقبض بيده على شعرها . ووضع السكين على نحرها . وعوّل ان يذبحها ويخفي امرها واذا بصيحة قد اخذته كانها الرعد في الغمام . وشخص قد اقبل عليه كانهُ ذكر النعام . وهو يقول خلّ . ياويلك عن سيدة العرب الكريمة الاصل والنسب . ثم ادركهُ اسرع من البرق اذا لمع . وضربهُ بخنجره على كتفهِ فوقع . وعدل الي عبلة فراها قد غابت عن الدنيا من شدة الفزع . فقال للعبد لابارك الله فيك . ولاحسنت مساعيك . والله لو لم الحقك لكنت افجعتنا في الدرة اليتيمة . التي لاقدر لها ولا قيمة والتفت بعد ذلك علي عبلة وهناها بالسلامة من البلا والخطوب وقال لها لاتفزعي فقد زالت عنك الكروب . فانا عبدك ومحبك اخو عنتر شيبوب * ثم انهُ صبر عليها حتى هدا قلبها من الخفقان وتبدل خوفها بامان . فقالت له ويلك يا شيبوب واين اخاك عنتر . وكانهُ ما اتى معك ولا حضر . قال لا والله يامولاتي لحد الان لم يسمع اليك خبر . بل يمسي ويصبح وهو كثير الهموم والفكر فتركتهُ علي تلك الحالة واقتفيت منك الاثر . وقد طفت الاحياء والمناهل * وسالت عنكِ كل من رايته من اهل الحلل والقبايل . حتى وقعت بكِ في هذا المكان اتفاق . وساقني اليك سايق الاجال والارزاق . وكنت ايست منكِ وعولت على الرجوع . فسمعت

ان الربيع بن زياد في هذه الاطلال والربوع . وانهُ نزل على بني شيبان . وانا اعرف ان مفرّج بن هلال صديقاً له من قديم الزمان فقلت بنفسي دعني اسير الى هناك واقتفي اثره . واعلم سبب مجيه الى هذه الارض واكشف حقيقة خبره . فاختفيت وسرت تحت جنح الظلام . حتى لا يعترضني احد من الانام . فساقتني التقادير الى هذا المقام . حتى خلصتك من شرب كاس الحِمام . فقالت وكيف يكون التدبير في الخلاص من هذه الديار . قال اتمم قتل هذا العبد الغدار . واسير بك تحت ستور الاعتكار . واذا اصبح النهار . اكمنا في بعض الاودية والقفار . ولا نزال على مثل ذلك حتى نصل الى الديار . امنين من غوايل الاخطار . وان رايت منكِ التعب . سرقت اليك ناقة من بعض حلل العرب * واتسبب بوصولك الى ابن عمك بكل سبب . لاني اترك الطريق السالكة واتوطن القفار . واسلك بك في مواضع لا تهتدي اليها الجنّ والعمار . فقالت والله يا شيبوب ان هذا امل بعيد . والبر بين ايدينا واسع مديد . واخاف ان يلتقينا من طماعة العرب كل شيطان مريد . وما اظن اني بعد هذه المرّة اري الديار . الاّ ان يكون معي ذلك الاسد الكرار . ابن عمي عنتر الفارس المغوار . فواسفي عليه وعلي امي رابعة . وقلت ناصري على هذه المصائب المتتابعة قال شيبوب اما رابعة فقد صارت في حالة الشقا والوبل . وهي

Digitized by Google

تبكي وتهتف بذكرك في النهار والليل . واما اخي عنتر . فانت بحاله اخبر فقالت قاتل الله الربيع بن زياد . ولاهناه بلذيذ الرقاد . قال شيبوب اما الربيع . فانه يلقى بغيه سريع . فابشري بقرب الاجتماع والوصول الى الاطلال . ولا تقطعي من السلامة الامل ثم تركها وقصد العبد فوجده قد افاق وهو يسمع حديثها وما جرى لهما من عجايب الاتفاق ولكن شدة الجراح وكثرة الالام منعته عن الحديث والكلام . فلما راى شيبوب قد رجع اليه علم انه يريد ان يقضي عليه فقال له يافتى بحق البيت الحرام وما عليه من الالهة والاصنام امهل عليّ حتى اسالك عن شى بدا لي في هذا المقام واشير عليك في شي يكون لك فيه الحظ الاوفر ولا تركب بهذه الجارية طريق الخطر لانك اذا سرت بها في هذه الطريق من غير خاني ولا رفيق لا تامن ممن يلقاك وتبلى منه بالتعويق وتحمل نفسك ما لا تطيق لان امامك برية واسعة المسالك كثيرة الافاة والمهالك . قال شيبوب قل ما تريد وتختار حتى اسمع مقالك وادبر امري قبل ان يطلع ضوء النهار فقال اعلم يا ابن الخالة انني كنت احب جارية اسمها رابعة وكانت في عيني احسن من الشمس الطالعة وقد ربيت معها في هذه الاطلال في نعمة مولاي مفرج بن هلال الى ان بلغنا من الاعمار الى هذا المقدار فلما تمكن مني حبها وهواها وائتلفت انا واياها اختلسها مني الزمان في هذا العام ورمى الفراق شملنا بصايبات السهام وتركني بعدها

اقاسي الوجد والهيام . لااشبع بطعام . ولا التذ بمنام . وما زلت انتسم اخبارها من ساير الاقطار . فلم اقف لها على خبر ولا اثار ولما سمعت بذكرها في هذا المقام . وانا في هذه الجراح والالام . عادت اليّ روحي من اجلها وقلت لعل تجمع الايام شملي بشملها . واريد ان تخبرني عن حقيقة الحال وتصدقني في المقال هل هذه الجارية انتشت عندكم في الاوطان او ساقتها اليكم ايادي الزمان . حتى لاموت وفي قلبي منها حسرة ومرادي ان انظرها قبل الموت ولو بفرد نظرة . قال شيبوب فوحق الذي قدر ارزاقنا واجالنا ان هذه الجارية ما انتشت عندنا ولا في اطلالنا . وانما اخي عنتر اخذها من بني انس بن مدركة . لما حاربهُ وانتصر عليهِ في ميدان المعركة * ثم حدثهُ بالقصة التي جرت من اولها الى اخرها . واطلعهُ على باطنها وظاهرها وان عبلة الفت تلك الجارية لما فيها من الذكا والادب . وعذوبة الكلام التي لا توجد عند غيرها من نساء العرب . وانها كحلا العيون واضحة الجبين . بخال اسود على خدها اليمين . فقال بشارة هذه والله صفة محبوبتي . التي اضعفت جسدي واسهرت مقلتي . وانا قد سمعت بعض الخبر الذي ذكرت . فعجزت عن طلبها وقد قصرت . لان الذي هرب بها في هذا البر الطويل العريض . يقال غطرفة

بن بغيض

الكتاب السابع عشر
من سيرة عنتر بن شدّاد
العبسي

وكان يعاندني فيها * لانهُ كان يحبها و يشتهيها . فاضمرت له الشر والنكال . لاجل قربي من مولاي مفرّج بن هلال . فلما اعياهُ الامر خطفها في الليل وسار * وهرب بها يطلب بلاد اليمن وتلك الديار . وقد ظن انه نجا من الضد والهلكة . فوقع بهِ أنس بن مدركة فقتله في الطريق . واخذها منهُ واعدمهُ السعادة والتوفيق . وما عدت سمعت بخبرها الى الان . الا منك ياسيد العربان . وقد طاب قلبي بذكرها . فان جمعتنا الايام ببعضنا فلله درها وانا اشتهي أن أراها ومرادي اسير معك واحظى بلقاها فاخبرني كيف تريد ان تفعل . وعلى ماذا عوّلت من العمل فان اخذتها وسرت انا وإياك . لا نامن من الهلاك وربما ادركتنا الخيل فيحل بنا البلا والويل ويرجعون بنا الى عند مفرّج والربيع . فنهلك ويذهب تعبنا ويضيع . ومن الراي ان تعود الى اخيك عنتر . وتعلمهُ بهذا الخبر * ودعه يدبر بمعرفتهِ ما يراه . ثم ترجع انت واياه وقد بلغنا المقصود ويكون معكم فرسان وجنود تحمينا الى ان نعود . وانا ارجع من

وقتي وساعتي . واخفي عبلة عند والدتي . واوصيها بحفظهـــا وكتمان امرها. وان لا تظهر احدًا على سرها وبعد ذلك ادخل على مولاي مفرج والربيع بن زياد . واقول لهما قد بلغتكما غاية المراد وفعلت ما امرتماني بهِ من تلك القضية . وقتلت لكما الجارية العبسية وهذا دمها على اثوابي طرية واريهما هذا الدم الذي جرى من جراحي. ويكون ذلك موافقاً لصدقي وصلاحي واكون لك في الانتظار . الى ان تاتي باخيك عنتر الى هذه الديار وها انا قد عرضت هذا القول عليك . وفوضت امري فافعل ما يحسن لديك قال شيبوب وكيف اصدقك في هذا المقال * بعد ما فعلت فيك هذه الفعال * فقال بشارة ياوجه العرب الاخيار لا تنكر على هذا الانكار فوحق من اوسع البطاح وخلق الارواح ورزق الاشباح وخالف بين الليل والصباح ما حدثتك بلساني الاَّ بما انا معوَّل عليهِ بجناني لان رهني عندكم قوي وفؤادي من فراق رابعة منكوي وانت فيما فعلتهُ معي معذور لانك ما عرفت بواطن الامور فلما سمع شيبوب هذا المقال بان له وجه الصدق من المحال وعلم انهُ لا يقدر ينجو بعبلة من تلك الاطلال ان لم يكن معهُ اخوهُ عنتر في جماعة من الابطال وكانت عبلة لما سمعت تلك العبارة قالت لشيبوب ان الصواب ما قاله بشارة . فارجع ودع اخوك ياتي في فرسان بني عبس . وقد زال التعس والنكس . فعند

ذالك نهض شيبوب وأخذ عليه العهد والميثاق وحلفهُ بالملك الخلاق انهُ لايميل الى الغدر والنفاق بل يقيم علي ما تمهد بينهم من الاتفاق فقال له بشارة بالله ياشيبوب لا تبطي عليَّ لان قلبي قد انكوى بلهيب الجمر. واخاف ان يحدث من بعض الامور امر قال شيبوب والله يابشارة. لو قدرت لكنت اطير مع الطيور الطيارة. لاني اعلم ان اخي لي في الانتظار وهو يتقلى علي لهيب النار. ولكن سوف اعود اليك عن قريب. واجمع بينك و بين الحبيب. ثم رجع من حيث اتي. واطلق قدميهِ وسعى وقد ابتلعتهُ فلوات الفلا. وسترتهُ اذيال الدجى. واما بشارة فانهُ سار بعبلة الي حلة بني شيبان. وقد صارت عنده في اعز مكان. واحلي من ورود الماء على كبد العطشان. وقد احبها من اجل رابعة محبوبته. وبغض المقام عند اهلهِ وعشيرته. ومن الطاف الباري جلت قدرته. وعظمت صنعته الجارية في خلقته. ان هذا العبد خرج بعبلة ليقتلها فرجع بها وهو يود لو جعلها داخل مهجته. ولما وصل الي الابيات راي اهلي الحي قد رقدت. وانطفت نيرانهم وخمدت. فدخل بها على امهِ واعلمها بامرها. واوصاها بخدمتها وكتمان سرها. وحدثها بجميع ما جري له مع شيبوب. وخرج كانهُ الهايم المسلوب. لان افراحهُ كانت متتابعة بانكشاف خبر محبوبتهِ رابعة. ودخل على مفرج مولاه. واخبره بقتل عبلة وهناه. فوجده مع الربيع

له في الانتظار . وهما سكارى من شرب العقار . فلما راه الربيع ونظر الى الدم على ثيابهِ . تبسم وقال هل فعلت يابشارة ما امرناك بهِ . فقال يامولاي قد بلغتك مناك . وكنت اشتهي ان الذي جرى على الجارية يجري اعداك . لاني ما رجعت الا وقد تركتها تحت احاقيف الرمال . وهذه دماها تشهد لي بصحة الحال . فلما سمع الربيع منهُ ذلك المقال . هز اعطافهُ من الفرح والقى من يده القدح . ونهض على قدميهِ . وصار يصفق بكفيهِ . وخلع علي العبد جميع ما كان عليهِ . واكرمهُ الاكرام الزايد واعطاه سيفهُ الذي كان يذخرهُ ليوم الشدائد . وقال والله انك تستاهل الارواح ان تكون فداك . فلله درك ودر سيد رباك . فقال مفرج ولاجل ذلك قد اطلعتهُ علي ساير احوالي وسلمته خزاين اموالي واخترته علي جميع بني عمي ورجالي . وامنته على اولادي وعيالي . وبعد ان تم هذا المرام . ما بقي لنا ها هنا مقام . وعند الصباح نترك الاوطان . ونرحل الي عند الملك النعمان . حتي اذا حدث امر او كلام . لا يقع علينا عتب ولا ملام . ثم انهما باتا تلك الليلة بانعم بال . واحسن حال لما حصل لهما من التحف النفيسة والاموال *

قال الراوي هذا ما جرى لهولاء من الخبر . واما ما كان من شيبوب اخو عنتر . فانه جد في مسيره بالليل والنهار وهو يقطع البراري والقفار . وقد منع اجفانه لذيذ الرقاد * وقنع بالقليل

من الزاد ولم يزل سايره كانه الطير الطاير حتى اشرف على الديار. وفي قلبه لاجل اخيه عنتر لهيب النار لانه كان قد فارقه في حالة العدم. يقاسي الضر والالم *

قال وكان عنتر قد ايس من عبلة غاية الاياس. ولم يكن يسمع قول احد من الناس لان العبيد الذين كان انفذهم الملك زهير الى جميع القبايل وامرهم بالتفتيش على عبلة في المحال والمناهل. رجعوا بالخيبة * بعد طول الغيبة واخبروه انهم لم يقفوا لها على خبر. ولا اقتفوا لها على اثر فزادت بعنتر الفكر وواظب على البكا والسهر حتى اعتراه السقم والهزال ورثت له النسا والرجال. غير ان اماله لم تزل متعلقة باخيه شيبوب. الى ان كاد من فرط الهوى جسمه يذوب وقد عجزت الناس من عذله والترداد عليه في الشروق والغروب. وامتنعت اولاد الملك زهير من اجله عن الركوب وكان قد قضى تلك الليلة بالبكا والنحيب * يراعي النجوم شوقاً الى لقاء الحبيب * واذا بشيبوب قد دخل عليه وهو في حالة الذل والويل. من كثرة التعب وسهر الليل فلما ابصره عنتر ضمه الى صدره وقبله في عارضه ونحره. وقال له يا اخي انني لم ازل بانتظارك في الليل والنهار حتى اقف على حقيقة الاخبار فان كان عندك خبر من نحو عبلة ابديه. ولا تكتمه عني ولا تخفيه ثم تنفس الحسرات واشار الى اخيه بهذه الابيات

ويلك ياشيبوب اخبرني عجل فلعل الهم عني يرتحل
ويلك اخبرني سريعاً عاجلاً ففوادي فيهِ نارٌ تشتعل
قد هجرت الكاس والطاس معاً ولذيذ العيش عني قد رحل
ياابن امي كم قلبي كم غربةٍ وبعادٍ وصدودٍ ومال
عبلَ لو عاينتِ ما قد حلَّ بي من همومٍ وغمومٍ ووجل
انكرت عيناي بعدكمُ الكرى وعصيت اللوم فيك والعذل
فيك قد اصبحت مضنىً ناحلاً فيك قد صرت حديثاً ومثل
لاعلوت الخيل من بعدك ولا حملت كفي كموباً معتدل
لا ولا جردت سيفاً قاطعاً لا ولا احمل اطراف الاسل
ويلك ياعبل نري تجمعنا بعد هذا البعد دارٌ اوطلل
عيل صبري من همومٍ اردفت بفراقٍ وغرامٍ وخبل
ان يكن ياعبل لوني اسودٌ فمقامي قد علا فوق زحل
ويلك ياشيبوب صبري قد فني ورقادي قد مضي كيف العمل
فاشرح الحال الذي لاقيتهُ وابدهِ لاتخفهِ ياابا الحيل

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعره قال له شيبوب ابشر ياابن الام بالخيره وزوال الهم والضير ❋ ثم اخبره بما جري بينهُ وبين بشارة بن منيع . وخبر رابعة وما كان من حديث مفرج والربيع . فطاب قلب عنتر بهذا الكلام . وامر باحضار رابعة اليه تحت جنح الظلام فلما دخلت سالها عن بشارة وما سمعهُ من اخيهِ شيبوب ٠ فطار فوادها فرحاً بذكر المحبوب

وقالت والله يامولاي ما جرى اعجب من هذه القصة لا في العرب ولا في العجم . وكيف شاع هذا الحديث بعد ما انكتم . وما دام ان مولاتي عبلة عند بشارة بن منيع . وقد سمع بخبري واني في هذا المكان الرفيع . فقد امنت عليها من دواهى مفرّج والربيع. وسوف تسمع ما يصنع في حقها من حسن الصنيع . لاني اعلم ان في قلبهِ من فراق دبلة . اعظم ما في قلبك من فراق عبلة . فقاتل الله الربيع بن زياد . فما اخبثهُ بين العباد ❋

قال الراوي وما زال عنتر يتسلى بالحديث مع اخيهِ شيبوب ورابعة حتى انشقت اذيال الدجى وبدت غرة الشمس الطالعة . فعند ذلك انفذ خلف عروة بن الورد فحضر . واعاد عليهِ ما سمعهُ من اخيهِ شيبوب من الخبر. فانذهل وتحير. وقال على ماذا عولت ان تعمل بعد ظهور هذا الامر المنكر. فقال اريد ان اوثر في بني زياد ايشم اثر. ما دامت الشمس والقمر . ولا ادع لهم ذكر يذكر . وان عتب علي الملك زهير على هذه الفعايل رحلت عن بني عبس وقصدت بعض المناهل وقابلت الاعدا على ما فعلوا في حقي من هذه الفعايل ❋

قال فلما سمع عروة كلامهُ . وعلم قصده ومرامه . قال ان هذا الذي تريد تفعلهُ ما هو صواب . ولا يشير بهِ عليك احد من الاصحاب . ولكن قبل ان نبتدي بهذه العملة . نكتم في هذه الساعة خبر عبلة . حتى لا يظهر بين الناس ويشيع . والا

فيعلم بذلك مفرج والربيع فيتهنا عبلة وبشارة بن منيع * ويذهب تعبك ويضيع • فقال عنتر صدقت . وبالحق نطقت والصواب ان نقصد الملك زهير ونتحدث معه ومع اولاده . ونحفظ عهده بمصافاة وداده • ولئن سالوني عن حالي اخفي ما قد جرى لي • واقول اني قد ايست من عبلة وقطعت منها امالي لاني اعلم بان الذي اخذها قتلها . لاجل ما عليها من الجواهر واللآلي . وان اخي شيبوب قد طال في غيبته . وابطا في سفرته واريد • الآن اشاغل نفسي بالصيد والقنص . وازيل عن قلبي الهموم والغصص • حتى يعود اليَّ سروري • ونشاطي وحبوري ثم اكبس القبايل والحلل لاجل اخي شيبوب . ولا ارجع حتى اكشف خبره وانال المطلوب • ولربما اكسب شيأً من المال يكون عوناً لي على ممر الايام والليالي . لان الطارق علي كثير واسمي قد اشتهر عند الكبير والصغير . ثم اخافهم بعد ذلك وسري مكتوم • واسير في طلب عبلة وحالي غير معلوم . فقال عروة هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب افعل ما بدا لك • وفق الله اعمالك .. ثم انفذ عروة في طلب جماعة من خواص فرسانه وقروم ابطاله وشجعانه فركبوا واتوا اليه . وداروا من حواليه * وقصدوا الملك زهير وسلموا عليه . فترحب بهم واكرمهم غاية الاكرام . واجلسهم الى جانبه في صدر المقام . وبعد ان دار بينهم الكلام . حدثه عنتر بما عوَّل عليه من العزام :

فقال الملك زهير هذا هو الراي السديد . والفكر الرشيد لان الذي مضى لا يرجع . والقضا لا يرد ولا يدفع . لانك صرفت زمانك بالشقا والتعب . وما بلغت غاية الارب . وبنيت لك من المجد بيتاً رفيعاً ما ناله احد من ملوك العرب . فلا تهدمهُ لاجل شهوة من شهوات الدنيا . فيزول ذكرك باقل الاشيا قال عنتر قد مضى ما مضى . وقد رضيت باحكام القدر والقضا ولا افعل بعد الان الا ما يلوح في خاطري وسري ويقتضيه رايي وفكري . ثم عول على ما خال في نفسه واخفى امره على ساير ابنا جنسه . ففرح الملك زهير بذلك المقال . وانطلى عليه المحال وقال لاولاده اركبوا في هذا اليوم مع ابن عمكم عنتر الى الصيد والقنص واقصدوا الانشراح بانتهاز اللهو والفرص . لعل يبرد ما بقلبه من تجرعات الغصص فركبوا من وقتهم وتبطنوا السهول وتجاروا على سوابق الخيول . ولما كان اخر النهار . رجعوا ومعهم من الصيد شي كثير المقدار . فشووا واكلوا ودارت عليهم كاسات الراح . واقاموا تلك الليلة على مهد السرور والافراح . حتى اصبح الصباح . وواظب عنتر على مثل ذلك مدة من الايام . وهو يصرف النهار بالصيد والليل بشرب المدام . حتى تحدثت الناس في امره . وتعجبت من انشراح صدره . ثم ودع الملك زهير واظهر له انه يريد الغزو الى بلاد اليمن . وتلك المعاهد والدمن . فركب مع عروة

Digitized by Google

ورجاله . وفرسانه وابطاله . ولما صاروا خارج الابيات خرجت الناس لوداعهم حتي النسا والبنات . ومن جملتهم اعمام عنتر مالك وزخمة الجواد . وسائر نسا ال قراد فبكوا واكثروا من الانتحاب وما هان رحيله علي احد من الاصحاب . وقالت له سمية امراة ابيه علي سبيل العتاب . ويلك ياعنتر سلوت عبلة ونسيتها بعد تلك المحبة . ولكن الرجال ليس لهم مودة ولا يحفظون حرمة ولا صحبة واذا غاب عنهم حبيب . ابدلوه بقريب . وانزلوا البعيد مكان القريب . فقال عنتر ياسيدتاه وحق من خلق الاشيا وسواها ورفع السما وبناها . وبسط الارض ودحاها . اني ما سلوتها ولا انساها . ولا التفت قط الى امراة سواها . ولكن لا بد من الغزو الي خلل العربان . كما جرت به عادة الفرسان . لاجل ما علينا من الطارق وكثرة الضيفان . فقالت صدقت اذهب في الحفظ والسعة . والكرامة والدعة . وانا اطلب من الله ان يرزقك مال كل ظالم ويردك الينا عن قريب بالاموال والغنايم فشكرها عنتر علي ذلك . ثم ودع اباه شداد وعمه مالك وقصد ناحية بلاد اليمن كما وقع عليه الاتفاق . فلما اتسع عليه البر خرج يطلب بلاد العراق . وقد قاده هوى عبلة بزمام الاشواق

قال الراوي كل هذا وشيبوب في بيت امه زبيبة . حتى لا يحصل لاهل الحي ما فعلوه شك ولا ريبة . وكان عنتر قد

اوصاهُ ان يلحقهم متى جن الليل. فساروا سير الرفق ولم يكدوا الخيل. ولما اقبل الظلام. وخفيت مواقع الاقدام. وصل اليهم شيبوب. وهو مثل الريح الهبوب * فعند ذلك جدوا في قطع البطاح. الى ان اصبح الصباح فتبطنوا القفار. وقطعوا السهول والاوعار

قال الراوي هذا ما كان من ابي الفوارس عنتره واما ما كان من الربيع بن زياد وما دبر. فانهُ لما اقتسم هو ومفرّج بن هلال. ما كان على عبلة من الجواهر واللآل. رحلا طالبين الملك النعمان. وكان مفرّج قد سار في جمعٍ غفيرٍ من بني شيبان وما ترك في الحلة غير مائة من الفرسان مع ابن عمه مالك بن حسان لحفظ الاموال والنسوان واقام عبده بشارة اميناً على مالهِ. وسلم اليهِ مفاتيح خزاينه واوصاه بحريمهِ وعيالهِ * وسار مع من معهُ من فرسان العشيرة. حتى اشرف على الحيرة. فوجد الملك النعمان * خارج المدينة في موكبٍ عظيم من الخدم والغلمان. وكان ذلك اليوم بالاتفاق يوم النعيم والمهرجان *

قال الاصمعي وكان الملك النعمان. قد اسنّ في مملكتهِ سنّةً ما سنها احدٌ غيرهُ من ملوك العربان. في ذلك الزمان لانهُ كان قد جعل له في كل سنةٍ يومان. يوم يسميه يوم البوس والعقيم. ويوم يسميه يوم الحظ والنعيم. وكان في

يوم البوس يلبس ثوباً اسود . ويركب جواداً اجرد . وياخذ في يده سيفاً مهند . وتركب بين يديه جبابرة العبيد . وهم لابسون الزرد النضيد . فيخرج بهم الى الطريق . وفي ايديهم الحراب والمزاريق . فمن صادفوه قتلوه ان كان عدواً او صديق . وكان يخرج من الصباح ويقيم الي وقت المساء . ولا يرجع حتى تتخضب ثيابه بالدماء فتغلق فى ذلك اليوم الاسواق * وتنقطع الطرقات من تلك الافاق . وتترك الناس البيع والشراء . والاخذ والعطاء . ولا يخرج احدٌ من منزله الا وهو لابس السواد وثياب الحداد . حتى اذا وقع النعمان بولده وهو علي غير ذلك . قتله وانزل به المهالك *

قال واذا كان يوم النعيم فانهُ يلبس ثوباً اخضر . ويضع علي راسه تاجٌ من الذهب الاحمر . مرصّع بالدرر والجوهر * مرقومٌ في اعلاه صورة الشمس والقمر . ويركب بين يديه ماية غلام . كأنهم مصابيح الظلام . وعليهم الثياب المختلفة الالوان . وعلي روسهم شباك من اللولو والمرجان . وفي ايديهم اطباق من الفضة النقية . مملوة من الدنانير الكسروية . ومعهم الخلع الفاخرة من الحرير الرومية . فكل من وقعوا به تسابقوا اليه والقوا من تلك الخلع عليه * ونثروا ذلك الذهب بين يديه * ثم ياتون به الي النعمان . فيغمره بالاحسان ويباسطه بالكلام . ويزيد له في الاكرام . وياكل معهُ الطعام ويشرب المدام .

Digitized by Google

ويجلس معه الى آخر النهار. وبعد ذلك يعيده الى دياره في رتبة الملوك الكبار ❋

قال الراوي ومن اعجب ما تسطر. من الاحاديث التي تروى وتذكر. بان قدوم مفرج والربيع على النعمان. كان في يوم النعيم والمهرجان فتجارت نحوهما الغلمان. وخلعت عليهما من تلك الخلع الحسان. ونثرت على روسهما الدنانير فكاد عقلهما من شدة الفرح يطير ❋ ثم دقت الطبول وزعقت البوقات. وارتجت الافاق من ساير الجهات. واحضروهما امام النعمان فسلما عليه. وقبلا الارض بين يديه. ودعيا له وللدولة الكسروية بالدوام. ولاعاديه بالذل والانتقام. فرحب بهما وحياهما وبش في وجوههما واحسن ملتقاهما. وكان الربيع زكي الجنان. فصيح اللسان. لطيف المحاضرة كثير الادب. فنطق لسانه بالشعر كما جرت عادة العرب. فانشد وقال

ادام الله ايام التهاني وعشت من الحوادث في امان
فلا برحت شموسك مشرقات مدى الايام يا ملك الزمان
ولا زالت سيوفك قاطعات على اعداك في الحرب العوان
فقطر نداك يحيي كل ارض ويروي الخلق من قاص ودان
ولولا نور وجهك ما اهتدينا الى اثار هاتيك المعاني
فدم بالمجد ما دامت نجوم وعش حتى يؤوب القارظان

قال فطرب النعمان وتبسم. وقال لمفرج من يكون هذا

الامير المكرَّم . قال يامولاي هذا الربيع بن زياد شيخ بني عبس الاجواد * فقال انني لاعجب كيف زارنا في هذا الزمان سيدٌ من بني عبس وعدنان . لان ابي المنذر كان قد تعصب لعبدهم عنتر . ورفع عنهم الخراج وما قصر . ودخل بهِ على كسرى الملك الاكبر واقام عنده مدة من الايام . في عز واكرام . حتى صار له عند الملك اكبر قيمة . وما رجع الى اهلهِ الا باموال وافرة جسيمة . ومع ذلك فلم يعرفوا لنا مقاماً . ولا وفوا لنا عهداً ولا ذماماً *

قال الراوي وكان السبب في ذلك ان جميع قبايل العربان . كانت تحمل الغفارة الى الملك المنذر ابي النعمان حتى آل عبس وعدنان . فيرسلها الى كسرى انو شروان . الى ان انتشا الامير عنتر . وجرى له مع كسرى ما تقدم ذكره في هذا الدفتر . وقتل البطريق الذي جاء بالمال من عند الملك قيصر . ومن ذلك الوقت رفع المنذر عن بني عبس المال والعداد . اكراماً لعنتر بن شداد * ولما توفى المنذر وتولى مكانهُ ابنهُ النعمان . تبع سنة ابيهِ وعاملهم بالرفق والاحسان املاً ان يحظى من ملكهم زهير بكتاب . فلم يرد له خطاب ولا جواب . فاكتوى قلبه من هذا الامر . بلهيب الجمر * لانهُ كان قد سمع عن ابنتهِ المتجردة وما فيها من الجمال * ومكارم الخلق وحسن الخصال * فاشتغل خاطره بها وهويها * ولكن

عزة نفسه منعته ان يخطبها من ابيها ولم يزل على مثل ذلك
الحال حتى قدم عليه الربيع ومفرج بن هلال فقال في سره
هذا يكون سبباً لزوال ما بقلبي من الغم والضير وانال ما كنت
ارتجيه من المجردة ابنة الملك زهير فاكرمهما غاية الاكرام *
وتحدث مع الربيع وباسطه بالكلام وبعد ذلك رجع بهما
الى داره وكانت عظيمة البنيان مشيدة الاركان مستبشرة
بضيوفها وارباابها قد فتحت كواكب السعادة ابوابها وامطرت
عليها من سما الاقبال سحابها فتعجب الربيع من ذلك الملك
والنعيم والخير العظيم ونظر الى ترصيع وترخيم وتصوير
وتجسيم وابصر الى اسود من بعضها مقتربة وهي من الفضة
والذهب منتصبة ومن حوالي تلك الدار بستان فيه من كل
فاكهة زوجان كانه مفروش ببساط من الزبرجد منجد بالدر
والمرجان مرصع بالعقيق والعقيان تجري فيه انهار
كبطون الحيات في صفاء ماء الحيوة *
فجلس النعمان على التخت . وعليه ثوب العزة والرخت واجلس
الربيع ومفرج الى جانبه بين اهله واقاربه . واذا باسمطة قد
وضعت . وعليها اواني الذهب بانواع المعادن قد رصعت *
ثم امر النعمان باحضار الخمر الصافي العتيق . فجاءت به الخدام في
كاسات الذهب والاباريق فشرعوا في اكل الطعام وشرب
المدام وسماع الانغام فعند ذلك باح النعمان وهو في حال

Digitized by Google

سكره * الى الربيع بما في سره وقد خطرت المتجردة في فكره ثم قال وهل المتجردة في الحسن والجمال * كما وصفها لي بعض الرجال . فقال الربيع وقد انفتح له في هلاك عنتر باب ما كان في حساب والله ياملك الزمان ماهي الا من حور الجنان والذي ذكرها لك ووصفها * ما اظن انه يعرفها لانها بغية لمن طلبها * وسعادة لمن خطبها قد باهت الشمس جمالا والبدر كمالا وفاقت على ساير بنات العرب شمايل وخصالا غير ان اباها رجل جبار لا يلين له جانب ولا يخشى من وقوع المعاطب لانه من مدة سنين وايام اراد يبني له في ارضنا بيتاً مثل البيت الحرام يامر العرب ان تزوره في كل عام وهو اليوم ايها السيد الاكبر قد زاد في تجبره واستكبر لانه الحق ذلك العهد في النسب واذل به سادات العرب وترك في قلوب الرجال * بهذه الفعال . نيران زايدة الاشتعال واول . الناس هو انا * لاني رايت الذل بعد العز والفقر بعد الغنا فرحلت من جوار بني عبس ونزلت على بني غطفان حتى لا اكون تحت لواء الذل والهوان لانه قد مضى عليّ مدّة وانا اكابد بينهم ضراً وشدة ولو كنت ايها الملك ترسل الان الى ملكهم رسول * وتخطب منه ابنته المتجرده فيرده بالخيبة وعدم القبول فاستشاط النعمان غضباً وتكدر وتاثر لكلام الربيع وتغير وقال وحق بيت النار الاكبر وما وقد فيه من الجمر الاحمر لو ارسلت

اليهم احداً في صفة خاطب . وعاد اليّ خايب * ما تركت عن بني عبس لاماشياً ولا راكب * فاقم عندنا برهة من الايام . حتى تقف على حقيقة هذا الكلام لاني قد عزمت بان ارسل كل من في بلاد العراق . يانون اليّ ببني عبس في حبال الذل والاخراق واطالبهم بما عليهم من الاموال القديمة . ثم اضرب رقبة ملكهم زهير بن جذيمة. ومثل ذالك افعل بعبدهم عنتر الذي قد طغى وتجبر . وانتقم منهم غاية الانتقام . واجعل جثث ساداتهم ماكلاً للطيور والهوام . لانهم نقضوا العهود وخلعوا طاعة الاحكام * وجحدوا الجميل والانعام . واظهروا نفوراً بعد الرفق والاكرام لانك ذكرتني بشيء قد كنت التهيت عنه ومن حيث ذكرته الآن فلا بد لي منه . فقال الربيع وقد امتلا قلبه بالسرور والفرح . واتسع صدره وانشرح . اعلم ايها الملك الكبير صاحب التاج والسرير ان قلبي قد انطوى لك على الصدق وحفظ الوداد . والان قد بلغت غاية القصد والمراد . لاني وجدت فيك مع الحلم والفهم * الهيبة التي هي بالاسم والجسم . وزد على ذلك المعروف والايناس . واللطف الذي لايوجد في احد من الناس . والصواب ان تصبر على هذا الامر حتى اعود الى الاوطان . واخاطب الملك زهير في هذا الشان . واذكر له ما انت فيه من علو الجاه ورفعة المكان . واصف كثرة جنودك وفرسانك . وفيض كرمك واحسانك . وفضلك وامتنانك .

Digitized by Google

واشير عليه بالزواج وعدم الاحتجاج. فان اجاب بالسمع والطاعة قولاً وفعلاً. كان ذلك احسن واحلا. وان ابي وقال لا. كان ذلك الهوان الذي ذكرته به اولى * ثم حدثه بقصته مع مفرج بن هلال. وكيف انهما قتلا عبلة وتقاسما ما كان عليها من الاموال. وبعد ان اعلمه بجلية الحال صاح على عبده سالم. وامره باحضار تلك الغنايم. فخرج الغلام وما غاب الا القليل. حتى اتى بقلايد الجوهر والاكليل فقدمها الربيع الى النعمان. مع باقي التحف الحسان. وقال له ان احسانك قد سبق * وهذه الذخاير لك اليق. فاندهش من ذلك وشكر الربيع. واحضر مفرج ايضاً ما كان قد اخذه فصار بين يديه الجميع * ثم قال للربيع لقد احسنت واجملت وهذه الهدية عند مثلي لا تضيع *

قال الراوي وبعد ذلك انعكفوا على شرب المدام. وسماع الانغام. وصرفوا تلك الليلة باوفى السرور. واطيب الحبور. ولما كان الصباح خلع النعمان على مفرج بن هلال الخلع الغوال وارسله الى كسرى في قضاء بعض الاشغال. واقام الربيع بعد ذلك ثلثة ايام. في ترحيب واكرام. واحتفال واحترام. وفي اليوم الرابع طلب الاذن بالمسير. فاجابه النعمان وامر له بخمسماية ناقة من النوق العصافير من جملتها عشرة بغال. محملة من نفايس التحف والاموال. واهداه ايضاً خمسين فرساً من الخيول المطهمة الحسان. واكثر له من الانعام والاحسان

وامره بسرعة المسير الي الديار . وان لا ينقطع عنه الاخبار . بعد ما طلب منه المساعدة . في خطبة المتجردة . ثم ودعه بعد ذلك وسار الربيع يقطع البراري والدكادك . حتي وصل الي مكان يقال له ركايا مالك . فنزل بمن معه للراحة هنالك . وارسل عبده سالم يبشر اخوته بقدومه وبلوغ مناه . حتي يخرجون الى ملتقاه

قال الاصمعي هذا ما كان من الربيع بن زياد . واما ما كان من عنتر بن شداد . ومن معه من الرجال الامجاد . فانهم كانوا قد جدوا في قطع البراري والاكام . كما تقدم الكلام . الى ان ولى النهار واقبل الظلام . فاشرفوا على ذلك المكان في نصف الليل . فسمعوا صهيل الخيل . فقال عنتر لاخيه شيبوب . ويلك يا ابا رباح اكشف انا خبر مولاي النازلين في هذه البطاح . فاجابه بالسمع والطاعة . وسار من تلك الساعة وما غاب الا اليسير . حتي رجع الى اخيه كانه الطير الذي يطير . وقال له ابشر يا اخي ببلوغ المراد . ومسرة الفواد . فان الذي نازل في هذه الارض والمهاد . هو صديقك الربيع بن زياد . ومعه صناديق واموال . وخيول وجمال فقال عنتر وقد تعجب من ذلك الاتفاق . الذي لم يسمع بمثله في بطون الدفاتر والاوراق . قد ساقني حظي وسعدي . لا انتقم من هذا القرنان . واشفي منه بعض ما عندي فقال له عروة ما الذي

تريد ان تفعل. وما صممت من العمل انقتل الربيع بن زياد ونلاقي بيننا وبين قومه الفتن والفساد قال عنتر نعم . الى حيث القت رحلها ام قشعم . والله ان هذه غاية مرادي ومسرة فؤادي وان كنت لا اريد ان اقتله فقد خطر في بالي شيئًا لابد لي ان افعله فقال عروة افعل ما بدا لك . فما فينا احد يخالف مقالك قال الراي عندي ان نكبسهم في ظلام الليل . وذلك قبل طلوع الثريا وسهيل . ونذيقهم مرارة الصبر والويل . ثم تاهب الامير عنتر بمن معه من العسكر . وكان قد صاح في عشرة من الفرسان . وقال لهم اقصدوا الربيع القرنان . ومتى وقعتم به اجرحوه في ثلاث مواضع . ولا تدعوه يدافع او يمانع . ثم شدوا يديه ورجليه . واعصبوا بعمامته مقل عينيه . واذا التقيتم بعبده قطعوه اربا . واطرحوه على وجه الربا . ويكون نداكم يالقحطان واياكم تنتسبوا الى عبس وعدنان . حتى لا يعرف منكم انسان ❁

قال الراوي ثم انهم هجموا بعد ذلك على العبيد وهم نيام ووضعوا فيهم الحسام . وهم ينادون يالقحطان الكرام . فانتبه الربيع وقام . وحاول ان يسل سيفه ويطلب القتال . واذا قد دارت اوليك الرجال من اليمين والشمال . وصاحوا فيه صيحات عاليات . وضربوه بالسيوف ضربات خفيفات ❁ غير قاتلات . فانصرع ووقع . واعتراه الخوف والفزع . فاوثقوه

بالحبال . وتركوه علي ملقي الرمال . ثم احاطوا بعبيده واوردوهم موارد الحتوف وسطحوهم علي الارض بشفار السيوف . واعادوا الاحمال علي ظهور البغال . وساقوها الى امام عنتر . ففرح واستبشر وبرد غليل فواده من حلاوة الظفر . وبعد ذلك تبطنوا البر الاقفر حتي صار وقت السحر . فنزلوا علي ماء يقال له الجوانح وهو بين فزارة وعبس واقاموا هناك حتى بدت غرة الشمس . فاناخوا الجمال . وفتحوا تلك الرحال . فوجدوا فيها من التحف الحسان . والاقمشة المختلفة الالوان . ما لا يسعوعبه بيان . ولا يتثبتها بنان . فقال عروة ما هو الراي يا ابا الفوارس في اخفاء هذه التحف والنفايس لانه ان سلم الربيع من شرك العقال وعلم اننا نحن الذين فعلنا به تلك الفعال لا يصبر علي هذا الحال . وربما تعصب له الملك النعمان . وغيره من ملوك العربان فتقع الفتن * وتعظم البلايا والمحن ويحل بنا التدمير ويهلك منا الكبير والصغير

قال عنتر اني لا ابالي بالربيع ولا اخاف من الغير . ولا يكدرني شياً الا اذا عتب عليَّ الملك زهير لان الذي فعلته مع الربيع ما هو الا نقطة ما فعله في حقي من الجرايم . وارتكاب الفواحش والعظايم . وما خوفي الا ان اكون مظلوماً فاصير انا الظالم فقال شيبوب اما خوفك من هذا القبيل فلا تحمل همه ولا ضيره ولا تخاف من عتاب الملك زهير ولا غيره . لانه قد خطر

في بالي امر . فيه يكون اكتتام هذا الحال عن زيد وعمرو . وهو ان ترسلوا هذه النوق والجمال . مع بعض الابطال . الى الاطلال ويفرقوها في مراعينا بين الاموال . واما هذه الرحال ادفنوها بين احاقيف هذه الرمال لحين رجوعكم من ديار مفرج بن هلال واما البغال فخذوها معكم لحمل الزاد والاثقال . قال عروة وحق علام الغيوب . لقد اشرت بالصواب وما قصرت يا شيبوب * ثم انهم انفذوا النوق والجمال . مع عشرة من الرجال ودفنوا الصناديق في الرمال واخذوا معهم البغال وساروا طالبين بلاد العراق . وعنتر قد المهٔ الفراق وزاد به الي عبلة الاشتياق . وفرح بهذا الاتفاق الذي لم يسمع بمثله في سابر الافاق وكان يتسلي با لحديث مع عروة بن الورد . ويشكو له بما في قلبه من الغرام والوجد . ولما تمادى به الترحال . انشد وقال

ياشوق صبري ضعيفاً عنك لاتزد ولا تزدني علي ما بي من الكمد
ويا سقامي تأنى لا تلحّ فما ابقيت غير رسوم الصبر والجلد
كم ليلة بت اشكو طولها ولهاً والشوق يضرم نار الوجد في كبدي
وكلما ناح طير في الدجى سحراً امسكت من اسفي طي الحشا بيدي
يا طاير البان غنى كيف شيت فقد امنت من نائبات الدهر والنكد
لقد وجدت حبيباً كنت نالفه وقد فقدت حبيباً غاب عن بلدي
واذكر ليال مضت بالوصل مشرقة مذ بت تهتف بين الايك بالنشد

Digitized by Google

ياصاحبي لاتخف في يوم معركة اذا رايت بريق البيض والزرد
القَ الاسنة والابطال جايلة ومت كريماً ولاتخضع الى احد
وخاني اشتفي ممن يعاندني مادمت املك بعض الروح في جسدي
واترك الارض من فيض الدما نقشت كحلة البرد تطريزاً بغير يد
ويصبح الجو من كثر العجاج دجى والليل محتلك والنقع في رعد
قال الراوي ولما فرغ عنتر من هذه الابيات . طربت لها الحاضرين من السادات وقال له عروة والله لقد جمعت بين فصاحة الكلام . ورجاحة النثر والنظام ما لم يسبقك عليه احد من الانام . فشكره عنتر علي مقاله واثنى عليه وعلي رجاله * ثم نبطنوا الاودية والشعاب . وظهور الفيافي والهضاب حتى خرجوا من ارض الحجاز ودخلوا في اوايل بلاد العراق وعنتر ينقاد بذمام الاشواق ولم يزالوا مجدين السير الى ان بقي بينهم وبين ديار بني شيبان ليلة واحدة لاغير . فعند ذلك عدل بهم شيبوب عن الطريق وانزلهم في وادٍ عميق وقال لهم اقيموا في هذا المكان حتى اقصد آل شيبان وادخل الى مضارب مفرج بن هلال وابصر ما قد تجدد بعدي من الاحوال واجتمع ببشارة بن منيع وانظر علي ماذا عول ان يفعل من الصنيع فقال عنتر هذا هو الصواب والامر الذي لايعاب * ثم ان شيبوباً خلع ما كان عليه من الثياب ولبس ثوباً من الخام قصير الاكمام وضيق اللثام وتزيا بزى عبيد اهل الشام *

وخرج من قدام اخيه كلمة ذكر النعام وسار يقطع البر والآكام حتى اشرف على الحي عند دخول الظلام فطلب اثر الرعيان املاً ان يقف منهم على خبر او اشارة ويعلم ما كان من امر بشارة فبينما هو ساير وفي قلبه نيران الحريق واذا بفارس قد اعترضه على ناحية من الطريق من دون صاحب ولا رفيق. يبكي بكا العاشق الولهان. ودموعه تجري على خديه شبه الغدران وهو ينشد ويقول

ريح الحجاز تنفسي من حاجر. وأقري سلامي للحبيب الهاجر
فلعل رابعة ترد سلامها وتجود وهناً بالخيال الزاير
هيهات كيف يجود من الوالجفا بالوصل او يرجى الوفا من غادر
ياعبل ان كان ابن عمك قد سلا ونسيك خوفاً من رجال عشاير
او كان شيبوباً أصيب بنكبة وحوته بطن مقابر وحفاير
فالامر للرب القديم فانه في خلقه يقضي قضا القادر

قال الراوي فلما سمع شيبوب منه ذاك المقال. علم انه بشارة بن منيع عبد مفرج بن هلال. فاجابه على شعره وقال

والله ما طرق الزمان لعنتر كلا ولا شيبوب ذاك الماهر
ولقد اتاك بهمة عبسية والخيل تتبعه بكل مبادر
من كل اغلب في الكريهة ماجد صعب النسيمة كالهزبر الكاسر
يلقي صدور الخيل في يوم اللقا ويرد هاماً العدى بالباتر
بطلاً اذا عاينته في سرجه فتراه كالاسد العرين الكاسر

من نسل سادات غدت افعالهم بين الورى مثل الربيع الزاهر

قال الراوي فلما فرغ شيبوب من شعره. تقدم الى نحو بشارة واعتنقهُ وضمهُ الى صدره وقال له والله لم تطرق شيبوب نوايب الزمان ولا سلاكم ولا خان بل اني وفي صحبتهِ ماية من الفرسان. تلقي جموع بني شيبان ولوان معهم جبابرة العرب وطوايف الجان. فبكى بشارة من فرحهِ بشيبوب. وانجلت عنهُ الهموم والكروب وقال له لقد افاقتني بطول غيبتك وبعد المزار حتى لم يبقَ لي هدوٌ ولا اصطبار. ولا اقمت في مكان وقر لي فيهِ قرار. وكنت عزمت علي الرحيل من هذه الديار. فلم اجد لي مساعدًا على ما اختار. ثم حدثهُ برحيل مولاه الى عند الملك النعمان ومسيره من هناك الى بلاد خراسان وكيف حكمهُ في سايرامواله. واقامهُ وكيلاً على حريمهِ وعيالهِ. ثم قال اني قد عولت الآن ان اخذ جميع ما لمولاي من الاموال والتحف الحسان واسير في حمايتكم الى دياركم واقيم مع محبوبتي رابعة في جواركم. فقال له شيبوب والله ياصاحب النخوة والمروة. والموصوف بالامانة والفتوة. انها اليك باعظم اشتياق. ولما سمعت بذكرك كادت ان تذوب من الم الفراق ولواعج الوجد والاشواق. حتى لو امكنها تطير لطارت الى بلاد العراق

قال الراوي فلما سمع بشارة من شيبوب ذلك الكلام. زادت بهِ الالام. وبكى من شدة الغرام. فقال له شيبوب

Digitized by Google

لاتنزعج نفسك فالامر كما تحب وتختار وما بقي غير التدبير في رحيلنا من هذه الديار . قال بشارة اعلم يا اخي الامر مدبر والحال قد تيسر . وقبل كل شي تاخذ عبلة الى عند اخيك عنتر . واذا وصلت بها اليه ارحلوا من هذه الاطلال وانزلوا في وادي النقا على طريق جبال الردم ووادي الرمال . حتى اعود اليكم بالتحف والاموال . على ظهور الجمال * وما يكون معي الا نفر قليل من الرجال فاذا وصلنا اليكم اخرجوا علينا في الحال . وابذلوا فيهم السيوف الصقال . ولاتبقوا منهم انسان . ثم نسير بعد ذلك في امان . الى دياركم والاوطان . فلما سمع شيبوب منه ذلك الخطاب . رآه عين الصواب فقال افعل ما بدا لك وابشر ببلوغ الامل . وان كنت تحتاج الى معين فانا ادخل معك الى الحلة واعاونك على ذلك العمل . قال بشارة اني لا اريد في هذ الامر مساعد . ولا احتاج فيما دبرت الى معين او معاضد . وما اريد منك الا ان تعدل عن قارعة الطريق وتكمن بين هذه التلال . وتقيم هناك الى ان يخلو البر من العبيد والرجال . حتى اتيك بعبلة قبل كل شي . ثم فارقه وكر راجعاً الى الحي *

قال الاصمعي وكانت عبلة قد ملّت من كثرة الشوق والانتظار . وعلا جسمها الاصفرار . وهي تبكي في الليل والنهار وكانت ام بشارة تشاغلها بالكلام ولطيف الاخبار .

Digitized by Google

وتسليها بنشيد الاشعار. وتداريها مداراة الاطفال الصغار. كان بشارة ياتي الى عندها في الليل الحالك. ويتحدث معها في مثل ذلك حتى يغلب عليها الكرى وتنام. ثم يعود الى مضاربه والخيام الى ان كانت تلك الليلة التي التقى بشيبوب. وقد تباشر كل منهما على لقاء المحبوب. ولما دخل عليها وجدها تبكي وتذرف الدموع وتنشد من فواد موجوع

فني الدمع والاشواق تمحي ولا تفنى واسقمني وجدي الى الاهل والمغنى
وفي مهجتي يا راحلين ترفقوا ولا تشمتوا بالبعد حسادنا منا
وان جزتم في سيركم رمل عالج فردوا فوادي وارحموا جسمي المضنى
بني العم ما عودتموني ملالة ولا فيكم من سار نحوي ولا عنا
علمتم بحالي وانقطاعي وغربتي وخليتموني في ديار العدا رهنا
اموت اشتياقاً كل يوم وليلة ويقلقني صوت الهزار اذا غنى
فيا ليت شعري هل يردني مبشر يبشرني حتى يزول العنا عنا

قال الراوي فلما سمع شعرها تبسم. وتقدم اليها وسلم. وقال لها ابشري بقدوم البشير. والفارس النحرير * ثم انه اعلمها بقدوم شيبوب وعنتر. وقص عليها الخبر. فقالت له احسن الله بشارتك وجزاك خيراً. وجمع شملك بمحبوبتك ولا اراك سوءاً ولا ضيراً * ثم انه البسها ثياب الرجال وعممها واركبها جواده ولثمها. وخرج بها من الخيام. تحت جنح الظلام حتى وصل الى المكان الذي فيه شيبوب. فلما راها سلم عليها

وهناها بالسلامة من الكروب * وشكر بشارة على فعاله وسار بها الى عنتر ورجاله. فلما نظر عنتر الى عبلة. زالت عن قلبه الدبلة وضمها الى صدره وعانقها . وشكى اليها حاله من حين فارقها فبكت وقالت ما اظن ان احداً لاقى مثل ما لاقيت . ولا قاسي مثل ما قاسيت . فبكي عنتر لبكاها . وتالم قلبه لشكواها . وازال عنها رعبها وبالسلامة هناها * ثم حدثه شيبوب بما اوصاه به بشارة . وكيف انه مزمعٌ ان يهرب بمال مولاه كما سبقت الاشارة . ففرح بتلك القصة . وزالت عن قلبه الغصة. قال الراوي هذا ما كان من عنتر. واما ما كان من بشارة فانه رجع الى بني شيبان في وقت السحر . وكتب عن لسان مولاه مفرج بن هلال كتاب يحتوي على الزور والمحال . وذلك لاجل بلوغ مناه . والحصول على ما يتمناه . ثم ارسل خلف مالك بن حسان الذي اقامه مفرج مكانه على بني شيبان فلما حضر قال له قد اتاني البارحة كتاب من عند مولاي صحبة نجاب . فاحضرتك لتقراه . ونقف على حقيقة معناه . وفيه يقول انني قد بليت من خدمة الملك كسرى بما لا يطاق واريد ان اهرب بمن معي من الرفاق . واقيم في اطراف الحجاز وبلاد العراق . لانه ارسلني الى نواحي خراسان وتلك البلاد . لاجل قتال اهل البغي والعناد الذين تمردوا عليه والقوا بين الرعايا الفساد . وقد اجتمع علينا من الاعدا خلق مثل عدد الجراد . فعزمت ان

اهرب في من تبقى من رجالي واريد منك ان تاخذ اموالي ونوالي ونوقي وجمالي وتسير في عاجل الحال . وتنتظرني في جبال الردم ووادي الرمال حتى اصلح حالي مع الملك النعمان . واساله ان يسال فيَّ كسرى انوشروان . واريد الان افعل ما امرني بهِ في الخطاب . وما احضرتك الا لاستشيرك في هذه الامور والاسباب ثم اعرض عليهِ ذلك التحرير المحتوي على الكذب والتزوير فاخذه وقراه . ووقف على فحواه . فوجده طبق ما ابداه . فقال يا بشارة اني لاتعجب كيف انهُ اهتم بمالهِ . ولم يذكر شيئاً عن حريمهِ وعيالهِ . قال لانهُ يعلم اذا قبض كسرى على النسوان يبقيهنَّ عنده في الاعتقال مدة من الزمان . ثم يطلق سبيلهنَّ بواسطة الملك النعمان ولكن اذا نهبت العرب المال والمتاع . اقتسموه بينهم وضاع . فقال مالك صدقت . فيما نطقت . فدبر ما تريد . برايك السديد *

قال الراوي فلما انطلى على مالك المحال . نهض بشارة في الحال . وفتح خزانة الجوهر . واخذ منها النفيس المفتخر . كالزمرد والياقوت الاحمر . واللولو الذي يعادل الرمانْ . في المقادير والاوزان . ما لم يتفق اجتماع مثله لاحدٍ من صناديد القروم . الا في خزاين ملوك العجم والروم * ثم جمع صناديق الاموال . وامر العبيد ان تشيلها على ظهور الجمال . وما غابت الشمس حتى انقضت الاشغال فركب مع امهِ . ومن يلوذ بهِ من بني

عمو . وطلبوا البر الاقفر . حتى اشرفوا الى المكان الذي فيه الامير عنتر . فطلبتهم فرسان عبس من راس الوادي . وهي تصيح وتنادي . وافرحاه . بعد ترحاه . الغنيمة الغنيمة . وقد خرجت بهمة عظيمة . فقال بشارة للعبيد لا تخافوا فانا اتقدم واعلمهم بالحال . واخبرهم بان هذا المال * خاصة مفرج بن هلال * ثم اكز جواده حتى اقترب من عنتر فسلم عليه وقبل الارض بين يديه . وقال يامولاي ابذل سيفك في هولاء الانذل وخذ هذه التحف والاموال . واجمع بيني وبين محبوبتي رابعة ذات الحسن والجمال * ثم انشد وقال

سما بك المجد واستعلت بك الرتبُ
وقصرت عن علاك العجم والعربُ

حزت الشجاعة حتى نلت غايتها
فما يفوتك من القابها لقبُ

سعى الرجال بجمع المال واجتهدوا ولم يكن لك في غير العلى اربُ

يامن اذا حجبته شمس هيبته ايقنت ان نداه ليس يحتجبُ

امنن عليّ وهبني اليوم رابعةً وجد بها سيدي من بعض ما تهبُ

فقد علمت وما تزداد معرفةً ياذا البها والسنا والجود والادبُ

قال الراوي فلما سمع عنتر شعره قال له ابشر يافتى بحسن الجوار والاحسان . والجيرة من ساير العربان . ثم امر الفرسان . ان تضع السيف في عبيد بني شيبان . فداروا بهم من

كل جانب ومكان . ونهبوهم باطراف السيوف الصقال . والرماح الطوال . وساقوا الجمال والاموال وساروا يطلبون المنازل والاطلال . وشيبوب بين ايديهم يقطع بهم القفار . حتي قاربوا الديار . فعدل شيبوب بالجمال . الي المكان الذى كانوا دفنوا فيهِ صناديق الاموال فنبشها واعادها علي ظهور البغال واختلط المال بالمال ثم قصدوه المنازل والاوطان . وما اشرف عنتر علي بني عبس وعدنان . الا باموال تملا السهول والقيعان وخيرات يعجز عن وصفها اللسان . ولما قرب الى الاحيا . انقلبت لقدومه الدنيا . وخرج الملك زهير الى ملتقاه . مع فرسان عشيرته واقرباه . وكل من يحب عنتر ويهواه . وكذلك اباه شداد . وعمه مالك وزخمة الجواد * فلما ابصر الملك زهير تلك الرحال * التي جا معهُ على البغال . فقال يا العرب قد افقر عنتر ملوك الارض وقطع طرقات اليمن . وانزل عليها البلايا والمحن . وكان عنتر لما راى ازدحام الابطال . وكثرة النساء والرجال . ارسل عبلة الي بيت ابيها في عاجل الحال وتقدم الى نحو الملك زهير وسلم عليهِ . وقبل يديهِ ومثل ذلك فعل مع اولاده وقد اكمد قلوب اعداه وحساده . فساله الملك زهير عن قصته . وما جرى له في سفرتهِ . فقال عنتر يامولاي قصتي عجيبة يعجز اللسان عن شرح وصفها . وليس هذا وقت كشفها . ثم تقدم مالك ابو عبلة وسلم على عنتر وهناه بالسلامة

من الضرر . وقال له يا ابا الفوارس هل سمعت الى زوجتك خبر . او وقفت لها على اثر . قال نعم هي الان في بيت امها وقد خلصتها من بلاها وغمها ، ولما وصلوا الى الديار وقع في الحي الفرح والاستبشار . وخرجت الاما والحراير وهن يضربن بالدفوف والمزاهر . والتقى بشارة بمحبوبته رابعة فترجل اليها وعانقها وشكى اليها ما لاقي من حين فارقها . وما زالوا كذلك حتى استقر باهل الحي المقام . فامر عنتر عبيده فضربت الخيام . ودخل مالك الي ابياته فوجد ابنته عبلة جالسة بين نساء عموتها . وهي تحدث امها بقصتها . فتعجب لما راها . وتقدم اليها وحياها . وبالسلامة هناها . ثم قبلها بين عينيها وجلس ليسمع حديثها وما جرى عليها ❋

قال وما استقر بعنتر النزول حتى جاء من عند الملك زهير رسول فقال له اجب الملك فانه مشتاق الى رويتك . وهو يريد ان يسمع ما جرى لك في سفرتك فاجاب بالسمع والطاعة . وسار حتى دخل على الملك من تلك الساعة فجلس وسلم . ودعا له بدوام العز والنعم فرحب به ولاطفه بالكلام . واكرمه غاية الاكرام وقال له اهلاً وسهلاً يا حامية عبس يوم جلادها . لقد ابعدت عبلة وكنت الرابح في ابعادها فقال ما ابعدتها ولا نسيت هواها ❋ بل لاجلها كانت سفرتي حتى خلصتها من بلاها ثم حدثه بقصته من اولها الى اخرها ❋ وكشف له عن باطنها

الكتاب الثامن عشر
من سيرة عنتر بن شداد العبسي

وظاهرها فتعجب الملك وقال والله يا عنتر ان هذه الاحاديث اظرف من كل خبر فلو كتبت على الصخور لذابت * او سمعتها الاطفال لشابت * وهل عبلة الان في بيت ابيها . قال نعم . ايها الملك المعظم . غير انه قد فقد ما كان عليها من الجوهر ونفايس الدرر وقد عولت ان افعل فعالا في بني زياد ما فعلها احد غيري من العباد فقال الملك والله لا زالت انت والربيع في لجاج ونكد حتى تفتحا علينا باباً لا يسد على طول الابد والصواب انك كنت اعلمتني بخبر عبلة في بني شيبان . حتى كنت انفذت الى الملك النعمان وخلصتها لك من غير توان ولا كنت سرت بنفسك بهذه الابطال واخذت اموال مفرج بن هلال . وطرقت دياره وهو غايب في خدمة الملك كسرى * وتركت لنا مع القوم معاملة اخرى * فقال عنتر لو كنت اعلمتك بخبرها * كان الربيع قتلها واخفى اثرها والان فقد ثبتت عليه الحجة وما بقي يقدر ان ينكرها

Digitized by Google

واما آل شيبان * فسوف نسمع ما يحل بهم من الهوان لانى ما بقيت اصبر على الذل والهوان * ثم اخذ يعاتب الزمان * ويذكر ما جرى له في معامع الضرب والطعان فانشد وقال

ارى لي كل يوم مع زماني عتابا في البعاد وفي التداني
يريد مذلتي ويدور حولي بجيش النائبات اذا راني
كاني قد كبرت وشاب راسي وقل تجلدي ووهي جناني
الا يادهر يومي مثل امسي واعظم هيبة لمن التقاني
ومكروب كشفت الكرب عنه بضربة فيصل لما دعاني
دعاني دعوة والخيل تجري فما ادري اباسمي ام كناني
فلم امسك بسمعي اذ دعاني ولكن قد ابان له لساني
وفرقت المواكب عنه قهرا بطعن يسبق البرق اليماني
وما لبيته الا وسيفي ورمحي في الوغي فرسا رهان
وكان اجابتي اياه اني عطفت عليه موار العنان
باسمر من رماح الخط لدن وابيض صارم ذكر يماني
وقرن قد تركت لدى مكر عليه سبابا كالارجوان
تركت الطير عاكفة عليه كما تردي الى العرس البواني
وتمنعهن ان ياكلن منه حيوة يد ورجل تركضان
متى تهوي الى الخدين منه تزينها الي الوجه اليدان
ما اوهي مراس الحرب ركني ولا وصلت الي يد الزمان
وما دانيت شخص الموت الا كما يدنو الشجاع من الجبان

Digitized by Google

وقد علمت بنو عبس باني   اهش اذا دعيت الى الطعان
وان الموت طوع يدي اذا ما   وصلت بنانها بالهندوان

قال فلما فرغ عنتر من شعره . طرب الملك زهير من فصاحة نظمه ونثره * وعلم انه قادر على ما يقول * لانه سيد الفرسان وفعل الفحول ولا يثبت بين يديه الا من يصبح اسيرا او مقتول فقال لعن الله الربيع وقتله فما اخبثه واذله لانه اسلم ابنة عمه الى قوم ليس هم من ابناء جنسه ولاجل ذلك قابله الله بماله ونفسه * ثم حدثه بمسير الربيع الى عند الملك النعمان * وما وصل اليه من الانعام والتحف الحسان * وكيف دهمته الخيل . تحت ذيل الليل وضاع منه المال ووقع جريحاً على الرمال . وقتل ما كان معه من الرجال * فلما سمع عنتر هذا الايراد . قال هذا عاقبة البغي والفساد . فقد قابله الله على غدره . وجعل كيده في نحره *

قال الراوي وكان الربيع قبل ان يلتقي بعنتر . ارسل عبده سالم ليبشر اخوته بقدومه من السفر . كما تقدم الخبر . حتى يخرجوا الى لقاه عند طلوع النهار . وما حسب حساب طوارق الاقدار . فجد العبد في قطع البطاح . حتى وصل الى بني فزارة عند الصباح . فحدث القوم بحديث مولاه . وما جرى له مع النعمان وما اعطاه . ففرحوا بذلك وخرجوا الى ملتقاه . ومعهم جماعة من اصحابه واصدقاه . الى ان صار نصف النهار . فلم يقفوا له

على خبر ولا اثار . فقالوا للعبد ويلك اين فارقت مولاك .
امن الله املك واباك . قال البارحة فارقته من ركايا بني مالك
ووادي الزواه . وقال انه يرحل عند السحر وهذا وقت ملتقاه .
الا انه يكون اصبح تعبان . فاقام في ذلك المكان . لاجل
القرب والامان * ثم انهم جدوا في قطع الدكادك . حتى اشرفوا
علي ركايا بني مالك فراوا اثار المعمعة . والوحوش على اجساد
القتلا متتابعة . فقال عمارة واحرباه والله ما هذا الا بيئس الفال
ثم انهم قصدوا مبارك النوق والجمال . واخذوا يفتشون بين
تلك الرمال فوجدوا الربيع وهو علي تلك الحالة فتبادروا اليه
وفكوا عصايب عينيه ووثاق يديه ورجليه . فعاشت روحه
وتكلم . وايقن بالسلامة بعد العدم . وحدثهم بقصته . وما جرى
له في سفرته . فصعب عليهم ذاك الحال . وهنوه بالخلاص
من شرك العقال * ثم سالوه عن تلك الخيل التي دهمته في
ظلام الليل . قال سمعتهم ينادون بالتميم يالقحطان * وما
ادرى من اي قبيلة هم من العربان . ولا اعلم هل انهم تبعوني
من بلاد العراق . او وقعوا بي في هذا المكان اتفاق *

قال الراوي وبعد ذلك رجعوا به الى ديار بني فزارة . وهو
يلوم نفسه على ما حل به من الذل والخسارة * ويقول كل هذا
جرى من اجلك يا عمارة . لاني عملت على قتل عبلة فاصابني
هذه الدبالة * فلما سمع عمارة بقتل عبلة بكي وتلهف . ولم يبق

فيهِ منفصل الا ارتجف • وصار يشهق من شدة الحزن والاسف ويقول وا اسفاه عليكِ يابنة مالك • واحرباه على ساعة من ساعات وصالك • ولما وصلوا الى الخيام انطرح الربيع على الفراش وزادت بهِ الالام • وبلغ الملك زهير قدوم الربيع بن زياد فسار اليه واخذ بخاطره وسأله عن غيبتهِ في تلك البلاد • فحدثهُ بقصتهِ وذكر له خطبة ابنتهِ المتجردة . وكيف ان النعمان طلب منه المعاونة والمساعدة • فسكت الملك زهير . وعاد راجعاً بعد ما طيب قلبهُ واوعدهُ بكل خير • وقال لاولاده وفرسان عبس الاجواد • ان هذا الذي جرى على الربيع هو من بغيهِ على عنتر بن شداد ❋

قال ولما بدى من الربيع صلاحه . وختمت جراحه ووصل عنتر بتلك الاموال كما ذكرنا . وخلص عبلة كما وصفنا . شاع من ذلك اليوم خبرها في احيا العرب • واجتمعت بها النسا وهنوها بالسلامة من العطب . وما امسى المسا حتى وصل حديثها الى بنى فزارة . وسمع الربيع واخوته بتلك العبارة . فذابت اجسادهم • وتفطرت مرابر اكبادهم • وقال عمارة لاخيه الربيع ما هذا الخبر . الذي قد شاع واشتهر . فقال والله لست ادري وقد حرت في امري . لاني ما رحلت من بني شيبان . الى عند الملك النعمان . الا وهي تحت بساط الصحصحان ❋ ثم سال الذين جاوا بالخبر عن حقيقة ذلك • وكيف كان خلاص عبلة بنت

مالك . فقالوا راينا عنتر راجعاً من بلاد العراق . وبين يديه اموال قد سدّت الافاق * والى جانبه عبدٌ اسمر اللون فصيح الكلام لين المعاطف والقوام . فسالت عنهُ وقد اعجبني حسنه البديع . فقيل لي هذا بشارة بن منيع . وهو الذي كان السبب فى خلاص عبلة من حيلة الربيع . وقد اخذ جميع اموال مولاه مفرج بن هلال . وانى يريد المقام في هذه الاطلال . لاجل مولدة كان يحبها . ففعل هذه الفعال بسببها . حتى انهُ يجتمع بها *
فلما سمع الربيع بهذا الخبر طار من عينيه الشرر واجتمع باخوته وقال لهم اعلموا انه قد جرى من الاسباب . ما لم يكن في الحساب وما بقى غير معادات ذلك العبد الاسود . الذي قد طغى وتمرّد . والا قلع منا الاثار . وخرب الديار . وقلبي يحدثني انهُ هو الذي التقاني في الطريق واخذ مني المال . وجرحني وفعل تلك الفعال . واعادني الى الخسارة بعد ما كنت رابح . وقد تخطيت المصايب بوجهه الكالح . ولا بد ان يتعصب له الملك زهير بن جذيمة . ويطالبنا بما كان على عبلة من الاموال العظيمة . وينتهى الامر بيننا الى القتال . وان انا انكرت هذه الفعال . وقلت اني لا اعلم بما جرى على عبلة من الاحوال . يشهد عليّ ذلك الولد الزنا . وتربية الخنا . الذي خان مولاه . وتبع شهوته وهواه . وما كان الصواب الا قتل رابعة قبل التدبير . ولكني ما علمت بان هذا الامر تدبر لسعادة عنتر بحكمة المقادير *

Digitized by Google

ثم فاض الدمع من عينيه وانحدر. من شدة ما جرى عليه من العبر وقال وحق من خلق البشر. ان ضيع الملك زهير حقي وخذلني ولم يراعي جانبي وجانب اخوتي. لاقلعن اثره من ارض الشربة والعلم السعدي. واريه عاقبة البغي والتعدي. والقي الفتنة بينه وبين الملك النعمان. واترك العرب تقوده في حبال الذل والهوان. لانه لما اتى يفتقدني اشرت عليه بما يزيد في شرفه عند ملوك العرب. ويرفع قدره عند السادات من ذوي الرتب وقلت له ان الملك النعمان ملك ملوك العربان. بلغه حديث ابنتك وما فيها من حسن المناقب. ويريد ان يرسل اليك رسوله لاجل ان يخطبها فلا ترده خايب وانك تنال بمصاهرته اعلا المراتب. فما اجابني بجواب. ولا خاطبني بخطاب. والان اريد ان احقق ما خطر ببالي. فان صح عندي بان عنتر هو الذي جرحني واخذ مالي. ورايت الملك زهير يعينه قلعت اثار الجميع وصنعت بهم اقبح صنيع. هذا ما كان من الربيع بن زياد *

واما ما كان من عنتر بن شداد. فانه لما سمع من الملك زهير حديث الربيع على التمام. كما تقدم الكلام. قال لقد لقي بغيه بن الانذال وما بقي في الامر الا اننا ننفذ نطالبه بما كان على عبلة من المال. فان اقر بخطاه. وقال قد أخذ مني لما فقد مالي عذرناه. وان انكر وجحد اقمنا عليه البينة وقابلناه. فقال الملك زهير هذا الامر لابد لنا منه على كل حال. حتى يظهر لنا نور

الحق من ظلم المحال فعند ذلك رجع عنتر الى ابياته. وقد زادت افراحه ومسرانه. وبانت القبيلتين تضج بحديث عنتر والربيع ويتكلمون فيها بالجيد والشنيع. واما بشارة بن منيع. فقد اشتغل برابعة عن الجميع. لانه قد اجتمع بها بعد الاياس. وراى ذلك الاكرام الزايد له بين الناس *

قال ولما اصبح الصباح. واضا بنوره ولاح. قال عنتر لعمه مالك قم انت وولدك عمرو وادخلا على الملك زهير في عاجل الحال. ولا تبرحا من عنده حتى يطالب الربيع بما كان على عبلة من الجواهر والاموال فان قصدي اثيرها حربا. واخلص حقي منه ومن بني شيبان غصباً. فقال له عمه سمعاً وطاعة * ثم نهض وسار مع ولده عمرو من تلك الساعة حتى دخلا على الملك زهير وسلما عليه. وبكيا بين يديه. وقال له ابو عبلة انسي ابنتي من الاوطان. ويلحقنا العار بين العربان ويمضي حقنا مكانه ما كان وان كنت لم تقدر على ذلك تركت ابن اخي عنتر يخلص لنا حقنا منه بالسيف الابتر * فلما سمع الملك زهير منه ذلك المقال. خاف من اثارت الحروب ووقوع الفتن بين الابطال. فعند ذلك ارسل ولده قيس الى عند الربيع لكشف هذا الحال. فركب في خمسين فارس من الابطال. وقصد بني فزارة حتى اشرف على الاطلال. فالتقى بالربيع وحذيفة في اطراف البيوت ومعهما جماعة من الرجال.

Digitized by Google

فترجل على وجه الارض . وسلم بعضهم على بعض . وقال حذيفة هل انيت تطلب الصيد في ارضنا . ام زاير حتى ناخذ منك حظنا . فقال قيس ما انيت الا من اجل هذا الرجل الذي جفا اقرباه . وترك اوطانه تتحكم فيها اعداه . ثم قص على الربيع ما جرى من الحال . وانه مطالب بما كان على عبلة من المال . فلما سمع الربيع ذلك المقال . رجع الى المكر والاحتيال . والتفت الى حذيفة بن بدر وقال ايها الامير هل يوجد في الدنيا مثل مصيبتي . او جرى على احد مثل ما جرى عليَّ من عشيرتي . لانه قد فقد مني اموال لا يقدر عليها الا الملك النعمان نائب كسرى انوشروان ولولم تدركني اخوتي كانت الوحوش اكلت لحمي وجثتي وبعد كل ذلك يتهموني بالافعال الذميمة ويصدق الملك زهير فيَّ كلام عبد لا قدر له ولا قيمة . وليس لي من عبلة علم ولا خبر . ولا نظرت وجهها لا في السفر ولا في الحضر . وكل احد يعلم اني اعذل عمارة عنها ليلاً ونهارًا وابغضه فيها سرًا وجهارًا والله يعلم اني ما رضيت بذلك . وقد اصابني من فقدها اكثر ما اصاب ابوها مالك وربما يكون تعرض لها بعض الفرسان من بني شيبان . فسباها من اطراف الابيات . ثم تخلصت بهذه الاسباب نظرًا لما لها بعد من العمر وطول الحيوة . وقد بلغني انها رجعت الى اهلها وجمع الله بهم شملها . وانا راض باقرارها وقولها . فان كانت

Digitized by Google

تشهد بانها رأتني عند ما سبيت من الاوطان . او شاهدتني في بني شيبان . فيكون ذلك عليَّ اعظم بيان وبرهان وحينئذٍ استحق القصاص والقتل والا فدعوة عنتر كاذبة ليس لها اصل وما قصده الا البغي والفساد . وتهييج الفتن في ساير البلاد وان كان يطالبنا هذا العبد الفاجر . بمالٍ وجواهر . وتحف وذخاير . فليطلبها من القوم التي كانت عبلة في اطلالهم وانا اعلم بانهم لا يتركون لعنتر اموالهم ولا يصبروا عن عبدهم بشارة ولا امثهم رابعة ولا بد ما تبصروا فرسانهم اليكم متسارعة * وربما احتشد لهم الملك النعمان . ملك ملوك العربان . وامدهم بابطال العجم . وصناديد الديلم . وفرسان جذام ولخم . فيندم عند ذلك ابوك غاية الندم . اذا راى بعينه الهلاك والعدم

قال فلما سمع قيس من الربيع هذا المقال . انطلى عليه المحال وقال والله يا عماه لقد صدقت . في ما نطقت . والان قد علمت بان عنتر هو المعتدي في كلامهِ ونطقهِ . وقد فتح علينا باباً لا نقدر على غلقهِ فقال حذيفة يا قيس اذا كانت هذه المزايا مزاياه . لمَ لا نقتلوهُ وتستريحوا من شرهِ ودهاه . قال قيس ان الانسان بين اهله يعزّ ويجار . وان قتلناه يطالبنا كل من له علينا ثار . ونخاف بان الامر على مثل ذلك ينتهي . وتبلغ الحساد منا ما تشتهي * ثم ان قيساً الوى عنان جواده وقصد ديار عبس فوصل عند غروب الشمس . فدخل على ابيه وحدثهُ بما قال

الربيع بن زياد . وانهُ قابل بما تقولهُ عبلة بنت مالك بن قراد . وكان عنتر بجانب الملك زهير مع ابيهِ شداد . وعمه وزخمة الجواد . فلما سمع ذلك الخبر استشاط غضباً وتكدر وقال للملك زهير هذه نوبة ما تنفصل الا حتى يحضر الربيع وحينئذٍ تقابل المعتدي على فعلهِ الشنيع *

قال وكان الملك زهير ارسل مالك . يسال ابنته عبلة عن ذلك . فقالت اني ما رايت الربيع بالعيان . في الليلة التي اسرت فيها من الاوطان . حتي ولا في بني شيبان . فقال الملك الى عنتر قد مضى ما مضى . وان شاء الله نبدل الغضب بالرضى

قال وكان بشارة بن منيع من جملة الحاضرين . فالتهب فواده غيظاً ومضى الى ابياته واحضر الجبه والعمامه والسكين . وجميع ما اعطاه الربيع بن زياد . في الليلة الذي امرهُ فيها بقتل عبلة في تلك البلاد . وقال ايها الملك اريد ان تجمع بيني وبين هذا الرجل حتى اكذبه على اعيانه . واحجاه على ما قد ابداه في مقاله . لان هذا القماش هو الذي اعطاني اياه عند مولاي مفرج بن هلال . وهذه هي السكين التي امرني ان اذبح فيها عبلة وادفنها تحت احاقيف الرمال . وذلك بعد ما اقتسم هو ومولاي ما كان عليها من قلايد الدر والجواهر الزهر . واليواقيت الحمر *

قال فاندهش كل من كان هناك من الحاضرين . وقالوا والله ما بقي الربيع يقدر ان يجحد هذه البراهين . وما فيهم الا من

ذمّ الربيع. وتكلم فيهِ بالكلام الشنيع. فلما سمع قيس مذمة الربيع بن زياد. ازداد غيظاً وركب متن الجواد. وقال وحق ذمة العرب الكرام. لابد لي من افصل هذه الاحكام * ثم انهُ سار على عجل. وقلبه من شدة الغيظ قد اشتعل. فوصل الى بني فزارة في نصف الليل. وهو في غاية الكرب والويل. فانذهل الربيع من سرعة عودته. وساله عن قصته فقص عليه تلك العبارة. وما قال عنهُ بشارة. فلما سمع ذلك صفق يد على يد من شدة الطرب. وقال وذمة العرب. لقد ظهر مالي الذي اُخذ مني. والان قد صح عندي بان عنتر هو الذي اخذهُ وجرحني. وقد بلغني خبر هذه الصناديق والاموال. فسكت عنها خوفاً من وقوع الفتنة والقتال. والان فقد انهتك ستر هذا العبد ابن الانذال. وهو الذي علم بشارة ان يقول ذلك المقال. ويفعل تلك الفعال. وقد انكشفت ظلامتي. واتضحت حجتي. ولا بد لي من العودة الى الملك النعمان. واخبره بما جرى وكان. هذا ان كان الملك زهير عديم الانصاف. ولا يسال عن حقوق الرعايا والاشراف. فلما سمع قيس هذا الكلام. خف عنه ما كان يجده من الغرام. وقال والله ما طاب لهذه القبيلة سرور ولا هنا. ما دام فيها هذا العبد ابن الزنا *

قال وما كان كلام الربيع الا خبثاً واحتيال. وظن انه ينال مراده بالمحال. وما زالا في حديث عنتر الى ان صار

وقت السحر. هذا والربيع يوصيه ويقول له ياولدي. ان رايت الامر قد تعسر انفذ خلفي حتي احضر* واضرب بشارة امام ابيك حتى يقر بحقيقة ذلك الامر المنكر. وبعد ذلك ودع قيس الربيع وطلب البر الاقفر. ولما وصل الى الحي دخل على ابيه وحدثه بذلك الخبر. فتعجب وتحير* ثم انفذ خلف عنتر واعمامه وكانوا على مقالي النار. لاجل سماع هذه الاخبار فلما حضروا قال لهم استدعوا بشارة بن منيع. ليسير معنا الى بني فزارة لمواجهة الربيع. لاني قد فوضت هذا الامر* الى الشيخ بدر بن عمرو*

ثم ان الملك زهير حدث عنتر بما سمعهُ من الخبر. وكيف ان الربيع اتهمهُ بتلك الفعال* وشرح له القصة بالتمام والكمال وقد عول الان. ان يشكوك الى الملك النعمان* ولربما يكون انفذ الي بني شيبان واعلمهم بهذا الشان. وهذه القصة ان لم نتلافاها. وصل الينا شرها واذاها. وانفتح علينا منها بابا لايسد مدى الزمان. وطلبتنا الاعدا من كل جهة ومكان. فلما سمع عنتر هذا الكلام. اخذهُ القلق والهيام. وانفذ خلف بشارة فما وجد له خبر. ولا وقف له علي اثر. فقال الملك زهير ما غاب بشارة الا وهو كذاب* وقد خاف من الضرب والعذاب* وهذا دليل على ان لكم في هذا الامر علقة ونشب. وليس هذا من افعال كرام العرب* ثم انهُ عاد الي سرادقه وقد اظهر

الغيظ والغضب . ورجعت آل قراد وقد علاها الخجل . وزاد اللهيب في قلب عنتر واشتعل واقسم بن اوسع القفار وفجر الانهار . وخالق الليل والنهار انه لايخلص حقه الا بالصارم البتار وبعد ذلك يرحل عن الاوطان * ويقصد الملك النعمان ويسقيه كاس الهوان ويهد ركن بني شيبان الي اخر الزمان * ولا يترك منهم انسان * ثم انشد وقال

لغير العلي مني القلا والتجنبُ ولولا العلي ماكنت في العيش ارغبُ
ملكت بسيفي فرصةً مااستفادها من الدهر مفتول الذراعين اغلبُ
لين لك كفي ما تطاوع باعها فلي في وراء الكف قلبٌ مذربُ
وللحلم اوقاتٌ وللجهل مثلها ولكن اوقاتي الى الحلم اقربُ
اصول علي ابناء جنسي وارتقي ويعجم في القائلون واعربُ
يرون احتمالي عفةً فيريبهم توفر حلمي انني لست اغضبُ
تجافيت عن طبع اللئام لانني ارى البخل يشني والمكارم تطلبُ
واعلم ان الجود في الناس شيمةٌ تقوم بها الاحرار والطبع يغلبُ
فيا ابن زيادٍ لاتزم لي عداوةً فان الليالي في الورى تتقلبُ
ويا الزياد انزعوا الظلم منكمُ فلا الماء موروذٌ ولا العيش طيبُ
لقد كنتم في ال عبسٍ كواكباً اذا غاب منها كوكبٌ لاح كوكبُ
خسفتم جميعاً في بروج هبوطكم جهاراً كما كل الكواكب تنكبُ

قال فلما سمعت بنو قراد هذه الابيات اهتزت عجباً . وتمايلت طرباً . وقال له ابوه شداد ما ندعك ترحل الا ونرحل كلنا

معك . واينما سرت من الارض نتبعك • ولا نقيم في مكان *
نرى فيه الذل والهوان • ولكن لا تحرك ساكن حتى ينكشف
لنا خبر بشارة بن منبع * ونبصر نهاية هذه القصة مع عمارة
والربيع . فقال عنتر اما بشارة . قد اصبح في بني فزارة . في قبضة
الربيع وعمارة • وهو في حالة الذل والخسارة * ولا بد ما اكشف
خبره • واقتفي اثره وقد ضاق صدر عنتر . لاجل فقده وتكدر
واخذته الوساوس والفكر . واستمر مدة معتزلاً في الخيام *
لا يلتذ بطعام • ولا بمدام • ثم اجتمع بعروة • وقال له يا صاحب
المروة والنخوة • مرادي ان اسير الى بني فزارة الاوغاد واكبس
ابيات الربيع بن زياد واخلص هذا الرجل من القيود والاصفاد
وبعد ذلك اضرب رقاب الاعدا والحساد واكمد قلوب المبغضين
والاضداد واقلع منهم الاثار . ولا اترك منهم طالب ثار • ولا نافخ
نار • واجعلهم احدوثة بين الناس ما بقي الليل والنهار . وابلغ
ما اريد واختار . وان كان الملك زهير لا يقبل عذري * ولا
يعرف رفعة مقامي وقدري . رحلت عن الاوطان • واعيش
باقي عمري بلا اصحاب ولا خلان . ولا اكون تحت لواء الذل
والهوان • ثم تحسر وتنهد • وهاجت في راسه النخوة فانشد

يا دار عبلة من مشارق مأسل . درس الشوون وعهدها لم يتجلي
فاستبدلت عفر الظباء كانما . ابعارها بالصيف حب الفلفل
تمشي النعام به خلاء حوله . مشي النصارى حول بيت الهيكل

احذر محل السو لا تنزل بها ... واذا كبا بك منزل فتحوّل
واذا الجبان نهاك يوم كريهة ... خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
فاعصِ مقالته ولا تحفل بها ... واقدم اذا حق اللقا في الاول
واسمع مقالة امرء قد جربت ... افعاله اهل العقول الكمّل
يا عبل كم من غمرة باشرتها ... والقوم بين مجرح ومجدل
فيهم اخو ثقة يضارب نازلاً ... بالمشرفي وفارساً لم ينزل
فرماحنا تكف النجيع صدورها ... وسيوفنا تخلي الرقاب فتختلي
والهام تدرج في الصعيد كانما ... تلفي السيوف بها رؤوس الحنظل
ولقد لقيت الموت يوم لقيته ... متسربلاً والسيف لم يتسربل
فرايتنا ما بيننا من حاجز ... الا المجن ونصل ابيض فيصل
ذكر اشق به الجماجم في الوغى ... واقول لا شلت يمين الصيقل

قال الراوي فلما سمع عروة هذه الابيات قال لله درك يافارس الفرسان * واشعر شعرا هذا الزمان فوالله لقد فقت اقرانك بالشجاعة وفصاحة اللسان فلا تفعل ياحامية عبس وعدنان ما انت عازم عليه من الشان فربما يكون الربيع قتله واسقاه كاس الهوان فيضيع تعبنا ولا نحظى بطايل * ونكون قد اذنبنا بهذه الفعايل * ويصير حديثنا مثلاً في جميع القبايل . وحينئذ يتكلم فينا كل قايل *

قال وفي رابع الايام . بين ما كان عنتر جالس وحده بين اطناب الخيام . اذا بعبد قد دخل عليه . وانكب على رجليه

وقال له يا ابا الفوارس قد اتيت اليك بخبر . يزيل عنك الغم والكدر . ولكنني ما احدثك بهِ حتى تضمن لي عتق رقبتي . وتجمع بيني وبين محبوبتي . فقال له ابشر يا مولد العرب . بنوال القصد وبلوغ الارب . قال الحق لجارك بشارة بن منيع . وخلصهُ من اسر الربيع * قبل ان يذهب تعبك ويضيع * فلما سمع عنتر . بذلك الخبر . فرح واستبشر . وزال عنه القلق والضجر ثم سأله عن السبب . فقال ان هذا حديثٌ من اعجب العجب . يستحق ان يتلى على المنابر وفي الخطب . ويكتب على صفحات الفضة والذهب *

قال الراوي ومن عجيب الاتفاق . ان الربيع بعد ما جرى له مع قيس ما جرى كما تقدم السياق . واقنعهُ بذلك الخطاب . واحتجَّ عليهِ بمثل ذلك الجواب . قالت له اخته لله درك من رجلٍ فعّال . لقد هذبت المقال . واخفيت بياض الحق بسواد المحال واقمت الحجة على ما فقد لك من المال . وما بقي الا اننا نسير الى عند الملك زهير في عاجل الحال ونلقي الفتنة بينه وبين عنتر . ونطلب منهُ تحصيل المال والجوهر . وبعد ذلك ينفيه الى البر الاقفر . فقال الربيع ان هذا الامر لا يتم لنا الآن الا بهلاك ذلك العبد الكشخان . الذي اخذ برطيلنا في ارض بني شيبان . وجاء يشهد علينا في هذا المكان * لانهُ ما دام في فسحة البقاء . وزمرة الاحيا انكشف امرنا واشتهر وصرنا مثلاً

Digitized by Google

في قبايل ربيعة ومضر . فمتى هلك وانقبر . ارتفعت عنا التهمة وساعدتنا جميع البشر . وحينئذٍ يقول الملك زهير لولم يكن بشارة كذاب * ما كان غاب . وبهذه الوسيلة يخرج عن التعصب لعنتر . ويترك الاقل ويتبع الاكثر *

ثم ان الربيع بعد ذلك استدعى بعبد له يسمى مسروق بن مالك وكان يوصف بالمكر وسل الخيل . والهجوم على الاموال في النهار والليل * فلما حضر قال ويلك انك تدعي الشطارة واللصوصية والعيارة . واريد في هذه الليلة اجرب فعالك . وابصر بعض اعمالك . فان قضيت حاجتي اعتقتك من رق العبودية . وازوجتك بجارية حبشية وتصير صاحب اموال ومضارب . وخيول وجنايب . فقال قل ما تريد . ولا تطلب الا ما يعجز عنه كل شيطان مريد قال اريد ان تاخذ في صحبتك ما شيت من العبيد وتقصد حي بني عبس الصناديد وتطوف حول ابياتهم سرًّا . وتاتيني ببشارة بن منيع قهرًا . بشرط ان لايعلم احد . لا ابيض ولا اسود . فان لي في ذلك ارب . وبعد ذلك اعطيك ما تشتهي وترغب . من الفضة والذهب . فقال وحق انعامك . ورفعة جاهك ومقامك * وما اوليتني به من الاحسان والمنن . ان خدمتك عندي من جملة الفروض والسنن

ثم خرج من عنده وقد طابت منه النفس . واختار اربعة من العبيد وسار بهم قاصدًا ديار بني عبس . وكان وصوله

Digitized by Google

اليها عند غروب الشمس ❋

قال الراوي وكان الملك زهير قد وفد عليه في ذلك النهار . جماعة من افاضل العرب الاخيار فتلقاهم بالتوقير والاكرام ولاحظهم بعين الاحترام ونحر لهم النوق والاغنام وعمل لهم وليمة على غدير ذات الاصاد . واستدعي فيها مشايخ العشيرة ومقدمين الاجناد ❋

قال وبلغ مسروق خبر وليمة الملك زهير ❋ فاستبشر بالنجاح والخير واخفى عبيده في بعض الوديان . وقصد ذلك المكان فراي القوم علي غير الاستوى من شرب العقار ولهم ضجة عظيمة قد ازعجت الاقطار . فقال في نفسه هذا وقت قضاء الاشغال . وبلوغ الامال فاختلط بين تلك الامم ووقف مع الغلمان كانهُ من جملة الخدم وهو يراقب الناس بالنظر . الى ان وقعت عينه علي بشارة بن منيع وكان بجانب عنتر ففرح واستبشر فصبر عليه حتي قام . واوسع في الربى والاكام وهو نشوان من شرب المدام ❋ ثم جلس يريق الما فمنعهُ السكر عن القيام وكان الليل قد نشر اجنحة الظلام فانقض عليه مسروق انقضاض الباشق على اضعف الحمام ولفه في كساه . وسار به الى رفقاه وقال لهم ساعدوني علي هذا الولد الزنا . والا اقتلوه وحزوا منه الراس ففيه نبلغ المنا . فقالوا وحق رب الكاينات ما اخذناه الى الربيع الا وهو في قيد الحيوة ❋

ثم حملوهُ وساروا به في اقطار القفر حتى وصلوا الى الديار عند طلوع الفجر. فدخلوا به على الربيع ففرح لما راه. واستبشر ببلوغ مناه. وانعم على مسروق واغناه ورفع قدره على اقرانه. واذخره في مهمات شانه. واسرار ديوانه ❊

ثم امر للعبيد ان يحفروا له سردابًا في اطراف الخيام ويطرحوه فيه حتى يصحي من سكرة المدام ❊ فامتثلوا امر الربيع. والقوه في ذلك المكان الشنيع. ولما كان الصباح اوصى فيه جارية من مولداته. وكان قد رباها مع بناته. يقال لها تميمة. وكانت عنده في منزلة عظيمة. وقال لها اطعميه في كل يوم قطعة من خبز الشعير. واسقيه من اللبن قليل غير كثير. حتى يعود مولاه من سفرته. وارسلهُ الى خدمته فاجابتهُ بالسمع والطاعة ودخلت عليه من تلك الساعة فراته غايب عن الوجود. وفي رجليه السلاسل والقيود. فتمكن حبهُ في قلبها واخذ بجامع لبها فقالت له وقد ضاق صدرها. وعيل صبرها من تكون يا غلام وما هي قصتك مع مولاه الاقوام ❊ فلما سمع منها ذلك الخطاب. ونظر الى ما هو فيه من الاسر والعذاب خاف وارتاب. وقال واذلاه من هذه النكبة ونزول هذه النازلة الصعبة. لقد هلكت ورب الكعبة ❊

ثم حدثها بقصته على التمام والكمال. وكيف انهُ خلص عبلة من يد الربيع ومفرج بن هلال. فقالت والله انك عالي الهمم.

كثير المروة والكرم . غيور على الحرم . فماذا تقول في من يخلصك من انياب المهالك . ويصطنعك كما اصطنعت عبلة بنت مالك . فقال لها اقدم لك الشكر مدى الايام والسنين . وفعلت ما قدرني عليه رب للعالمين . قالت انا لا اريد منك مالاً . ولا نوقاً ولا جمالاً . وما اريد الا ان تحلف لي بحي العظام انك تعاهدني على الوفا وحفظ الذمام وتكون لي حبيباً على طول الايام فلما سمع منها ذلك الكلام . قال لها وحق البيت الحرام وزمزم والمقام . اني اصرف باقي عمري في خدمتك . واقوم بحقوقك وحفظ حرمتك . وسوف تري مني من الصداقة والمحبة . والمروة والصحبة . ما تنسي به كل صديق وتفضلي به الصاحب الجديد على العتيق . فعند ذلك تقدمت اليه وحلته من الوثاق . وقد صار عندها من اعز الاحباب والعشاق . ثم جاءت له بالماكول والمشروب . وكشفت عنه تلك الكروب . واستمرت عليه ثلاثة ايام . وهو في انبساط واكرام . وكان كلما سالها الربيع عنه تقول له ايها السيد الماجد . طب نفسا وقر عينا فاني لا اغفل عنه رقدة راقد . ولا اكشف خبره لقائم او لقاعد . وفي اليوم الرابع سالها بشارة في العودة الي بني عبس . والخلاص من ذلك العارض النحس . فقالت امهل علي حتى ادبر لك هذا الامر كما تريد . ولا يعلم بنا احد من الاحرار والعبيد ✻

ثم انها اجتمعت باخ لها يقال له جرعة بن دبدة . وكان

يعشق امة في بني عبس اسمها وردة . وكان لا يقدر على الوصول اليها . فكان ياتي الى عند اخته ويقص حديثه عليها . ويتذلل بين يديها . فقالت له ما تقول بمن يزوجك بمحبوبتك في الحال ومعها قطعة من النوق والجمال . قال اني اكون عبداً له مدى الايام . لان قلبي قد التهب بنار الغرام . فحدثته بحديث بشارة . وكشفت له عن تلك العبارة . وكيف ان الربيع امر بحفر ذلك السرداب . وغطاه برحال الجمال والاقتاب . وامرني ان افتقده بالطعام والشراب . وقد رق قلبي عليه لما هو فيه من الحزن والاكتئاب . فان كنت تريد بلوغ قصدك ومرادك والوصول الى منية قلبك وفوادك فاقصد عنتر وادخل عليه . وقبل يديه ورجليه . وحدثه بخبر بشارة بن منيع . وانه في اسر عمارة والربيع . فاطان قلبه وطابت منه النفس . وسار من وقته طالب ديار بني عبس . الى ان دخل على عنتر . واعلمه باسر بشارة بن منيع كما تقدم الخبر . ووصف له ذلك السرداب . وكيف ان الربيع سد بابه بالرحال والاقتاب . فلما سمع عنتر منه ذلك الخطاب . انشرح صدره وطاب وزالت عنه الهموم والاوصاب وقال له ابشر بالخير . وزوال الهم والضير ❊

قال الراوي وكانت محبوبة ذلك العبد . الى رجل من جماعة عروة بن الورد . فارسل عنتر اليه واحضره الى بين يديه . وطلبها منه فلم يعزها عليه . بل احضرها في الحال .

ومعها قطعة من النوق والجمال * فزوج عنتر الجارية بذلك الغلام واتحفه بالمال والانعام *

ثم استدعى بشداد ابيه . ومن يلوذ فيه * وقال لهم قد ظهر خبر بشارة * وهو الان في ديار بني فزارة . في اسر الربيع وعمارة وانا اقسم برب العباد . الذي اهلك قوم ثمود وعاد . ان لم ينصفني الملك زهير من الربيع بن زياد . لاعرفنهُ من هو اقدر على الشر والعناد بعد ما اذل رقاب الاعدا والحساد . وارمل النسا وايتم الاولاد واخذ حقي بالسيوف الحداد والرماح المداد . وارحل بعد ذلك من هذه البلاد *

ثم انهم ساروا الى عند الملك زهير وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه فرد عليهم السلام واكرمهم غاية الاكرام واخذ معهم في الحديث والكلام . فقال مالك ابو عبلة اعلم ايها الملك المعظم صاحب المناقب والهمم المتسلط على رقاب الامم . والمنصف المظلوم من تعدى وظلم الذي بهيبتك ترتفع الحوادث والفتن وبذكرك تزول المخاوف والمحن ولولاك لانحل النظام وتساوى الخاص والعام وشمل الناس الخوف والفزع وعم الاضطراب والهلع انني من جملة ايام تمثلت بين يديك في هذا المقام واعرضت عليك قصتي وطلبت منك المساعدة في تحصيل مال ابنتي فاتهمتنا بفقد بشارة وصدقت فينا كلام الربيع وعمارة والان بشارة فى حبس الربيع يقاسي العذاب الشنيع

ونريد ان تعاملنا بالانصاف والحق وتجازي المعتدي على قدر ما يستحق
فلما سمع الملك زهير ذلك الخبر . استشاط غضباً وتكدر *
وقال ان هذه القصة ما تنفصل الا بهتك الحراير والاماء . لا
بالقتل وسفك الدماء . فقال عنتر ايها السيد المفضال . انت
تعلم تجبث الربيع وما هو فيه من المكر والاحتيال . فلما راى
من بشارة ما لم يكن له في بال خاف من انكشاف الحال . فاحتال
عليه حتى اوقعه في شرك العقال . وان لم ندركه . والا قتله
واهلكه . قال الملك زهير وهل مرادك ان تسير الى بني فزارة .
وتلقي السيف في القوم لاجل بشارة . فقال عنتر لا وحق الملك
الديان . يا ملك الزمان . اني لا اخرج بكلامي مع القوم عن
حدود الادب ولا اظهر لهم شيئاً من حاسيات الغيظ والغضب
غير ان مرادي اطالب الربيع بمالي فاذا امتنع واحتشدت له
بنو فزارة وطلبت قتالي * حينئذٍ اكون مضطراً للمدافعة عن
حالي وان شيت ارسل معنا من تثق اليه حتى يشهد علينا
وعليه فعند ذلك نهض شاس واخيه مالك وقالا ايها الملك
نحن نسير مع هولا القوم في هذا اليوم ولا نعود حتى ينفصل
الامر امام الشيخ بدر ان عمرو فاذن لهما وقال اذهبا واسمعا
ما يدور بينهم من الايراد ، واصلحا بمعرفتكما ما انطوت عليه
ضمايرهم من الشر والفساد قبل ان يعظم الامر ويزداد وتمتد
الحروب في اقاصي البلاد فركبوا في عاجل الحال واخذوا

Digitized by Google

في صحبتهم خمسين رجلاً من الابطال وركب عنتر مع اعمامه وعروة بن الورد في عشرين من اقوامه . فلما صاروا في اطراف البيوت . قال عنتر لعروة يا صاحب المروة والنخوة . اريد من فضلك واحسانك ان ترسل في طلب خمسين رجلاً من خاص فرسانك . وتامرهم ان يلحقونا ويكمنوا في وادي اليعمورية * حتى نرى على اي حال تنتهي هذه القضية . لاني اعلم بجهالة حذيفة بن بدر وما هو فيه من الخبث والغدر . فاجابه بالسمع والطاعة * وارسل في طلب الرجال من تلك الساعة *

قال الراوي وبعد ذلك سار القوم يقطعون القفار . حتى اقتربوا الي تلك المنازل والديار * وارتفع غبارهم وظهر * فركبت الفرسان لتكشف الخبر . وفي اوايلهم حذيفة والربيع بن زياد وجماعة من المشايخ الذين عليهم الاعتماد وما خرجوا من اطراف المضارب حتى اشرفت عليهم فرسان عبس كالسلاهب ولما وقعت العين على العين سلمت على بعضها البعض الطايفتين * وقال الربيع لعنتر اهلاً وسهلاً يا ابن زبيبة هل ندمت الان على افعالك القباح واتيت تعتذر لنا وتطلب السماح فقال له عنتر يا اخبث العرب * وقليل المروة والادب من هو الذي يفعل القبيح الا الذي يسلم ابنة عمه الى الغربا والاجانب وينسي حوادث الدهر والمصايب ويلك كم من مرة خلصتك من انياب المعاطب . وكشفت عنك الاهوال

Digitized by Google

والنوايب . وانت مع ذلك لا ترجع عن الخبث والفساد سوف انك تكون سبباً لقلع اثار بني زياد . فقال الربيع هذا الكلام لا اصل لهُ . ولا اريد ان اسمع بهِ ولا اقبلهُ . فلو كنت منصفاً لرديت لي مالي الذي اخذتهُ . او احضرت بشارة الذي ادَّعي اني برطلتهُ *

قال وكان كلام الربيع استدفاعاً وخوفاً من شر عنتر . وما علم بان عنتر ما اتى الا وعنده حقيقة الخبر فقال لاولاد الملك زهير اشهدوا على مقال الربيع * ثم انهُ همز بالجواد حتى وقف على باب السرداب الذي فيه بشارة بن منيع . وقال لاخيهِ شيبوب انزل الى هذا المكان واخرج ذلك الرجل الغريب . حتى يراه البعيد والقريب * فلما علم الربيع ان امره قد انكشف . خفق فواده من شدة الخوف وارتجف . والتفت على حذيفة بن بدر وقال ايها الامير والسيد الخطير اتقبل بهذا الذي جرى . وانت تشاهد وترى . فوالله ما اتى هذا العبد الا وهو طالب نهب اموالنا وسبي حريمنا وعيالنا . ونحن في جوارك . ونازلين بدارك . فلما سمع حذيفة كلام الربيع اخذتهُ الحمية . وعصفت في راسهِ النخوة الجاهلية . فعاد الى ابياتهِ وغاص في سلاحهِ . وناهب لحربهِ وكفاحهِ . وركب على حجرتهِ طيفور . وقد عظمت عليهِ الامور * ثم صاح في بني فزارة . فركب معهُ نحو ستماية نفر من اهل القوة والجسارة .

من جملتهم الربيع وعمارة. وتبعتهُ النسا والعبيد بالعصي والحجارة هذا وحذيفة يقول للربيع اليوم اخذ لك بالثار. واكشف عنك العار. ولا اترك من بني قراد من ينفخ بنار * ثم انشد يقول

ايذل عبد بني قراد جاري ‏ وانا على متن الجواد الجاري
كلا ورب الراقصات الي منى ‏ كلا وحق القادر الجبار
يا ال بدر بادروا اعدايكم ‏ بالمشرفي وبالقنا الخطار
حتى نبيد بني قراد ويشتفي ‏ قلب الربيع بعبده الغدار
تبا لقوم الحقوا ساداتهم ‏ بعبيدهم وتجللوا بالعار
فعلى عقابهم المذلة اصبحت ‏ والذل يزري بالهزبر الضاري
وبنو زياد للجمال عليهم ‏ حلل يطرزها العلى بفخار
قوم اذا ركبوا لحرب اضرموا ‏ في كل ارض قسطل من نار

قال الراوي فلما سمع الربيع مدحه وثناه زاد في مكره ودهاه واجابه على شعره يقول

لله درك يا ابا جبار ‏ من ضيغم يوم الكريهة ضاري
بادرتني لما رايت مذلتي ‏ وانجدتني لما غدت انصاري
يامن اذل بسيفه اهل الورى ‏ ياذا العلا ياقاهر الفجار
يامن اذا سل الحسام بكفه ‏ نهب النفوس بحده البتار
يامن يصيد الاسد في يوم اللقا ‏ صيد العقاب لاضعف الاطيار
من كان هذا العبد حتى انهُ ‏ يغشى ديارك او يلم بدار
فاطعن برمحك قلبهُ وافتك به ‏ حتى يقر مع الزمان قراري

Digitized by Google

قال الراوي

وفي دون ساعة اقبل حذيفة بفرسان الكفاح . ولبوث البطاح وانقلبت الارض بالضجيج والصياح. ولمعت الاقطار ببيض الصفاح . كل هذا وعنتر واقف على باب السرداب * كانهُ اسد الغاب * حتى خرج شيبوب ببشارة بن منيع . امام الجميع وسار به بهمة وحمية. الي وادي اليعمورية . هذا والخيل انطبقت على عنتر . بقلوب اقسي من الحجر * ولطمتهُ مثل موج البحر اذا زخر . فلما نظر عنتر الي ذلك الحال . تغيرت منهُ الاحوال وهاج كما تهيج فحول الجمال . وقال لاولاد الملك زهير انتم مقلون من السلاح فلا تباشروا القتال . وانظروا ما يجري بيني وبين هولاء الانذال * ثم الوى عنان جواده الابجر . ولعب برمحهِ الاسمر . وهمهم وزمجر . واستقبل اول العسكر . وانشد وقال

يابني الانذال مثلي ما يقع ... فدعوا هذا التمادي والطمع
لاتظنوا جمعكم ينفعكم ... انما الجمع اذا قلَّ نفع
انتمُ في الحرب بهمٌ رُتَّعٌ ... وانا الليث اذا الحرب وقع
انتمُ شبه سراب لامع ... وانا مثل سحاب قد همع
انتمُ شبه هشيم في الفلا ... وانا الريح اذا البرق لمع
جرتمُ لما عدلنا فيكمُ ... وكثير العدل ياتي بالطمع
سوف القاكم بسيفي والقنا ... واجرعكم من الموت جرع
فاسرعوا من ان اي فطرتهُ ... فحسامي كيفما مال قطع

قال الراوي

ثم انهُ حمل على اصحاب الخيول السبق . وصاح فيها وزعق . ولمع حسامه وبرق . وارتفع الغبار وتسردق . وقاتل قتال الحنق . وقدَّ بسيفهِ الدروع والدرق . ونثر الكفوف على الارض مثل نثر الورق . فلما رات اعمامه الي ما فعل اقتحمت الغبار وقاتلت معهُ قتال من قد استقتل . وطعنت في الصدور والمقل . لانها ابصرت من فعاله ما انساها فعل الجبابرة الاول . هذا وعنتر يصول ويجول . ويطرح الابطال في العرض والطول وينشد ويقول

احنُّ الى ضرب السيوف القواضب
واصبو الي طعن الرماح الكواعب
واشتاق كاسات المنون اذا صفت
ودارت على راسي سهام المصايب
ويطربني والخيل تعثر بالقنا
حداة المنايا وارتهاج المواكب
وضربٌ وطعنٌ تحت ظل عجاجةٍ
كجنح الدجى من وقع ايدي السلاهب
تطاير روس القوم تحت ظلامها
وتنقضُّ فيها كالنجوم الثواقب
وتلمع فيها البيض من كل جانب

كلمع بروقٍ في ظلام الغياهب
لعمرك ان المجد والفخر والعلى
ونيل الاماني وارتفاع المراتب
لمن يلتقي ابطالها وسراتها
بقلبٍ صبورٍ عند وقع المضارب
ويبني بحد السيف مجدًا مشيدًا
على فلك العلياء فوق الكواكب
ومن لم يروّي رمحهُ من دم العدى
اذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب
ويعطي القنا الخطي في الحرب حقهُ
ويبري بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصةٍ
وان مات لا يجري دموع النوادب
فضايل عزمٍ لاتباع لضارعٍ
واسرار حزمٍ لاتذاع لعايب
برزت بها دهرًا علي كل حادثٍ
ولا كحل الا من غبار الكتايب
فلا تصطلوا من نار حربي فانها
مواقدها هام الملوك الاغالب
ساضرمها نارًا يخاف شرارها

علي حصبات الجو طير الجنادب
بكل همام من بني عبس ضيغم
يرى الموت حلواً عند هول المعاطب
يقاتل مسروراً بما هو مدركه
فتحسبه للبشر غير محارب
اذا كذب البرق اللموع لشايم
فبرق حسامي صادق غير كاذب

قال الراوي وقاتل عنتر اشد قتال * وبذل روحه للاسنة العوال . وخطف مهج الابطال . ومدد الرجال على الرمال . وفعل فعالا تعجز عنها صناديد الرجال . وابصر حذيفة من عنتر الى طعن يخطف البصر . وضرب لا يبقي ولا يذر . فانذهل وتحير . وهجم عليه هجوم الاسد الغضنفر . فتلقاه عنتر . بالماضي الابتر . وزمجر في وجهه كما تزمجر الاسود في الاجام * واخذا في الضراب والصدام . والمهاجمة والاقدام . والمفارقة والالتزام وما زالا كذلك الى ان كل حذيفة ومل . وهان بعد عزه وذل . فعند ذلك هجم عليه عنتر هجوم الذيب على الغنم . وضرب راس جحرته بالسيف فبراها كما يبري الكاتب القلم . فوقع حذيفة الى الارض وانحطم . وايقن بالهلاك والعدم * وعض على كفيه من شدة الاسف والندم . فصاح فيه عنتر قم يا ويلك . واطلب قومك واهلك . ولا ترجع الى قتالي فتهلك .

Digitized by Google

فعند ذلك احاط بجذيمة جماعة من اقوامهِ * وحملوهُ الى خيامهِ. ووقعت هيبة عنتر في قلوب الرجال * ولولا الربيع لكانوا تفرقوا في بطون الاودية وروس التلال. لانهُ كان ينخيهم بالكلام. ويحذرهم من العار والملام. فقاتلوا اشد قتال وصادموا اعظم صدام * وحملوا بهمةٍ قوية. واطبقوا على الفرقة العبسية. وفي ايديهم السيوف والحجف. واتصل الضرب بينهم واختلف وقطر الدم ووكف. وطلع الغبار وانعكف. فلما رات ابنا الملك زهير شدة الحرب * خافا على عنتر من غوايل الطعن والضرب. فاطلقا اعنة خيلهما وطلبا ابلهما ليعلماه بالقضية. وعبرا في طريقهما علي وادي اليعمورية. وقالا لرجال عروة ادركوا مقدمكم وعنتر. لانهما في حالة الخطر. فخرجوا يتسابقون الي بني فزارة. كانهم الطيور الطيارة. وكان شيبوب قد وصل اليهم ببشارة. فتركه في الوادي وكر راجعا مع الفرسان. حتي اشرفوا على ذلك المكان. فراوا الخيول معتركة. والفرسان علي ظهورها مشتبكة. وعنتر في ضيق الخناق. وهو يطعن في الصدور والاماق. فصاحوا عند ذلك وتجردوا للممانعة. واحتشدوا للمقارعة والمدافعة. واقتحموا معركة الكفاح. وهزوا في ايديهم قطع الرماح * وردوا الحملات المتداركة بصدق النيات في الثبات. وهتكوا صدور الفرسان بطعنات نافذات. ونثروا روس الابطال

والسادات . بضربات اخف من هبوب الرياح العاصفات . وكان الربيع قد ضايق عنتر غاية الضيق وسد عليه كل مذهب وطريق . فلما راى ذلك الحال . خاف على نفسهِ من الهلاك والوبال . فارتد الى الوراء . وقصد جوانب الصحراء . فطلبهُ عنتر واطبق عليهِ وفاجاه . وطعنهُ بعقب الرمح في قفاه . فكسر له ضلعين . والقاه عن جواده الى الارض ابعد من رمحين . فغاب من تلك الطعنة وما افاق على نفسهِ حتى كان عروة قد شد كتافه . واوثق سواعدهُ واطرافهُ . فلما راى عمارة ما حل باخيهِ هدر وزمجر . وطار من عينيهِ الشرر . وهجم على عنتر . فرمى شيبوب جواده بنبلة فوقع . وانطرح على بساط الارض وانصرع فاداريديه الى الكتاف . وقد استرخت منه المفاصل والاطراف وما زال عنتر يطاعن ويضارب . ويلتقي بصدره اسنة الرماح الكواعب . حتى فرق الكتايب . ونكس المواكب ❋

قال الراوي وبعد ذلك ولت بنو فزارة على ادبارها نفورًا . وحكم الله بما كان مقدورًا . ورجع عنتر بن معه ظافرًا منصورا الى ان وصلوا الى وادي اليعمورية . وكان بشارة بانتظاره هناك ليرى على اي حال تنتهي القضية . فلما وقعت عينه على بني زياد وهم في القيود والاصفاد . فرح الفرح الشديد . الذي ما عليهِ من مزيد . وتقدم الى عنتر وهناه بالظفر والنصر . ودعا له بالنجاح وطول العمر . وقال اريد منك يا سيد الابطال . ان

Digitized by Google

اسبقك الى الاطلال ۰ وفي صحبتي هولا الانذل . حتى اشفي منهم غليل فوادي . واال غاية مرادي . وتراهتم مولاتي عبلة ۰ ومن هناك من نساء الحلة ۰ فامرله بذلك فسار بهم وقد جد في قطع الطريق ۰ وهو يضربهم بالسياط حتى مزق جلدهم تمزيق ۰ وسار عنتر بعد ذلك سير الامان حتى قرب من الاوطان ۰ فالتقى بالملك زهير وهو قاصد ديار بني فزارة وغطفان ليكشف عن حقيقة الخبر لانه كان قد سمع من ولديه شاسا ومالكا بما جرى علي عنترة فلما التقي به قص عليه قصته . وهو ساير بين اهله وعشيرته ❃

قال الراوي ولما وصل بشارة بن منيع الى الحي ببني زياد . وفي رجليهم السلاسل والاصفاد . نادى هذا اقل جزا لمن يسبي البنات . ويبعدهن عن الاوطان والابيات ۰ وبلغ الامير قيس ذلك الخبر . فاستشاط غضباً وتكدر فنهض في الحال بجمهور من الفرسان ۰ وقصد ذلك المكان ۰ فلما راه الربيع صاح واحرباه يابني الاعمام ۰ من جور العبيد اولاد الليئام . فصرنا نضرب ونهان ۰ ويحل بنا الذل والهوان . اين نخوة الرجال النجبا ۰ ومودة الاهل والاقربا ۰ فاسود النهار في عيني قيس حتى صار كالظلام . وهجم على بشارة بن منيع وضربه صفحاً بالحسام ❃

ثم نزل عن ظهر حجرته واطلق الربيع واخوته . وطلب

ابيات بني قراد ليشفي منهم غليل الفواد * واذا بابيه قد اقبل في ذلك الوقت مع عنتر بن شداد . وعروة بن الورد وباقي الفرسان الاجواد . فعند ذلك صاح بقيس وقال له ما هذا الجهل بعد الشهامة والعقاب . فقال قيس واي عقل يبقى للانسان . اذا راى سادات قومه في حالة الذل والهوان *

ثم تقدم اليه . وقص تلك القصة عليه . فلما سمع زهير بذلك الخبر . انذهل وتحير . وخاف من حدوث الشر . ووقوع الفتن والضرر فقال لعنتر لقد اسريت * وظلمت وتعديت * فارحل الان بقومك من هذه الديار والا تركتنا احدوثة بين الناس ما طرد الليل النهار . قال عنتر السمع والطاعة . وانا ارحل بقومي من هذه الساعة . فان قدرت خلصت مالي بحد الحسام . وبلغت غاية القصد والمرام * ثم تذكر بفعل الربيع ربما فعله في حق بشارة بن منيع . وقول الملك زهير له ارحل من الاطلال . مع من يلوذ فيك من الرجال . فجاش الشعر في خاطره . فباح بما اكتتم في ضمايره وانشد وقال

لطالما ورمي ناصري وحسامي   وذلا وعزي قائد بذمامي
ولي باس مفتول الذراعين خادر   يدافع عن اشباله ويحامي
واني عزيز الجار في كل موطن   واكرم نفسي ان يهون مقامي
هجرت البيوت المشرفات وشاقني   بريق المواضي تحت ظل قتام
وقد خبروني كاس خمر فلم ارد   سوى لوعة في الحرب ذات ضرام

سارحل عنكم لاازور دياركم ... واقصدها في كل جنح ظلام
واطلب اعدائي بكل سميدع ... وكل هزبر في اللقا همام
منعت الكرى ان لم اقدها عوابساً ... عليها كرام في سروج كرام
تهز رماحاً في يديها كانما ... سقين من اللبات صرف مدام
اذا اشرعوها للطعان حسبتها ... كواكب تهديها بدور تمام
وبيض سيوف في ظلال عجاجة ... كقطر غوادٍ في سواد غمام
الا غنيا لي بالصهيل فانهُ ... سماعي ورقراق الدماء ندامي
وحطا على الرمضاء رحلي فانها ... مقيلي واخفاق البنود خيامي
ولا تذكرا لي طيب عيشٍ فانما ... بلوغ الاماني صحتي وسقامي
وفي الغزو التي ارغد العيش لذةً ... وفي المجد لا في مشربٍ وطعام
فمالي ارضى الذل حظاً وصارمي ... جريٌّ على الاعناق غير كهام
ولي فرسٌ يحكي الرياح اذا جرى ... لابعد شاوٍ من بعيد مرام
يجيب اشارات الضمير حساسةً ... ويغنيك عن سوطٍ له ولجام

قال الراوي فقطع قيس كلامه . ولم يدعهُ يتمم نظامه . وقال له ويلك ياولد الزنا . وتربية الامة الخنا . قد وجدت عبلة في بني شيبان . واتيت تطلب ما كان عليها من بني عبس وعدنان . فقال عنتر سوف تصل اليك افعالي . متى تصرفت في احوالي . وسكنت في البراري الخوالي . وحينئذٍ تبان لك العبيد من الموالي * ثم عظم عليه الحال . فانشد وقال

لا تنقضِ الدين الا بالقنا الذبلِ

ولا تحكم سوى الاسياف في القلل
ولا تجاور لياماً ذلــ جارهم
وخلهم في عراص الدار وارتحل
ولا تفرّ اذا ما خضت معركة
فما يزيد فرار المرء في الاجل
يا عبل انت سواد القلب فاحتكمي
في مهجتي واعدلي يا غاية الامل
وان ترحلت عن عبس فلا تقفي
في دار ذل ولا تصغي الي العذل
لان ارضهم من بعد رحلتنا
تبقي بلا فارس يدعي ولا بطل
سلي فزارة عن فعلي وقد نفرت
في جحفل حافل كالعارض الهطل
تهزّ سمر القنا حقداً عليّ وقد
رات لهيب حسامي ساطع الشعل
يخبرك بدر بن عمرو اني بطل
القى الجيوش بقلب قدّ من جبل
قاتلت فرسانهم حتى مضوا فرقاً
والطعن في اثرهم امضى من الاجل
وعاد لي فرسي يمشي فتعثره

جماجمٌ نفرت بالبيض والاسل

وقد اسرت سراة القوم مقتدراً

وعدت من فرحي كالشارب الثمل

يا ابن روعت قلبي بالفراق وما

ابكي لفرقة اصحاب ولا طلل

بل من فراق التي في جفنها سقمٌ

قد زادني عللاً منهُ على عللي

امسي على وجل خوف الفراق كما

تمسي الاعادي من سيفي على وجل

قال الراوي فلما فرغ عنتر من كلامه . التفت على ابيه واعمامه وقال لهم هدوا اطنابكم . وشدوا اقتابكم . وارحلوا بنا في عاجل الحال . من هذه الديار والاطلال . حتى يرتاح قلب الملك زهير منا . ويبلغ الامير قيس بجموه الربيع ما يتمنى .

ثم انشد وقال

لأي حبيب يحسن الرأي والودُّ واكثر هذا الناس ليس لهم عهدُ

اريد من الايام ما لا يضرُّها فهل دافعٌ عني نوائبها الجهدُ

وما هذه الدنيا لنا بمطيعةٍ وليس لخلقٍ من مداراتها بدُّ

تكون الموالي والعبيد لعاجزٍ ويخدم فيها نفسهُ البطل الفردُ

وكل قريبٍ لي بعيد مودةٍ وكل صديقٍ بين اضلاعهِ حقدُ

فلله قلبٌ لا يبلُّ غليلهُ وصالٌ ولا يلهيهِ من حلوهِ عقدُ

يكلفني ان اطلب العز بالقنا ... واين العلى ان لم يساعدني الجدُّ
احب كما يهواه رمحي وصارمي ... وسابغة زغفٌ وسابقة نهدُ
فيالك من قلب توقّد في الحشى ... ويالك من دمع غزير له مدُّ
وان تظهر الايام كلَّ عظيمةٍ ... فلي بين اضلاعي لها اسدٌ وردُ
اذا كان لايمضي الحسام بنفسه ... فللضارب الماضي بقايمه حدُّ
وحولي من دون الانام عصابةٌ ... توددها يخفى واضغانها تبدو
يسر الفتى دهرٌ وقد كان ساءه ... وتخدمهُ الايام وهو لها عبدُ
ولامال الاما افادك نيلهُ ... ثناءً ولا مالٌ لمن لا لهُ مجدُ
ولاعاش الامن يصاحب فتية غطاريف لا يعنيهم النحس والسعد
اذا طلبوا يوماً الى الغزو شمروا ... وان ندبوا يوماً الى غارة جدوا
الا ليت شعري هل تبلغني المنى
وتلقي بي الاعداء سابحة تعدو
جوادٌ اذا شقَّ المحافل صدرهُ
يروح الى طعن القبايل او يغدو
خفيت على اثر الطريدة في الفلا
اذا هاجت الرمضاء واختلف الطردُ
ويصحبني من آل عبس عصابةٌ
لها شرفٌ بين القبايل يمتدُّ
بها ليل مثل الاسد في كل موطنٍ
كأن دم الاعداء في فمهم شهدُ

Digitized by Google

قال الراوي

فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام ٭ امتثلوا ما امرهم بهِ من الكلام. وانفصلوا يطلبون الخيام. واذا بالصياح قد ارتفع. والنهب في ابياتهم قد وقع

الى هنا انتهى الكتاب الثامن عشر وسياتي تمام الحديث عن هذه الواقعة في الكتاب الذي

يليه

الكتاب التاسع عشر
من سيرة عنتر بن شداد
العبسي

فتراكضوا على الخيول ليكشفوا الخبر . وعادت عينا عنتر من الغيظ تقدح الشرر . وهو يقول قد اظهر العداوة لنا بنو عمنا . وطمعوا بنا لحلمنا . وطلب هو ومن معه الخيام . وكل منهم قد جرد الحسام . وعولوا ان يلقوا في الحالة الشر الفظيع . لاجل قيس وحميه الربيع . وكان السبب في هذه الاثارة . الربيع واخوه عمارة . وذلك ان عمارة بعد ذهاب قيس من هناك تخيلت له سن عبلة فهان عليه الهلاك . فدخل منازل بني قراد لعله يجد غفلة . او ينال من عبلة قبلة . ودخل معه اخوه الربيع فوجد شيئاً من الامتعة التي استجابها معه من العراق منشوراً هنالك . فقال يا للعرب هذه حوايجي التي اخذت مني على ركايا بني مالك . وقد سلمت من هذا النسل الخيس الهالك . ووجد الصناديق وعليها الاقفال . وحركها فوجدها ثقيلة فقال المال حلال . فلم يضع لي شي وقد ازداد مال بمال . وكان لما ركب قيس لخلاص بني زياد . تبعه جماعة من العبيد الجواد . وكلهم بالسيوف الحداد . فقال لهم الربيع هذا مالي دونكم اياه . فان

Digitized by Google

الملك النعمان اعطاني اياه . وقد اخذه مني هذا الولد الحرام .
فاذهبوا به ولكم فيه اوفى الاقسام . فلما دخلت العبيد تصايحت
النسوان بالويل والثبور واذا بدخول عنتر ومن معه لكشف
تلك الامور . ورای الملك زهير انها كادت الفتنة تنتشب ونار
الحرب تلتهب . فصاح على اولاده اسرعوا الى بيوت بني قراد .
وافصلوا بينهم وبين بني زياد . ودعوا عنتر يرحل عنا بسلام .
قبل ان تقع الفتنة بين الاقوام . فقال قيس انا اضمن رد بني
زياد . وقال شاس ومالك نحن نضمن رد بني قراد وعنتر بن شداد
فاسرعوا على ظهور الجياد . وادركوا الفتنة قبل الاتقاد . وردوا
عنتر بعد ان كاد عول على قتل بني زياد . ثم قال شاس لعنتر
يا ابا الفوارس ان فراقك عندي كفراق الروح للجسد . ولكن ما
لقضا الله من مرد فلا يضق صدرك ولا يهمك امرك . فان بني
عمك قد عول كل منهم ان يتبعك . وانت تريد عبلة وهي معك
وانا اعلم ان ابي يندم على هذه الفعال وان ما ذهب لك يرجع
اليك بعد تقبيل يديك ورجليك . فقال عنتر قد اخذت مال
الربيع والان رجع اليه . واخذ مالي ايضاً فصار الجميع بين يديه
ولكن سيرى كيف اخلصها منه ولو احتمى له الملك النعمان وحارب
عنه . فقال شيبوب يا اخي بارك الله للربيع بالصناديق وما فيها
ظاهرها وخافيها . فقال عنتر ولماذا تقول هذا فقال لان ليس فيها
مال . بل حجار ورمال . وذلك ان شيبوب لما اخذ الربيع

وعمارة وساربهما من وادي اليعمورية فلما دخل بهم بشارة الى المضارب سبق شيبوب وفرغ الصناديق وخبا ما فيها من الاموال وملاها من الحجار والرمال وبقيت حتى راها الربيع ثقيلة وقال قد زاد مالي بمال ولما وصلت الى بيت قيس فتحها الربيع فلم يجد فيها شيأً مما كان يتمناه. فقال هذا فعل شيبوب قبح الله وجههُ وثناه

هذا ما كان من الربيع بن زياد. واما ما كان من عنتر بن شداد. فانهُ امر العبيد ان يشدوا الهوادج على الجمال. ويشيلوا الحريم والعيال. وقد نادى عروة في رجالهِ بالارتحال. فلم يمض غير ساعة من الليل حتى صاروا على ظهور الخيل. وارسلوا قدامهم المال والنسا وبقوا لوقايتهم ورا. والاهلة تلمع كالنجوم الطوالع. وعنتر واقف وعيونهُ كالبروق اللوامع. ثم قال لهم اطلبوا ارض العراض وتلك البقع. وستعلموا عند الصباح ماذا يقع. فتقدم شيبوب امام الخيل. وسارت وراه تتدفق كالسيل. وتاخر عنتر وعروة بخمسين فارساً معهما. احتساباً لامر يتم عليهما. ثم قال عنتر لابيه واعمامه تقدموا انتم وانا اذهب الى ارض بني فزارة. واسوق اموال الربيع وعمارة واكافيهم عما خسرونا باعظم خسارة. ثم نلحق بكم على هذه الاشارة

فقال شيبوب وحق ذمة العرب. قد كنت ازمعت ان اشير عليك بهذا السبب. فقال عنتر والله يا ابن الام ما يشفي قلبي الا ضرب الحسام. في اعناق هولاء اللئام. ولابد اني اقيم الحرب

Digitized by Google

على قدم وساق . حتى اخرب ارض العراق . فصبر حتى تبلج الصباح . وتبسم بنوره ولاح . وسار حتى اشرف الى مراعي بني فزارة . وشن عليها الغارة . وامر عروة ومن معه من الرجال . ان يسرعوا ويسوقوا المال . واعمل في اقفية العبيد ضرباً كلهيب النار . فساقوا تلك الاموال مجدين في تلك القفار . فقال عنتر لعروة دع ثلاثين فارساً تذهب مع هذا المال والعبيد بالعجل . وانا وانت نقف هنا على مهل . فامر عروة الرجال ففعلوا كما اشار عنتر وامر . واقام هنالك مع عنتر . وكان قد وصل الخبر الى بني فزارة وبني زياد . ان المال والعبيد صارا في يد عنتر بن شداد . فركب حمل بن بدر مع بني فزارة الاقيال . وركب بنو زياد مع من حضر من الابطال . اما حذيفة فانه كان لم يزل ضعيفاً من الوقعة الاولى لما ضرب عنتر رقبة حجرته . فتاخر عن الركوب وارسل اخوه حملاً ليسد غيبته *

وركب من الفرسان نحو ستماية فارس . وساروا كالاسود العوابس . ومع الربيع من اخوته اربعة . والخيل وراهم متتابعة . ولما اقبلوا على عنتر هجم عليهم كالاسد المظفر . وما مضى مدة يسيرة حتى القى منهم على الارض فرساناً كثيرة . ومال عليهم عروة ابن الورد بفرسانه . فتركوا كلا منهم مكيلاً بهوانه . وعاد عنتر يقول يا انذال العرب نحن اخذنا اموال اعدانا . فلماذا اتيتم انتم طالبين فنانا ابشروا بخيبة امالكم : وتعجيل اجالكم :

فراى حمل بن بدر ذلك المصير. وكان ممن يوصف بجودة العقل والتدبير. فقال لرجاله. وجنده واقياله. يابني العم انتم تعلمون ان عنترًا بطلاً هماما. وفي كل حرب مقداما. وبينه وبين بني زياد عداوة لا تنفصل. وكل من دخل بينهم قُتِل. وانا لو علمت ان عنترًا هو الذي اخذ المال. ما خرجت ولا تعرضت لقتال. لانه رجل لا يخشى الموت. ولا يفوته من اعاديه فوت واذا مالت عليه الاعدا كالجبال. احل بهم الوبا والوبال. والصواب اننا لا نتعرض له بقتال. فقال اكثرهم هذا هو الصواب والراي الذي لا يعاب. فرجع حمل وقومه ومن معه من الرجال. وتركوا بني زياد في ضنك تلك الحال. فبلغ عنتر منهم مراده. وفعل كل ما اراده. وقتل منهم ثلاثين فارسًا مقداما. وتركهم على الارض حطاما. فارتد بنو زياد على الاعقاب. وتشتتوا فرارًا في تلك الشعاب. فرجع عنتر عنهم عند ذلك. وسار قاصدًا ركايا بني مالك. لانه كان امر قومه بالنزول هنالك. ولما وصل قام لملقايه جميع بني قراد. وهنوه بالسلامة من الحرب والجلاد واخذ يخبرهم بما فعل في بني زياد. واقاموا جميعًا في تلك الاطلال يتشاورون على النزول في محل منيع بين تلك الجبال. فقال عنتر لابد لي ان اقصد بلاد العراق. وانزل على الغدران القريبة من تلك الآفاق. حتى اقرب الى بني شيبان وافني منهم الشيوخ والشبان. فقال شداد افلا تخشى ياولدي من الملك النعمان.

فاجابه لا وحق مكون الاكوان . وملون الالوان . ولا من كسرى انو شروان . ولا من الانس والجان . فقال شيبوب ان تريد هذا المرام . وعولت على خصام الملوك العظام . سيروا حتى انزلكم في جبال الردم ووادي الرمال . الذي اذا كان على بابه عشرة من الرجال . يحمون نفوسهم ومن معهم من الوف من الابطال . وحينئذٍ عار تريد من الاقيال . فقال شداد وحق ربّ الارباب . لقد صدق شيبوب وهذا هو الصواب . لاني سمعت بهذه الجبال والوديان . لان الخائف يامن فيها من طوارق الحدثان : وفي نصف الليل ساروا طالبين الوادي الذي ذكرنا . والجبال التي وصفنا *

قال الراوي هذه الجبال مقابل العراق في اطراف الحجاز وتسمى اليوم شعاب النعام وهي عالية شاهقة . يظن الناظر اليها انها بالسحاب لاصقة . حتى تكاد الشمس تحرقها من علوها وفي جنابها كهوف ومغاير واشجار من شجر غيلان وكثر الوحوش والسباع . والدبابا المسمة القتالة من جميع الانواع . وليس لذلك المكان الا طريق واحد . عسر السلوك . وعر الفدافد . كثير العطفات واللفتات . ياخذ الانسان منه الانبهار والانبهات وبينها وبين منازل بني شيبان . سبعة ايام على مسير الفرسان . فلما سمع عنتر هذا الكلام قال لشيبوب اقصد بنا هذا المكان وساروا في تلك المهامه والوديان . حتى اشرفوا على المكان المذكور فنزلوا الحريم والعيال . في تلك التلال . ودخل عنتر

تلك الشعاب. ووراه اعمامه وعروة ورجاله كاسود الغاب.
فراوا الوحوش تسعى في تلك الجوانب. والاسود مختلطة بالثعالب
فقال عنتر هذا المكان لا يصلح للمقام. الا اذا كنا نطلق فيه النار
جملة ايام ❋

ثم امر العبيد فاطلقوا النار في جوانبه الاربعة. فنفرت الوحوش
وهربت المارات وسمعت من رعود تلك النيران المفزعة. واحترق
جميع ما كان هناك من الدبابات اللاسعة. ودامت تلك النيران
خمسة ايام على الاستمرار. حتى اصبح ذلك الوادي كانه جهنم
الكفار. وبعد ما خمدت النار. دخلوا تلك الجبال. وضربوا
خيامهم فيها على احسن حال. وقبل ان يتم لهم هناك نهار
استانست نساءهم وعيالهم بالديار فحينئذٍ قال عنتر لابيه شداد.
اريد ان اقصد بني شيبان الاوغاد. واجازيهم على فعلهم هم والربيع
بن زياد. فقال له يا ولدي نحن في قلة من الرجال. وفي ارض
بعيدة عن الديار والاطلال. وان ابعدنا عن الحريم والعيال.
فلا نامن عليهم من الاعداء الانذال ❋

فقال عنتر هذا شي لا اخاف منه ولا الكثرة تردني عنه لاني طالب
ولست بمطلوب ولا بد لي ان اسير عليهم متوكلاً على علام الغيوب
فقال شداد بكم فارس تريد ان تسير. فقال عنتر بماية فارس من
المشاهير. فقال شداد ليس هذا بصواب. لانهم في خلقٍ كثير
وجمع غفير. بل سر اليهم بماية وخمسين من الابطال واترك من

يبقى هنا لحفظ الحريم والعيال فانتخب كما قال ابيهِ من الرجال وسار يقطع البراري وهو يزمجر و يصول وينشد ويقول ❋

مدت اليَّ الحادثاتُ باعَها وحاربتني فرأت ما راعَها
ياحادثات الدهر قري واهجعي فهمتي قد كشفت قناعَها
ولاتعادي رجلاً قد جربت افعالهُ خلقٌ ففل قراعها
ما داس في ارض العدا جوادهُ الاسقى سيلُ الدماء بقاعها
ويلاً لشيبان اذا صبحتها ومدت الفرسان نحوي باعها
وارتفع النقع وسال بحرهُ واظهرت بيض الظبا شعاعها
وخاضَ رمحي في حشاها وغدا يشلك مع دروعها اضلاعها
واصبحت نساءهم نوادبًا على رجالٍ تشتكي نزاعها
ياعبلَ عندي من هواكِ لوعةٌ احسُ في طيِّ الحشى اوجاعها
ياعبلَ كم تزعقُ غربانُ الفلا قد ملَّ قلبي في الدجى اسماعَها
فارقت اطلالاً وفيها عصبةٌ قد قطَّعت من صحبتي اطماعها

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الابيات . مال عروة طربًا • واهتز عجبًا . ثم فاض يشكره على فصاحته وشدة نخوتهِ و براعتهِ • وساروا طالبين ديار بني شيبان . وقل الموت عندهم وهان وعنتر تزداد في قلبهِ النيران . ولا يفتكر في كثرة الفرسان

قال الناقل هذا ما جرى لهولاء الاقيال. واما ما كان من مفرج بن هلال. فانه عاد من عند كسرى فرحان • معه كثير من الخلع الحسان وفي رجوعه دخل على الملك النعمان. واقام عنده

مدةً من الزمان . وحدثه بما جرى في ارض خراسان . ثم رحل طالبًا ديارهُ والاوطان . واخذ معه ثلثماية حمل شراب من خمر العراق . الذي صفا وراق . وصار اشف من دموع العشاق . وجد المسير الى ان وصل الى ارضه وقومه . فعلم ابن عمه حسان بقدومه . فخرج لملتقاه . واخذ معه المائة فارس الذي كان تركها في حماه . وهو افرح الخلق بسلامته . مدهوش من الفرح بوصوله الى حانه . وقبل أن يساله عن اهله . سأل عن عبدهِ بشارة فقال مالك ابن حسان انه رجع الى خساسة اصله . وعمل اعمالاً لم يعلمها احدٌ من قبله . فتعكّرت عيون مفرج بالدم . وقال ما الذي فعله يا ابن العم . فقال لهُ انهُ لم يقيم بعد اثركم . الّا عشرين يومًا لسفركم . واظهر انهُ اتاه نجّاب . واتى لهُ منك بكتاب . تذكر لهُ انهُ ياخذ جميع مالك . ويسير اليك محملاً ذلك على جمالك . فاوهمنا ان مبادرته من خير العمل . وخرج محملاً مائة جمل . وما وقفنا لهُ بعد ذلك على اثر . ولا سمعنا عنه طنين خبر . الا ان في هذه الايام اتاني كتاب من الربيع بن زياد . يخبرني انه عند عبد بني عبس عنتر بن شداد . وقد ردّ عبلة عليه . وسلم جميع ما معه من الاموال اليه وهو مقيم عنده في احسن حال يتمتّع بقرب محبوبته رابعة في الاطلال وقد كنت يا ابن العم عولت على المسير الى الملك النعمان . لاوصل اليهِ علم هذا الشان . فحضرت انت وكان الذي كان . فلما سمع مفرج هذا الكلام . غاب عن الوجود . حتى ظن

Digitized by Google

الجماعة انهُ مفقود . ثم فاق مما غشي عليهِ وصار من تعجبهِ يصفق
بيديهِ • وقال كيف ظهرت عبلة في بني عبس بعد ان قتلناها
ودفنت في الرمس • فقال مالك • لاادري كيف تم ذلك •
فقال ابن عبد العزَّى سنان • وهو حامية شيبان . اني ارى ان
عبدك ما قتل عبلة . ولا دفنها بالجملة • وانما حدثك بالمحال *
وصبر حتى سافرت وسلمتهُ خزاين الاموال • فاخذها وسار الى
عند عبدٍ مثلهُ ولد زنا . حتى يعيش عندهُ في الملذات والهنا فقال مفرج
بن هلال ما كان لعبدي ان يفعل هذه الفعال . الا اذا مت ودفنت
تحت الرمال • والاَّ ما دامت حولي عشرة الاف من بني شيبان
وخالي مثل الملك النعمان • فلا يُنهب لي مال ولا تنهتك لي عيال
فقال سنان اذا كان الامر كذلك انفذ الى اصدقاك وحلفاك ومن
تعتمد عليهم من رفقاك • وسر بنا الى بني عبس حتى نقلع اصولها
ونخيب مامولها • فقال مفرج ما هذا بصواب لان الملك النعمان •
يريد يصاهر زهير ملك بني عبس وعدنان • فاذا سرنا بدون
امره . لانامن من شرهِ • وانما الراي ان نسير الى الملك النعمان ولا
نتاخر ونعلمهُ بما جرى علينا من عنتر . فان امرنا بالمسير اليهِ سرنا
من عنده • وفتكنا بزهير وجنده . وان ارسل نجابًا واستخلص
لنا اموالنا . فنكون حصلنا على مرادنا واصلحنا حالنا . فقال
سنان هذا هو الصواب . والراي الذي لا يعاب . ثم انصرف كل
منهم الى ابياتهِ . والتهي باهلهِ ومسراتهِ الا مفرجاً فانهُ اقام في الحي

ثلاثة ايام . ورجع الى الملك النعمان . وهو في غاية القهر والاحزان وسارت تتبعهُ بنو شيبان . ولم يزل مفرج سايرًا وهو في الفشلة والحيرة . حتى اشرف على مدينه الحيرة . ولما وصل دخل على الملك النعمان . وهو مثل الواله السكران . فقال النعمان ما سبب هذه العودة . وعساها لعاقبة محمودة . فاعلمهُ بقصته . وما جرى في حلته وكيف اخذ عبدهُ بشارة ماله وسار الى عنتر بن شداد واحتمى لهُ من بين العباد . فقال لهُ النعمان وكيف قلتم انكم قتلتم عبلة وتقاسمتم ما عليها من المال فقال مفرج نعم يامولاي ان عبدي بشارة ذكر انه قتلها ودفنها تحت احاقيف الرمال . ولم نعلم انه كان يحدثنا بالمحال . فقال النعمان لمفرج لا يضق صدرك ولا يهلك امرك . فان مالك يرجع اليك والذي اخذه ينقاد ذليلاً الى بين يديك . وانت تعلم اني ارسلت اخطب بنت زهير . وللان لم اعلم ماذا عمل الربيع من هذا المسعى الخير . وقد اوصيتهُ ان يطمعهُ بالمهر واو طلب خزاين قارون . و يرسل لي الاخبار بما يكون . والان قد صرنا نبلغ هذه القضية . بما فعلوه من الافعال الردية . ثم ان النعمان استحضر كاتبًا من جماعته . وامره فكتب من وقته وساعته .

الذي نعلم بهِ الملك زهير ملك بني عبس وعدنان . وفزارة وغطفان . ان من كان مثلك حاكمًا على قبايل ورجال . يكون بصيرًا في جميع الاحوال . وقد بلغني ان عندك عبد يقال لهُ

عنتر . قد خرج من رق العبودية واستكبر . وطغى وبغى وتجبر . وقد صرت تجيزله الذمام . وتناديه كما تنادي بني الاعمام . والصواب ان تتبع سنة الملوك . وتستحضر ذلك الصعلوك . وتامره ان يرد لمفرج عبده وجميع امواله . والا جازيناه بقبيح افعاله . وارجعناه الى رعي نوقه وجماله . وبعد ذلك اطلب مهر بنتك ما شئت من المال . والنوق والجمال . ولا ترد رسولي بهذا الكتاب . الا بجواب الايجاب . وهو يكون لك الراي والصواب . ثم ختمه وارسله مع نجّاب . وقال له اسرع في قطع البطاح والهضاب . فقال النجّاب السمع والطاعة . واخذه وسار من تلك الساعة . واخذ يجدّ في تلك البراري والقفار . واقام مفرّج عند النعمان كانه يتقلب على النار . ولم يزل النجّاب يجوب المهامه والتلال . حتى اقبل على حي بني عبس ونزل في الاطلال . وكان وصوله بعد مسير عنتر بيومين فدخل على الملك زهير وناوله الكتاب فقراه . وتعقّل ايراده ومعناه . فاخذ منه الغيظ والغضب . وقال للنجّاب يا وجه العرب . ان ما ذكره مولاك عن عنتر . فانه مستحيل ولا يتصوّر . وان الرجل الان ليس هو عندنا . ولا في اطلالنا . فقل للنعمان ان وقع له على اثر يقتله . وعلى الارض يجندله . لاننا سمعنا انهُ رحل لارض العراق . وقصده يشن الغارة على اهالي تلك الآفاق . وقبل رحيله من عندنا . اوقع الشر بيننا . وبين بني عمنا وجندنا . واما المتجرّدة فانها لا تصلح للزواج . ولا تستحق الطلب والحجاج . ولو كانت

Digitized by Google

تصلح ما كنت اغربها عن الاوطان . ولا اترك احداً يتحكم فيها باليد واللسان . وانا استطيع الركوب على ظهر الحصان . وبعد هذا الخطاب . لا حاجة الى جواب . ولا الى كتاب * ثم امر ان يخلع عليه فابى النجاب وقال انى لا اقدر على العاقة . لاني أُمرت ان اعود بغاية السرعة والرشاقة . ثم رجع على عقبه ومن حرده لم يَعُد يرتضِ ان يذهب الى بني فزارة . ولا يواجه الربيع ولا احداً من الامارة . بل جد المسير على راحلته . حتى وصل الى حلته * ثم دخل على الملك ورمى السلام . واخبره بما قال الملك زهير من الكلام . فزاد بالنعمان الغيظ والانتقام . وقال هذا جواب رجل قليل الادب . كثير العجب والغضب . وانا وحق ذمة العرب . والرب الذي اذا سُئِل وهب . لا اتزوج ابنته . الا بعد ان اكسر رقبته . وافني اهله وعشيرته . واما عبدهم عنتر لابد ان يظهر خبره في بعض البلاد . فاجيبه واصلبه مع من تبعه من الاهل والاجناد * ثم دعا باخيه مزيد . وكانت العرب تلقبه بالاسود . لانه كان سفّاك دماء . شديد النخوة والاحتماء . وكان يلقى الالف من الفرسان . فيخشونه ولو كانوا جميعهم شجعان . واعاد عليه كلام الملك زهير نقلاً . وزاده انه لم يرتضِ لابنته بعلاً . فتبسم لذلك الاسود . وكان تبسمه من الغيظ والحرد . وقال ايها الملك انت اهنت نفسك . واطمعت فيك جنسك . ولا او بذلت سيفك في اعدائك . لاهابك اعداؤك واصدقاؤك . فانه يجب على الملك

ان ياخذ بالهيبة والناموس. والا عاش عيش الخامل الموكوس ٠ والصواب انك تنفذني ايها الملك الى بني عبس وعدنان . وانا اسحب لك الملك زهير وقومه بحبال الذل والهوان . وتحكم فيهم بما تريد . ولا توطي قدرك عند القريب والبعيد. ولا تقول العربان . ان الملك النعمان . خطب بنت الملك زهير فلم يرده ابوها لها خاطبا. ورد رسوله خائبًا ٠ فلما سمع الملك النعمان من اخيه هذا الكلام اشتد بهِ الغضب. وزاد بهِ الصخب * ثم جهزه بعد ثلثة ايام ٠ وسيرهُ في عشرين الفًا من بني لخم وجذام. بالخيول والجنائب . والرماحَ القواضب . وساروا يقطعون البراري والسباسب . وبعد ذلك تفرغ لطلب عنتر بن شداد . وارسل عشرة من العبيد الجياد ٠ يطوفون القبايل ٠ ويسالون عن عنتر اين نازل . وبمن استجار من الملوك او سكان المناهل. واقام يركب كل يوم ويطوف حول مدينة الحيرة في اكابر قومه والاعيان ٠ ومفرّج يحدثه بحديث بني عبس وعدنان . وكيف سار عنتر عنهم غضبان . وفي اليوم الرابع بعد خروج الاسود وهم خارج الحيرة في نصف النهار . وعولوا على الرجوع الى الديار. واذا بغبار قد ثار. في تلك البراري والقفار ٠ ونما ذلك الغبار في تلك القيعان. وهو مقبل من نحو بني قحطان . وارض بني شيبان ٠ ولم يكن الا نحو ساعة من الزمان: حتى ظهر من تحته فرسان هاربة ٠ والى نحو الحيرة طالبة. ولما نظروا الملك النعمان . تبدل خوفهم بامان .

Digitized by Google

فتقدم الملك النعمان الى نحوهم في الحال . والى جانبه مفرج بن هلال . فسمعهم ينادون اجرنا ياملك الزمان. فتبينهم مفرّج واذا هم من بني شيبان : وهم بنو عمه وقبيلته . واهله وعشيرته . فقال لهم ياويلكم من فعل بكم هذه الفعال. فقالوا ادهم بني عبس نسل الانذال . كبسنا في الظلام . ونحن سكارى نيام . وفتك فينا واخذ الاموال والانعام ولم يترك في الحيّ سوى الارامل والايتام. فقال مفرج وقد لطم على وجهه وراسه . حتى كاد يسقط اضراسه ياويلكم وكم كان مع هذا الشيطان حتى فعل بكم هذه الفعال . فقالوا ما رايناه الا في نفر قلايل من الرجال . لانه دهمنا في الظلام الاسود . وما التفت منا احد على احد . فقال الملك النعمان وقد اسودت الدنيا في عينيه . ولم يعد يعرف ما بين يديه . وهل لا تعرفون ايّ طريق طلب هذا الشيطان . فقالوا لا والله ياملك الزمان . لاننا ما عرفنا اقباله من اي مكان . ولا انتبهنا الا على صياح النسوان . واستمر تواصل المنهزمين الى اخر النهار وعلموا حينئذٍ انه سار على طريق جبال الردم ووادي الرمال . فطيب الملك النعمان قلب مفرج بن هلال . وقال لهُ غداً سر في طلبه انت وجميع بني شيبان . وخذ معك من اردت من الشجعان والفرسان . وقبائِل العربان . واذا ظفرت بهذا العبد الزنيم . فلا تقتلهُ بل اجعله اسيرًا تحت الرسيم . وائتني بهِ وباعمامه حتى اصلبهم جميعًا على ابواب البلد . واجعل خبرهم حديثًا الى الابد .

فقال ابن عبد العزّى سنان . وكان شيطان في زي انسان وهو فارس بني شيبان . ايها الملك وحق نعمتك لولا خوفك وسطوتك ما كان اتى ابن عمي الى هذا المكان . الا وعثر معهُ في حبال الذل والهوان . ونحن ما اتينا الا لمشورتك . ولا بلغ منا هذا العبد مراده الا ونحن غايبون عن اهالنا في خدمتك . ولكن هذا لا يبطي عليه ولا بد من المسير اليه . ثم عادوا الى الحيرة . وباتوا في القلق والحيرة . ولما اصبح الصباح جمع مفرج المنهزمين والذين كانوا في الحيرة مقيمين . فكان الجميع خمسة الاف فارس وما منهم الا كل بطل مداعس . فاخذهم وسار طالبًا بلاده والاطلال . وفي قلبه النار على الحريم والعيال . وكان النعمان عول ان يرسل معهُ فرسان من بني لخم وجذام . فقال مفرج ما ثم امر يوجب هذا الاهتمام . ولم يزل سايرًا بمن معه حتى اشرف على الديار . فرآها بلقعًا وقفرًا من القفار . دارسة فيها المعالم والاثار . ثم راى بعض المضارب والخيام . على رؤوس الروابي والاكام . والنساءَ نوايح نوادب . على ما جرى عليهنَّ من تلك المصائب . ولما راى مفرج ذلك زاد بهِ الجوى . والتهب قلبهُ واكتوى وجرت دموعهُ على وجنتهِ وعض على شعر لحيتهِ . وقصد كل من الابطال الى ابياته وافتقد حريمهُ وبناتهُ . فوجدوا ديارهم قد خربت الى الابد . ولم يبقَ ممن يعز عليهم احد . وانحدرت النساءَ من رؤوس الجبال . وهنَّ محلولات الشعور . ناعيات بالويل والثبور فعظم

على مفرج ذلك الحال ، ولم يقم الا ثلثة ايام حتى طلب الارتحال وجمع المتخلفين من الرجال ، فكانوا تسعة آلاف من الاقيال ، فاخذهم وسار في تلك البراري والجبال ، قاصدًا جبال الردم ووادي الرمال ، ليظفر بعنتر ويقلع منهُ الاثر ❋

قال الراوي وكان السبب في خراب ديار مفرج ، ان عنتر لما سار من وادي الرمال ، بعد ما حصن الحريم والعيال وترك بشارة مريضًا في تلك الجبال ، من جرح قيس له عند هجمتهم على الصناديق والاموال ، التي حصلت وبنو قرادٍ مزمعون الارتحال . فلم يزل قاصدًا ديار بني شيبان وهو يجد المسير الى الصباح ، وهناك اشرف على حيهم فنزل واستراح ، وارسل اخاه شيبوبًا يكشف لهُ الاخبار ، ويرى من يوجد في تلك الديار ، وهل مفرج حاضر او غايب بجماعته . فسار شيبوب من وقته وساعته ، وما غاب غير قليلٍ حتى عاد ، وقال ابشر بالغنيمة يابن شداد . فانهُ لا يوجد في الحي أكثر من الف فارس وكلهم قد شغلهم الشراب في الصباح والمساء . ولا احد منهم يعرف ان احسن الدهر او اسا . فقال عنتر وكيف ذلك ، اخبرني بحق ما لك المالك ❋

فقال شيبوب اعلم انهُ لما عاد مفرج من عند النعمان احضر معهُ ثلثماية حمل شراب ليشربها مع ابطال عشيرته والفرسان ، فرأى ما اخذ لهُ بشارة من الاموال . واخبره بان عبلة رجعت

اليك فزاد به البلبال . ورجع الى الملك النعمان . ليستشيره بهلاك بني عبس وعدنان . ومن شدة غيظه قال لقومه اشربوا انتم هذا المدام . وقلوا من العتب والملام . فاني قد اقسمت ان لا اشرب خمرًا . حتى انفذ في هذا العبد امرًا . واسقي عنتر وبشارة . كاسات المرارة . ومن حين ذهابه قد انهمكوا في شرب العقار . في الليل والنهار . وانا ارى انكم ترحلوا من هذا المكان . وتخوضوا ارض بني شيبان . ولا تدخلوها الا في الظلام . والفرسان غارقة في المنام . وتفرقوا عليهم ثلث فرق كل فرقة خمسون فارس . وكونوا ايقاظا عوابس . وادرسوهم درس الرياح الدوارس . فقال عنتر والله ما اشرت الا بنعم الكلام . وما قصرت في هذا المرام . وعند ذلك ركب عنتر وركبت وراءه الابطال . وقد عرفوا حقيقة الحال . وجرى شيبوب قدامهم كانه الاسد الرئبال . حتى ولى النهار واقبل الظلام . وقد لاحت نيران بني شيبان اللئام . فتفرقوا ثلث فرق ودخلوا المضارب وصاحوا بهم من كل جانب . و بذلوا فيهم الرماح والقواضب . و في دون ساعة تكدرت المشارق والمغارب . ونزلت على بني شيبان البلايا والمصائب . وثارت الناس من المراقد . وخفقت قلوب البنات النواهد . وتقطعت حبال الرجا . وما عاد للجبان مهربًا ولا ملتجا . وظلبت الفرسان من هول تلك المعمعة فرجا . واقام ملك الموت لقبض الارواح حججا واستمر الحسام عاملاً في بني شيبان حتى ولى الليل مندرجا .

Digitized by Google

واقبل النهار مبتلجا . واصبح فريق بني عبس بالنصر متوجا .
وقد اكتسبوا من الدم ثوبًا مدبجا *وكانت ليلة عظيمة من الليالى .
بلغ فيها عنتر ذرى المعالي . متحكمًا في بني شيبان . وقد ملك
اموالهم والنسوان وغنم كل ما كان يحويه مفرج بن هلال وسنان
ومالك بن حسان . واخذ لمفرج ثلاث نساء وا ربع بنات . ومن
نساء بني عمه واخونه اربعين من الموصوفات . وكسب بنو
قراد غنيمة عظيمة من نوق وجمال . وساروا قاصدين الجبال *
وتركوا ديار الاعدا فضائح * من كثرة النوادب والنوائح . وجدوا
المسير الى جبال الردم ووادي الرمال * حتى بقي مسافة يومين
بينهم وبين تلك الجبال * ولما وصلوا الى ارض محرقات الجوانب
واذا هم بغبار سدّ المشارق والمغارب * فقال عنتر لعروة انظر ما
بين يديك * وحقق البر بعينيك * فقال عروة اظنها غنيمة وقد
رزقنا اياها الله في هذه الساعة العظيمة * فقال عنتر ارفقوا بالمسير
وريحوا الخيل . . حتى تساعدكم على ما تريدونه من المنى والنيل *
فترجلت الفرسان عن الخيل وفكت حزمها * وارخت لجمها .
وسقتها دون الاكتفاء . وعلت ظهورها وقد طلبت الاعدا *
فسلوا الصفاح * وقوموا الرماح * وكان عنتر قد وكل بما معهم
من الاموال * اربعين فارسًا من الابطال * وتقدموا الى نحو
ذلك الغبار * ليحققوا عنه الاخبار * واذا تحته صيحات عاليات
والكل ينادون يا لعبس يا لعدنان . اما من رجل كريم يغار على

Digitized by Google

البنات * اما من فارس جسيم يخلص النسا المسبيات *
قال الراوي وكان السبب في تلك الاثارة. الربيع واخوه عمارة. وذلك بعد ان ظهر عندهم العبد بشارة . واغار عليهم عنتر واوقع فيهم تلك الخسارة . فدخل الربيع على حذيفة وهو يدق صدره ويقول . ياابا حجار . وفارس جميع الاقطار . لقد غفلت عنا وفت الانهماك . ونحن في جوارك وحماك . فقال حذيفة اني ما غفلت عنكم ولكن كنت من الم الوقعة مقهور . وقد رايتم جميعكم سقطتي لما ضرب عنتر عنق حجرتي طيفور . ولولا ذلك ما قعدت عن هذه الامور . ولو اصبحت الدما على الارض تموج كالبحور . على انني وحق البيت الحرام . ما علمت ان الذي اغار على اموالكم ذلك العبد نسل اللئام . ولو علمت ذلك . كنت طلعت اليه واسقيته كاس المهالك . لانني سكران من غير مدام . مما فعل معنا وفي حينا هذا العبد الذي لا يراعي الكرام . ولا يعرف حفظ الذمام . ولكن خذوا الاهبة المسير . حتى نبلوه ومن معه بكل امر عسير فقال الربيع والله يابني الاعمام . ان الحق هذا الكلام * ثم تأهبوا من يومهم في الف وسبعماية فارس . في الحديد غواطس * وساروا قاصدين الجبال * وقد كان نهاهم الشيخ بدر بن عمرو فما انتهوا ولا سمعوا المقال * بل قال حذيفة ايها الشجعان * لا تسمعوا كلام ابي لانه صار شيخا خرفان * وكيف نكون ملوكا واولاد ملوك * ولا نقدر نعادي هذا الصعلوك *

Digitized by Google

ثم اخذوا في المسير * وكل منهم يود ان يطير * فقال لهم حمل نحن انشبنا هذا الامر العظيم * ولا بد لنا من معاداة هذا العبد الزنيم * وطلعنا بغير رضى ابي . ونخاف ان يتم علينا امر يكون لا يختفي ولا يختبي . والصواب ان نجعل طريقنا على بني مرة . وناخذ معنا فارسها ظالمًا ابا الحارث صاحب الكرة . فانه من الفرسان الشداد * وربما يكون افرس من عنتر بن شداد * فقال حذيفة والله ان هذا عار عظيم * ونحن ندّعي اننا اهل الفخر والاصل الكريم * ولا نقدر نعادي هذا العبد الزنيم * حتى نستعين عليه بفرسان الاقاليم . فقال حمل لا باس بالاستظهار * وتشكرنا على ذلك العرب الاخيار *

قال الراوي وكان هذا ظالم فارسًا جبّارًا * وبطلًا مغوارًا * وكان مع قدرته وشجاعته ودوام سعده * افتخر على العرب بسيف قد ورثه من ابيه عن جده * وكانت العرب تسمي ذلك السيف ذا الحيّات * لانه كان اذا ظهر تلمع فيه صور حيّات * وكان هذا السيف هو سيف الملك الضحاك * الذي كان يباشر فيه الحرب والعراك * وكان ظالم من محبته فيه * وخوفه عليه * لا ينام الاّ وهو بين اثوابه ويديه * وفي فراشه يعانقه * وفي النهار لا يفارقه * واذا انشد شعرًا يذكره ويسميه * وهذا ما قاله فيه

الاقي كل نائبةٍ بصدري ولا اخشى الحِمامَ اذا لقيني
وكيفَ اخافُ من جور الليالي وذو الحيّات سيفي في يميني

قال الراوي فلما ذكر حمل ذلك الفارس وساعده الربيع * وافقهم حذيفة حتى لايكون مخالفاً لراي الجميع * فجدوا وهم في الفرح والمسرّة * الى ان وصلوا الى منازل بني مرة * وكان وصولهم عند الظلام * فاستقبلهم ظالم واكرمهم غاية الاكرام * واحضر لهم الطعام والمدام * فحدثه الربيع بحديث عنتر وما فعل من الفعال * فقال ظالم وحق الملك المتعال * انكم يابني زياد ومشايخ عدنان * قد حقت عليكم المذمة من بين العربان * وكل ذلك من مقدمكم زهير * الذي قرب هذا العبد وواصله بكل خير * واني وحق البيت الحرام * وزمزم والمقام * لايغمني بمسيري معكم الا ان يتلطخ سيفي ذو الحيّات بدم العبيد * وانا قد عودته شرب دماء الفرسان الاماجد الصناديد ۞ ثم انه لاطفهم بالكلام * وابقاهم في ضيافته ثلاثة ايام * وتجهّز في خمساية فارس من قومه الامجاد . على الخيول الجياد . وكان حضر بهم الملمات . وقاتل بهم في الوقايع الهايلات . واسرع الجميع في التشمير . وجدّوا في المسير . وهم يسا،ون عن عنتر في ايّ الاماكن والاطلال . حتى تحقق لهم الخبر انهُ في جبال الردم ووادي الرمال . وانه هناك قد حصّن حريمه والعيال . فقال ظالم قبح الله طلعته والسبال . ايظن هذا العبد ان الجبال تحميه مني . اوتمنعه عني *

ثم انهم قصدوا ذلك المكان . وقدّامهم دليل عارف بالارض من اوليك الفرسان . هذا وعمارة لاتسعه الدنيا من فرحه ووجده .

وظن انه يحظى بعبلة من بعده . وما زالوا يقطعون الشعاب والوهاد . حتى بقي بينهم وبين الجبال يومان فنظروا هناك عبدًا من عبيد الربيع بن زياد . وكان ذلك العبد قد هرب . والى ارض الحجاز طالب . فلما عرفوه هنوه بالسلامة وسالوه عن عنتر . واستخبروهُ عما دبَّر . فقال لهم انهُ ذهب الى بني شيبان . بماية وخمسين فارسًا من الاقران . وبقي في الجبال مابة وخمسين فارسًا لحفظ الاموال والنسوان . ولولا غياب عنتر وشيبوب ياسادات العرب . ما قدرت على الهرب . فلما سمعوا ذلك الكلام . تباشروا ببلوغ المرام . فقال لهم ظالم ياوجوه العرب الكرام . كيف نكون نلنا المرام . اذا لم يكن وقع بايدينا ذلك العبد نسل الحرام . وقال حذيفة العلنا نقع بالحريم والعيال ونرجع الى الاوطان . ونترك هذا العبد المهان . فقال الربيع بن زياد الراي عندي اننا نصل اولاً الى الجبال . ونملك الحريم والاموال * ثم نحقق على عنتر في اي مكان . ونسير الى الملك النعمان . ونجعله يرسل الابطال والفرسان . يحضرونه اسيرًا مع من تبعهُ من بني عبس وعدنان . ويأخذ بنت مالك زوجة لهُ رغمًا عن ابيها من بين العربان . فقال عمارة بشرك الله بالخير يااخي فان عبلة ما خلقت الى نصيبي من النسوان * ثم انهم جدُّوا المسير وظالم يترنم بهذه الابيات

أثغركِ ياهندُ ابدى ابتساما امِ البرقُ سلَّ علينا حساما
وهذا قوامكِ ام الغصن قد تثنَّى لنا حين حاكي القواما

الا تنظرين ابنة العامري صباحاً جلا من ثناه ظلاما
اذا زوت الخيل ربع الزنيم وداست عبيداً نسلاً حراما
شفيتُ فؤادَ الربيع كذا فؤاد حذيفة قوماً كراما

قال الراوي ولم يزالوا قاصدين تلك الجبال * حتى اشرفوا على وادي الرمال . وظهر غبارهم لبني عبس وراهم العبيد الذين تركهم عنتر عند العيال . فركب شداد والماية وخمسون فارساً من الاقيال . وانقلب الوادي بضجيج الاماء والنسوان . والعبيد والغلمان . وخرجت الرجال الى خارج الشعاب . قاصدين الطعان والضراب . وقد انقسمت عليهم السرب . وانطبقت عليهم انطباق الغيهب . وتقدم ظالم امام السادات . واشهر سيفه ذا الحيات . وفي دون ساعة ظهرت الاحقاد . وعملت السيوف الحداد . وكثر العدد على بني قراد . وخرج زخمة الجواد واخوه شداد . وقاتلوا قتال الرجال الاجواد . الذين يخافون المذمة بين العباد . وامسكوا رؤوس الشعاب . واجادوا الطعان والضراب . فلما راى ظالم حفظهم للمضيق ترجل عن الجواد وفعلت رجاله كما فعل . لانه كان ذا قلب كانه قُدَّ من جبل * وقهر الفرسان بقوته . وادخلهم الوادي بهمته . وفعل حذيفة والربيع كذلك . واوردوا بني قراد المهالك . ولما رأت النساء هذه المصائب . اسلبت الشعور والذوائب . وايقنوا بالسبي ونزول النوائب . وما تنصف النهار حتى تم نصر بني مرة وفزارة

Digitized by Google

واصبح بنو قراد ومن معهم اسارى ❋

واخرجوا الجميع من تلك الجبال ٠ وساقوا الحريم والاموال ❋ ووقع بشارة بن منيع ٠ في يد الربيع ٠ فضربه الضرب المولم وعذبه العذاب الشنيع ٠ وقال له لاهونت عليك بالمقال ياولد الزنا حتى اوصلك الى مولاك وهناك تشرب كاسات الهلاك ٠ فقال بشارة قبح الله بطنًا حملك ياابن زياد ياوغد الاوغاد ٠ ان لم تمهلني الى اخر البلاد ٠ وتحطني قدام الذي يفعل بي ماأراد ووالله لو كان حاضرًا عنتر بن شداد ٠ لما كنت انت ولا غيرك قدر يبلغ مني ومن اهله المراد ❋

قال فتركه الربيع وصار يحرض على ضرب مالك ابي عبلة ويظهر له الشماتة في الجملة ٠ ويقول هذا جزاك ٠ على تركك اهلك واتباعك هذا العبد الردي ذا اوصلك الى الهلاك ٠ فقال شداد ولماذا تشتموا ولدي اذا غاب ٠ وجرى على اهله بعض الاسباب ٠ فان اجتمع بكم وتم الامر ٠ ينتصف زيد من عمرو ٠ فقال عمارة لا كلام في هذا الشان ٠ حتى يخلص ولدك من بني شيبان ٠ ثم انهم جدوا في تلك القيعان ٠ وظالم قدامهم كالاسد الحردان ٠ وهو ينشد ويقول ❋

اياهندُ قرنيَّ باني كريمٌ ... نجيبٌ وقد فاق فخري الاناما

ومن يلتَقِ بالحرب مثلي اذا ... تعالى لظاها وزادت ضراما

جميع العدى تختشي سطوتي ... وعندي الحلالُ يساوي الحراما

Digitized by Google

ونكست بالشعب فرسانهم بسيفي بري لحمهم والعظاما
وسقت حريمهمُ بعد ما تركت العذارى حيارى ندامى
وقد قيل لي لهم فارس شجاعٌ اذا موسم الحرب قاما
فمن ابن تحمي عبيد الخنا حريم الكرام وترعى الذماما
وعندي له ان اتى سالماً حسامٌ اذا قعد الحرب قاما
يفوّتُ عني خطوب الردى اذا ازدحمت حول بيتي ازدحاما
وايّ فخار انالُ اذا قتلت بسيفي العبيد اللئاما

قال الراوي ولم يزالوا يقطعون البراري والآكام . الى ثالث الايام . وقد بدا الصباح بالابتسام . . فالتقاهم عنتر الهمام . ومعه من سبي بني شيبان ما يشبه الغمام . وكان عمارة في مقدمة سبي بني عبس وهو يدور حول عبلة ويتلافاها . ويطيب خاطرها ويترضى اباها . وعبيد بني زياد . يضحكون على عبيد بني قراد . ولما التقت العين بالعين . والتطم غبار الفريقين . ضجت العبيد بالصياح . وسمع عنتر بكاء النساء والنواح . فقال لعروة ومن معه من الرجال . . دونكم وهولاء الانذال . وحرك جواده وحمل على بني زياد . وطعن اول فارس اقلبهُ . والثاني شقلبهُ . فلما سمعت الفرسان صوت عنتر المهاب . رجعت هاربة على الاعقاب . وعمارة في اولهم وهو ينادي الثار الثار . البدار البدار . وقد عدم رشدهُ وصوابه . وما حلّ به قذر بثوابه . واغرق سرجه وركابه . فعند ذلك ارتفع الغبار الى العنان . وازداد صياح النسوان . وما لت

عبيد بني قراد على بني زياد . واوقعوا فيهم بالعصي والحجارة . وهم يقولون لهم اين تهربون يابني فزارة . وقد احاط بكم الموت الذي ليس له نفاد . من سيف عنتر بن شداد . وقد تقدم عنتر الى عبلة وسلم عليها . وهناها بالسلامة مما وصل اليها . فقالت له اعلم ان الربيع وبني فزارة وظالم سيد بني مرة . هم الذين اخذونا اسارى وسقونا الكاسات المرة . فكر عليهم واسقهم كاسات المهالك . فقال هو قريب يا ابنت مالك . واذ هو مع عبلة في هذا الكلام . واذا بامه زبيبة تناديه عن ظهر بعض الجمال . ويلك يا ابن الخنا اتمشي برجالك موضع هواك . ولا تلتفت الى وراك . ولا تذكر التي ربتك . ومن لبنها ارضعتك . فتبسم عنتر من مقالها وقال لها قبح الله وجهك ووجههم في الافاق . وما الذي ارادوا من شدك بهذا الوثاق . حتى انعبوا بجملك الجمال والنياق . ثم انه حلها من وثاقها وامر شيبوب ان يحل جميع النسوان . ويريحهم من الاسر والهوان وتقدم هو وعروة ومن معهم من الابطال يطلبون الرجال بعد ان رتبوا جماعة لمحافظة الحريم والعيال . وكان عمارة قد وصل الى الربيع ورفقته . واعلمهم بقدوم عنتر وصحبته . فقال الربيع وما الذي تم عليكم . وماذا ظهر بين يديكم . فقال عمارة التقانا عنتر بن شداد . وقتل منا خمس فرسان اجواد . وحاز الحريم والاموال ولولا اشتغاله بعبلة بلغ منا جميعنا المراد . فقال الربيع لعن الله وجهه المكالح . وفعاله الكثيرة القبائح . ثم صاح بمن معه من

الرجال وان ياخذوا الاهبة للقتال . ففرح ظالم بذلك الخبر * وقال هذا يوم الظفر بالعبد الزنيم الاقشر . ثم اطلق لجواده العنان وتبعته الفرسان . واذا بعنتر قد التقاهم وهو يقول ياويلكم يابني الانذال . لقد ارحلتموني عن اهلي والاوطان . واتفقتم على قتلي انتم وبني فزارة وذبيان . وسبيتم المال والنسوان . فابشروا بالموت الزوام . وبينما هو في هذا الكلام . فانحذف اليه حذيفة وقوم السنان . وقال خذها ياعبد يازنيم . من يد حذيفة الفارس الجسيم ولما راى عنتر ان الطعنة اليه واصلة . اخذها على درقته بمعرفته الكاملة . وطعنه في صدره اقلبه على قفاه . وكاد يعدمه الحيوة * فانحدر اليه جماعة من رفاق عنتر وشدوه بالكتاف . وقوموا منه الاطراف . وقصد ظالم عنترًا من وراه . وضرب رمحه في سيفه ذي الحيَّات براه . واراد ان يثني عليه فصاح به عنتر . وضربه بما بقي معهُ من رمحه الذي انكسر . فاصاب ساعده . فانجرح وما عاد ساعده * ثم هجم عليه وقبضه من جلابيب درعه واقتلعه من بحر سرجه وضرب به الارض . فكاد ان يدخل بعضه في البعض * واخذه اسيرًا * واصبح ظالم ذليلًا حقيرًا * ولم يزل يعمل فيهم ما تعمل النار في الحطب . حتى لم ينجُ منهم الا اصحاب الخيول النُجَّب وداموا كذلك حتى خيم الغسق . واظلم افق الشفق . وعاد عنتر عنهم وهو كانهُ قد غرق في بحر دماء . وارجل جواده تخوض في بطون القتلاء . وقد املاهم بالويل والبلاء . وهو يهتز طربًا

ويميل عجباً . وينشد ويقول *

قف بالديار وناد من يبداها فعسى الديار تجيب من ناداها
دارٌ لعبلة لاحَ برقُ سناها للناظرين فيهموا معناها
دارٌ يفوح المسك من عرصاتها والندُّ والمسك الزكيّ جناها
دارٌ لعبلة شط عنك مزارها ونأت لعمري ما اراك تراها
ياصاحبي قف بالمطايا ساعةً في دار عبلة سائلاً معناها
ما بال عينك لا تملُّ من البكا رَمَدٌ بعينك ام جفاك كراها
ام كيف تسأل دمنة عاديّةً سفت الجنوب دمانها وثراها
ياعبلَ قد هام الفؤاد بذكركم وارى ديوني ما يحلّ قضاها
ياعبلَ ان تبكي عليَّ بحرقةٍ فلطالما بكت الرجال نساها
ياعبلَ اني في الكريهةِ ضيغمٌ شرس اذا ما الطعن شقّ جباها
ودنت كباش من كباش تصطلي نار الكريهة او تخوضُ لظاها
ودنا الشجاع من الشجاع وشُرّعت سمر الرماح على اختلاف قناها
فهناك اطعن في الوغى فرسانها طعناً يشقّ قلوبها وكلاها
ياعبلَ اني في الحروب مجرباً قرنٌ اذا الفرسان طال لقاها
فسلي الفوارس يخبروكِ بهمتي ومواقفي في الحرب حين اطاها
فازيدها من نار حربي شعلةً واثيرها حتى تدور رحاها
واكرّ فيهم في لهيب شعاعها واكون اول واقدٍ بصلاها
واكون اول ضاربٍ بمهنّدٍ يفري الجماجم لا يريد سواها
واكون اول فارس يغشى الوغى واقود اول فارس يغشاها

الا تنظرين ابنة العامري صباحًا جلا من ثناه ظلاما
اذا زوت الخيل ربع الزنيم وداست عُبيدًا نسلاً حراما
شفيتُ فؤادَ الربيع كذا فؤاد حذيفةَ قومًا كراما

قال الراوي ولم يزالوا قاصدين تلك الجبال * حتى اشرفوا على وادي الزمال . وظهر غبارهم لبني عبس ورآهم العبيد الذين تركهم عنتر عند العيال . فركب شداد والماية وخمسون فارسًا من الاقيال . وانقلب الوادي بضجيج الاماء والنسوان . والعبيد والغلمان . وخرجت الرجال الى خارج الشعاب . قاصدين الطعان والضراب . وقد انقسمت عليهم السرب . وانطبقت عليهم انطباق الغيهب . وتقدم ظالم امام السادات . واشهر سيفه ذا الحيات . وفي دون ساعة ظهرت الاحقاد . وعملت السيوف الحداد . وكثر العدد على بني قراد . وخرج زخمة الجواد واخوه شداد . وقاتلوا قتال الرجال الاجواد . الذين يخافون المذمة بين العباد . وامسكوا رؤوس الشعاب . واجادوا الطعان والضراب . فلما راى ظالم حفظهم للمضيق ترجل عن الجواد وفعلت رجاله كما فعل . لانه كان ذا قلب كانه قدّ من جبل * وقهر الفرسان بقوته . وادخلهم الوادي بهمته . وفعل حذيفة والربيع كذلك . واوردوا بني قراد المهالك . ولما رأت النساء هذه المصائب . اسلبت الشعور والذوائب . وايقنوا بالسبي ونزول النوائب . وما تنصف النهار حتى تم نصر بني مرة وفزارة

واصبح بنو قراد ومن معهم اسارى *

واخرجوا الجميع من تلك الجبال . وساقوا الحريم والاموال *
ووقع بشارة بن منيع . في يد الربيع . فضربه الضرب المولم وعذبه العذاب الشنيع . وقال له لاهونت عليك بالمقال ياولد الزنا حتى اوصلك الى مولاك وهناك تشرب كاسات الهلاك . فقال بشارة قبح الله بطنًا حملك ياابن زياد ياوغد الاوغاد . ان لم تحملني الى اخر البلاد . وتحطني قدام الذي يفعل بي ما اراد ووالله لو كان حاضرًا عنتر بن شداد . لما كنت انت ولا غيرك قدر يبلغ مني ومن اهله المراد *

قال فتركه الربيع وصار يحرض على ضرب مالك ابي عبلة ويظهر له الشماتة في الجملة . ويقول هذا جزاك . على تركك اهلك واتباعك هذا العبد الردي ذا وصلك الى الهلاك . فقال شداد ولماذا تشتموا ولدي اذا غاب . وجرى على اهله بعض الاسباب . فان اجتمع بكم وتم الامر . ينتصف زيد من عمرو . فقال عمارة لا كلام في هذا الشان . حتي يخلص ولدك من بني شيبان . ثم انهم جدوا في تلك القيعان . وظالم قدامهم كالاسد الحردان . وهو ينشد ويقول *

ايا هندُ فرخيَّ باني كريمٌ	نجيبٌ وقد فاق فخري الاناما
ومن يلكْ بالحرب مثلي اذا	تعالى لظاها وزادت ضراما
جميع العدى تخشي سطوتي	وعندي الحلالُ يساوي الحراما

Digitized by Google

ونكست بالشعب فرسانهم بسيفي بري لحمهم والعظاما
وسقت حريمهم بعد ما تركت العذارى حيارى ندامى
وقد قيل لي لهم فارس شجاعٌ اذا موسم الحرب قاما
فمن ابن تحمي عبيد الخنا حريم الكرام وترعى الذماما
وعندي له ان اتى سالماً حسامٌ اذا قعد الحرب قاما
يفوتُ عني خطوب الردى اذا ازدحمت حول بيتي ازدحاما
وايُّ فخار انالُ اذا قتلت بسيفي العبيد اللئاما

قال الراوي ولم يزالوا يقطعون البراري والآكام . الى ثالث الايام . وقد بدا الصباح بالابتسام . فالتقاهم عنتر الهمام . ومعه من سبي بني شيبان ما يشبه الغمام . وكان عمارة في مقدمة سبي بني عبس وهو يدور حول عبلة ويتلافاها . ويطيب خاطرها ويترضى اباها . وعبيد بني زياد . يضحكون على عبيد بني قراد . ولما التقت العين بالعين . والتطم غبار الفريقين . ضجت العبيد بالصياح . وسمع عنتر بكاء النساء والنواح . فقال لعروة ومن معه من الرجال . دونكم وهولاء الانذال . وحرك جواده وحمل على بني زياد . وطعن اول فارس اقلبهُ . والثاني شقلبهُ . فلما سمعت الفرسان صوت عنتر المهاب . رجعت هاربة على الاعقاب . وعمارة في اولهم وهو ينادي الثار الثار . البدار البدار . وقد عدم رشدهُ وصوابه . وما حلَّ به قذر بلثوابه . واغرق سرجه وركابه . فعند ذلك ارتفع الغبار الى العنان . وازداد صياح النسوان . وما لت

عبد بني قراد على بني زياد . واوقعوا فيهم بالعصي والحجارة . وهم يقولون لهم اين تهربون يابني فزارة . وقد احاط بكم الموت الذي ليس له نفاد . من سيف عنتر بن شداد . وقد تقدم عنتر الى عبلة وسلم عليها . وهناها بالسلامة مما وصل اليها . فقالت له اعلم ان الربيع وبني فزارة وظالم سيد بني مرة . هم الذين اخذونا اسارى وسقونا الكاسات المرة . فكر عليهم واسقهم كاسات المهالك . فقال هو قريب يابنت مالك . واذ هو مع عبلة في هذا الكلام . واذا بامه زبيبة تناديه عن ظهر بعض الجمال . ويلك ياابن الخنا اتمشي برجالك موضع هواك . ولا تلتفت الى وراك . ولا تذكر التي ربتك . ومن لبنها ارضعتك . فتبسم عنتر من مقالها وقال لها قبح الله وجهك ووجههم في الافاق . وما الذي ارادوا من شدك بهذا الوثاق . حتى انعبوا جملك الحبال والنياق . ثم انه حلها من وثاقها وامر شيبوب ان يحل جميع النسوان . ويريحهم من الاسر والهوان وتقدم هو وعروة ومن معهم من الابطال يطلبون الرجال بعد ان رتبوا جماعة لمحافظة الحريم والعيال . وكان عمارة قد وصل الى الربيع ورفقته . واعلمهم بقدوم عنتر وصحبته . فقال الربيع وما الذي تم عليكم . وماذا ظهر بين يديكم . فقال عمارة النغانا عنتر بن شداد . وقتل منا خمس فرسان اجواد . وحاز الحريم والاموال ولولا اشتغاله بعبلة بلغ منا جميعنا المراد . فقال الربيع لعن الله وجهه الكالح . وفعاله الكثيرة القبايح . ثم صاح بمن معه من

الرجال وان ياخذوا الاهبة للقتال . ففرح ظالم بذلك الخبر * وقال هذا يوم الظفر بالعبد الزنيم الاقشر . ثم اطلق لجواده العنان وتبعته الفرسان . واذا بعنتر قد التقاهم وهو يقول ياويلكم يابني الانذال . لقد ارحلتموني عن اهلي والاوطان . وانتفتم على قتلي انتم وبني فزارة وذبيان . وسبيتم المال والنسوان . فابشروا بالموت الزوام . وبينما هو في هذا الكلام . فانخذف اليه حذيفة وقوم السنان . وقال خذها ياعبد يازنيم . من يد حذيفة الفارس الجسيم ولما راى عنتر ان الطعنة اليه واصلة . اخذها على درقته بمعرفته الكاملة . وطعنه في صدره اقلبه على قفاه . وكاد يعدمه الحيوة * فانحدر اليه جماعة من رفاق عنتر وشدوه بالكتاف . وقوموا منه الاطراف . وقصد ظالم عنترا من وراه . وضربت رمحه في سيفه ذي الحيات براه . واراد ان يثني عليه فصاح به عنتر . وضربه بما بقي معهُ من رمحه الذي انكسر . فاصاب ساعده . فانجرح وما عاد ساعده * ثم هجم عليه وقبضه من جلابيب درعه واقتلعه من بحر سرجه وضرب به الارض . فكاد ان يدخل بعضه في البعض * واخذه اسيرًا * واصبح ظالم ذليلاً حقيرًا * ولم يزل يعمل فيهم ما تعمل النار في الحطب . حتى لم ينجُ منهم الا اصحاب الخيول النجب وداموا كذلك حتى خيم الغسق . واظلم افق الشفق . وعاد عنتر عنهم وهو كانهُ قد غرق في بحر دماء . وارجل جواده تخوض في بطون القتلاء . وقد ابلاهم بالويل والبلاء . وهو يهتز طربًا

ويميل عجبًا . وينشد ويقول ❋

قِف بالديار وناد من بيداها   فعسى الديارُ تجيب من ناداها
دارٌ لعبلةَ لاحَ برقُ سناها   للناظرين فيمموا معناهـا
دارٌ يفوح المسك من عرصاتها   والندُّ والمسك الزكيّ جناهـا
دارٌ لعبلة شط عنك مزارها   ونأت لعمري ما اراك تراهـا
ياصاحبي قف بالمطايا ساعةً   في دار عبلةَ سائلاً معناهـا
ما بال عينك لاتملُّ من البكا   رَمَدٌ بعينك ام جفاك كراهـا
ام كيف تسأل دمنةً عاديّةً   سفت الجنوب دمانها وثراهـا
ياعبلَ قد هام الفؤاد بذكركم   وارى ديوني ما يحلُّ قضاهـا
ياعبلَ ان تبكي عليَّ بحرقةٍ   فلطالما بكت الرجال نساهـا
ياعبلَ اني في الكريهةِ ضيغمٌ   شرس اذا ما الطعن شقّ جباها
ودنت كباشٌ من كباشٍ تصطلي   نار الكريهة او تخوضُ لظاهـا
ودنا الشجاع من الشجاع وشُرِّعت   سمر الرماح على اختلاف قناها
فهناك اطعن في الوغى فرسانها   طعنًا يشقّ قلوبها وكلاهـا
ياعبلَ اني في الحروب مجربًا   قرنٌ اذا الفرسان طال لقاها
فسلي الفوارس يخبروكِ بهمتي   ومواقفي في الحرب حين اطاها
فازيدها من نار حربي شعلةً   واثيرها حتى تدور رحاهـا
واكرُّ فيهم في لهيب شعاعها   واكون اول واقدٍ بصلاها
واكون اول ضاربٍ بمهنّدٍ   يفري الجماجم لايريد سواها
واكون اول فارس يغشى الوغى   واقود اول فار

والخيل تعلم والفوارس انني　　شيخ الحروب وكهلها وفتاها
ياعبل كم من فارس غادرته　　في وسط رابية يعد حصاها
ياعبل كم من حرة غادرتها　　تبكي وتنعي بعلها واخاها
ياعبل كم من مهرة غادرتها　　من بعد صاحبها تجر خطاها
واخذت من راس القناة سنانها　　وقطعت ايدي من الحي رماها
ياعبل كم لي طعنة بمثقف　　عجز الاطبا عن وجود دواها
ياعبل اين من المنية مهرب　　ان كان ربي في السماء قضاها
ياعبل لو اني لقيت كتيبة　　سبعين الفا ما رهبت لقاها
وانا المنية وابن كل منية　　وسواد جلدي ثوبها ورداها

قال الراوي لما فرغ عنتر من هذه الابيات. طربت منها السادات. فقال له عروة لا فض الله فاك. ولا كان من يشناك ولا شمتت بك اعداك ثم انهم جمعوا الاسرى والعيال. وساروا يقطعون البراري والتلال. ولم يصبح الصباح الا وهم في وادي الردم والرمال. فدخل عنتر بسبي بني شيبان. وبني فزارة ومرة وذبيان والاماء بين يديه تضرب بالمزاهر. والجميع يتعجبون من سعد عنتر وفعاله الباهر. وكان دخولهم اول النهار. واخذوا يضربون الخيام في تلك الديار. وكان اعظم الجميع فرحاً بشارة بن منبع. لانه خلص من يد الربيع. وكان قد حدث عنتر بما قاساه من اسره الشنيع. وبعد ان نزلوا في تلك الخيام. وتم لهم ثلاثة ايام. اذا بغبار طالع عليهم من نحو بني شيبان. فلما انكشف وظهر ما تحته للعيان.

واذا بالابطال وفرسان . وفي مقدمتهم مفرّج بن هلال . ووراه عسكر قد ملا بين الارض والشمال . ولمع الحديد وبرق الزرد النضيد . فركبت فرسان بني عبس والابطال . وخرج عنتر الى خارج الشعب والمضيق بمن معه من الرجال . وقد طلبوا الحرب والقتال . ولما راهم بنو شيبان فعلوا مثل تلك الفعال . واستقبلوهم احسن استقبال . وقال مفرج الا تنظروا الى هذا العبد . كيف غلب جهله على عقله وعدم السعد . حتى التقى هذا العسكر العظيم . باربعماية فارس كظيم . ونحن في تسعة الاف فارس جسيم . فشوّه الله اسبا له . واتعسه ولا اقاله . ولكن الذنب لمن احوجنا لقتال العبيد الاوغاد وهو الربيع بن زياد . فقال سنان لا تتعجب يا مفرج في رجل قد استقتل . وهان عليه الاجل ولولا ذلك ما خرج لحرب كل هذه القبائل ومثلي في مقدمة هذا الجحفل *

قال وكان الربيع معهم في الجملة لانه كان قد هرب بخمسين فارساً طالبين ارض العراق . وساروا في تلك الافاق . وعند الصباح . التقى بهم مفرج في تلك البطاح . فاخبرهم الربيع بما حل بهم من الخسارة . وان عنتر اسر حذيفة وظالماً وعمارة . فقال له مفرج لا باس عليك . فطب نفساً وقر عيناً وهون ما وصل اليك . فها نحن سايرون الى عنتر . لنقلع منه الاثر لانه ما منا احد الا دهاه بماله وعياله * وبلغ منا كل مبلغ بسيفه ورجاله . ثم ان

مفرج حدث الربيع بحديث الاسود اخي النعمان ومسيره بعشرين الف فارس الى بني عبس وعدنان . ففرح الربيع بذلك الخبر وسار معهم وهو متيقن من عنتر ببلوغ الوطر . لانه راى تسعة الاف عنان . وفي مقدمتها ابن عبد العزى سنان . وهم قد قدموا بامر الملك النعمان . وقال وحق ذمة العرب اهل الاختصاص . ما بقي لهذا العبد طريق للخلاص . وما زالوا سايرين حتى اشرفوا على تلك الجبال . وخرج اليهم عنتر كما ذكرنا وقال سنان ما قال . فقال الربيع انه شيطان . في جسم انسان * فان غفلتم عنه قتل الشجعان واخذ سلب الفرسان * وزاد الغيظ عند سنان . لما سمع صوت السبايا فطلب عنتر الى حومة الميدان * وانشد يقول *

ايسبي حريمي واهلي ومالي عبيدٌ تربوا لرعي الجمالِ
وامسي ذليلاً ضعيف الجنانِ وسيفي صقيلٌ خليّ الصقالِ
ورمحي اذا اهتزّ يوم القتالِ تخرُّ له شامخاتُ الجبالِ
فتبًّا لدهرٍ يسيدُ العبيدَ ويبعدُ ساداتهم والموالي
فلو انصف الدهر ما كان يعلو على الخيل الاكرام الرجالِ
الا يا ابنة العمّ اني صبورٌ اذا فرقتنا صروف الليالي
وذا الدهر يومان حلوٌ ومرٌّ وذا الخلق صنفانِ باكٍ وسالِ
وكم نار حربٍ شجرنا بها شفار الظباء ورؤس العوالي
واذ كنتِ أُذهلتِ عما مضى فذا اليوم يبدو لديك قتالي

قال الراوي فلما فرغ سنان من كلامه . وشعره ونظامه . قال لمفرج ويلك ياابن العم بادر هذا الشيطان بالقتال . واحمل عليه بالرجال . فطلبوا عنتر واشرعوا الرماح الطوال . ولما رآهم عنتر علم قصدهم والمراد . فاخذ معه صديقهُ عروة واباه شداد . وتمام الثلاثين فارساً من بني قراد . وهجم عليهم هجوم الليل على النهار وابلاهم بالويل والدمار . وجال فيهم شرقاً وغرباً . واشبعهم طعناً وضرباً . واضرم فيهم نار الحرب . وكساهم الغم والكرب . وكان ان طلب فريقاً فرقه . او حمل على موكب مزقه . وفعل اخوه شيبوب مثل فعاله . فكان يحمي جواد اخيهِ بنباله . ويصوب بها صدور الرجال . ويقتنص من يريده من الابطال . واما شداد وعروة وبنو قراد . فانهم جالدوا اشد الجلاد . وقاتلوا عن الحريم والاولاد . وما كان الا ساعة من ساعات النهار . حتى اصبحت الفرسان جافلة من تحت الغبار . وفروا خوفاً من التنكيل والدمار . وقد قتل عنتر ومن معهُ اكثر من الف فارس من ذلك العسكر الجرار . فقال مفرج وحق ذمة العرب قد وقعنا مع هذا الشيطان . وكنا لانصدق ما نسمعه فقد تحققناه بالعيان . فاذا كان هذا الرجل عنده اربعماية فارس وما طاوعته نفسهُ ان يخرج الينا الا بثلاثين . وفتك في عسكرنا وتركنا مشتتين . فلو خرج بهم جميعاً ماذا كنا صانعين فقال الربيع يامفرج قد اعلمتكم انه شيطان . في جسم انسان . فانهُ لايوجد مثله في فرسان هذا الزمان . ولو كان اصحابه مثله لاستولى

Digitized by Google

على ملك كسرى صاحب الايوان *

قال الراوي فعند ذلك التفت مفرج الى بني عمهِ وصاح * ولما سمعوا صوته جردوا الصفاح. وهزوا عوامل الرماح . وكان عنتر قد التقى بسنان . وهو راجع من مكان الجولان . في جماعة من بني شيبان . ومعهم عروة بالاسر والهوان . وذلك ان سنانًا لما لم يصادف عنترًا حمل على بني قراد . واخذ معهم سيف الحرب والجلاد . فالجاهم الى الجبل وقتل منهم ثلاثة فوارس . وعول ان يدخل الشعب وهو مثل الاسد العابس . فصدمهُ عروة ومنعهُ * واخذ في القتال معهُ . وسمع سنان صيحات عنتر فلاصق عروة وضايقهُ . واختطفهُ من سرجهِ بزندٍ شديد . وساعد كالحديد * وسلمهُ لبعض فرسانه . ورجع يحامي عنهُ قاصدًا عنترًا الى مكانه * وكان عنتر قد فرق الوف الفرسان . وتركهم جفلى كالحملان * فلما راه صاح فيه ويلك ياعبد الزنا . ونتيجة الخنا * ما بقي لك من يدي مناص . ولا طريق للخلاص . ثم مد رمحهُ وهجم على عنتر * واراد يشفي خاطره المكدر . فضرب عنتر الرمح بالسيف براه * وتمهل عليه حتى قرب اليه فلحقهُ بالسيف كفحًا وضربهُ بهِ على ظهره صفحًا. فانقلب على قفاه. وكادت تنسحق اعضاه. فانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف . وقوم منهُ الاطراف . ولما رات بقية الفرسان من عنتر تلك الاوصاف . فروا خوفًا من التلاف . وتركوا عروة من يديهم وولوا الى نحو مفرج بن هلال واخذوه بما حل بهم من

Digitized by Google

الوبال . وقد رأت الفرسان من عنتر ما ادهش ابصارها . وحير افكارها . وتدفقت امواج المواكب . وقامت الزعقات من كل جانب . وخيم الغبار على المشارق والمغارب . وصاح عنتر في بني عبس فتراجعت واعملت القواضب . وافاضت الدماآء من اللحا والشوارب . وضاقت الاقطار في وجه المحارب . وانسدت الطرقات والمذاهب . فلله در عنتر وفرسانه . فانهم ثبتوا على باب المضيق كانهم سدٌّ من حديد . وحموه عن الفرسان الصناديد بهيبة الاسد القسور . فارسهم عنتر . وكان عروة الى جانبه لانه لما خلصهُ عنتر ركب على ظهر الجواد . ومال يطعن بالاعداآء من حرقة الفؤاد * ولم يزالوا على تلك الحال . حتى حالت ظلمة الليل دون القتال . فرجع كل فريق لفريقه * وعاد كل صديق يفتش على صديقه . فنزل بنو عبس على باب المضيق . وهم مثل نيران الحريق . حفظًا للمكان ومنعةً عن الاعدآ من كل طريق * وبعد ذلك امر عنتر اخاه شيبوبًا ان يدخل بسنان . الى داخل الوادي حيث كانت الاموال والنسوان . ويخبر بالنصر على عساكر بني شيبان . فادخلهُ ورجع مع الاماآء بالطعام للفرسان * قال الراوي وقد راى بنو شيبان . انهم في الذل والخسران . فجرى على قلب مفرج ما لا يجري على قلب انسان . لاجل اسر ابن عمه سنان . وما حل بعسكرهِ من الهوان . فقال للربيع ان هذه النوبة صعبة وما كانت لنا في حساب . ولا ظننا اننا نلقي

هذه الامور والاسباب . لانه قد قتل منا الف فارس تمام . واسر مثلها من فوارسنا الاكرام. وقد اسر فارسنا صاحب البطش والاقدام . وانا لولا خوفي من العار بين العربان . كنت برزت اليهِ وجندلتهُ في حومة الميدان . ولكن ان نُصِرتُ عليهِ فلا تعدها لي الفرسان . وان نصر عليَّ هلكت بنو شيبان . فقال الربيع بن زياد . وهو يزعم ان مقالهُ هو السداد . انا رايي انكم تلبسوا صدود الزرد . وتزحفوا اليهم مشاةً بالسيوف والعدد . ولا يتاخر منكم احد . ولا تزالوا تعملون فيهم السيف الرقيق . حتى تحشروهم في باب المضيق . وترخوا وراهم الوادي وانتم مثل نار الحريق . فتبلغون الآمال . وتخلصون الحريم والعيال . فلما سمع مفرج هذا الراي اعجب بهِ غاية العجب . واهتز من الانذهال والطرب * ثم فكر وقال لا نزحف ونترك عنتر ورانا . حتى يفني اقصانا وادنانا . ولم يزل مفرج والربيع يتشاوران بذلك الى ان انفجر الصباح واضآء بنورهِ ولاح . فبرز مفرج عاجلاً الى الميدان . وقال . واجهر في المقال . ياعبد السوء ما مبارزتك الا عار . ولكن الضرورة تحوج الى مثل هذه الاثار . وهكذا طبع الايام . فانها تضع الكرام . وترفع اللئام . فلما سمع عنتر هذا الكلام . صار الضيا في عينيهِ كالظلام وانقض عليه انقضاض العقبان . بدون ان يمهله ليجول كما تفعل الفرسان . وضربهُ بالرمح مقلوباً في صدره فرماه على بساط الصحصحان . وانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف وقوم منهُ

السواعد والاطراف * وساقه قدامه فسار بلا خلاف . وصال عنتر وجال . وانشد وقال

صباح الطعن في كرٍّ وفرٍّ ولا ساقٍ يطوف بكاس خمرِ
احبُّ اليَّ من قرع الملاهي على كاسٍ وابريقٍ وزهرِ
مدامي ما تبقي من خماري باطراف القنا والخيل تجري
انا العبد الذي خبرت عنهُ يلاقي في الكريهةِ الف حرِّ
خلقت من الحديد اشد قلباً فكيف اخاف من بيضٍ وسمرِ
وابطش بالكميّ ولا ابالي واعلو الى السماك بكل فخرِ
ويبصرني الشجاع يفرُّ مني ويرعش ظهرهُ مني ويسري
ظننتم يابني شيبان ظناً فاخلف ظنكم جَلَدي وصبري
سلوا عني الربيع وقد اتاني بجرد الخيل من سادات بدرِ
اسرت سراتهم ورجعت عنهم وقد فرقتهم في كل قطرِ
وها انا قد برزت اليوم اشفي فوادي منكم وغليل صدري
واخذ مالَ عبلة بالمواضي ويعرف صاحب الايوان قدري

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذا المقال . وابصر الربيع تلك الحال . وكيف فعل عنتر بمفرج بن هلال . انذهل غاية الانذهال . وقال لمالك بن حسان ترجل ايها الامير وافعلوا ما اشرت بهِ عليكم من العمل . فتبلغون من هذا العبد الامل . فترجل مالك . وفعلت بنو شيبان كذلك . وقال لهم دونكم اياه دوروا بهِ من كل جانب . وقطعوه بشفار القواضب . وقد

راى عنتر بني شيبان لما نزلوا وطلبوا الجبل فقال ازل الله من
لا يفرقكم تفريق . ولا يتركم تهتدون الى طريق * والتفت الى
عروة وقال له اتبعني يا ابا الابيض في ماية فارس من الابطال .
حتى اسوق بين يديكم جماهير هولاء الانذال . واجعل الموت يبلعهم
كلهم . لانهم لا يعلمون ان الذي اشار عليهم بهذه الحيلة عليهم لا
لهم . فاني اريد ان اسير من وراهم واملك خيولهم . واتم في هذا
اليوم هلاكهم وذلهم . وامر اباه شدادًا ومن بقي معه من العبيد .
ان يمسكوا عليهم مضيق الجبل بالطعن والتهديد * وحمل عنتر
وعروة ومايه من الصناديد . مسربلين بالزرد النضيد . وانزلوا
في الاعدا الحرب والويل . وصيروا النهار في عيونهم كالليل .
وعنتر كلما التقى بفارس اعدمه الحياة . وتركه عبرة لمن يراه .
فاهلكوا جماعةً من بني شيبان . وشتتوهم في تلك القيعان .
وابصروا خيلهم في الصحصحان . فقال عنتر لمن معه من الفرسان .
بادروا الى هذه الخيل وردوها الى ناحية اصحابها . واجفلوها فهي
تلعب بروس ركابها * فلما سمع عروة ذلك استبشر وزادت عنده
الافراح . وقال لعنتر لله درك ما ابصرك فى قبض الارواح * ثم
تفرقوا على الخيل من كل جانب . وصاحوا عليها بزعقات قلبت
المشارق والمغارب . فابتدت قدامهم ولها قتام . بدل نور
الشمس بالظلام . وكان بنو شيبان قد ازدحموا في المضيق غاية
الازدحام . فطفرت تلك الخيل عليهم ودرستهم درس الليالى

Digitized by Google

والايام. فتفرق من بقي خوفاً ان يتم فناهم • واستعظموا امرهم وبلاهم. وصار شيخهم وفتاهم. وطُرِحت الاجساد على المهاد. وداستها الخيل بحوافرها الشداد • وقضى الله اجل بني شيبان على يد عنتر بن شداد . وما سلم الا من اطال الله في مدته • وركض بين الخيل بشدته. وكان من جملة الذين سلموا مالك بن حسان * لانه لما راى الخيل تركض وراه تنحى وطلب عرض البر والفلاه . وقد تبعه نحو الف فارس من رفقاه . وعندما انكشف عنهم الغبار في تلك القيعان • وحصلوا على شي من الامان • واذا بالربيع واقفاً مطرقاً بالمهاد • متحيراً مما تمّ من العكس والعناد • ويأكل كفيه ندامة وانكاد. فلما راه مالك صاح في بني شيبان يابني عمي جميع ما وقع علينا من البلاء والهوان . كان من هذا القرنان • ولولاه ما عرفنا عنترًا بن شداد • ولا بني عبس ولا بني فراد • فدونكم اياه • واعدموه الحياة . فاحاطت بهِ الفرسان من كل جانب • وبذلوا فيه الرماح والسيوف القواضب • فاتاه ضربة من احد الفرسان فانطرح منها على الارض • انطراح من لاينهض الى يوم الفرض. وهكذا تركوه فاقد الحياة . وذهبوا في الفلاة . واذا بابي الفوارس عنتر وعروة ابن الورد • قد مرّا على الربيع وهو يأنّ بين القتلاء على المهد • فلما راه عنتر قال لعروة انزل لهذا الخبيث وشده بالكتاف وقوم منه السواعد والاطراف فان الله اوقعه في مكره . وردّ كيدهُ على نحره. ولا بد ان اقرنه مع

رفقاه . الذين هم في الرداءة شركاه . وفتح الربيع عينيه . فراى عنترًا متكيئًا على الرمح ينظر اليه . فصاح الضيعة يا ابن العم . واكفني ما انا فيه من الهم والغم . واني محلفك بحرمة النسب من شداد الى عدنان . ونادم على معاداتك يافارس الفرسان . واما المال الذي اخذناه عن ابنة عمك عبلة فهو كله عند الملك النعمان . وهذا ابن عمك في يدك فافعل به ما تشاء . وان عفوت فاصطنعه واجعله من الاصدقاء . واعلمك ايضًا يا ابا الفوارس ان الملك النعمان . ارسل اخاه الاسود الى ديارکم بعشرين الف عنان . وامره ان لايعود الا بزهير وجميع الرجال ماسورين بحبال الذل والهوان . وذلك لان النعمان ارسل في طلب المتجردة خاطبا . فرجَّع زهير رسوله خائبا . واذ رجع اخوه بالسبي والرجال . وبلغه ما فعلت بنا من الفعال . احل بالجميع النكال . فانذهل عنتر لما سمع هذا الكلام . وقال للربيع ومن كم يوم خرج في هذا المرام . فقال الربيع قبل مسيرنا اليكم بخمسة ايام . فقال عنتر اذل الله بني عبس بين العربان . واتعسهم بين اهل المناهل والغدران فوالله الذي لا الاه الا هو الملك الديان لا قلعن لاجل بني عبس اثار الملك النعمان . ولاحرمنَّه ان ينام على فراش الاطمئنان .

الكتاب العشرون
من سيرة عنتر بن شدّاد
العبسي

ثمّ رجع وهو يقول لعروة ابن الورد . والله يا ابا الابيض . ما انا على بني عبس بالمضمر الردي . ولا عليهم بالمعتدي . ولا احقد على ما صدر منهم . ولا بد ان ابذل روحي عنهم . ثم عاد الى بيوت بني قراد . وطلي الخبر على اعمامهِ وابيه شداد وقال انا خايف على زهير واولاده وعشيرتهِ . ولا بد من المسير الى نصرتهِ * فقال شداد نحن هنا ثلثماية فارس . وصار الملك النعمان لنا العدو المنافس . فكيف نترك وراءنا الملك النعمان . ونسير الى عشرين الف فارس من مجمعة العربان . ونصبح في غاية الخوف على اموالنا والنسوان . فقال عنتر يا ابي ما على الحريم باس . وما دام سكنهنَّ في هذا الحال لا يقربهنَّ احد من الناس . فدعنا نسير الى نصرة قومنا في الحال . ونبقي عندهنَّ عمي مالك وولده عمرو والبعض من الرجال . ثم ان عنتر قال لاخيه شيبوب أحضِر مفرجاً بن هلال وعلقهُ على قرنة هذا الجبل . وافعل بسنان بن عبد العزى وظالم بن الحارث مثل ذلك بلا مهل . وصف جانبهم حذيفة وعمارة والربيع . ليكون عدمهم وانتصارهم شاملاً للجميع *

Digitized by Google

فصار الاسرى المذكورون ينظرون الى عنتر فيرون عينيه كالجمر وهو يهمهم و يتمايل كالشارب الخمر * فاخذوا يودعون بعضهم البعض . وماتوا خوفًا على وجه الارض . فانقطع من عمارة امل السلامة واشتد بهِ الاياس . واشتد بهِ الجزع فقذر اللباس . وقال بئس الصباحات والمقالات . التي تودي الى مثل هذه الحالات . وبعد ان تم شيبوب ما أُمِرَ بهِ . دعاه اخوهُ عنتر وقال ياابا الغيرة والنجدات . اننا نقصدك في المهمات والملمات * فاخبرني كم لنا من هنا الى بني عبس من طريق . فقال شيبوب تنقسم الي ثلاثة مفارق من تعجيل وتعويق . فقال عنتر اري مسيرنا اليهم واجتماعنا بهم في طريق واكم . فقال شيبوب على رابي الرمل ووادي الرخَم * وما للمسافر طريق الآ ان يمر فيها . وهي بعيدة عنا ثلاثة ايام بلياليها . فلما سمع عنتر من اخيه هذا الكلام امرهم باخذ الاهبة للمسير والاقدام . وسار بماية وخمسين من من الفوارس * من بني عبس الاشاوس . في الحديد غواطس * وترك عندهم المابة والخمسين الاخرى ومعهم عمه مالك وولده عمرو وقد اوصاهم ان يحفظوا الحريم والاموال والاسرى بغاية الحرص والحذر * وركب بعد ذلك جواده الابجر . وتقلد بسيفهِ الضامي الابتر وقال هذه السفرة تكون مباركة علينا ان شاء الملك الديان نملك بها رقبة الاسود ومن معه من العربان . ثم سار عنتر وابوه شداد . واستقبل الطريق وهو طاير العقل والفواد . خوفًا

على الملك زهير ومن عنده من الاولاد وتذكر ارض الشربة والعلم السعدي فجاش بخاطره الشعر فانشد وقال

لا يحمل الحقدَ من تعلو به الرُتَبُ ولا ينال العلى من طبعهُ الغَضَبُ
ومن يكن عبدَ قومٍ لا يخالفهم اذ جفوهُ ويسترضي اذا عتبوا
قد كنت فيما مضى ارعى جمالهمُ واليومَ احمي حماهم كلما نُكِبوا
لله درّ بني عبسٍ لقد نسلوا من الاكارم ما قد تنسل العربُ
لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسبٌ يوم النزال اذا ما فاتني النسبُ
ان كنت تعلمُ يا نعمانُ ان يدي قصيرة عنك فالايام تنقلبُ
ان الافاعي وان لانت ملامسها عند التقلّبِ في انيابها العطبُ
اليوم تعلم يا نعمان ايّ فتى يلقى اخاك الذي قد غره الكذِبُ
فتى يخوض غبار الحرب مبتسماً وينثني وسنان الرمح مختضبُ
ان سلّ صارمه سلت مضاربهُ واشرق الجوُّ وانشقّت له الحُجبُ
والخيل تشهد لي اني اكفكفها والطعن مثل شرار النار يلتهبُ
اذا لقيت الاعادي يوم معركةٍ تركت جمعهم المغرور ينتهبُ
لي النفوس وللطير اللحوم ولل وحشِ العظامُ وللخيالةِ السَلَبُ
لا شك ان في بطون الطير مقبرةً فيها لمن جندلت ارماحنا تُرَبُ
فسل ديار الاعادي كم بنيت بها بيتاً من النقع لم يُمدَد له طنبُ
وسايل القوم عني حين ادهمهم فالمال يذخرُ والارواح تنسلبُ
لا ابعد الله عن عيني غطارفة انسٌ اذا نزلوا جنٌّ اذا ركبوا
اسود غابٍ ولكن لا نيوبَ لهم الّا الاسنّة والهندية القُضُبُ

تعدو بهم اعوجيات مضمرة مثل السراحين في اعناقها قبب
مازلت القى صدور الخيل مندفقاً بالطعن حتى يضج السرج واللبب
فالعمي لو كان في اجفانهم نظروا والخرس لو كان في افواههم خطبوا
والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي
والطعن والضرب والاقلام والكتب
نجمي يلوح على اعلى مراتبه فوق السماك وفوق الشمس محتجب
اني ابن شداد من اعلاهم حسباً اباً وجداً فهذا الفخر والنسب

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الابيات . طربت منها السادات . واعجب بها كل من حضر فحفظوها حفظ الايات * ولم يزالوا سايرين في ذلك البر الواسع . والقفر الشاسع * وعنتر تحدثه نفسه بكسر عسكر النعمان . في العدد الذي معه من الفرسان * حتي وصلوا الى وادي الرخم . في ثلاثة ايام . وشيبوب بين ايديهم كفرخ النعام * وكان الوادي المذكور لقوم يقال لهم بنو الاجرم . وهم حينئذٍ نازلون في مكان يبعد عنه سبعة ايام على السير الاعظم * فاوصلهم اليه شيبوب في اقل مدة بعد ان كان قال لهم من قصد ارض العراق . لا بد له من المرور في تلك الافاق * وانا اعلم ان الاسود اذا عاد من ديار بني عبس وعدنان . لا بد ان يمر في هذا المكان * ولو ان معنا من القوة ما نمسك به عليهم الطريق ونمنعهم من الماء . لكانت تهلك عساكرهم من الخوف والظماء . فقال عنتر ان كان الامر كما ذكرت انزل بنا هنا فوالله لا تركت احداً منهم

يبل سباله بالماء • الا اذ وجد منهم فارس نبيل • وعمره طويل *
فنزلوا على ذلك الغدير . وعنتر يود لو انهُ الى بني عبس يطير *
واقاموا هنالك ثلاثة ايام . فما ظهر لهم خبر ولا اثر • فقلق عنتر وتحير *
وخاف على حريمهِ وعيالهم في وادي الرمل وذلك البر الاقفر *
فقال لاخيه شيبوب كيف الحيلة . والطريق طويلة * فقال شيبوب
انا اكشف لكم الخبر . وارجع اليكم باسرع ما يكون من السفر *
وقام من ساعته وسار . فغاب في اقل من ساعة عن الابصار *
وتوارى عنهم في تلك القفار * ولما تم لغياب شيبوب يومان قلق
عنتر لذلك • وايقن بورود المهالك * واخذ هو ومن معهُ في القيل
والقال • واذا بشيبوب مقبلاً يركض في عرض البر والتلال *
كانهُ فرخ نعام اذا سمع الرعد تحت الغمام * فصرخ عليهِ اخوه
عنتر • ابدِ لنا ما معك من الخبر *

فقال شيبوب اتوك القوم . وبطل عنك العتب واللوم . وغدا
يشرف عليك الملك الاسود . ومعه عساكر ملأت البر والفدفد .
فقال عنتر يا ويلك اخبرني كيف حديثهم مع بني عبس • فقال لهُ
شيبوب قلع اثارهم . واخرب ديارهم . وسبى الحريم ونهب الاموال
وتركهم مثلاً من الامثال . لانه صبحهم ايشم صباح واحاط بهم من
كل جانب • وانزل بهم البلا والمصايب • وكان قد فرق عساكره
عشرة الاف على اليمين وعشرة الاف على الشمال • فقاتلهم حتى
اورثهم الفنا والاضمحلال • وفي ثاني الايام اقبل اولاد بدر في بني

Digitized by Google

فزارة وبني مرة . لان المنهزمين اخبروهم ان حذيفة وظالمًا عندك في حالة الاسر والمضرة . فلما سمعوا بقدوم الاسود اتوا اليه نجدة . لعلهم ياخذون من اولاد الملك زهير من يفدون بهِ اسراهم من هذه الشدة . فقاتلوا في ذلك اليوم واظهروا الجلد . وكثر على بني عبس العدد وهجم الاسود على الملك زهير فاخذهُ اسيرًا . واحل في الجميع من بعده عذابًا وتدميرًا . ووعد بني فزارة وبني مرة ببلوغ مناهم . وتخليص اسراهم . واخبرهم ان اخاه الملك النعمان ارسله حتى يخرب ديارك . ويقلع آثارك . وانه لابد ان يلحقك حيثما كنت حتى تخفي اخبارك . وهذا الكلام سمعته من صديقك مالك بن زهير . ولا تسال عما هو فيه من الذل والضير . وقد وقع عدا الملك زهير في اسر الاسود . مقدار الفين وازيد . وانا لما ذهبت من عندكم بقيت يومًا وليلةً اسيرًا في البر الاقفر . ولا اعلم للقوم طنين خبر . وكنت عزمت على المسير الى ارضنا . ولا ارجع الَّا ببلوغ المنى . وبين ما انا في الافتكار . واذا بسوادهم قد ثار . فسرت في عرض البر حتى امسا المساء . وعلمت انهُ قد حل بهم الاعياء والاساء . ولا زلت اتبعهم حتى نزلوا على عيون النمرة . وخيم الليل وذهب البياض والحمرة . فدخلت بينهم . وكشفت عينهم . فسمعت صوت صديقك مالك وهو يبكي . ويأنّ ويشتكي . وينشد ويقول

دهانا الخوف من بعد الامانِ ونمنا عن تصاريف الزمانِ
وذقنا الذل لما غاب عنا مثير عجاجة الحرب العوانِ

هلكنا بعده بغياً وامسى جواد البغي مقطوع العنانِ
اغثنا ياهمام بني قرادٍ بحدّ حسامك الماضي اليمانِ
ولا تشمت بنا قومٌ لئامٌ سبوا نسواننا سبي الزواني
فانك نصرنا في كل حربٍ اذا همّت بنا خيل الرهانِ
ولا يثنيك عتبانٌ علينا فترك عتابنا كل الاماني
اترضى لو ترى ما حل فينا من الاهوال مع قبح الهوانِ
نساق وكل عذرا من نسانا تشير لنحو ذكرك بالبنانِ
وتذري الدمع من طرفٍ كحيلٍ على خدٍّ كلون الارجوانِ
ومن شجنٍ تنادي يا لعبسٍ اجيروني وحزني قد كفاني

قال الراوي وكان شيبوب ينشد عنترًا هذه الابيات . وعنتر تنهلّ من عيونهِ العبرات . لان مالك كان عنده اعز من روحه لاجل ما فعل معهُ من المكرمات * ثم قال شيبوب يا اخي ولما سمعت صوت مالك عرفته . فقصدته بين القوم حتى صادفته * فتقدمت اليه . وسألتهُ عما جرى على القوم وعليه * فقص عليّ هذه الاخبار . وما كان من الاثار * واخبرتهُ اننا في الانتظار . وان قلبك يتقلب لاجلهم على لهيب النار . ثم اخبرته ما جرى لك مع بني شيبان . وانك اورثتهم الذل والهوان * ولما علم ابو زهير . ايقن بالفرج والخير * وقال والله اننا قد علمنا في نفوسنا . ما لا تعملهُ الاعدا بنا * فاننا قد ابعدنا حاميتنا عنا من غير ذنب ولا ضرر . وحلت بنا من بعده العبر * ولكن كلما طال عمر المرء تكسّب .

وكلما هذبته الايام تهذب * وما زلت سائرًا معهم حتى وصلنا الى عيون الظباء • ورايت ان الملك الاسود لما راى اتساع البر قدامه استكثر من حمل الماء • خوفًا على عساكره من الظماء * وفي السحر فارقتهم وانيتك حتي ندبر في خلاصهم • من يد قناصهم * فقال عنتر وما هو التدبير هنا الا منعهم من الماء • واهراق الدماء • واني وحق ذمة العرب الكرام . لابد ما اسقي الاسود ومن معه جميعًا كاس الحمام • فقال شيبوب وقد تبسَّم . اعلم يا اخي ان الامر قد تحكَّم واني دبرت من التدبير . مايرجع عليهم ان شا الله بالوبال والتدمير فقال عنتر اخبرني ما الذي دبرت . واي عمل اخترت * فقال شيبوب اعلم يا ابن الام . اني لما رايتهم قد استكثروا من حمل الماء ما زلت سايرًا معهم حتى خيمت الظلماء . وبقصدي ان اشفي فوادي منهم فهناك انفتح لي باب • رايته هو الصواب • وذلك اني سللت خنجري وقصدت روايا الماء وابتدات ابذل واحدة بعد واحدة حتى بذلت الجميع . وصنعت بهم اقبح صنيع . وانا اقول ما يصبح الصباح وعندهم ما يبل الريق . بعد ما يكونون قد عدموا السعادة والتوفيق . وفارقتهم واتيت وانا قد قطعت من الطريق ما لا يقطعونه الا بثلاثة ايام وثلاث ليال . لانهم يسيرون على سير الحريم والجمال . والراي عندي ان تاخذ اصحابك وتكمنوا في البر . وتكونوا متاهبين للكر والفر حتى تروهم على الماء واردين فتخرج اليهم بمن معك في الكمين . فسوق الاسود برقبته • وننفصل من

فقال شداد والله ياشيبوب لقد اشرت ٠ وما قصرت * لانهم اذ وصلوا لهذا المكان ٠ وهم في حالة العطش والهوان * لا يلتفت احد منهم على احد ٠ ولا يدافعون عن الاسود * لانهم يلتهون بتبريد الظماء ٠ ويحول دون شجاعتهم الاعياء * فلما سمع عنتر هذا الخبر ٠ ايقن بالنصر والظفر * وامر اصحابه فثاروا الى ظهور الخيل بعد ما تزودوا بالماء ٠ وساروا وقد اقترب المساء وانزلهم شيبوب في مكان يخفيهم عن الاعداء *

قال الراوي هذا ما كان من هولاي واما ما كان من الاسود فانه سار بعسكره وما نزل بهم حتى تضاحى النهار وحمي الحر ٠ وسخنت الارض وهوجر البر ٠ وكان الاسود قد اكل شيأً من الزاد ولحم الوحش فلحقه الظماء ٠ وطلب جرعةً من الماء * فنظر العبيد بعضهم الى بعض ٠ وتمنى كل منهم ان تبلعهُ الارض * فقال لهم الاسود ياويلكم ما الذي دهاكم ٠ وماذا اصاب روايآكم * فقالوا وحق من رفع السماء انهُ ما اصبح في الروايا ولا قطرة ماء * وكلهنّ مبزولات ناشفات ٠ ما في جميعهنّ شيءٌ يبل اللهفات * فقال ياويلكم من فعل بكم هذه الفعال ٠ فقالوا لاعلم لنا وحق الملك المتعال * فقال الاسود وحق النور والنار ٠ ما فعل بنا هذه الفعال الّا من دبر على هلاكنا والدمار ٠ على اننا توسطنا هذا البرّ الاقفر والمهمه الاغبر ٠ والماء بعيد عنا من كل جهة ومقدر * فقالوا ايها السيد لا بد بعض عبيد بني عبس فعل بنا هذه الفعال ٠ وطلبوا

Digitized by Google

هلاكنا والوبال * فلما سمع الاسود هذا المقال جمع من معهُ من اوجه الرجال . واستشارهم في ما يصنعهُ في تلك الحال * وكان في صحبته شيخ مجرب في عظايم الامور * عارف في تصاريف الدهور * فقال الراي ايها الملك ان ترسل النجابة بين ايدينا ليملأُوا الروايا من منهل الماء * ويلتقونا بها والاَّ هلكنا جميعًا من الظماء * واذا هم لحقونا فلا نسقي بني عبس جرعة واحدة . ونجعلهم يموتون جميعًا وتحل بهم البلية الزايدة * حتى يعلموا ان كيدهم عاد اليهم * والنكبة حلت عليهم * فعند ذلك ارسل مايةً نجايب * واوصاهم بالسرعة بقطع البراري والمضايب * فساروا وسار الاسود في اثرهم والعطش يعمل في احشاه * وهو يجدّ المسير في تلك الفلاه * حتى دهمهُ المساء * وهو لا يعلم ان احسن الدهر اليه او اساء * وكان يظن ان الماء يأتيهم في الليل اذا اعتكر * فباتوا الى ان انشق الفجر وما ظهر للنجابة خبر ولا اثر * وصارت الفرسان تضرب في جهات تلك المهامه الفرسخ والفرسخين وترجع خايبة * ما هي له طالبة * فقال الاسود والله ما جرى على النجابة حادث خير * واظن انه حل بهم الشر والضير * والا ما كانوا ابطأُوا علينا وهم يعلمون اننا اشرفنا على التلاف والنزاع * وما بقي لنا من انفسنا انتفاع * ولو كنا علمنا انهم لا يرجعون * وعنا في هذا البر ينقطعون * لكنا قطعنا هذا الوادي * تحت الليل الهادي * ثم انه نزل بمن معهُ في ذلك البر * وقد تزايد الحر * وتلهبت جنبات الارض * وكادت ان تذيب بعضها البعض *

وتساوى عليهم الطول والعرض . ولمع السراب . وتموجت الهضاب .
وتشخص امامهم المصاب * ولما برد الهوا . رحلوا وهم قد عدموا الحيل
والقوى * وكلما قطعوا من الارض ميلاً . يعللون انفسهم في ما وراه
تعليلاً * ويقولون الساعة نلتقي بالنجابة والاقرب . ويذهب عنا
العطش والتعب *

هذا ما كان من هولاي واما ما كان من النجابة فانهم لما وصلوا
الى المنهل . وجدوا عليه صياداً لا يغفل . وقدامه شرك الردى *
وقد اعده لصيد العدى . وكان صاحب ذلك المرصاد . الامير
عنتر بن شداد . وكان شيبوب قاعداً لهم ديدباناً يرقب جهات البر
من اليمين والشمال . خوفاً من طارق لم يكن لهم على بال . فلما راهم
وقد اقبلت بهم النجب كالارياح الطالعة . وهم فوقها كالاعلام
اللامعة * سار الى نحوهم حتى عرفهم ورجع الى اخيه كالبرق
الخاطف . واخبره بما كان من الرواجف . وقال له انهض فان
القوم ما ارسلوا الى هنا النجابة والقرب . الّا وهم قد اشرفوا جميعاً على
العطب . ولما سمع عنتر هذا الخبر . ثار كالاسد الغضنفر * وفي
دون ساعة تأهبوا للقتال . واحاطوا بالغدير من اليمين والشمال .
واول ما فعل شيبوب من الخبث والاحتيال . انه ساق النجب
هو وعشرة من الابطال . واوسعوا في تلك الصحاري والتلال *
فاقبلت اصحابها الى الماء . وهم في غاية العطش والظماء . فما دروا
الا والطعن يعمل في صدورهم . فانذهلوا وحاروا في امورهم *

وتكبكبوا في ذلك الغدير * واشرفوا على الوبال والتدمير *
وكان كل من مانع عن نفسه. قتلوه وانزلوه الى رمسه. ومن سلم
نفسه كتفوه. ومع ارفاقه اضافوه * وما صاروا السحر حتى افنوهم عن
اخرهم وقلعوا منهم الاثر. ولم يفلت منهم من يرجع بخبر. فاخذوا
منهم نحو ثلاثين اسرى. وتركوا الباقي مطرحين على وجه الغبرا *
ثم عادوا الى موضعهم بين تلك التلال. وقدموا الاسرى الى
امام عنتر وهم في انحس الاحوال. فسالهم عن الاسود ومن معه من
الرجال. فقالوا له ان جدوا في قطع القفار. يكونون عندكم صباح
النهار. لكنهم قد اهلكهم العطش وهجير القفار. وإن اتكلوا علينا
لنعود اليهم بالماء عن كثب. يهلكون جميعاً بالويل والحرب *
فلما سمع عنتر هذه المقالات. فقال والله ان قلبي على البنات
العبسيات. والملك زهير ومن معه من السادات. فقال شيبوب
يا ابن الام قد افتتح لي باب. وهو ان شاء الله عين الصواب. وذلك
ان القوم قد اشتد عليهم الحر. وضاقت بهم جنبات البر. ولا بد
انه من شدة العطش والظمآ. كل منهم يطلب السبق والتقدم
الى الماء. فيتفرقون في الصحاري والتلال. ولا يلتفت احد منهم على
احد من شدة التعب والملال. ولا يفتكرون في الاسرى والاموال.
ولا يخطرون لهم في بال. فيكون الراي اننا نشيل هذه القرب على
النياق والجمال. واقطع بها البراري والرمال. ومعي خمسون
فارساً من الابطال. واكمن بهم حتى ارى الجيش قد تبدد في

الصحرآء. فاظهر انا واصحابي في تلك البيدآء. وبعد ذلك نتتبعهم على الاثر. وننظر الى السبي مع من تاخر. فنفعل ما يحسن ويشتهر. فلعلنا نخلص الاسرى. ونسقيهم من الماء ما يبرد اكبادهم الحرّا. وان كان معهم احد. من عسكر الاسود. اطلقت عليهم الفرسان. فناخذهم اسرى بالذل والهوان. فلما سمع عنتر من اخيه شيبوب هذا الخطاب. قال وذمة العرب الانجاب. لقد رايت الصواب. وان تم هذا الكلام. فقد بلغنا غاية المرام. فافعل ما بدا لك انجح الله اعمالك. وخذ معك عروة وخمسين فارسًا من الابطال. فيقضون ما تريد من الاشغال. فقام شيبوب واخذ معه الروايا والرجال. وبقي عنتر للقوم في الانتظار. حتى انصرم النهار. ولبست الشمس حلة الاصفرار. واذ قد طلع عليهم من بين يديهم غبار. وانكشف الابصار. وبان من تحته مهارى تقطع القفار. وهي مقبلة على الماء. وترمي بانفسها عليه من العطش والظماء. ولا تلتفت الى اليمين ولا الى اليسار. وكان هولاء القوم الثايرون في ذلك القفر. الملك الاسود وبصحبته بنو فزارة وحمل بن بدر. ومعه مايتان سيدًا من قبيلته. واكابر عشيرته * قال وكان السبب في قدومه. هو ومن معه من قومه. انه لما ابطات النجابة عليهم وانقطعت عن الاسود اخبارهم اشتد العطش في القوم واظلمت ابصارهم. فقال الاسود ما اظن الا ان اصحابنا حلت بهم العبر. ونزل بهم الشر الاكبر. او ضلوا عن الطريق. وعدموا الرشد والتوفيق. والصواب اننا نجو بانفسنا

ومن معنا بالحال. والا هلكنا جميعاً بما في ايدينا من الخلق والاموال *
ثم ركب هو ومن معه من خواصه وقووا الهم وقصدوا مياه بني الاخوص
وادي الرخم. ورحلوا الناس وراهم مجدين في الروابي والاكم. حتى
وصلوا الى الغدير. ورموا ارواحهم عن النجب والمهارى في الماء كما
يتساقط الحمام في البير. فوجدوا اصحابهم في تلك الجنبات
مطرحين قتلى. فحاروا وحل بهم اعظم البلا. وعولوا ان يشربوا
ويركبوا ويتبطنوا تلك البطاح. واذا بعنتر ومن معه قد ادركوهم
باسنة الرماح. ورقاق الصفاح. وما امسى عليهم المساء واظلم
الظلام. حتى قتلوا منهم ماية وخمسين فارساً من كل بطلٍ همام.
واخذوا منهم خمسين سيداً اسارى. وقادوهم اذلاء حيارى. وفي جملتهم
الملك الاسود. الذي كان على قتل عنتر من قبل يتعمد. فان
عنتر قد انقض عليه انقضاض الصاعقة فاخذهُ اسيرًا وسلمهُ الى ابيه
شداد. فغللهُ في الحديد والاصفاد. وكان ايضاً شداد اسر حملاً بن
بدر مقدم بني فزارة. فساقوهم اسارى وابلوهم بالذل والخسارة. وعاد
بنو قراد وهم باربح تجارة * وكان اكثرهم فرحاً الامير عنتر. وهو
بينهم كالليث القسور. وقد حملوا اكثر الاسرى على الجمال * لان
خيولهم كانت قد تعطلت مما حل بها من الوبال. فصار عنتر
واصحابه يطعنون في صدور الرجال. ويضربون بسيوفهم اعناق
الابطال. واردوهم مورد الاجال. والرجال كانت تسقط الى
الارض ولا تثور. والرماح عملت في الصدور والنحور. والارض

تموج بهم وتمور. الى ان طلع السواد . وصارت القتلا تلول على ظهر المهاد. والخيل تتكردس فوق بعضها بعض. والصعقات تتلاطم حتى كادت تزلزل الارض . وهبت الريح من جهة الشمال. حتى بقي الانسان لايعرف يمينه من الشمال . وكانت ليلة كثيرة الاهوال غابت فيها مصابيح النجوم . وصار الغبار مثل الغيوم . فقال عنتر لرجاله الاجواد . يابني عمي لاتخوضوا السواد . بل اجعلوا نداكم يالعبس يالقراد . لئلا تضيعوا بين هذه الدواب . ويغيب عنكم ما ترجوه من الصواب . ولا تقفوا قدام الجمال والخيل . لانها اخذت ريح الماء في هذه الليل . فمن وقف قدامها وقعت عليه واندفقت عادية كالسيل ❋

ثم انه قصد ناحية السواد وبذل فيهم السيوف الحداد . وطير الروس عن الاجساد . وصارت الارض من الدما كالبحر في الازباد . والصيحات ولمع الاسنة في الجو كالبرق والارعاد . وزاد على سواد تلك الليلة اضعافًا من السواد . وقدحت حوافر الخيل من جلاميد الحجارة نارًا كنار الزناد . وتناقمت نار الحرب في الازدياد وتعاظمت في القلوب الاحقاد . وتصادمت الخيل الجياد . وتكسرت الرماح المداد . هذا وعنتر واصحابه يطعنون في صدور الرجال . ويضربون بالسيف في اعناق الخيل والجمال . وما زالوا على تلك الحال . حتى اصبح الصباح . واضا بنوره ولاح . وقد كلت المناكب من طعن الرماح . وضرب البيض الصفاح . وعلم قوم الملك

الاسود ان عنترًا ملك عليهم المنهل. فقاتلوا قتال من قد استقتل واشتد الضرب والطعن بالسيوف والاسل. وكثر على بني عبس العدد. وزاد عليهم المدد. وضعف الصبر وقل الجلد. حتى ابيض جانب الشرق. وبان البطل من الحق. وفي تلك الساعة اقبلت طايفة بني عبس من تلك الافاق. وكلهم على الخيول العتاق. وفي ايديهم السيوف الرقاق. والرماح الدقاق *

قال وكان خلاصهم على يد شيبوب. كما قضى علام الغيوب. لانه كما قدمنا لما سار بالماء في تلك البراري والاكم. فجد المسير هو ومن معه حتى اقبلوا على قوم بني لخم. فوجدوهم متتابعين طالبين وادي الرخم * وقد تفرقوا في البر والفدفد. ولا يلتفت احد منهم على احد. وكان ذلك بعد ذهاب الاسود * فطلب كل واحد لنفسه النجاة. من هجير ذلك البر والفلاة. فوصل شيبوب الى بني عبس وهم في الوثاق والكتاف. وقد اشرفوا من شدة العطش على التلاف. فتقدم اليهم وحلهم واعلمهم بالحال. واخذ يسقي النساء والرجال. والبنات والاولاد والاطفال * واخبر الملك زهير بافعال عنتر. وعدد لهُ من قتل ومن اسر. فضج بنو عبس جميعًا بالدعا للامير عنتر. وقالوا والله ما يفرط فيه الا من لا عقل لهُ ولا بصر. ثم صاح الملك زهير لما راى من عظيم الفايدة. اركبوا يا ويلكم من هذه الخيول الشاردة. وخذوا من هذه العدد المبددة التي على الجبال. وتقلدوا بالسيوف والنصال * واطلبوا معونة

Digitized by Google

من نجاكم من الاسر والنكال . هذا وقد انتعشت ارواح بني
عبس . بعد ما كادوا يسكنون الرمس فركضوا طالبين الاعدا .
ليحلوا بهم الويل والبلاء . وتركوا البعض منهم لمداراة العيال
والنساء . وهم حينئذٍ اوفى من خمساية من الفوارس * الابطال
العوابس . وما زالوا يركضون الى ان اصبح الصباح . واضا بنوره
ولاح . فاشرفوا على محل الحرب والكفاح . وراوا عنترًا واصحابه
تحت عجاجة السلاح * فحملوا حملة الحنق . وطعنوا في بني لخم
وشيبان من قلوب تعاظمت فيها الحرق . وفاض الدم واندفق .
وسال من الاجساد العرق . وصاح عنتر فيهم وزعق . وطعن في
الصدور والحدق . وضرب ضربًا لاتمنعه الدروع ولا الدرق . هذا
وشيبوب بين يديه يرمي النبال . فيصيب مقاتل الرجال . وجرى
الدم كالغيث الهطال . وصال الشجاع وجال . وترنح البطل
واستطال . فتفرق بنو لخم ومن معهم من العربان . في مهامه تلك
القيعان . وكان منهم الشجاع الحازم . الذي طلب ورود الماء وعاد
على الفرار عازم . وما تضاحى النهار وعلا . حتى اقفر البر من بني
لخم وجموعهم وخلا * ولم يبقَ منهم الأ الاسارى والقتلا * وكان ذلك
الجيش عشرين الف فارس شجعان . فاسر منهم سبعة الاف مع
الاسود اخا الملك النعمان . وهرب نحو ثلاثة الاف من الفرسان
وهدئت الزعقات والصرخات . واستراحت الارض من ركض
الصافنات . والتقى الملك زهير ومن معه من الاولاد . بابي

Digitized by Google

الفوارس عنتر بن شداد . ومن معهُ من بني قراد . فتقدم عنتر
الملك زهير وقبل رجله في الركاب . والتقت الاحباب بالاحباب
وهم الملك ان يترجل . فقسم عليه عنتر ان لا يفعل . وقال والله
يعز عليّ ما جرى عليكم من الاسر والاخراق . وما فعلت بكم عساكر
العراق . فقبله الملك زهير بين عينيه . وشكره واثنى عليه . وقال
له يا ابا الفوارس لقد فعلنا معك القبيح . وبغينا عليك البغي
الصريح . وما عرفنا قدرك الالما فقدناك . فللّهِ درك ودرٌّ من
رباك . ما ارق قلبك وما انصفك . وما اغيرك على قومك وما
اعطفك . وهكذا اثنى عليه شاس ومالك . ولم يبق احد الا شكره
كذلك . وكان ذلك اليوم على بني عبس ابرك الايام . بنظرهم الى
فارسهم وحاميتهم عنتر الهمام . لانهم لما وقعوا مع الاسود في الاسر
والارتباك . ايقنوا بالموت والهلاك . وبعد ذلك امر عنتر
فرسان بني عبس بشيل الاموال والرحال . وامساك الخيل
الشاردة والجمال . وما زالوا على تلك الحال * حتى قدمت نساء
بني عبس والعيال . ومن معهم من الرجال . فنزلوا جميعاً في
ذلك المكان . لاجل راحة الاولاد والنسوان * وهم جميعاً فرحين
بالنصر والظفر . والنساء تقبل ايدي الامير عنتر . وما منهم الا من
اثنى عليه وشكر * وفي ثاني الايَّام رحلوا صباحاً طالبين جبال الردم
ووادي الرمال . وعنتر الى جانب الملك زهير واولاده وهم يتحدثون
بما لاقوا من الاهوال . وعنتر يحدثهم بحديث بني شيبان . وحديث

Digitized by Google

الربيع القرنان . وما فعل بجمقه هو وحذيفة بن بدر . من مكايد الخبث والغدر . ولا زالوا يقطعون تلك الارض . والاسارى على الخيل والجمال مشدودون بالعرض . والملك زهير ينظر الى الملك الاسود وحمل بن بدر . وهما بين الاسارى بلا كرامة ولا رفعة قدر و يعرض عنهما ويريهما ان ليس لهما عنده قيمة . حتى يعاتبهما على اعمالهما الذميمة . وبنو عبس سايرون . وهم في الخلاص فرحون * و يقولون لعنتر جعلنا الله من السوء فداك . فاننا ما لنا حامية سواك * وقد راينا بني فزارة في هذه الكرة . اشد عداوة لنا من بني مرّة . وما كان قصدهم الا خراب ديارنا . وقلع اثارنا * واما الملك النعمان . فانه اذا سمع بما فعلنا باخيه الاسود من الذل والهوان . لا بد ان يجمع علينا العربان . ومن يعتمد عليهم من الشجعان . وان راى نفسه عاجزًا عنا يشكي حاله الى كسرى انو شروان . فيقصدنا بعساكر الاعجام وعبدَة النيران * ونحن ما خوفنا الا عليك من دون الرجال . لانك ترمي نفسك في معامع الاهوال . فتبسم عنتر من هذا المقال . والتفت الى الملك زهير وقال . ايها السيد المفضال . وحق نعمتك التي رفعت قدري . واياديك التي عظمت امري * لو اتانا كل من على الارض من عرب وعجم . وهند وديلم . ما تركت منهم احدًا يصل اليك بألم . ولا بد ما اجعل النعمان مدة في اسرك وكسرى يرتعد خوفًا اذا سمع بذكرك . هذا ولم يزالوا سايرين . والى الجبال طالبين * حتى وصلوا الى وادي الرمال . حيث تركوا

Digitized by Google

الحريم والعيال * فراوه خالي الجنبات . موحش الساحات * ما فيه ديار . ولا من ينفخ النار . الا الرسوم والاثار . وعند ذلك اندهش عنتر وحار وقلق بنو عبس على فقدان الاحباب * ولم يعلموا ما جرى عليهم من المصاب * ومد شيبوب عينيه واذا ببشارة بن منيع مصلوب على احد الجبال والجوارح حايمة عليه . فصاح شيبوب وانتحب . وفاض دمعه وانسكب . و بكي من شدة الحزن والتهب * واما عنتر فانه غاب عن الدنيا وصار في حالة الغضب * اسفًا على الحريم والعيال وهم لا يعلمون من فعل هذه الفعال *

قال الراوي وكان السبب لهذا الحديث العجيب . والامر المدهش الغريب . ان عنترًا آمن لمن خانهُ . وضيّع عهده واهانهُ . لانهُ كان لما سار الى ملاقاة الاسود . وغاب عنهم في ذلك البر والفدفد . قد ترك عمه وولده عمرو . خوفًا من حدوث امره . واوصاهم بالحريم والاولاد * وترك عندهم عشرين فارسًا اجواد * وزاد في تحريصهم على الاسارى وهم مفرج بن هلال وابن عبد العزّى سنان . مع مالك بن حسان . وظالم بن الحارث والربيع بن زياد واخوه عمارة لانهُ قد مر الكلام سابقًا على ما في قلب عمه وولده لنحوه من البغضة والابتعاد . وما تأسس عندهما من الخبث والعناد . وكان بعد ان مضى عنتر من الجبال . وترك عمه مالكًا وولده عمرو عند الاسرى في الاعتقال . دخل عمرو على مفرج بن هلال . وصار يطالبه بما كان على اخته من الاموال . ويقول لهُ

ياويلك انطلب ان تنزل اختي في لحدها . فهذه عاقبة البغي اوقعتك في يد عبدها . وها قد وقعت في الاقفاص * وما بقي لك من يده خلاص * ولما سمع الربيع كلام عمرو التفت اليه وقال ويلك ياعمرو اما تستحي من هذا المقال . او لا تعلم ما عليك انت وابوك من الخبال . لاجل متابعتكما هذا العبد ولد الزنا الذي طغى وتمرد وعاش في الخنا . وترغبان ان تعيشا في حمايته . ولا تعلمان ان اهل الارض اجتمعت على عداوته . ام تظنان ان عنترًا يسلم بعد ان طلبه الملك النعمان . او بقي لكم قدر وقيمة بين العربان او بقيتم تقيموا في هذا المكان . ولا تنهبكم عن قليل اسنة الفرسان ويحل بكم الذل والهوان . لانكم يابني قراد . قد انفردتم في مائتي فارس في برية هذه البلاد . وتريدون ان تعادوا العرب والعجم والترك والديلم . وهذه افعال من تساوى عقله والعدم . ويلك ياابن العم كيف يطيب قلبك على ان تزوج اختك بمن كان بالامس عبدًا لها يرعى النياق والغنم . ولو ارتقى فوق ملوك العرب والعجم . وحوى مال جميع الامم . واني اقسم لك ياامير عمرو بحرمة شهر رجب . والرب الذي اذا طلب غلب . ان عنترًا في هذه النوبة لا يسلم . ولو انتصرت له جميع الامم . ولا يرجع من قدام الاسود . وسوف ترى ما يجري ويتجدد . ويلك ياعمرو فدع اباك الامير مالكًا يغتنم الفرصة . والا شربتم من الموت اعظم غصة . وتسبى عيالكم ونساكم . ويحل فيكم فناكم . وتصبحوا مثلا عند العجم

والبربر. ومن تقدم ومن تاخر. وما زال الربيع يحمس عمرو حتى اخذتهُ الحمية والنخوة الجاهلية. مع ما كان في قلبه لعنتر من البغضة والعناد. فاصغى الى قول الربيع بن زياد. وقال كيف نقدر على المبادرة: وقد بقينا في وسط بحور زاخرة: فقال الربيع الراي عندي يا امير عمرو ان تاخذوا لكم عند مفرج خير مكان * وانا اخذ لكم منه الامان * على اموالكم والنسوان * وننفق كلنا ونسير الى الملك النعمان ونقيم عنده حتى ياتي اخوه الاسود * وننظر ما يجرى بينه وبين الملك زهير ويتجدد * فان كان الاسود ظفر به توسطنا عند الملك النعمان نوبته * وزوجناه ابنته * وبطل الريب والارتياب * ونزوج اختك عبلة باخي عمارة الوهاب * ونعود الى اوطاننا ونجتمع الاحباب بالاحباب * ونكون قد نلنا من الفخر اعلى مكان * بمصاهرتنا للملك النعمان * وتهابنا لاجله جميع قبائل العربان * وكل قاصٍ منها ودان *

فقال عمرو وان سلم عنتر هذه النوبة وظفر بالاسود. واتى الى هنا وعلم بحالنا وما تجدد اما يقلع اثارنا الى الابد. ولا يبقي منا احد. فقال الربيع وهو في الضر الزايد. يا امير عمرو من يقول هذا القول فانهُ لعقلهُ فاقد. ايسير عنتر بمايتين فارسًا وليس هم باعيان. ويلتقي عشرين الفًا مقاتل من الفرسان. ويرجع سالمًا الى هذا المكان. فعند ذلك انخدع عمرو من كلام الربيع لانهُ كان صاحب حيل. وذا نصاحةٍ وعمل * فحل الاسرى من القيود. فتناولوا عددهم وثاروا

كالاسود . وطلبوا باب الوادي وتلك الشعاب . وهم غير مصدقين بالخلاص من العذاب . وكان مالك بن قراد كل ليلة ياخذ العشرين فارساً الذين امره عليهم عنتر قبل ان راح . ويرقد بهم بفم المضيق الى الصباح * ولما خرج مفرج بن هلال . بمن معهُ من الرجال * قتلوا من قاتل من رجال عروة وقبضوا على مالك وولده كما سبق بينهم المقال . عند ما فكهم عمرو من الاعتقال . وجعلوا ذلك نوعاً من الاحتيال * ثم انطبقوا في الصباح على الشعب فملكوا الجميع . وصلبوا بشارة بن منيع * واستخلص مفرج ما كان لهُ من الاموال . والحريم والعيال * وقبض على نساء بني عبس وعدنان . واهان عبلة غاية الهوان . لاجل ما بينهُ وبين عنتر من البغض والعدوان * وهكذا ساق امواله واموال اعداه . وسار طالباً بلاد النعمان وهو لا يصدق بالنجاه * وعمارة يدور حول عبلة ويتلافاها . ويسليها عن بكاها * ويعدها بخلاصها . من يد قناصها * وهي لا تلتفت اليه . ولا تعن عليه * وما زالوا سايرين حتى تضاحى النهار . واذا بغبار قد ثار من بين تلك البراري والقفار . حتى سد منافس الاقطار . فلما قرب اليهم بادر منهم جماعة لكشف الاخبار . فراوا جيوشاً زايدة العدد . غايصة بالدروع والزرد * وقدامهم فارس جسيم . كانهُ البرج العظيم لا يساوي طول احد من الرجال الى فخذيه . والشجاعة شاهدة لهُ لا عليه * فلما اخبروا عنهُ مفرجاً بن هلال تغير وجهه في الحال * ونادى واحرباه هذا والله معدي كرب

فارس بني زبيد . وان الفرار من بين يديه خير من الاسر وقيود
الحديد * ولما فرغ مفرج من هذا المقال . اطلق لجواده العنان .
والتفت الى ابن عمه سنان * وقال له اتبعني واترك المال والنسوان
فانه يخلص كل ذلك لنا الملك النعمان . فهربا وتبعهما مالك بن
حسان * وكذلك الربيع واخوه عمارة بن زياد . وهو يقول نهرب
ونترك عبلة بنت مالك بن قراد * فقال له الربيع ويلك يامذلول
الشارب اترك عبلة واباها . ولا تمت بسببها فهي نحس على كل من
يراها * فعندها هرب عمارة بدون ادنى جسارة * واما ظالم بن
الحارث فلما راهم قد تركوا حريمهم وطلبوا الفرار . قال ابعدكم الله
من بين عربان القفار * لانكم لا تدفعون غريماً . ولا تحمون حريماً *
ثم انه فارقهم وطلب دياره . واخفى الله اثاره *

قال الراوي وكان هذا الفارس الذي هربوا من بين يديه .
ولم يتهجموا الوصول اليه * شجاعاً لا يصطلى له بنار . ويعادل بطول
قامة الاشجار . وكان اذا ركب الجواد الاعلى يحرث الارض برجليه
لطول قامته . ووفور همته * واسمه معدي كرب * ويلقب بفارس
الفرسان اذا ركب * وما كان له هم الا ركوب الخيل العتاق *
والطعن بالرماح الدقاق * ودابه كبس الحلل * وقتل كل
شجاع وبطل * وما لملك من الملوك حيلة عليه * ولا لجبار وصول
اليه *

ومما نقلت عنه رواة الاخبار * انه ما خرج بذلك الجيش

الجوار . الا ليقتل عنتر ويأخذ منه بالثار * لانه لما سمع ان عنترًا نازل في جبال الردم وتلك السباسب . فاتى ليأخذ بثار ابن عمه خالد بن محارب * الذي قتله عنتر فيما تقدم من الخبر . لما قصد ان ياتي بالجيدا خادمة لعبلة لتفتخر بذلك على البدو والحضر * وكان ان الجيدا لما انكسرت بنو زبيد . خرجت من قهرها وحزنها وساحت في تلك البيد . وقد تقدم الكلام على شجاعتها وأن عنترًا ما قدر عليها الاَّ بعد جهد جهيد * ولكنها بعد تلك الواقعة انقطعت للنوح والتعديد . وداومت احزانها . حتى اقلقت جيرانها وكان اذا جلس للشراب معدي كرب ورفاقه . تاتيه فيكدر عليه صبوحه واغتباقه . فيعاتبها بقوله الم يأن لهذا الحزن ان يزول . فتجيبه لا وحق الذي لا يزول ولا يحول . ولا ازال بالحزن المتزايد . حتى اخذ بثار ابن عمك خالد . فيقول لها معدي كرب والله انه من اعظم الاكاد . اني اسير الى عبد بني قراد . واساويه في الحرب والجلاد . واني وحق رب المشارق والمغارب لا اقبل دم عبد بدم خالد بن محارب * ولا اقتل به الا زهيرًا ملك بني عبس وعدنان . وافني بعده كل من يحتمي لهم من العربان . وما زال معدي كرب مصمًا على تلك الاقوال . حتى سمع ان عنترًا نازلٌ في جبال الردم ووادي الرمال * وعلم بما جرى بينه وبين بني شيبان . وعصيانه على الملك النعمان . فدخل على الجيدا وقال لها اتقنعي بقتل عنتر بن شداد وجميع بني قراد وسبي حريمهم والاولاد . فقالت لا والله

Digitized by Google

لا اقنع الا اذا رايت ارض بني عبس بلقعاً وشربت من دم عنتر فحينئذٍ اطفي غليل فوادي ولا اعود اتحسّر . ولكن اخبرني ماذا جد من الامور . وكن بطالب ثار ابن عمك الرجل الغيور . فاخبرها بما سمع من اخبار عنتر . وما بان منه وظهر . وانه قاوم الملك النعمان وكسر بني شيبان . وقد فعل كل هذا بمايتين فارساً من انذال العربان . فقالت يا ابن العم دع التجبر والاغترار . ولا تحتقر احداً من العبيد ولا من الاحرار . لان السعادة اذا كانت من السما تجعل اقل العبيد محكما . فاقبل مني وبادر في هذه الفرصة لاخذ الثار . وكشف العار . ولا تترك من بني عبس من ينفخ النار . فلما سمع معدي كرب هذا الكلام . هاج به الغضب والانتقام . وامر بني زبيد . باخذ الاهبة للسفر ولبس الحديد * واختار منهم خمسماية فارس من الابطال . وسار طالباً جبال الردم ووادي الرمال . وقال للجيدا اقيمي هنا . حتى اسير الى بني عبس وابلغك المنى * فقالت لا وحق اللات والعزى لاسرت اليهم الا بنفسي وذبحت شيخهم وفتاهم وشربت بيدي من دماهم . وسبيت اولادهم ونساهم * ثم خلعت ثياب الحزن والحداد . ولبست عدة الحرب والجلاد . وسارت في اوايل الخيل وهي لا تصدق متى تنظر عنتراً بن شداد . ولما بعدت عن الحي والابيات . ضاقت عليها الدنيا بما فيها من الفسحات * وهاج بخاطرها اخذ الثار وكشف العار . فسارت وهي تنشد وتقول

فني عمري وحزني غير فانِ . وقلَّ تجلدي ومضى زماني

وفيض الدمع قد ادمى جفوني ونومي بعد خالد قد جفاني
فواسفي على من كان يحمي حمانا بالحسام الهندواني
تمكن من عبد بني قراد وساعده القضا والموت داني
ولولا ان صرف الدهر عزَّ لما اعطى الفخار بني الزواني
اثيروا يابني الاعمام حربًا على اطلال عبس والمباني
وسوقوا من نساهم كل عذرا باطراف القنا سوق الهوان
فما يطفي فوادي غير طعن يثير عجاجة الحرب العوان
وضرب من ظبا البيض المواضي يعض له الشجاع على البنان

قال وعند ذلك سارت بنو زبيد . وثارت النخوة في راس القريب منهم والبعيد . وقد قويت قلوبهم بهذه الابيات . وسموها للاحزان مثيرات * وما زالوا سايرين حتى التقوا بجيش مفرج بن هلال * وهو ساير في الحريم والاموال . فرحًا بالخلاص من الاعتقال . وهربوا من وجه بني زبيد كما تقدم المقال . فعند ذلك قال معدي كرب للجيدا انظري يابنت العم الى هولاء الرجال وما حل بهم من الخوف والاهوال * وهكذا الذيب اذا راى الاسد طلب بالهرب اوسع مجال وهذا نصر ما مسنا فيه تعب . وهذه اول السعادة وبلوغ الارب . ثم حقق في السبي فنظر مالكًا وولده عمرو وجماعة من بني قراد . وهم في الرباطات الشداد . فصاح معدي كرب من الفرح يا للعرب ما اسعدها من طريق . فاننا قد نوفقنا بسفرتنا هذه غاية التوفيق . ثم قال لهم ويلكم كيف وقعتم في يد مفرج

بن هلال . وقد شاع انه عندكم في الاعتقال . وان عنترًا قد كبس بني شيبان . ونهب اموالهم والنسوان . ولما تكلم معدي كرب بهذا المقال . قال لهُ مالك نحن الذين قد فعلنا بانفسنا هذه الفعال . وتركنا الحق واتبعنا الضلال . ووالله ما كنا عند عنتر الا اعز الخلق والرجال * ثم حدثه بصنيعهم بعد ان تركهم عنتر وذهب للقاء الاسود اخي النعمان . وهو بعشرين الفًا من فرسان العربان . وكيف انهم اطلقوا مفرجًا والربيع . وعلى الخبث والغدر اتفق راي الجميع . ولما سمع معدي كرب هذا المقال . قال لهُ لعنك الله يا مالك على هذه الفعال * فوحق اللات والعزى . لقد جازيتم عنترًا اقبح الجزاء . او ما علمتم ان عنترًا ترك لكم ذكرًا يذكر . . ما طلعت الشمس والقمر . ولولاه لاندرس رسمكم والاثر * ولكن ما جرت هذه العجايب . الا لتوفيق الجيدا بثار ابن عمها خالد بن محارب * ثم امر بعض العبيد . ان يرموا مالكًا على ذلك الصعيد . وامر عبدين قويين ان يضربوه البًا بعد ان شحوه باربع سكك من حديد * واحضرت الجيدا للعبيد الذين يضربونه ذنبي ثورين . فضربوه بهما ضرب من لا يرق لهُ قلب ولا تدمع لهُ عين . وهكذا انزلوا بسائر بني قراد الضرب الوجيع . حتى عم البلآء الجميع . وبعد ذلك قال معدي كرب للجيدا ابشرك بنيل مناك . فان هذا الشيخ هو الذي ارسل عنترًا الى ديارك حتى سباكِ * وقتل ابن عمك خالد . واورثك الحزن الزايد . وقد اراد هذا النحس ان يجعلك لابنته

خادمة. لتكوني بخدمتها قائمة. فالان اشفي فوادك منه ومن ولده .
فاذا وصلنا الى الاحياء استلمهم انا واقود هذا الشيخ من ذقنه ويده.
واما عنتر الذي طلبناه في هذا المقصد. فانهُ قد سار للقاء الملك
الاسود. وما نحن ممن يعاند الملك النعمان في الاعمال. لما لهُ علينا
من الافضال. ولاجل ما ياتينا منه كل سنة من الهدايا والاموال.
ولكن نعود الى الديار. الى ان تصلنا الاخبار * فاذا سمعنا بان
سبي بني عبس اتى مع الاسود. وعنتر معهم مقيد. اسيراً الى النعمان.
واستوهب منهُ عنترًا الكشحان. واحضره الى بين يديكِ. واقرّ
بقتله عينيكِ * وبعد هذا المقال. رجع بنو زبيد يطلبون منازلهم
والاطلال. وقد تولت الجيدا في كل تلك الطريق. عذاب مالك
وولده عمرو فعذبتهم عذابًا امر من الحريق * وهي تضربهما في السيور
المنقوعة. وهما عريانين مكشوفين الراس في تلك اللوعة * فهذا ما
كان من هولاء واما ما كان من المنهزمين من بني شيبان. فانهم
وصلوا الى الملك النعمان. وكانوا جازوا ارضهم ولم يلتفتوا اليها. ولا
عنوا عليها. ولما دخلوا الحيرة وصاروا قدام الملك النعمان شكوا من
عنتر احوالهم. وعظموا اهوالهم. واخبروه ان مقدمهم مفرجًا بن
هلال. ومن معهُ من الرجال. قد وقعوا في الاسر والاعتقال *
فقال النعمان وفي كم كنتم قالوا كنا بتسعة الاف وهو بثمانين
فارس. ولكنهم كالاسود العوابس. ثم ان المنهزمين وقفوا بين
يديه. واخبر كل منهم بما جرى عليه وكيف زحفوا الى الجبل. وما

حصل من العمل . وكم جرى عليهم من الهوان . بعد اسر مالك
وابن عبد العزى سنان . فقال النعمان وذمة العرب ان هذا
الحديث يقطع الظهر . وان لم ندبر على هذا العبد اصبحنا بالذل
والقهر . ثم امر فاخذوا المنهزمين الى دار الضيافة وجعلوهم في احسن
مكان . وزادوا لهم في الاحسان . وقال اني اصبر الى ان ياتي اخي
الاسود بملك عبس وعدنان . واموالهم والنسوان . وبعد ذلك انفذه
الى هذا العبد فيسوقه اليّ مكبلاً بالحديد . فاعذبه العذاب الشديد
وبعد ذلك اضرب رقبته . واجعل الكلاب تاكل جثته . وبعد
ذلك باربعة ايام وصل مفرج بن هلال . وسنان ومالك والربيع
وعمارة وهم قد خلصوا جميعاً من القيود والاغلال . وما فيهم من
يظن انه نجا . ولا راى بعينه فرجا . حتى دخلوا على النعمان .
وشكوا بين يديه ما جرى عليهم من الذل والهوان . فامر لهم
بالجلوس . ووعدهم بازالة النحوس *

ثم التفت الى مفرج ورفقته . واستعاد منهم الحديث على جليته .
فاعادوا عليه ما صادفهم من قلة التوفيق . وكيف لاقاهم معدي
كرب في الطريق . فلما سمع الملك النعمان هذا المقال . تعجب
من تلك الاحوال وقال والله يحق لهذا الحديث ان يكتب . بماء
الفضة والذهب . لما جرى فيه من العجب * ولما زاد به الغضب
وتوقد . قال لمفرج في كم سار هذا العبد الى لقاء اخي الاسود . فقال
والله يا مولاي سار بنحو مايتين من الابطال . وقد زين له

الشيطان وجه المحال . وانه يخلص حريم بني عبس والعيال * فلما سمع النعمان هذا المقال . اخذهُ الانذهال . وقال اذا شاع هذا الخبر في الاقطار . فهو علينا من اكبر العار . ولا اقول ان هذا العبد عاقل بعد هذه الفعال . بل انه لا يخاف الموت ولا يخطر لهُ على بال . فعند ذلك تقدم الربيع وقبل الارض وقال ايها الملك ادامنا الله تحت ظلك . انه ما جعل هذا العبد يركب الخيل ويرمي روحه في المهالك . الاّ عشقه لعبلة ابنة مالك . فقال عمارة والله صدقت يا ربيع . لان عبلة تورث الجنون بحظها البديع * فعرف الربيع معناه وقال لهُ ويلك يا جبان ولماذا لم يزدك حبها شجاعة . بل قد زادك ذلاً وسقاعة . واما النعمان ومن عنده من العربان . فقد حزنوا على بني شيبان . فصار النعمان يطيّب قلوبهم ويقول لهم يا وجوه العرب لم يبقَ لنا وجه نطلب منه الفرج وبلوغ الامال . الاّ قدوم اخي الاسود ومن معه من الابطال . وان كسرهم عنتر بن معه من الانذال . طلبنا لانفسنا سكناً غير هذه البلاد والاطلال . وانه لم يقل هذا امام العرب . الاّ من شدّة ما حل بهِ الغيظ والغضب . وبعد قليل من الايام وصلت طايفة من بني جذام ولخم . الذين انهزموا من روابي الرخم . وهم من الخوف والجوع والعطش على حد العدم . وما فيهم من يلتفت الى وراه . ولا يعلم ما جرى برفقاه . وكان النعمان ذلك اليوم في موكب عظيم من ارباب دولته . وعظماء مملكته . وكان بعيداً عن المدينة في ارض يقال لها

نجف . فلما راى الغبار عن جواده وقف . ولما ابصره المنهزمون سابقوا اليه . ورموا انفسهم عن الجمال بين يديه . ورفعوا على روسهم من التراب . ونعوا له اخاه الاسود ومن معه من الاصحاب لما راى ذلك النعمان زاد بو الاضطراب . وكاد يتجمر لسانه عن الخطاب . فقال لهم ويلكم وهل ظفر بكم عنتره قال نعم وباخيك الاسود ومن معه من العسكر . وقد قلع من الجميع الاثر وتركنا فضيحة ومثلاً بين البشر . فقال النعمان يا اولاد الانذال . نحن سمعنا انه سار اليكم بمايتين من الرجال . وانتم في عشرين الفاً من الابطال الاقيال . ومعكم اخي الاسود . الذي اذا غضب لم يبقِ على احد

فقالوا ايها الملك اننا كنا في عشرين الفاً بلا خلاف . وقد زاد فينا طايفة من بني فزارة ومن بني مرة نحو خمسة الاف* وقد سرنا كلنا مع اخيك الاسود الى ديار بني عدنان . واحطنا بهم من كل جانب ومكان وملكنا اموالهم والنسوان . وانزلنا بهم الذل والهوان . وعدنا راجعين . والى عيون الظبا قاصدين . وملأنا القرب واخذنا في المسير والطلب . وما زلنا نقطع البر حتى نضجنا من التعب* وما احد منا الا وكان قد اكل من لحم الوحش فعطش والتهب* فقمنا الى الروايا . فاذا هنَّ مبذولات ناشفات . ما فيهنَّ ما يبل اللهوات* فزاد بنا الظما وحل بنا الانبهار . وصارت الارض حولنا كقطعةٍ من نار*

فلما راينا الحالة الاسود قد اشرف على العطب . اشار عليه بعضنا ان ينفذ النجابة بالقرب . ليملأوها من غدير بني الاخرم . فالتقاهم عنتر واورثهم العدم . واعادوا عليه كل ما تقدم * فقال لهم النعمان وهو يعض اصابعه . ويستعظم فجائعه * هل اخي سالم ام قتله عنتر . فقالوا والله ما عندنا منه خبر * فامتلا النعمان غيظاً وانتقاماً وصار الضيا في عينيه ظلاماً . وفي اخر النهار وصل جماعة من المنهزمين فاخبروه انه الاسود باقي اسيرًا وانه عند عنتر ذليلاً حقيرًا * وهكذا اخبروا عن حمل بن بدر وجماعة من بني فزارة . وقالوا ان بقية العساكر ضاعت من العطش فذهبت خسارة واي خسارة * فعند ذلك رجع الملك النعمان الى البلد . وقد كاد يموت من الهم والنكد . وسار وهو يقول هذه سبعة الاف ناخذ ثارها من عبد اسود نسل حرام . ونجعل دم العبيد عديل دم بني لخم وجذام وهذه غاية النقص في المقام . وان وصل هذا الخبر الى كسرى انوشروان . فلا يبقى لنا عنده قدر ولا شان . ولما سمع الربيع هذا الكلام قد تكدر . كاد ان يختنق من افعال عنتر ومساعدة الزمان له كيف دبره فتقدم الى امام النعمان . وقبل الارض ودعا بافصح لسان . وقال ايها الملك المظفر . لا ياخذك بهذا الامر هم ولا فكر . فان حكمك نافذ في جميع البدو والحضر * فاكتب ايها الملك الى قبايل العرب . من بعد منها ومن اقترب * فتنفذ العربان اليك . وتجتمع كلها بين يديك * فتقلع اثار بني عبس . وتحل بهم التعس والنكس لانك

Digitized by Google

اذا قامت لمن يقدم اليك من الفرسان الجنكم قتل رجالهم ونهب اموالهم. تطلبهم القوم من كل جانب. وتقصدهم القبايل من المشارق والمغارب. فيغنوهم با لنكبات والمصايب. ولو كان فيهم مثل عنتر عشرة الاف راجل وراكب. وانا اكتب الى حذيفة بن بدر. واعلمه بهذه العبارة. فياتي بجميع بني فزارة. وارسل لبني مرة وفارسهم ظالم بن الحارث لياتي وياخذ ثاره. ويكشف عاره * وارسل ايضاً الى اخوتي. واهل عشيرتي * ونسير الى هذا الشيطان. فنهلكه ونفني من معه من الفرسان فقال لهُ النعمان وقد زاد به الغضب واشتد. والله ياربيع قد فتحت علينا باباً لا يُسدّ. واحوجتنا الى احراف ناموسنا مع هذا العبد. ثم ان النعمان من وقته وساعته * امر ان يكتب عشرين كتاباً الى قبايل العرب الذين هم تحت امره وطاعتهُ. وكتب ايضاً الى معدي كرب فارس بني زبيد يعلمه باسر الملك الاسود. وانه عند عبد بني عبس مضفد. ومعه سبعة الاف من بني لخم وجذام. وهم في حالة الذل والارغام * ويامره في الكتاب با لقدوم عليه. والحضور بين يديه. وان يحضر معه جميع فرسان بني زبيد وبني مراد. ليكونوا لهم عوناً على عنتر بن شداد ويقول لهُ ارسل الينا حريم بني عبس وعدنان. وسبي بني شيبان. ولا تتركِ عندك من سلبهم ولا رمة عقال. ولا نتعرض لهم بجال. ثم اوصاه باخر الكتاب. بحفظ عبلة ومن لها من الاصحاب * ووعده انه يعوض عليه اضعاف ذلك. عند ما يصبح ذلك العبد صريع

المهالك . ويحرضه على القدوم بالعجل . بدون توانٍ ولا مهل * فلما وصل الكتاب الى معدي كرب . قراه وقال يا للعرب . لله در بني عبس وما نالت من الفخر ودر الزمان وما يظهر من العجب * والله لابد ما يكون لهذا العبد حديثًا تعجب بهِ الرجال . ويحفظ مورخًا على مدى الاجيال . وقد كان في ما مضى قتال هذا العبد عارًا * واليوم اصبح عزًّا وفخارًا . لانهُ قد اذلّ السادات والفرسان * وقاوم الملك النعمان . ومن قهر هذا العبد في الميدان . ساد على جميع فرسان العربان *لان الناس رجلان *رجل يصف نفسه بمقاله * ورجل تصفه الناس بفعاله *

ولما فرغ من هذا الخطاب . استعاد الحديث من النجاب . فاخبره ان عنترًا نازل في جبال الردم ووادي الرمال . فامر باكرامه وانفذ للجيدا واخبرها بهذا المقال . واعلمها بما دبر من الفعال وكانت الجيدا لم تزل مشتغلة بعذاب مالك وولده عمرو الى ان قدم رسول النعمان . واخبرها معدي كرب بما كان . واما عبلة ونساء اعمامها . فان الجيدا جعلتهنّ خدامات . وكلفتهنّ ما تكلف بهِ الاموات * فلما انهى الخبر قالت يا ابن العم اما ما ذكره النعمان من ردّ اموال مفرج بن هلال . فاني اقبله على الراس ولا اغير رايه والمقال . واما ما ذكره بخصوص عبلة واهلها فحتى اسير الى عنتر بن شداد . وابلغ منه بالقتل غاية المراد . ولا اريد من النعمان ان يمدنا بنجدة ولا اسعاد . وعليَّ ان اتيه بعنتر بالقيود والاصفاد .

Digitized by Google

واخلص الاسود من الاسر والعناد. ويكون ذلك على يدي. وتبرد نار لوعتي وكبدي. فقال لها معدي كرب ان الراي الصواب. الذي لايعاب. ان تسيري بسبي بني عبس وبني شيبان. الى الملك النعمان. وانا اخذ خمسة الاف فارس اجواد. واسير من هنا الى لقاء عنتر بن شداد. واتيكم بالجميع وهم بالقيود والاصفاد. واذا فعلت قدام النعمان هذه الفعال. لايعود يخالفني في مقال. فقالت الجيدا اني لااقدر اسير الا ومعي جميع بني قراد. حتى لايخف عنهم العذاب والانكاد ❋

ثم ان الجيدا تجهزت بماية فارس. وساقت بني قراد قدامها وسارت كالاسد العابس. ولم تزل مجدة السير في تلك الاراضي والافاق. حتى وصلت الى ارض العراق. وكان في جملة الماسورين معها جرير اخو عنتر. وقد قاسي من الشدة كل منكر. ولم يجد فرصة للخلاص. والنجاة من الاقناص. الا في ذلك اليوم فانه سار في عرض البر وطمس بين تلك التلال. وسار قاصدا جبال الردم ووادي الرمال. وكان ذلك من سعادته. لانه لو عرفته الجيدا لكانت قتلته. وهكذا سار جرير الى اخيه عنتر في الحال. ليخبره بما جرى من الاحوال. واما ما كان من معدي كرب فانه رحل بعد مسير الجيدا بخمسة الاف فارس. كالاسود العوابس. وركب قدامهم وسار. وهو يترنم بمثل هذه الاشعار

سباع البر سيري واتبعيني ترى نعم الصوى يحجب عن يميني

اذا صبحت حيَّ بني قرادٍ صباحًا اقتطي منهم ديوني
فابرك قومهم بالحي صرعى بطعن بالجباه وبالعيوني
وتعرفني الفوارس بعد فتكٍ بعبدهمُ المسمَّى بالهجينِ
انا معدي المقدم من زبيدٍ وكل فوارس العربان دوني
لظلي تسجد الفرسان خوفًا اذا جردت سيفي في يميني
لي الدنيا ومن اضحى عليها عبيدًا في المعاقل والحصونِ
وباسي يابني عبس شديدٌ فخافوا سطوتي لا تجهلوني
فما لجميعكم عندي اعتبارٌ ولا قدرٌ اذا قابلتموني
ولولا البغي قلبت الارض طرًا اقلبها برمحي وتتقيني

قال الراوي ان هذه الابيات من جملة مقالات جاهلية العرب لانهم كانوا اذا علا الفارس منهم ظهر جواده. واعتد بعدة جلاده. يقول ان الارض وما عليها جميعًا في قبضة يده. والموت بين صارمه ومهنده *

فهذا ما كان من معدي كرب. فارس العرب * واما ما كان من بني عبس وعنتر. فانه وصل اليه اخوه جرير واعلمه بالخبر. ان معدي كرب قادم عليه بخمسة الاف فارس . من الابطال القناعس. واخبره ايضا ان الحيدا سارت بعبلة مع السبي وجملة النسوان. الى الملك النعمان * فلما سمع عنتر هذا المقال . اخذه الاندهال * واتى الملك زهيرًا بالحال. واخبره بتلك الاحوال * لان الملك زهيرًا واولاده كانوا لا يزالون يبردون قلب عنتر. من

حين ما وصلوا الى جبال الردم واندهشوا من ذلك المنظر. وكان قد جرى على عنتر ما لا يجري على قلب بشر * فقال له الملك زهير يا ابا الفوارس لا تعتب على الزمان. فانهُ لم يزل باهله خوان. وان الدهر يومان* يوم فرح ومسرة. ويوم بؤس وضرة. فقال عنتر والله يا مولاي ان ليس خوفي على الاموال. ولا جزعي من تقلبات الاحوال * ولكن اخاف على عبلة ان يصل بها الربيع الى العمان. ويزوجها باخيهِ عمارة الكشان *فقال لهُ شيبوب وحق من تطيعه الشمس والقمر والبدر. انهُ ما فلك الاسرى وفعل هذه الفعال الا عمك مالك وولده عمرو* واني ما كنت طيب القلب بتركهم بعدنا في هذه الجبال. لان الغدر لم يزل في قلوبهم ولا بد ان يقعوا في الخبال * ثم انهم نزلوا في ذلك الوادي وضربوا الخيام. وملاوا المغاير والكهوف من اسرى بني لخم وجذام .. واقام عنتر في لوعة الوجد والهيام * وكان اذا وجد مع اولاد الملك زهير يظهر الجلد والاصطبار. واذا خلا بذاته يعدد نفسه بمثل هذه الاشعار *

لمن طللٌ بوادي الرمل بالِ محت اثارهُ ريح الشمالِ
وقفت بهِ ودمعي من جفوني يفيض على مغانيهِ الخوالي
اسائل عن فتاة بني قرادٍ وعن اترابها ذات الجمال
وكيف يجيبني رسمٌ محيلٌ بعيدٌ لا يعنُّ على سوالي
اذا صاح الغراب بهِ شجاني واجرى ادمعي مثل اللآلي
واخبرني باصناف الرزايا وبالهجرانِ من بعد الوصالِ

غراب البين مالك كل يوم تعاندني وقد اشغلت بالي
كأني قد ذبحت بحد سيفي فراخك او قنصتك بالحبالِ
بحق ابيك داوي جرح قلبي وروح نار سرّي بالمقـالِ
وخبر عن عبيلة اين حلت وما فعلت بها ايدي الليالي
فقلبي هايم في كل ارضٍ يقبل اثر اخفاف الجمالِ
وجسمي في جبال الردم ملقى خيالاً يرتجي طيف الخيالِ
وفي الوادي على الاغصان طيرٌ ينوح ونوحه في الجوّ عـالِ
فقلت له وقد ابدى نحيباً دع الشكوى فحالك دون حالي
انا دمعي يفيض وانت باكٍ بلا دمع فذاك بكآء سالِ
لحى الله الفراق ولا رعـاه فكم قد شكَّ قلبي بالنبالِ
اقاتل كل جبار عنيدٍ ويقتلني الفراق بلا قتال

قال الراوي وكان عنتر لم يزل في البكآء والتعديد . والحزن الشديد * حتى وصل اليه اخوه جرير من بني زبيد . فكان وصوله مثل يوم العيد * لانه اخبره بجميع الاسباب * وبين له ما لم يكن عنده بحساب *

قال ولما اخبر عنتر الملك زهير * بما سمع من اخيه جرير * حنق كربه * واطمأن قلبه * وقال له وعلى ماذا عولت من الفعال بعد ان عرفت بهذه الاحوال * قال يا مولاي الاتي معدي كرب ومن معه من الفرسان . واشتت شملهم في هذه القيعان * واذا ساعدتني المقادير على مقصدي * ووقع معدي كرب في يدي *

Digitized by Google

طلبت منه نساء بني عمي وابنة عمي عبلة بالجملة * وكفلته بجميع موال الحلة * فان تعهد بذلك والاسرت انا الى هنالك * فاخلصهم من الاسر والهوان * وافني سائر بني شيبان * وان خانني الزمان * وسمعت ان عبلة تزوج بها عمارة القرنان * ضربت رقبة الاسود وفنيت اهل العراق * واقمت الحرب على قدم وساق * ولا ازال اسفك دما * واغزو الملا * حتى اصبح قتيلاً في الفلا * فقال مالك بن زهير والله ما عدنا نفارقك * واين ما سرت نرافقك * وكان ابوه شداد * وعمه زخمة الجواد * قد جرى عليهما لفقد الحريم * الامر المنكر والهم العظيم * ولكن ما اظهرا لعنتر * علماً من ذلك ولا اثر *

قال الراوي وان عنتر من حينه تاهب للقاء معدي كرب ومن معه من بني زبيد . وقد عزم ان يلتقيهم وحده في ذلك الصحصحان والبيد * ثم قال عنتر للملك زهير واولاده الصناديد . ان هذا الفارس قادم الينا بمن معه من الفرسان * وقد شهدت له بالشجاعة ابطال العرب والشجعان * فقال الملك زهير لقد صدق الذي وصف هذا الفارس * والقرن المداعس * فقال عنتر ايها الملك كن آمناً من كل من يقدم عليك . فان عبدك كفوء لمن يأتي اليك . ولما انصرفوا ذهب كل منهم لياخذ راحة المنام * وكان عنتر قد خرج عن الخيام * وسار الى باب المضيق * واقام هو وشيبوب يحرسان القوم والطريق . وفعل كذلك في ثاني ليلة * فتمت له الحيلة

الكتاب الحادي والعشرون

من سيرة عنتر بن شدّاد العبسي

وفي الليلة الثالثة انتظروه فما عاد اليهم • وخرجوا يطلبونهُ فخفي خبرهُ عليهم • فقلق الملك زهير لذلك وقال والله ما هو الاَّ قد سار وحدهُ لبني زبيد • ويرمي نفسه في المهالك وكل هول شديد فوحق ذمة العرب لقد ركب طريق الخطر • بسيره وحده ولم يعلمنا بالخبر فقال لهُ شداد ايها الملك ان ولدي كما تعلم مقدام على عظائم الامور • وقد سلمته لمن يعلم وساوس الصدور • وعلينا ان نحفظ هذا المكان من كل ضرر • حتى يعود الينا ولدي عنتر • او نسمع لهُ بعلم او خبر • لانهُ يعلم كل من حضر • انهُ ما سار الاَّ ليلتقي معدي كرب ومن معه من العسكر *

فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من معدي كرب فانهُ لما قارب تلك الجبال • نزل بمن معهُ بين تلك التلال • وقال لهم قد قربنا الى حيث نحن طالبون القتال • وانا اعلم ان عنترًا اذا سمع بخبري وعلم بالحال • فما يخرج الى حيث ما يكون للحرب مجال • بل يمسك راس المضيق • ويقاتل بقدر جهده وما يطيق * واخاف ان يطول المطال • وتدركنا قبائل النعمان قبل ان نبلغ الامال * وقد

بدا لي راي الصواب. وهو اني انزل بين هذه الهضاب . واخذ معي
عشرة من الفرسان الاخيار. واهجم بهم على الشعب عند طلوع النهار
فما يعلم عنتر وقومه الا ونحن داخل الوادي. ونقبضهم قبض الايادي
الى ان تاتوا الينا . ويهون الامر علينا ويعلو ذكرنا وفخرنا بهذه
الفعال: لان التدبير خير من القتال * فقال لهُ الجميع افعل ما
بدا لك . فما فينا من يخالف مقالك . ولما سمع معدي كرب منهم
ذلك الكلام. اراح نفسه ساعة في المنام . ثم قام واعتلى ظهر الجواد
واخذ عشرة من فرسانه الاجواد . واوصى الباقين ان لا يرحلوا الى
الصباح. وصار يقطع البطاح * حتى قارب السحر . وهم في ذلك
البر الاقفر* واذا برجل متجنب الطريق سايرٍ تحت الغَلَس. ولهُ
خطوات اخف من النفَس. فقال معدي كرب لبعض رفقاه .
انظر من هذا الرجل الذي نراه * فاطلق ذلك الفارس العنان *
حتى قارب ذلك الرجل فاذا هو واقف قريب منهم يسمع ما قالوه
بذلك الشان* وكان قد ابصرهم كما ابصروه. وانكر امرهم كما انكروه
فقال الزبيدي من اي الناس انت ياغلام. والى اين قاصد في هذا
الظلام * فقال الرجل انا من بني زبيد وقد ارسلني مولاي معدي
كرب اكشف لهُ اخبار عنتر * وها انا قد عدت ومعي اطراف
الخبر. فقال الزبيدي كذبت يانسل الفجار * وها نحن بنى زبيد
سايرين لنقلع من بني عبس الاثار * ثم مد السنان واراد ان يسوقه
الى معدي كرب ليستخبره عن حاله. فرماهُ بنبلةٍ اسقاه كاس وباله.

لان النبلة وقعت اتفاقاً في فمه فخرجت من قذاله . ولما وقع وصاح سمع معدي كرب نداه . فقال واحرباه . قد قتل ابن عمنا وخسرناه * فدونكم قاتله يابني عمي فاعدموهُ الحياة فتبعه اربعة على الاثر . فهرب وغاب عنهم مثل لمح البصر * فتعجبوا منه كيف نجا واطلقوا خلفه الاعنة تحت اذيال الدجى . واذا به قد عاد ومعه فارس كانه طود من الاطواد . او من بقايا قوم عاد . وكان ذلك الفارس البطل الجواد . حامي قومه يوم الطراد * فارس الفرسان . ومذل الشجعان * الامير عنتر بن شداد . وذاك الرجل الذي امامه اخاه شيبوب . وهو يشابه بجريه ريح الجنوب * او الماء اذا اندفق من الانبوب * فانصب عنتر على الخيل انصباب السيل فقتل منهم اثنين وضرب شيبوب الثالث بنبلة في فواده * نكسه عن جواده * وعاد الرابع لنحو قومه ينادي ويقترب . حتى وصل الى معدي كرب * فاخبره بما فعل ذلك الفارس المغوار . فزاد به الغيظ حتى قدحت من عينيه شرر النار . فاطلق الجواد حتى التقى بعنتر بن شداد . فتطابقا وما فيهما من نطق ولا نثر * وزاد الظلام واعتكر . ووقع بينهما الضراب . من خطاء وصواب . وقطر الدم من اجسادهما على التراب . وقامت لهما زعقات وهجات تشيب الغراب * وما زالا ينطاعنان بالرماح . حتى ابيض مفرق الصباح ولم يبق بين ايديهم الا كعوب العودين فتركوها وجردوا الصفاح واخذوا في الجلاد والكفاح . وكان شيبوب قد التقى بالفارس

الاخر وما زال يروغ قدامه حتى قتل جواده ٠ واخذ يضربهُ بالنبال ولا ينال منه مراده * لما عليه من الحديد والزرد النضيد هذا وعنتر مع معدي كرب في القتال والضربات تختلف بينهما على الدرق بالنصال * وقد لمع بينهما صارم الموت و برق ٠ وصارت ارواحهم كالعلق * وعظم بينهما الغيظ والحنق ٠ وذابت القلوب من الحرق * وكان قد حل بمعدي كرب الضجر والقلق * لانه ما ظن انه يلقى من عنتر هذا الملتقى * ولا يشفى معهُ هذا الشقا *

فعند ذلك رميا من ايديهم السيوف . وكلٌ يودّ ان يسقي رفيقه كاسات الحتوف وتدانيا بالجبال وتجاذبا بالاطواق . وكادت ارواحهما تبلغ التراق ٠ او ضيق الخناق . فوقعا كلاهما عن الخيل . لانهما قد ذهب منهما العزم والحيل ٠ وما عادت خيلهما تقدر على الدوران والميل . ولما وقعا الارض صاحا صيحات الاسود وطحنة ارجلهم حصى الجلمود . وكان معدي كرب قد كلّ ومل * وفقد شجاعته وعزمه اضمحل . وابصره عنتر قد جرى الدمع من عينيه واندرف . لشدة الغبينة والاسف * فحينئذٍ زعق فيه عنتر زعقة الاسد وتقدم اليه ٠ وحمله بما كان عليه . وجلد به الارض فانوهن ٠ وكاد يتقيأ ما رضعه من اللبن * فشد كتافه وهو غائبٌ عن الدنيا ما عاينه من عنتر من البلوى * ولما ابصر صاحبه ذلك . ايقن انه هالك * فانقض عليه شيبوب فاخذهُ اسيرًا * وقاده ذليلاً حقيرًا * ولما صار بين يدي عنتر * قال لهُ يا ابا الفوارس * ليس لك علي

فضل في هذه النوبة لان كلا منا قد عاد بفارس * فقال عنتر صدقت * ولكن بينهما تفاوت لو عرفته ما نطقت * وانهُ يا ابا رياح وحقّ من خالف بين الصباح والمساء * ما ولدت مثل معدي كرب النساء * ولا تلد مثله الا اذا شاء رب السماء * فقال معدي كرب لا وحق خالق الاديان * ومركب الارواح في الابدان ان الفروسية والشجاعة تفقدان * اذا حضرت يا عنتر في الضراب والطعان * ويتساوى بين يديك الشجاع والجبان *

قال الراوي وكانت فرسان الجاهلية تنصف نفوسها في ذلك الزمان . ولا تقول الا الحق في ايّ حال كان * ثم ان عنترًا شد معدي كرب على جوادهِ عرضًا وقال لشيبوب شدّ اسيرك وعد بنا بالجبال . لاني اريد ان اخلص بمعدي كرب ابنة عمي عبلة والاموال وكل ما لنا عند النعمان في الاعتقال * والا ضربت رقبة معدي كرب ورقبة الاسود . وخلصت قومي وما لي بالحسام المهند . فقال لهُ معدي كرب يا ابا الفوارس ان عبلة تخلص هي ومن معها من الرجال ولا يفقد من اموالكم عقال . وان كنت تثق بي فاطلقني من الاعتقال . وانا ارد عنك فرسان قومي واكفيك امر القتال واكون صديقًا لك مدى الايام والليال . وربما اتوسط نوبتك عند الملك النعمان . وينصلح على يدي امركم والشان . من قبل ان تسير اليك عساكر العربان . وتقصدك الابطال والشجعان . ويأتيك خلق كعدد الرمل فيحاصرونك في هذه الجبال . وفي ذلك الوقت تطلب

الاقالة ولا نقال . لان الشجاعة تبطل عند كثرة الرجال . وانا
بعد ذلك ابصر واخبر . وعلى تدبير نفسك اقدر * فقال عنتر ان
الذي تقوله يامعدي انا اعرفه ولست اهدى مني الى ما تصفه .
ولكني ما عاندت النعمان . وبذلت سيفي بالفرسان . الا لاتحو عني
اسم العبودية . وانال المنزلة العلية . وقد خطر ببالي اني اتغلب على
الدول . ويشيع ذكري ويرتفع فخري في السهل والجبل . وينضرب
بخبري من بعدي المثال . واني لارمي روحي في هذه الاهوال .
الا لاجل هذه الاحوال . ولا اعلم ان كان ذلك لسعادتي . ام
لهلاكي وانقضاء مدتي . فلما سمع معدي كرب هذا الخطاب . انقطع
عن رد الجواب وعلم انه رجل لا ينجع فيه العذل . وقد استقتل .
وهانت عليه نفسه قبل فروغ الاجل . وانه لا يحضر لقتاله الا من
انقطع من الدنيا رزقه . والامل . وما سار عنتر الا قليلاً واذا بغبار
بني زبيد قد ثار . وصهيل خيلهم قد قلب الاقطار . وكان عنتر
سائراً بالعجل . وهم كانوا مسرعين ليلحقوا مقدمهم بدخول الجبل *
وكان معدي كرب قد حدث عنتر بما فعل . وانه قد سبق قومه
لذلك العمل . وحصل له ما خاب به الامل . ولما تحقق عنتر ذلك
الغبار . قال لشيبوب خذ هذين الاسيرين وتقدم في هذه القفار .
وانا ارد عنك هذا الجيش الجرار . فاخذهما شيبوب وسار . واندهل
معدي كرب من ذلك واحتار . وقال في نفسه ان هذا العبد جبار .
لا ياتي بمثله الليل والنهار . لانه يريد يلتقي جيشاً فيه خمسة الاف

فارس. من كل مدرع ولابس. من فرسان بني زبيد الاشاوس* ولكن الانسان الموفق السعيد. ينال كل ما يريد* وما زال بنو زبيد سايرين الى ان وصلوا الى مكان القتال* فراوا جثث القتلى مطروحة على تلك الرمال* وتبينوهم واذا هم بنو عمهم الذين ساروا مع معدي كرب ليدخلوا المضيق كما تقدم المقال. فنزل بهم الخبال. وعظم بهم الغضب والاشتعال. واخذوا ينظرون الى اليمين والشمال. ولا يرون احدًا يسالوه عن تلك الاحوال. فما راوا الا فارسا سايرًا امامهم* وهو يلتفت اليهم ولا يخشى اقدامهم*

فقال بعضهم دونكم وهذا الفارس واسالوه من فعل هذه الفعال. وان كان هو فاعلها فشيلوه على اسنة الرماح الطوال. فتجاروا وراءهُ ومدوا الرماح. ولما قربوا منه صاحوا عليه باشد الصياح. وقالوا ويلك يا ابن الانذال. من فعل باهلنا هذه الفعال واين فارسنا معدي كرب سيد بني زبيد. وما لك القفر والبيد. ومن انت ايها السائر وحده كالشريد. فعاد اليهم عنتر عودة الاسد الرئبال. وزعق بهم صوتًا يقلب السهول والجبال. وقال انا عنتر بن شداد وصاحب هذه الفعال. وسيدكم معدي كرب عندي في الاعتقال. وانتم يا بني الانذال. فابشروا بالفنا والاضمحلال وكان في يده رمح طويل اخذه من بعض القتلى* فطلب به صدورهم وابتدا يفرش بهم قاعات الفلا. وفي اقل من ساعة قتل منهم عشرين. فوقف الباقون متحيرين ومنذهلين. بعد ما كانوا

وراه متتابعين. وعادت اواخرهم تدرك الاوائل • وتصيح ياذل
بني زبيد بين القبائل * وعنتر يمانع عن نفسه ويقاتل * وكلما
تاخروا عنه يقدم عليهم ويدحرج القال. حتى قتل منهم ماية بطل
ولما راوا ذلك انقسموا عليه عشرة مواكب • وداروا به من كل
جانب • وقالوا لبعضهم ياويلكم ما فيكم من يتحدث بهذا الحديث
بين العرب والا لبستم العار. ما تعاقب الليل والنهار. لاننا خمسة
الاف فارس ماجد وقد حملنا على فارس واحد * وهذا لم يفعله
احد على الارض * فاكتموا هذا الحديث بعضكم عن البعض.
ولما تبصر عنتر بافعالهم • اجهد نفسه في قتالهم * حتى مراد به
التعب والعنا. فمدوا اليه اطراف القنا. وقصر جواده من التعب.
واستحب الموت على الهرب * وقد همّ ان يترجّل ويدافع عن نفسه
الى ان يتيسر لهُ سبب. واذا بخيل بني عبس قد طلعت وراه
كانها العقبان. وهي تصيح يالعبس يالعدنان. وشيبوب قدامهم
كانه السرحان. وخلفه مالك بن الملك زهير وعروة وشداد •
وزخمة الجواد. تتبعهم فرسان بني قراد. وكانت جملتهم خمساية فارس
اجلاد. وكان السبب في ذلك ان الملك زُهيرًا بعد فقد عنتر
تحير، وخاف من كثرة العسكر. فاحضر جريرًا وسالهُ عما يريد
وقال لهُ ويلك ومتى فارقت بني زبيد. فقال يامولاي قد تركتهم
خلفي سائرين • وهم اليكم اليوم او غدًا يكونون واصلين *
فقال زهير والله ان عنترًا قد سار اليهم لينجز امرهم في تلك

Digitized by Google

القيعان . ويفرغ باله لقتال النعمان . والصواب اننا نرسل له من بعينة من الفرسان . ولا عدمنا فارس الزمان . ويقع فينا بعده النقص والخسران * فقال عروة انا اسير وراءه برجالي . واعينه بابطالي * فقال شداد وانا اتبعكم ياسيدي . ولا اقعد عن نصرة ولدي * وكذلك قال زخمة الجواد . وجميع فرسان بني قراد . فسار بهم مالك بن زهير من اول النهار . وقدامهم جرير يقتفي الاثار . وما ساروا الاّ يسيرًا . حتى التقوا بشيبوب ومعه معدي كرب اسيرًا ولما التقوا بشيبوب . طابت منهم القلوب . وزادوا فرحا وسرورًا لما راوا معدي كرب ماسورًا * وحدثهم شيبوب بالخبر * وقال لهم عجلوا لمعونة اخي عنتر ثم سلم معدي كرب لمن يثق به ليوصله الى الجبال . ورجع يركض قدامهم بالحال . وكان يجري قدامهم كالفرس فادركوا عنتر كما ذكرنا وهو على اخر نفس . ولما ابصروه صاحوا وحملوا ولما ابصرهم بنو زبيد تخبلوا . وحينئذٍ اشتد القتال . وعملت النصال وصال عنتر وجال * وكان الابجر قد جرح في ثلاثة مواضع . فسلمه لبعض رجال عروة ممن حضر ليدافع ويمانع * وركب من جنايب مالك بن زهير وعاد يكر على الكتايب ويشق بسنان رمحه المواكب وكانت هيبته قد وقعت في قلوب بني زبيد لما راوا من ضرباته التي تقطع الحديد . فقاتلوا الى غروب الشمس . وتفرقوا قدام بني عبس * وعند ذلك طلبوا ديارهم . وقد اخمدت صفقات عنتر نارهم * ورجع عنتر وبنو عمه وهو يشكرهم عن قدومهم اليه . وقبل

Digitized by Google

صدر مالك و يديه . فقال له مالك . والله يا ابا الفوارس لو القينا
ارواحنا قدامك بالمهالك لما كافيناك على افضالك . مع انك لست
تحتاج لمساعد . ولا لمعاضد * ثم انهم جمعوا اسلاب القتلى وامسكوا
الخيل وعادوا الى الجبال فوصلوا قبل نصف الليل . وعلمت بنو
عبس بقدومهم . فزالت همومهم . وبعد ان استراح عنتر دعاه الملك
زهير فسار الى خدمته . ولما وصل اليه هناه بسلامته . وقال لهُ يا ابا
الفوارس ما انا راضٍ منك بهذه الفعال . لانك تسير وحدك
وتركب الاخطار والاهوال . فقال عنتر يا مولاي ان هذه الامور
لا تقرب منية . ولا تبعد رزية . ولا يكون شي الا باذن رب البرية .
فتعجب الملك زهير من حسن يقينه وتحوته . وشدة قلبه وعزيمته .
ولهذا الامر كان بنو عبس اشد الفرسان . لا يقدر احد يلتقاهم في ميدان
لان الامير عنتر كان قد شدد قلوبهم بقتاله . وهون لهم الموت
بافعاله . ولما خلا قلبه في ذلك اليوم احضر معدي كرب وقال
لهُ اكتب الى بنة عمك الجيدا والنعمان . وافدِ نفسك بما لنا عندكم
من الاموال والنسوان . وان لم تفعل فلا تتامل بخير . وحبوة
ملكنا زهير . فقال معدي السمع والطاعة . وكتب من تلك الساعة
وكان يقول في ما كتبه اعرف بنت عمي الجيدا ان الزمان غدار .
والعاقل لا يامن من الاغترار . ومن قال ما مثله في الابطال *
فقد اخطا في ذلك المقال . وانا كنت جاهلاً فعلمتني نوايب
الحدثان والان قد ذهبت مني عزيمة النفس . وتنهدت في يومي

عن امس * ووقعت مع فارس لايخاف الموت. ولا يفوته فوت * ثم شرح لها وسطره جميع ما جرى له مع عنتر * وامرها ان تنفذ نساء بني عبس وقراد . واموالهم والاولاد * وامرها ان تعتذر الى عبلة . عما حملتها من الثقلة * وانها ان ابقت عندها من مالهم قيمة عقال . يبقى طول عمره في الاعتقال * ثم امر احد بني عمه بايصال الكتاب. فاخذه وسار كالبرق في السحاب. ولما انفرد في تلك السهول. انشد يقول *

اقد اسر المقدم من زبيدٍ   على يد فارس صعب القيادِ
شجاع لا يخاف من الرزايا   ولا يخشى ملاقاة الاعادي
اذا حضر النزال رايت ليثاً   يثلم عن حد المنادي
ويفترس الفوارس في مجالٍ   يضيق على المضمرة الجيادِ

وما زال هذا ساير في الغمة والحيره الى ان وصل للحيره *

اما ما كان من الجيداء فانها لم تزل سايرة الى ان وصلت للعراق. ونساء بني عبس قدامها تساق * فرات قبايل العربان قد وصل اكثرها الى النعمان * وقد امتلأت منهم ساحات تلك القيعان. وهو يهب الشجعان * ويكرم الفرسان * فتقدمت الجيدا اليه . وسلمت عليه * واعرضت بين يديه حريم بني قراد * واعمام عنتر بن شداد * ففرح النعمان واستعجب * وسالها عن معدي كرب * فقالت ايها الملك انه قد سار الى جبال الردم بخمسة الاف فارس ماجد. لياخذ بثار ابن عمه خالد * وينوب عنك

في هذا الامر الذي تجمعت من اجله الفرسان . واعتنت فيه العربان * فقال النعمان وحق النار ذات الدخان . لقد اخطا معدي كرب بمسيره الى هذا الشيطان . لان اخي الاسود كان معهُ عشرون الف عنان . وقد اذلهم وشتتهم هذا العبد الكشحان . وما كان معه اكثر من ماية وخمسين فارس . ولكنهم كمردة الابالس فقالت الجيدا ايها الملك انه ما جرى على اخيك هذا العطب . الا من العطش والتعب . وما كان معه احد كمعدي كرب . الذي تهتزّ منه الجبال اذا غضب * وانا الضامنة لك انه ياتيك بزهير ومن عنده من الفرسان . والكل مقيدون بحبال الذلّ والهوان . ويكون راس عنتر على راس السنان . فقال النعمان ان صح هذا المقال لاحكمنه في الجميع ليفعل ما يريد . ويفرق اموالهم على بني زبيد * ورأى الربيع . المكا وولده عمرو وقد اضناهما العذاب . فالمه ذلك المصاب . لانه برايه تسببت لهم هذه الاسباب واما عمارة فرأى عبلة وعلم بما نالها * وكاد يبكي لتغير حالها . فقال للربيع ويلك يا اخي تقدم واسال النعمان . لعله يطلق عبلة وترضاها بالاحسان . فقال لهُ الربيع ويلك كيف ارجو اطلاق عبلة من النعمان . واخوه الاسود عند ابن عمها بالذل والهوان * ومعه في الاسر سبعة الاف من الفرسان . فان في هذا الوقت لا نبلغ الامال . ولا ينفع المقال . ولكن اذا خلص الاسود . وقتل عنتر وتمدد * فلربما حينئذٍ نبلغ المقصد * واما علمت ان النعمان

قد اقسم بالمعبد الاكبر. انه لابد ان يصلب عبلة بجانب عنتر * ويمحو من بني عبس الاثر. هذا والعرب تجتمع من كل الاقطار حتى صار عند النعمان ثلاثون الف فارس كرار. ما عدا قبيلته المعروفة. وقد ضاقت بهم ارض الحيرة والكوفة * وكان اخر من قدم اليه بنو كندة مع اسدهم الكاسر الامير حجّار بن عامر. الموصوف بالشجاعة وصعوبة الاخلاق * وتخشاهُ اهل جميع الافاق. ولما وصل رفع قدره النعمان. على ساير الفرسان. واحضر لهُ ولقومه الخلع والذهب * واجلسه معه في اعلى الرتب *

ثم قام حجّار وقال ايها الملك انك قد ارسلت وراي فاعلمني بالسبب. واخبرني ان كان احد قد خالف امرك ارسلني اليه واريح نفسك من التعب. ولا اريد ان يساعدني احد من العرب فاجابه النعمان وهو عالم ان حجّارًا يقدر على ما قال. لما لهُ من سوابق الفعال. انهُ يا حجّار ما عصي عليّ من لهُ قدر ولا مكان. وانما هو عبد من عبيد بني عبس وعدنان. الا انه قد اسعدهُ الزمان. وصيّر لهُ هذا القدر والشان *

ثم حدثه بحديث عنتر. واخبره عمن قتل ومن اسر. فطار من اجفان حجّار الشرر * لما سمع ذلك الخبر. وقال ايها الملك انك قد ضيعت هيبة الملك واخرقت الناموس * بمعاداتك لهذا العبد المنحوس * ولو انك اعلمتني ابتداء بهذا العبد الاسود. لكان انفصل الامر ولم يعلم بهِ احد * والان انا اقسم برب السماء *

ومن علم ادم الاسما. لاقلعنَّ اثار الاعداء. ولاسرت اليهم الابماية فارس. ويبلغك خبري اذا التقت الفوارس* واذا سمعت بفعالي حينئذٍ تصدق مقالي* ولابد ان اقود ساداتهم اساري وابقي الملك زهيرا واولاده اذلاًّ حيارى. واتيك براس عنتر على قنا. وابلغك منهم غاية المنى. فقال النعمان اذا ظفرت بعنتر واتيت به سالمًا* جعلتك باهوالي محكمًا وحاكمًا. لان قصدي اوقفه على مقاله. وبعد اعذبه بتقطيع اوصاله. على ان معدي كرب قد سار اليه بخمسة الاف من قومه. ووعد انهُ يكفينا شره من يومه* لاسيما وانه له عنده ثار. ونحن الان بانتظار الاخبار. فاذا لم يبلغ منه الامل سر انت اليه في العجل. وارينا ما تقدر عليه من العمل* فعند ذلك رجع حجّار الى قومه وهو يعض كفيه ندامة. ويتحسر كيف انه لم يكن هو السابق لعنتر ليفوز باعظم كرامة* وفي تلك الايام وصل كتاب معدي كرب للجيدا يطلب منها الخلاص والفدا. ولما قراته وفهمت معناه. ضاق عليها الكون بمداه* وقامت الى النعمان واخبرته بما كان فزادت به الاكدار وسبح في بحر الافتكار. ثم جمع ارباب الدولة وامراء العرب* واخبرهم بحال معدي كرب. وما كتب وما فعل بهم عنتر من الويل والحرب* واستشارهم في ما يفعل فسكتوا جميعًا من الانذهال والعجب*

فقال النعمان وقد زاده سكوتهم غمًا لا بد لي من المسير اليه بنفسي ومن اجتمع عندي. لاشفي منه فوادي بيدي* وان لم

افعل انفطر كبدي . على اني اعلم انني البس العار عند الكبير والصغير . اذا سرت لهذا العبد الخبير . وجعلته نظيري وبئس النظير * ولكن اذا بلغت المرام . لا ابالي بما يقال من الكلام * فقال وزيره عمرو بن نفيلة العدوي . ايها الملك المهاب . ليس هذا الامر من الصواب * ولا تبلغ بهِ غرضاً . ولا يشفي لك مرضاً * لانك اذا سرت لعنتر بهذه الام . ورأى انه ليس لهُ مقدرة على قتال هذا الجيش العرمرم . يقول لك اما ان ترحل عني واما ان اضرب رقبة اخيك الاسود ومن معه من بني لخم * وانت ايها الملك الكريم . اتبيع دم اخيك ومن معه من بني عمك بدم عبد زنيم * فقال النعمان لا وحق النار والنور العظيم * فقال الوزير تخلص اذاً اولاً اسراك من الذل والعار . وافعل بعد ذلك ما تختار * فان عندك نساء بني عبس وبني قراد . وعبلة التي هي زوج عنتر بن شداد * ومن الصواب * ان ترد عليهم جواب الكتاب . وتقول لهُ انا ما افدي معدي كرب الا بعمك مالك . وان اردت عبلة ومن معها فاطلق الاسود ومن معه من بني لخم هنا لك . والا انفذت اليك راسها * وصلبت من بقي من اناسها . لانك اذا طلبت بعبلة اهل الدنيا وكانوا في قبضته . اطلقهم من ساعته . فلما سمع النعمان هذا الجواب . رآه وجه الصواب *

فقال ايها الوزير انا لا اليق على نفسي ان اخاطب هذا العبد بكتاب . فدبر انت برايك واكتب الى الملك زهير * لعله يكون

اهدى الى الصواب والخير * فعند ذلك كتب الوزير كما يريد *
وختم الكتاب بالوعيد والتهديد. وقال في آخر الكتاب وانا
قد منعت الملك النعمان عن المسير اليكم * وقدومه بعساكره
الكثيرة عليكم ٠ والصواب ان تطلقوا اخوه الاسود ومن معه
من بني لخم. قبل ان ينزل بكم الفنا والندم ٠ ويزيد عليكم غيظه
والنقم. ويسير اليكم بفرسان العرب والعجم ٠ فيقلع منكم الاثر * ولا
يترك من يخبر عنكم بخبر *

ثم عاد الكتاب على النعمان وارسله مع نجاب وارسل معه
عشرة فرسان انجاب ٠ واقام هو ومن عنده ينتظرون الجواب ٠
وسمعت باسر معدي كرب ٠ قبائل العرب. فما فيهم الا من تحير
وتعجب. ولما وصل النجاب الى باب المضيق منعه العبيد الذين
كان جعلهم عنتر على ذلك المكان. وقالوا قف حتى ناخذ لك
الاذن من حامية عبس وعدنان * فوقف الرسول وكاد يختنق
من الزعل * حتى اخذوا له الاذن بالدخول فدخل * ولما وصل
وسلم. رآه عنتر وتبسم ٠ فرمى الرسول الكتاب ٠ الى الملك زهير
فقراه وعرف معناه. واعاد على عنتر ما فيه فتوقدت عيناه ٠ فقال
للرسول لولا انك صرت بحضرة الملك ضربت رقبتك * وما
سمعت رسالتك * ايهددني صاحبك باوباش العرب وطناجير
العجم * الذين افعل بهم كما يفعل الذيب بالغنم * فوحق البيت
الحرام * لاحرمنه لذيذ المنام * واقلعن اثره من بين الانام * واما طلبه

لاخيه الاسود ومن معهُ من الاسرى * فانا اطلق الجميع مع معدي كرب ايضاً حتى لا يقولوا اني اخشاهم اذا التقينا مرة اخرى . ولكن اريد من النعمان ان يطلق ابنت عمي عبلة ويرد لها تاج كسرى وجميع ما اخذ عنها مفرج والربيع من الاموال . ولا يضيعوا لها ولا قيمة عقال * فحينئذ ارسل له كل من عندنا منهم الرفيع والوضيع *

فلما سمع الرسول هذا الجواب * عاد حالاً بالجواب . فلما وصل الى الحيرة ودخل على النعمان * اخبره بما جرى وكان * فقال له النعمان ويلك وزهير ما ابدى ولا اجاب . لما سمعه يتكلم بهذا الخطاب . فقال لا والله ايها الملك المهاب . فقال اذل الله رقبته . فانه اضاع ناموسه ونخوته * ثم استشار وزيره في ذلك المقال . فقال ايها الملك الراي انك ترد على عنتر عبلة وما لها من المال * فيطلق اخاك الاسود ومن معه من الرجال . وبعد ذلك تقلع منه الاثر ولا تترك من بني عبس من يخبر بخبر * فعند ذلك احضر النعمان عبلة وسلمها تاجها وما لها . وجميع ما كان عنده من الملابس لها . ولما راى ذلك الجوهر تنهد عليه وتحسر . وقال لوزيره سير القوم . ودعهم يطلقوا اسرانا بلا عتب ولا لوم . فعند ذلك اطلقهم الوزير من الاعتقال * وقال لمالك سر الى اهلك بالحال . واحمد ابن اخيك عنتر الذي لولاه ما رات عيناك ابنتك ولا شيئاً من المال وهكذا سيرهم بغاية الاكرام . وزادهم وزاد لهم في الاهبة والنظام * هذا ومالك

Digitized by Google

تقول للربيع بالله عليكم ابقوني هنا اقاسي البلا الاكبر. ولا اعود اتصبح بوجه عنتر. فقال عمارة وكلنا على هذا نتمنى ونتحسر. ومن منا يلتذ بالحيوة. اذا لم يصبح ذلك العبد قتيلاً بالفلاة* فقال الربيع بهذه الحسرة تموت انت وكل العرب. ويفنى كل من ضارب طنب ويبقى ذلك الشيطان سالماً لا يلم به عطب* فقال ابو عبلة والله لابد لي من قتله ولو تعلق بالسحاب. او طار مع العقاب* ثم ودع الربيع وسار والعبيد بين يديه تسوق المال. حتى وصلوا الى الجبال فجآء العبيد واخبروا عنترا فركب باجناده. وركب الملك زهير باولاده. والتقى اصحاب الاموال باموالهم. وفرح اصحاب العيال بعيالهم* وتقدم عنتر الى عمه مالك وهناه بالسلامة. وقال له يا عماه لا كان يوم يصل اليك فيه اضامة. فشكره مالك وقال له يا ابا الفوارس ما دمت لنا نعيش ونبقى. ولا يصل الينا ذل ولا شقا* واخبره بما فعلت بهم الاعدا. وختم كلامه بحديث الجيدا*

ثم قال وكل هذه الخسارة. كانت من الربيع وعمارة* لانك لما سرت وتركتنا موكلين بالربيع ومفرج بن هلال. ومن معهم من الرجال لعب بعقل بعض العبيد الربيع ومن معه من الرفاق. فحلهم من الوثاق. فثاروا علينا ونحن في باب الشعاب وكان اكثرنا نياما. فاذاقونا الاسر والعذاب ولولا هيبتك واسرك لمعدي كرب لكانت الجيدا اذاقتنا كل امر كرب*

فقال عنتر وقد اظهر البشاشة والحلم* صدقت وانا عندي

من هذا الكلام بعض العلم . وسامحه بتلك الفعلة . وقبل عذره من اجل عبلة *

ثم عدل الى عبلة وسلم عليها . وقبلها بين عينيها * وسالها عن اموالها التي كانت فاقدة فقالت والله يا ابن العم ما فقد منه ولا حبة واحدة . فقال عنتر وحيوة عينيكِ . وتقوّس حاجبكِ * لو اخفى النعمان من مالك بقيمة عقال . لضربت رقبة اخيه الاسود ومن معهُ من الرجال * وكنت اخرب العراق * واقيم الحرب على قدم وساق * واخرب السواد واصبهان . وبلاد العجم وخراسان *

ثم دخل الجميع الوادي بالاستبشار والفرح * وزال عنهم الغمّ والترح * وامر عنتر شيبوبًا باطلاق الاسرى واخراجهم خارج الجبال * حفاة عراة في اسوء الاحوال * فقال الاسود لعنتر ويلك اما تخاف من مذمة العرب . اذا سيَّرتنا رجالاً ما فينا من معه شيءٌ يركب * ولا لهُ ماكل ولا مشرب . فقال عنتر ما يلومني على فعلي هذا احد من العالمين . لاني اعلم انكم قريبًا تعودون الى قتالي اجمعين * فالخيل التي اعطيكم اياها نلقاكم عليها يوم المجال . واما الماكل والمشرب فقدامكم من العشب ما يسد الرمق ونحن محاصرون في هذه الجبال . واقل شي ينفعنا وقت القتال . على انني وحق الواحد الاحد . ما كان بخاطري ان اطلق منكم لا ابيض ولا اسود بل كنت اريد ان اضرب رقابكم * واقطع انسابكم . وماذا عسى ان تقول عني العرب . اكثر من قولهم اني عبد نسل حرام ليس لي

حسب ولا نسب . وهذا تقولونه وغيركم من اصحاب النفوس المعتزة. ولو اسرتكم واطلقتكم الف مرة. وكان الصواب قتلكم وفناكم واريح نفسي من بلاكم . وهذا لايفوتكم لانكم ارذال فجره ولا يودبكم الاعتذار. فسيروا واشكروا رب السمآء. على سلامتكم من هذا البلاء واذا وصلتم الى النعمان وانتم على هذا الحال. زاد عليّ * حنقاً واغلظ المقال . وربما اتاني بالعجل. واثار عليّ الحرب في السهل والجبل. وانا هذا قصدي. حتى اغني من اموالهم عسكري وجندي فقال الاسود ويحك يا ابا الفوارس لاتفعل بحق النار والمعابد. لاني ما اقدر على مشي فرسخ واحد. فمنّ عليّ بما يحملني. والا ارحني من هذا العذاب واقتلني . فعند ذلك قال لشيبوب اعطيه ناقة تحمل جثته . ودعه يسير عاجلاً والاّ ضربت رقبته *

قال الاصمعي وهذا ما كان من عنتر بخلاً على المال . ولكن اراد ان يري الاسود في نفسه الاذلال * ويعلمه انهُ ما لهُ عنده مقدار ولا يخطر لهُ على بال . هذا وشيبوب قد ذهب بكره وتقاليه واتى بناقة ضعيفة باليه * جربآء عورآء العين . مرخية الشفتين * فلما راها الاسود هان عليهِ خروج نفسه . وحلف ان لا يركب عليها ولو نزل في رمسه * وخرج من الوادي وهو يهمهم ويشتم النار . كيف تركت هذا العبد يبلغ هذا الشان والمقدار * وعند ذلك احضر عنتر معدي كرب لبين يديه . وجزّ ناصيته من بين عينيه * وقال هذا جزاء ما فعلت الجيدا مع ابنة عمي عبلة . من الاهانة

والثقلة. واني اقسم بالله لولا ظفري بك لكانت قتلتها شر قتلة * ثم اطلقه فلحق برفقته. وقد اخنقه الغيظ والخجل بجز ناصيته * ولما راهُ الاسود قال اذل الله بني عبس كما رفعوا شان هذا الكلب ابن الكلاب. وتبًا لهذا الزمان الذي حكم بهذه الاسباب. فوالله انهُ كان ضرب الرقاب * اهون علينا من هذا العذاب. ولم يزالوا على هذه الوتيرة. الى ان قاربوا مدينة الحيرة. فوصل الخبر للنعمان فركب والتقى اخاه الاسود. ولما رآه كادت مرارته تنشق من الحرد. وكان قد سمع بما جرى لهم فلم يساله شيًا عما صار. بل اركبه من جنايبه وسار * وعلا حينئذٍ ضجيج الفرسان وهم يقولون امرنا ايها الملك بالمسير الى هذا العبد حتى نكشف عنا العار. فقال النعمان خذوا للمسير والحرب اهبة. وانا اسير معكم هذه النوبة * فانا اما ان ننصر عليه ونذيقه الاهوال. واما ان ينصر علينا ونمسي قتلى على تلك الرمال * فتقدم اليهِ حجّار بن عامر وقال ايها الملك ما هذا التدبير الذي يعود علينا بالويل والخبال. ولماذا تسير انت بنفسك في هذه الجيوش العظيمة. الى عبد ليس لهُ قدر ولا قيمة. وعندك من ينوب عنك في هذه الاحوال. وياتيك بهم نساءً ورجالاً بالاسر والاذلال. وانا الضامن تتميم هذا المقال. فقال النعمان والله لاسيرنَّ بنفسي اليه. ومن عمل قدامي شيًا جازيته عليه. لانهُ لا بد ان يكون كسرى قد علم ببعض ما قد جرى وجعل علينا من يراقب ويرى. وان لم اباد الامر بنفسي. ياخذ المملكة مني ويعطيها

غيري من ابناء جنسي. فتاهبوا لنغتنم الفرصة قبل فوات الاغتنام ونسير جميعنا والسلام. فعند ذلك تفرقت الابطال. واخذت في تصليح العدد والسلاح للقتال. ورجع جبّار وهو يقول لقومه وذمة العرب لقد دخل على الملك خوف عظيم. من هذا العبد الزنيم * ولولا اخنشاءي معصيته. والخروج من طاعته. لسرت اليه وحدي وقضيت هذا العمل بلا تطويل. ورجعت قبل ان يتاهب للرحيل *

قال وكان الملك كسرى جعل رقباء على النعمان من خواصه. فكانوا كل شي يجرى يطلعون عليه ويكتبون به اليه. ومن اول ما نزل عنتر في وادي الرمال واخذ من بني شيبان الحريم والاموال اعلموه بتلك الاحوال * ولما اسر الاسود كتبوا له واعلموه بجلية الامر. فغضب حتى كادت عيناه تلتهب كالجمر. وقال ان هذا العبد السوء تمرد قديمًا. لما اتى لياخذ النوق العصافيرية واصبح اسيرًا مضيمًا * وقد قتل حاجبي الخسروان. ولما احضره المنذر بصحبته وقتل البطريق قبلنا فيه السؤال وجازيناه بالاحسان. واعطيناه التاج والعبيد والاموال. واعدناه لقومه باحسن حال * وذلك لنجعله لدولتنا نصيرًا. فاصبح لقلة عقله وخساسة اصله عدوًّا كبيرًا. والان ينبغي ان نهلكه وعشيرته. ونطفي اخباره وسيرته * والا طمعت فينا انذال العرب. ويستخف بنا كل ضارب طنب. واني وحق النار ذات اللهيب. لابد ما انفذ له مرزبانا من عندي لياتيني به

واعذبه اشر التعذيب . وبعد ذلك احرقه في بيت النيران ليكون لغيره بهِ تاديب . فقال لهُ ارباب دولته . وروساء مملكته * ايكون لك ايها الملك نايب مثل النعمان . يركب في عشرين الف عنان . وتطيعه جميع قبايل العربان . وتحتاج الى معاونته على طايفة قايلة العدد من بني عدنان * والصواب ان نترك الملك النعمان يدبر نفسه . ويهذب جنسه . فان عجز عن ذلك عرف قدره . وابعث له حينئذٍ من يقهر عدوه ويكفيه شره * فقبل الملك كسرى كلام الاعيان . وصبر حتى وصلته الاخبار ان عنترًا اسر الاسود ومعدي كرب وخلص حريمه واموالهُ من النعمان *

فلما سمع بذلك زاد بهِ الغضب . وحلف بالنيران انهُ لابد من قتل عنتر ومن يحمي لهُ من العرب . وجمع حينئذٍ ارباب دولته في مجلس واحد . وقال لهم اني ارى في معونتنا للنعمان جملة فوائد اولاً انه تخشاه اعداه . وتعلم ان مثلي وراه . وثانيًا يعلم انهُ عاجز عما اوليناه . وثالثًا في هذه النوبة يكون لعسكرنا على فرسان العرب الفخر والجاه *

ثم امر وزيره الموبذان . ان يجرد في يومه خمسة الاف من عساكر خراسان . وعشرين الفًا من العجم من ذوي الشجاعة والشان . ويقدم عليهم حاجبًا كان عنده عظيمًا يسمى وردشان . وكان هذا وردشان جبارًا في الحرب والكفاح . كانه ملاك لقبض الارواح . واوصاه ان يكون في المقدمة ولو راى العطب . وان لا يتكل على عساكر

النعمان ويجتهد ان يجعل الفخر للعجم لا للعرب. فقال وردشان اني ايها الملك وحق النار. لو امرتني بالعرب جميعاً لقلعت منهم الاثار ❊

ثم ان وردشان ركب وارتفعت فوق راسه الرايات ٥ وركبت وراءه الخمسة والعشرون الفاً وما يتبعها من المهمات ولم يزالوا يجدون المسير ليلاً ونهاراً الى ان اشرفوا على ارض الملك النعمان. وكان النعمان قد علم بقدوم وردشان. وقد احصى من اجتمع عنده فوجدهم سبعين الف عنان ٥ وعول ان يسير الى عنتر في ذلك اليوم فعدل الى ملاقاة حاجب كسرى انوشروان ٥ ولما التقى النعمان بوردشان سلم عليه وعظم ملتقاه ٥ وبالغ في مدحه وثناه ❊ ثم قال النعمان وما الذي اشفق قلب الملك كسرى العادل حتى ارسل مثلك الى قتال شلوح العرب الاراذل. فقال وردشان تواترت الاخبار بعجزك عن هولاء الانذال ❊ حتى انك فديت اخاك الاسود بالمال ٥ فشق ذلك على كسرى وانفذني لاحمل عنك هذه الاثقال ❊

فقال النعمان كذب الذي نقل عني العجز للملك كسرى العادل. ولكن قد اهملت عقوبته لحصل ما هو حاصل ❊ واما الان فقد جمعت عساكري عليه. وكنت في هذا اليوم سايراً اليه. فضحك وردشان وقال وهذا ايضاً من كبريائك. لانك تريد ان تسير بسبعين الفاً لقبيلة قليلة العدد وساقطة النسب. ولا تدري انك بهذا تجعلهم نظراءك ❊ وتظهر بفعلك انك تخشى ذلك العبد وهو

لايخشاك *
ثم انه نزل وردشان بارض الحيرة بمن معه من الرجال. وسار ثاني الايام قاصداً جبال الردم ووادي الرمال. وما التفت الى عساكر العرب ولا خطروا له على بال. واول من سار بعده الامير حجار بن عامر الكندي بمن تبعه. وانضاف اليه الربيع في ابطال بني زياد وبني فزارة فساروا جميعاً معهُ. فقال الربيع للامير حجار يا امير انظر الى وردشان كيف تقدم. لياخذ الاسم والفخر للعجم * فقال حجار يا ربيع لا كلام حتى نصل الى الجبال. وهناك اريك الشجاعة وغرايب الافعال. واني وحق ذمة العرب ان طمع نفسه هذا وردشان واراد علينا يتقدم. لاقتلنهُ ومن معهُ من طناجير العجم. وبعدُ ركب الملك النعمان. وركب وراه ساير عساكر العربان * وضربت قدامهُ النوبات. ونشرت فوق راسه الرايات وسار الملك النعمان وتتابعت وراه قبايل العربان. وقلبه مضطرب لما سمعهُ من وردشان *
هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنتر. فانه كان ارسل اخاه جريراً الى الحيرة. وقال لهُ كن على بصيرة. وراقب ما يجد عند النعمان. وارجع الينا بصدق العلم والبيان. فسار جرير بزي العبيد حتى وصل الى الحيرة * فدخلها وامتزج بين تلك الجموع الكثيرة * وما زال بينهم حتى وصل الحاجب وردشان. وجرى ما تقدم في هذا الشان * فسار مع العساكر القاصدة اخاه نصف يوم. ثم سبق

ودخل الجبال واخبر اخاه عنترًا بقدوم القوم. ثم قال يا اخي اني ما نظرت عيناي اجبر من هذا الحاجب وردشان. فانه ليس لاحد عنده قدر ولا شان *

فلما سمع عنتر هذا الكلام صاح فيه حتى اذهل منه الجنان. وقال الى كم تعظم هذا التجبير من الاعجام. وتطنب في وصف النعمان. اني احسبها ومن معها من الجيوش كالاغنام او الذبان. واني وذمة العرب واصحاب المقال. لاتركت احدًا منهم يهتدي على طريق ويصل الى هذه الجبال. ثم ان عنترًا اقام من وقته وساعته واتى الملك زهيرًا. واخبره بما سمع من اخيه جرير وابدى ذلك خيرًا. واستشاره بما يراه الاوفق للقاء تلك العساكر. فقال يا ابن العم لا تدبير هنا الا ضرب البواتر * ثم قال وحق ذمة العرب لا بد ان نضرب بالسيف قدامك وندافع عن الحريم والعيال. حتى تعثر الخيل بروسنا في الحال. فقال عنتر ايها الملك ان الامر دون هذا وذلك انكم انت واولادك لا تباشروا حربًا ولا تسعوا الى قتال * الى ان تنهب القوم جسدي على الرماح الطوال. واريد ايها الملك ان اخذ معي الف فارس واذهب التقي هذه العساكر في هذه البراري والقيعان. ولا امكنهم من الوصول الى هذا المكان. الا بعد طعن يذهل الفرسان. ويشيب الولدان * فقال شيبوب وانا يا ابن الام اسير معك ولكن بشرط انك تسمع ما اشور وتصنع ما ادبر من الامور. فقال عنتر قل ما تريد يا ابا رباح. وكيف لا اسمع كلامك

اذا رايت فيه الصلاح. فقال شيبوب الراي عندي انك تسير بالف فارس كما ذكرت الى وادي السيل . الذي لا بد للعساكر من المرور فيه كثير كانوا ام قليل. فنكمن الى تصل العساكر ونزدحم هناك. فنخرجون عليهم كالاسود فتسقونهم كاسات الهلاك . وان نفق دخولهم ذلك الوادي في الليل . كان ذلك عليهم من الشوم والويل .لان السيف يعمل من بعضهم في البعض. وتخاف العجم وتتشتت في جهات الارض فقال عنتر ورب الارباب. لقد اشرت بالصواب ومن لا يركب الاخطار * لا ينال ما يختار واذا تم هذا نخرج من بينهم بعد ان نرمي الصوت فيهم. ونملك اطرافهم ونواحيهم. فمن هرب اسرناه * ومن مانع قتلناه. فقال شيبوب وانا افرغ كنانتي قدامي وكل من تعوق منهم اضع له نبلة في فواده. اقلبه عن جواده ولما اتفقوا على هذا التدبير * قال عنتر هيا بني العم على المسير . فامر عروة بن الورد وفرسانه الشداد . وانتخب بقية الالف من بني عبس وقراد *

واعلم انه من بعد تخليص بني عبس من الاسود وفك اسراه. وجد بنو عبس نحو ثلثة الاف من اصحاب الشجاعة والجاه . ثم تجمع اليهم الذين كانوا قد تشتتوا من بني عبس في الفلاه. فصار عسكرهم نحو اربعة الاف من الابطال. وكلهم تحت امر عنتر في تلك الجبال *

فركب عنتر ظهر جواده الابجر وركبت خلفه الفرسان. وسار قدامهم

شيبوب وكانه من عفاريت سيدنا سليمان. وكان وادي السيل
اقرب الى وادي الرمل فسبق عنتر عساكر الملك النعمان. بنصف
يوم* واكمن لمن ياتيه من القوم. وصعد شيبوب الى روس الجبال
وقعد لهم ديدبانًا ينظر الى اليمين والشمال. وما صار اخر النهار.
الا والغبار سد الاقطار* وظهر من تحته عساكر كعدد الرمال على
شواطي الابحار. فعندها صاح شيبوب يا ابن الام خذ حذرك وتاهب
للقاء الاعدا في هذا الوادي واورثهم الفنا والدمار* وكانت العجم
في الطريق قد خاسرت مع العرب. فبذلوا فيهم السيوف والرماح
واوقعوا فيهم العطب. وكان اول من اقبل وردشان وحوله عساكر
العجم. وهو يهز في يده عمودًا اطول من علم. ويلتفت الى اليمين
والشمال. وفي قلبه شدة الخوف والانذهال. وكان هذا وردشان
يبغض العرب بغضًا لامثيل لهُ. وكل من جاء قدامه في الطريق
قتلهُ. لانه كان راى ان الفنا حل باصحابه* فاخذ من بقي وسار
في ذلك البرّ وجنابه. الى ان وصل الى تلك الوادي والشعاب
فانقضّ عليه عنتر كالعقاب. فسمعه يذكر النار ويدمدم كانهُ نمر
في وسط غاب. فطعنه في صدره. طلع الرمح يلمع من ظهره*
فتفرقت اصحابهُ كالجراد. وسالهم اصحابهم فاخبروهم بما فعل عنتر
بن شدّاد. ولما سمعت عساكر النعمان. انهُ قتل الحاجب وردشان
عول كل واحد منهم على الهرب. وخافوا جميعًا من الهلاك
والعطب. فركب النعمان في بني لخم وجذام وابتدا ينادي. ويلكم

لا تمكنوا عساكر العجم من الدخول في هذا الليل في الوادي والا لقينا عنتر. وافنى جميع العسكر. ففعلت الفرسان ما امرهم به النعمان. وردوا من سلم من عساكر العجم. وباتوا جميعاً في ذلك البر والاكم. وما زالوا جميعاً على ظهور الخيل. الى ان طلع الصباح وانقضى الليل * فامر الملك النعمان ان تتقدم العساكر. وتشهر الرماح والبواتر. فاول من تقدم الاسود ومعدي كرب كانهما من اسود البيد. وتبعهما بنو لخم وبنو زبيد. وسارت وراهم القبائل وهم جميعاً بالخوف والانكماد. من ملاقاة عنتر بن شداد. ولما صاروا في وسط الوادي راوا سيل الدماء. وسمعوا انين القتلاء. فتعجبوا من افعال عنتر. وما فيهم الا من اضطرب خوفاً وتحير. فقال معدي كرب للاسود وذمة العرب الجياد ما ولدت النساء ولن تلد مثل عنتر بن شداد فقال الاسود وذمة العرب لابد من قتل بني عبس اجمع. ونتركهم عبرة لمن يرى ويسمع *

قال الراوي ولما وصلوا الى وادي السيل ودخله النعمان ونظر سيل الدماء. وسمع انين القتلا تعجب من ذلك وتحير * وعظم في عينيه عنتر * ووقعت في قلبه محبته حتى صار كانه صديقه الاكبر. وزادت رغبته في زواج ابنة ملكهم المتجردة. لاننا ذكرنا سابقاً انه ارسل طالباً فرده زهير بالنجس ردة * فحلت له عند الامتناع. وتعشقها على السماع * فصار لا يقدر على نوم. ويغلبه حب المتجردة ويزداد عنده من يوم الى يوم. وهو من عزة نفسه لا

يشكو الى احد . ويتسلى باستعادة وصفها من اخيه الاسود * لانهُ
لما سبى بني عبس وقعت في يده فرای حسنها والجمال . فكان
يحدث اخيه النعمان عنها بما يذهل العقل ويشغل البال * ولما
راى النعمان فعل عنتر وبني عبس بعساكر العجم. زادت رغبته
فيهم وقال في نفسه اذا صاهرتهم وكانوا انصاري فلا اخاف من
جميع الامم. وما زال سايرًا بمن معه الى الجبال . وكان عنتر سبقه
الى هناك بالاسرى والاموال * فاستبشر بنو عبس بفعل عنتر
وطابت قلوبهم على القتال . ودخل عنتر على الملك زهير.
واخبرهُ بما فعل. وذكر لهُ من اسر ومن قتل . ففرح الملك زهير.
واستبشر بالنصر والخير * فقال عنتر بقي علينا ايها الملك ان
نتاهب الى قتال عساكر النعمان . ونحمي حريمنا وعيالنا في هذا
المكان * لانهُ اذا اجتمعت علينا العدى .. اصطادوا كلاً منا
واسقوه كاس الردى. ثم ان عنترًا امر اخاه جريرًا ان ينادي في بني
عبس باخذ الاهبة للقتال. وان يخرجوا جميعاً الى خارج الجبال.
وقسم عنتر عبيد بني عبس على كل مضيق يمسكون منه البهم العبور
وامرهم ان يكثروا قدامهم من الحجارة الكبيرة والصخور * وانهم كل
من راوه خارجًا الى القتال يتركونه. وكل من راوه راجعًا يقتلونه.
ثم قال لهم وان رايتمونا كلنا قد انكسرنا ورجعنا عن القتال. ارجمونا
بالحجارة وامنعونا عن دخول الجبال . فاستعدوا للحرب وخرجوا كما
تخرج الاسود من الدحال . وركب الملك زهير ونشرت على

راسه رايات العقاب. وربطت الفرسان على مداخل المضيق كانها اسود الغاب. وما فرغوا من ترتيب المواكب حتى طلع النهار. وقد اقبلت عساكر النعمان وملات بكثرتها تلك الاقطار * والملك النعمان تخفق فوق راسه الرايات والاعلام. والجيوش تتبعه من عرب واعجام. ولما اراد النزول للارض. دقت الطبول حتى اهتزت الارض وماجت حوله العساكر كيوم العرض. ولمعت البيارق والرايات التي عليها البزاة الذهبية. ورنت الكاسات الكسروية. ونصبوا للملك النعمان السرادق واحاطوه بالمضارب. ودارت تلك الجيوش بجبال الردم من كل جانب. فنزل مفرج بن هلال وبنو شيبان ومعدي كرب والجيدا وبنو زبيد وبنو مراد عن يمين الملك النعمان. ونزل بنو زياد وبني مرة وبنو كندة عن شماله في تلك القيعان. وكان بنو كندة في غاية القهر والاحزان * لان الامير عنتر كان قد اسر اميرهم حجارا عند ما قتل وردشان. ولما نظر نظر بنو كندة الى بني عبس وهم متفرقون على تلك الجبال * قلوا في عيونهم غاية الاقلال. ونظروا الى الامير عنتر راكبا قدامهم وهو كالاسد الكاسر. وقد اخرج رجله من الركاب وثناها غير مكترث بكثرة العساكر. وكان عن يمينه ابوه شداد * وعن شماله عروة وجماعة من بني قراد * فتقدم بنو كندة وقد سبقتهم بنو شيبان. وكان جميع هولاء المتقدمين نحو خمساية من الفرسان. واغاروا طالبين عنتر بن شداد فالتقاهم عروة ورجاله المائة واخذ معهم

في الحرب والجلاد. فتطاعنوا بالرماح ومزقوا الدروع والعدد.
وكثر على عروة ورجاله المدد. فاردفهم عنتر بماية اخرى من بني
قراد* ومعهم عمه زخمة الجواد. وابوه الامير شداد. وحينئذٍ ثارت
الاحقاد وتطايرت الروس عن الاجساد. وتحكمت بالاعناق
السيوف الحداد. وبقي عنتر واقفًا مكانه وهو يراعي رجاله وفرسانه
وكلما ضعف جانب ارسل لهُ من يصلح شانه* وكلما كثر الاعدآء في
جانب يهجم عليهم فيفرقهم. ويشتت مواكبهم وجمعهم. ويعود يقف
في ذلك المكان. ويراعي دايرة الحرب والفرسان. والعساكر تتعجب
من فعاله. وتتجنب الوقوع بحباله*

وما زالوا كذلك حتى عبر نصف النهار. ووقع على بني كندة
وبني شيبان الانبهار* واكثرهم طلبوا الفرار* وكان عروة ورجاله
متشجعين بعنتر فلم ياخذهم ملل ولا كلال. وقد قتلوا من بني
كندة وشيبان نحو اربعماية فارس. وقتل منهم نحو عشرين من
الابطال. وعند عودتهم التقاهم عنتر وهناهم بالسلامة. وصار
يشجعهم على حمل الاثقال والاضامة. ويقول لهم يابني العم لاتعلوا
المنازل الا بالصبر على النوازل. وانكم قد اكتسيتم اليوم من الفخر
بثوب جديد. والذي قتل منكم لو لم يكن حان اجله لم يقطع في
جاده الحديد. فقال عروة يا ابا الفوارس ما جرى هذا التوفيق
الا بهمتك. ولا كسرت الاعدا الّا بسطوتك* فشكره عنتر على مقاله
وعاد وهو محاط برجاله. اما الملك زهير فانه قوي قلبه في ذلك

Digitized by Google

اليوم. ونفاآل بالنصر على القوم* والتقى عنترًا وزاد له بالشكر والثناآء. وقال له يا ابا الفوارس ما دمت لنا لا نبالي بكثرة الاعدا. فترجل عنتر واراد ان يقبل يديه. فمنعهُ وقبلهُ بين عينيه ❃

ثم قال عنتر ايها الملك ابشرك بالانتصار على الاعدا وسرّ... الجرار. لاننا اذا تقابلنا بعسكر الملك النعمان كنا نحن الكثار. وذلك انهم سبعون الفًا ونحن اربعة الاف وكل واحد منا يلتقي الفًا منهم بلا خلاف. ففرح الملك زهير بكلام عنتر وقال صدقت يا ابا الفوارس ولكن من اين لنا لكل الف بطل مثالك يلقاها. ويحل بها فناها* فقال عنتر وحيوة راسك ايها الملك السعيد اني لا ازال اسقي الاعدا كاسات الكدر وادافع القضا والقدر. حتى اعدم السمع والبصر. او ارزق من الله النصر والظفر ❃

هذا ما كان من هولاآء* واما ما كان من عساكر النعمان فانهم رجعوا واخبروه بما جرى ذلك النهار* فاخذه من فعل عنتر وبني عبس العجب والانبهار. وكان هو في سرادقه مستحيًا بخروجه بذلك الجيش العظيم. الى قبيلة قليلة العدد وعبد زنيم. فعندها قال في باله ان عنترًا رجلاً مسعودًا. وقد جعل الحرب دابه. فان لم نكاثره بالرجال فلا ننال منه مقصودًا. ولما اصبح الصباح* واضاء بنوره ولاح. ثارت الرجال. وصهلت الخيل شوقًا للمجال. وركب الملك النعمان ليشاهد في ذلك اليوم معمعة القتال* وركب عن يمينه اخوه الاسود ومعدي كرب والجيدا ومعهم عشرون الفًا من

الفرسان * وعن شماله مفرج بن هلال والربيع واخوته و بنو فزارة ومعهم عشرون الفاً من الابطال والشجعان . واوقف النعمان بقية العساكر من لخم وجذام و بقية العربان * ليجعلهم ردفا عند الاقتضا والامكان *

قال الراوي وعنتر كان ايضاً صف عساكره ميمنة وميسرة * وجعل صفوفاً متقدمة وصفوفاً متاخرة . فجعل في الميمنه عروة ورجاله وكلهم على الالف من بني عبس الشجعان * وفي الميسرة اباه شداداً وعمه زخمة الجواد واضاف اليهم تمام الالف من الفرسان ووقف في الوسط الملك زهير واولاده ومعهم الف من الابطال الاعيان . وتقدم هو قدام الجميع ومعه الف فارس من كل قوي الجنان . ولما ترتبت الصفوف . وتقابلت الميات والالوف واذا بالامير عمارة بن زياد . قد برز بين الصفين على ظهر الجواد * ونادى باعلى صوته يابني عبس الى كم طول غفلتكم . وماذا حملكم على اتلاف مهجتكم . وكيف ترتضون بالموت والفنا لاجل متابعة هذا العبد ولد الزنا * وقد عاديتم لاجله الملك النعمان * واغضبتم كسرى انو شروان . اتظنون ان هذا الغدار * يقدر يرد عنكم هذا الجيش الجرار وانت يا زهيراً الذي تدعي انك ملك عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومرة وذبيان اتطلب النصر من عبد ليس له قدر ولا شان . فوحق ذمة العرب انك البستنا ثوب العاره بين عربان القفاره والصواب انك تقبض على هذا العبد الزنيم . والوغد اللئيم . وتسلمه الى حتى

اسلمه للملك النعمان * وانالاقي نوبتكم عنده واخذ لكم منه الامان * وحينئذٍ يجتمع شملنا. ونرجع الى ارضنا كلنا * ونزوج عبلة الى من هو مثلها في الحسب والانساب * مثل الامير عمارة الوهاب * لانها تصلح له ويصلح لها * ولا تصلح لمن كان يرعى جمالها وبعد هذا انت على تدبير نفسك اقدر * وقد اعذر من انذر *

قال الراوي وما اتم عمارة كلامه حتى تقدم اليه الامير شداد. وصاح في وجهه صوت يشيب رؤوس الاولاد * وقال له ثكلتك امك وعدمك قومك. ولا سقيت الغيث يانذل ياجبان * يامنحوس يامهان. فانكم يابني زياد. قد زاد بكم الحسد والنكاد. لولدي عنتر * وقد شقت مرائركم شجاعته وسطوة سيفه الابتر * وما انتم تدعون الحسب والنسب. وما فيكم من يقف قدامه اذا خامره الغضب * وتعيرونه بالعبودية وتطلبون ذمامه. وتهربون من بين يديه اذا سل حسامه. ويلك ياعمارة كم خلص م ولدي عنتر من الاسر والبوائق * وكم حمى حريمكم والرماح خوارق ولكن وحق من ارسى شوامخ الجبال * لو انصفتموه لبان لكم ولد الزنا من ولد الحلال. لانكم انت واخوتك اولاد حرام. ولا تعرفون الجميل ولا فعل الكرام. لان ولدي حماكم بسيفه وانتم بغيتم عليه وسيرجع عليكم بغيكم وعواقبه * وترون من هو الخاسر اذا ثار الغبار وازدحمت مواكبه * فها انكم قد جلبتم لنا الجموع والجنود وبلغتم في عداوتكم المجهود * فدعونا نفرق هذه الكتائب * وندفع

ما جاءتم علينا من المصائب . والاَّ تقصدكم بسيوفنا الحداد . ونمحو ذكر بني زياد . وندع هذه العساكر تذبح فينا ونحن نذبح فيهم * حتى يفنونا بعد ان نفنيكم *

قال الراوي فلما سمع عمارة كلام شدَّاد التفت الى اخيه الربيع وقال يفعلوها وحق رب العباد * ويا ليتني ما نطقت بهذا المقال وانا ما عدت احضر في حرب ولا في نزال . وعاد عمارة من بين الصفين وقد تهاجم اليه بنو قراد . وهم عنتران ينزل ياخذهُ اسيرًا فمنعهُ ابوه شدَّاد. واذا بالجيداء ابنة زاهر قد برزت الى الميدان غارقة في الحديد والزرد . كانها البرج المشيَّد . وهي من حزنها على ابن عمها خالد محروقة الفواد . ولابسة السواد * ولما صارت بين الصفين اسكبت العبرات . واكثرت التحسرات * وانشدت تقول

يا لقومي قد قرح الدمع خدي وجفاني الرقاد من عظم وجدي

ولباس الحديد قد هد حيلي واذاب السقام عظمي وجلدي

كان لي فارس سقاه المنايا عبد عبس بجوره والتعدي

بدر تمّ هوى الى الارض لما رشقته السهام من كف عبدِ

وتركني من بعد انصار جندي في هموم اكابد انوجد وحدي

ياقتيلا بكت عليه البواكي في جبال الفلا وفي ارض نجدِ

كان مثل القضيب قدًّا ولكن قدَّهُ صرف دهره ايَّ قدِ

يا لقومي من يكشف الضيم عني ويراعي من بعد خالد عهدي

قال الراوي وما فرغت الجيداء من هذه الابيات حتى صاحت

Digitized by Google

بنو زبيد صيحة واحدة هزة الاودية والجبال . وارجفوا الخيل والرجال . وتذكروا قتل اميرهم خالد بن محارب فانطبقوا على عنتر من كل جانب . وقد خففوا الملبوس . وكشفوا الرووس * وكانوا نحو خمسة الاف فارس . وتبعهم نحو الفين من بني لخم وجذام من كل مداعس * وحملوا جميعاً وقدامهم معدي كرب وهو يزمجر كالاسد اذا غضب . ونظرهم عنتر فعلم انهم قاصدين اليه . لما في قلوبهم عليه فاخذ معهُ مقدار ثلثماية فارس من بني عبس . واستقبلهم بكل طيبة نفس * وصار ان ضرب شطر . وان طعن دمر * واذا ضايقته الخيل يصرخ فيها فيردها على الاعقاب . ويرمي عن ظهورها الركاب وقد احمرت من الغضب اماقه . واكتست من الزبد اشداقه وبينما هو باشد الطعن والقتال . وقد راى الجيداء تفني عليه الابطال . فهجم عليها كانه الاسد الادرع . الذي يفترس ولا يشبع وزعق فيها صوتاً كالرعد اذا فرقع * فارادت الجيداء ان تقبل السنان فاعترضها عنتر اسرع من لمح العيان . وطعنها في جنبها كسر منه ضلعين بعد ان قطع عن بدنها درعين . فقامت من عزة الروح وعاقت الجواد . وفرت وهي مرعوبة الفواد * ولما نظر معدي كرب فعل عنتر في بنت عمه الجيداء . هجم على عنتر وصاح فيه ويلك اتظن ان الايام كلها على السواء * اليوم اخذ منك الثار . واكشف عني العار ولما نظر عنتر الى معدي كرب التقاه . وصاح فيه صوتاً زعزع الارض قدامه ووراه * وضايقه ولاصقه . وسد عليه طريقه * وانتضى سيفه

الضامي وضرب معدي كرب ضربة جبار. لا يصطلى له بنار * فوقع السيف على خوذة معدي كرب فقطعها وقطع الرفادة. وجرحه جرحًا يلقي مثله على الوسادة. فقام من عزة النفس وعانق جواده. وهرب طالبًا خيامه ورفقاه. والدم يسيل على وجهه وقد اماه. فلما نظر الملك الاسود الى ما فعله عنتر. غضب حتى عدم السمع والبصر * وحمل هو والعشرين الفًا الذين معهُ على عروة بن الورد ورجاله. واراد ان يفوز منهم باماله * ولما راى عنتر حملة الملك الاسود صاح الى شيبوب ويلك يا ابا رياح سر الى الملك زهير وقل لهُ لا يفارق مضيق الجبال. ويرسل لي من عنده الف فارس حتى التقي بهم الملك الاسود ومن معه من الابطال * ويكون مطمئنًا طيب القلب والنفس. ولا يحمل الا اذا راى الملك النعمان حمل بنفسهِ فيحمل حينئذٍ في ساير بني عبس * فاجابه شيبوب الى ما طلب والتقى ساقيه الى الرياح حتى وصل الى الملك زهير. وبلغه ما اوصاه عنتر من بساير النصر والخير *

فقال الملك زُهير السمع والطاعة. وارسل لهُ الف فارس من بني عبس الذين تضرب في شجاعتهم الامثال. وما فيهم الا من ينتصر على الالف في ساحة المجال * وما وصلوا الى عنتر حتى كان فعل افعالاً تعد وتذكر. لانه كان ادرك عروة ورجاله والتقى الملك الاسود وعساكره بضرب لا يبقي ولا يذر. وقتل من الخلق ما لا يحصى ولا يقدر * لانهُ علم ان عليه رجا بني عبس والا نكال *

فاري في ذلك اليوم الاهوال * وقطع الاوصال * ولما وصلت الالف فارس كشفوا روؤسهم وصاحوا عن فرد لسان . يا لعبس يا لعدنان . وانطبوا على تلك الجيوش فالتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال . وجرى الدم بين الفريقين وسال . وما كنت ترى الا قاتلاً ومقتولاً . والسيف من قبل ملك الموت رسولاً * وتعاظمت البلايا في تلك الساعة . ورخصت في ذلك السوق كل بضاعة . وتفاقمت الرزايا وحارت الخواطر . وشكت الارض من ثقل وقع الحوافر * وما زالوا على تلك الحال حتى حل بعساكر الاسود الفنا والعطب . وعول كل منهم على الفرار والهرب * فولوا الادبار واركنوا للفرار * لانه ما امسى المساء . حتى قتل من العشرين الفاً فوق الخمسة الاف من سيوف الاعداء . ولما تشتتوا وصاروا في جهات الارض كالجراد المنتشر * امنوا على نفوسهم من الخطر * رجع عنهم عنتر وبنو عبس وهم فرحون بالنصر والظفر * وكلهم يثنون على الامير عنتر * وهو سائر قدامهم وكانه شقيقة الارجوان * مما سال عليه من دما الفرسان *

قال الراوي وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى الملك زهير فترجل عنتر واراد ان يقبل يديه * فمنعه الملك وترجل اليه * وقبله بين عينيه * وشكره واثنا عليه * وقال له لله درك يا فارس الزمان * وحامية عبس وعدنان * وحق ذمة العرب انك اليوم فعلت ما يشفي الغليل * ويذكر الى جيل بعد جيل * فقال عنتر

وحيوة راسك ياملك الزمان. لابد غداً ما اخذ الملك النعمان اسيراً
من تحت الاعلام واجعلك انت تحكم مكانه على جميع العربان وبعدها
اركب على كسرى وازلزل الارض على راسه واحكم مكانه واملك الايوان
ومن لم يطعني من بلاد العجم وخرسان قطعت راسه بالسيف اليمان
فلما سمع الملك زهير قول عنتر تعجب من كلامه. وقوة قلبه واهتمامه
وعلم انه يقول ويفعل لانه اذا كان الرجل مسعود الطالع لا تقف
في طريقه الموانع. وبعد ذلك دخلوا الجبال. وباتوا فرحين
مع عيالهم والاموال. بعد ان رتبوا الحرس على ابواب
الجبال. واكثروا من وقود النار. حتى
صارت الانوار مثل
النهار

A. 01. 620 h-1

الى هنا انتهى الكتاب الحادي والعشرون
وسياتي تمام الحديث عن هذه الواقعة
في الكتاب الذي
يليه

Digitized by Google

Digitized by Google

<36618397670011

<36618397670011

Bayer. Staatsbibliothek
Digitized by Google

A. or. 630 h-1

A. W

Digitized by Google

Digitized by Google